مملكتي في سبيل امرأة

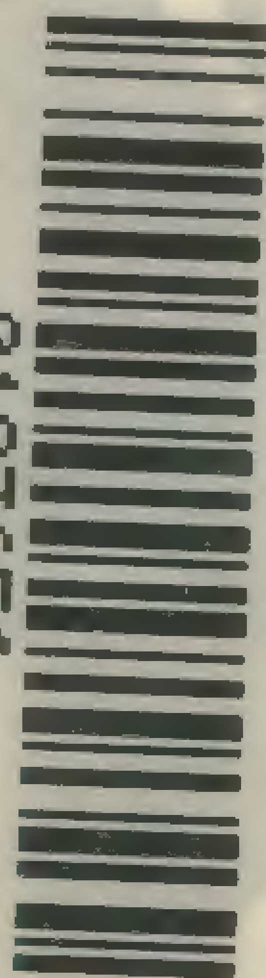
فاروق

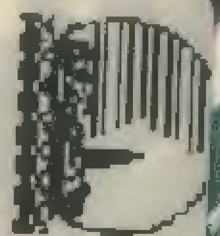
ليف: وليم ستاديم

رجمة: محمد غنيم

اجعة وإشراف: محمد عبد الوارث

KAMEL GRAPHICS

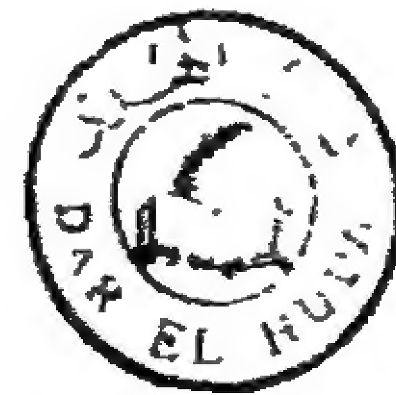




مملكتي في سبيل امرأة !

فاروق

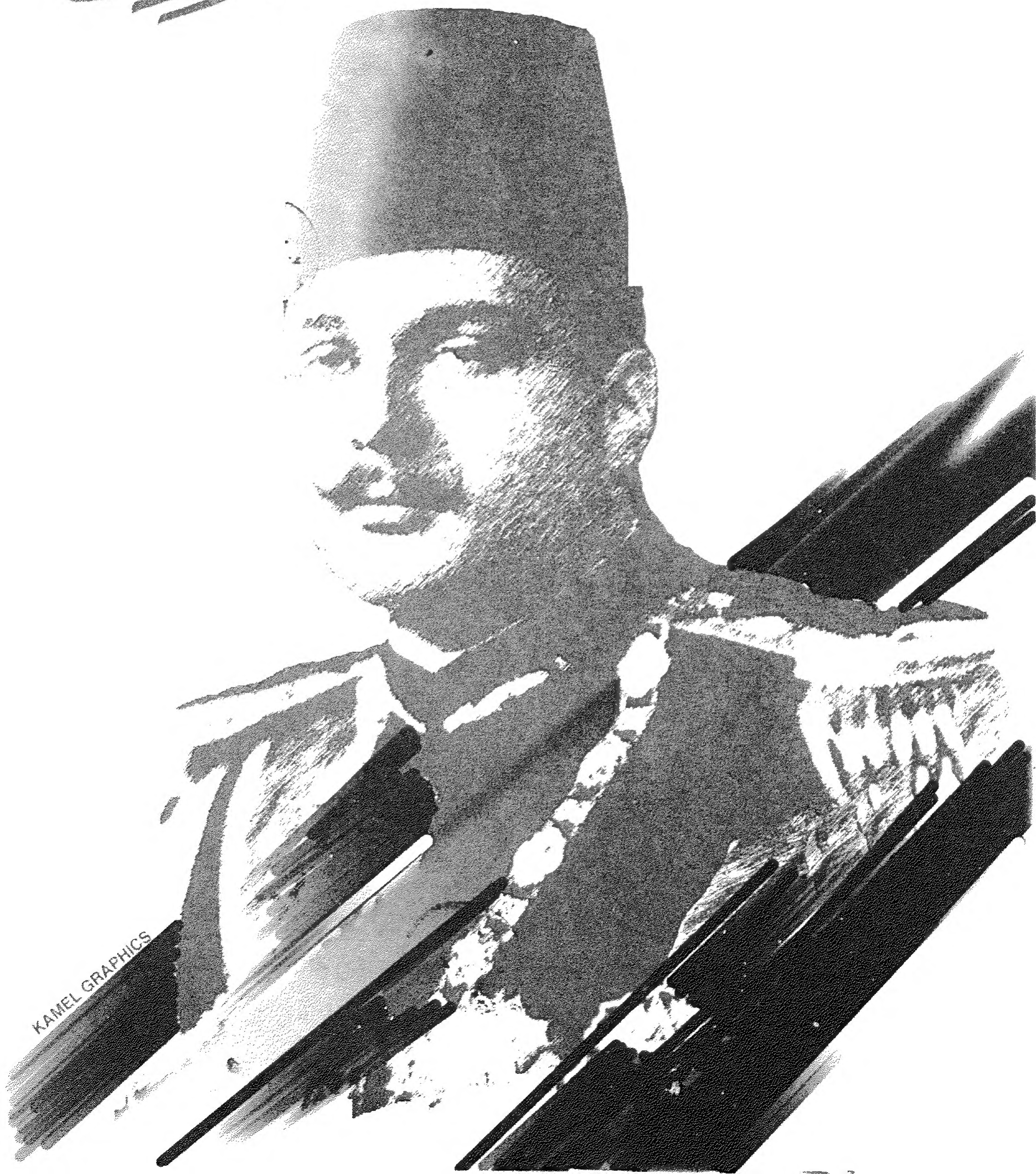
الطبعة الأولى



دار الهدى للنشر والتوزيع

مملكتي في سبيل امرأة

فاروق



مقدمة الناشر

الانهيار الكبير للملكية في مصر

قبل أن نلج أبواب هذا الكتاب الهام عن الملك فاروق ، ملك الليل والعربدة ، والفساد ، نقدم هذه الدراسة الموسعة التى تبحث في سؤال أساسى : لماذا سقط فاروق وانهارت الملكية فى مصر ؟ ويستتبعه سؤال آخر أو لعله الوجه الآخر لنفس السؤال وهو لماذا صعد عبد الناصر ورفاقه . ؟ وكيف ؟

• للإجابة عن هذين السؤالين نتناول بالرصد والتحليل المحاور التالية :

أولًا – حريق القاهرة : الإنذار الأخير لفساد فاروق .

ثانيًا – الضباط الأحرار وإسقاط فاروق .

ثالثًا – ليلة الثورة : فاروق يغادر مصر .

وبتفصيل المحاور السابقة يستبين ما يلى :

أولًا – حريق القاهرة : الإنذار الأخير لفساد فاروق :

كان حريق القاهرة هو (المسمار الأخير) فى نعش الملكية فى مصر ، لقد أتى الحريق بعد أن استشرى الفساد وزكمت رائحته الأنوف ، وعن هذا الحريق كرمز لاستشراء الفساد فى مصر يقول طارق البشرى فى كتابه (الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢) إنه فى يوم الحريق يمكن القول أنه لم تكن هناك سلطة فى مصر ، أو فى العاصمة على الأقل . وإن أعمال الدولة توقفت يومها . كان جهاز البوليس قد انشق جزئين ، أحدهما انضم إلى المظاهرات ، والآخر – الموالى للملك – امتنع عن العمل وحفظ النظام . وكان الجيش قد احتجز كبار ضباطه فى مأدبة القصر ساعات كانت هى الفترة الحاسمة ، وأفلت الآخرون من الولاء للنظام بحيث خشي القائد العام إذا نزل الجيش إلى الشوارع أن ينضم شبابه إلى الجماهير ويظهر من بيان لسراج الدين ، إن حكومة الوفد قد شلت عنها سلطة التقرير والتنفيذ تمامًا . ولم يبق فى هذا اليوم

إلا عنصران انقسمت السلطة بينهما ، وعملا معًا من خارج الدولة والمؤسسات القائمة : أولهما ، الحركة الشعبية وتعبر عن نفسها بالمظاهرات والصخب بغير أن تجد مقاومة من الدولة بوصفها سلطة ، وانجذب إلى هذه الحركة الشعبية قسم من رجال أجهزة الأمن استحالوا أفرادًا عاديين متظاهرين . وثانيهما ، الملك والقوى المتآمرة التى عملت من خارج الدولة والسلطة أيضًا ، وعملت على شل ما بقى من فاعلية أجهزة الأمن لينطلق نشاطها من قيود النظام ، فلجأت هذه القوى المتآمرة إلى العمل « غير المشروع » أى العمل الإجرامى البعيد عن أجهزة الدولة بوصفها دولة .

ويمكن القول بأن هذا الفراغ كان الفرصة التى يمكن أن تنتهزها التنظيمات الشعبية لجذب الجماهير إليها وإعلان تكوين « سلطة جديدة » ودولة جديدة . وقد سبقت الإشارة إلى أنه فى فبراير ١٩٤٦ تمكنت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة – وهى لجنة حديثة النشأة من عناصر سياسية جديدة – تمكنت برغم الحداثة وضعف الروابط التنظيمية من أن تسيطر على الأحداث أيامًا وتوجه الجماهير فى اتجاه واحد سار فيه الغالبية من الجماهير . ويمكن أن يتصور ماذا كان يمكن أن يحدث يوم الحريق لو بادرت التنظيمات الشعبية بعمل مشترك تمسك به زمام السلطة وزمام الموقف المنهار ، وتطرح أهدافها السياسية الثورية كبرنامج للسلطة الجديدة ، وتشرع فى تكوين دولة جديدة من الحطام المتهاوى للنظام المنهار . ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث ، ولا حدثت محاولة من هذا النوع . ولا يبدو من وثائق هذه الفترة أن هذا الأمر ورد على البال . والحركة السياسية كحركة الأجرام السماوية تتقارب إلى درجة معينة يبدأ بعدها التباعد ثانية ، ولا تنمو الفرص تلقائيًا إلا إلى حد معين ثم تذوى . والظروف الموضوعية إن هيأت لاقتراب حزب أو أحزاب من السلطة ، فهى تتطلب منه أن يستغل الظرف المتاح عند أقرب لحظات الوثوب وإلا ضاعت الفرصة الموضوعية وابتعد الفلك فى دورة جديدة .

والحاصل أن انفلات السلطة يوم الحريق ، أشاع من الاضطراب والانزعاج لدى الجميع ، ولدى القيادات المعادية للنظام وتنظيماتها ، أكثر مما أوحى لها بالإقدام .

وحكومة الوفد أعلنت الأحكام العرفية وحظر التجوال ومنع التجمهر ، واعتقلت ثوريين وصادرت صحفًا وأغلقت مقار للأحزاب ، ثم أقيلت وأتت حكومة « على ماهر » ، ليواجه بها الملك ما بعد الحريق ، فأيدها الوفد وذهب قادته إلى الوزراء الجدد مهنئين وذهبوا إلى القصر الملكى يكتبون أسماءهم فى « سجل التشريفات » معلنين الولاء . وإذا كان هذا المسلك من قيادة الوفد قد ساهم فى بلبلة الجماهير ، وإخفاء المؤامرة نوعًا ، كما دل على تسليم قيادة الوفد بغير تحفظ لجبهة الاستعمار والرجعية ، فلم تكن المؤامرة ضد الحركة الثورية فقط ولكن ضد الوفد وقيادته وحكومته ، وكان التسليم يعنى الاستسلام للأعداء . وما لبث الوفد وقادته أن خضعوا لإجراءات القمع من الحكومات التى تولت وتوالت بعد ذلك .

ومن جهة ثانية ، يذكر أحمد حسين فى روايته « واحترقت القاهرة » أنه اتصل بعلى ماهر يوم الحريق ونصحه بأن الموقف يتطلب أن تقال حكومة الوفد ويأتى على ماهر إلى الحكم . وكانت حكومة على ماهر ومن تلاها هى التي ضرب الحزب الاشتراكى مع غيرها من التنظيمات الشعبية وعملت على تصفيتهم ، كما كانت هى التى زجت بأحمد حسين فى السجن وقدمته إلى المحاكمة طالبة إعدامه بتهمة حرق القاهرة . أما الحركة الشيوعية فيصف سعد زهران موقفها يوم الحريق بقوله « لا شك أن الجماهير الشعبية الواعية التى اشتركت فى المظاهرات السياسية لمحت خيوط المؤامرة السوداء مع أول سحابة دخان تصاعدت من قلب عاصمتهم غير أن المفاجأة أذهلتها وسرعة اندلاع الحريق شلتها عن عمل أي شيء . ولا نظن أن القيادات الشعبية أفاقت من هول المفاجأة إلا لتواجه أعباء البطش والمطاردة . . » وكل ذلك يظهر أنه عندما كانت الدولة تنهار فى ذلك اليوم ، أجفل الثوار كما أجفل غيرهم ، ولم يجد الكثيرون أمنًا لهم فى أنقاض البناء المتهاوى ، إلا أن يفتح أبواب السجن ويدخل فيه ويغلقه على نفسه . كما عملت حكومة الوفد أو يقترحه وينصح به كما عمل زعيم الحزب الاشتراكى ، أو يساق إليه ذاهلًا كما عملت الحركة الشيوعية وغيرها من « الجماهير الواعية » . وذلك حسب المسلك الصريح أو التعبير الصريح لكل منهم

أخذًا بحديثه هو .

والملاحظ أن هذا الموقف قد فرضته كثير من العوامل الموضوعية على الجميع . وليس من السليم رده فقط إلى أسباب ذاتية تتعلق بالإمكانيات الفردية للقيادات الشعبية وقتها ، وذلك ما دامت له أسباب موضوعية من الظروف السياسية وقتها ومن خبرة التاريخ المصرى .

وأول أسباب هذا الجفل وفقدان المبادرة ، هو وجود القوات البريطانية فى « القنال » على بعد ساعتين من القاهرة ، وأحست كل القوى السياسية وقتها أن هذه القوات لابد آتية إلى القاهرة تحمى النظام الموجود إذا همت إحدى القوى السياسية بالقفز إلى السلطة ، وكان هذا تهديدًا حقيقيًا وخطرًا وشيكًا . وقد ملأت الإشاعات مصر يومها بأن القوات البريطانية تتحرك متجهة إلى القاهرة . فإذا كانت دولة الملك قد انهارت فإن جيش الاحتلال موجود لا يبعد كثيرًا عن العاصمة ، وحجة التدخل البريطانى - أو الأجنبى عامة - المسلح لحماية المصالح الأجنبية . هذه الحجة التى كانت قد ذوت مع الأيام ، توهجت بالحريق من جديد ، والملك ما يزال موجودًا ولو بكيانه المادى ، والسراي ما تزال مؤسسة سياسية قائمة ، وتجمع الرجعية ما يزال سهلًا وما يزالون يشكلون أعضاء في جسم الدولة ، والدولة تفتتت ولكنها لم تندثر بعد ، وما يزال من الممكن ضم أشلاءها لتعمل من جديد ، ومذبحة الإسكندرية سنة ١٨٨١ وما تلاها من احتلال مصر ما تزال ذكراها عالقة بالأذهان ، والملك فاروق يعى خبرة الخديوي توفيق جيدًا فهى من التراث السياسى للسراى ، وفشل ثورة عرابى وما تلاه من احتلال مصر جرح يمكن أن تنكأه الأحداث . والحريق حادث جلل ليس الويل لمن تسبب فيه ، ولكن الويل كله للمغلوب . عندما يعلق الحادث فى عنقه - بالحق أو بالباطل - ليشنقه . حادث جلل يصلح أن تزهق باسمه أرواح الأبرياء وأن تقام على شرفه حمامات الدماء . والمفاجأة حقًا مذهلة .

وثانى الأسباب يتعلق بالموقف من السلطة . فلا يبدو أن الانهيار السريع للدولة كان أمرًا فى الحسبان . ولا يعنى ذلك أن انهيارها أتى قبل الأوان ، وقارىء تاريخ

هذه الفترة يلحظ تشقق بناء الدولة من سنوات سبقت ، من حركة الإضرابات التى توجها إضراب البوليس ، ومن هزيمة فلسطين . ولكن السرعة تعنى أن الانهيار حدث قبل أن تعد العدة لقيام سلطة جديدة . وقد سبقت الإشارة إلى أنه لم تقم جبهة بين التنظيمات الثورية ، وإلى أن الروابط التنظيمية بينها وبين الجماهير لم تكن بالعمق والشمول المطلوبين لقيام هذه الجبهة ، ولا للسيطرة بالجماهير المنظمة على الموقف السياسى . كما سبقت الإشارة إلى الصعوبات الموضوعية التاريخية التى كانت تعوق البناء السريع لهذه الروابط . وإذا كان أمكن سنة ١٩٤٦ للجنة الوطنية للعمال والطلبة أن تنشأ سريعا وتقود الحركة الشعبية ، فقد كان الاختلاف الجوهرى بين ظروف تلك السنة وبين الظروف الأخيرة ، أن الأمر لم يعد سنة ١٩٥٢ أمر مظاهرة كبيرة أو انتفاضة شعبية ، ولكنه أمر السلطة السياسية فى المجتمع وأمر الدولة ذاتها وأمر النظام الاجتماعى كله ، وهى أصعب المهام فيما تستدعى من مقاومة وما تستلزم من قوة كثيفة وحشد شامل وتنظيم دقيق .

وفضلا عن ذلك فقد سبقت الإشارة أيضا إلى أنه رغم ما أعترى سلطة الدولة من تفكك ورغم ظهور بذور سلطة جديدة فى المجتمع ، كان لا يزال الاتجاه السياسى العام للحركة الشعبية ، هو العمل من خلال السلطة بالضغط عليها وتوجيهها إلى طريق الثورة من خلال التغييرات الجزئية فى سياستها وفى تكوينها . أى السير فى طريق الثورة لا بالعمل الانقلابى على السلطة ولكن من خلال الأطر العامة القائمة وبالتغيير الهيكلى المستمر فيها .

وفى مقابلة مع أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكى ، ذكر أنه كان المأمول أنه عند إجراء انتخابات جديدة لمجلس النواب ، أن يدخلها الحزب ويستثمر دعايته الواسعة والتأييد الجماهيرى فى ضمان كسب انتخابى على مبادىء الحزب . والمعتقد أن هذا التصور كان موجودا لدى الكثيرين من غير الحزب الاشتراكى حسبما أمكن معرفته من خلال المناقشات مع بعض الأعضاء السابقين فى التنظيمات المختلفة . والحاصل أن هذا النوع من المواقف يعكس نمطا من النشاط السياسي لازم الحركات

الثورية فى مصر منذ القرن التاسع عشر .

فرغم التغييرات الجوهرية التى عرفها المجتمع المصرى والدولة من هذا التاريخ ، لم يتم تغيير ضخم منها عن طريق الهدم الكامل لسلطة الدولة القائمة ولا يبدو وإن كانت الحركات الثورية تطرح مطلب الهدم الكامل للسلطة كهدف مباشر وصريح لها . إنما كان النمط السائد من الأفكار هو فكرة نفوذ القوى الجديدة إلى الدولة وحلولها محل القوى القديمة ، وفكرة تعديل الأطر السياسية والدستورية بما يلائم هذه الحلول .

حدث ذلك سنة ١٨٠٥ عندما بويع محمد علي ، على ولاية مصر من القادة المصريين ، وكان الحادث يمثل تغييرا عميق الدلالة . ولكن تم بأسلوب « شبه عثماني .. شبه مملوكى » بطرد الوالى العثمانى (كما كان يصنع المماليك أحيانا من قبل) وإحلال محمد علي محله ، وطلب اعتماد هذا التعديل من الباب العالى اعترافا بالولاء له ، وأدى هذا من بعد إلى أن محمد علي لم يستقل فقط عن الباب العالى ولكنه حاربه وهدد وجود الدولة العثمانية . وحدث ذلك فى الثورة العرابية ، إذ كان مطلب الدستور الذى رفعته الثورة يعنى نفى سلطة الخديو كحاكم مستبد ، كما كان شعار « مصر للمصريين » من بعض معانيه يعنى إحلال القوى الثائرة الجديدة محل القوى القديمة فى الدولة ، ويعنى أن تصل إلى الحكم فئة اجتماعية جديدة غير فئة الجراكسة والأتراك المتمصرين ، وهذه المطالب الثورية طرحت فى الصراع السياسى من خلال السلطة القائمة وإطار الحكم القائم بقصد تغييره تغييرا جوهريا لا بقصد هدمة كلية ، ومورس الضغط على الخديو فأصدر الدستور وعين محمود سامى البارودى رئيسا للوزراء وأحمد عرابى - زعيم الثورة - وزيرا للحربية فيها ، فهنا أيضا أريد للثورة أن تبدأ وأن تصل إلى السلطة بغير هدم لجميع الأطر القائمة إذ بقى الخديو على رأس الدولة .

وفى ثورة ١٩١٩ صدر الدستور الذى ينفى جزءا هاما من السلطة الاستبدادية للملك ، صدر بفضل الثورة والحركة الشعبية الواسعة ، ولكن من خلال الإطار

الملكى وبواسطة « أمر ملكى » . ولم يلحظ أن الحركة الثورية فى أى من هذه التغييرات العنيفة ، قد شهرت السلاح فى وجه الحاكم أو الفئات الحاكمة المحلية ، وإن كانت شهرته مرارا فى وجه الاحتلال الأجنبى . كما لم يلحظ أن تغيير الدولة أو تغيير النظام الاجتماعى احتاج من الثوريين إلى عمليات الهدم السريع الحاسم أو إلى شهر السلاح .

وهنا تظهر دلالة الملاحظة التى أبداها لاكوتير عن الأهمية الخارقة والتأثير غير العادى الذى تملكه « قوة الرأى العام » فى مصر على الدولة والحكومة . فلم تكن الحركات الثورية عازفة عن الهدم الكامل أو شهر السلاح فقط ولكن كانت قوى النظام القائمة أكثر استعدادا للانصياع بما دون اللجوء إلى هذه الأساليب . ويظهر من ذلك الحرص على طابع الاستمرار وعلى مواجهة الدولة لا بمعاول الهدم ولكن بالحصار ، والتغيير بالتغلغل لا بالاقتحام مع الحذر من الفوضى أو من توهم حدوث الفوضى . ولايبدو أن ذلك كان يمليه ضعف الثورية أو روح المحافظة الاجتماعية والسياسية ، فإن المطالب السياسية والاجتماعية التى رفعتها الحركة الشعبية فى كل هذه الفترات ، كانت فى ظروفها التاريخية ثورية وصادرة عن روح طموح وجسور . وقد نجحت – بمقياس كل ظرف تاريخى – في تغير المجتمع والنظام السياسى وفقا لهذه المطالب بما لم يجعل هذه الحركات متخلفة عن غيرها من مثيلاتها فى المستوى العام للتطور والحضارة وبما جعلها سابقة عليها أحيانا . وكان أسلوب التظاهر والإضراب فى أحيان كثيرة كافيا لحسم مشاكل لم يحسمها فى بلاد أخرى سفك الدماء ، وكان تغيير شكل الدولة ومضمونها يتم بإيقاع أسرع مما صنعه فى بلاد أخرى الهدم المتتابع لأجهزتها .

ولا يعنى ذلك تحديدا للأفضليات بين الأساليب الثورية المختلفة ، ولكنه يعنى إيضاح أثر كل منها فى كل بيئة معينة تتلون بظلالها الخاصة ، وهو يعنى أن ثورية الحركة الشعبية تقاس بما تطرح من مطالب وبما تنجح فعلا فى تحقيقه منها ، لا بالطريقة التى تتبعها فى التنفيذ . كما أن هذه الملاحظة ليست محاولة لإضفاء طابع

نظرى على هذا الأسلوب ، ولا محاولة لرسم « حتميات » فى التاريخ المصرى ، ولكن القصد من الإدلاء بها أن هذا الأسلوب كان له طابع التراث فى العمل السياسى المصرى ، ولاشك أنه كان عنصرا من عناصر الفكر السياسى السائد لدى الجماهير فى الفترة الأخيرة ، وله ما للتراث من تأثير ضاغط على الحركة السياسية . وهو كشأن التراث يمكن أن يتغير ولكن ببطء وصعوبة وبتغير الظروف الموضوعية التى أملت وجوده ، وبأن تصطك الأحداث السياسية وتتقارع بصورة لا تتماشى مع مألوف سيرها . والمقصود هو تصوير الإطار الفكرى والسياسى العام الذى كان يهيمن على العقول وقتها لا عند التنظيمات السياسية فحسب ، ولكن عند الكتلة العريضة من الشعب ، التى يلزم أن تتحرك – لا طبقا لمصالحها الاقتصادية والسياسية فقط ولكن أيضا – طبقا لمكوناتها الفكرية والتاريخية فى لحظة معينة لتفرض تغييرا معينا ، والتى تصبح التنظيمات السياسية غير قادرة على التحرك المطلوب إن خالفت هذه المكونات ، ولا تستطيع إنجاز أهدافها إلا باكتسابها ، أو بتغيرها لدى الجماهير .

أما عن الحريق نفسه وأسراره فإن (جمال الشرقاوى) يرى فى كتابه (أسرار حريق القاهرة – ١٩٨٥) أن جميع الوثائق التى جمعها أثبتت أن حريق القاهرة جريمة مدبرة ، ومنفذة وفق خطة مسبقة . .

فالحركة الوطنية المصرية ، بجميع فصائلها قالت بذلك منذ اللحظة الأولى . ورئيس الحكومة التي وقع الحريق في آخر يوم من حكمها (مصطفي النحاس) أعلن ذلك ليلة الحادث . ورئيس الحكومة التى تولت التحقيق فيها (على ماهر) قرره أمام المحكمة . والملك (كما سيتضح من الوثائق) كان يرى ذات الشيء . والوثائق تبين أن ذلك كان رأى الانجليز منذ يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

والكل أجمع على أن الحوادث نفذت بواسطة مجموعات خاصة ، أو فرق محددة ، أو عصابات مدربة . . محدودة العدد . .

لكن عند تحديد : من الذى بعث بهذه المجموعات أو الفرق أو العصابات إلى

العاصمة لتحرق قلبها ، بهذا الإصرار . . اختلفت الآراء . . وتبودلت الاتهامات . .

الحركة الوطنية أتهمت المخابرات البريطانية بالتدبير والتنفيذ . . والملك بالتواطؤ . .

والإنجليز أتهموا الحركة الوطنية المصرية ، وركزوا على الوفد ووزير داخليته فؤاد سراج الدين بالذات . .

والملك تبنى وجهة نظر الانجليز . وأضاف اتهاما خاصا به . . للسوفييت . .

ورئيس ديوانه (حافظ عفيفى) ووكيله (حسن يوسف) خصا بالاتهام البولنديين . .

أما سلطات الدولة الملكية الرسمية ، فقد ركزت الاتهام على أحمد حسين والحزب الاشتراكى . .

ومع كل هؤلاء اتهم الاخوان المسلمون ، والشيوعيون . .

ولم يستبعد من دائرة الاتهام حتى الجيش ، ممثلا لتنظيم الضباط الاحرار ، وخاصة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين . . ! .

فمن هو الفاعل . . فى جريمة حريق القاهرة . . ؟

فى الدراسة السابقة ، قام المؤلف بمتابعة جميع الاتهامات التى وجهت إلى القوى المحلية المصرية . وناقشناها اتهاما اتهاما ، وواقعة واقعة . . سواء ما جاء منها فى قرارات الاتهامات الرسمية ، أو ما ظل شائعا ، أو ما ذكر فى الصحف والكتب . واستند فى مناقشة هذه الاتهامات إلى أوراق قضية حريق القاهرة بجميع تفريعاتها ، فضلا عن عدد من رجال النيابة الذين تولوا التحقيق ، وشهادات كل من لهم صلة بالأحداث عندئذ . .

ويقول جمال الشرقاوى : « وقد انتهينا من البحث ، إلى تبرئة جميع هذه القوى . . مسقطين اتهامات السلطة الملكية الرسمية ، والشائعات والأوهام التى

علقت ببعض هذه القوى لسنوات طويلة .

وفى الفصل الثالث من هذه الدراسة ، قمنا بتفنيد اتهامات السلطات البريطانية للقوى المحلية المصرية ، ليتضح أن هذه الاتهامات أقل تماسكا من تلك التى ساقتها سلطات فاروق . وليكون إسقاطها أسهل كثيرا من إسقاط سابقتها . .

والآن ، بعد تفنيد الاتهامات التفصيلية فى التحقيق البريطانى لحريق القاهرة ، لنتقدم نحو تقديم هذا التحقيق ، حتى نتوصل إلى الغرض الحقيقى منه ، ومن ثم وظيفته فى الإشارة إلى المجرم . .

اعتبر الانجليز حوادث ٢٦ يناير من أخطر الأحداث التى وقعت بالنسبة لهم . ولذلك ، فقد اهتموا بها كل هذا الاهتمام الذى تعكسه وثائقهم وشكلوا لجنة تحقيق خاصة بها ، استمعت إلى عشرات الشهود من الانجليز وغيرهم من الأجانب ، وأيضا من المصريين . ووصف السير رالف ستيفنسون نتائج هذا التحقيق بأنها تضاهى — إن لم تكن تفوق — أى جهد مماثل تبذله سلطات تحقيق الدولة المصرية .

والسؤال الذى لابد أن يطرح نفسه هنا ، هو : هل فعلا اتفقت نتائج التحقيق البريطانى ، مع كل هذه المقدمات ؟ . . هل كانت جدية ؟

إن أبسط إعمال للمنطق يقول : لا . .

ولقد أوضحنا فى الفصل الثالث كيف كانت الأدلة والقرائن (إن صح أنها ترتقى إلى مستوى الأدلة والقرائن) التى ساقها تقرير لجنة التحقيق وهو بصدد اتهام القوى الوطنية المصرية ، هزيلة ، ومفتعلة ، ولا تقف على رجلين .

أكثر من ذلك . .

فى التقرير الشامل الأول الذى بعث به كبير مستشارى السفارة إلى الإدارة الافريقية ، والذى طلب ستيفنسون من إيدن اعتباره المصدر الاساسى عند إعداد بيانه أمام مجلس العموم حول حوادث ٢٦ يناير . . هذا التقرير يقول فى فقرة واحدة منه ،

هى الفقرة رقم ١١ ، ص ٢ ، ٣ :

١ - « نحن لا نستطيع أن نحدد حتى الآن من من المشكوك فيهم الظاهرين هو المسئول عن التنظيم (تنظيم عصابات الإحراق) ؟ »

٢ - « العديد من المصادر المستقلة يرى أن أحمد حسين زعيم حزب مصر الاشتراكى هو المنظم » أى أن أحمد حسين هو مدبر ومنفذ العملية .

٣ - « ومصدر آخر يؤكد ذلك ، لكنه يضيف أن أحمد حسين كان يعمل بمساعدة مباشرة من سراج الدين وزير الداخلية السابق » . .أى أن سراج الدين هو المدبر ، وأحمد حسين كان أداته للتنفيذ .

٤ - « بعض كبار ضباط البوليس يؤكدون أن أعضاء حركة السلام كانوا هم المنظمون الأول » . . أى أن مدبر ومنظم العملية هم أعضاء حركة السلام . .

٥ - « وعلى العموم ، نحن نعتقد أن التخطيط ربما جاء من ذلك القسم من الإخوان المسلمين الذين يعترض على السياسة المعتدلة لقائدهم الحالى (الهضيبى) بمساعدة مباشرة أو غير مباشرة من الحزب الاشتراكى وحركة السلام » . .أى أن الإخوان ، أو قسماً معيناً منهم هم الذين دبروا الحريق . .

٦ - « وإذا كان التنظيم صادرا عن حركة السلام ، فعندئذ (ولأن هذه الحركة ليست لديها الكفاءة للقيام بذلك ، مثلها مثل أحمد حسين والحزب الاشتراكى) ، فإننا نعتقد أنه - أى التنظيم - لابد أنه جاء ، ليس من أحد القادة الظاهرين ، وإنما من بعض ذوى الخبرة الحقيقية من المنظمين الشيوعيين المختفين فى تلك الحركة » . . أى أن الشيوعيين هم المدبرون لحريق القاهرة . .

وهكذا ، وبرغم عبارة « نحن لا نستطيع أن نحدد من المسئول عن التنظيم » التى يستهل بها المستشار كلامه ، وهو ما كان كافيا للالتزام بالتحفظ والحذر عند توجيه الاتهام . . فإنه عمليا اتهم الجميع : أحمد حسين والحزب الاشتراكى . . وفؤاد

سراج الدين . . وحركة السلام . .والإخوان المسلمين . . والشيوعيين . .

الادهى من ذلك ، أنه بعد أن أشاع الاتهام ، اعتبر كلا منهم على حدة هو مدبر ومنظم حوادث ٢٦ يناير . وبرغم معرفته اليقينية بأنه لا صلة بين هذه الجماعات ، ولا إمكانية للتنسيق بينها ، خاصة فى مثل هذه الحالة التى تحتاج لكثير من الاحتياط والسرية . . فإنه لم يجد تناقضا منطقيا فى توجيه الاتهام الأساسى إلى كل منها مرة . . وإليها مجتمعة مرة أخرى .

وفعليا ، فقد أخذ تقرير لجنة التحقيق بذات الاتجاه ، ربما مع دقة أكثر فى الخلاصة ، مما سبق أن ناقشنا تفصيله . .

على أن لجنة التحقيق ، وهى تقدم لنتائج عملها ، فى خلاصة تقريرها . . وبعد أن قالت بتأكيد الوثائق من سلامة عمله قالت :

« إن اللجنة حرصت على تتبع – فقط – تلك الروايات التى تسلمتها من شهود عيان للحوادث الفعلية ، وللمعلومات المتوافرة من خلال مصادر موثوق بها ، خاصة فى الشئون ذات الصلة الوثيقة بالأحداث التى وقعت يوم ٢٦ يناير . وفى حدود ما سبق ، فإن الشهادات التى استخدمت هى صحيحة تماما ، وكذلك النتائج التى استخلصتها اللجنة منها . . . » إذا بها بعد ذلك . . تضيف :

« ولكن مجمل الحقائق مجهول للجنة . وهى متوافرة فقط عند السلطات المصرية التى يمكن أن تكشف عن القصة كاملة فى الوقت المناسب ، سواء عن طريق بيان عام ، أو من خلال التحقيقات الجنائية ، أو أى تحقيقات أخرى تجرى مع أشخاص يعتقد أن لهم مسئولية مباشرة أو غير مباشرة بتلك الأحداث الداهمة يوم ٢٦ يناير » .

فإذا اعتبرنا أن ذلك ينسف عمل هذه اللجنة من أساسه ، ويجعله بلا حجية ، واعتراف بانعدام المسئولية . . فإنه ، فى أحسن الأحوال ، إحالة على التحقيق الذى أجرته السلطات المصرية الرسمية للحوادث . وبما أن هذا التحقيق قد تم – حقيقة –

بكفاءة أعلى بكثير ، ويعمل أكثر التزاما بالأصول - على عيب النتائج التى خلص إليها - فأن التحقيق الرسمى المصرى يصبح هو المحك .

وبما أننا قد ناقشنا هذا التحقيق بالتفصيل فى الدراسة السابقة ، فإن أمره يكون منتهيا ، بالنسبة لنا الآن . .

لكننا ، لابد أن نتساءل : لماذا جاء التحقيق البريطانى ، والنتائج التى أسفر عنها على هذا النحو من التفكك والارتباك . . . . واللامعقولية ؟ .

هل كانت السلطات البريطانية قاصرة عن القيام بتحقيق أكثر جدية وتماسكا . . ؟ .

الحقيقة أنه لا مبرر لذلك . فبريطانيا كان لها سفارة ضخمة فى مصر . كانت هى مركز الحكم الحقيقى فى البلاد آنئذ . وكانت لها شبكة مخابرات واسعة ، تنتشر فى كل مكان ، وفى مواقع حساسة وهامة ، ويعمل بها الوف والوف من البريطانيين والرعايا البريطانيين ، والمصريين أيضا . وكانت لها جماعة إخوان الحرية ، وكانت جمعية تنتشر فروعها فى كل أنحاء مصر تقريبا . وكان لها رجال فى كل مواقع المسئولية فى البلاد من القصر إلى وزارة الداخلية . وما أشرنا إليه حتى الان يوضح مدى العلاقات الخاصة بين السفارة البريطانية وهذه الجهات . وكان لها عملاؤها المباشرون فى الأحزاب السياسية (مثل فرجانى أو فرغلى بك الذى كان فى موقع رفيع فى جماعة الإخوان) . وفى تقرير لجنة التحقيق نفسه إشارات واضحة إلى موظفين ذوى رتب عالية فى الدولة المصرية يخدمون مصالح بريطانيا . حيث ذكر أنه « اعتمادا على شهادة ضابط برتبة قائمقام بالبوليس السرى المصرى ، فإن البوليس المصرى لم يكن يشعر بالرضا بأى حال عن الاختلاف فى المعاملة مقارنة بالجيش من ناحيتى المرتب والترقية » . . . و « أن مصدر ثقة قال إنه سمع محادثة تليفونية بين القائم بأعمال المحافظ (محمود البدينى - وفدى) وبين سراج الدين قال فيها الأخير : إنه لا يجب على البوليس أن يتدخل » . . و « إن المعاونة الموثوق بها التى

قدمها الأشخاص الذين قاموا بإبلاغنا (من وزارة الداخلية) جعلت هذه التقارير ليست موضع شك من جانب اللجنة » . . . وفضلا عن ذلك ، كان التعاون وثيقا ، وتبادل المعلومات يجرى يوميا بين السفارة البريطانية والكثير من السفارات الغربية الاخرى ، وخاصة السفارتين الامريكية والفرنسية ، وكان لهما شأن أيضا فى مصر تلك الأيام . .

أى أن السفارة البريطانية كان لديها فرص أوسع كثيرا ، حتى من جهاز الإدارة المصرى ، للقيام بتحقيق كامل ، يتوصلون فيه إلى الحقيقة . . أن أرادوا . .

فلماذا لم يفعلوا . . ؟

لأنهم فى الواقع ، لم يكونوا يريدون هذه الحقيقة . .

فقد كان لديهم غرضا ، وهو اخفاء الحقيقة . .

وتبقى نقطة أخيرة بالنسبة لبريطانيا . .

لقد حاولت بريطانيا باستماتة أن تدين الحركة الوطنية المصرية ، وتحملها مسئولية حريق القاهرة . .

وكانت بريطانيا لديها امكانيات هائلة . وكان معها الملك و(القصر كله) ، والحكومة (منذ يوم ٢٧ يناير) وقيادة الجيش ، والبوليس السياسى ، والنيابة ، ووسائل الاعلام .

وكان كل شىء قد تحول لصالحها . .

بينما كانت الحركة الوطنية مضروبة . قيادتها إما فى السجون والمعتقلات ، أو فى أقفاص الاتهام ، أو ملاحقين بحملات التشهير القاسية . .

ولم يكن تحت أيديها أى امكانيات لمتابعة التحقيق . .

وكأن كل شىء قد أصبح ضد مصر ، وشعب مصر . .

ومع ذلك . . لم تستطع جهود الامبراطورية البريطانية ، ومعها السلطة الملكية ،

أن تقدم دليلا أو برهانا ، يسند اتهاماتها للقوى الوطنية . وبعد اطلاعنا على الوثائق البريطانية ، اتضح أكثر مدى سخف وهزلية هذه الاتهامات . .

أما نحن – الحركة الوطنية – وفضلا عن كل ما تقدم . . فقد ضبطنا « بريطانيا متلبسة » .

ونحن لم نصنع الدليل ضد المخابرات البريطانية . وإنما استخرجناه من ملفات تحقيقات السلطة الملكية ذاتها . .

فقد ذكرنا فى الدراسة السابقة : أن شخصا أرسل خطابا إلى على ماهر رئيس الوزارء قال فيه :

« بعد التحية . أحيط رفعتكم علما بأنى أثناء تجوالى بسيارتى يوم ٢٦ يناير الماضى بالقرب من فندق شبرد وجدت سيارة بها سيدة متوسطة القامة والعمر ، وبجوارها رجل متوسط العمر قصير القامة قليلا ، يبدو عليهما أنهما أجنبيان . ورأيت غلمانا مصريون يحومون حول هذه السيارة . وكانت السيدة والرجل يوزعان نقودا على هؤلاء الغلمان . وكان البعض راكبا دراجة ، والبعض على الاقدام ، إلى أن أتت سيارة جيب ، ووقفت بجوار السيارة التى بها السيدة والرجل ، وأخذ أحد ركابها الخمسة رزمة أوراق مالية من السيدة . .وانصرفت السيارة الجيب إلى شارع فؤاد الأول ، وتلتها السيارة الاخرى ، ثم انحرفت إلى شارع الملكة . وقد تبعتها بسيارتى فوجدتها ذهبت إلى ضاحية مصر الجديدة ، ووقفت أمام المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد ، فنزلت السيدة منها ، وصعدت إلى الدور العلوى بالفيلا ، وأن الرجل انصرف بالسيارة فتتبعته . وفى أثناء الطريق حاولت أن أعرف رقم السيارة التى كان بها والسيدة المذكورة فوجدت أنه رقم هيئة سياسية ومطموس الرقم . . ولم أتمكن للأسف من قراءته . . ولكنه تابع سيره إلى السفارة البريطانية . ورجعت أنا بسيارتى . . . » .

« وهذه معلوماتى أردت أن أدلى بها لرفعتكم ، وأرجو أعفائى من ذكر

اسمى . وتحرون رفعتكم بمعرفة السلطة المختصة لتظهر الحقيقة جلية واضحة » .

« ملحوظة : سيارة الجيب المذكورة أعلاه بعد أخذ النقود من السيدة التى بالسيارة الاخرى اندفعت بشارع فؤاد ورمت مواد ملتهبة على محلات شيكوريل والعروسة » .

هذا هو الخطاب ، وهو يبين أن كاتبه شخصية مسئولة ، ذات حس وطنى ويقظة عالية . ويبدو أنه برغم عدم ذكر اسمه يحظى باحترام لدى الحكومة . فقد أحال على ماهر الخطاب إلى أحمد مرتضى المراغى وزير الداخلية فى نفس اليوم أيضا . ومنذ اليوم التالى ، ولمدة ٣٥ يوما وضع المنزل تحت الرقابة . وفى نهاية المدة قدم محمد إبراهيم امام تقريرا خطيا دقيقا عن نتيجة عملية المراقبة ، وهى حصر شبكة مخابرات بريطانية مكونة من تسعة أشخاص من جنسيات بريطانية ، وإيرانية ، وأرمنية وثلاث سيارات تستخدمها هذه الشبكة . وحصر الاماكن التى يرتادونها وهى : السفارة البريطانية - قيادة القوات البريطانية فى القنال - شركة النقل والهندسة - شركة شل - جمعية اخوان الحرية .

هؤلاء هم الذين كانوا يتحركون فى القاهرة يوم ٢٦ يناير ، يوزعون النقود . . ويلقون بالمواد الملتهبة . .

وهم الذين يمكن أن يقال عنهم أنهم يعرفون الاماكن التى يراد حرقها بدقة . . والذين يتكلمون بلغة انجليزية جيدة ! .

أما عن المناخ العام التالى لهذا الحريق فيصفه محمد حسنين هيكل بقوله :

إن مزاج مصر النفسى كان يتغير بسرعة . فبعد انتهاء معارك الحرب العالمية مباشرة ، كان التوتر الناتج عن التطلع والطموح فى عصر جديد هو طابع المرحلة (١٩٤٤ - ١٩٤٥) . وطوال عامى (١٩٤٦ - ١٩٤٧) ، ومع بداية مشاكل العلاقات مع بريطانيا ومظاهرات القاهرة والاسكندرية ، وعرض القضية المصرية على

مجلس الامن ، وعمليات الاغتيال وتفجير القنابل ، فان طابع المرحلة كان هو الفوران .

وكان طابع المرحلة فيما بين عامى (١٩٤٨ - ١٩٤٩) هو طابع الاحباط ، فقد انتهت حرب فلسطين نهاية مأسوية لم تصدم نتائجها جماهير مصر كلها ، وإنما لحقت آثارها بجماهير الأمة العربية كلها .

ثم جاءت سنة (١٩٥٠ - ١٩٥١) فإذا طابع المرحلة هو القلق ، فقد بدت مصر -أمام المخططات الأجنبية ، وأمام التوطؤ الداخلى معها بالعجز أو الفساد - فى حالة تمزق لا تعرف ماذا تريد ؟ زلا ترى أمامها سبيلا على فرض أنها عرفته ! .

وبعد حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ ، فلم يعد هناك شك فى أن مصر قد أصبحت فى حالة ثورة . فالأوضاع فيها لم تعد قادرة على البقاء ، وإنما هى دون شك مقبلة على مجهولات لم يعد هناك سبيل إلى دفعها .

لم يعد السؤال عن التغيير ب « هل » ؟ - بمعنى « هل » يحدث أو لا يحدث ؟ وإنما أصبحت الأسئلة المطروحة « متى » و « كيف » و « من » ؟

وهكذا فان الحالة الثورية فى وطن لا يخلقها من العدم فرد بذاته أو جماعة بعينها ، بالقصد أو بالتدبير ، لأنها تاريخيا وعمليا أكبر وأعمق من أى قصد أو تدبير ، وكل ما هناك أن هذه الحالة تصبح احتمالا مفتوحا لأى طرف أو تنظيم . يستطيع تحليل عناصرها ، وتشخيص عوارضها ، والتصدى لقيادتها فى اللحظات الحاسمة .

(وهكذا حدث فى الثورة الفرنسية ، وفى الثورة البلشفية ، وتكرر أخيرا فى جيلنا الحاضر فى الثورة الايرانية ، ففى سنة « الحالة الثورية » وهى سنة ١٩٧٨ كانت كل العناصر السياسية المدنية من بقايا الجبهة الوطنية ، وهى التى قادت الكفاح الطويل ضد أسرة « بهلوى » ، قد استنزفت قواها وتقطعت أنفاسها ، وكانت العناصر الدينية بقيادة « الخمينى » هى التى اقتحمت الساحة الايرانية فى اللحظة المناسبة ، وكانت الأقدر على بلورة وتوجيه واستغلال « الحالة الثورية » ، وهكذا كانت هى التى

أطاحت بعرش الطاووس فى طهران » .

وفى مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، وفجر اليوم التالى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كان تنظيم « الضباط الاحرار » داخل الجيش المصرى هو الذى اقتحم الساحة ، واستطاع بلورة وتوجيه واستغلال « الحالة الثورية » وأطاح بأسرة « محمد على » وبكل النظام الذى كان يمثل السلطة تحتها .

كان تنظيم « الضباط الأحرار » قد أنشىء بفكر وجهد ضابط شاب ولد سنة ١٩١٨ لأب من أقاصى صعيد مصر هو « عبد الناصر حسين » وأم من شواطىء بحر الاسكندرية هى « فهيمة حماد » . وقد عاش طفولته وشبابه فى مصر فترة ما بين الحربين العالميتين ، واكتشف مبكرا أن اهتماماته العامة تتعدى همومه الخاصة (وهذا هو جوهر العمل العام) .

وفى ميادين اهتماماته العامة ، فان هذا الشاب حاول أن يستكشف كل مراكز التأثير الظاهر . فقد شدته حركة « مصر الفتاة » فى مرحلة ، ثم تأثر بالوفد فى مرحلة أخرى . ثم اقترب من الماركسيين فى مرحلة ثالثة ، ثم تعاون مع الاخوان المسلمين فى مرحلة رابعة . ومنذ البداية كان بشعور وطنى غريزى قد رفض القصر ، كما نأى بنفسه أيضا عن تيار سرى بين ضباط الجيش الشبان - مشايع للقصر - فى ذلك الوقت ، ظن لوهلة أن التعاون مع الألمان قد يكون حلا ملائما للمشكلة الكبرى التى استحكمت فى عقل مصر وضميرها ، وهى مشكلة الخلاص من الاحتلال البريطانى وسيطرته ، وبعيدا عن كل الحركات والتيارات والتنظيمات !

ولقد نفر من الماركسية بسبب نظرتها إلى الوطنية وإلى الدين ، وفى نفس الوقت فان تأثير الاخوان عليه شحب ، فقد بدت له قضايا العصر أكثر تعقيدا من إطار الاخوان كما أن الدين فى يقينه كان أكبر من كل صراعات السياسة والحكم !

ثم شاءت الظروف لهذا الشاب أن يخدم فى السودان ، ضمن الكتيبة المصرية المرابطة فيه ، بمقتضى اتفاقية الحكم الثنائى للسودان بين مصر وبريطانيا . ثم قادته

نفس الظروف فإذا هو ضابط محارب فى فلسطين ، ثم عاد إلى مصر بعد الحرب ليعمل أستاذا للتاريخ العسكرى للشرق الاوسط وللاستراتيجية العامة ، ووجهه هذا كله إلى قراءات واسعة فى التاريخ والاستراتيجية ، وبالتالى فى السياسية — كانت متفقة مع اهتماماته ، وفى نفس الوقت ضرورية لعمله . وكانت تلك عملية تأهيل قدير وعميق لحلمه بالثورة !

وكانت نظريته فى تحقيق الثورة على النظام الملكى المتهالك محصلة بالغة الدقة والكفاءة لهذه التجربة الواسعة كلها .

كانت نظريته : « جمال عبد الناصر » فى تحقيق الثورة تتلخص فيما يلى :

١ - أن مصر مهيأة للثورة (تعيش « حالة ثورية » حقيقية بمجمل أوضاعها ، وظروفها الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، التى وصلت إلى طريق مسدود بحريق القاهرة ، وما يعنيه .

٢ - أن الشعب لا يتحرك لأن النظام الملكى يستعمل الجيش ضده كسلاح للارهاب .

٣ - إذا انتقلت أداة القوة ، وهى الجيش ، من سيطرة الملك وانحازت للشعب ، اذن فان الشعب سوف يتحرك ضد النظام .

هكذا فإن خطة الثورة كانت متناهية فى بساطتها ، متناهية فى كفاءتها فى ذات الوقت .

وفى ليلة ٢٣ يوليو استطاع تنظيم « الضباط الاحرار » بقيادة « جمال عبد الناصر » أن يستولى على السلطة فى الجيش ، وينحاز به إلى جانب الشعب ، وفى يوم ٢٦ يوليو والملك أعزل من السلاح الذى كان يرهب به الشعب ، لم يكن أمام « فاروق » إلا أن ينصاع إلى الانذار الموجه إليه ،فيصعد مستسلما إلى ظهر اليخت « المحروسة » يحمله إلى المنفى الذى اختاره لنفسه وهو ايطاليا . وانفتح

الطريق أمام تجربة التغيير الثورى .

إن واجب الانصاف للحقيقة وللتاريخ يقتضى التسليم بأن « جمال عبد الناصر » لم يكن لديه حين قامت الثورة غير مضمون الشعار ، الذى لم يكن يردده غيره فى تلك الأيام ، وهو شعار « العزة والكرامة » . ومن التجنى على الحقيقة وعلى التاريخ أن يزعم أحد أن « جمال عبد الناصر » كان لديه فى هذه الظروف برنامج كامل أو شبه كامل للعمل الوطنى ، يشتمل على تغييرات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية محددة .

على أن نفس الواجب يفرض التسليم بأن مضمون شعار « العزة والكرامة » ينطوى على إيماءات واضحة : أولها إعادة السلطة إلى الشعب . والثانى تخليص الوطن من سيطرة واستغلال الملك والإقطاع والاحتلال البريطانى .

ولقد تمت مواجهة الملك فى الأيام الثلاثة التاريخية الحاسمة ، من ٢٣ يوليو إلى ٢٦ يوليو . ولم يكن أمر الإقطاع صعبا ، فبدون قمته المتمركزة فى سلطة القصر وقف هذا الإقطاع أمام السلطة الثورية الجديدة ضعيفا ومتهالكا .

كانت المعضلة الكبرى هى الاحتلال وقواته المتربصة والمتحفزة فى منطقة قناة السويس . كانت هذه القوات هى الحقيقة الكبرى فى المواجهة الخطرة التى أعقبت قيام الثورة . وكانت تلك النقطة بالذات هى الشغل الشاغل لـ « جمال عبد الناصر » فى الساعات الحاسمة السابقة على إعلان الثورة والتاليه لها . ولقد حاول جاهدا استكشاف الاحتمالات الكامنة فيها وتداعياتها وعواقبها .

كان السؤال الكبير المعلق فوق كل الرءوس فى تلك الساعات الحرجة هو :

- « هل تتدخل القوات البريطانية عسكريًا لحماية النظام الملكى الذى استعملته واجهه لحكم مصر طوال فترة الاحتلال ، أو تتركه لمصيره (وهى فى هذه الحالة لا تترك النظام الملكى وحده لمصيره ، ولكنها تضع الاحتلال نفسه أمام عامل مجهول فى مصر ظهر دوره فجأة ، ولم تتضح بعد حقيقة نواياه) ؟ » .

ولقد مال « جمال عبد الناصر » إلى الرأى الذى كان يرى أن الانجليز لن يتدخلوا لحماية الملك لأسباب عديدة . ومن نتيجة ميله لهذا الرأى فإن تحسبه للموقف البريطانى إزاء الثورة اقتصر على خطوات محدودة ، تمثلت فى إرسال بعض القوات بسرعة صباح يوم ٢٣ يوليو ، لكى تحتل خطًا دفاعيا مؤقتا على الطرق المؤدية إلى القاهرة والدلتا من السويس والإسماعيلية وبور سعيد ، ولم تكن هذه القوات فى هذا الخط الدفاعى المؤقت قادرة على ما هو أكثر من مجرد تعطيل التدخل ، لكن مجرد التعطيل بدا كافيا . فقد كان الجزء الأهم فى المواجهة هو - وبالنسبة لأى مراقب مدقق أنه حتى هذه الأسئلة لم تكن أسرارا مستعصية ، ذلك لأن تدافع الحوادث ، من حريق القاهرة فى يناير وخلال ستة شهور إلى يوليو ١٩٥٢ ، لم يكن يترك لأحد مجالا للشك فى أن التغيير قد أصبح على الأبواب يطرقها فى أية لحظة ، هذا عن « متى » ؟ . وأما عن « من » ؟ فإن أى مراقب مدقق كان فى استطاعته أن يرى أن الجيش سوف يكون هو مصدر التغيير . جماعة فيه أو طليعة سوف تأخذ الموقف فى يدها ذات لحظة وتتصرف . والحقيقة أنه كان من الصعب تصور مصدر آخر للتغيير فى تلك الأيام غير الجيش ، وتنظيم سرى فيه ، أو جماعة تحت الارض . ففى كل بلدان العالم الثالث وبغير استثناء تقريبا يوجد مستويان من العمل السياسى : مستوى ظاهر مكشوف فوق سطح الحياة السياسية ، تمثله عناصر من الطبقات المالكة والقادرة بالتالى على الإمساك بالسلطة . ومستوى آخر من العمل السياسى يتحرك سرا ، وفى الخفاء ، وفيه تكمن كل دواعى التغيير ومطالبه . وعندما يكون وطن - أى وطن - فى مواجهة أزمة خانقة فإن مركز التأثير عادة ينتقل من ظاهر الأرض إلى باطنها ، ومن الظاهر المكشوف إلى السرى والخفى . فمعنى وصول الوطن إلى أزمة طاحنة ، هو أن العناصرالممسكة بزمام القيادة قد أخفقت فى أداء دورها ، وأنه لابد من بديل ينقل المسئولية إلى آخرين يتصورون أو يحلمون بأن لديهم ما يقولونه . ولم يكن هناك عنصر من العناصر المتعددة - على فرض أنها استطاعت تجاوز خلافاتها - قادر ، ولو اجتمعت ، على أن تقوم بهذه المهمة .

كان الإخوان المسلمون – على سبيل المثال – فى حالة إنهاك من شدة الضربات التى نزلت عليهم فى السنوات السابقة .

وكان الشيوعيون – على سبيل المثال – ممزقين فرقا وشراذم مبعثرة ، بعد سلسلة من الحملات شنتها عليهم دولة النظام الملكى . ثم ضاعف من أزمتهم أنهم اكتشفوا أخيرًا ، وبعد حرب فلسطين ، أن جزءا من قياداتهم لم يكن يهوديا فقط ، وإنما كان صهيونيا أيضا .

وإذا كان هذا هو الحال مع أكبر تنظيمات وتجمعات اليمين واليسار تحت الأرض ، فإن الباقى كله لم يكن يمثل قوى يحسب لها حساب ، هذا مع ملاحظة أن الوسط عادة – بين اليمين وبين اليسار – لا يلجأ إلى العمل تحت الأرض . فذلك مناف لطبيعته ذاتها .

هذا عن كل عناصر العمل السياسى المدنى والتقليدى .

وأما القوات المسلحة فقد كانت شيئا آخر له خصوصيته :

أولا : لأن الجيش كمؤسسة وطنية فى مصر له دور قديم فى التاريخ ، فهو الجهاز الرئيس فى سلطة الدولة فى وطن تقوم فيه سلطة الدولة (فى مجتمع مائى) بدور رئيس فى حياته . ومن هنا يتضح أن الكهنة وقواد الجيش كانوا أهم شخصيات السلطة إلى جانب الفرعون .

ثانيا : لأن تاريخ مصر الحافل بمطامع المستعمرين فيها بسبب موقعها الجغرافى أعطى لقضية الدفاع عنها أهمية كبرى .

ثالثا : لأنه حتى فى العصر الاسلامى ودوله المختلفة لعب القواد دورا رئيسيًا فى قيام وسقوط الحكام والعصور .

رابعا : إن خصائص العصور المملوكية ، والعصر العثمانى فى وسطها ، كرست هذا الوضع لقرون طويلة ، وإن كان الشعب المصرى بكل قواه لم يكن له فيها

غير دور المتفرج حتى على صراعات هؤلاء المماليك أو العثمانيين الأجانب ، وأدوارهم الغريبة فى قيام الدول وسقوطها .

خامسًا : لقد كانت تجربة مصر الحديثة التى بدأت مع « محمد على » تجربة مثل الجيش فيها دور أداة التطوير والانتقال .

سادسًا : إن الثورة العرابية فى محاولتها اليائسة اعتمدت لأول مرة – أو حاولت – على جيش وطنى مصرى ، الأمر الذى أدى بعد فشلها إلى حل الجيش المصرى تماما .

سابعا : لأنه بعد معاهدة سنة ١٩٣٦ فإن الباب قد انفتح مرة أخرى لعودة جيش مصرى وطنى ، يدخله أبناء طبقات أخرى غير أبناء الأمراء والنبلاء ، وأبناء ملاك الأراضى أو محاسيبهم .

ثامنا : فإنه مع طبيعة مرحلة النمو التى كانت مصر تجتازها بعد الحرب العالمية الثانية ، ومع تعثر نشأة طبقات اجتماعية قادرة على تحقيق توازن يكفل الاستمرار فى علاقتها ، فإن جهاز الدولة أصبح هو فى الواقع مكمن السلطة وأداتها ، وفى هذا الجهاز القوات المسلحة تصبح بالطبع جزءًا رئيسيًا منه ، فهى القادرة بقوتها على دعم أوضاع قائمة أو التخلى عن دعمها .

ولأن الجيش المصرى الوطنى لم يتحول إلى مؤسسة عسكرية بالمعنى الموجود والمتعارف عليه فى بلدان أخرى ، وإنما كان جزءًا من الحياة العادية والطبيعية فى الوطن المصرى ، فقد كان منطقيًا أن يظهر فيه ، وينعكس عليه ، كل ما يتعرض له « الكل » الوطنى ويجرى عليه .

والحقيقة أن الجيش فى سنوات التوتر والفوران والإحباط والقلق ، أصبح موطن صراع بين القوى المتنافسة على حكم مصر .

فالإنجليز : كانوا يحاولون السيطرة عليه .

والملك : كان يعتبر الجيش جيشه .

والوفد : كان يحاول أن يدفع ببعض أبناء عائلاته إلى مواقع فيه (وكذلك الإخوان المسلمون والشيوعيون) .

وفى هذه الفترة ، وبصرف النظر عن القيادات الظاهرة ، ومستويات الإدارة والتنظيم العلنية ، فإن العمل السرى بدأ يعرف طريقه إلى الجيش .

ويمكن أن يقال : إن كل الاشكال الظاهرة والمكشوفة على الساحة كانت لها انعكاسات ضمن العمل السرى والخفى ، الذى بدأ يدور فى الجيش .

وعن الحالة الثورية ، التى بدأت مصر تعيش فيها بعد حريق القاهرة ، فقد ظهر وتنامى دور لتنظيم سرى فى الجيش ، أطلق على نفسه اسم « الضباط الأحرار » . وكان اسم هذا التنظيم فى حد ذاته يوحى بتوجه وطنى مستقل ، لا يتأثر بالصراعات الحزبية أو المذهبية ، وإنما يلزم نفسه بالمجرى الرئيسى للمشاعر الوطنية السائدة فى ذلك الوقت . وفى مناخ الحالة الثورية التى سادت مصر خلال الشهور الستة الحافلة الأولى من سنة ١٩٥٢ ، فقد بدا أن هذا التنظيم يتحرك بسرعة إلى موقع مجابهة وتصد . فابتداء من عمليات واسعة لتوزيع المنشورات السرية ، تدعو الجيش إلى الحركة والعمل ، ثم إلى محاولات لعمليات اغتيال استهدفت بعض رموز النظام الملكى ، ثم إلى معركة سافرة مع الملك من خلال انتخابات مجلس إدارة نادى ضباط الجيش ، أصبح تنظيم « الضباط الأحرار » أهم وأبرز الاحتمالات المجهولة فى مناخ الحالة الثورية وتفاعلاتها .

ثانيًا : الضباط الأحرار ومهمة إسقاط فاروق :

كان الشق الثانى من سؤال هذه المقدمة هو لماذا صعد (الضباط الأحرار) بقيادة عبد الناصر وكيف كان هذا الصعود ؟

بداية يهمنا التأكيد على أنه لولا وجود تنظيم (الضباط الأحرار) لما أمكن إسقاط فاروق والملكية فى مصر (وهكذا) يؤكد الكتاب المترجم الذى بين أيدينا ولهذا السبب فإننا سوف نبحث بتوسع فى هذه الجزئية عن تنظيم الضباط الأحرار نشأته وتطوره ،

فماذا عنه ؟

بداية يحدد السادات تاريخًا بعينه ومكانًا لتأسيس الحركة . ليلة ١٥ يناير ١٩٣٩ بجبل الشريف بالقرب من منقباد بصعيد مصر . فى ذلك الوقت كان هناك أربعة من الضباط برتبة الملازم ثان يخدمون ضمن وحدة عسكرية كبيرة ، وهم ممن التحقوا بالكلية الحربية فى ربيع ١٩٣٧ وتخرجوا فى نهاية عام ١٩٣٨ . وهؤلاء الأربعة هم : السادات ، وجمال عبد الناصر (ناصر) وزكريا محيى الدين ، وأحمد أنور (الذى أصبح قائدًا للبوليس الحربى بعد ١٩٥٢ ، ثم سفيرًا لمصر بأسبانيا فى الستينات) . كان اليوم يوافق عيد ميلاد ناصر الحادى والعشرين ، ويقول السادات فى مذكراته : « فى أوائل عام ١٩٣٩ ، أسس ضباط منقباد جماعة ثورية سرية تستهدف تحرير البلاد . وعقد أعضاؤها العزم على محاربة الاستعمار والعرش والإقطاع . . وإقامة حياة ديمقراطية حرة . . ولم يكن أمامنا من سبيل سوى الثورة » .

واحد على الأقل من ضباط منقباد لم يكن جديدًا على السياسة . فقد كان لناصر مشاركة نشطة فى التنظيمات السياسية ، وبين زملائه بالمدرسة الثانوية ، وذكرت الصحف اسمه عندما كان يبلغ من العمر ١٧ عامًا ، عندما اشترك فى نوفمبر ١٩٣٥ فى مظاهرة عاصفة ضد الانجليز بالقاهرة ، وأصيب فى جبهته برصاصة من مسدس أحد ضباط البوليس الانجليز ، فى ذلك الوقت ، وباعترافه كان عضوًا بالقمصان الخضر التابعة لحزب « مصر الفتاة » وكان برنامج الحزب فى ١٩٣٣ ، يحدد « **أهدافنا : مصر فوق الجميع ، تأسيس إمبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام** » . وفى الوصايا العشر التى صدرت فى ١٩٣٨ كان على العضو أن يلتزم – ضمن أشياء أخرى – بأن « لا تشتر إلا من مصرى ، ولا تلبس إلا من صنع فى مصر ، ولا تأكل إلا طعامًا مصريًا ، واحتقر كل ما هو أجنبي بكل نفسك ، وتعصب لقوميتك إلى حد الجنون » .

ويمكننا أن نستنتج أن مناقشات الضباط الشبان بمنقباد كانت تسودها هذه الروح ، وأنهم كانوا متفقين فى الآراء .

ويصف السادات مناقشات منقباد فى ١٩٣٩ - تمامًا - كما لو كانت المجموعة آنذاك تتبنى شعارات الأيديولوجية الرسمية للدولة فى ١٩٥٥ ، فلاشك أن العداء للانجليز كان موجودًا فى ذلك الحين ، ولكن لم يكن هناك عداء للعرش . ولا نرى - والقول للرؤى الغربية والاسرائيلية - علامات هذا العداء عند الضباط إلا بعد يناير ١٩٥٢ . ففى ١٩٣٩ ، كان الشاب فاروق ما يزال معبود الشباب الوطنى المصرى ، علمًا بأنه لم تكن هناك « ديمقراطية حرة قوية » كالتى كانت هدفهم . وإذا ما استعدنا فترة الثلاثينات ، فسنجد أن كلمة « ديمقراطية » كانت وصمة عار فى قاموس الحركات الواقعة تحت النفوذ الفاشى .

تفرق الشباب الذى التقى فى منقباد بين مواقع عدة ، بعد ذلك ، ما بين مصر والسودان . فانتقل ناصر إلى الخرطوم حيث التقى هناك بعبد الحكيم عامر وصارا صديقين . كانا يعرفان بعضهما من قبل عندما كان عبد الحكيم طالبًا بالكلية الحربية بالصف التالى لناصر ، ولفترة كان ناصر معلمه .

لم تكن مجموعة الملازمين هذه - كما تقول الرؤية الغربية الاسرائيلية - المجموعة الوحيدة بالجيش المصرى آنذاك ، بل ولم تكن أكثرها نشاطًا . فهى لم تكن منظمة ولم تشارك فى أنشطة محددة . وتنحصر أهميتها فى كونها عملًا من فصول ما قبل تاريخ الضباط الأحرار . وأثناء الحرب العالمية الثانية ، لم يكن هناك نشاط ملحوظ سوى لمجموعة عزيزى المصرى والعناصر السرية الموالية للألمان . وكان أنور السادات واسطة الصلة بينهم .

وبعد هزيمة وسقوط الضباط المتمردين ، الذين ارتبطوا بألمانيا النازية ، فى مصر والعراق ، وبعد يأسهم من انتصار ألمانيا ، شهدت حركات التمرد فى الجيوش العربية مرحلة تراجع ، لكن هؤلاء الضباط واصلوا تنمية أفكارهم السياسية وتدعيم روابطهم .

ومن بين هذه الروابط ، كانت صلتهم بالإخوان المسلمين ، والتى ازدادت أهمية بتصاعد نفوذ الإخوان المطرد خلال الأربعينات . وهنا أيضًا كان رجل الاتصال

الرئيسي هو أنور السادات ، الذي لا ينازعه أحد في مواهبه التآمرية . ويروى السادات - وفقًا للرؤية الغربية والإسرائيلية - أنه التقى بحسن البنا المرشد العام للإخوان لأول مرة عندما كان على اتصال بعزيز المصرى ، أثناء الاحتفال بالمولد النبوى فى أوائل أبريل ١٩٤١ . واستمرت الاتصالات منذ تلك اللحظة وحتى القبض على السادات في صيف ١٩٤٢ . وأثناء فترة سجن السادات ، تولى الاتصال بالإخوان عبد المنعم عبد الرؤوف ، الطيار الذي حاول الهرب مع المصري ، فاعتقل ثم أفرج عنه في ربيع ١٩٤٢ ، بعد أن قطع على نفسه عهدًا بالكف عن أعمال التخريب . وأخذت صلة عبد الرءوف بالإخوان تتوثق حتى أصبح معهم تمامًا ، أيديولوجيًا وتنظيميًا . وكان لنشأته أثر فى ذلك ، فهو سليل أسرة مشهود لها بالتدين وكان جده شيخًا من مشايخ الأزهر . وعبد الرءوف هو أحد مؤسسى « التنظيم السرى » الإرهابي للإخوان المسلمين ، وواحد من قادته الثلاثة فى بداية الخمسينات .

فى الفترة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٤٧ ، عمل معظم الضباط الذين أصبحوا فيما بعد اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار ، فى العديد من الوحدات القريبة من القاهرة ، وأقاموا علاقات قوية مع زملائهم وتبادلوا معهم الآراء ، وكسبوا من بينهم مؤيدين لهم . وفى خلال تلك الفترة تزايد عدد الضباط الذين اقتنعوا بمجموعة ناصر ، وانضموا إليها . ومن بين هؤلاء الملازم كمال الدين حسين من المدفعية والعضو السابق بالإخوان المسلمين ، وصلاح سالم اليوزباشى بالمدفعية وهو شاب موهوب ومتعصب ، استطاع خلال فترة قصيرة أن يصبح ركيزة من ركائز المجموعة ، وثروت عكاشة من ملازمى سلاح الفرسان وصهر أحمد أبو الفتح رئيس تحرير جريدة « المصرى » الوفدية اليومية ، وخالد محيى الدين الملازم بسلاح الفرسان أيضًا وابن العم الأصغر لزكريا محيى الدين ، وهو اشتراكى انضم فيما بعد لـ « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » حدتو « الشيوعية » . كما استعاد السادات أيضًا نشاطه . ففي نوفمبر ١٩٤٤ ، تمكن من الهرب من المعتقل ، واختبأ لفترة ثم أخذ يظهر علانية دون خشية من القبض عليه ، وفي عام ١٩٤٥ ، عمل كسائق شاحنة ، ثم كصحفى ،

ثم عاد للعمل مرة أخرى كمندوب اتصال بين الضباط والإخوان المسلمين ، والاشتراك فى العمليات الإرهابية . وبالرغم من أن دوره فى اغتيال أمين عثمان فى ٥ يناير ١٩٤٦ غير واضح تمامًا فمن المعروف أن هذا الدور كان رئيسيًا ، وبعد عدة أيام قبض عليه مرة أخرى ، وظل فى السجن حتى نهاية ١٩٤٨ .

تركت حرب فلسطين أثارًا عميقة فى أفكار الضباط الشبان . فهم لم يكونوا مؤهلين لإنجاز الأهداف التى أعلنت الحرب من أجلها . . أى منع إقامة دولة يهودية واسترداد الأراضى التى قامت عليها المستوطنات – والقول للرؤية الإسرائيلية – وبعد ذلك بخمس سنوات ، يستشهد ناصر فى « فلسفة الثورة » بقول أحمد عبد العزيز قائد المتطوعين المصريين فى فلسطين ، بأن « ميدان الجهاد الأكبر هو مصر » . وهذه الكلمات لا تعتبر تحفظًا بالتلميح على محاربة الصهاينة . فعبد العزيز كان يعنى أن العدو الأكثر خطرًا على الجيش المصرى هو النظام السيء فى الداخل ، وأن القضاء على الفساد الداخلى فى مصر هو شرط أساسى للقضاء على العدو اليهودى . وهذا ما فهمه ناصر ، فكراهيتهم لإسرائيل ، لا ريب فيها ، ولم يكن هناك أحد فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، لا يغبط فاروق – من أعماق قلبه – على إعلان الحرب . بل إن عددًا من الضباط كان يرغب فى التطوع « بجيش الإنقاذ » بقيادة القاوقجى قبل ذلك لخمسة أشهر ، حتى ولو أدى ذلك إلى انتهاك الانضباط ، وذلك لتوفير القوة البشرية والعتاد المصرى للمقاتلين العرب قبل أن تدخل مصر الحرب رسميًا . وعندما يؤكد ناصر على أن المعركة الرئيسية كان مفروضًا أن تكون فى مصر نفسها ، ويتباهى فى الوقت نفسه بتطوع رفاقه ، حتى قبل مايو ١٩٤٨ ويشيد بشجاعتهم فى القتال ، فلا تناقض فى الحالين .

ويروى البغدادى أنه قام فى شتاء ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، بزيارة دمشق فى مهمة رسمية بطائرة حربية ، حيث اتصل بالقاوقجى . « رأيت من واجبنا كعرب أن نفعل شيئًا لمستقبل العروبة وتحرير فلسطين » . وقام ، بمساعدة حسن إبراهيم بتنظيم قوة للطيران تحت قيادة القاوقجى تتكون من ١٥ طائرة سبيوفاير و٣ طائرات داكوتا .

وكانوا يأملون فى ١٩٤١ - ١٩٤٢ فى تجنيد عدد من الطيارين من بين زملائهم . كما عرض ناصر خدماته وخدمات أصدقائه ، على المفتى الذى كان يعيش آنذاك فى القاهرة . لكن المفتى رفض قبول طلب الضباط المصريين دون موافقة حكومتهم .

وقد طلب عدد من الضباط من وزير الحربية السماح لهم بالتطوع فى فلسطين . وفى ٢٠ أبريل ١٩٤٨ ، حصلوا على الإذن - كما تقول الرؤية الغربية - وكانت المجموعة تضم ١١ ضابطًا بقيادة أحمد عبد العزيز الذى سمى بـ « القائد العام لقوات المتطوعين بجبهة شمال فلسطين » كان عمره آنذاك ٤٠ عامًا وكان واحدًا من أكثر الضباط المصريين شعبية وكفاءة ، وله تأثير كبير على طلابه بمدرسة قادة المدفعية حيث كان يقوم بتدريس التاريخ العسكرى . وفى ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ ، قتل برصاصة خاطئة أطلقها أحد الحراس العرب بالقرب من « جابت » بينما كان مسافرًا من بئر السبع إلى مجدل عسقلان . وهو القائل بأن « ميدان الجهاد الأكبر هو مصر » بعد أن تفتحت عيناه فى فلسطين ، وأدرك الفساد المتفشى فى القاهرة . فحتى فترة ما قبل رحيله إلى الحرب ، لم يكن يبدى فى أفعاله أو خطاباته أية صورة من صور المعارضة . وزاد تقدير الضباط الأحرار له بعد موته ، وأصبحوا يعتبرونه مثالًا للجندية والوطنية الحقة ، ولم يتورعوا عن التلميح إلى إعجابه بأفكارهم ، إن كانت هناك أفكار . إن أحمد عبد العزيز سليل أسرة ارستقراطية ، وابن لواحد من أميرالايات الجيش ، وحتى ربيع ١٩٤٨ لم يكن هناك أى خلاف بينه وبين النظام الذى عاش فى كنفه ، ونال فى ظله منزلة رفيعة .

كان الوحيد من جماعة ناصر والسادات الذى اشترك فى مجموعة أحمد عبد العزيز ، هو اليوزباشى كمال الدين حسين قائد مدفعية المتطوعين .

أما بقية زملاء ناصر فلم يكونوا ظاهرين فى ربيع ١٩٤٨ ، ولم يرغبوا فى الكشف عن أنفسهم ، ويروى ناصر فى مذكراته أنه جرت محاولة فى أبريل ١٩٤٨ ، للقيام بانقلاب ، لكن البوليس السياسى وضع الضباط المشتبه فيهم تحت المراقبة فبدأوا يلتقون على فترات متباعدة ، حتى يبعدوا الشبهات عن أنفسهم .

فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، صدرت الأوامر بإرسال كل من ناصر وعامر وصلاح سالم وزكريا محيى الدين مع عدد آخر من أصدقائهم إلى الجبهة . وكانوا قد أصبحوا آنذاك برتبة اليوزباشي أو الصاغ . وعندما عاد هؤلاء الضباط من الحرب فى ١٩٤٩ ، لم يكونوا نفس الرجال . فقد تغيرت آراؤهم وصارت أكثر وضوحًا . واستقبلوا عند عودتهم إلى القاهرة استقبال الفاتحين ، وإن كانت الزينة والاحتفالات لم تهزهم لأنهم كانوا على علم بهزيمة الجيش المصرى . وبالرغم من ذلك فقد كانوا يرون أنفسهم كأبطال ، إذ أنهم أدركوا فى النقب والفالوجا ، أن النصر حليف القوة التى تعى مهمتها . ولم يمنعهم عجزهم عن الاستيلاء على النقب من التفكير فى الاستيلاء على القاهرة ، بل كان حافزًا لهم .

وفى صيف ١٩٤٩ ، نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثورى سرى ، ومما لاشك فيه أن الانقلابات العسكرية السورية خلال تلك الشهور ، قد أثرت فى توجههم ذاك . وبانتهاء عام ١٩٤٩ ، كان تنظيم الضباط الأحرار قد تأسس . وحتى ذلك الحين ، لم يكن هناك تنظيم متبلور كحركة ، أما منذ تلك الآونة فصاعدًا ، فسوف يعمل ككيان منظم . وفيما بين ١٩٤٩ - ١٩٥٢ لم يكن الضباط الأحرار المجموعة الوحيدة التى تمارس نشاطها فى أوساط الضباط المصريين . ولكن بعد نجاحها اهتم الجميع بتأكيد أهميتها وحدها . وأخذ أعضاؤها ينكرون دور المجموعات الأخرى ، بينما تؤكد التنظيمات الأخرى على أهمية دورها الذى لم يقل أهمية - فى نظرهم - عن دور هؤلاء الذين أصبحوا سادة البلاد . . والحقيقة أن التمايز يكاد ينعدم بين التنظيمات المختلفة . فكل منها عبارة عن نواة يلفها محيط ، وكان هناك عدد من الضباط على علاقة بأكثر من تنظيم فى وقت واحد .

وهناك زعم بأن أكبر هذه التنظيمات كان تنظيم الضباط التابع للإخوان المسلمين . وكان على رأس التنظيم محمود لبيب « الوكيل العام للإخوان المسلمين للشئون العسكرية » .

وفى ١٩٥٠ ، اختير ناصر رئيسًا لتنظيم الضباط الأحرار ، وتشكلت بين أعضائه

الموجودين بالقاهرة قاعدة من كل من : ناصر ، وعامر ، وزكريا محيي الدين .

وقد قام التنظيم ، كما يذكر السادات ، على نظام الخلية وينقسم إلى خمسة أقسام : العضوية والتدريب ، والأمن ، والإرهاب ، والدعاية ، والمالية أى تمويل الأنشطة ومساعدة أسر الأعضاء . وهو يؤكد على أن هذا الشكل التنظيمى كان قائمًا بالفعل منذ ١٩٤٥ . بيد أن التنظيم على أساس الأقسام ظل - فى الممارسة - حبرًا على ورق ولم يؤخذ به .

فى أكتوبر ١٩٥٠ ، ظهر أول بيان عن الضباط الأحرار ، وفى اكتوبر ١٩٥١ صدر العدد الأول من « صوت الضباط الأحرار » وقد طبع من هذه النشرة سبعمائة نسخة وأرسلت للضباط بالبريد . واشترك فى تحريرها كل من ناصر ، وخالد محيى الدين ، وحسن إبراهيم ، وأنور عبيد .

لقد لعبت علاقة الضباط الأحرار بالكيانات السياسية الأخرى ، دورًا حاسمًا فى تطور التنظيم ، وقد فرضت هذه المشكلة نفسها منذ ١٩٤٩ ، وظلت تلازمهم - بصورة أو بأخرى - على الدوام . وكان اهتمامهم كبيرًا بالمنظمات الجماهيرية القريبة منهم . . الإخوان المسلمين حتى عام ١٩٥٤ ، والبعث السورى فى ١٩٥٨ ، ١٩٦٣ وفقًا لما يقول اليعازر فى كتابه السابق .

وبالإضافة إلى الإخوان المسلمين - كما تؤرخ الرؤى الغربية والإسرائيلية - مد الضباط الجسور مع الشيوعيين والوفد . وكان خالد محيى الدين هو همزة الوصل ، وربما كان عضوًا بمنظمة « حدتو » الشيوعية . وعن طريق خالد التقى ناصر بممثلى الشيوعيين ، الذين ربما كانوا يعتقدون أن الضباط من مؤيديهم أو حتى أعضاء بتنظيمهم . وحسبما يروى أبو الفتح ، فقد أدرجوا ناصر بتنظيمهم تحت اسم حركى هو « موريس » وبرقم عضوية ١١٧ . أما الوسيط الأساسى بين الضباط والوفد ، فقد كان ثروت عكاشة ، وكان ناصر يلتقى كثيرًا بصهره ، أحمد أبو الفتح رئيس تحرير « المصرى » الذى عمل فى الأيام الأولى التى أعقبت الانقلاب كمستشار له ومتحدث

باسمه ، وهى المكانة التى شغلها ، فيما بعد ، محمد حسنين هيكل ، وعن طريقه توافرت لناصر فى ٢١ يوليو المعلومات التى جعلته يحدد يوم ٢٣ يوليو كموعد للانقلاب ، وكان لناصر علاقات بوفديين آخرين ، لكنه كان يخفى علاقاته المتعددة تلك ، ونجح فى إقناع كل منهم بأنه الوحيد محل الثقة . وكان قادرًا على معرفة آرائهم وخططهم دون الإفصاح عن نواياه ، وعرف كيف يجمع أمور تنظيمه فى قبضته دون أن يكشف عن دوره أمام التنظيمات الأخرى ، كان ذلك من أهم قدراته . . . كسب ثقة العديدين فى وقت لم يكن يثق فيه إلا فى قلة محدودة . وقد أثار النصر الذى حققه الضباط الأحرار فى انتخابات نادى الضباط ، اهتمام غير المصريين أيضًا وبخاصة المخابرات الأمريكية . وكان الضباط أنفسهم يودون إقامة صلات معهم كى يضمنوا عدم تدخلهم عندما يحين الوقت ، فالولايات المتحدة ، من منظور الضباط ، كانت أفضل الدول التى يمكن الاتصال بها . فهى القوة العظمى ، ولا مصلحة لها فى استمرار الأوضاع القائمة .

كما أن الأمريكيين يسعون إلى وضع حد للنفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط ليفوزوا وحدهم بعوائد النفط ، ويقفوا فى الوقت نفسه ، فى وجه التغلغل السوفيتى . وقد تحقق للضباط الاتصال بالأمريكيين على يد على صبرى قائد الأسراب بسلاح الطيران آنذاك ، وهو يمتلك عددًا من القدرات تؤهله لهذا الدور . . ذكاؤه الحاد ، وأصوله الاستقراطية ، ثم موقعه بمخابرات سلاح الطيران . وأثناء إحدى حفلات الكوكتيل التى أقيمت بالأسكندرية فى ١٩ يوليو السبت السابق على الانقلاب ، ألمح بعض الضباط الأحرار إلى زملائهم الأمريكيين بعزمهم على الإطاحة بفاروق ، وقد دهشوا لرد الفعل المشجع من جانب الأمريكيين . وفى الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٣ يوليو ، أبلغ على صبرى نائب الملحق العسكرى بالسفارة الأمريكية نبأ الانقلاب ، وأعطاه - باسم الحكام الجدد - تأكيدًا لضمان أرواح وممتلكات الأجانب فى مصر . وكان هذا أول عمل دبلوماسى يقوم به الضباط .

يشوب التقديرات المتاحة حول حجم عضوية الضباط الأحرار تضارب شديد

ويفوق السادات ، بالطبع ، جميع التقديرات ، فهو يشير إلى أن التنظيم فى ١٩٤٧ ، كان « يضم أكثر من ألف ضابط » . وهو رقم يعادل أكثر من ثلث عدد ضباط الجيش المصرى فى ذلك الحين . لكن نشرة « صوت الضباط الأحرار » لم يطبع منها فى أكتوبر ١٩٥١ سوى سبعمائة نسخة كما سبق وأسلفنا . ويذكر لاكوتير أن التنظيم كان يضم عند وقوع الانقلاب « حوالى ٢٥٠ عضوًا » . ويحدد خالد محيى الدين ، فى ١٩٥٨ عدد الأعضاء بـ٧٠ فقط . وفى ١٩٦٢ ، يصرح ناصر بأنه « **كان هناك بالقاهرة ٣٠٠ ضابط يؤيدوننا تأييدًا مطلقًا** » ولم يسمح للعديد منهم بالاشتراك فى الانقلاب لأسباب أمنية ، وأن « **٩٠ ضابطًا لا يحملون سوى الأسلحة الصغيرة هم الذين استطاعوا السيطرة على أمة** » وإذا ما استبعدنا مبالغة السادات ، فإن التفاوت بين التقديرات المختلفة – يصبح على عكس ما يبدو للوهلة الأولى – ضئيلًا . فقد كانت هناك خلايا مغلقة تضم كل منها ما بين ١٠ – ١٥ عضوًا . ترتبط بكل خلية حفنة قليلة من الرجال الذين يمكن الوثوق بهم وتكليفهم بالمهام ، وكل واحد منهم على صلة بواحد أو اثنين من أعضاء اللجنة التأسيسية دون علم بتفاصيل الهيكل التنظيمى أو البرنامج أو أسماء الأعضاء وفيما بين يناير ويوليو ١٩٥٢ ، تنامت هذه المجموعة واجتذبت إليها العديد من الضباط إلى أن قامت الثورة وسقط فاروق .

ثالثًا : ليلة الثورة فاروق يغادر مصر :

أجمعت الدراسات العلمية على أن الأحداث بدأت تتوالى سريعًا منذ مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢ فى وقت لم يقدر فيه فاروق خطورة الموقف فى الجيش – كما تقول د . **لطيفة محمد سالم** فى دراستها الهامة **(فاروق وسقوط الملكية فى مصر)** – حقيقة إن نشاط الضباط الأحرار أقلقه ، ومنشوراتهم أثارته وتحركاتهم سببت له الريبة ، ولكن مع ذلك كان على يقين من أن هذا جميعه فقاعات هوائية إذ ترسب فى أعماقه لآخر لحظة أن الجيش جيشه هو ، مطيع له ، منفذ لأوامره ، فالثقة المتزايدة فى النفس سيطرت عليه من ناحية ، والإحساس بقوته وجبروته أعطاه التأنى فى التصرفات من ناحية أخرى ، وخاصة بعد أن أدرك أن كبار رجال الجيش حوله يحمون عرشه ،

هذا بالإضافة إلى أن حاشيته صاحبة التأثير عليه هونت له الأمر ، وبالتالى تحدى وقرر التصدى والإطاحة بتلك الشرذمة الصغيرة التى اعتقد أنها بؤرة الضباط الأحرار ، وبالفعل كانت التحريات تجرى فى كل مكان لسحق هذه الحركة ، مم دفع بأصحابها للتعجيل بها . ونحن هنا لا نقيم حركة الضباط الأحرار ، فكفاءتهم وتضحياتهم وشجاعتهم وجسارتهم ووطنيتهم أمر مفروغ منه ، ولكن المتتبع لأحداث الحركة منذ ليلة ٢٣ يوليو يجد أن الظروف ساعدتهم ودفعت بهم إلى القيام بانقلابهم ، وأنه كان من الممكن لأى عارض أن يعترضهم ويفشل التخطيط ويذهبوا وراء الشمس ، فقبل الانقلاب بيوم ، ورغم الحيطة الشديدة التى التزم بها أصحابه ، علم المسئولون - وكانوا بمصيف الإسكندرية - أن هناك أمرًا يدبره الجيش أكدته التحريات داخله .

وكان فاروق فى تلك الليلة وبعد تشكيل وزارة الهلالى وتأديتها اليمين قد هدأ يقينًا منه بأن المشكلات التى اكتنفت الحكم ربما تنتهى ، ولكن سرعان ما تبددت الصورة بوصول نبأ الحركة إليه عن طريق محمد حسن ، فأمر بالاتصال بمحمد حيدر وحسين فريد ، وأبلغ الأخير أحمد كامل بأن الحركة بسيطة وسيتولى قمعها . أيضًا اتصل النجومى من القصر بحسين فريد ، وكان قد قبض عليه فى مكتبه بالرئاسة ، ومن ثم رد عليه عبد الناصر وأفهمه أن رئيس الأركان فى جولة تفتيشية . وتلقى محمد نجيب مكالمات تليفونية من وزير الداخلية ووزير التجارة والصناعة ورئيس الوزراء لوقف الحركة وتهدئة الحال والتنبيه بأن النتائج ستكون وخيمة وخاصة أن القوات البريطانية على مقربة ويخشى من تقدمها ، ولكن فى نفس تلك اللحظات كان الضباط قد استولوا على مبنى القيادة وتحركت المدرعات ودخلت القاهرة وقبض على اللواءات ودخل محمد نجيب مقر القيادة .

وكان كريزول يكتب رسالة لحكومته ، وعندما سئل : هل تكون هذه الأحداث سببًا فى مغادرة فاروق مصر ، أجاب بأن الملك فى حالة ذعر رهيب ، لكنه سيعمل كل ما فى وسعه ليجعله هادئًا وثابتًا ، فطلب منه القائم بالأعمال البريطانى أن يعطيه مثل هذه النصيحة منه أيضًا ، ويسجل للتدن أنه لم تقدم طلبات من المنشقين بعد

للملك ، وأنه إذا حافظ على هدوئه فربما يتخطى الأزمة ويخرج منها كحاكم دستورى ، وقد بين لكافرى – والذى عندما تنقطع الاتصالات التليفونية يبعث إليه برسوله بأنه لا يزال يمكنه الاعتماد على البحرية . وفى اللحظة التى كتب فيها كريزول هذا الخطاب لحكومته ، وصل رسول من طرف محمد نجيب – أرسل عن طريق عضو من السفارة الأمريكية - ومعه رسالة بأن الحركة فى مجموعها عمل داخلى وهدفها الرئيسى القضاء على الفساد وأن أى تدخل بريطانى سيقاوم .

وتبعث الخارجية البريطانية بردها الفورى الذى توافق فيه على رأى ممثلها بعدم التعرض للحركة لما فى ذلك من نتائج سيئة للغاية ، وأن على كافرى تهدئة فاروق ، وتتعشم أن يحرص على عدم اتخاذ أى عمل وهو فى حالة الرعب التى تتملكه ، وأن عليه الاستمرار فى الاتصال بحكومته التى يمكنها الاتفاق مع محمد نجيب على الشروط ، كما تستحسن أن يجرى ممثلها الاتصال بقائد الحركة . ويكتب وزير الدفاع البريطانى ليؤيد موقف كريزول لما فى الوضع من حساسية ويبين أنه من الأساس ضرورة تجنب أى عمل يثير القوات المسلحة المصرية ، وأنه لم تظهر أيه مخاطر سواء على أرواح البريطانيين أو ممتلكاتهم فى مصر وأيضًا على أمن القوات البريطانية فى منطقة القناة ، وعليه فيجب ألا تتخذ أية تحركات خارج منطقة القناة أو أى عمل يخطط لإغلاقها .

وكان البكباشى ملور قد ذهب فى الساعة الحادية عشرة صباحًا إلى القائد المصرى لمنطقة القناة ، وأثناء الحديث معه اتصل به محمد نجيب ، وعندما علم بوجود الضابط البريطانى طلب التكلم معه ، وسأله عما ستقوم بعمله القوات البريطانية إذا طلب الملك منها التدخل ، فاجابه بأنه ضابط صغير ولا يعرف ، وهنا أخذ القائد المصرى سماعة التليفون لينقل إليه يقينه من أنه لن يكون هناك تدخل لإنقاذ الملك من الوحل الذى وضع نفسه فيه .

لقد كان المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ينبىء بانفجار هائل ، فالقاهرة كانت قد أحرقت ، والأوضاع السياسية تتردى ، والسفارات الاجنبية بدأت

تنشط ، وتستقطب القوى الجديدة الصاعدة .

فى غمرة هذا المناخ الخانق جاءت منشورات الضباط الأحرار لتعكس حقيقة الوضع ، ولنتأمل ما ورد فى بعض منها .

يقول منشور صادر عام ١٩٥١ : « **أن هيئة الضباط الاحرار تطالب بأن تكون مهمة الجيش هى تحقيق استقلال البلاد ، ولا تقبل أن يستعمل فى القضاء على الحركات الوطنية . . ولا تقوم للجيش قائمة إلا فى بلد متحرر قوى** : « **نحن نطالب بتسليح الجيش من جميع الدول التى تبيع لنا سلاحا شرقية كانت أم غربية** » .

« **ونطالب بإطلاق جميع الحريات للشعب إذ لا يمكن لشعب أن يكافح الاستعمار وهو مكبل بقوانين تقيد حريته** » . وعندما رزق فاروق بطفل فى ١٦ يناير ١٩٥٢ ، قبل عشرة أيام من « السبت الاسود » وأقيم عرض عسكرى بتلك المناسبة ، استنكر الضباط هذه « المهزلة » واستخدام الجيش فى أمور لا تليق بوظيفته ، لكن البيان لايكشف عن عداء مبدئى للعرش ، بل على العكس يعتبر ميلاد ولى العرش « مناسبة سعيدة » ويستطرد البيان قائلا : « **فإليكم يا من تجمعون المال من عرق الشعب لتنفقوه فى غير صالح الشعب . . إليكم يا من تسوقون البلاد الى هاوية سحيقة لتصلوا الى مآربكم الخاصة ، إليكم كلمتنا هذه لتكون نذيرا لكم ، علكم تثوبون الى رشدكم ، وترجعون عن غيكم** » .

« **وأنتم أيها الضباط ، إليكم هذا الموجز لما يحدث اليوم من مهازل ، فكونوا يقظين لما يدبر لجيشكم وبلادكم ، ولا تتهاونوا فى حقوقكم قدر أنملة** » . وفى أواخر يناير ، وبعد « السبت الأسود » ، صدر بيان إلى الضباط يحذر من « الخونة المصريين » الذين يسعون الى استغلال الجيش فى قمع الشعب ، فى حين إن رسالة هذا الجيش هى دحر العدوان الخارجى .

« إن الوطن فى خطر . . التفوا حول الضباط الأحرار ففى ذلك نصر لكم

وللشعب الذى انتم جزء لا يتجزأ منه » . وهم يعلنون فى بيان آخر منسوخ بخط اليد « **كنا نعتقد أن المحنة التى أصابت البلاد فى حرب فلسطين قد أعطت درسا قاسيا للمسئولين لينهضوا بالجيش ، ويعملوا على تدريبه وتسليحه ويبعدوه عن تلك المظاهر الخادعة ، كالاشتراك فى الحفلات وإقامة الزينات . والعالم اليوم تمر به المحن والأخطار فتهتز أركانه وتستعد الامم لكل طارىء وتتوجه الشعوب والحكومات الى كل ما هو نافع ، ومفيد ، إلا نحن فى مصر حيث يصر سادتها وأولو الامر فيها أن يعيشوا عيشة الدعة والبهجة ، يقيمون الاحتفالات والمباهج بمناسبة وغير مناسبة ، علها تنسى الشعب ما هو فيه من جوع وعرى وحرمان »** .

أن هذه البيانات تعكس بوضوح ما كان يثير ثائرة' الضباط الأحرار : **تدهور وضع الجيش على الجبهة وفى داخل البلاد ، والتفريط فى استقلال البلاد ، وإسراف الارستقراطية فى مقابل الفقر المدقع الذى يقاسيه الشعب** ، لكن هذه البيانات كلها لا تتضمن مطالب محددة ، سواء بالنسبة للمشكلات الداخلية أو الخارجية ، باستثناء ما يتعلق بأوضاع الجيش ومهمته . والحقيقة أن أوضاع الجيش فى ١٩٥٢ ، كانت محورا للصراعات السياسية التى سبقت الانقلاب . وجاءت أزمة تعيين وزير الحربية لتقدم سببا مباشرا للاستيلاء على الحكم بواسطة الضباط .

فبعد « السبت الاسود » استقالت حكومة الوفد ولم تستطع حكومتا على ماهر والهلالى الاستمرار فى الحكم ، فكلف الملك حسين سرى ، فى الثانى من يوليو ، بتشكيل حكومة جديدة . وأراد حسين سرى أن يهدىء من حالة القلق بين الضباط ، فاقترح تعيين نجيب وزيرا للحربية ، ولو كان قد أخذ باقتراحه هذا ، فربما سارت الامور على نحو يختلف عما آلت إليه . لكن الملك بعناده الأحمق ، رفض الاقتراح ، وتولى حسين سرى وزارة الحربية ، وفاض الكيل بالضباط .

قبل ذلك بفترة قصيرة كان أحد جواسيس القصر قد شاهد اليوزباشى حسن علام ، من الضباط الاحرار ، وهو يحمل إحدى نشرات التنظيم ، وفى ١٣ يوليو قدم

إلى المحكمة العسكرية ، حيث حكم عليه بالاعدام . وفى ١٥ يوليو ، أمر الملك بحل مجلس إدارة نادى الضباط ونقل أعضائه الى مواقع بالأرياف وبعيدا عن القاهرة . ولم يعد الضباط الأحرار يخشون على مناصبهم فقط ، وإنما على حياتهم أيضا . فمضوا قدما فى الإعداد لانقلابهم . وفى الوقت نفسه ، رأى سرى استحالة البقاء فى منصبه ، فقدم استقالة حكومته فى ٢٠ يوليو ، وطلب الملك ، مرة أخرى إلى الهلالى تشكيل الوزارة . وفى ٢١ يوليو علم أحمد أبو الفتح أن وزير الحربية المنتظر هو حسين سرى عامر . . العدو اللدود للضباط الأحرار ، والذى نجا بأعجوبة من رصاصات ناصر قبل ذلك بستة شهور ، والذى يعلم تمامًا أن القاتل المجهول هو أحد الضباط المناوئين له ، وعندما علم أبو الفتح بالاتجاه إلى تعيينه أسرع إلى إبلاغ ناصر عن طريق عكاشة . وفى ذات الوقت ، علم الضباط أنه تحدد يوم ٢٤ يوليو موعدًا لتنفيذ حكم الإعدام فى حسن علام ، ولذلك حدد ناصر الساعات الأولى لليلة ٢٣ يوليو موعدًا للانقلاب ، وبالفعل أصابت الهلالى الدهشة عندما ذهب إلى الاسكندرية (حيث يقضى القصر والحكومة فصل الصيف) ليعرض على الملك أسماء الوزارة ، وفوجىء بتعيين الملك للقائمقام إسماعيل شيرين وزيرًا للحربية . وشيرين هو سليل أسرة محمد على ، وحصل على رتبته العسكرية بسبب مصاهرته للملك ، فهو زوج فوزية أخت فاروق . وقد رأى الضباط فى تعيين شيرين استفزازًا لهم . . ونهاية للعرش . وبينما كانت الوزارة الجديدة تقسم اليمين الدستورية فى الإسكندرية ، كان الضباط الأحرار فى القاهرة قد أتموا استعدادهم ، ليستولوا على حكم البلاد خلال عشر ساعات . . وقد كان .

هذا وتكشف ملفات وزارة الحربية البريطانية أن اجتماعًا عسكريًا عقد فى مقر القيادة فى فايد (قيادة قوات الشرق الأوسط البريطانية فى منطقة قناة السويس) يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وحضره القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ، وممثلون عن قيادة الشرق الأوسط ، بما فيهم البحرية والطيران ، وحضره أيضًا المستر « مايكل كريسويلهم » القائم بأعمال السفير البريطانى فى القاهرة ، وأنهم بعثوا بتقديرهم

بتقديرهم للموقف عما يرونه فى مصر ، وبناء على ذلك صدرت تعليمات للقيادة البريطانية بأن تكون جاهزة للتدخل بموجب خطة « روديو » بعد إنذار لا تزيد مدته على ست ساعات .

ولقد كان تقدير حجم القوات البريطانية الموجودة فى قاعدة قناة السويس هو النقطة الرئيسية فى خطأ الرأى الذى مال إلى استبعاد تدخل عسكرى بريطانى ضد الثورة .

كان هذا التقدير يظن أن القوات البريطانية فى قاعدة قناة السويس لا تزيد على فرقة واحدة ، وكان هذا التقدير خطأ . فإن حجم القوات البريطانية فى منطقة القناة ، كما تقول بذلك ملفات وزارة الخارجية البريطانية ، لم يكن فرقة واحدة – كما كان الظن – وإنما كان أربع فرق ، أى ٨٠ ألف جندى ، بخلاف قوات الطيران والبحرية ، والواقع أن حجم هذه القوات كان بالفعل فرقة واحدة حتى قامت حكومة الوفد بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، ولكن إلغاء المعاهدة وتوتر الموقف بين مصر وبريطانيا فى أواخر ١٩٥١ وأوائل ١٩٥٢ أدى إلى زيادة حجم القوات إلى درجة تكفيها لتحمل أعباء الخطة « روديو » وفى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ كانت آلات المطابع السرية فى قاعدة قناة السويس تدور لتطبع المنشورات التى كانت القوات الغازية سوف توزعها عند دخولها على السكان المدنيين فى القاهرة المحتلة ، وفى الإسكندرية المحتلة .

كان هناك منشور يطبع موجه إلى سكان القاهرة نصه كما يلى :

« سرى جدًا »

إلى سكان القاهرة . .

إن القوات البريطانية ، التى تحت إمرتى ، وقد وصلت إلى القاهرة لحماية أرواح الرعايا البريطانيين المقيمين فيها بشكل قانونى .

وقد أصبح هذا ضروريًا بسبب العجز الواضح للحكومة الملكية المصرية فى القيام بواجبها الأساسى فى حماية أرواح الأجانب فى مصر .

ولن أسمح بأى ثمن بتكرار الأحداث التى وقعت فى هذه المدينة فى ٢٦ كانون الثانى / يناير ١٩٥٢ ، حيث قتل رعايا بريطانيون وخربت ممتلكاتهم .

ولتحقيق هذه النية أصدرت الأوامر الآتية ، والتى عليكم إطاعتها :

١ - لحين صدور أوامر أخرى ، سأعلنها عن طريق مكبرات الصوت ، أو بأية وسيلة أخرى ، سيكون عليكم الوجود داخل حدود منازلكم إلا إذا كان بحوزتكم تصريح مرور صادر تحت أوامرى يسمح لكم بالوجود فى أماكن أخرى . وقد صدرت الأوامر للحراس والدوريات بإطلاق النار على الأشخاص الذين يوجدون خارج منازلهم ، والذين لا ينفذون الأوامر الصادرة لهم فورًا .

٢ - عليكم التصرف بطريقة مسالمة ، ولن يسمح لكم بتعطيل أو إيذاء القوات التى تحت إمرتى .

٣ - عليكم إطاعة جميع الأوامر الصادرة فى إطار سلطتى دون إبطاء .

٤ - طالما تصرفتم بطريقة مسالمة ، واتبعتم أوامرى ، فلن يجرى التدخل فى شئونكم بأكثر مما هو ضرورى ، ويمكنكم القيام بأعمالكم المعتادة دون خوف .

٥ - سيجرى احترام القوانين السارية ، والعادات والحقوق والممتلكات طبقًا للقانون الدولى ، وبقدر ما تسمح الضرورات العسكرية .

٦ - ومن مصلحتكم أن تسير الإدارة والخدمات المصرية بشكل كفء ، ولذلك فعلى المسئولين والموظفين المصريين أن يبقوا فى وظائفهم ، وأن يقوموا بأداء واجباتهم بإخلاص .

٧ - وستصدر أوامر أخرى من آن لآخر حسب الحاجة .

٨ - فى حالة حدوث أى اختلاف بين النصين الانجليزى والعربى لهذا الإعلان سيعتبر النص الإنجليزى هو الأصل ، وسيفسر طبقًا للقانون الإنجليزى .

صدر فى هذا اليوم من ١٩٥٢ .

ت . برودى

ماجورجنرال

قائد القوات البريطانية فى القاهرة

وفى نفس الوقت كانت المطابع تدور بمنشور آخر موجه إلى سكان الاسكندرية موقع بتوقيع الماجور جنرال « ج .ن . بويت » : قائد القوات البريطانية المكلفة باحتلال الاسكندرية .

ويقول هيكل فى كتابه (ملفات السويس) :

راحت لندن ترقب ما يجرى فى القاهرة ، وتؤجل مدة الإنذار ست ساعات بعد ست ساعات أخرى .

وعلى الأرجح فإن قيادة الثورة فى القاهرة لم تكن منتبهة تمامًا فى تلك الأيام إلى أن سيف التدخل مسلط طول الوقت على الرقاب ، فقد راحت السلطة الثورية الجديدة تؤدى ما وجدته مهامًا عاجلة فى انتظارها .

ترتيب إجراءات خلع الملك وعواقبها – تشكيل وزارة جديدة برئاسة على ماهر (باشا) – إجراء اتصالات مع كل الأحزاب السياسية – إلغاء الألقاب والرتب – تشكيل مجلس الوصاية على العرش – وضع قانون للإصلاح الزراعى يفرض حدًا لسيطرة الإقطاع – دراسة الوسائل التى يمكن بها تحريك الإدارة الحكومية فقد بدت هذه الإدارة الحكومية متهالكة إلى درجة لا تسمح لها بمواكبة خطى الثورة . وكانت بعض الإجراءات التى حاولت بها الأجهزة الحكومية أن تساير الوضع الحكومى الجديد مثيرة للرثاء والسخرية معًا ، فقد اكتشفت وزارة المالية على سبيل المثال فجأةً أن الملك « فاروق » لا يدفع ضريبة كسب عمل على مرتبه ومخصصاته ، كما أن « مصطفى النحاس » (باشا) يحصل على ١٦٠ أقة من سكر البطاقات .

ظلت الدولة بغير وزارة أربعة أيام ، لعب خلالها رجال القصر على جوادين فى وقت واحد ، بهى الدين بركات وحسين سرى . كان كريم ثابت وإلياس اندراوس اللذان عقدا صفقة إخراج الهلالى مع أحمد عبود ، يرشحان حسين سرى لما يربطه بعلاقات وثيقة بأحمد عبود . وكان حافظ عفيفى يرشح بهى الدين بركات . ثم انتصر مرشح الحاشية والمال وعين حسين سرى رئيسًا للوزارة فى ٢ يولية ١٩٥٢ وضمت

وزارته عددًا من كبار رجال القانون من المحاماة والقضاه ومن رجال فنيين لم يشتغل معظمهم من قبل بالسياسة . ولكن لم يلفت الأنظار من أسماء الوزارة إلا اسم كريم ثابت ، الذى غطى تعيينه وزيرًا على كل شيء ، باعتباره من حاشية الملك ولما يحوط اسمه وشخصيته لدى الجماهير من مشاعر البغضاء والتحقير والبذاءة .

حملت روز اليوسف فى عددها التالى خطابًا مفتوحًا من فاطمة اليوسف إلى حسين سرى بعنوان « من أنت ! ! » تكلمت فيه عن كونه رجلًا غامضًا ليس له موقف واضح . والحقيقة أن سؤال الكاتبة كان له دلالة أعمق مما قصدت . وهو صالح للتوجيه إلى كل من كان يتولى رئاسة الوزارة فى هذه الظروف . . من يكون ؟ لقد فشل على ماهر فى محاولته إقامة دكتاتورية مستنيرة ، وفشل الهلالى فى محاولته تكوين حزب جديد . وفشل الأول إذ تهادن مع الوفد ، وفشل الثانى إذ حارب الوفد ، وفشل الأول إذ قدم التحرير على التطهير ، وفشل الثانى إذ فعل العكس وقدم التطهير على المسألة الوطنية . فشل الأول لأنه كدكتاتور لم « يستند إلى قوة يملكها ولا تملكه » ، وفشل الثانى إذ لأن « حزبًا بلا جذور تودى به أى ريح » . وكان على ماهر « مشروع الدكتاتور » هو من صمم على أن يبقى البرلمان الوفدى ويحكم من خلاله ، وكان الهلالى « مشروع زعيم الحزب » هو من عطل البرلمان وعطل الحياة النيابية .

هذا ويذكر طارق البشرى فى كتابه (الحركة السياسية فى مصر) أنه بعد الحريق ، أصدر الضباط الأحرار منشورًا ينبه ضباط الجيش إلى أن الخونة من المصريين يظنون أن الجيش أداة طيعة فى أيديهم يمكن لهم بها البطش بالشعب ، وأكد المنشور أن مهمة الجيش هى الحصول على استقلال البلاد وصيانته ، وأن نزول الجيش فى شوارع القاهرة بعد الحريق كان لإحباط مؤامرة الخونة « **ولكننا لا نقبل ضرب الشعب . . ولن نطلق رصاصة واحدة على مظاهرة شعبية . . ولن نقبض على الوطنيين المخلصين . يجب أن يفهم الجميع أننا مع الشعب الآن** » . . ويذكر أنور السادات أن الضباط الأحرار فى يناير كانوا قد اجتمعوا وانتخبوا جمال عبد الناصر

مرة أخرى رئيسًا للحركة بالإجماع لمدة سنة أخرى . وأنه بعد أن كان مقدرًا لدى التنظيم سنة ١٩٥٠ أن إعداد الحركة سيستغرق خمس سنوات لتقدم فى ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ ، تقرر تقريب هذا الموعد إلى ١٩٥٢ أو ١٩٥٣ . ثم اجتمعوا بعد الحريق وحددوا للقيام بالحركة شهر مارس ١٩٥٢ ، ولكن جاء تغيير الوزارة موجبًا للانتظار فتقرر التأجيل وكان من أسباب التأجيل أيضًا أن الإعداد للقيام بالحركة فى مارس تم على أساس اتفاق مع رشاد مهنا قائد سلاح المدفعية ثم ظهرت بعد ذلك مراوغته فاقتضى الأمر إعادة تقدير قوتهم من جديد ، كما ذكر جورج فوشيه فى كتابه « جمال عبد الناصر وصحبه » .

وأصدر الضباط الأحرار منشورًا علقوا فيه على خروج على ماهر ونجيب الهلالى ، بأن الاستعمار والخونة المصريين كانوا يأملون أن يسلم على ماهر تسليمًا كاملًا فيقبل الحلف الرباعى وحل البرلمان واعتقال الآلاف من الوطنيين ، ولكن لم يجبهم على ماهر إلى ذلك فقاموا بانقلاب جديد ، « **لتحقيق الأهداف الاستعمارية السابقة وتحويل المعركة إلى الداخل والقيام بحركة تطهير واسعة للبلاد** » . وعلق على برنامج وزارة الهلالى بـ« **أنه تناسى أن الفساد الأكبر مصدره الاستعمار وأنه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلى إلا إذا قضى على أسبابه ومصدره . . إن من أهداف الضباط الأحرار الكفاح ضد الفساد وضد الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ . . ولكن لا تتجه إلى ذلك إلا بعد القضاء على الاستعمار** » .

وعندما شرع الهلالى فى تشكيل وزارته كان يرى تهدئة للجيش بعد انتخابات نادى الضباط ، أن يعين عزيز المصرى وزيرًا للحربية ثم استبعد اسمه لأن صحته لا تحتمل جهد المنصب ، وعرض على الملك أن يعين اللواء محمد نجيب (مرشح الضباط الأحرار لرئاسة نادى الضباط) وزيرًا للحربية لأن انتخابه رئيسًا لنادى الضباط يدل على أنه رجل محبوب منهم ولأن الجيش يثق فيه كممثل للإصلاح الجديد ، فرفض الملك ذلك . وكان الملك يعد حركة سريعة للتخلص من العناصر المعادية له بالجيش . فما أن تولى حسين سرى الوزارة حتى توجه بمذكرة بعثها إليه الملك

عن طريق حافظ عفيفى ، تتضمن إنذارًا لمحمد حيدر القائد العام بأن يعتبر مفصولًا إذا لم يعمل خلال خمسة أيام علي حل مجلس نادى ضباط الجيش ونقل ١٢ ضابطًا هم أعضاء المجلس . فاستدعى حسين سرى محمد حيدر وطلب إليه أن يدرس الموضوع ويوافيه بالنتيجة ، والا يقرر فى الأمر شيئًا قبل الرجوع إليه ، ولكن حيدر بضغط الملك وخوفًا من الفصل أصدر قرارًا بحل مجلس إدارة النادى ونقل الضباط ومنهم محمد نجيب الذى تقرر نقله إلي منقباد . وأثار هذا الإجراء موجة من السخط بين الضباط وقدم محمد نجيب استقالته . وأراد حسين سرى أن يتدارك الموقف وطلب إلي الملك تعيين محمد نجيب وزيرًا للحربية فرفض الملك متهمًا وزارة سرى بأنها تريد « أن تجعل عرابيًا ثانيًا فى مصر » . فطلب سرى إلي الملك تهدئة لسخط الجيش أن يطرد اللواء حسين سرى عامر(الذى كان مرشح الملك فى انتخابات النادى) فاشترط الملك لطرده أن يطرد معه أيضًا محمد نجيب ، فرفض سرى وصمم على الرفض وقدم استقالته فى ٢٠ يوليه فقبلت استقالته فى ٢٢ يولية . وعرضت الوزارة من جديد على نجيب الهلالى الذى قبلها وفرض عليه وزير للحربية الضابط إسماعيل شيرين زوج شقيقة الملك .

وإزاء هذه الظروف أدرك الضباط الأحرار أن الملك لابد أن يشتبك معهم لتصفية الموقف ومن ثم كان لزامًا عليهم أن يعجلوا بالتحرك لإحباط خطته : ومن هنا قدموا ساعة البدء إلي ليلة ٢٣ يولية بدلًا من ٥ أغسطس وتولوا قيادة الجيش والشعب فى الثورة فكانت هذه خاتمة مرحلة تاريخية كاملة وانبثاق فجر عهد جديد فى تاريخ مصر الحديث .

هذا وتروى د . لطيفة محمد سالم أن عملية خروج فاروق قد تمت بحرص وتكتم وفى الساعة السادسة والنصف أذيع بيان محمد نجيب الذى أعلن فيه النبأ ، وكانت الأوامر صدرت بمنع المظاهرات ، كما مثلت الحواجز العسكرية حول قصر رأس التين عائقًا للناس من الاقتراب لرصيف الميناء ، ولكن بانتشار الخبر امتلأت شوارع الأسكندرية بالحشود التى غمرتها مظاهر الابتهاج ، ومع هذا كان هناك البعض

ممن لا تبدو عليه علامات السرور للتصفيق الحاد وللهتاف لسيارات الجيش ، أيضًا ظهرت بعض الحالات النادرة التى حملت كلمة تعاطف تجاه فاروق . ولم يكن ذلك عن حب له ، لأن هذا الحب قد مات منذ فترة طويلة ، وإنما شفقة بسبب أنه أصبح ضعيفًا لا حول له ولا قوة . وفى نفس اليوم توافدت التأييدات من جهات مختلفة تعلن تأييدها لحركة الضباط ، ومما أضفى عليها صفة الشرعية ، أن مصر كانت فى أمس الحاجة إلى هذا التغيير الذى بادر به العسكريون وهم القوة القادرة على التعبير عما يجيش بالصدور لما يمتلكونه من إمكانيات تؤهلهم للقيام بالدور .

وفى المساء اجتمع مجلس الوزراء ، ونودى بالملك أحمد فؤاد الثانى ملكًا على البلاد ، وتقرر أن يباشر المجلس سلطات الملك الدستورية لحين تسليمها لمجلس الوصاية . واعتبر ذلك آخر إجراء فى هذا اليوم ، اليوم الذى انتهت فيه حياة فاروق فى مصر ، وخرج منها ليعود إليها مرة أخرى ، ولكن فى صورة أخرى مختلفة ، ولم يكن بهدف استرجاع الملك ولا الزيارة وإنما ليوارى فى ترابها حسب وصيته والواقع أنه بتنازله عن العرش سقطت الملكية فى مصر ، حقيقة انتهت رسميًا فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، لكنها فعليًا كانت منتهية . ودلت التكهنات على أن إعلان الجمهورية آت وقريب ، وتطلب الأمر فترة انتقال حتى يتم الاحتواء الداخلى والاستيعاب الخارجى .

إن الحقائق التاريخية أكدت أنه مع اقتراب يوم ٢٣ يوليو كانت القاهرة ومصر تحترق ، ليس فقط بالمعنى المتعارف عليه فى يناير ١٩٥٢ ، ولكن ، من حيث تردى الوضع السياسى والاجتماعى ، فلقد أوصل الملك والمؤسسات السياسية المساندة له ، بالإضافة إلى الإنجليز ، مصر إلى حالة من التردى شديدة القسوة ، تكشف عن هذا بوضوح كتابات أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وغيرها من كتابات مؤرخى هذه الفترة للحركة السياسية والوطنية المصرية .

وبدون الدخول فى التفاصيل لأحداث الثورة يثار بشأن موضوع الدراسة عدة

ملاحظات قد تلقى ضوءًا على موقف الثورة :

الملاحظة الأولى : بشأن تنظيم الضباط الأحرار الذى نشأ بعيدًا عن الأحزاب السياسية ، باستثناء بعض الاتصالات الفرعية والفردية - وفى أحضان الجيش الذى لم يكن للوفد تأثير واضح عليه ، حتى فى فترات حكمه القليلة المتباعدة ومن ثم بقى الجيش يحمل فى تكوينه العضوى أثرًا للتفرقة بين المسلمين والأقباط وخاصة فى الرتب العليا . فجاء تنظيم الضباط الأحرار على شاكلة المؤسسة التى انبثق منها ، ولم ينجح التنظيم فى إقامة هيكل تنظيمى جامع كما كان الشأن فى حزب الوفد . ويؤكد هذه الحقيقة أنه لم يكن موجودًا بين الضباط الأحرار سوى ضابط واحد قبطى ويرجع ذلك إلى أن نسبة الضباط الأقباط داخل الجيش كانت محدودة ولم يكن بالجيش من الرتب العليا فى عام ١٩٥١ سوى ضابط قبطى واحد برتبة لواء واثنين برتبة أميرالاى ، من ناحية أخرى كثر بالتنظيم فى بدايته من انتموا إلى الإخوان المسلمين ومصر الفتاة .

الملاحظة الثانية : إن موقف الملك قد تميز بتوجه عام لفكرة الخلافة الإسلامية ، تأكيدًا لسلطاته ورغبته فى الاستبداد والانفراد ، وقد أتت ثورة يوليو فطردت الملك فاروق بعد قيامها بثلاثة أيام . وما لبثت أن ألغت النظام الملكى فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ .

الملاحظة الثالثة : تتعلق بالمطلب العام للثورة فى أيامها الأولى والذى لم يكن يهدف إلى الاستيلاء على الحكم وتسلم السلطة ، بل سعى إلى إحداث بعض الإصلاحات السياسية والاجتماعية وإسقاط فاروق وهذا يفسر فى رأى البعض عدم وجود أيديولوجية سياسية وراء الثورة . . ولكنها سرعان ما تبلورت واتضحت فيما بعد . .

وهكذا . . .

سقط فاروق . . وقامت الثورة ، وفى السنوات من ١٩٥٢ - ١٩٦٥ ، ظل فاروق فى المنفى خارج مصر ، وظل يعربد فى ملاهى أوربا ومع غوانيها من النساء الساقطات إلى أن وافته المنية خارج مصر عام ١٩٦٥ .

وفى الكتاب الذى نترجمه هنا كشفًا دقيقًا ومثيرًا لحياة الملك فاروق سواء فى مصر قبل الثورة أو خارجها فى المنفى بعد قيام الثورة . . إنه كتاب مثير وهام . . يكشف حقائق خطيرة فى حياة آخر ملوك مصر . . الملك فاروق . .

والآن إلى صفحات الكتاب المثير . .

الناشر

القاهرة ٢٠ / ٧ /١٩٩٣

مقدمة المؤلف

لقد أقدمت على هذا العمل إيمانًا منى بأن الملك فاروق كانت له أهمية تاريخية بارزة بغض النظر عن حقيقة الأمر بأنه كان آخر ملك ، عاش كملك بمعنى الكلمة ، . ففى نهاية عهد الملكية فى مصر كان فاروق يقف عند مفترق طرق خطير ما بين ماضى الشرق الأوسط الاستعمارى الملكى وبين المستقبل الثورى . لم تكن الصحافة كريمة معه ، هذا الملك الصبى الأسطورة ، قد استبعد تمامًا كصورة مشرفة أو ذات أهمية . أما أنا فقد أفزعنى الأسلوب القاسى لسقوط هذا الملك وأثر ذلك ليس فقط على فاروق شخصيًا ولكن على العالم العربى بأكلمه الذى كان يعتبره قائدًا وأملًا وتجسيدًا لتقاليده منذ الألفية الفرعونية وعصر السلاطين والخلفاء والملوك . كيف يمكن لفاروق الذى امتلك كل هذا أن يخسر كل شيء فى لمح البصر ؟ وكم كانت لخسارته من آثار على الشرق الأوسط بأكلمه ؟ البحث عن تاريخ حياة فاروق كان نوعًا من التحدى ، إنه لم يحتفظ بمذكرات ، نادرًا ما قام بكتابة أى خطاب ، لم يكن أى صديق ليتمكن من كتابة سيرته الشخصية ، كان أقرب أصدقائه كهربائى القصر لا يمتلك البراعة اللفظية ، أما تابعه المقرب وحارسه الشخصى الألبانى ، خدمه النوبيون ، ورئيس المطبخ الشرق كلهم وافتهم المنية . ولم يبق أحد من هؤلاء يستطيع أن يعيد الذكريات أثناء فترة حكم فاروق . بالنسبة للصحافة المصرية كانت مقيدة بعدة اعتبارات بخصوص « العيب فى الذات الملكية » بالنسبة للتحقيقات الصحفية بالخارج كانت مقيدة أيضًا بمقتضيات أمنية تخص الحرب العالمية الثانية وبعد انتهاء الحرب كانت الصحافة الأجنبية المنصبة على فاروق تختص باسلوب حياته الشخصية وتمس الجوانب الحساسة منها . بالنسبة للملفات الحكومية الخاصة بفاروق فى مصر فقد اتضح استحالة الوصول إليها وباستثناء التقارير الأمريكية السرية والتقارير الدبلوماسية البريطانية لم يترك فاروق عمليًا أى أثر كتابى له سواء أثناء فترة حكمه أو أثناء نفيه للخارج . المحاولات للوصول إلى أرشيف واشنطن البيروقراطى استنادًا إلى قانون حرية المعلومات كانت عملية مثيرة لليأس ومشكوكًا فى

إمكانية تحقيقها وحتى هذه المعلومات كانت ضئيلة للغاية .

كان فاروق من الأسماء المحلية التى لم يعرف أحد عنها شيئًا وسلسلة الارتباك استمرت من الملك توت إلى الملك سعود إلى عدنان خاشوقجى إلى ياسر عرفات . أغلب الأشخاص الذين تعاملوا مع فاروق يقولون عنه إنه كان بدينًا وثريًا ، وبغيضًا لحد ما . وبالسؤال عن سبب بغضه لم يجزم أحد بشىء محدد فقد كان ذلك مستمدًا من ثرائه ، وبدانته ، وكونه عربيًا كان السبب الرئيسى لبغضه يرجع جذوره إلى الحملات الصليبية ، الملحد المعاصر ، شيخ بترول الكويت ، بائع السلاح ، المرح الصاخب فى حفل للربيع ، وكانت الإجابة غير المتوقعة فى مصر « لماذا تريد أن تعرف شيئًا عنه » ولم تكن هناك أى استجابة على الإطلاق حيث أصبح فاروق هامشًا فى التاريخ ، غير مرغوب فيه أو فى إحياء الحقبة التاريخية للملكية بفخامتها وبذخها . كان فاروق شخصيًا لا وجود له . بالنسبة للمصريين فى مصر كان فاروق كلمة قذرة ، جهل كنت أتوقعه من هؤلاء الذين لم يعرفوا فاروق قط بطريق مباشر أو غير مباشر .

تتبعت آثار هؤلاء الذين تلاقوا معه وجهًا لوجه كانت مغامرة اضطرتنى لأن أجوب الكرة الأرضية ولكن كانت نتائجها تساوى هذا المجهود الذى بذل . بالنسبة للمصريين اليهود المشتتين فى جميع أنحاء العالم ، الذين عاصروا هذه الفترة فى مصر ، كانوا مجموعة كبيرة ، نوعية ارستقراطية فريدة ، خطرة ، وكانوا حتمًا سيتلاشون يومًا ما . وقد قصوا لى روايات كثيرة مثيرة عن فاروق . كذلك خليلاته اللاتى أصبحن أميرات ونجمات أوبرا وكاتبات وهؤلاء الرجال الأغنياء الذين تحولوا إلى فقراء وهؤلاء الفقراء الذين تحولوا إلى أغنياء ، لقد كان فاروق بالنسبة لهم بالمقارنة بفاروق الشاب الصغير شخصين مختلفين تمامًا . القصص التكرارية كانت تتردد ومن خلالها استطعت أن أصل إلى الرجل الحقيقى ، ملك حقيقى فى النهاية حصلت على قصة ، ودنيا ، وفاروق وبمنتهى الصراحة لم أكن أتوقع هذا الرجل إطلاقًا .

الشخصيات التاريخية التى صنعت عهد فاروق

* أحمد عبود : مهندس درس باسكتلاندا أصبح رجل صناعة يمتلك عدة ملايين وأغنى رجل فى مصر بعد فاروق .

* دين أتشيسون : وزير الخارجية الأمريكى الذى رفض أن يسمح بمساندة فاروق أثناء الانقلاب الذى أسقطه .

* أغاخان : القائد الروحى لطائفة المسلمين الاسماعيليين مشهور بثرائه المؤقت وخيول السباق — جزء من عالم فاروق الفريد أثناء الفترة السابقة لعهد ناصر وفيما بعد حرب أوروبا .

* محمد على : تركى . يونانى مؤسس السلالة الحاكمة لفاروق وأبو مصر الحديثة .

* الأمير محمد على : محب للانجليز ، عم فاروق ووريث عرش مصر وكان يكره ابن أخيه .

* إلياس أندراوس : مستشار فاروق الاقتصادى بوزارة المطبخ الشرق (مجموعة غير رسمية من المستشارين المحيطين برئيس الحكومة) .

* الجنرال سير كلود أوشينلك : القائد الأعلى للقوات المسلحة بمنطقة الشرق الأوسط أثناء الحرب العالمية الثانية وكان معروفًا باسم (الأوك) .

* حسن البنا : المرشد العام والقائد الزاهد مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ، ويقال أنه اغتيل بناء على تعليمات من فاروق .

* سير إفيلين بارينج لورد كرومر : — المعتمد البريطانى لمصر — كان مكروهًا لأقصى درجة وهو عميد مدرسة « فرض الرجل الأبيض فى دبلوماسية الشرق الأوسط » وقد بث فى المصريين من كل الطبقات أشد درجة من البغض والكراهية للإنجليز وكان معروفًا (بالعقبـــة الكئـــود) .

* أنى بريه : مغنية فرنسية اكتشفها فاروق فى ملهى (سكارانى) بالقاهرة وحاول أن يظهرها كنجمة عالمية باسم « مطربة النيل » .

* جيفرسون كافرى : ولد بلويزيانا ، السفير الأمريكى فى مصر أثناء الانقلاب الذى

أسقط فاروق وكان فاروق غير حكيم لثقته فى كافرى وأمريكا واعتقاده أنها سوف تحافظ على عرشه حيث إن خصومه يميلون إلى الشيوعية .

* سير رولاند كامبل : السفير البريطانى فى مصر خلفًا لسير ميلز لامبسون .

* إرما كابيس مينوتولو : رفيقة فاروق الرسمية فى منفاه ، مراهقة ، طالبة فى دير ، حولها فاروق إلى نجمة أوبرا .

* تحية كاريوكا : راقصة مصرية للرقص الشرقى كانت تربطها بفاروق علاقة عاطفية .

* قطاوى : عائلة يهودية مشهورة بالقاهرة مثلت جزءًا هامًا فى دائرة فاروق الملكية .

* آن شر ميسيد : مربية بناته .

* سير وينستون تشرشل : رئيس وزراء انجلترا – سرقه فاروق

* لبليان كوهين : مراهقة فقيرة يهودية من الاسكندرية جذبها فاروق إلى أضواء القاهرة حيث جعلها تغنى الأغانى العاطفية باوبرج الهرم .

* نويل كوارد : كاتب مسرحى بريطانى كان معاديًا لفاروق أثناء الحرب العالمية الثانية .

* كارلو ديمليو : محامى الملوك وملك المحامين – المستشار القانونى العام لفاروق فى روما .

* سير ويليام شولتو دوجلاس : مرشال جوى بريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية – قاد الحامية البريطانية فى القاهرة فى فترة ما قبل فاروق ، انتقده السفير البريطانى بسبب صداقته مع الملك .

* جون فوستر دالاس : وزير الخارجية الأمريكى كانت وقفته ضد الملكية هى الضربة الخلفية ضد فاروق ولصالح عبد الناصر .

* سير أنتونى إيدن لورد أفون : وزير الخارجية البريطانى وفيما بعد رئيس الوزراء له تاريخ حافل بالتحامل على فاروق ومدة قصيرة من الاحتقار الكلى لناصر .

* سيمون إلويس : مستهتر بريطانى رسام صور البورتريه (جانبية للوجه) يزعم أنه

على علاقة بالملكة فريدة .

* الامبراطورة أوجيني : امبراطورة فرنسا وضيفة الشرف ورفيقة الخديو إسماعيل أثناء افتتاح قناة السويس .

* أميرة فادية : صغرى بنات فاروق .

* أميرة فايقة : الشقيقة الثالثة لفاروق وأكثرهن ثقافة وذكاء .

* أميرة فايزة : أميرة الحفلات وهى أكثر أخوات فاروق فى النواحى الاجتماعية .

* الملكة فريدة : ولدت باسم صافيناز ذو الفقار هى الزوجة الأولى الرائعة للملك فاروق كانت اختيارًا غير مناسب عن طريق والدته الملكة نازلى .

* الملك فاروق : ملك مصر .

* الأميرة فتحية : شقيقة فاروق الصغرى تم نفيها من مصر بسبب حبها لرجل من عامة الشعب وقام هذا الرجل بقتلها فيما بعد .

* أميرة فوزية : الشقيقة الكبرى لفاروق وهى أكثرهن جمالًا والزوجة الأولى لشاة إيران .

* الأميرة فوزية : الابنة الصغرى لفاروق سميت باسم شقيقته المفضلة .

* أميرة فريال : الابنة الكبرى لفاروق .

* جراسى فيلدز : نجمة موسيقى إنجليزية أول مضيفة لفاروق فى منفاه فى مقرها فى كابرى .

* سير إدوارد فورد : مدرس خاص لفاروق خريج اكسفورد كان يحاول بإصرار أن يجعل فاروق رجلًا انجليزيًا صميمًا .

* الأميرة فريد ريكا : باليونان حاول فاروق أن يغويها ولكنه فشل .

* الأمير أحمد فؤاد : ابن فاروق وملك مصر لفترة قصيرة حتى إلغاء الملكية .

* الملك فؤاد : ملك مصر والد فاروق الصارم .

* ادمون جالهان : موزع الأقلام الحبر الذى أصبح فى مثل ثراء فاروق وقام بشراء صفقة الأسلحة الفاسدة التى استخدمت فى حرب ١٩٤٨ ضد إسرائيل .

* سامية جمال : راقصة شرقية مصرية تربطها علاقة عاطفية مع فاروق .
* أنا ماريا جاتى : مصففة شعر إيطالية آخر موعد غرامى لفاروق ليلة وفاته .
* الملك جورج السادس : ملك انجلترا فى الفترة التى كان فيها فاروق ملكًا لمصر .
* رياض غالى : زوج وقاتل شقيقة فاروق فتحية وعشيق والدة فاروق نازلى .
* جنرال شارلز جوردون : معروف أيضًا بجوردون الصينى قتل فى الخرطوم .
* أيرينى جينيل : يهودية اسطورة الاسكندرية أول رفيقة لفاروق .
* سير والتر إدوارد جنيس – لورد موين : وزير الخارجية البريطانى بالقاهرة أغتيل بواسطة متطرفين صهيونيين عام ١٩٤٤
* زكى هاشم : (خطيب ناريمان) صادق متعلم فى هارفارد وتخلصت منه لتتزوج من فاروق .
* الأمير عباس حليم : طيار مصرى متفوق جرىء ومؤيد لعرش فاروق سجنه الإنجليز فى الحرب العالمية الثانية لتعاطفه مع الألمان .
* أحمد محمد حسنين : المدرس الخاص المحبب لفاروق وشهرته المكتشف المصرى وعشيق والدة فاروق الأرملة .
* عباس حلمى : خديو مصر . خلعه البريطانيون فى ليلة الحرب العالمية الأولى لتعاطفه مع الألمان .
* أدولف هتلر : الديكتاتور الألمانى الذى تودد إلى فاروق الشاب بإهدائه سيارة مرسيدس خاصة الصنع .
* الأميرة باتريشا : هو هنلوه « هونى تشيل » مولودة بجورجيا – نجمة بالإذاعة فى عرض مع بوب هوب كانت إحدى صديقات فاروق فيما بعد تزوجت من أمير نمساوى .
* الحاج أمين الحسينى – المفتى : من بيت المقدس ارستقراطى مسلم متعصب للنازية القائد الروحى للقدس ساعد فاروق فى دخول حرب ١٩٤٨ ضد إسرائيل .
* باربارا هوتون : وريثة وول ويرث أهدت فاروق فازة سعرها ٥٠٫٠٠٠ دولار

ولم يقدر قيمتها .

* الخديوى إسماعيل : الطموح بمصر الذى أنشأ قناة السويس وجعل بلده مدينة مما أدى إلى احتلال الإنجليز لمصر قرنًا كاملًا .

* اعتماد خورشيد : خليلة صلاح نصر مدير جهاز المخابرات المصرية . نشرت كتابًا عن جى . آى . بى . الذى يدعى أنه قتل فاروق فى روما .

* الكسندر كيرك : الوزير الأمريكى المتأنق فى القاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية .

* جاكلين كستلانى لامبسون : السيدة كيلرن الزوجة الشابة للسفير سير ميلز لامبسون كان والدها رئيس فريق الأطباء فى عهد موسيلينى .

* سير ميلز ودربوين لامبسون - لورد كيلرن : استعمارى عملاق من المدرسة الاستعمارية الأولى - السفير البريطانى فى مصر - لعنة فاروق الرئيسية .

* أحمد ماهر : رئيس وزراء - شقيق على ماهر المجاهد السابق المتطرف للقومية المصرية ، اغتيل .

* على ماهر : رئيس وزراء فاروق المفضل شقيق أحمد ماهر . اعتقل أثناء الحرب العالمية الثانية لتعاطفه مع الألمان .

* الفريق عزيز المصرى : مدرس فاروق وهو صبى - انقلب على تلميذه فاروق وأصبح الناصح المخلص للثوار ناصر والسادات .

* الجنرال سير برنارد مونتيجومرى : انتصر على روميل فى العلمين - قاد انسحاب الجيش الانجليزى بعد الحرب من القاهرة والإسكندرية إلى منطقة القنال .

* هيلين موصيرى : سيدة المجتمع الراقى يهودية بالقاهرة - عرفت فاروق بخليلاته .

* مصطفى النحاس : انتهازى رئيس وزراء فاسد بعد حكم البريطانيين لمصر ، زعيم حزب الوفد وكان عدوًا لفاروق لأمد طويل ثم غير جلده ليصبح رجل فاروق الأول .

* الدكتور أدهم النقيب : طبيب بالاسكندرية حول المستشفى الخاص به إلى منزل للدعارة لفاروق وأصبح ابنه الزوج الثالث للملكة ناريمان .

* ناريمان ملكة مصر : اسطورة سندريلا العروس الطفلة الثانية لفاروق ولدت له ابنه

الوحيد وتركته بعد خلعه من العرش .

* صلاح نصر : رئيس جهاز المخابرات المصرية يدعى أنه العقل المدبر وراء اغتيال فاروق فى روما .

* جمال عبد الناصر : رئيس مصر قائد الضباط الأحرار ومنظم الثورة التى قضت على فاروق .

* اينا نايلور : مديرة المنزل الصارمة الانجليزية عند فاروق .

* نازلى ملكة مصر : زوجة فؤاد أم فاروق كانت معزولة مع الحريم فى عهد فؤاد الرجعى ولكنها تحررت بعد وفاته .

* محمد نجيب : رئيس صورى وبطل لحرب ١٩٤٨ مع إسرائيل أول رئيس لمصر أزيح بواسطة لعبة القوى التى لعبها ناصر .

* محمود فهمى النقراشى : رئيس الوزراء - قومى متطرف سابقًا مثل أحمد ماهر واغتيل على أيدى الإخوان المسلمين .

* مكرم عبيد : خصم طموح بحزب الوفد ضد رئيس الوزراء النحاس نشر الكتاب الأسود يجسد فيه فساد النحاس وعائلته .

* اريسطوتل أوناسيس : ملك من ملوك المال باليونان - إهانته لفاروق أنهت سوق كازينو فى مونت كارلو .

* بيير أورلوف : جيولوجى من روسيا البيضاء زوج ابنة فاروق فادية ولم يكن فاروق موافقًا عليه .

* أمين عثمان : متعصب ومع الإنجليز وقائد حزب الوفد اغتيل على يد الإخوان المسلمين .

* محمد رضا بهلوى : شاة إيران أول زوج لشقيقة فاروق فوزية .

* الأمير رينيه : حاكم موناكو منح صديقه المقرب فاروق المواطنة فى منفاه .

* مشير أروين روميل : قائد نازى كاد ينتصر فى مصر .

* فرانكلين دى روزفلت : رئيس الولايات المتحدة - كان لدية آمال واسعة لفاروق

كقائد للشرق الأوسط .

* كيرميت روز فيلت : عميل المخابرات الأمريكية المدير الذى منح المعونة والاطمئنان للضباط الأحرار ضد فاروق وكان يظهر على عكس ذلك أمام فاروق .

* عبد الله رستم : الحارس الشخصى الرئيسى لفاروق وكان من ألبانيا .

* سيرتوماس روسيل : القائد الإنجليزى لبوليس القاهرة .

* أنور السادات : رئيس مصر بعد عبد الناصر سجن عن طريق البريطانيين لنشاطاته لتأييد الحرب النازية - عضو فى جماعة الضباط الأحرار - قائد ثورى .

* أصيلة صادق : والدة ناريمان الطموح فاروق يطلق عليها « أسوأ امرأة فى العالم » .

* الأمير أحمد سيف الدين : شقيق الأميرة شويكار حاول اغتيال الملك فؤاد .

* فؤاد سراج الدين : رجل قوى من حزب الوفد متورط فى يوم السبت الأسود لحريق القاهرة .

* لوسى الجراحة : قامت بتوليد والدة فاروق عندما خرج فاروق للحياة .

* عمر الشريف : نجم سينمائى لبنانى مصرى كانت عائلته تستضيف مجموعة لعب القمار الخاصة بفاروق طوال الليل .

* إسماعيل شيرين : الزوج الثانى لشقيقة فاروق فوزية واسم الشهرة « الولد الجميل » جعله وزيرًا للحربية مما أثار الضباط الأحرار وكان أحد مفجرات الثورة .

* الأميرة شويكار : زوجة والد فاروق الأولى الماكرة ، الملك فؤاد ، حاول شقيقها أن يقتل فؤاد وحاولت هى أن تنفر فاروق من والدته وشقيقته .

* إسماعيل صدقى : رئيس وزراء مع فؤاد وفاروق وهو منشىء القومية الوطنية .

* فيكتور سميكة : لاعب بولو ، لعبة كبيرة تستهوى الأرستقراطيين . قبطى قاهرى - مستهتر ، خصم لفاروق فى الغراميات النسائية .

* حسين سرى : رئيس وزراء - خال فاروق بعد زواجه من فريدة .

* جيردا خيبيرد : المربية السويدية لفاروق الصغير كانت تحتفظ بمذكرات واضحة عن الحياة بالقصر .

* باربارا سكلتون : روائية انجليزية جميلة تزوجت سيرل كونللى و جورج ويدنفلد ، خليلة فاروق الثانية (بعد إيرين جينيل) أثناء الحرب العالمية الثانية استمرت علاقتهما فى المنفى .

* سير لى ستاك : المعتمد البريطانى للجيش المصرى اغتيل عام ١٩٢٤ واتهم فى ذلك رئيسا الوزراء أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى وقد اغتيلا أيضًا فيما بعد .

* سير رالف ستيفنسون : السفير البريطانى لمصر عند خلع فاروق .

* كريم ثابت : السكرتير الصحفى اللبنانى المصرى وأكثر عضو مكروه فى وزارة المطبخ الشرقى .

* الأميرة فاطمة طوسون : زوجة ابن عم فاروق كانت متحاملة ضده لفترة طويلة .

* هارى ترومان : رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عند خلع فاروق .

* بيتروديلا فال : حلاق فاروق ومعتاد على القصر .

* ارنستوا فروسى : رئيس الإيطاليين العاملين فى مصر ، المهندس المعمارى الرئيسى للملك فؤاد والمسئول الرئيسى عن المشتريات للملك .

* فيكتور إيمانويل الثالث : ملك إيطاليا الذى استضافه فاروق فى منفاه بعد الحرب العالمية الثانية .

* جنرال سيرارتشيبا لد واقيل : القائد الأعلى للجيش البريطانى فى الشرق الأوسط أثناء الحرب العالمية الثانية . كلف بالمهمة التى كان يتمناها سيرميلز لامبسون كنائب لملك الهند .

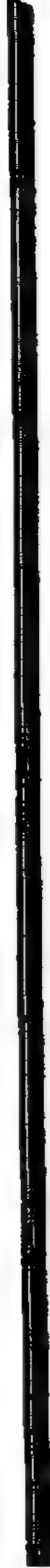
* إدوارد : دوق ويندسور : صديق لفاروق أثناء دراسته بانجلترا فى فترة الطفولة .

* جيرتى ويصا : قائدة المجتمع القبطى الراقى فى مصر .

* وحيد يسرى : رجل رياضى مندفع ابن الأميرة شويكار التى كانت صديقة للملكة فريدة لفترة طويلة وسببًا لغيرته الشديدة .

* سعد زغلول : الأب الذى أشعل شعلة القومية الوطنية فى مصر .

* يوسف ذو الفقار – القاضى : والد الملكة فريدة منحه فاروق لقب باشا وجعله سفير مصر فى إيران مقابل زواجه من ابنته .



الفصل الأول

فاروق وبداية النهاية لعصره

الفصل الأول

فاروق وبداية النهاية لعصره

كانت هناك كثير من الكلاب المسعورة ، تحوم حول القاهرة ، تلك الفرن اللافح التى ترتفع درجة حرارته حتى ١١٠ درجة فهرنهيت . ولقد أدرك البريطانيون ضرورة التزامهم بالهدوء فى صيف عام ١٩٥٢ . ففى أوائل هذا العام تحولت عاصمة النيل المتلألئة بواسطة العناصر المشاغبة المضادة للإنجليز إلى خليط متنافر ، للشرق الأوسط ، والامبراطورية الرومانية ، نهاية الملكية الباريسية ، لندن فى عصر الملك إدوارد ، شىء يماثل لحد ما شيرمان اتلانتا . اليوم الموافق ٢٦ يناير عرف بيوم السبت الأسود . فى هذا اليوم كان الملك فاروق بقصر عابدين العظيم يرأس حفلًا لستمائة من أصحاب المقام الرفيع يتذوقون الأكلات المختارة من الكافيار ، والسمان ، والأحياء المائية احتفالًا بمولد ابنه ، ووريث عرش مصر ، الأمير فؤاد . كان قصر عابدين يتكون من خمسمائة وخمسين غرفة ، كان هذا القصر جوهرة فى وسط الأزقة والحوارى . كان يماثل قصر بكنج هام فى شارع جيمس ولكن مع الفارق كان موقع قصر عابدين فى وسط أفقر الأحياء تجمع فى هذا الحى آلاف من المتطرفين ، القوميين ، والشيوعيين ، والمتطرفين المسلمين . كانوا يهدفون إلى اقتلاع الجذور الاستعمارية وخاصة الاستعمار البريطانى من هذه الدولة .

فى نهاية هذا اليوم الأسود الدموى ، تم حرق أغلب المؤسسات الأجنبية التى أعطت للقاهرة سحرها العالمى والتى جعلت منها مدينة أخرى على النيل .

حرق هؤلاء فندق شبرد ، هذا الفندق الأسطورى المشهور بالأرابيسك حيث كان له بار ممتد والخمور المقذوفة بشدة وهؤلاء « المخادعون الذين يعانون » الذين استطاعوا

أن يهدءوا الجميع بدءًا من ستانلى من ليفنجستون ، إلى الجنرال جوردون الملقب بالصينى بالخرطوم إلى لورانس العرب إلى فيربانك وبيك فورد من هوليود . لقد أحرقوا جروبى الذى كان بمثابة « فوكيه » للقاهرة وشيكوريل الذى كان مثل هارودز ، ومدام بديعة التى كانت تماثل رجين ونادى ترف الذى كان يماثل بودلز . . فى شهر يوليو أصبحت القاهرة التى كانت لمدة قرن كامل مزهوة كحديقة أوروبية مبهجة ليست لها نهاية ، تحولت هذه القاهرة إلى مدينة كئيبة مثل قبور المماليك فى مدينة الأموات . بالطبع أراح فاروق نفسه من كل هذه المشاكل حيث ملأ مائتى صندوق ثياب ، جمع خدمه الخصوصيين ، كل من يخصه من الحلاقين والأطباء ، والخياطين ، والخادمات ، والسائقين ، والمسئولين عن عملية المشتريات ، وقاد عملية الرحيل الرسمية لحكومته إلى الأسكندرية حيث كان الجو أفضل بكثير .

حكم مصر جد فاروق الخديو إسماعيل ؛ قام بإنشاء قناة السويس وحول مصر إلى دولة أوربية ، كانت الأسكندرية تعتبر عاصمة مصر الصيفية من شهر يوليو إلى أكتوبر كانت الحكومة تدار من قصرين عظيمين على البحر الأبيض المتوسط : القصر الرسمى كان رأس التين مبنيًا على الطراز الإيطالى ، كان يطل على الفنارة الفرعونية والمكتبة التى جعلت الإسكندرية أعظم مركز لتلقى العلم فى العالم القديم . أما الآن فقد أصبح للعلم دور ضئيل . فبعد الملك فاروق ، هناك ملك آخر ، القطن المصرى ! كانت النقود والنفوذ هى كل ما يهم هذه المدينة التى تتحلى بعقد أخضر وفيلات بلون قوس قزح وفنادق بيضاء ذات الطرز الفيتورى الممتدة على كورنيش طوله ١٢ ميلًا يطل على البحر الأبيض . لم يمتلك أحد نقودًا أو نفوذًا أكثر من هذا الملك الشاب الذى عاش حياة الترف والرفاهية . فى المنتزة القصر الآخر للحفلات فى آخر الكورنيش من قصر رأس التين الرسمى .

بنى هذا الصرح ليكون جريئًا ومتوحشًا ، بنى من الطوب الأحمر والحجر الرملى الأبيض اسطورة فلورنتين ، خمسة طوابق من الفرندات الواسعة ذات الأعمدة يعلوها برج توسكانى من عشرة طوابق وفى أعلى البرج تمثال هيرونيماس بوستشيان هذا

الكابوس الذى كان يلوى بقسوة أعمدة البرق ، هذا المنظر المتنافر للقصر ، يحيطه الهدوء والجمال ، مئآت الأفدنة من الحدائق حيث زهور الجكراندا ، والدفلى ، والخطمى محاطة بكوردون واق من أشجار الصنوبر التى يحركها الهواء بصورة درامية رائعة . كان يرعى بهذه الحديقة قطيع من مئات الغزلان الطليقة فى هذه البقعة الغناء ، أكثر الأماكن غواية فى الكرة الأرضية . مع أمواج البحر المتلاطمة على جميع الجوانب كان فاروق يداعبه خياله بأن يكون بمعبد بلا دين على سفح جبل فى فنارة ، مع حورية رومانية ، بكوبرى لندن ، أو شاطىء متلاطم الأمواج يوصله إلى الآخرة . ولكنه لم يستطع أن يقوم بمغازلة أحد الآن ، فى هذه اللحظة كانت لدية زوجة شابة حديثة تبلغ من العمر سبعة عشر ربيعًا ، وابن حديث الولادة ، وأهم من ذلك كله دولة مضطربة يجب أن يهدئها ويحكمها . وعلى الرغم من استحالة تهدئة الموقف وإنجاز مهمته ، شعر فاروق أنه قد ملك زمام الموقف . كان يظن أنه حقق هذه المهمة بنجاح . ما الذى نتوقعه أكثر من ذلك ،خمنذ عدة أشهر استطاع أن يكون صورة الغلاف لجريدة « التايمز » والأهرامات وأبو الهول فى الخلفية وكانت ترمز إلى مصر ، الأمل المتفائل العظيم للشرق الأوسط . كان العنوان المكتوب داخل المجلة « عندما يحتاج الفلاح إلى صديق » لقد أطلقت جريدة التايمز على فاروق لقب « القاطرة » بسبب استمتاعه اللانهائى وتمتعه بالحياة . لم يعاقبوه من أجل فترة الثلاثة الأشهر التى قضاها بأوربا فى حفلات الرجل الأعزب أكثر الحفلات تكلفة فى التاريخ حيث قضاها فاروق مع حاشيته من الرجال المنافقين والممثلات الناشئات ، والعاهرات ، والقمار ، وركوب اليخت ، بين الفنادق الكبرى والمطاعم الفاخرة ، وكازينوهات هذه القارة من بياريتز إلى سانت مورلينز . ثم قضى شهر عسل مدته أربعه أشهر ليشارك الشابة فى هذه الجولة المثيرة التى قام بها وهو أعزب . لقد سلمت جريدة تايمز أن هذا قد يكون انحطاطًا ولكنه كان له جاذبية خاصة .

دخل العالم عصر أيزنهاور للازدهار والتوقعات الواضحة ، الحياة الجميلة ، وكان فاروق أكثر من يستطيع أن يعيش حياته بالطول والعرض . حتى مقاس

جسمه أصبح جزءًا من الأسطورة . منذ ستة عشر عامًا كان نحيفًا ، طويلًا ، أميرًا أنيقًا لأقصى الدرجات ، الأمير الجذاب الذى أصبح أسطورة تحكى عن الملك الصبى الذى حكم أرض الفراعنة لقد تحول هذا الرجل الجميل إلى رجل آخر ، أصلع بدين ، بوهيمى ، ولكن هذا التغيير لم يفقده جانبيته . ظل فاروق ملكًا ، كل ذرة منه ظلت ملكًا ، يستطيع الملوك أن يفعلوا ما يشاءون . إن التدهور والانحطاط أصبح امتيازًا وتفوقًا للملوك .

على الرغم من حوادث يناير كان فاروق يشعر أنه لم يقهر وظن أنه يمتلك زمام الأمر فى مصر أكثر من ذى قبل . كان السبب فى ذلك تفسيره لهذه الأحداث أنها ضد الانجليز وليست ضد الملك نفسه . كان الملك يريد جلاء الانجليز عن بلاده مثل أى مواطن بسيط يشعر بالقومية الوطنية ، سواء كان ذلك بإشعال الحرائق أو إثاره الفتن . لقد وعد البريطانيون بالجلاء منذ عام ١٨٨٢ حيث بدأوا الأمر بالاحتلال المؤقت لتهدئة دولة أفلسها جد فاروق الخليع الحالم ، الخديو إسماعيل ، الذى شق قناة السويس والشوارع الواسعة التى تحفها الأشجار من الجانبين ، والقصور الفخمة والذى حول القاهرة والإسكندرية من العصور الوسطى العربية المتخلفة إلى العواصم الاوروبية المتألقة . لكن البريطانيين كانوا يحرسون القنال شريان الحياة الموصل بين الهند والإمبراطورية البريطانية ، والقطن المصرى الذى كان لازما لمصانع لانكشير كانوا غيورين على مصر مثل الخديوى الذى كان يحى النوبيين الذين يحرسون الحريم ولذلك حولت انجلترا مصر إلى دولة تحت الوصاية الإنجليزية وكان هذا التعبير أسلوبًا مخففًا للاستعمار لقد أنشأوا ناديًا بالمال للرجال ولعبوا بولو وكريكيت بنادى الجزيرة ولم يسمحوا للمصريين بدخوله حتى أغنى المصريين واكثرهم اجتماعية . كان معظمهم لا يعرفون سوى كلمتين باللغة العربية « ولد » ، « كورة » .

كره فاروق الانجليز كانت استعماريتهم المغرورة المترفعة متجسدة فى السفير الاكسفوردى سير ميلز لامبسون وفيما بعد اللورد كيلرن هذا الصبى الكبير الذى يبلغ طوله خمسة أقدام وخمس بوصات الذى كان يؤمن بمبدأ « مسئولية وحمل الرجل

الأبيض » الذى كان يرعى فاروق بشدة ويناديه بلقب « الولد » من شدة كره فاروق له رفض أثناء الحرب العالمية الثانية أن يعين رئيس الوزراء الذى اختاره لامبسون . أحاط لامبسون قصر عابدين بالدبابات البريطانية وأجبر « الولد » بتهديد السلاح على الخضوع للإرادة البريطانية . كان هذا الحدث اكثر الأحداث المهينة لكل من فاروق فى حداثة عهده ولمصر جمعاء فى القرن العشرين .

تم جلاء الجيوش البريطانية من المدن المصرية إلى منطقة القنال بعد الحرب العالمية الثانية وبعد إعادة تعيين لامبسون فى آسيا وغروب شمس الإمبراطورية البريطانية وبقائها فى الظل . كان فاروق يتمنى أن يخيفهم يوم السبت الأسود ويؤدى إلى اختفائهم من مصر بأكملها . لكنه كان ذكيًا جدًا فى هذا الموقف ، فعلى الرغم من أنه فى قرارة نفسه كان سعيدًا متهللًا لنتائج يوم السبت الأسود فإنه فى الظاهر قدم للبريطانيين عزاءه العميق لحرق أنديتهم وأجسادهم . فليتهم البريطانيون محركى الشيوعية ، وليتهموا المتعصبين المسلمين ، ولكن ليس هناك داع لاتهام القصر بمشاكلهم . فالبريطانيون ما زالوا فى حاجة إلى القطن المصرى ، وإلى القناة وكانوا يحتاجون إلى صديق فى حالة يأسهم هذه فليكن هذا الصديق أنا . ضحك فاروق على نفسه واستغل الملك جورج السادس فاروق وأعطاه لقب الشرف جنرال بالجيش البريطانى لم يحظ بهذا التميز أى ملك آخر . كان فاروق متأكدًا أنه فى حالة تحول الحركة المضادة للاستعمار إلى حركة مضادة للملكية يمكن فى هذه الحالة أن يعتمد التاجان الملكيان على بعضهما البعض فعلى الرغم من كل الظروف ما زال الانجليز يمتلكون جيشًا عظيمًا فى السويس ، جيشًا يستطيع أن يقمع أى اضطرابات مصرية عند اللزوم . لم يكن فاروق أكبر من الاستعانة بأعدائه القدماء .

وافترض فاروق كذلك أن الامريكيين هم حلفاؤه أيضًا فالركود الاقتصادى بانجلترا الناتج عن الحرب السابقة جعلها من الناحية المالية غير قادرة على الاحتفاظ بمكانة الامبراطورية البريطانية العظمى كما كانت من قبل ، فبينما تحملت انجلترا مسئولية الحفاظ على السلام العالمى دخلت أمريكا من ثغرة الحرب الباردة فى صورة

الشقيق الأكبر الديمقراطى للعالم أجمع . كانت أمريكا تهتم بصفة خاصة بالشرق الأوسط بسبب البترول وإسرائيل وبسبب أطماع موسكو بهذه الدول المكتظة بالفلاحين المقهورين والثروات المركزة مع قلة قليلة كأرض خصبة للثروات .

ولكى يبدو فاروق ملكًا ملائمًا كان داقًا مع الشيوعيين تمامًا مثلما يتعامل الحشد الأمريكى فى بوربا مع الجزهس إن كراهية فاروق للشيوعية كانت فى مثل كراهية جى - إد جار هوفر أو جوزيف مكارثى . لم يكن يريد أن تكون هناك سفارة للروس فى مصر ولكن أجبره على ذلك سير ميلز لامبسون . قال السفير البريطانى « للولد » « يا إلهى إن الروس حلفاؤنا » . كان فاروق متأكدًا أن الروس يمولون ويثيرون جماعة الإخوان المسلمين ليدخلوا الثورة تحت ستار الدين وكانوا الملهم الرئيسى لأحداث يوم السبت الأسود .

بهذه الجموع الهائلة من الفلاحين المقهورين بالجوع ، والفروق الشاسعة فى توزيع الثروة ، كانت مصر أرضًا خصبة للشيوعية . لكن هذه البلد لم تكن تميل إلى الثورة . كان فاروق يفهم هذه البلد التى يحكمها ، بلد عندها ولاء ، آمنة ، راضية ، أكثر من أى دولة أخرى فى العالم فقد كان لديه خمسة آلاف عام من الطاعة العمياء لهؤلاء الناس . إن رعية فاروق هم أحفاد الجموع الغفيرة التى عبدت فرعون بصفته إلهًا ، لقد بنوا الأهرامات والكرنك والأقصر ووادى الملوك فى ظروف قاسية تقصم الظهر . كان هو ملكهم وكان هو القانون . إن تراكمات أقدم التقاليد الملكية فى العالم تركزت فى شخصية فاروق لمصر وكذلك للشرق الأوسط ، حصن ضد ثورة الجموع الشيوعية .

كان السفير الأمريكى الجديد فى مصر جيفرسون كافرى عميد السلك الدبلوماسى . سبق له أن رأس سفارات فى ريو ، وباريس . كان كافرى من لويزيانا إنه ارستقراطى متشدق بالقصور من المزارع الجنوبية الأمريكية . وقد ظن فاروق أنه لن يشعر بالغربة وهو فى دلتا النهر وسط حقول القطن التى تماثل دلتا المسيسبى كان كافرى يمتلك الزنوج السود وكان فاروق يمتلك الفلاحين . لقد كانا رفيقين فى طريق

واحد . من ذا الذى سيسانده الأمريكيون ، إن لم يساندوا فاروق ؟

الطلبة الثوار الذين قاموا بحرق القاهرة يوم السبت الأسود كانوا متأثرين بشدة بالشيوعيين . القواد السياسيون المتعددون – هؤلاء الذين لم يفلتوا من الموجة الجارفة للاغتيالات ، خلال السنوات القليلة الماضية تمزقوا بعنف وكان معظمهم متهمًا بالفساد بصورة أو أخرى . أخيرًا كان هناك الثوار الأحرار . كانت تلك خلية صغيرة متطرفة داخل الجيش المصرى لم يستطيعوا أن يتخلصوا من مرارة الإذلال لهزيمتهم فى عام ١٩٤٨ مع إسرائيل وكانوا يتهمون الملك فاروق بأنه سبب هزيمتهم ، مدعين أنه استغل حالة الحرب وباعهم بالأسلحة الفاسدة مؤديًا إلى هزيمة المصريين لآخر طلقة معهم . لقد وصلت أيدى الانجليز إلى سيناء وكان ذلك صحيحًا حيث إن عميل مشتريات القصر ، ومستورد الأقلام الحبر ، جمع كميات هائلة من الأسلحة الإيطالية المستخدمة فى الحرب العالمية الثانية التى كانت لا تؤدى مهمتها فى ظروف الحرب ، كان لتلك الأسلحة دور فى هزيمة مصر العسكرية . لقد أصبح هذا العميل من الأثرياء ، ولكن لا يوجد أى دليل على أن فاروق حقق أى مكسب من وراء خسارة مصر ، لكن الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر وأنور السادات اللذين تقابلا كتلميذين مبتدئين بالكلية الحربية الملكية ، استغلا فاروق ككبش الفداء المتسبب فى هذه الجريمة .

لم يكن فاروق مهتمًا بهذه الحشرات الضئيلة حيث كان يدرك أن تعاطفهم مع النازيين أثناء الحرب كان سيقلب عليهم البريطانيين والأمريكيين فى الوقت المناسب . فالمثل العربى القديم يقول « عدو عدوى هو صديقى » لم يكن ذلك المثل مناسبًا لهؤلاء الضباط المعادين للبريطانيين والذين كانوا فى صف النازيين سابقًا . سجن البريطانيون السادات لمدة ثلاث سنوات أثناء الحرب لدوره كعميل نازى وساعد عبد الناصر عائلة السادات بينما كان زميله وراء القضبان . الناصح الرئيسى لناصر والسادات كان منحازًا للنازية علنًا ، وهو الجنرال عزيز المصرى الذى رافق فاروق الصغير فى انجلترا كمدرس عسكرى وأقاله والد فاروق عندما قدم تقريرًا بأن فاروق

كان لا يحضر إلى المدرسة بل يتلقى دروسًا خاصة فى مجال آخر ، هو الدعارة والرذيلة . فى وقت الحرب كان المصرى رئيس أركان الحرب وكان يبلغ الأسرار العسكرية البريطانية إلى الألمان ويخطط للانضمام إلى برلين . كان السادات الرأس المدبر لطيران المصرى إلى ريتش ولكن طائرة الجنرال الخائن سقطت وقضى باقى مدة الحرب فى المستشفيات والسجون . بعد الحرب عندما اصبحت روسيا عدوا لإنجلترا بدلًا من الألمان ، وحيث إن بريطانيا كانت عدوًا لناصر والسادات ، غير الضباط الأحرار اتجاههم ووزعوا المنشورات الشيوعية فى أرجاء البلاد . لم يكن فاروق قديسًا ولم يكن رجل دولة محنكًا فى مرتبة تشرشل أو روزفلت ولكنه كان صغيرًا جدًا والأحداث تتقدم بسرعة مذهلة وكان يعتقد أن تلك الأحداث أقل الشرور الممكنة فى هذا العالم غير الكامل الذى يحكمه .

لذلك أراح فاروق نفسه وأخذ يستمتع برائحة الياسمين والزهور والنسمة الرقيقة التى تهب من البحر الأبيض المتوسط . كان يداعب ابنه الصغير كثيرًا وكان يداعب بناته الثلاث بصورة أقل . وكان متزوجًا فى الماضى من الملكة الرائعة ، السابقة فريدة ولكنه لم يكن يهتم بملاطفتهم مثلما كان مع ابنه الولد . لقد تزوج من الملكة فريدة تمامًا مثل الملكة ناريمان وعمرها ستة عشر عامًا . لكن فريدة كانت مختلفة عن ناريمان حيث كانت رشيقة ، جميلة ومن النوعية الارستقراطية ، كانت مثقفة وبصفة عامة ملكة بمعنى الكلمة . فى عام ١٩٤٨ بكت مصر بأكملها عندما طلق فاروق فريدة ورمى عليها يمين الطلاق « انت طالق ، طالق ، طالق » طبقًا للشريعة الإسلامية .

لم يدرك إلا عدد قليل من الأشخاص كيف استطاع فاروق التحول من رومانسية فارس الأحلام الأسطورى إلى العدد اللانهائى من العلاقات البهيمية من الخليلات ، نساء بكل ألوان الطيف ، أميرات وكاتبات ونجمات سيتما وراقصات شرقيات وفتيات استعراض ، حتى فتيات الليل . لم يستطع كذلك أحد فهم السبب ، ما الذى جعل فاروق رغم تورطه مع كل هؤلاء النساء أن يختار فتاة قصيرة بدينة قابلها فى محل الصائغ الملكى بينما كانت هى وخطيبها يختاران خاتم زواجهما . لقد كان اهتمام فاروق بناريمان ،

التى قرر أن يجعلها بورجوازية تماما ، كأنه يكسب ورقة يانصيب ، هل كان فاروق مقدمًا على الزواج منها ليثبت ميله إلى اللمسة الشعبية ؟ هل كان يريد أن يتقرب للجموع الشعبية ، أم كان يلعب دور بجماليون ؟ قبل الزواج أرسل ناريمان إلى روما لمدة عام لتتعلم كيفية التصرف كملكة ، وكى تتثقف وتتقن اللغات والإتيكيت حتى يعيد صبها فى قالب ملكى . ربما وقع فاروق فى حبها فعلًا . لقد أعطته ناريمان الشىء الوحيد الذى لم تستطع فريدة تحقيقه ، وريث العرش الذكر ليؤكد استمرار حكم سلالته .

توالت الأحداث ، لقد أصبح فاروق للمرة الأولى فى حياته رب أسرة . فى المنتزه جمع ناريمان وأطفاله لنزهة للسباحة على شاطىء سيدى بشر ولرحلات صيد على اليخت الخاص به ، وعروض لأحدث الأفلام التى حصل عليها من هوليود . الممثلة سيسيل بى روميل فى فيلم « أعظم استعراض فى العالم » و فيلم « الظهيرة » حيث أعجب فاروق بالممثلة الشابة جريس كيللى .

لكن فاروق استمر فى حالة الأرق الدائمة . فى بعض الأحيان بعد أن ينام كل من بالقصر كان يوقظ صديقه المفضل ، وأكثر رجل يثق فيه ، انتونيو بولى الإيطالى الكهربائى السابق بقصر عابدين الذى كان يصلح قطارات فاروق اللعبة « عندما كان طفلًا » ، كانا حينئذ يستقلان إحدى السيارات ، حيث كان يمتلك فاروق أكثر من مائتى سيارة ، ويقودان بأقصى سرعة . فى يوليو هذا الصيف كان فاروق يعشق ركوب السيارات الكاديلاك . كان ينزل إلى الجراج الملكى ويختار إحدى سياراته الكاديلاك الحمراء ويسرع على الكورنيش إلى مدينة الأسكندرية ، لقد أصدر فاروق قانونًا بأن تمنع العربات الحمراء من السير فى الشوارع إلا تلك الخاصة بالقصر حتى لا تحدث العربات الحمراء الأخرى أى بلبلة مع البوليس وحتى لا يعترضوا هذه العربات الحمراء المرتفعة السعر .

لأول مرة فى حياته المدللة أصبح يعمل حسابًا لأفعاله وكان يحاول أن يحترم أسلوب حياته ليلًا والشريعة الإسلامية تقول : « الحلال بين والحرام بين » . البداية

كان الالتزام بنظام غذائى . أثناء هذه الشهور استورد حمولات طائرات من الجمبرى من الدنمارك والتزم بنظام غذائى من الأسماك ذات الصدفتين حيث كان هذا النظام يمده بالبروتين الخالى من الدهون ولكن مع إضافة كميات هائلة من المحار الشهى ليستكمل وجبته . كان من الممكن أن يتناول اثنتى عشرة بيضة فى وجبة الإفطار ولكنه كان يأكلها مسلوقة لا محمرة وبدلًا من تناول الكرواسان بالزبد كان يتناول شرائح الخبز الجافة . حماماته الرخامية التى كانت فى حجم صالات الجيمانزيوم المشهورة بالأدشاش المتعددة الرءوس وبانيوهات من العصر القديم مزينه بتماثيل النوبيات العاريات التى أضافت بابًا كاملًا فى كتاب « كاما سترا » تم تركيب الأحزمة المتذبذبة للتخسيس فى هذه الحمامات وآلات تخسيس متعددة . كل صباح كان خدم فاروق ، الرجال النوبيون والسودانيون وخادمات الليل الشراكسة يدلكون بعنف جسمه ليتخلص من الشحم الزائد ويدلكون فروة رأسه بأعشاب يرجع تاريخها إلى العصر الفرعونى ليضيف خصلات الشعر إلى رأسه .

بينما هو فى محاولاته لتحسين مظهره كان فاروق أيضًا يستخدم رأسه على الأقل فى الأمور التى تهمه . تخلص من سيطرة والدته الملكة نازلى التى جعلته يرتدى ملابس الفتيات عندما كان ولدًا صغيرًا وعزلته فى الحرملك بدون أى صديق ذكر حتى أرسله والده إلى المدرسة الحربية بانجلترا عندما بلغ من العمر الخامسة عشرة لقد فعلت كل ما بوسعها لتجعله بلا إرادة ومعتمدًا عليها بصفة دائمة . اختارت الملكة نازلى فريدة كزوجة لفاروق حيث شعرت أنها يمكن أن تتحكم فيها ولكنها لم تستطع تحقيق ذلك ، حتى فاروق نفسه لم يستطع أن يفرض رأيه عليها . كانت لفريدة علاقات غرامية مع رجال آخرين ، بالنسبة للمصريين كانت علاقة الملك بامرأة أخرى لا تؤلم الملكة مثلما تؤثر علاقة الملكة مع رجل آخر على زوجها الملك . لقد كانت زوجة فاروق تخونه[1] . وكذلك والدته حيث كانت لها علاقاتها الغرامية مع مدرس فروق الخاص : أحمد محمد حسنين وهو رجل وقور وعسكرى ومكتشف .

(١) نختلف مع المؤلف فى هذه المعلومة (الناشر) .

عبث الملكة نازلي لم ينته مع حسنين لقد بدأت علاقة أخرى مع ضابط دبلوماسي صغير أنيق قبطي اسمه رياض غالي وزوجته لابنتها ، شقيقة فاروق الصغرى في فندق فيرمونت بسان فرانسيسكو وانتقلت الأسرة بالكامل لتعيش في بيفرلي هيلز وتحولت الأم والابنة من الديانة الإسلامية إلى الديانة الكاثوليكية لقد صدم فاروق بهذا الخداع والتدنيس ، وتبرأ من هاتين السيدتين والدته وشقيقته وصادر أراضيهما الشاسعة وحرم عليهما دخول مصر إلى الأبد . لكن فاروق لم يكن متناسيًا للعلاقات الأسرية الأخرى لقد أنقذ شقيقته الكبرى وأجملهن على الإطلاق ، الأميرة فوزية ، التي كانت تحيا حياة غير موفقة بزواجها من شاة إيران ، ودبر طلاقها من الشاة وأعادها إلى مصر وساعدها في بدء علاقة جديدة مع ضابط مسلم جريء وقد عينه فاروق وزيرًا للحربية .

الاحتفاظ باستقرار حكومته كان أصعب كثيرًا من الاحتفاظ باستقرار عائلته . في الستة الأشهر التي تلت يوم السبت الأسود غير فاروق الوزارة ورؤساء الوزارة أربع مرات واستقر أخيرًا على صديقه المليونير رجل الصناعة ورجل الدولة حسين سرى وفوضه لإجراء الإصلاحات الديمقراطية التي تؤدى إلى خفض أسعار المعيشة المتزايدة بصفة مستمرة ، وتحسين حال الفلاحين المعدومين وبالتالي الحد من حدة الجوع وعدم الرضا التي جعلتهم فريسة سهلة للشيوعيين وللقوى المحركة الأخرى . أصبحت إسرائيل مشكلة أخرى يجب حلها وكان فاروق قد تعرى بسبب هذه المشكلة . بعض أصدقائه المقربين في حلقات القمار كانوا يهودًا وكذلك كانت خليلاته المفضلات من اليهوديات . كان اليهود ضمن أعمدة مصر الاقتصادية وكان أكثرهم أسودًا اجتماعيين كذلك ، كانت وصيفة الملكة نازلي الرئيسية يهودية كما كان كذلك عدد كبير من تجار القطن وأصحاب المصانع الذين كونوا طبقة الباشوات .

من جهة أخرى استطاع فاروق في عام ١٩٤٦ أن يضم مصر إلى التحالف العربي الذي كان مكرسًا لاسترجاع فلسطين كدولة عربية . كان هذا التحالف غريبًا حيث

لم تكن مصر دولة عربية كتلك الدول الواقعة شرق القناة مثل سوريا أو اليمن أو العراق . حتى أجداد فاروق لم يكونوا عربًا على الإطلاق فقد كانت عائلة والده خليطًا يونانيًا تركيًا ألبانيًا ووالدته فرنسية مصرية كانت مصر دولة غنية ، دولة أوروبية عالمية ولم تمتلك الدول العربية الأخرى أيًا من هذه المميزات كل ما كان مشتركًا بينهم هو اللغة والدين . على الرغم من ذلك كله بسبب سيطرة مصر من الناحية الدولية ، ومن أجل حضارتها ، كانت فى مقدمة هذا التحالف وعقدت اجتماعهم فى قصر عظيم بالقاهرة وبذلك استطاع فاروق أن ينتزع لنفسه إمبراطورية كاملة واستطاع أن يحتفظ كذلك بمكانته الدولية . كانت المصيدة الوحيدة فى هذا الاتفاق العربى أنه سيصبح البطل الحربى لهذا التحالف العربى ضد إسرائيل . هذا الدور الذى انقلب عليه فى عام ١٩٤٨ . الآن فى عام ١٩٥٢ توسل فاروق أن يمنحوه الفرصة لتأجيل موضوع إسرائيل حتى يستطيع أن يعيد ترتيب بيته . لكنه لم يعد يستطيع أن يعيد النظام والاستقرار لدولته طالما استمرت حالة عدم الاتزان المشوش من الشيوعيين ، النازيين ، القوميين ، والمناهضين للملكية من الاخوان المسلمين والصهيونيين والبريطانيين والامريكيين .

اعتقد فاروق عدم وجود أى خطر على عرشه ، فقد كان لمفهوم الملكية فى مصر جذور عميقة ولا يمكن أن يتصور مصر بدون ملك يحكمها .

فى العصر الفرعونى كانوا يعتبرون فرعون إلهًا وكانوا يشيرون إليه ، الإله العظيم ، سواء كان هذا الملك محبوبًا أو مكروهًا لم يكن ذلك له أى اهمية إطلاقًا الآلهة هم الآلهة موضوع لا يمكن أن يناقش والعصور التى تلت العصر الفرعونى ، من البابلية الآشورية ، والمقدونية والبطلمية احتفظت بنفس العادات لتأليه الحاكم ولكن عندما فتح المسلمون البلاد فى القرن السابع بعد الميلاد اختفت فكرة اعتبار الملك إلهًا كان فاروق يعتمد على تحصين نفسه بالتقاليد التى تعظم الملك حتى درجة العبادة .

كانت هناك مجموعتان فقط بالدولة ليس لديهما هذا الارتباط الأعمى بالتقاليد المتوارثة تمامًا مثل التى تشبه الأحجار الثابتة ، الهرم وأبى الهول ، إحدى هاتين المجموعتين كانت جماعة « الضباط الأحرار » من ناصر والسادات حيث لم يتأثروا بهذه التقاليد البالية المجموعة والمجموعة الأخرى كانت سى . آى ، ايه .الامريكية منذ مولد هذه الدولة ، أمريكا ، لم يؤيد الأمريكيون الملكية إطلاقًا . فى نظرهم كان الملوك مستبدين ويجب القيام بالثورات الديمقراطية ضدهم ، كان الامريكيون ينظرون إليهم دائما بحذر وترقب ومع تدهور الإمبراطورية البريطانية بسبب سياسة ترومان ، كانت أمريكا بالطبع مهتمة وشغوفة بالأحداث المتعددة التى تدور على مسرح الشرق الأوسط وكانت تأمل فى التحكم فيها . كيف للمنطق الأمريكى أن يسود فى هذه الظروف البعيدة تمامًا عن أى منطق .

دخلت سى . آى إيه . من خلال شخصية حفيد تدى روزفلت ، الذى يدعى كيرميت الذى كان هدفه الرئيسى أن يعصف بالأهرامات كما فعل جده العظيم بجبل سانت جوان . لقد أيد روزفلت الملك فاروق فى فترة تدهوره الشديدة اثناء الحرب العالمية الثانية حيث كان السفير البريطانى يضربه بالسوط للخضوع للأوامر البريطانية . لقد أخذ روزفلت يطمئن فاروق عن الأيام المقبلة فيما بعد الحرب عندما ينسحب البريطانيون ويحكم فاروق دولة حرة . عندما عاد روزفلت إلى القاهرة فى أوائل عام ١٩٥٢ كرجل سى . آى . إيه . رتب فاروق استقبالًا حافلًا لهذا الفرد المنتمى إلى عائلة أمريكية ملكية . لكن الآن غير روزفلت اتجاهه فكان يريد أن يحتفظ بسلامة الشرق الأوسط ويجعله أرضًا خصبة لتطبيق الديمقراطية الامريكية ليؤكد تدفق البترول الحيوى للاقتصاد الامريكى .

بخصوص البترول كان روزفلت وسى . آى . إيه . لديهم بعد نظر لنقص كميات البترول المتوقعة فى السبعينات . لم يكن يريد أن يتحكم الروس فى هذه الأراضى الصحراوية حيث كانوا هم أيضًا فى حاجة إلى بترول الشرق الأوسط . لم تكن أمريكا تريد السيطرة ولكنها كانت تريد أن تصل إلى درجة من التوافق مع الدول العربية .

وحيث إن مصر أعظمهم حضارة وأرفعهم مكانة فقد كانت الهدف الأمريكى الرئيسى .

بالنسبة لفاروق لم يستطع روزفلت وسى . آى . إيه . أن يقدروا درجة المرونة التى يمكن أن يكون عليها هذا الملك الصغير . كان روزفلت يهمس فى أذن فاروق وكان الملك يوافق بعظمة ورضا ثم يخرج لحاله ويفعل ما يشاء مخالفًا تمامًا توصيات روزفلت الحكيمة . لم يكن فاروق يريد أن يكون روزفلت تكرارًا لميلز لامبسون ولكن الملك كان مهذبًا جدًا ولا يستطيع الرفض ، ولكنه كان مستقلًا بذاته ، مغرورًا جدًا بمكانته فلا يستطيع الموافقة لقد كانت لعبة تغيير رؤساء الوزارة مثل الشطرنج لأربع مرات متتالية مثيرة لسخط روزفلت الذى كان يهدف إلى الاستقرار ورأى استحالة تحقيق ذلك مع فاروق .

ولقد سخط روزفلت كذلك على رفض فاروق للإستغناء عن مستشارى المطبخ الخاصين به . بعض المصريين الوصوليين أغلبهم من غير المسلمين ولم يكونوا ممثلين عن الدولة أو عن طموح كيرميت روزفلت لهذه الدولة . كان قائد هذه الدائرة الداخلية كهربائي إيطالي « انتونيوبولي » كان معروفًا باسم طائر « اللقلاق » فقد كان يستطيع النوم وهو واقف على قدم واحدة مع أرق فاروق الدائم . كان بولى يغمض عينًا واحدة فى أى وقت وأى مكان . وكان فاروق كذلك يثق فى إيطالى آخر بيترو ديلا فال حلاق الملك . كان مستشار فاروق الاقتصادى الرئيسى إلياس إندراوس وهو رجل يوناني متورط بعنف في سرقة الأراضي والمستشارالملكي للمشتريات (سلع وليس نساء) كان لبنانيًا ادمون جالهان مستورد الأقلام الحبر والمتهم فى مهزلة الاسلحة الفاسدة فى الحرب مع إسرائيل « الجنس القذر » . أكثر الرجال المكروهين من الصحافة كان عضوًا بها ، كريم ثابت لبناني له ملامح كاذيمودو ودهاء مكيافيللى ، ابن مالك الجريدة المصرية اليومية « المقطم » . فاز ثابت بمنصب وزير المخابرات الملكى بعد أنشودة الشكر والمديح المطبوعة فى جريدته عن الملك فاروق ولكن ثابت كان يحصل على معلومات اكثر بكثير مما يعطيها لفاروق وقد استغل ذلك

وكسب من وراء بيع هذه المعلومات مكاسب باهظة . من وجهة نظر روزفلت كان الأمر كله منتهيًا ولكن فاروق كان له ولاء لأصدقائه وكان يغض البصر عن أخطائهم وفى النهاية أدى غضب روزفلت إلى قذفه تحت رحمة الضباط الأحرار .

وعلى الرغم من أن عدم رضا الضباط الأحرار كان ناتجًا عن هزيمة مصر المهينة فى عام ١٩٤٨ من تلك الدولة الضعيفة التى تدعى إسرائيل وكان ذلك سببًا رئيسيًا فى استيائهم إلا أن هذه الموجة من عدم الرضا بدأت فعلًا منذ عام ١٩٢٩ حيث كان الملك فؤاد يحول جيشه إلى الأسلوب الغربى وقرر إرسال ضباطه إلى انجلترا للحصول على التدريبات المتطورة ولسوء الحظ مثلما رفضت كليه إتون فاروق لعدم كفاءته الاكاديمية فقد رفضت كذلك « الارشوت » ضباط فؤاد حيث أنهم دون المستوى الدراسى اللائق .

فقد كان أغلب هؤلاء الضباط غير مثقفين فقط غير أميين ومنذ عام ١٩٢٩ جند الجيش المصرى خريجى الجامعات لفرق الضباط كما فتحت أبواب الكلية الحربية الملكية إلى الفلاحين الأذكياء مثل السادات (حيث كان والد السادات فلاحًا) وإلى أفراد الطبقة الوسطى مثل ناصر (حيث كان والده ساعى بريد) وبينما ظهرت هذه الأنواع الميروقراطية (العصاميون) بين صفوف الجيش اكتشفوا أن فرص الترقى محدودة أمامهم حيث إن المناصب العليا كانت محصورة على هؤلاء الحراس القدامى قليلى التعليم الذين رفضوا هذه المجموعة الجديدة من الضباط وحددوا ترقياتهم .

وتجسد استياء الضباط الأحرار فى شخص رئيس القوات المسلحة لفاروق الفريق حيدر باشا وكان مشهورًا باسم « السجان » وذلك لأنه كان يعد للجيش الإعدادات اللازمة ليس بالكلية الحربية الملكية ولكن بإنشاء سجن جديد للقوات المسلحة على الحدود . لقد أجبر حيدر وكثير من الضباط القدامى المكروهين إلى الاستقالة فى سلسلة متتالية منذ بداية عام ١٩٥٠ لتهدئة شعور الاستياء العام الناتج عن هزيمة ١٩٤٨ وأسعد ذلك الضباط الشبان كثيرًا . ولكن هذا الوضع لم يدم طويلًا حيث إن فاروق الشديد الولاء لهؤلاء أعادهم إلى مناصبهم مرة أخرى . اعترض الضباط الأحرار على

هذا الوضع ووثقوا فى رجلهم ، بطل الحرب ، الرمادى الشعر ، الذى يدخن الغليون ، وعمره أكثر من أربعين عامًا اللواء محمد نجيب ضد اللواء « سرى عامر » التابع لحيدر وكان ذلك التحدى فى انتخابات رئيس نادى ضباط القاهرة عام ١٩٥٢ .

طبع الضباط الأحرار المنشورات ووزعوها فى أنحاء البلاد « لا » لفاروق . كانت الانتخابات صغيرة ولكنها ترمز إلى ثورة الشعب ضد القصر وكانت المفاجأة المذهلة فوز نجيب فى هذه الانتخابات بالأغلبية العظمى . ألغى فاروق هذه الانتخابات حيث حدثت مجموعة اغتيالات بقيادة ناصر أطلقوا أربعة عشر طلقة على اللواء سرى عامر ليلة الانتخابات ولكنهم لم يصيبوا الهدف . اعتبر فاروق أن الاجراءات التى تمت ليست منافسة شريفة أو عملية ديمقراطية ولكنه اعتبرها انتصارًا للإرهاب ولذلك أعلن أن الانتخابات لاغية .

الآن قويت هذه الدعامات لقد أصبح الضباط الأحرار ، أحرارًا أكثر من اللازم بدأوا بالمنشورات ثم بالرصاص . اجتمع فاروق بمستشاريه فى أماكنه المفضلة بالمنتزه ليناقش كيف يبطل مفعول هذه القنبلة الزمنية . لم يكن الملك يشعر بأهمية الموضوع لقد شعر بإمكانية تأجيل هذا الموضوع حتى اكتوبر ليحدد الخطة اللازمة . لم يكن هناك من يعمل فى الصيف فى مصر وخصوصًا لبدء ثورة . لقد كان المناخ حارًا جدًا للإقدام على ذلك .

كان خطأ فاروق القاتل هو سوء تقديره لتحمل الفلاحين للحرارة الشديدة . لقد كان ناصر والسادات يغليان من شدة الحرارة فى ثكناتهما بالقاهرة وكانا يستمعان مرارًا إلى أغنية شهرزاد لريمسكى كورساكوف التى أصبحت لحنهما الرئيسى ولعلهما كانا فى وضع أقرب لجنون الاضطهاد فقد كانا مقتنعين أن فاروق سيقوم باغتيالهما فورًا وقد قررا أن ينالا منه أولًا ولكن كيف ؟ كان هو الملك وكان يتحكم فى جيش مصر بأكمله ولم يتعد مجموعة الضباط الأحرار ثلثمائة ضابط بينما كان المكتب التنفيذى والعقل المدبر لا يتعدى الأربعة عشر لم يكن المؤلف ريمسكى كورساكوف كافيًا لإقدامهم على هذه المهمة . قد يكون واجنر الموسيقى ووعاء من الكوكايين

أكثر ملاءمة للقيام بهذه المهمة المجنونة الميئوس منها . »

كان أمل الضباط الأحرار الوحيد هو وعد الأمريكيين لهم بالمساعدة . عقد كيرميت روزفلت اجتماعات سرية لكثير من رجال ناصر والسادات ، والمتعاطفين مع النازيين ، والذين يتغنون بالشيوعية غير المحتملين ، لقد كان روزفلت يحبهم ونقل إحساسه لوزير الخارجية ترومان ، الذى كان فى هذا الحين دين اتشيسون . كان هؤلاء رجالًا عسكريين وشبانًا متعلمين يمكن أن تتحكم فيهم أمريكا وقد نقل روزفلت هذه الصورة لرئيسه . بالنسبة لتحليل روزفلت كان يشعر بأن مرتبة إسرائيل بالنسبة لترتيب كشف المكروهين عند عبد الناصر والسادات كانت في المؤخرة بعد فاروق والجنرالات القدماء والطبقة الثرية الحاكمة الغير المصرية والبريطانيين . إذا استطاعت أمريكًا إخضاع الضباط الأحرار لسياستها فإنها يمكن أن تستمر فى سياسة الشرق الأوسط فى وجود إسرائيل دون أى اعتراض من القاهرة . وفى عام ١٩٥٢ ناصر الذى أصبح فيما بعد قائدًا للعالم العربى لم يكن عربيًا على الإطلاق لم يزر دولة عربية واحدة لم يكن موضوع فلسطين له أية أهمية عند الضباط الأحرار ولكن ما كان يهم هو سبب خسارتهم لهذه المعركة وكان فاروق وليس إسرائيل هو الهدف لعدائهم لم يقدم روزفلت للضباط الأحرار الدبابات والطائرات النفاثة والمدافع النووية كل ما وعد به هو عدم التدخل الأمريكى لصالح فاروق فى حالة نجاح حلمهم الخيالى الانقلاب العسكرى ، لن تدخل أمريكا فى هذا النزاع لإنقاذ الملك لم يكن هذا عرضًا عظيمًا ولكنه كان ضروريًا لضمان بعض الشرعية لهذه المغامرة غير المضمونة النتائج .

بالطبع لم يكن لفاروق أية فكرة عن اشتراك أمريكا العملى فى هذه الجريمة . لم يكن يتصور ذلك . ليست هذه تصرفات لائقة بدولة . هذا مجرد مزاج شخصى . لم يستطع فاروق تقدير الذوق الأمريكى ، هذه العقلية التى انعكست تصرفاتها فى حملات الدعاية لفندق هوليداى « أفضل المفاجآت عدم وجود أى مفاجأة » .

فى ٢٠ يوليو ذهب فاروق لإحدى سهرات القمار من المنتزه إلى نادى السيارات الملكى . هناك استدعى أثناء اللعب من أجل مكالمة تليفونية هامة من

رئيس الوزراء حسين سرى . كان لفاروق جواسيس فى كل موقع لقد توصلوا إلى مكيدة الضباط الأحرار أبلغ سرى فاروق أن هناك محاولة لانقلاب على وشك الحدوث ، وعرض على الملك اختيارين أولهما أن يختار رجل الدولة الأكبر سنًا من الضباط الأحرار اللواء محمد نجيب ويعينه وزيرًا للحربية والبديل الآخر أن يقبض على محمد نجيب مع باقى الضباط الأحرار المتآمرين .

مع صوت دوران عجلات الروليت فى الخلفية ومع رهان أثرياء الأسكندرية الأوروبيين بصوت مزعج طلب فاروق من رئيس الوزراء أن يسرد له أسماء أعدائه . فى نهاية القائمة ضحك ببساطة شديدة ، إنهم مجموعة من القواد ، لم يعط لهذا الموضوع أى أهمية ورجع إلى لعب القمار مرة أخرى وفى صباح اليوم التالى أقال رئيس الوزراء سرى وعين وزيرًا جديدًا للحربية ، الرجل الشاب الذى زوجه لشقيقته فوزية بدلًا من زوجها السابق شاه إيران ، كان ذلك الشاب الكولونيل إسماعيل شيرين المعروف باسم « الفتى الجميل » لم يكن لديه أى سجلات لخدمات مميزة إلا كونه زوج شقيقته بعد ذلك ذهب فاروق للاستجمام على الشاطىء والسباحة . هذه الحياة الجميلة بالأسكندرية جعلت فاروق يشعر فى قرارة نفسه بالراحة التامة وبقدرته الفائقة .

وصلت أخبار تعيين شيرين البالغ من العمر ٣٢ عامًا عبد الناصر يوم ٢٢ يوليو وثارت ثورته إيمانًا بأن عملية التطهير ستتحقق من هذه الخلية الثورية الصغيرة . أعلن ناصر أن الوقت قد حان للقيام بهذه الثورة وإلا لن تحدث للأبد . اجتمع ثمانية من الضباط الأحرار ووضعوا الخطة الأخيرة للهجوم . أول خطوة كانت السيطرة على مركز القيادة لرئيس أركان حرب القوات المصرية أثناء النوم الساعة الواحدة صباح اليوم التالى والخطوة الثانية هى القبض على فاروق فى موقعه الموجود على بعد ١٢٥ ميلًا بالأسكندرية واتفقوا على كلمة السر « نصر » وكان شعارهم « التصميم والإقدام » ولقد قرروا الثقة فى تسعين فقط من الضباط الأحرار للقيام بهذه الثورة .

ناصر المصمم الأول لأسلوب قيام الثورة كانت له وجهة نظر واحدة فيمن يثق فيهم وهى « الرزانة » هؤلاء الذين لا يقربون الخمر فقد يمكن أن يشاركوا فى هذه العملية التى تمنى أن تكون ثورة عظيمة .

مع انتشار جواسيس فاروق فى كل مكان استنتجوا أن تليفوناتهم قطعًا مراقبة . وزع الضباط الثمانية المشاركون فى هذه الثورة هذه المهمة على أنفسهم بحيث قام كل منهم بالاتصال الشخصى المباشر بالآخرين وأمروهم بعدم إبلاغ هذا الأمر لأى أحد وخاصة زوجاتهم .

ما تبع ذلك كان سلسلة من كوميديا الرعب مثل (كيستون كوبس) ذهب ناصر مباشرة إلى منزل السادات ليبلغه بالمهمة المخولة إليه وهى قطع جميع وسائل الاتصال فى مقر القيادة المستهدف ولكن لم يكن السادات بالمنزل لقد أخذ زوجته وابنته لمشاهدة فيلم سينمائى . ترك ناصر رسالة للسادات وقذفها داخل شقته من أسفل الباب ثم ذهب ناصر إلى منزل ضابط حر آخر كان مسئولًا عن إمدادات الأسلحة وكان هو الآخر بالسينما ، قام رجل بوليس يركب موتوسيكلًا بالقبض على ناصر وأشار إليه بالتوجه إلى الضابط . كان ناصر يستقل حينئذ سيارته الأوستن السوداء وظن أن جواسيس فاروق كانوا وراءه ، لكن اتضح أن ما يهم ضابط البوليس ليس مستقبل مصر . لقد كانت المشكلة أن إحدى لمبات فرامل سيارته كانت معطلة ووعد ناصر بإصلاحها وقاد سيارته إلى ساعة الصفر .

الساعة السابعة مساء هذا اليوم ابلغ جواسيس فاروق الملك بالانقلاب المدبر . الساعة التاسعة أمر الملك بالقبض على جميع الضباط الأحرار . اثنان من الضباط الأحرار الذين كانوا بالأسكندرية جاءوا لفاروق وأفشيا سر عبد الناصر وطلبا العفو من الملك . فى القاهرة عقد اجتماعًا الساعة الحادية عشر مساءً لجميع الضباط ذوى الرتب العالية فى مقر القيادة وفى الوقت المقرر لوصول عبد الناصر وأحد الضباط الأحرار إلى مقر القيادة كان الموقع محاطًا بجنود الحراسة من كل جانب يبدو أن الثورة انتهت قبل أن تبدأ .

قاد ناصر سيارته بدون هدف فى ضواحى مصر الجديدة يحاول أن يجد مخرجًا من هذا المأزق حاصرت عبد الناصر ورفاقة فجأة قوة عسكرية من الجيش وظل ناصر ورفاقه تحت تهديد السلاح من ضابط صغير ولكن ظهر كولونيل فى الطريق ابتسم حينئذ ناصر ابتسامة عريضة كان هذا الرجل أحد الضباط الأحرار البارزين الكولونيل يوسف صديق . لقد أخذ صديق قوته العسكرية مسلحين بالكامل وكانوا متجهين إلى مقر القيادة حيث كان يظن أن ساعة الصفر فى الثانية عشرة مساء لو كان وصل هناك الساعة الواحدة كما كان مقررًا لكان الأمر انتهى تمامًا لغير صالحهم ففى الساعة الواحدة كان اللواءات قد انتهوا من اجتماعهم وأرسلوا الكلاب بحثًا عن الضباط الأحرار . قامت الوحدة بمهاجمة مقر القيادة وقتلت حارسين وأصابت اثنين آخرين بجراح وقبضوا على عشرين من لواءات الحراسة القدامى الأكثر قوة . سيطر ناصر ورجاله على لوحة الاتصالات وأمروا ضباط أركان الحرب ، وقائدى الفصائل بالاتصال بوحداتهم وتعريفهم بأنهم مقبوض عليهم أصدر الضباط الأحرار أوامرهم . والجنود المصريون المدربون جيدًا على الطاعة العمياء نفذوا الأوامر التى صدرت لهم من رؤسائهم . بناء على أوامر ناصر الساعة الواحدة والنصف صباح يوم ٢٣ يوليو كان ناصر يجلس على مكتب رئيس أركان الحرب يدخن سيجارة كبيرة فى صحة الملك فاروق ، القاهرة التى تتصبب عرقًا ، إن القاهرة النائمة كلها صارت ملكًا له .

الساعة الرابعة والنصف من صباح ذلك اليوم كانت شقيقة فاروق الصغرى فايزة المشهورة بحفلاتها على ظهر يخت عائم فى ميناء الاسكندرية فى إحدى حفلاتها التى كانت تستمر دائمًا لعدة أيام . ذات مرة رأى أحدهم ضيوفها يلبسون ملابس جنود نابليون ويركبون على ظهر الخيول ويمثلون معركة الأهرام بمنطقة الأهرام حيث تم تصوير هذا الفليم سينمائيًا . من ضمن رفاق فايزة على اليخت كان الأمريكى روبرت سيمبسون ، السكرتير الشخصى الشاب للسفير جيرفرسون كافرى . كانت ساعة متأخرة من الليل ولكن كان الميناء مملوءًا بالسفن الحربية تلقى بأبخرتها فى الهواء . كان تفكيرهم غريبًا والأغرب من ذلك أن جميع الأضواء فى المنتزه كانت

مضاءة ليس فقط الأضواء فى جناح الملك فاروق الرئيسى . أما فايزة وسيمبسون فقد تم إنقاذهما فى أشد الظروف غير اللائقة وطلبا على التوالى الملك والسفير . كانت مصر تحت الحصار لم يتعجب كافرى بالطبع ولكنها كانت مفاجأة لفاروق عندما أبلغه خادمه الخاص عن تحركات عسكرية غير طبيعية فى القاهرة . اعتبر الملك هذا التقرير بلا أهمية ولكن الآن ، فى وسط الليل ، هذا الوقت الذى كان غالبًا مخصصًا للعب القمار أو ممارسة الرزيلة على سطح مستشفى المواساة حيث كان فاروق يطلب دولارات أو جنيهات مصرية أو أى شىء يمكن الحصول عليه . اتصل فاروق بكافرى الذى كان هو الآخر يقضى الصيف بالأسكندرية كما اتصل بالسفير البريطانى حيث أخبره بأنه إذا كان يريد أن ينقذه ، وينقذ سلالته ومصر بأكملها ، يجب عليهم أن يستدعوا حشودهم للحفاظ على الأمن وإلا حذرهم بأن مصر ستصبح منطقة نفوذ شيوعى .

لقد وصل الأمريكيون إلى قرارهم ، لن يجدى أى استجداء . اتصل السفير البريطانى برئيس الوزراء ، سير انتونى إيدن فى لندن لأخذ الأوامر منه . تلجلج إيدن فى الحديث . استطاع ملك انجلترا أن يجعل فاروق جنرالا شرفيًا ولكن لا تستطيع أن تمنحه انجلترا فى هذا الوقت أكثر من الألقاب الشرفية . لقد كان الموقف صعبًا على صولجان هذه الجزيرة ، إن انجلترا تستعد الآن للخروج من أفريقيًا . لقد ثبتت نبوءة فاروق لفكاهة أطلقها مرة وهو يلعب القمار كان معه أربعة ملوك فقط ، عندما طلب رفاقه فى اللعب بضجر أن يريهم الملك الرابع قال لهم « أنا الملك الرابع » ثم ضحك بصوت مرتفع وجمع المكسب ثم أضاف أنه فى القريب العاجل لن يبقى سوى خمسة ملوك فى العالم هم ملك التوادى والقلوب والجواهر والمجراف ، (البستونى فى ورق اللعب) وملك انجلترا . إن عصر الملكية يقترب من نهايته ولكن فاروق لم يصدق أن الستار سيسدل بمثل هذه السرعة . بالإضافة إلى أهمية قناة السويس للإنجليز لابد أن لديهم ارتباطات نفسية ومادية بمصر ؟ ألا يوجد أى حساب لرفقة وصداقة الملوك ؟ أين ذهبت الروابط الدراسية القديمة ؟ ليس ذلك لمجموعة

من القردة ، الفلاحين المتخفين فى صورة النازية ، جنود الشيوعية الأوائل . لقد أرسلت انجلترا الدبابات إلى عابدين بسرعة لحماية مصالحها فى عام ١٩٤٢ أين هى الآن ؟ بينما كانت انجلترا مشغولة بتصرفاتها ، حاول فاروق أن يضغط على كافرى ليغير إسلوب التجاهل الأمريكى . فى نفس الوقت ، قدم الضباط الأحرار أول مطالبهم لفاروق ذلك وهو أن يعين على ماهر رئيسًا للوزراء ، وهو رجل دولة قديم له مكانته وتم سجنه من قبل لتعاطفه مع الألمان أثناء الحرب وقد خدم كلًّا من والد فاروق الملك فؤاد وفاروق نفسه فى مناسبات عديدة فى هذا المنصب بالحكومة . فكر فاروق أن الأمر ليس مخيفًا ، كان على ماهر رجل الملك . ربما يفوز المنطق والنبل ، تمنى فاروق ذلك .

« الخطأ » فى انجلترا ، كان رئيس الوزراء إيدن على الخط الساخن مع واشنطن مع الرئيس ترومان ووزير الخارجية اتشيسون . وحيث إن ترومان لم يظهر أيه نوايا لتغيير قراره ومساعدة فاروق ، قرر إيدن أخيرًا أن ضعف انجلترا الحالى يحتم عليهم أن يفعلوا شيئًا من أنفسهم بدلًا من الانسياق للآخرين . فى القاهرة اجتمع الملحق الثقافى البريطانى مع اللواء محمد نجيب وأبلغه الأنباء السعيدة بأن انجلترا لن تعترض على هذا الانقلاب . الآن حيث إنه تمت السيطرة على مركز القيادة وكان الجيش ملكًا لهم فإن الضباط الأحرار حققوا المستحيل . لقد حان الوقت لسن السكاكين والنيل من الملك .

يوم ٢٤ يوليو ذهب على ماهر إلى الأسكندرية ليقابل فاروق . قدم إلى فاروق خطابًا من أربع صفحات من اللواء نجيب يحتوى على مطالب الضباط الأحرار الأخرى لتحقيق الإصلاح . أولها أن يقيل فاروق مستشاريه بأقصى سرعة ويعين اللواء نجيب القائد العام للقوات المسلحة . وافق فاروق مباشرة ، ولكنه أصر فقط على الاحتفاظ بأقرب أصدقائه « بولى » وخادمه الخصوصى محمد حسن السليمانى . ولكن الضباط الأحرار فى نشوة قوتهم الجديدة كانت لهم مطالب أخرى غير الإصلاح ، كانوا يريدون الدم . أرسل ناصر فرقتين مسلحتين من الجيش

إلى الاسكندرية إحداهما عن طريق الدلتا والأخرى من الطريق الصحراوى ليمنعا هروب فاروق من أى طريق .

أدرك فاروق أنه لا يمتلك أى فرصة للدفاع عن عرشه الآن ، فهو يحاول فقط أن ينجو بحياته قبل فجر يوم ٢٥ يوليو ؛ جمع الملكة ناريمان والأمير فؤاد ومربيته الانجليزية آن شير مسيتد فى الكرسى الخلفى لعربته المرسيدس المصفحة ضد الرصاص وقاد السيارة بنفسه مسلحًا اسميًا فقط برشاش على قدمه كان مسدسه الشخصى ومعينه عند الشدائد . خطط فاروق أن يقود من قصره المنتزه غير الرسمى إلى قصره الحصين برأس التين فهناك سيكون صموده الأخير أو هروبه الأخير من أرض الفراعنة . فى عربة مرسيدس أخرى ركب انتونى بولى ، وبناته الثلاثة ومربيتهم الفرنسية سيمون تابوريت .

كان يدرك خطورة وحدات الجيش التابعة لناصر التى كانت على وشك الوصول ولذلك كان يقود سيارته بسرعة جنونية ٨٠ ميلًا فى الساعة فى طريق ملتو على الكورنيش المرصوص بالنباتات والشوارع الجانبية المهجورة تمامًا بسبب الأمر العسكرى بحظر التجول . أرسل بناته من طريق آخر ووصلت العربتان سالمتين إلى القصر الكبير الذى كان عليه حرس من عدة سفن حربية من البحرية المصرية الموالين للملك . وكذلك كان حارس فاروق السودانى المتكبر ما زال يظهر ولاءه للملك ونخبة عسكرية من المحاربين بالصحراء وكانوا أقوى وأشرس جنود فى الجيش المصرى بأكمله . كان عددهم لا يتعدى ثمانمائة جندى ، ممسكين ببنادقهم الآلية سدوا نوافذ القصر وأخذوا مواقعهم لإنقاذ الملك . حاول فاروق أن يدبر عملية هروبه . أرسل طائرة إلى مطار ألماظة القريب ليعد إحدى طائراته الخاصة الثلاث عشرة للطيران خارج مصر ولكن جيش ناصر كان قد استولى على المطار وعلى جميع الطائرات التى كانت على الأرض . إذا لم يتمكن من الهروب عن طريق الجو لماذا لا يحاول عن طريق البحر . المشكلة أن المركب الذى سيستخدم للهروب ، اليخت الملكى الكبير « المحروسة » الذى ركبه الخديوى اسماعيل جد فاروق عندما نفى

إلى إيطاليا عام ١٨٧٩ ، كان هذا اليخت فى حوض السفن الجاف ليس معدًا للإبحار . البطاريات الجديدة التى تحرك السفن للنظام الكهربائى المعد حديثًا ما زالت على الشاطىء فى الشحن وكان الجيش يحرس هذا اليخت بغيرة شديدة . لم يسمح كبرياء فاروق أن يطلب من الانجليز المعونة . كان يفضل أن يخوض هذه المعركة بنفسه بدلًا من التعرض لإذلالهم مرة أخرى . لقد تحدث مرارًا مع جيفرسون كافرى وحاول إقناعه بأن الضباط كانوا متعاطفين سابقًا مع الألمان ولكنهم سيتبعون الشيوعيين فى المستقبل كيف لأمريكا التى تلعن الحركتين تسلم مصر لمثل هذه العناصر ؟ لقد ثبت لفاروق أن كافرى لا يمكن أن يطلق عليه سوى لفظ منافق . لماذا لم يتخلص فاروق من مستشاريه عديمى المنفعة عندما طلبنا ذلك منه لقد وبخ الملك فى رسائله إلى واشنطن لماذا لجأ لى بعد فوات الآوان : « لا ، إن فاروق ولد غير مطيع ولم يسمع كلام أبيه والآن يجب أن نعاقبه » .

ناقش الضباط الأحرار بين أنفسهم السؤال الهام « نقتله أو لا نقتله » . يمكن أن يعدموا فاروق فورًا دون أى محاكمة ويمكن أن يرحلوه خارج مصر ويمكن أن يقدموه إلى المحاكمة وقد استبعدوا فورًا محاكمته لأن ذلك سيسمح له بوقتٍ كافٍ للاستعانة بالدول الأخرى . لقد كان الضباط الأحرار يدركون المضاعفات الخطيرة لإعطاء الفرصة لتفحيص شعبى منطقى . **الفريق المصرى ناصح الضباط الأحرار المخلص كان يريد النهاية الدموية لتلميذه السابق قال : « كل ما يهمنى بعد سقوطه الحصول على رأسه ، لقد كان يحض ناصر ورفاقه « يجب أن تقتلوا وتقتلوا وتقتلوا ، يجب أن تقتلوا الآلاف حتى تطهروا هذه الدولة . وفى لحظة فريدة لم يتفق ناصر مع هذا الإله الزائف . إن حمام الدم الذى كان يصر عليه « المصرى » ، وتطهير الطبقة الحاكمة قد يؤدى إلى نزيف لا يتجلط أبدًا . كان ناصر يريد أن يحكم دولة لم يكن يسعى لحرب أهلية ولم يكن يريد أن يجعل من فاروق شهيدًا بقتله . تم الاستفتاء بين الضباط الأحرار . وبصوت واحد فقط نجا فاروق من القتل وأكد لهم ناصر « أن التاريخ سيحكم عليه بالإعدام » .**

في ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي الموافق ٢٥ يوليو وصلت فرق ناصر الحربية إلى رأس التين وبدأت طلقات النيران . قتل الحارس السوداني كثيرًا من الجنود المهاجمين . احتمى الناصريون باسطبلات رأس التين حيث قتلوا الحصان العربي الصغير الخاص بأبنة فاروق فريال بطعنه بين عينيه كما قتلوا ثلاثة من كلاب أليفه خاصة بالأميرة الصغيرة . فاروق نفسه الماهر في الرماية والصائد الممتاز الذى كان يمتلك شهادة البراعة في الرماية السويسرية وقف في الشرفة وقتل على الأقل أربعة من المهاجمين بينما بقيت الملكة ناريمان في الحرملك مع فؤاد الطفل وأخذت تدلله حتى يبقى مبتسمًا بينما القتلى يتساقطون في الخارج . وفى الميناء طلب قائد فاروق البحرى أن يسمح له بإطلاق النيران ولكن الملك فاروق قرر أن قواته لا تتناسب على الإطلاق مع أسطول الاسكندرية الحربى الذى يسيطر عليه الجيش فتلك المعركة ستكون انتحارًا مؤكدًا . طلب فاروق كافرى مرة أخرى لم يطلب شيئًا لمصر في هذه المرة ولكنه طلب من أمريكا أن تؤمن سلامته . في هذه المرة تأثر كافرى بصديق الأميرة فايزة الحميم روبرت سيمسون وخضع لمطلبه . وافقوا على وقف إطلاق النيران في رأس التين ودخل سيمبسون في سيارة عليها العلم الأمريكى من بوابة القصر ليضمن سلامة تصرفات العائلة المالكة حتى يصل كل من القصر والمجموعة المسيطرة أثر الانقلاب العسكرى إلى اتفاق نهائى .

وفى اليوم التالى الموافق ٢٦ يوليو وصل على ماهر إلى رأس التين مع إنذار بالتنازل عن العرش كتبه السادات ووقعه اللواء محمد نجيب .

« نظرًا لسوء حكمك وانتهاكك للدستور واحتقارك لإرادة الأمة التى تزايدت لأقصى مدى حتى أصبح أى مواطن لا يشعر بالأمن على حياته ، أو أملاكه ، أو كرامته ، ونظرًا لأنه تحت حمايتك سمح للخونة والمخادعين أن يجمعوا ثروات باهظة بإضاعة المال العام بينما يموت الشعب من الحرمان والجوع وحيث إن هذه المساوىء قد تفاقمت أثناء الحرب فى فلسطين حيث نمت التجارة البغيضة غير المشروعة فى الأسلحة والذخيرة ، فإن الجيش الذى يمثل قوة الشعب

فوضنى لأطلب من جلالتك التخلى عن العرش لصالح ولى العهد جلالة أحمد فؤاد فى هذا اليوم الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وأن تغادر البلاد فى نفس اليوم قبل الساعة السادسة . وفى حالة رفضك لهذا الإنذار ستتحمل كافة العواقب المترتبة على ذلك .

توقيع

محمد نجيب

أخذ فاروق يمازح على ماهر حيث كان يعرفه جيدًا طوال حياته عن صفقة يبيع فيها الضباط الأحرار وسأله عن المقابل الذى يطلبه ولكن على ماهر لم يرد على هذه الدعابة . تنهد فاروق وقرأ الوثيقة ثم وافق على أن يتنازل مع عدة شروط أول هذه الشروط أن يسافر معه أنتونيو بولى الذى كان فى منتصف الستينات من عمره ، وأن يبحر محتفظًا باليخت الملكى المحروسة . وأن يأخذ ختمه الذى أصبح لا قيمة له ومجموعة عملاته معه وأن تبقى أراضيه وأراضى شقيقاته فى مصر غير مؤممة وتدار لصالحهم . خرج على ماهر من رأس التين وطلب ناصر وأخبره بشروط فاروق . رفض ناصر كل هذه الشروط ما عدا ضمانه بعدم قتل الملك وأن يطلقوا إحدى وعشرين طلقة مدفعية تحية له عندما يبحر على المحروسة التى ستوصله إلى نابولى ، مثلما فعلت مع الخديو إسماعيل منذ ثلاثة أرباع قرن مضى حينما خلعه البريطانيون ، ثم يعود اليخت مرة أخرى إلى الاسكندرية .

فى الساعة الثانية عشرة والنصف وصل قاضى المحكمة العليا مع وثيقة التنازل عن العرش ووصل جيفرسون كافرى إلى رأس التين ليؤكد توقيع فاروق على الوثيقة فى الصالة الرئيسية المصنوعة من الرخام ، المنارة بضوء الشمس لقصر التين كانت هذه الصالة بأعمدتها المحلقة وأفاريزها تشبه الساحات الرومانية . لابد أن فاروق شعر أنه قيصر فى منتصف شهر مارس . كانت الوثيقة المكونة من جملتين مكتوبة باللغة العربية وبدأت الكلمة الملكية (نحن) : « **نحن فاروق الأول حيث إننا نسعى دائمًا**

إلى سعادة ومصلحة شعبنا ونتمنى بصدق أن نجنبهم المصاعب التى ظهرت فى هذا الوقت الحرج . نحن نخضع لإرادة الشعب . . . » .

قرأ فاروق الوثيقة وكاد يبكى وكان المنظر مؤثرًا ثم وقع عليها ولكن توقيعه لم يكن واضحًا ولذلك اضطر أن يعيد التوقيع .

بعد ظهر هذا اليوم أعد فاروق حقائبه . لجميع أفراد أسرته كان هناك ستة وستون حقيبة وفى بعضها أخفوا المجوهرات والذهب والأشياء التى لا تقدر بمال ولكن تلك تعتبر جزءًا ضئيلًا جدًا من كنوز فاروق . فى ممتلكاته وأغلب الممتلكات التى حرص على أخذها صناديق كثيرة من الشمبانيا والسكوتش خاصة وأن من مميزات فاروق الرئيسية أنه مسلم متدين لا يقرب الخمر . بالطبع كان الضباط الأحرار يريدون أن يصدقوا أى شئ سيئ بالنسبه للملك كانوا مقتنعين بأن امتناعه الكلى عن الخمر مجرد خدعة . وضحكوا لرؤية صناديق الخمور التى دلت على صحة اعتقادهم ونفاق فاروق . فى هذه اللحظة كانت لفاروق الضحكة الأخيرة . كانت الصناديق مملوءة بسبائك الذهب وكانت تمثل معظم الثروة التى استطاع فاروق أن يأخذها معه خارج مصر .

بعد حزم الحقائب أخذ فاروق حمامه الأخير فى حوض الاستحمام الغائر وارتدى ملابسه للوداع الأخير . اختار بدلة البحرية البيضاء بجميع النياشين احترامًا للبحرية التى ظلت على ولائها له ثم اجتمع مع ناريمان وفؤاد وبناته الثلاث فى غرفة العرش الخالية من الجواهر ودَّعَ شقيقاته فوزية وفايزة اللتين حصلتا على تصاريح لرؤية شقيقهما للمرة الأخيرة . تقريبًا فى الساعة الخامسة والنصف انضم على ماهر وجيفرسون كافرى إلى العائلة الملكية وقد أثار فاروق نقطة هامة حيث سأل بناته الصغيرات إذا كن يريدن الذهاب معه إلى إيطاليا تاركين والدتهم فريدة بناء على رغبتهم الحرة . تقدمت الفتيات الثلاثة خطوة للأمام وأعلنَّ أنهن وافقن على ذلك . كان غياب فريدة عن حفلة الوداع واضحًا كذلك غياب أغلب مستشاريه (وزارة المطبخ) حيث كانوا يعيشون فى رعب من العواقِب المتتالية لجريمتهم بارتباطهم به .

فى الساعة الخامسة والنصف قاد فاروق عائلته على الدرجات الرخامية العريضة إلى مدخل القصر وهناك وسط النخيل والزهور ، والحمام الباكى قدم له حراسه السودانيون التحية الأخيرة والدموع تجرى على وجوههم الداكنة الجامدة ثم عزف السلام الملكى من الفرقة الموسيقية الملكية بينما أنزل العلم المصرى الأخضر ببطء وطوى وقدم للملك .

حضن فاروق رجله أنطونيو بولى بمنتهى الحزن والحب . إنه سوف يفتقده كثيرًا كما قبل فاروق على ماهر وجيفرسون كافرى قبلة الوداع على وجنتيهما وفى قرارة نفسه كان يتمنى لهما أن تكون هذه قبلة الموت فسوف ينسب لكليهما فضل إنقاذ حياة الملك .

سار فاروق على الممر وناريمان خلفه بينما حملت المربية تسرميد الملك الجديد بين ذراعيها . كان فاروق مذهولًا كيف تهاوى كل شىء بهذه السرعة المذهلة ؟ كيف خانته انجلترا ؟ والأسوأ من ذلك كيف خانته أمريكا كيف كان الاثنان بهذا الغباء ؟ ألا يريان طوفان الشيوعية ؟ لعن الجو ، حرارة الصحراء الحارقة المؤدية إلى الضعف والتى قسمت العاصمة إلى مجموعتين فى الصيف وخلقت القوى المذهلة الناتجة عن الفراغ الذى سمح للضباط الأحرار بتلك الفرصة السانحة فى الظلام كما لعن أيضًا طيبة شعبه والطاعة العمياء لجنوده والولاء المنقطع النظير لأى فرد يصدر إليهم الأوامر . القرون الطويلة من الانقيادية العنيدة للفراعنة ، الإمبراطور ، السلاطين ، الخلفاء والملوك . . بناء أهراماتهم ومعابدهم وقبورهم وجوامعهم جعلت هذا الشعب غير قادر نفسيًا على الثورة ضد فاروق وبنفس المضمون هم أيضًا غير قادرين على الثورة من أجله ربما كانوا كلهم ضحايا هذه الحرارة الشديدة بينما كان فاروق أيضًا ضحية .

الساعة السادسة ودقيقة واحدة أسرع رئيس مصر الجديد اللواء نجيب إلى رصيف الميناء فى عربة جيب حربية لم يكن سائقه يعرف الطرق حول القصر لذلك أخذ الطريق الخطأ ذهب نجيب إلى فاروق الذى كان على كوبرى اليخت وقدم له التحية

العسكرية ورد عليه فاروق بالتحية لم يعرف كلاهما ماذا يقول . كسر نجيب هذا الجمود وناداه بكلمة « أفندم » وتعنى « السيد » ولكنه لم يقل له « جلالتك » ثم أخبر اللواء نجيب الملك أنه كان الوحيد الذى قدم استقالته عام ١٩٤٢ احتجاجًا على محاصرة سير لامبسون لقصر عابدين كان يعنى أن يقول للملك فاروق كم كان ولاؤه لعرشه .

كان فاروق مهذبًا . قال لنجيب إنه كان يجب أن ينتظره عند رصيف الميناء ولكن حيث إن بنود التنازل تحتم عليه مغادرة البلاد فى تمام الساعة السادسة فقد كان يحاول أن يكون ملتزمًا بذلك الموعد طلب فاروق من نجيب أن يحافظ جيدًا على الجيش المصرى مذكرًا نجيب بأن جده الكبير هو الذى كونه وختم فاروق قوله بتحذير نجيب بأنه يواجه مهمة ضخمة . « ليس من السهل أن تحكم مصر كما تعلم » .

وقبل أن ينصرف طلب نجيب من فاروق ألا يتهمه بالقيام بهذا الانقلاب بدأ يشير إلى « الآخرين هم المتعصبون » ثم سكت عن الحديث وقد ملأت الدموع عينيه ، انحنى وقبل يد الملك[1] ثم استدار وغادر اليخت الذى بدأ يعلن عن رحيله ورمى مرساه وانطلقت الإحدى والعشرون طلقة لتحيته من سفينة حربية بحرية مجاورة ، أبحر الملك فاروق والمحروسة بعيدًا عن قصر البحر الأبيض المتوسط هذه القلعة الواقعة على البحر التى بناها مؤسس عائلته محمد على ثم مر على المنارة التى بناها الفراعنة ، ومكتبة المكتبات ، وأعظم حضارة عرفها العالم أجمع أرض توت عنخ آمون ورمسيس والإسكندر الأكبر وبطليموس وكليوباترا . . وفاروق . الآن انتهى كل شىء بعد عدة أيام الجريدة التى وضعت صورته على الغلاف فى مجلة التايمز سوف ترقص على قبره وهو حى إن « القاطرة » أصبحت الآن بدون قضبان والدماء المسكوبة على طريقة سوف تمنح وليمة لا تنتهى للطبقة الاجتماعية الرابعة . آخر ملك عاش ملكًا ، تخلى عن عرشه ، إن قانون الملكية لن يرجع كما كان .

حتى فى مصر والشرق الأوسط تقريبًا ستبدأ حملة التطهير ، ويعدون المكاكين الطويلة ، سوف ينجو الأجانب

(١) فى حكاية اللواء محمد نجيب هذه مع فراوق بعض المبالغة (الناشر)

بأنفسهم وسوف تنكمش المدنية الغربية الرفيعة التى أنشأتها أسرة محمد على . سيختفى البريق وستختفى الأموال وسوف تتدهور مصر بصورة يصعب تصورها ، من تماثلها مع لندن وباريس وروما على النيل إلى تيجوانا مملوءة بالآثار القديمة الأكثر من ذلك أن صفارة الإنذار من موسكو سوف تغرق آذان المؤذن من المآذن كانت مصر على أهبة الاستعداد للثورة ولكن ليست الثورة الديمقراطية تلك التى طبقها ترومان واتشيستون وتلاهما فيها إيزنهاور ودالاس . نعم لقد كان إيزنهاور رجلًا عسكريًا وكذلك كان كل من نجيب وناصر والسادات ولكن التماثل بينهم انتهى وكذلك الأهداف والقيم مع خلعهم للبدلة العسكرية . كانت هذة الأوقات بلا رحمة وكان ناصر الضوء المرشد لهذا الانقلاب أكثر الرجال قسوة .

كان الملك فاروق الذى يبلغ وزنه ٢٥٠ رطلًا - بكل تجاوزاته وطيشه - يعطى العالم العربى ، الذى يقف على برميل من البارود ، الاحساس بوزنهم . فبدونه سيختفى مركز ثقلهم . لقد تراهن كل من انجلترا وأمريكا ضد فاروق ولقد تحقق رهانهم و تحققت تنبؤاتهم . لكن إذا كانوا يتوقعون السيطرة على من يخلفه فقد أخطأوا خطأً فاحشًا .

الفصل الثاني

عشيقات فاروق

الفصل الثانى

عشيقات فاروق

المبحث الأول

باستثناء نيرون ، وكاليجولا ، قليلًا من ملوك التاريخ تحملوا صورة أسوأ من تلك الصورة لفاروق مصر . تحققت أحلام الصحف فى فاروق حيث أذهل العالم أجمع . كان ضخمًا ، ذواقة ، قاسيًا لا يرحم ، يغوى النساء ، خليعًا ، مقامرا ، مستغلًا للحروب ، حليفًا للنازية ، مصابا بهوس السرقة على مستوى المتاحف ، امبراطورا مبذرا ، كل هذه كانت الصفات التى استخدمتها الصحافة فى وصفه . إذا كانت هناك سبع من الخطايا القاتلة فقد يستطيع فاروق أن يجد الخطيئة الثامنة . هذا هو الرجل الذى كان يأكل اثنتى عشرة بيضة فى وجبة الإفطار وأربعين سمانة فى الغذاء . لقد استغل الحق الشرعى للملوك لاستمالة أجمل زوجات وبنات رعاياه وأدخل نفسه فى المسابقات العالمية الكبرى للتفوق فى فن الإباحة والدعارة . سواء كانت امرأة مذهلة أو كنزًا فنيًا لا يقدر بالمال ، كان يأخذ كل ما يريد ووصل به الحال إلى نشل ساعة وينستون تشرشل فليس هناك أى داع للتعجب لكراهية (إم ١٥٠) (وسى . آى . إيه) له ، فكلاهما كان يكرهه وهنا يجب أن نتوقف ونتساءل هل كان فاروق سيئًا بهذه الدرجة ؟

إن زعيم الخمسينات ، للقيم الأمريكية ، (مجلة لايف) قدمت تحقيقًا سريعًا عن مستنقع الحقارة الذى غرق فيه فاروق . كان ذلك يوم ١٨ أغسطس ١٩٥٢ بعد شهر واحد من خلع فاروق بالانقلاب العسكرى للضباط الأحرار والذين ساعدتهم سرًا وحرضتهم على الانقلاب سى . آى . إيه كما علم خلال الستينات المتشائمة . لكن فى هذا الوقت مجلة لايف ورفاقها فى الطبعة الرابعة هللت للانقلاب كانتصار للديمقراطية

فعلى الصفحة اليسرى من لايف كتبوا المقال « الملك المحبوب » كعنوان فرعى النرويج الأصيلة تمنح بصعوبة هوكون السابع العجوز حفلة تذكارية بمناسبة عيد ميلاده الثمانين وعلى اليمين « الأمير المنسى الملك فاروق يلبس ثياب البحر بينما كان المصريون يتعجلون نسيانه » . لقد كان فاروق غير مقبول على الإطلاق لتصرفاته بالمقارنة بملك النرويج الذى ظهر فى مظهر ملكى مناسب فى بدلة رسمية بصديرى ، بينما ظهر فاروق وهو فى المنفى فى مصيف بكابرى لم يكن شيئًا آخر سوى فرعونى بكرشه الكبير المشعر الذى يمط لباس البحر البكينى الملتصق بجسده إلى أقصى درجة ، يقبض على سيجار غليظ ويمشى عند حمام السباحة لابسًا سبادريل أبيض فى قدمه ونظارة غامقة بشنبر من الذهب وقبعة من قماش القنب وطرفها الأمامى مرفوع لأعلى مثل آرت كارنى فى « هونى مونرز » لم يكن يصلح لشيء سوى للأفلام الرهيبة المكررة لمنتجى هوليوود . وتكررت الصورة فى جريدة « لايف » بعد عدة أشهر فى موضوع تحت عنوان « عندما تكون فى روما أو . . فإن الثرثرة هى أفضل صديق للفتاة » مجموعة دولية تتكون من خمس فاتنات يستحققن الحب الشديد (أمريكا السويد النمسا بلجيكا الدانمارك) فى عدة أوضاع مختلفة وهن يرتدين ملابس النوم ، وقد اشتهرن ليس بسبب مواهبهن المسرحية ولكن بسبب صداقتهن لرجل مشهور لا يتعب أو يكل من استمراره فى ارتياد النوادى الليلية لم تضطر « لايف » أن تذكر اسم هذا الزاحف الليلى كان العالم يعرفه .

بينما كانت الصحافة تعدل من تعاملها مع فاروق لتغذى بموضوعاته الخيال المثمر للقراء فقد أسرفت فى تعاملها مع حاكم شرقى آخر . رسمت صورته على الغلاف وهو يرتدى بدلة وبليزر أزرق فى عدد ٣ نوفمبر ١٩٥٨ فقد كان أكثر الطلاب تقدمًا هذا العام فى المرحلة الثانوية النهائية بهارفارد لقد رجع الأغاخان إلى كامبردج بعد أن قضى السنة الدراسية للصف قبل الأخير ليحكم عشرين مليونًا من أتباعه المسلمين . كان اسمه الأمير كريم وكان زملاؤه يطلقون عليه « كيه » كان يقدم على تصرفات ديمقراطية للغاية يلعب كرة القدم ، يدرس فى بيت ليفيرت بجانب صورة مطبوعة

لا قيمة لها اشتراها بمبلغ عشرين دولارًا ، يحصل على خطاباته عن طريق دليل يدير النظام الأمريكى من كابوت إلى زيمرمان ، ويستخدم المواصلات العامة . (فلتتخيل الملك فاروق وهو فى قطار) بغض النظر عن جد الأمير كريم (الأغاخان السابق) سكرتير مدرسة المارميس وعلى الرغم من والد كريم على خان وسمعته السيئة كإنسان مستهتر تفوقت على سمعة فاروق (فقد تزوج على ريتا هيوارث) لم تستطع امرأة واحدة الكتابة فى هذا الموضوع النسائى (فبالنسبة للنساء كان يلتزم الصمت إلا بقوله : أشكر الله على وجود النساء » .

وتعادل هنرى لوسيانز من قبل فى مساوئه مع الملك فاروق وأغاخان ، فى عام ١٩٣٨ كان الملك فاروق طوله ستة أقدام ، نحيفًا ، أنيقًا ، وملفتًا بدرجة مثيرة ، الملك الصبى ، كان هو أيضًا على غلاف التايمز . وقد أجرى حديث معه كفتى الكشافة الأول فى مصر فقال : « يا نساء الغد ، يا رجال الغد ، المصريين إن مهمتنا أن نخضع أجسادنا لإرادتنا » وبعد عدة سنوات قدمت مجلة لايف صورة رائعة لقصر عابدين المكون من ٥٥٠ غرفة والذى أطلق عليه « أفخم قصر ملكى فى العالم أجمع » ووصفت المجلة الملك الصبى على الغلاف « هو المثال الحى للشاب المسلم المهذب » كما صورته كرب أسرة مع ملكته الرقيقة فريدة وكرجل رياضى يلبس خوذة الصيد البيضاء ومعه بندقية صيد موسير مع رأس غزال نادر اصطاده ، كما صوروه كرجل دين يلبس الطربوش ولباس الحداد يقف تحت صورة والده الطويلة المهيبة الملك فؤاد ، فى صالة عابدين الخاصة بالأجداد . باختصار كان يبدو ملكًا كاملًا . خيال ملكى للعلاقات العامة والنشر .

كيف يتحول هذا الرجل المثالى الذى جاء من أسرة ملكية لها تقاليدها ، وعاملوه كإله حيث لم يعامل أحد مثله فى العالم ، كيف يخسر كل شيئًا بهذه البساطة ؟ ما الذى حدث ؟ لقد ولد عام ١٩٢٠ توج وأُله فى عام ١٩٣٦ خلع واحتقر فى عام ١٩٥٢ ومات فى عام ١٩٦٥ . إن فاروقًا قضى حياة قصيرة ، كان متجاوزًا فى كل شىء ، يجب أن يكون هذا الرجل أحد عجائب القرن العشرين . إن الشخصيات

المتواجدة فى قصة حياته بنفس غرابته وتجاوزاته . والده الملك فؤاد الأرستقراطى العاطل الذى ناور على العرش برفيقته اليهودية القوية الممنوعة الملكة نازلى الأم التى حررت نفسها جنسيًا بعد أن حبست فى الحرملك الملكى لمدة ستة عشر عامًا . مدرس فاروق أحمد محمد حسنين لورانس العرب فى مصر والخاضع لرغبات والدته الجنسية . انطونيو بولى ، المهاجر الإيطالى الذى كان يصلح قطارات فاروق الكهربائية التى كان يلعب بها وهو طفل وأصبح أفضل صديق للملك ورئيس المشتريات الأول للملك . الملكة فريدة أفضل وأخلص فتاة فى مصر مثل جاكلين بوفيير النيل ، اختارتها نازلى لابنها لأن الملكة العجوز شعرت أنها تستطيع التحكم فيها . ولكن اتضح فيما بعد أن لها شخصيتها المستقلة وليس كما كانت تتصور الملكة . الملكة ناريمان الخاسرة لكل شىء ، من عامة الشعب ، كسبت ورقة يانصيب غرامية على المستوى القومى وأعطت وريثًا للملك . فوزية شقيقة فاروق وأجمل شقيقاته على الإطلاق ، باعها للعبودية فى زواج ملكى عظيم لشاه إيران . فتحية اخته الصغيرة والتى نفاها من مملكته مع والدته لأنها أحبت رجلًا لسوء حظها شاء القدر أن يدبر لقتلها بجميع أساليب التآمر الملتوية وقتلها فعلًا . سيرميلز لامبسون صاحب النفوذ البريطانى المغرور ، السفير البريطانى والفارس الأسود فى حياة فاروق الذى حاول فاروق أن يقهره بأى وسيلة ولكنه لم ينجح ، مثيرو الفتن وكان هناك بعض البسطاء من عامة الشعب لهم هدف واحد « أن ينالوا من الملك » . هناك تشرشل ، روزفلت ، ستالين ، هيتلر ، إيزنهاور ، دالاس ، الأمير رينيه والأميرة جريس ، دوق وندسور ، بربارا هوتون ، على خان ، بورفيرو روبيروسا وأخيرًا وليس آخرًا قصته البطولية فى الجنس ، فهى البقعة الأكثر ضوءًا وكذلك المفتاح ، فهناك كانت خليلاته .

« إيرما كابيس مينوتولو » آخر خليلة رسمية للملك فاروق لعبت دورها الأخير كمغنية أوبرا جنسية فى فيلم فرانكو زيفرللى عام ١٩٨٨ . توسكانى الشابة الممثلة الولد المثير سابقًا . وفرانسيس « الخارجين عن القانون » اكتشاف كوبولا سى .

توماس هويل المايسترو الذى يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا ، واليزابث تيلور فى الأوبرا التى ساعدت توسكانى فى أن يحصل على فرصته الأولى ليقود الفرقة فى ريو دى جينيرو . لعبت إيرما دورًا فى شركة للأوبرا المتجولة وحاولت بدون نجاح أن تستدرج توسكانى على ظهر باخرة من جنيف إلى البرازيل . وغنت إيرما كذلك فى فيلم عايدة مع تيلور العبد وكان دورها ابنة فرعون . إذا كان تيلور يلعب دور ماريا كالاس فى هذا الوقت فإن إيرما كانت تلعب دور إيرما مغنية أوبرا إيطالية غير مشهورة ولكنها تعمل باستمرار وأعمالها لها احترامها .

فى الخمسينات وصفت ثرثرة الجرائد إيرما كابنة سائق تاكسى ، الآنسة نابليس فى عام ١٩٥٣ ، ممثلة نوعًا ما وصورها مع فاروق فى مقهى بباريس في فيا فينوتو وأوضحوا اندماجًا مبالغًا فيه لاثنتين مشهورتين فى هذه الفترة صوفيا لورين ، أنيتا اكسيرج ، النار والثلج . حتى الإيطاليون أخذوا يصنعون الفكاهات على اسمها ويطلقون عليها « إيرما كاباس دو توتالو » أو « إيرما القادرة على أى شىء » كانت صورتها خليطًا من الغجرية الشقراء ، عيون واسعة ، شفاه غليظة ، صدر منتفخ ، شىء يشبه سينما فيلينى . فى هذا اليوم كانت فى الحقيقة تبدو مثل دافيد دبين » . كانت شقة إيرما ذات مدخل أخضر فخم وتعتبر خليطًا من القديم والحديث فى شارع فالجاردنا فى الأطراف البعيدة لروما وكان زوجها رفيعًا مثل إيرما تمامًا . طويلة ، فى جمال التماثيل ، شعرها أحمر ، عيونها خضراء لامعة ، مناسبة للون العلم الأخضر ، فى حوالى خمسين من عمرها كانت ترتدى ثوبًا أحمر حريريًا من فياكوندوتى . كانت تقدم كامبارى وصودا بنشاط فى حجرة معيشتها الرمادية اللون المملوءة باللوحات الفنية الحديثة وصور لزميلاتها فى الأوبرا والسينما مثل زيفاريللى ، ولينا ورتمولر وكسبت لتوها جائزة ماريا كالاس كمغنية إيطاليا الأولى هذا العام وكانت فخورة جدًا بذلك . وكانت فخورة أكثر بعلاقتها مع الملك فاروق .

كانت إيرما تعبد فاروق وحياتهما معًا فى مكان بارد على مدفئتها وصنعت صورتين لهما معًا إحداهما فى جبال الألب وهى فى لبس التزحلق والأخرى على

الشاطى فى بذل الاستحمام . كان الفرق بينهما فى الحجم كبيرًا جدًا وكان ذلك لصالحها .

قالت « ماتت دول سى فيتا » بعد موته وأصرت إيرما أن تكشف عن جذورها الملكية هى الأخرى . سائق التاكسى بنابولى ؟ من وجهة نظر إيرما فان « كاييس ، مينولونيس » كانتا على نفس مستوى عائلة « كاراسيولوس » وهما اثنتان من أكبر عائلات نابولى ويرجع تاريخهما إلى عام ١١٠٠م وقد منحوا البلاد خمسة عشر كاردينالا وقسيسًا كما قدمت بفخر شجرة عائلتها وشعار نبلها .

شرحت إيرما أنه بعد الاضطرابات التى تلت الحرب العالمية الثانية لم يجد والدها نفسه خلف عجلة القيادة لتاكسى ولكنه عمل فى التجارة فى لانشيا فى نابولى . كانت والدتها مطربة أوبرا ناشئة وقد استغنت عن مهنتها لتتزوج وتربى إيرما وأخاها الذى عمل بعد ذلك فى السفارة الأمريكية فى فيا فينيتو فى روما .

لقد رتبت والدتها لقاءها مع فاروق حيث أحضرتها وهى تبلغ من العمر ستة عشر عامًا إلى « كانزون ديل مار » كازينو بشاطىء كابرى يمتلكه نجم موسيقى بريطانى جراسى فيلدز حيث لقطت صورة فاروق غير المناسبة والتى سبق الإشارة إليها على حمام السباحة لجريدة لايف . قابلت إيرما فاروق عدة مرات من قبل حيث تم اختيارها عن طريق أعضاء نادى التجديف بنابولى كفتاة الزهور لتقدم صحبة من الورد للملك المصرى عند تكريمه فى مأدبة بالنادى .

ثم كان هناك إحساس متبادل بالإعجاب عندما لمح الحاكم المنفى هذه الفتاة الناضجة تلبس البكينى وتسبح فى حمام السباحة بكانسون . عند خروجها من حمام السباحة تقابلت عيناهما حيث كان جالسًا مرتديًا عباءة بيضاء وبريه مزينًا بالتاج الملكى المصرى ، على مقعد قريب فى حديث مع محام هام من نابولى . نهض فاروق ومشى إلى إيرما وخلع نظارته الداكنة وحرك شعرها الأحمر الأشقر ومدح فى جمالها .

تذكرها المحامى وذكر فاروق بالورود التى قدمتها له فى نادى التجديف . فى

اليوم التالى رد لها فاروق الجميل أرسل لإيرما مائة وخمسين وردة على الفندق التى كانت تقيم فيه مع والدتها .

قالت إيرما إنها تأثرت بفاروق من النظرة الأولى ، لقد جذبها سحر عينيه بلونهما الأزرق والأخضر ووصفتهم بأنهما مثل أبى الهول . ألم يزعجها ضخامة حجمه ؟ على الإطلاق لقد تذكرته عندما كانت تبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا وكان هو حينئذ ملكًا لقد شعرت أن هذه الضخامة جزء منه كانت جزءًا من ملكيته ، شعره الأصلع ، بدانته ، النظارات كل هذه الأشياء جعلته ملكًا حقيقيًا ليس صبيًا صغيرًا . على الرغم من أن فاروق كان يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عامًا فقط لقد جعلته هذه الأشياء أكبر كثيرًا وأعظم من عمره الحقيقى .

فى الليلة التالية كان هناك مهرجان لإختيار « ميس كابرى » فى الكانزون . لم تقتنع إيرما بالاشتراك فيه حيث إنها لها مكانة أسرية عالية منسوبة إلى نابولى ولكن ضيفها فى كابرى أحد أفراد الأسر العريقة فى نابولى والذى كان من حكام هذه المسابقة شعر أن الموضوع مسل وأقنع والدتها لإشراك ابنتها فى هذه المسابقة مع عشرين آخرين . وفازت إيرما وكان فاروق يجلس فى الصف الأول .

على الرغم من أن إيرما ووالدتها كان المفروض أن يبقيا فى كابرى طوال هذا الشهر إلا أن وصول الورود من فاروق جعل الأم تعد حقائبها وتعود مع ابنتها إلى نابولى . السيدة كابيس مينوتولو كان وجودها فى هذه الظروف غير مرغوب فيه على الإطلاق لقد كانت سمعة فاروق فى استهتاره مشهورة على المستوى العالمى وبالإضافة إلى ذلك كان رجلًا متزوجًا . كانت زوجته الثانية الملكة ناريمان التى انبهر بها وهى تبلغ من العمر ستة عشر عامًا (تمامًا كما كان الوضع بالنسبة لزوجته الأولى فريدة) لقد كانت هذه الزوجة تعيش معه هى وابنها الطفل فؤاد وبنات فاروق الثلاثة من فريدة وهن فريال وفوزية وفادية حيث كانت عائلة فاروق عندها ولع بالحرف (ف) كان والده فؤاد يظن أن هذا الحرف يجلب الحظ فسمى أخواته الأربع فوزية ، فايزة ، فايقة ، فتحية ، لم تكن تريد والدة إيرما أن تنضم ابنتها إلى عائلة « ف » .

ولكن كان الملك مخلوعًا من عرشه منذ وقت قصير فقط وكانت لديه أساليبه الملكية ، بحث عن عنوان إيرما فى نابولى وأخذ يرسل لها صحبة كبيرة من الورود كل يوم . وكانت والدتها تعترض على هذه الورود وتتخلص منها فورًا . ثم بدأ يطلب إيرما تليفونيًا ولكن لم يسمح لها بالرد على التليفون . ذات يوم كانت والدتها بالحديقة ورفعت إيرما سماعة التليفون . لقد كان الملك وكان يريد أن يعرف رأيها فى الوزود التى يرسلها وسألته إيرما أى ورود ؟ ودخل فاروق فى الموضوع فورًا بلغة إيطالية سليمة وبصوت قوى وحنون ومقنع لا يدعو للشك على الإطلاق أخبرها أنه يحبها وأنها الشعاع الوحيد فى ليله الطويل فى هذا المنفى كان يريدها أن تصبح ملكته الثالثة . كيف يمكن لفتاة تبلغ من العمر ستة عشر عامًا أن تقاوم مثل هذا الشىء ؟ .

وبعد ذلك اختفى فاروق ولم يرسل ورودًا ولم يطلبها تليفونيًا لقد انتهى الحب الملكى قبل أن يبدأ . وفى سبتمبر رجعت إيرما إلى المدرسة الثانوية فى « اسكولا برنسيبستا ما فالدا » بتصميم كئيب . هذه الفتاة الصغيرة قابلت صدمة عاطفية شديدة وقد جعلتها أمها تخجل من نفسها بدرجة كبيرة ، فلم تستطع إيرما أن تخبر أصدقاءها . بعد شهر عند خروجها من المدرسة لم تجد سائق الأسرة الذى كان ياخذها من وإلى المدرسة فى السيارة ، كانت السيارة الفاروميو هناك ولكن السائق لم يكن بها . وفى الطريق المؤدى إلى المدرسة لاحظت إيرما سيارة خضراء رولز رويس تضىء فى أشعة الشمس ومن خلفها رجل يلبس بدلة سوداء كان يوحى بإحساس بالثقة والقدرة على التأثير مثل رجل البنك .

تقدم منها هذا الرجل معلنًا أنه سكرتير الملك فاروق وسألها هل تأتى معه ؟

تبعته إيرما وهى تحمل حقيبة المدرسة فى طريق المدرسة المحاط بالأشجار والنخيل إلى العربة الرولز رويس . كان علم مصر الأخضر يرفرف عليها ومجموعة من شعارات النبلاء على الباب الأمامى فتح لها السكرتير الباب وكان زجاج العربة داكنًا وداخل العربة فى المقعد الخلفى كان الملك فاروق ينتظرها كان رائعًا فى بدلته البنز ترايب .

خلع نظارته ونظر بعمق إلى إيرما بعينيه المنومة التى تشبه عينى أبى الهول ، كانت ترتعش لم تقبل أى أحد حتى ولو صبيًا صغيرًا فكيف لها أن تتصرف مع ملك ؟ اقترب فاروق منها وهز شعرها كان يحب هذا الشعر الأحمر الأشقر . قالت إيرما إنها قلقة على سائقها أكد لها فاروق أن السائق فى أمان وأنه سيوصلها إلى المنزل بعد ربع ساعة وأخبرها فاروق مرة أخرى أنه يحبها وأنها تعنى الكثير له رددت إيرما وهى ترتعش وتذكرت بعض الافتراءات التى قالتها لها والدتها عن كل النساء ، آلاف النساء ، ضحك فاروق بأسلوب مألوف جعلها تشعر بالراحة . إن الآخرين لا يعنون أى شىء له ولكنها تعنى كل شىء بالنسبة له . وعرض عليها أن تأتى معه . تعالى معى لتصبحى ملكتى الثالثة . لعب بشعرها مرة أخرى ولكن هذه المرة انفجرت فى البكاء وخرجت من العربة وأسرعت إلى أعلى الجبل للعربة ألفاروميو حيث كان سائقها منتظرًا . وعقدت اتفاقًا معه إذا لم ينطق بشىء لن توشى به . ووافق السائق على ذلك .

مر على هذه الحادثة إسبوعان ولم تسمع شيئًا من فاورق الذى كان يعيش مع اسرته فى ضيعة كبيرة خارج روما فى جبال الألب كانت المدينة تسمى « جروتا فيراتا » بجانب القصر الصيفى للبابا عند كاستل جاندوفلو فى أثناء الفسحة اقترب منها بواب المدرسة وأخبرها بأن لها مكالمة تليفونية . وعدها فاروق أنه سيرسل لها باقة من الورود فى اليوم التالى وفى هذه الصحبة زهرة واحدة صناعية ابحثى عن هذه الزهرة وافحصيها بدقة ، بدقة شديدة ثم اتصلى بى .

وفى اليوم التالى وصلتها باقة كبيرة من الورود عند البواب . بجانب الصحب الشديد للمواسير والغلايات فحصت إيرما الورود الرقيقة وأخيرًا وجدت الوردة الصناعية وفتحت الوردة وأسكتها الذهول داخل الوردة كان خاتم ياقوت كبير مرصع بالجواهر . البواب المسكين لم ير شيئًا مثل هذا من قبل وطلبت إيرما فاروق فى تليفونه الخاص بيدها التى ترتعش . بعد مرورها على ثلاثة عاملين رسميين أجابها فاروق .

أخبرته بأنه ليس مفروضًا أن يقدم لها شيئًا كهذا وضحك فاروق قائلًا إنه يجب

أن يقدم لها مثل هذا الخاتم ولكنها تعجبت لماذا أنا ، لماذا أنا بالذات وأجابها لأنك مختلفة لأنك طفلة لأنك نقية لأننى أعبدك وطلب منها ببساطة أن تفكر فيه ولو ساعة واحدة كل يوم ووعد أن يراها بعد عودته إلى نابولى بعد أسبوعين .

لم تلتزم إيرما بوعدها لفاروق بالتفكير فيه لمدة ساعة كل يوم ، لقد كانت تفكر فيه أربع وعشرين ساعة يوميًا قرأت كل صحيفة صغيرة ومحلات « أوجى » و « جونت » لتعرف الأخبار اليومية عن أشهر رجل منفى فى إيطاليا . أعماله الطائشة فى الملاهى الليلة مع شقراوات السويد ، وذوات الشعر الأحمر الألمان أعطاها إحساسًا باليأس وكذلك وجود زوجته ولكن الملكة ناريمان أشعلت خيال إيرما وأعطتها أملًا ، فقد كانت ناريمان من عامة الشعب وتزوجت الملك مثل إيرما . لقد كانت ناريمان تبلغ من العمر ستة عشر عامًا ، شقراء ، مثيرة ، وطبعًا عذراء . كان زواجها الملكى أحد الليالى العربية ، وشهر العسل الذى استمر أربعة أشهر فى أوروبا كان أطول وأغلى شهر عسل فى التاريخ لقد أغراها فاروق بمجوهرات لا تقدر بمال وفن وأكلات فى أعظم مطاعم وفنادق أوروبا ، من « دانيلى » فى فينسيا إلى « كارلتون » فى كان إلى « رويال مونسو » فى باريس وألبس طاقم اليخت فى شهر العسل والبالغ عددهم « ستين » بليزر أزرق وبنطلونًا أبيض وكابًا بحريًا وأخذهم على البر فى أسطول من الرولز رويس كانت الحياة مع الملك فاروق سلسلة لا نهائية من السير على السجاد كانت إيرما تهفو بعنف إلى تجربة هذه الحياة . لقد تحققت هذه الحياة لناريمان ويمكن أن تتحقق لها هى الأخرى . كانت ناريمان من العامة كذلك إيرما « كابيس مينوتولو » استمر هذا التودد والحب بعد رجوع فاروق إلى نابولى خرجت إيرما من المدرسة مبكرًا وأخذت قطارًا إلى منطقة ساحلية تسمى بوسيليبو حيث قابلت الملك فى غرفة خاصة فى أحد المطاعم البحرية الكبيرة . وأخذ فاروق يداعب شعرها وهى تأكل « السباجتى بالفونجل فيراسى » ولم يفعل غير ذلك أعطاها خطابًا لتقرأه فى المنزل قراءة هذا الخطاب كانت أكثر إثارة من الخاتم الياقوت فى الوردة الصناعية . فى هذا الخطاب سكب كل أحاسيسه العميقة ووقع على الخطاب « الملك فاروق » .

قرأت إيرما الخطاب المكون من صفحة واحدة مرات ومرات . مرة أخرى اختفى فاروق من حياتها وكانت تخشى أن تكون عدوتها ناريمان قد فازت به .

فى مارس ١٩٥٣ كانت عناوين الصحف الرئيسية أن ناريمان قد تركت فاروق . وأعلن الملك بيانًا رسميًا يتهم فيه الرئيس المصرى محمد نجيب بأنه السبب فى القضاء على زواجه السعيد حيث إنه استخدم كل الأسلحة الممكنة للقضاء على هذا الزواج وهى متمثلة فى والدة زوجته . دققت إيرما فى صورة ناريمان وهى ترتدى الفراء الأسود والنظارة السوداء مع والدتها أصيلة صادق التى كانت ترتدى مثلها . ومعها كلبها الأسود جوجو وقد استقلوا طائرة إلى جنيف .

لقد شوهت ناريمان زواجها أمام الصحفيين حيث قالت « إنها إرادة الله ، وعندما يريد الله يصنع الغشاوة على أعيننا ويسد آذاننا عن النصيحة المخلصة » لقد وعدت بالرجوع إلى القاهرة بعد أن تحصل على الطلاق وتحصل على الوصاية لابنها . كان فؤاد يبلغ من العمر أربعة عشر شهرًا واسمه الآن الملك فؤاد ملك مصر والسودان حيث إن نجيب وناصر واللواءات على الرغم من خلعهم فاروق لم يلغوا الملكية من البلاد . وطبقًا للشريعة الإسلامية يبقى الطفل فى رعاية والدته حتى يبلغ من العمر سبع سنوات . بالنسبة للواءات كان الملك فؤاد الجائزة الكبرى لهم سوف يستخدمون كل الحيل فى ترسانة أسلحتهم لإغراء ناريمان التى تبلغ من العمر تسعة عشر عامًا بالرجوع إلى مصر وأحد هذه الأسلحة كان السيدة أصيلة صادق التى وصفها فاروق علنا « أسوأ سيدة فى العالم » .

بعد عدة أسابيع من طيران ناريمان إلى سويسرا ثم إلى القاهرة اتصل الملك فاروق مرة أخرى بإيرما عند بواب المدرسة . الآن أدركت أنها ستصبح الملكة رقم ثلاثة . كان فاروق يدعوها لتعيش معه فى « جروتا فيراتا » بالنسبة لإيرما علاقتها الوحيدة مع فاروق لم تتعد مداعبته لشعرها كان ذلك يعادل تقدمه للزواج منها . وفى نظر والدتها كان ذلك جنونًا . بالنسبة لوالدها العجوز لم يعرض عليه الأمر كليًا لاستحالة تحقيقه . على الرغم من ذلك شعرت السيدة كاييس مينوتولو بأن ابنتها تحبه بجنون

وكانت تدرك أنه مهما كان عدد الكاردينالات أو الفرسان من مالطا فى شجرة العائلة لا يوجد أى فارس يركب حصانًا أبيض مستعد أن يساعد الأسرة الآن . لقد رأت الجوهرة . ورأت خطاب فاروق على الرغم من أنه أعلن عند وصوله إلى كابرى « لم أعد رجلًا غنيًا الآن » إلا أن أحدًا لم يصدقه على الإطلاق فإن ثروته فى مصر كانت تقدر بنحو خمسين مليون دولار وكانت تلك تعتبر من أكبر الثروات فى هذا الوقت وكان الاعتقاد السائد أن جزءًا كبيرًا من هذه الثروة هرب سرًا إلى بنوك سويسرا .

وبالنسبة للسيدة كابيس مينوتولو فإن الفرق بين عرش مصر وصالة عرض لانسيا كان يعذبها .

بعد انتهاء مدرسة إيرما فى يونيو ، اضطرت والدتها أن ترضخ ومقلدة ناريمان قالت لإيرما إذا كانت هذه مشيئة الله فلينفذ الله مشيئته وفى النهاية أخبرت والدها بأن إيرما ستذهب إلى روما فى الصيف لمدرسة لغات لتحسن لغتها الفرنسية . ولم ينفع هذا العذر حيث إن بير كابيس مينوتولو فكر أن تعليم الفرنسية غير ضرورى ثم فكرت فى شيء آخر ستعيش إيرما هذا الصيف مع مجموعة دينيه اخوات القلب المقدس . فى دير بالقرب من الدرجات الأسبانية ونجحت الخطة الدينية أكثر من خطة تعليم الفرنسية ووافق والدها . كان والدها يعمل يوم رحيلها ولم يستطع أن يرافقها حتى محطة قطار نابلى حيث ركبت سيارة فاروق الرولز رويس إلى جروتا فيربتا لمنزله الذى الذى يشبه الحصن « فيلا داسميت » .

دخلت السيارة من البوابة التى كان يقف عليها ثلاثة حراس بالمدافع الرشاشة ومرت على الطريق الذى يشبه الحدائق لأعلى التل المصفف بالحدائق إلى القصر المربع الأحمر المكون من أربعين غرفة . فى أول الأمر خافت أن تنزل من العربة بسبب ثلاثة كلاب كانت تنبح وتنهش الأرض بقدمها . الأول ماستيف والثانى دوبرمان والآخير المانى شيبرد ولكن يعقوب وعبد الله وشاكر فى ملابس عادية أمسكوا بالكلاب لقد كانوا الحراس الألبان الخصوصيين لفاروق وكانوا صلعًا ومثل الثيران أمسك أحد الحراس حقيبة إيرما الصغيرة التى وضعت فيها أفضل ثلاثة أثواب

وبعض الأشياء الصغيرة الأخرى وأوصلها إلى الفيلا كانت صالة المدخل مملوءة بملابس حربية ، لوحات من عصر النهضة ، سجاجيد العصور الوسطى ، ولم تر أى شيء مصرى على الإطلاق ، لم تر أبا الهول ولم تر كنوز الملك توت ولكن فاروق أنزل من العرش فى حرب خاطفة وانقلاب استمر يومًا واحدًا لم يكن لديه سوى بعض الساعات ليترك بلده وكان محظوظًا للنجاة من الموت وها هو الآن فى خيلائه فى بدلة رسمية بصديرى أعلى الدرجات الرخامية مع أقرب أصدقائه كلب صغير « ماط » اسمه « أننا » وهو اختصار « أنا كابرى » وقد أطلق عليه هذا الاسم لأنه وجد هذا الكلب الشارد على الميناء عندما غادر يخته العظيم المحروسة لآخر مرة قبل أن يستعيدها اللواء نجيب إلى مصر . لقد شعر أن هذا الكلب مثله تمامًا مطرود وأصبح الكلب « أننا » صديقًا حميمًا لإيرما فى عدة أيام وكان يضحك فاروق ساخرًا أى منهما يغار عليها أكثر .

هبط فاروق الدرجات وقبل يد إيرما ببطء وإحساس مرهف ولم يفعل أكثر من ذلك ثم أخذها لترى الفيلا وقدمها لبناته الثلاثة ولمربيتهم الفرنسية الآنسة تابوربيت وإلى فؤاد الصغير ومربيته الانجليزية الآنسة تشيرمسيد . كانت إيرما فى مثل عمر ابنته فريال شعرت بالخجل لوجودها هناك ما الذى تقوله ؟ لا شيء استمر فاروق فى جولته معها إلى جناحها الخاص كانت غرفة نومها حديثة طراز ديكو ، ولكن ما أذهلها بشدة كان حمامها الواسع الرخامى بحوض الاستحمام الغائر . مثل حمام ريتا هيوارث فى السينما التى رأته إيرما وأخبرت فاروق عن إعجابها به عندما كانا معًا بعد الظهر فى باسيليبو . كانت هناك كذلك مربية ثالثة سيدة ألمانية أكبر من الآخرين واستدعاها فاروق خصيصًا لإيرما فى الأسابيع المقبلة ، الألمان الذين عينوا سابقًا مع العائلة الملكية الانجليزية ، سيدربون إيرما على أصول الإتيكيت مثل الجراحين المدربين . قبل الزواج من ناريمان أرسلها فاروق إلى روما لتتعلم الأصول الاجتماعية والآن هو مصمم على تعليم إيرما هذه الأصول الاجتماعية لقد قضت ساعات فى طرقات الفيلا لابسة لروب بذيل وكتاب واحد فوق رأسها وكتابان تحت

ذراعها لتتعلم كيف تمشى وتنحنى لماذا ؟ لأن فاروق سوف يقدمها لقصور أوروبا كملكته الثالثة يجب أن تعد ، كما استدعى كذلك مدرسين فى الموسيقى والأدب ومدربا لكيفية الركوب وكثيرا من مدربى البلاط ومصممى الأزياء ليعدوها لظهورها الأول فى الحياة الاجتماعية ، كان هذا عن ساعات النهار فماذا عن الليل ؟ أصرت إيرما على أن فاروق كان رجلًا مهذبًا للغاية لقد عاملها مثل إحدى بناته إذا افترضنا الشك أن الملك المستهتر كان يعد حصيلة من الهواء النقى الملكى لعذارى نابولى ، ضحكت إيرما وأكدت أنه لم تكن بينهما علاقة جنسية لأطول مدة ممكنة .

قد يكون فاروق يعد إيرما فعلًا « لقصر الإليزيه » أو « الاسكوريال » ولكن المكان الذى أخذها إليه فعلًا هو « فيا فينيتو » فى عام ١٩٥٣ الممثلة الأولى التى كان سيخلدها فيلينى فى فيلمه لعام ١٩٥٩ كانت مشغولة جدًا وكان حجر الزاوية والأب الروحى لهذه الحياة الجميلة ، الملك فاروق كانت « الفيافينيتو » شارعا ملتويا يبلغ طوله ميلًا يؤدى إلى حدائق « فيلا بورجيس » إلى نافورة « برنينى » إلى « بيازا باربرينى » التى كانت منطقة هادئة حتى عام ١٩٥٠ فقد كان من المألوف أن ترى رعاة الأغنام مع أغنامهم فى هذا الشارع الذى يؤدى إلى « فيا أبيا انتيكا » من الجهة الأخرى لروما الشارع الذى كان يؤدى إلى منطقة « باريولى » وكان مماثلًا للجزء الشرقى العلوى من روما . وكان به فندق واحد كبير فندق « اكسلسيور » المغربى ، ومبنى كبير كان يحتوى على السفارة الأمريكية وبعض الحانات التى تقدم اللبن حيث يتوقف راكبو الخيول الأصحاء لبعض الترفيه بعد الركوب السريع فى طرقات الخيل فى « فيلا بورجيس » لم يكن هناك أى نواد ليلية ، أو باپارازى ولا أى احتفالات أو حركة على الإطلاق . ثم ظهرت مدينة السينما هوليود وأصبحت فى المقدمة ستوديو الأفلام الرومانى الكبير الذى بنى فى عصر موسولينى لينتج ملاحم البطولات المختلفة أصبح حطامًا فى عام ١٩٤٣ وتحول إلى معسكر للاجئين وعندما بدأت صناعة الأفلام الإيطالية بعد الحرب تزدهر مرة أخرى كان النوع السائد من الأفلام الواقعية الخاص بالدكتور سيكا مثل « لص العجلات » والخاص بروزيلينى مثل

« المدينة المفتوحة » ، تلك الأفلام التى تجنبت حيل المرحلة الصوتية . وبالتالى بدأ المؤلفون الإيطاليون يتجهون إلى الاستوديوهات ورجعت سينيسيتا إلى الحياة . على بعد ستة آلاف ميل كان البارزون الأمريكيون وكانوا شديدى الولع لأى رهان . بدأت سلسلة البطولات بفيلم « لورويز كوفاديس » فى عام ١٩٥١ وانتهت بفيلم بكتاب مايبكويكس « كليوباترا » فى عام ١٩٦٣ الذى كان على وشك البداية لماذا لا نرجع إلى روما القديمة لماذا لا نصور فيلمًا عنها ؟ لماذا لا نرجع إلى سينيسيتا حيث لم يكن هناك أى اتحادات حيث كانت الليرة ضئيلة القيمة وكان للدولار قوته حيث يمكن تصوير أفلام عظيمة بأسعار أقل كثيرًا من أسعار كاليفورنيا وحيث الحفلات والنساء ، والطعام والأشياء التى لها أهمية كبيرة إلى البارزين بهوليود أفضل بكثير من مثيلتها بهوليود ؟ لذلك جاءوا إلى هنا .

أول إنتاج سينمائى أمريكى كبير والذى أوضح مميزات التصوير الرومانى كان فيلم (هنرى كنج أمير الثعالب) فى عام ١٩٤٩ تمثيل أورسون ولز فى دور سيزار بورجيا وتيرون باور فى دور رجل النهضة ، عندما احترقت روما على الأقل فى فيلم سينسيتا حيث كان بيتر استينوف يعزف وهو فى دور نيرون ، وكذلك « كوفاديس » فعلى الرغم من أن مدتها ثلاث ساعات كاملة إلا أنها حققت ضربة قوية فى أمريكا ، لقد أصبحت روما مركزًا حيويًا للسينما وكانت مستقلة بفرعها الخاص بوكالة ويليام موريس ورابطة هامبورجر من الطراز الأمريكى يطلق عليها اسم « نوفوكولونى » التى أرسلت بالطائرة ساندوتشات ناثان من جزيرة كونى كمؤونة غير مستردة لوكلائهم وللنجوم التى كانت تشعر بالغربة .

الملك فاروق نفسه كانت له تجربة فى أحد هذه الأفلام فى بداية إنتاجها منذ فترة ، قبل أن يخلع من على العرش ، وفى شهر العسل الأسطورى مع ناريمان فى عام ١٩٥١ كان يجلس فى الحديقة فى فندق سيزار أوجستو فى كابرى كان ريتشارد بروك المنتج الأمريكى الذى ذهب هناك ليكسب جائزة أوسكار لفيلم « المر جانترى » ، كان يحاول أن يصور مشهدًا من لوحة فنية ليستخدمها كخدعة سينمائية

لفيلم « اللمسة الرقيقة » تمثيل ستيوارت جرانجر وبيير انجيلى فى حديقة هذا الفندق . سأل أحد المساعدين ، ياور فاروق عما إذا كان الملك سيترك المكان حتى يمكنهم استكمال المشهد . وسأل الياور الملك الذى نفخ دخان سيجارته الهافان ورفض الانتقال . ثم جاء مساعد بروك بحيلة قدم بيير انجيلى إلى الياور التى أخبرته أنها تتمنى بشدة أن ترى الملك . ونقل الياور الرسالة إلى الملك وبدلًا من الموافقة على ترك المكان طلب أن يظهر فى الفيلم ووافق بروك وظهر فاروق فى الفيلم فى الخلفية وهو يحيى بيديه . وبعد ذلك سأل فاروق عن أجره مقابل الظهور فى الفيلم وعندما لم يعرضوا عليه شيئًا طلب بيير إنجيلى كمقابل ولكن كانت والدتها معها فى هذه المقابلة وأبعدت ابنتها عن هذا الملك الذى يميل إلى الصداقات النسائية وقد ظهر فى هذا الفيلم أيضًا ترومان كابوت فى دور بواب الفندق . وجدير بالذكر أن هذا الفيلم فشل فى تحقيق إيرادات .

حول مجتمع الفيلم الأمريكى منطقة « فيافينتو » إلى « سانسيت بوليفارد » الأمريكى كما حولوا « اكسلسيور » إلى فندق « بيفرلى هيلز » وتحولت محلات بيع الألبان إلى مقاهى على جانبى الطريق وتحولت محلات البقالة إلى نواد ليلية وفى عام ١٩٥٣ أصبح الملك فاروق أكثر المرتادين شهرة ، يحضر ليلًا مع إيرما كملكة الظلام وبموكبه من الرولزرويس والمرسيدس تقف بالقرب من هذه النوادى الليلية والحراس الثلاثة الألبانيين المسلحين وعدة رجال بوليس إيطاليون واقفون فى وضع انتباه كان فاروق وإيرما يتناولان وجبة كبيرة فى تراتوريا مثل بيكولو موندو ، وكذلك فى فيافنيتو التى يرتادها دائمًا المجتمع السينمائى ثم يذهبان إلى مقهى « دوباريس » وهو مكان للجلوس على جانب الطريق ، « نى لاتيريا » على الجانب الأيمن من الشاطىء كما كانوا يطلقون على « فيا فينتو » لم يشرب فاروق أى كحوليات حسب الشريعة الإسلامية وبدلًا منها كان يشرب جالونات من أراناسباتا وهو مشروب سكرى إيطالى من البرتقال والصودا ويعتقد المقربون إلى فاروق أن زيادة وزنه ناتجة عن مثل هذه المشروبات السكرية الخفيفة وليست من كميات الطعام الهائلة أثناء هذه الجلسات

والقائمون على خدمتهم ومعهم التليفونات المتحركة حول رقبتهم حتى يستطيع الزبائن أن تتصل بنيويورك أو لوس انجلوس . كان فاروق يدعو نجمات السينما من أنا مانيانى وإرول فلين وأفا جاردنر إلى أورسون ويلز التى حاولت دون فائدة أن يساند فاروق فيلمًا فى ثوب جديد لجولياس سيزر مليونير مستهتر آخر مثل برازيليان طفل من ملوك المال ، يقف بيجنتارى هناك مثل الارستقراطيين الإيطاليين المستهترين أمثال الكونت (دادو راسبولى) والكتاب مثل تنسى ويليامز ومضيف لسياسيين آخرين ، رجال صناعة ، رجال بى . آر ، ممن يشترون الاجتماعيات . كل من هؤلاء كانوا يريدون أن يقابلوا ملكًا حقيقيًا .

كان دائمًا هناك مكان على المنضدة لامرأة جميلة أو اثنتين أو ثلاثة ، ولكن إيرما كانت تخفى غيرتها . كان فاروق لطيفًا دائمًا مع كل من ينضم إلى مائدته . ولم يجعلها تشعر بأى إهمال لها . وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل كان فاروق وحاشيته الكبيرة يغادرن مقهى دو باريس إلى أحد النوادى الليلية فى « فيافينتو » كان يختار « أوبن جيت » « جيكى كلاب » « بيجال » أو أفضل ملهى ليلى عنده « بريك توبس » فى الدور الأسفل على الجانب الخطأ من الشارع ، « ويست » المولودة بفرجينيا ، آدابيا تريس ، فيكتوريا لويزا ، فيرجينيا سميث جميعهم كانوا من أثرياء بيع الخمور فى شيكاغو إلى باريس وأخيرًا إلى شاطىء روما كانوا يعزفون حبهم لدوق ودوقة وندسور مع « أوتيس ريجريتس » ونغمات أخرى لبرودواى . المرة الوحيدة التى لم يكن فاروق سعيدًا فيها هى التى غنى فيها بريكتوب « اسقط يا موسى » . ذات ليلة كانت إيرما تغسل يدها فى بريكتويس وفقدت خاتمها الياقوت . ومرت ساعة فى حالة من الهياج وأخيرًا أحضر أحد الخدم الخاتم وكافأه فاروق بمائة دولار . إذن ليس هناك ما يدعو للعجب من حب طاقم الخدمة فى « فيا فينتو » له . وتعود الحاشية غالبًا إلى جروتا فيرتا عند الفجر كان فاروق يقبل يد إيرما بسرعة ويرسلها إلى جناحها الخاص ولا يراها مرة أخرى إلا فى الساعة التاسعة من مساء اليوم التالى لقضاء ليلة أخرى بالمدينة .

ظلت إيرما تكتب لوالديها قصصًا خيالية عن حياتها فى الدير ولكن فى خلال شهر واحد كانت صورتها على غلاف جميع المجلات الإيطالية الحقيرة وكان والدها معرضًا للإصابة بالسكتة القلبية . قرر فاروق الذهاب إلى نابولى لمواجهة الأسرة إلا أن والدها ظل ساخطًا . لماذا لم يأت الملك ويستأذن منى قبل أن يأخذ إيرما ، ورد عليه فاروق بأنه لو كان جاء إليه بهذا الطلب لكان حبسها فى دير للراهبات مدى الحياة . ظل السيد كابيس مينوتولو غير موافق على هذا الوضع ولم تستطع إيرما العودة مرة أخرى إلى منزل أسرتها . كانت قاصرًا وكان فاروق مسئولًا عنها ، بعد هذا الاجتماع لم تر إيرما والدها لمدة ثلاثة أعوام .

الذين كانت تراهم هم الملوك وجميلات أوروبا ، فى عام ١٩٥٤ استأجر فاروق فيللا كبيرة أخرى خارج لوسان لأولاده ليرسلهم إلى مدارس سويسرية وأخذ إيرما معه فى جولة طويلة استمرت لعام ونصف ذهبا إلى سانت موريتز إلى تشامونيكس إلى كيسبول إلى كورتينا من الأمير والأميرة هوهيلنو إلى البارون والبارونة فون ثيس ، إلى الأمير ليتشنستون . كانوا يشترون من باريس وجنيف ، يلعبون القمار فى بياريتز ومونت كارلو قضوا وقتًا على يخت أوناسيس وفى قصر رينيه وفيلات الأمراء السعوديين . سافروا مع الحراس الثلاثة الألبانيين ، وحارسين اثنين إيطاليين ، ومديرتى منزل ، واثنين من السكرتارية الذكور ، كان ذلك السفر فى عربة نوم خاصة بقطار أو فى قافلة من عرباتهم الرولز رويس والعربتين المرسيدس وكانوا يحملون أمتعتهم فى أتوبيس ، كل ذلك كان بلون علم مصر الأخضر . عندما عادوا إلى روما فى ١٩٥٦ اشترى فاروق دورًا كاملًا من مبنى لنفسه فى فيا ارتشميد فى باريولى وأجر شقة لإيرما بطابق آخر فى نفس المبنى .

على الرغم من كل الأوقات التى قضياها معًا لم تشعر إيرما بأنها تعرف الكثير عن فاروق . فى سفرياتهم كانوا دائمًا فى جناحين منفصلين . عند عودتهما إلى روما كانت تراه ليلة واحدة أو ليلتين من كل أسبوع ليذهبا إلى الأوبرا أو إلى مناسبات ديبلوماسية أو أحد الأعمال الرسمية . جعل إيرما مشغولة دائمًا مع مدرسى موسيقى

خصوصيين كان حلمها أن تصبح مغنية أوبرا وكان فاروق حريصًا على أن يكون أبوها في العماد . كانت والدة إيرما هي الأخرى تريد أن تغنى ولكنها تنازلت عن أحلامها لتتزوج وتحظى بإيرما . تدربت إيرما يوميًا على الغناء ، أولًا لتصبح نجمة وثانيًا لتبرىء نفسها وملكها في نظر والديها . لم يعد فاروق يأخذها إلى الملاهى الليلية ولم يأخذها قط في حلقات القمار ، لم يتحدث معها أبدًا عن السياسة ولم يتكلم معها كذلك عن شئونه المالية ولم يأخذها لزيارة أسرته في سويسرا . ولم يخبرها عن خططه . لقد كانت مراهقة وكانت براءتها الشيء الوحيد الذى أسعده بها وهى كذلك كانت تخاف أن تسأل الملك أى أسئلة فيها تطفل . في بعض الأحيان كان يخبرها عن أمجاد مصر ، والقصور التى تركها وراءه والكنوز الفنية والمجوهرات وأساطيل السيارات واليخوت ومنازل الصيد بالصحراء والحيونات التى قام باصطيادها مرة في أثناء القيادة على الشاطىء من نابولى إلى سورينتو . أخذ يبكى في صمت وشرح لها السبب فيما بعد لقد ذكره الكورنيش الإيطالى بكورنيش الإسكندرية الذى تركه .

لم يتكلم إطلاقًا عن شقيقاته أو والدته ولم يذكر شيئًا عن نساء أخريات ولكن إيرما كانت تعرف وجود كثير من النساء في حياته من قراءة المجلات والجرائد . ذات مرة حاولت السؤال عنهن ولكن فاروق أزاح هذا الموضوع جانبًا . قال لها هناك أمور معينة لن تستطيعى فهمها كان يريدها أن تبقى طفلة وكانت مقتنعة بذلك وتقبلت أن تبقى صغيرة رغمًا عنها بدلًا من ذلك كانوا يتمتعون بالحياة ، يتزحلقون على الجليد ، يشاهدون عروضًا سينمائية خاصة لنجوم فاروق المفضلين مثل جرى لويس واستر ويليامز وجون واين كان يكره النجوم الإنجليز بما فيهم البيتلز . كانت بداية كراهيته لهم مع مربيته الإنجليزية الصارمة وقد أخبر فاروق إيرما بذلك . ولكنه لم يخبرها عن السفير البريطانى الصارم في مصر الذى كان مفتاح انهيار فاروق من على العرش كما قال الآخرون كان الملوك يتجنبون الحديث في الشئون السياسية في علاقاتهم . كانوا يستمعون إلى تسجيلات فرانك سيناترا ، بينج كروسبى ولويس ارمسترونج . في بعض الأحيان كان فاروق يعزف على البيانو وتغنى إيرما وعلى الرغم

من النساء الأخريات كانت إيرما مقتنعة أن فاروق كان يحبها أكثر منهن . مرة أخذت هى وتابعتها العربة الرولز إلى شاطىء أنزيو ، جند فاروق نصف البوليس الإيطالى للبحث عنهما . مرة أخرى حارس إيطالى وسيم جديد تبادل ابتسامة مع إيرما وبعد يومين اختفى هذا الحارس . كان فاروق يريد إيرما أن تبقى طفلة وكان يريدها بريئة وكان يحب وجودها ويريد الاحتفاظ بها حتى فى عدم وجوده . كان أكثر غيرة من أوثيلو! .

لكن ماذا عن الجنس ؟ كيف كان هذا الرجل الشديد الاستهتار فى المخدع ؟ هل كان مختلًا . ما هى أساليب الانحراف الجنسى التى طبقها نقلًا عن الكتابات والصور الداعرة ؟ إن موضوع الجنس كان أول شىء يستفسر عنه أى احد بالنسبة لفاروق . لم يسألوا عن أراضيه ، سياسته ، اهتماماته الاجتماعية بالفلاحين ، أو موقفه من إسرائيل ولكن كانوا يستفسرون عن أعماله النسائية ؟ هل كانت الموضوعات الجنسية مجرد خدعة ؟

عند سؤالها أى نوع من المحبين كان الملك ؟ .، احمر وجه إيرما قالت لقد كان طبيعيًا جدًا وخفضت عينيها وحاولت تجنب هذا الموضوع لم يكن الجنس له أهمية بالنسبة لهما . كانت طفلة بالنسبة له . كانا يركبان الفسبا معًا كانا يلعبان لعبة القطة العمياء . كانا يغنيان الأغانى لبعضهما . كانت خليلته الرسمية إذا كانت هناك أشياء جنسية غير مألوفة أبقى عليها للأخريات لم تر إطلاقًا مجموعة الصور الداعرة التى كان يحتفظ بها ولكنه كان يحتفظ بها فى حقيبة كتب كبيرة مقفولة ولم تجد مفتاحها على الإطلاق « وكان هناك شىء آخر » قالت هذه العبارة واحمر وجهها أكثر من ذى قبل . كان عنده زوج من القيود وفى بعض الأحيان كان يقيدها فى كرسى ولكنها كانت مجرد لعبة . ومرة أخرى كانت عنده سلسلة خاصة يلبسها على أصابعه ويحبسها بها ، وقالت إيرما مجرد لعبة أخرى . بعد سنوات كانت إيرما فى حماية من حبها الكبير ، فى حياتها لم تكن قصة فاروق وإيرما موضوعًا جنسيًا لقد كانت قصة لبيجماليون لملك أسقط عن عرشه ومراهقة فقيرة من الشوارع الضيقة

فى نابولى إلى الحياة الرغدة وملكية أوروبا وإلى مسرح لاسكالا .

كانت أعظم وأفخر لحظة لإيرما مع فاروق فى أبريل عام ١٩٦٣ عندما عادت إلى نابولى مرة أخرى لتظهر على المسرح لأول مرة لتغنى على مسرح الفن ، كانت تلبس تاجًا مرصعًا بالجواهر وعقدًا من الزمرد وغويشتين كبيرتين من الياقوت استردهما فاروق من ناريمان عندما تركته . كاد العرض أن يتوقف نتيجة لانقطاع فى التيار الكهربائى استمر لمدة نصف الساعة ولكن فاروق أنقذ الموقف حيث أمر بإحضار الشموع من كنيسة قريبة . وقدمت إيرما فنها لحشد كبير يتضمن عائلتها بأكملها الذين صفحوا عنها حينئذ . كانت الألحان لوبسينى وفيردى . فى نهاية العرض بدأ فاروق حيث كان جالسًا فى الصف الأول فى موجة التصفيق والدموع فى عينيه ثم اندفع إلى المسرح بباقة كبيرة من الورود حيث توج بها سيدته الجميلة . « لو عاش ليرى هذه » قالت إيرما تلك العبارة بحزن والدموع تملأ عينيها وأشارت إلى جائزة ماريا كالاس التى فازت بها . وبكت إيرما أكثر عندما أدارت شريط فيديو تسجيليًا عن الملك فاروق الذى أنتجه أخيرًا فردريك ميتران الصحفى والمذيع بالتليفزيون (ابن شقيق رئيس فرنسا) للقناة الثانية وهى قناة فرنسية بالتليفزيون . وأكثر المواقف المؤثرة كانت فى نهاية الفيلم وهو يتضمن عرضًا لموكب الجنازة فى شوارع روما فى أبريل عام ١٩٦٥ . كان يمشى خلف النعش الأسود الملفوف بعلم مصر الأخضر ابنه المذهول البالغ من العمر ثلاثة عشر عامًا وخلفه مباشرة بنات فاروق وهم فى ملابس الحداد السوداء ويلبسون أغطية رأس شفافة سوداء ، وقد كانت ملكة فاروق الأولى الملكة فريدة مع بناته الثلاثة وكذلك كانت إيرما . هنا فقط بعد موته احتلت المكانة التى كانت تحلم بها طوال حياتها بعد ثلاثة عشر عامًا تقبلها العالم أخيرًا حيث ظهرت كملكة ثالثة لفاروق .

كانت هناك خلف جنازته مئات من البشر لم يكن بينهم رينيه أو أوناسيس أو هوهنهولز أو فون ثيسس ولكن كان معظمهم قومًا فقراء عاملين وأولادهم . هؤلاء الذين كان فاروق كريمًا ومحبًا لهم . العاملون فى البارات والذين يقدمون الطلبات

للزبائن ، أشخاص جياع من الشوارع الفقيرة حيث كان يأخذ إيرما كثيرًا فى مهمات ومعه النقود والطعام والملابس ليساعد هؤلاء الذين يحتاجون المساعدة . وأشارت إلى رجل مقعد يجلس على كرسى متحرك خلفها فى الجنازة ، لقد اشترى له فاروق هذا الكرسى وقد توسل لإيرما أن تسمح له بالسير على الكرسى فى الموكب الجنائزى وسمحت له بذلك . وهناك أيضًا أناس جاءوا ليتذكروا فاروق للمرة الأخيرة ليس كملك وليس كرجل مستهتر ، وليس كعربيد ولكن كصديق .

هذا هو فاروق الذى كنا نتوقع ، طبيعيًا أن تكون ذكريات إيرما معه وردية وليست ذكريات سيئة لكنه لم يكن فاروق المتوحش الذى تذكرونه فى (فيافينيتو) وهو يحتضن عاهرة شقراء بين ذراعيه ثائرة لضياع كيس نقودها المكتظ عن طريق لص يركب موتوسكل سكوتر . ضحك فاروق على مأزقها وقبّلها ثم أعطاها نقودًا كافية لتهدئة ثورتها .

أما كارول ديميلو محامى فاروق قد رسم له صورة وردية مماثلة لما رسمته لإيرما . كان يبلغ من العمر حينئذ تسعين عامًا ويلبس بدلة رسمية بابوية ، كان يطل على نهر التيبر وقصر سانت انجيلو ، وهو رجل صغير الجسم أنيق ومحترم شعره للخلف وقميصه المخطط أنيق معروف باسم « محامى الملوك وملك المحامين » وكان يمثل العائلة الملكية الإيطالية ، الملك الزوج الألبانى ، الملك ميشيل برومانيا قبل النظام الحالى .

كان فاروق كريمًا مع الملك الإيطالى فيتوريو أمانيوويل حينما نفى إلى مصر بعد الحرب العالمية الثانية وعندما سقط عرش فاروق ردت إيطاليا الجميل له ومنحته حق اللجوء إليها . قابل فاروق ديميليو عندما كان قنصلًا لإيطاليا ، فى جنازة أمانيوويل فى مصر عام ١٩٤٧ . عندما نزل فاروق من المحروسة فى نابولى عام ١٩٥٢ اتصل باميليو وقد كانا مقربين حتى وفاة فاروق . تذكر إميليو كيف كان فاروق يشاهد النسخة الإيطالية للعرض التليفزيونى الأمريكى « اثنين أو لا شىء » وقد دخلت متسابقة صغيرة فى المنافسة على أمل الفوز لتتمكن من دفع تكاليف عملية جراحية كبرى

لوالدتها وعندما خسرت المباراة بدأت تبكى على الهواء واتصل فاروق مباشرة بمحطة التليفزيون وأعطى الفتاة الثلاثة آلألاف دولار التى كانت تحتاجها . لقد كان ديميليو فخورًا بعميله السابق . لم نحصل على أى قصص سيئة منه تخص فاروق .

كان (الفيافينتو) مزدحمًا بسيارات السياح ومكاتب شركات الطيران والمحلات التى تبيع شنط « جوسى » للسائحين اليابانيين ومعهم مرشدون بالأعلام الملونة . بجانب أزواج انيتا ومارسيلو لم يكن هناك شيء يستحق الرؤية سوى المقاهى على جانبى الطريق حيث كانت النجوم تجلس قبل أن تنتهى الملاحم البطولية حيث تجمدت التعاونيات التبادل التجارى . استبدل « بكليوباترا » « سباجتى الغربية » وعظماء هوليوود المتأرجحون انتقلوا إلى شارع الملك فى لندن وطبعًا مات الملك فاروق والآن أخذ اليابادازى صورًا للسائحين لم يبق أى من النوادى الليلية التى كانت فى عصر فاروق فى أوج مجدها كانت هناك أماكن كثيرة هابطة ، فتيات حالمات ، استعراضات حارة وتقديم فتيات الجنس المتعبات بأوزانهن الثقيلة يحاولن زيادة الحصيلة بسكب الشمبانيا . قليل من المطاعم بقيت على وضعها مثل بيكولوموندو الذى ما زال يقدم الأكلات الشهية ، كان بها زحام شديد بالخارج وأطباق مذهلة من فريتو ميستو واراجوستا فرا ديافولو تقدم لموائد اليابانيين الأثرياء . هؤلاء الذين كانوا يقدمون طلبات الزبائن وكانوا يتذكرون فاروق كزبونهم المفضل .

الممثلات الأمريكيات الاتى ما زلن على قيد الحياة كن يجلسن فى الشمس فى سينزانوس فى (مقهى دوباريس) الدكتور فرانك سيلفسترى الذى كان يعالج النجوم ؛ تايلور ، بورتون ، بوور ، كريستشان ، اكيرج ، ستيل ، كابتن نورمان كوهين ، الطيار الأول فى الحرب العالمية الثانية الذى درب طيارى إيطاليا بعد الحرب ، تشالز فرنللى فوسيت عمدة فيافينيتو ما زال فى السبعين من عمره مازل رجلًا مهذبًا وجنديًا لامعًا محظوظًا حيث عاد أخيرًا من أفغانستان . كلهم تذكروا فاروق بفخر شديد كانوا يطلقون عليه اسم « بيج جيم » جلسوا معه وشربوا شمبانيا معه بينما كان يشرب هو البرتقال بالصودا ، أبعدوا زوجاتهم عنه حيث إن لديه قدرة

عجيبة فى جذب النساء ويحب هذه اللعبة . كان يستطيع أن يجعل أى امرأة تشعر أنها ملكة . على الرغم من كل هذا لم يكن فاروق مجرد ملك بدين كان ملكًا وكان يحب الناس كان يحب المناظر الجميلة وليس من الضرورى أن تكون مبهرة حتى فى النهاية عندما يخسر فى اللعب ويفقد نقوده لم ييأس أبدًا وكان يستطيع النوم ، يأخذ معه أى فتاة يقابلها ويذهب إلى محطة السكة الحديد ويجلس هناك طوال الليل فى حانة السكة الحديد يراقب القطارات التى تنقل الناس والبضائع واللبن كان يعرف مواعيد هذه القطارات عن ظهر قلب ولكن أحدًا من هؤلاء لم يتذكر شيئًا عن فاروق ، كرجل شرير أو محب للرقيق الأبيض ، لا شىء من هذا القبيل .

صديق آخر لفاروق كان فيلبيو مورونى جواهرجى عجوز وجرىء فى (فيا كوندوتى) كان لدية بلاط خاص به فى فندق « انجلترا » أثناء فترة تناول الشراب كان يقبل ويذكر أسماء كل الانجليز والأمريكيين والأرامل والنبلاء والعواجيز والشخصيات ذات الهيبة ممن يمرون على صالة الفندق . منذ ثلاثين عامًا كان مورونى عند عيادة طبيب الأسنان حيث كانت هناك فتاة صغيرة تعانى بشدة من آلام بضرس العقل بينما كانت الممرضة تحاول طلب والد الفتاة ، هدأ مورونى الفتاة ورفع روحها المعنوية ، ووصل الأب أخيرًا ليجد ابنته سعيدة مبتسمة . كان هذا الأب الملك فاروق . وتعبيرًا عن شكره أخذ فاروق مورونى إلى حفلته المتنقلة التى انتهت بوفاته كان فاروق يلجأ إلى مورونى لبيع بعض المجوهرات الملكية عندما كانت حالته المادية غير متيسرة وكان كذلك يصنع له مئات من الميداليات الذهبية وعليها صورته التى كان فاروق يوزعها كل عام مثل « روكفللر » . قال مورونى أن فاروق كان يحب الأشياء الهابطة والملاهى الوضيعة التى يخلع فيها الراقصات ملابسهن على المسرح وكان يكره أضواء المجتمع الراقى لم يكن يميل إليها عندما كان ملكًا ولم يحبها فيما بعد . كل ما كان يريده أن يكون طبيعيًا . قال مورونى ذلك وهمّ ليقبل أرملة ثرية عجوزًا بعد عودتها من يوم شاق للشراء .

كان هناك جواهرجى آخر جيسبى بيتوشو حيث كان فاروق يشترى مرتين فى

الشهر جنيهات ذهب نقش اسمه عليها عيار : ١٨ قيراطًا لأغراضه الملتهبة . فى (الفيا جريجوريانا) كان هناك كارول بالازى بائع السلع الصغيرة للممثلات فى دكانه الفخم بسقفه الذى يرجع إلى عصر النهضة والتماثيل المعدنية الحديثة . قام باليزو بعمل الملابس لكثيرين من النجوم تشارلى شابلن ، كلارك جيبل ، مارلون براندو ، بدأ حياته كصانع قمصان خرافى « باتيسونى » كان يشعر أن فاروق عنده ذوق رفيع ولا يخطىء أبدًا فى اختيار ملابسه وكان ذوقه يفوق كل الزبائن . كان فاروق دائمًا فى بدلته الداكنة الرمادية وقميصه المخطط الرقيق وساعته الكاتينه . كان فاروق مريحًا عن أى زبون آخر كان أفضل حتى من دوق وندسور يعرف تمامًا ماذا يريد . الملك هو الملك .

خلال نهر التيرفى « بيازو كافور » كان هناك صحفى رومانى « ليلو برسانى » رافق فاروق فى رحلة إلى شمال إيطاليا فى أواخر الخمسينات حينما قرر الملك أن يبحث عن وظيفة فى العلاقات العامة بالشركات . كان المبدأ غير منطقى ولا يمكن تصوره لشخص ليس عنده أى خلفية عن طبيعة أى عمل . رافق برسانى فاروق فى سلسلة أسفاره فى الأعمال الكبيرة فى الحزام الصناعى بميلانو – تورين ، كانت أول مرة يفكر فيها ملك أن يبحث عن وظيفة . وصف برسانى اهتمام فاروق البالغ لمجرد فكرة الحصول على عمل يؤديه واكتئابه الكامل عندما كانت كل شركة ترفض تعيينه ، كما رافق برسانى فاروق كذلك إلى الزواج الملكى بكنيسة للملك السابق سيمون من بلغاريا لم يكن حضوره لمتعته الخاصة لأنه كان يكره هذه المناسبات ولكن لكى يقدم ابنته فوزية للمجتمع ووصف برسانى فاروق كأب عصبى يريد أفضل وضع لابنته .

وعندما لم يقابل المعريدون الملكيون ابنته بترحيب يتناسب مع مكانتها الملكية رجع فاروق إلى مقعد جانبى وخلع هيبته الملكية وأخذ يبكى من أجلها .

لقد كان إنسانًا أكثر من اللازم . أى شخص فى روما تعامل مباشرة مع فاروق كان مغرمًا جدًا به ، الذين لم يقتربوا منه ورأوه عن بعد هم الذين حكموا عليه

بالاستهتار والعربدة . هؤلاء هم الذين احتقروه وقللوا من شأنه . لم نستطع الوصول إلى أناماريا جاتى الفتاة الشقراء التى تبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا تلك الفتاة الغرامية التى كانت برفقة فاروق يوم وفاته . لقد اصطادها فاروق بنفسه وذهب معها بدون حارس شخصى فى سيارته الفيات البيضاء طراز ٢٣٠٠ (حيث كان قد باع السيارة الرولزرويس) فى شقتها فى « فيا أوستياز » منطقة سكينة فقيرة لنهر التيبر بجانب مخازن محلات روما التجارية التابعة للقطاع العام . ثم ركبوا السيارة إلى نيا أوريليا أنتيكا بفندق ريفى اسمه « أيل أوف فرانس » لتناول العشاء عند منتصف الليل . تناول فاروق اثنتى عشرة قطعة جمبرى نيئة مع يخنى التوباسكو سرطان البحر ، ضأن أوزى مشوى بطاطس مشوية ، الكستنائى مونتو بيانكو بالكريم برتقالتين زجاجتين كبيرتين مياه وكوكا كولا للهضم ثم أشعل سيجار هافانا كبيرة وأخذ نفسًا طويلًا ثم أخذ يتنفس بصعوبة وأمسك رقبته بشدة فى أول الأمر ظن العاملون بالمطعم أنه كان يمثل أو كان يقوم بإحدى دعاباته الساخرة التى كان مشهورًا بها ولكنه انكفأ على المائدة ولم ينهض مرة أخرى . استدعوا عربة إسعاف الصليب الأحمر ونقل الملك إلى مستشفى سانت كاميلو حيث فشلت محاولة إنقاذه وأعلنت وفاة فاروق الساعة الثانية وثمانى دقائق صباح ١٨ مارس ١٩٦٥ . كان معه ١٠٠٠ دولار أمريكى و١٠٫٠٠٠ ليرة إيطالية وعلبة دواء ذهبية لدواء الضغط المرتفع وباريتا ٦٫٣٥ فى علبة منجدة .

أنا ماريا جاتى التى كان يراها فاروق عدة مرات فى نهاية حياته كانت تعرف فاروق الحقيقى فاروق المنحط المحب للشقراوات وأرجل الخراف الكبيرة . ولكن أنا ماريا جاتى اختفت ووالدتها التى كانت تدير محلين للتجميل اختفت هى الأخرى بعد موت فاروق بعد أن باعت المحلين . لم تجر أى عملية تشريح حيث لم يقدم أحد طلبًا بهذا وطبيب فاروق الخاص الدكتور لويجى دوناتى قال إن الملك الذى يزن أكثر من ثلاثة مائة رطل فى هذا الوقت كان مصابًا بضغط دم مرتفع . كان يرجح أن سبب الوفاة يكون نزيفًا بالمخ . لا توجد أى ملفات فى البوليس بخصوص هذا

الموضوع . قفل المحضر وطويت صفحة حياته .

لماذا كان فاروق يحمل مسدسًا معه ؟ قال ديميليو : « لأن الشيء الوحيد الذى كان يخاف منه هو الاغتيال ، من الذى يريد أن يغتاله بعد ثلاثة عشر عامًا من تخليه عن العرش ؟ هز ديميليو كتفه وقال « هناك كثيرون ، قال ذلك بأسلوب كأنه يخفى شيئًا يعرفه . ولكن من ؟ مرة أخرى هز المحامى المشهور ، محامى الملوك كتفه عند سؤال إيرما كابيس عن سبب خوف فاروق من الاغتيال ، وافقت وأصرت على أن ضغط الدم المرتفع كان السبب فى وفاته . الصوت الوحيد الذى لم يوافق على ذلك كان فى الجمعية الإيطالية فى مصر . كان مقر الجمعية مكتبًا بمبنى فى « بورتابيا » يؤدى إلى بيازا ديللا ريبابليكا التى يشارك فيها جمعيات الإيطاليين فى سوريا ولبنان والمغرب والمملكة العربية السعودية والدول المسلمة الأخرى . كان هناك كثير من الرجال فى أواخر الستينات من العمر وأواخر السبعينات . على أحد الحوائط الخاصة بالمكتب المصرى كان الخاتم المصرى المكون من النسر والوردة وعلى الجانب الآخر كانت صورة للسيد المسيح على الصليب .

رئيس الجمعية سينيور زويتس كان مثل رئيس مستشارى فاروق انتونيو بولى الكهربائى الإيطالى حيث كان مسئولًا عن محطات القوى للسفارات الأجنبية بالقاهرة . بعد أن تكلم عن أيام المجد التى كانت قبل الانقلاب حيث كانت القاهرة والإسكندرية هما ملتقى العالم . كان زويتس متأكدًا أن فاروق قتل . فقد سمم ببطء حتى الموت عن طرق خادمة مصرية كانت تعمل لحساب ناصر سرًا . كان اعتقاده هذا مثل أفلام جيمس بوند على الرغم من أن سى . آى . أيه . قد اتهموا فى أعمال مماثلة أخرى مثل محاولات فعلية لقتل فيدل كاسترو عن طريق السيجار المتفجر ومثل هذه الأشياء لماذا يقتل ناصر فاروقا ؟ حتى لا يطلب الشعب المصرى رجوعه ويسقطوا ناصر . حيث إن ناصرا لم يكن يرغب أن يترك أى شيء دون أن يعمل له حسابًا . بعض المصريين الآخرين اشتركوا فى الحديث وكرروا نفس النظرية . هذه الأفكار

كانت تبدو كأفكار لعقول خالية وخيال غير حقيقى فهم لم يستطيعوا أن يتقبلوا السبب الواضح لوفاته كنهاية حتمية ولكن مثل هذه التجاوزات ، لم نستطع أن نجدها فى إيطاليا حيث كان فاروق أنبل منهم جميعًا . يجب أن نبحث فى مكان آخر .

المبحث الثانى

عشيقات فاروق

شريط الأوتوبيستا المتعرج بين ملاجا ، وماربيللا على شواطىء أسبانيا (دل سول) أثار بشكل نابض بالحياة إحدى المعوقات السفلى لجهنم (دانتى) زحمة المرور الرهيبة للوريات التى تنشر أدخنتها الخانقة ، سرينة عربات الإسعاف الصارخة ، وهى تتسابق لتصل إلى عدد لا نهائى من حوادث السيارات بأجزائها المتناثرة التى تدمى لها القلوب ، الانحدار الشديد فى النهضة وهو الدليل الصامت على سوء تقدير المطورين الجشعين لإغراء هذه الجنة السابقة الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، المطاعم الواقعة على جانبى الطريق كانت تنشر إعلاناتها عن « يونيون جاكس » أو « بانحرز اندماش » لتغرى رواد العطلات الأغنياء من ليفربول ونيوكاسك الذين جاءوا لينعموا بطقس لا يمكن نسيانه .

قرية الصيد مارابيللا التى اكتسبت حب الخليج الفارسى ، حيث يوجد بها محل الفطائر فوزى بعلبك ، سوق السجاد الأصفهانى ، و« بانكو سعودى انجليس) كانت هناك إعلانات قليلة عن مصارعة الثيران ولكن ليست كثيرة مثل تلك فى « حيزوس فيكس » ، من خلال مضيق (جبل طارق) كانت المغرب واضحة الرؤيا . فى هذا المكان وهذه اللحظة كانت لبنان وخاصة بيروت فى الأيام السابقة المزهرة محسوسة بشكل واضح . الجوامع البراقة البيضاء ، لجمعين مختلفين بالحمرة الحديثة المزدحمة والجبال الخالية على البحر ، بينما فى ميناء ارذاتس انتيبس حيث المحلات التجارية لبورتو باناس التى جعلت الشقراوات يلبسن البكينى ويعشن معًا فى سلام مع الزوجات المحجبات البدينات على اليخوت العربية السعودية .

حدد إيجور كازينو فى فلورانس ، أحد المفاتيح الهامة لأسرار فاروق الموجودة فى

هذا المصيف الأخير . شقيق « كازينى » ويدعى « أوليج » مصمم مستهتر كان يكتب عامودًا فى جريدة « هيرست » وهى سلسلة من الثرثرة ، أثناء السنوات التى نفى فيها فاروق . على الرغم من أن مقصده كان شاطىء النخيل بنيويورك ، دائرة مجتمع المقاهى وليس « فيافينيتو » قال كازينى إنه يعرف شخصًا كان له علاقة حميمة مع فاروق قد يضىء الطريق لمعرفة شخصية الملك . كان هذا الشخص امراة ، الأميرة هونى تشيل هوهنلوب ، أميرة أمريكية خالصة النسب وزوج شقيقتها الأمير ألفونس هوهنلوب الذى أنشأ نادى الماربيللا والأكثر غرابة منه فندق « تاهيتان » الذى تحول إلى « اندالسيان » مما وضع هذه البقعة على الخريطة المذهبة للطيران النفاث .

كانت « كاساهونى » تقع على بعد ميل واحد من الشاطىء من (بورتو نانوس) الكبائن القليلة الارتفاع البيضاء للمنزل وكانت تحدها سهول مستعمرة ماليبو ، إلا عن الطريق القذر المملوء بالدجاج وعدم دخول المياه لهذا المنزل لعدة أيام سابقة قالت الخادمة إن الأميرة خرجت إلى الطريق لتأخذ حمامًا . عندما وصلت الأميرة التى كانت قد كتبت عمودًا لمجلة نادى « ماربيللا » كانت مذهلة ، طويلة ، أنيقة ، شقراء ، تلبس جيب « قصيرة جدًا » وساقها طويلة جدًا لقد رأها عدنان كاشوقجى أخيرًا ووبخها هذا الرجل البالغ من العمر تسعة وستين عامًا وقال لها إن ذلك الموضوع كان قاسيًا جدًا . إن العمر لم يكن عائقًا بالنسبة لهونى التى قالت لى إنها أصبحت أمًا . كان منظرها غريبًا فلا أحد يستطيع أن يقهر الزمن لقد أصبحت أمًا بأن تبنت ابنة خادمتها الصغيرة من علاقة غير شرعية كانت تتكلم بالأسلوب المستهتر الذى اشتهر به سكان الجنوب لموطنها جورجيا التى خرجت منه الفتاة الريفية باتريشا ثم ذهبت لتغزو العالم أولًا مع الممثل بوب هوب فى قالب كوميدى فى الاستعراض التليفزيونى بأمريكا ثم تزوجت من بارون مشهور بتجارة اللحوم فى الأرجنتين جعلها تلف العالم وأخيرًا كأميرة أمريكية متزوجة بالأمير الكسندر الذى يدير « نادى المليونيرات » سابقًا نادى أخيه « ماربيللا كلوب » فى القصر الذى كان ملكًا لأجدادهم بالقرب من « كيتزبيهل » تحدثت عن غرامياتها فى هوليوود مع كلارك

جيبل وتيرون باور وكيف استغنت عنهم بسبب ارتباطها بمدرب ركوب الخيل ، وتكلمت عن علاقتها معِ جون إف . كينيدى فى مخابىء الذخيرة فى الحرب العالمية الثانية فى انجلترا وبعد عدة ساعات مع وجود زجاجة نبيذ أخرى تكلمت عن فاروق كانت هونى تشيل تعبد « فاروق » فى أيام شهرتها حيث كانت جميلة وكان قريبًا جدًا منها . لسوء الحظ قبل أن تقول سبب وجوده هناك وصل ضيوفها بعد الاستحمام فى المبانى الملحقة . أحدهم كان زوج شقيقتها السابق ، طويل وأنيق جدًا يرتدى قميصًا أنيقًا جدًا وهو مربى ماشية أرجنتيني . الآخر كان نوفا سكوتيان ، وهو جميل من النوع الذى يصلح للمواكب والأبهة ، والداه من ألمانيا كان قد طلق أخيرًا إم . بى . بريطانية . كان عشاء فى منتصف الليل مقامًا فى مكان آخر مغربى اسمه « مارابيللا هيل كلوب » كعكة الزواج الأرابيسك كانت ملكًا لأحد أصدقاء هونى المقربين « الكونت بيسماروت » بينما أطرب هونى مطرب عاطفى بأغانيه الحزينة عن قصص الحب فى البرتغال كانت مستغرقة فى التفكير فى فاروق . كان لديها خبران ساران . أحدهما أن فى مكتب فاروق الرئيسى فى قصر عابدين فى القاهرة كان لديه لوحة على مكتبه مكتوب عليها « الصبر » والخبر الآخر أنها كانت تطلق عليه اسم (بابل بى) وعندما سألتها عن السبب قالت لأن هذا النحل الكاذب لا يصنع عسلًا . ثم انتقلت إلى موضوع آخر وهو زيادة نسبة الكولسترول عندها قالت إن الأطباء قد حددوا لها طبقًا للجداول ٣٦٠ وقد أسندت سبب وصولها إلى هذا الرقم إلى زيارتها الأخيرة إلى قصر البارون والبارونة فون ثورن فى تكساس حيث كانوا لا يقدموا إلا الصلصة الدسمة . (٣٦٠) الخاصة بهونى ستوصل أى شخص إلى الموت الحتمى إلا إذا تناول ردة الشوفان وأرغف من زيت الزيتون . ولكن ذلك لا ينطبق على هونى لقد بدأت وجبتها « فواجرا » واستكملتها بقطعة ستيك كبيرة فى صلصة دسمة وأنهت وجبتها بشيكولاته ساخنة مملوءة بالكريمة . الساعة الثانية والنصف صباحًا ركبت سيارتها المرسيدس إلى أوتوبيستو فى اتجاه الجيسيرس لعربدة أكثر فى طريق جانبى قذر مع لاعب بيانو من طراز « اعزفها مرة أخرى يا سام »

أى الطراز الهابط .

جولات هونى من حفلات الكوكتيل ، والأفراح ، وتناول الغذاء مع زوار لهم مكانتهم ، العشاء مع شين كونرى ، النوم وقت الظهيرة ، الحمامات . . . إلخ ، ومنعت الحديث عن فاروق أو أى شيء آخر . فى خلال هذه الذكريات ذكرت بعض المعلومات عن غرامها مع فاروق . جاءت هونى ويل إلى مصر عام ١٩٤٩ مع زوجها الأرجنتينى فى رحلة (بولو) مع حاشية عظيمة تضمنت وريثة الطوباكو دوريس ديوك وزوجها فى ذلك الوقت بورفيريو رابيروسو الذى تزوج فيما بعد بربارا هوتون . حيث إن زواج هونى تشايل كان على حافة الهاوية عندما قابلت فاروق فى ملهى بالقاهرة كانت مستعدة لتقبل رهانه الفورى حتى تغيظ زوجها الذى كان منهمكًا فى المغازلة . أخذ فاروق هونى ويل فى كل الأماكن فى مصر ، رقصات بالقصر ، صيد البط وكان ذلك فى قمة مجد مصر حيث كانت أوربا غارقة فى آثار الحروب السابقة كانت مصر المكان الذى يقضى فيه أغنياء العالم عطلاتهم التى لا تنتهى بمعنى ؛ آخر مملكة حقيقية فى العالم حيث كانت الملكية غير مقيدة ولم يوجد ملك فى مثل حرية فاروق فى العالم كله من وجهة نظر هونى كان فاروق معجبًا جدًا بها من النظرة الأولى وكذلك بالنسبة لها حيث أعجبت به من أول نظرة . كان قد طلق زوجته الأولى فريدة أخيرًا وكان أعظم ملك بل أعظم رجل فى العالم أجمع . قالت هونى إن صوته كان ينساب برقة وعذوبة بالغة ، أخلاقه أحسن أخلاق ، مرحًا لأقصى درجة ، لم تستطع أن تفكر فيه كخنزير شهوانى كما كان يشاع فى الجرائد المغرضة .

لقد بدأت هذه العلاقة حتى تجعل زوجها يغار عليها ولكنها انتهت إلى علاقة حب حميمة معه . ذهب الزوج الارجنتينى إلى رحلة صيد فى الهند وانتقلت هونى تشيل إلى قصر عابدين مع الملك .

قالت هونى : « كنت أستطيع أن أصبح ملكة ولكننى أصبحت فى النهاية أميرة » بعد لحظة اعترفت بالحقيقة كان مستحيلًا أن تصبح ملكة ولكن كان ممكنًا أن تكون خليلة للملك لقد عرض عليها فاروق أن يجعلها تعيش فى قصر خاص بها يطل على

الأهرامات ستكون بالنسبة له جوهرة النيل أعظم امرأة سيحافظ عليها وعلى جمالها الباهر ولم تحظ امرأة أخرى بهذه المكانة منذ أيام مدام دوبومبادور . كان قد قرر فعلًا أن يتزوج ناريمان لتعطيه الولد الذى تمناه أكثر من أى شيء آخر .

استمرت هونى تشيل فى اتصالها بفاروق بعد نفيه ولكن جاءت بإيرما كاييس مينوتولو التى سماها « بومبولا » إلى قصر هونى تشيل الشتوى فى كيتزبيهيل حيث اصطادوا وركبوا الخيل وتزحلقوا على الجليد . وصفت هونى تشيل حفلًا للعربدة أقامته على شرف فاروق فى باريس وخرج فاروق من الحفل لأنه اعتقد أن السيدة الأرستقراطية المصرية التى كانت تجلس بجواره كانت جاسوسة لعبد الناصر حيث كان فاروق مقتنعًا بأن عبد الناصر يريد قتله . تذكرت تعليق صديقها الأغاخان أن أمريكا سوف تندم ندمًا شديدًا على التخلى عن فاروق ووقوفها فى صف ناصر . ثم عرضت هونى تشيل نظريتها بأن سبب تنازل فاروق عن العرش لم يكن عربدته وانغماسه فى الشهوات ولكن السبب الحقيقى كان عبد الناصر . كانت تعتقد أن أناماديا جاتى هى التى دست له السم وقتلته مع هونى تشايل الوضيعة سواء كانت أميرة أو لم تكن لم أشعر بتأنيب الضمير بسؤالها عن تفصيلات متوهجة عن علاقتها الجنسية مع فاروق ولكنها كانت تهرب بقصة نادرة عن صديق مشهور آخر كاشوقجى ، إملدا ، ماركوس ، جورج هاملتون كانت هونى ثرثارة مماثلة لفنانة كبيرة فى رقصة خلع الملابس على المسرح حيث يركز الاثنان على غيظ المتفرجين ، تعذيبهم دون أن يقدموا لهم شيئًا . كانت بمفردها فى لحظة واحدة بعيدًا عن الأمراء ، نجوم السينما وحشود « الماناك دو جونا » واجهت هونى أخيرًا بسؤال مباشر عن عضو الملك . قالت لى وهى تغمز بعينها « سأحتفظ بهذا لذكرياتى الخاصة لن أقول شيئًا لأحد عنه » .

بعد عدة أسابيع وسنوات طويلة بعيدًا عن « ماربيلا » كان هناك عشاء فاخر فى إحدى الشقق الكبيرة فى شارع « مارسو » فى باريس . كانت مائدة العشاء ممتدة

مملوءة بأشهى المأكولات ، كان هناك العظماء ، وبعض رواد الصناعة الأثرياء وزوجاتهم وقد كانوا فى أبهى صورة . الخدم العرب قدموا المأكولات التى لا تقاوم ، المأكولات البحرية ، تم اصطيادها فى الصباح من شواطىء لبنان . المضيف الذى رتب لهذه الحفلة حيث المأكولات ذات المذاق الخاص جدًا كان الشيخ خليل الخورى ابن رئيس لبنان السابق عندما كان فاروق ملكًا لمصر . فى أساليب وطرق كثيرة كان الشيخ شديد الشبه بفاروق .

كان فى نفس عمر فاروق لو كان فاروق عاش حتى هذا الوقت ، ضخمًا ومستديرًا ليتلاءم مع درجة تذوقه العالية للمأكولات . شديد الحب للجمال والدليل على ذلك الزوجات وسيدة واحدة ممثلة روسية محت (سيدة السفينة التى تقدم الفولجا) من النوع السينمائى ، وكذلك صحفية فى (بارى ماتش) كان ممكنًا أن تصبح ممثلةٍ وهى ابنة أوليفيا دو هافيلاند . كان خليل ثرثارًا ومهزارًا بدرجة محببة ومناسبة لحجمه . بعد ظهر ذلك اليوم قتل رئيس لبنان وهو صديق حميم له وعلى الرغم من حزنه الذى كان واضحًا فى الطريقة العصبية التى يدير بها حبات المسبحة ، استمر فى الأمسية بصورة مبهجة .

قص الشيخ رواية إرسال والده له إلى مصر ليزور فاروق فى عام ١٩٣٠ ، كانت بداية لصداقة حميمة ولكن عندما أخذ « فاروق » « خليل » إلى قاذفات القنابل التابعة للقوات الجوية والتى كان يقوم بقيادتها ولكن إنسان جرىء كالشيطان . فقد أصر أن يجعله يرى أبا الهول فى الوضع المقلوب وكان فاروق سعيدًا بحالة الرعب الشديدة التى أصابت ضيفه الصغير وكونت عنده عقدة دائمة من الطائرات . أثناء تناولهم للشواء والبطاطس البورية كان خليل متأثرًا لدرجة التدليل التى كان عليها فاروق لو كان فقط عنده تحمل للمسئولية لما استطاع ناصر أن يتقلد زمام الأمور ولكان السلام عم الشرق الأوسط .

استمرت الأحاديث الطريفة عن السيجار الهافانا والروائح النادرة ثم تذكر خليل إحدى خليلات فاروق التى لم يرها منذ سنوات وقال بإعجاب « كانت أجمل فتاة

فى مصر بأكملها » فتاة يهودية من الإسكندرية ميهرة وبعد عدة تفثات من السيجار تذكر اسمها إيرن جنيل وهى نفس الفتاة التى ذكرها جول فيدال بأنها أجمل خليلات فاروق ومجد النساء بقوله « صيد ثمين » ووافقه على هذا القول دافيد سلافيت بروفسور متخرج من « ييل » متخصص فى الأدب وكان قد كتب فى السبعينات قصة بطلها فاروق « قتل الملك » وهى سلسلة مؤلفات عن مزيج من الحوريات المشتغلات بالسينما ، رجال من المجر وغيرهم ممن حاولوا قتل فاروق وهو فى إيطاليا واعترف المؤلف أن أكثر المصادر الصادقة التى اعتمد عليها فى كتابة هذه القصة كانت لإيرين جنيل التى كانت تعيش فى بارك أفينيو وأخذ يسرد « سوشال ريجسترز » « بالم بيتش لايفز » « بيفرلى هيلز سيليبرتى سوسايتى » وأمثال كثيرة عن هذا المجتمع الغريب حيث كانت تعيش فى هذا الخليط فى باريس .

قالت إيرن « كنت أنا الحبيبة الوحيدة لفاروق طوال حياته » قالت بثقة وهى فى حديقة الاستوديو على حافة « بوادو بولون » كانت صغيرة الحجم ، شقراء ، شعرها مصفف جيدًا وترتدى ثوبًا شانيل مظهرها أنيق جدًا وكانت شخصيتها تميل إلى الاوتوقراطية الإنجليزية ، عندها ثقة فى النفس إلى أقصى الحدود كانت كذلك لديها مسحة من الإقدام والجرأة وعندما كانت فى السبعين من عمرها كانت مثالًا غريبًا حيث تزوجت خمس مرات من مصرى وثلاثة من الإنجليز وبرازيلى . ثلاثة من أزواجها الخمسة أثرياء جدًا أحدهم كارلوس أغنى رجل فى البرازيل وكانت نادمة لأنها لم تحصل إلا على القليل على الرغم من جمالها وزواجها بكل هؤلاء . عندما مات زوجها البرازيلى فجأة وهو صغير السن استخدمت اسرته نفوذها فى القضاء البرازيلى لتبطل سريان وصيته وفى هذه الدولة لم يكن هناك نصيب محدد من الميراث للأرملة ولذلك اضطرت إيرين أن تعتمد على مواهبها كمصممة ديكور داخلى فى روما ، لكى تستطيع أن تعيش كمستشارة تجميل فى باريس . فى عام ١٩٨٨ كانت تستعد للسفر إلى الكويت لتصبح مستشارة فى استخدام العطور حتى تدخل السعادة

على الخليج الفارسى . لقد تحولت شقتها إلى مكان ضيق مزدحم وكان سعرها مرتفعًا جدًا ولا يستطيع أحد أن يسدد هذا الإيجار سوى كويتى ثرى . كانت على وشك السفر ، وها هى إمرأة قد عاشت فى قصر عابدين فى القاهرة وفى قصر سوتون فى انجلترا وفى منزل ريفى كبير فى إيباناما ، وفى بارك أفينو . والآن أصبحت عجوزًا شمطاء لا تجد سوى ستوديو صغير فى مونت بارناس لو كان عندها حظ واستطاعت الحصول على هذا الاستديو . لم تكن تنظر إلى الماضى بغضب ولكن كانت تشعر بالسخرية لوضعها وكانت متعبة لأنها مضطرة أن تجاهد وتعمل وتجد مأوى لنفسها على الرغم من أن هذه الأشياء كانت تتوافر لها وبسخاء مرات ومرات . عندها إحساس بالملكية وارتباط شديد بها على الأقل لتجذب الانتباه . هذه هى المرأة التى عرفت الرجال . لقد ادعت أنها تعرف فاروق أكثر من أى أحد آخر . لقد قابلته وعمره واحد وعشرون عامًا وكان ملكًا وكانت هى كذلك ، عمرها واحد وعشرون عامًا كاملة النضج . ظلت خليلته لمدة سنتين وقد ظلت حياتهما مرتبطة حتى آخر عمره . كانت تصف الملك الصبى وهو فى زهرة شبابه قبل النضوج حيث كان أنيقًا وحيويته شديدة . كانت إيرين هناك عند أعظم فترة فى حكم فاروق أيام المجد فليتدخل المؤرخون فى تقدير هذه الفترة فيما بعد . والآن يمكن أن نعرف المعلومات التى يريد الجميع الوصول إليها ، الجنس ، لقد رسمت هذه الخليلة صورة للملك كهاوٍ للجنس الآخر ، كنا نتوقع قصة حب مشتعلة ولكن الواقع شىء آخر تمامًا .

كانت إيرين جينل من الاسكندرية من عائلة يهودية عريقة تعمل بالتجارة جاءت إلى القاهرة عام ١٧٠٠م وأصبحت ثرية من تجارة القطن ، كانت إيرين تتكلم ست لغات ، توجد مكتبة بأحد حوائط شقتها مملوءة بكتب بكل هذه اللغات . وحائط آخر احتوى على بار مملوء بكل الأصناف وهذا دليل على استضافتها لكثيرين . صورة بالأبيض والأسود فوق المدخنة لجريس كيلى . كانت هذه الصورة لإيرين مع على خان فى احتفال الرابطة البيضاء كانت تبدو فى الصورة فاتنة هوليوود فى فيلم « تاليير » أثناء لمعانها فى الخمسينات وفى الثلاثينات عندما كانت هوليوود فى « الخليج » أكثر

لمعانًا اكتشف مرشدو (ارمنيخ ثالبرج) الذين يجوبون العالم الفتاة إيرين ذات السبعة عشر ربيعًا فى مصر وعرضوا عقدًا مغريًا لتصوير فيلم فى كاليفورنيا « لم توافق والدتى على ذلك لقد كانت تعتبر كل الممثلات عاهرات » وبدلًا من ذلك زوجتها أمها وهى تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا من لوريس نجار رجل انجليزى يهودى من عائلة ثرية ويبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا . مثل رجال أم . جى . أم . فى مصر لمح نجار إيرين فى نادى سبورتنج بالاسكندرية قالت إيرين « **بصراحة كان قوامى جميلًا جدًا كنت ألعب كثيرًا سباحة ، وركوب خيل ، تنس وكان أكثر شىء إثارة فى جسمى هو صدرى ، لم يكن ممتلئًا كما يحبه الأمريكيون ولكن كان جميلًا جدًا** » .

كان نجار شديد الحب للإنجليز كان يرتدى بدلة انجليزية « سافيل رو » وعندما قامت الحرب غير اسمه إلى جرانت وانضم إلى الجيش البريطانى حتى قبل الحرب كان نجار مولعًا بالأسلوب الاجتماعى للانجليز (المدرسة الإنجليزية) فى ليلة زفافه مع العذراء إيرين فى فندق الميناهاوس الذى يطل على الأهرام والذى كان يستخدمه وينستون تشرشل فى سفرياته إلى القاهرة ، لم يبد نجار أى اهتمام بجمالها ، بدلًا من ذلك فتح شنطة صغيرة وأخرج منها عصًا مطوية وزوج حذاء أسود حريمى بكعب مرتفع وجوربًا أسود « **كنت هناك فتاة رياضية ، جميلة ، تزوجت دون أن أضع أى مساحيق على وجهى لم تكن لى أى علاقات من قبل . وها هو زوجى الجديد يريدنى أن أضربه حتى الموت . الصباح التالى استيقظت مبكرًا واختبأت وراء الأهرامات ولكنه استطاع أن يصل إلى . لم أكن أتصور أن الطلاق شىء ممكن حدوثه ، كنت أظن أن الزواج مستمر للأبد كنت مضطرة أن أضربه حتى يسيل منه الدم ثم أمرر الكعب العالى بعنف فى هذه الجروح حتى يستطيع أن يمارس الجنس وكنت مضطرة أن أكرر ذلك ثلاثة مرات يوميًا ولكن نجار أكد لى مرارًا أن هذه هى الطريقة الطبيعية التى يتبعها الجميع . أصبت بالمرض والغثيان ، أخذ شعرى يسقط وأخيرًا بعد أربع سنوات ونصف السنة استطعت أن أحصل على الطلاق . بعد كل هذا العناء يمكن أن تتصور السعادة التى أحسست بها عندما قابلت فاروق** » .

كانت أول مقابلة لإيرين مع فاروق عام ١٩٤١ بعد طلاقها بفترة قصيرة عندما كانت حشود روميل فى أفريقيا على حدود ليبيا فى تحركها العنيف إلى جوهرة الشرق الأوسط العظيمة قناه السويس التى كانوا يأملون فى الاستيلاء عليها . كانت الاسكندرية مملوءة بالمرح والهدوء الذى يسبق العاصفة ، وكانت حشود البريطانيين تلهو على أساس أنهم قد يموتون غدًا كان لإيرين نشاط بارز فى أعمال الخير ، فهى جميلة لم تكن تتودد فقط للانجليز المحبين أمثال زوجها السابق ولكن للأمريكيين ، كذلك كانت أكثر شهرة فى جمع الأموال للمجهودات الحربية ، وكانت تدير بارًا تقدم فيه زجاجة الشمبانيا بمائة جنيه ، والقبلة الواحدة بمائة جنيه أيضًا وكل ذلك للمجهود الحربى كان أكبر مناسبة لجمع هذه التبرعات فى الاسكندرية حفل الصليب الأحمر وكانت هيلين موصيرى أرملة رجل يهودى يونانى غنى والمنظمة لهذا الحفل طلبت من إيرين ألا تقف على بار الشمبانيا بل تقف على بار لعصير البرتقال وتعجبت إيرين لماذا البرتقال . عرفت بعد ذلك إيرين أن الملك فاروق كان سيحضر الحفل وشرابه المفضل عصير البرتقال ، وأن فاروق رأى إيرين وعرف أنها مطلقة حديثًا ويريد مقابلتها ، كانت الثرثرة فى القصر فى ذلك الوقت تشيع أن فاروق والملكة فريدة على الرغم من قصة زواجهما الأسطورية وعلى الرغم من وجود ابنتيهما ، بينهما كثير من المشاكل . وكانت هيلين موصيرى صديقة حميمة لفاروق ، ومقربة جدًا ، لدرجة وجود خط تليفونى مباشر لفاروق فى غرفة نومها ، حيث كان الملك المصاب بالأرق دائمًا يستطيع أن يطلبها فى أى وقت وأوضح لها فاروق أنه يريد أن يقابل فتاة جديدة — فاختارت له إيرين ، ردت إيرين بعنف « لن أقابله » لم تكن قد قابلته مطلقًا ، من قبل وفى هذه اللحظة لا تريد أن تراه « لقد كنت تكره أى إنسان فى صف الألمان » . فمنذ احتلال الانجليز لمصر فى القرن التاسع عشر بعد المشاكل الاقتصادية التى تسبب فيها الخديو إسماعيل ببناء قناة السويس وتحويل القاهرة والاسكندرية إلى بلاد أوروبية ، نظر المصريون القوميون إلى الانجليز كخنازير استعمارية ، ولكن المجتمع الأوروبى فى مصر كان يحب الاستقرار الانجليزى وكان المصريون يكرهون الإنجليز

ومع وجود آلات الحرب النازية على الأبواب ، رأى المصريون أن الألمان هم أملهم الوحيد للتحرر من القبضة البريطانية ، كان البريطانيون يشكون فى فاروق وبلاطه لتحالفهم مع المحور ، وكان لإيرين تفسير أبسط **« لقد كان عمره واحدًا وعشرين عامًا وكان شابًا صغيرًا ، لا يعرف كيف يستطيع أن يصبح ملكًا ، كل ما كان يهمه من الذى يدلله أكثر ، الانجليز أم الألمان ، عندما تزوج من فريدة أعطاه الانجليز مضربين من الذهب ولم يكن قد لعب الجولف فى حياته . كان مولعًا بالسيارات فأعطاه الألمان أجمل سيارة خاصة مرسيدس رودستر كطفل فضل اللعبة الأحسن وهذا الذى وصله إلى فكرة إخراج الإنجليز الذين قدموا له المضارب الذهب ، إذا كسب الألمان الحرب وسيصبح ملكًا حقيقيًا من وجهة نظر إيرين »** . لم تكن لفاروق أى علاقات جنسية سابقة قبل زواجه من فريدة وكانت إنسانة عادية من عائلة عريقة اختارتها له والدته الملكة نازلى التى أرادت ألا تتلقى أوامر من أى أميرة أخرى يخطبها الملك . لقد تلقت نازلى أوامر كافية من الملك فؤاد والد فاروق ، الذى كان رجلًا شكاكًا حبس الملكة المرحة النشطة فى حرملك قصره حتى وفاته عام ١٩٣٦ بعد ذلك تحررت نازلى . لم تكن نازلى تدرك أنها تزف ابنها (البكر) إلى صائدة رجال من الطراز الأول[١] . كانت فريدة أول فتاة فى حياة فاروق ، وكان ساذجًا لم يفكر أبدًا أنها ستنقلب عليه وعندما فعلت بدأ فاروق ينظر إلى الناحية الأخرى ، ولكنه لم يمارسه كانت الأميرة فاطمة طوسون زوجة ابن عم فاروق (حسن طوسون) الجميلة فى انتظاره . كانت الأميرة ذات النسب العالى شديدة التعلق بفاروق ولكنها من أسرة عريقة جدًا ، وظنت نازلى أنها لن تستطيع أن تتحكم فيها . وبعد أن تزوج فاروق من فريدة ، تزوجت فاطمة الأمير حسن . وشعرت فاطمة أن الفرصة سانحة أمامها ولذلك ألقت شباكها حول فاروق وحيث إن زوج فاطمة كان فى مرتبة أقل من فاروق فى سلالة العائلة الملكية لم يكن يستطيع أن يمنع فاروق من الاستيلاء على زوجته إذا كان يريدها . لا يوجد أى فرد فى مصر يستطيع أن

(١) المؤلف تجاوز فى هذا الاتهام وخانه التوفيق (الناشر) .

يمنع الملك من الاستمتاع . **« قالت إيرين : كانت فاطمة تريد أن يطرد فريدة من حياته ويجعلها ملكة لمصر ، فالطلاق ممكن فى الإسلام كل ما سيفعله فاروق أن يقول لها أنت طالق ثلاث مرات وينتهى كل شىء . وافق فاروق على ذلك ولكنه اشترط على فاطمة أن تعطيه ولدًا حتى يتزوجها ولكنه لم يكن جادًا معها وإلا فلماذا بحث عنى » .**

لم يجد فاروق إيرين عند بار البرتقال ورآها على إحدى موائد القمار محاطة بفرقة من الضباط البريطانيين فى ملابسهم الرسمية بينما كان أعضاء المجتمع البارزين يقومون على خدمتهم . لاحظت إيرين أن شيئًا غريبًا يحدث حيث كانت تكسب فى كل مرة تراهن فيها . هذه الليلة كانت ترتدى ثوبًا أبيض موسلين عليه شغل إبرة لريشة حمراء (علامة للصليب الأحمر) حول أحرف الثوب ومزين بريشتين كبيرتين حقيقيتين لونهما أحمر كان الثوب من عند مدام برتن مصممة الأزياء الأولى بالإسكندرية ، شعرت إيرين أن هناك من يتفحص هذا الثوب واستدارت للخلف حيث كان فاروق يقف خلفها يلبس بدلة عسكرية ملكية صيفية يحملق فيها ، وجاء الحاضرون فورًا بعرش مطلى بالذهب ليجلس عليه فاروق ولكنه جعلها تجلس على هذا العرش وجلس بجانبها على مقعد صغير وبسرعة أصبحت إيرين قبلة الأنظار للحفلة كلها . جاءتها صوان بأقراص الرهان وكسبت مكاسب كبيرة ثم أخبرها فاروق أنه هو الذى طلب من هيلين أن تجعلها تقف على بار عصير البرتقال ، ودعاها للسباحة فى منتصف الليل فى المنتزه لكنها شكرته ورفضت الدعوة وتركته على مائدة القمار .

وعندما كانت تهم بالخروج من الباب قابلها « سير ميلز لامبسون » السفير البريطانى ، الذى كان يحتقر فاروق ويشير إليه بكلمة « الصبى » وكان فاروق يرى لامبسون فى صورة « الأب المستبد » الذى يتعامل مع ولد مدلل وليس مع ملك . فى الشهور القادمة سيثبت لامبسون أنه النقطة السوداء فى عدم بقاء فاروق فى الحكم والسبب فى التحول الرهيب للحياة الملكية فى مصر وفى حياة هذا الملك الشاب . فى هذه اللحظة على الأقل ندم لامبسون لإعطاء فاروق المضارب الذهب لأنه ظن

أن فاروق موالٍ للمحور فى الوقت الذى تستطيع فيه انجلترا بصعوبة شديدة تكوين جبهة دفاعية عن طريق إيرين . قال لامبسون بإصرار لإيرين وهما على الشرفة ينظران إلى الأضواء المبهرة بالإسكندرية « **بالطبع يجب أن تذهبى معه للسباحة فى القصر ، يجب أن تذهبى** » أصرت إيرين قائلة « **لست مهتمة إطلاقًا بفاروق ولكننى سأفعل ذلك فقط لأنى أكره الألمان ، أفعل ذلك لأننا يجب أن نكسب الحرب** » .
قالتها إيرين بإصرار شديد ، وأخذت العربة الرولز رويس إلى منزلها لتأتى بلباس البحر ، وفى الساعة الثانية صباحًا وصلت إلى القصر الإيطالى الذى يشبه قالب الكيك فى منتصف الحدائق الرومانسية على البحر مباشرة بشواطئه الممتدة وأمواجه المتلاطمة وروائح الياسمين ، المنتزه فى ليلة قمرية كان أجمل بقعة على وجه الأرض . ولكن فاروق احتفظ ببدلته العسكرية ووقف على الشاطىء بينما لبست إيرين لباس البحر الأبيض اللون الملفت للأنظار واندفعت إلى البحر كل ما فعله فاروق هو النظر إليها وهى تستحم فى البحر ، لم يتحرك على الإطلاق حتى انتهت إيرين من السباحة ورجعت إلى حمام القصر لتغير ملابسها ، تركت صندلها على الشاطىء وذهب فاروق لإحضاره مطيعًا ولم يحدث شىء آخر وركبت السيارة الرولز رويس إلى منزلها .

صباح اليوم التالى اتصل بها فاروق فى المنزل وقال لها هذا أنا دون أن يذكر لها اسمه وسألته إيرين « بماذا تريد أن أناديك » وتجنب فاروق الرد فقال لها « بماذا تريدين أن أناديكى ، سأقول لك بوتشى » وردت عليه إيرين بسرعة « وأنا سأناديك بوتشى » وسألها فاروق « متى أستطيع أن أراك ردت إيرين لن تستطيع رؤيتى فأنا مشغولة جدًا وبالإضافة إلى ذلك أنا أكره الأشخاص الذين لديهم لحية » .

لقد أطلق فاروق لحيته ليس فقط كمظهر من مظاهر الورع الدينى ولكن كلفتة سياسية شجعها له مستشاروه ليكسب مجموعة الإخوان المسلمين الذين كانوا ينتشرون بسرعة كبيرة . كان هدف الإخوان المسلمين شيئين أساسيين : الطهارة الروحية والقضاء على الانجليز ، حيث لن تستطيع الثقافة والحضارة الإسلامية أن تزدهر مرة أخرى إلا بتطهير البلاد من النفوذ البريطانى فى مصر . هذه الحركة التى

كان لها صدى كبير وخاصة بين الطلاب كانت تسعى إلى العدالة الاجتماعية وكان ذلك تهديدًا للطبقة العليا فى مصر ، طبقة الباشوات المصريين الذين كانوا يلعبون البولو ويأكلون الفراولة والكريمة مع الإنجليز ، هؤلاء البلوتوقراطيين كانوا يساندون الملكية لمصلحتهم الخاصة بينما طبقة الفلاحين والعمال كانوا يساندون الملكية من منطلق إيمانهم الأعمى بأن هؤلاء هم أجدادهم منذ عهد الفراعنة ولكن الآن لأول مرة منذ قرون أعادوا النظر فى هذا الإيمان الأعمى ، كان حسن البنا قائدًا لجمعية الإخوان المسلمين ذلك القائد الدينى العظيم ناظر المدرسة السابق الذى سافر إلى المدن والقرى من المساجد إلى المقاهى فى ملابسه البيضاء الفضفاضة وغطاء رأسه « الطربوش » ينشر تعاليم القرآن . نظرية هذا الداعية المضادة للإنجليز شدت فاروق الشاب ليس فقط كملك لمصر ولكنه كان متأكدًا أن مصر كانت القوة الكبرى المهيمنة على العالم العربى ، فمن الممكن أن يصبح فاروق خليفة للمسلمين . كان ذلك شعورًا أكبر بعقدة « الأنا » لهذا الملك الصغير .

كانت جميع طبقات المصريين تكره الانجليز وكانت إيطاليا فى الحرب ضد الإنجليز وحتى حلفاؤهم الفرنسيون كانوا يمتلئون غيرة شديدة وعدم التعاطف معهم . المجتمع الأجنبى الوحيد الذى كان الانجليز يستطيعون الاعتماد عليه هم اليهود ، لذلك كانت هناك مهمة محددة لإيرين جنيل . كيف لامرأة واحدة حتى لو كانت أجمل امرأة فى العالم أن تنجى فاروق من قبضة هتلر الشرسة التى لا ترحم . وقالت إيرين « **كان فاروق طفلًا وكنت أستطيع أن أتحكم فيه** » .

فى أول الأمر رفض فاروق على الإطلاق أن يحلق ذقنه وكان يطلب إيرين بالتليفون يوميًا ثم عدة مرات كل يوم لمدة شهر كامل . قالت إيرين : « **كان مثل طفل يريد أن يحصل على لعبة وكلما أسأت معاملته أصر على الحصول على هذه اللعبة** » بعد هذه المحاولات الكثيرة من فاروق ولامبسون وافقت إيرين أخيرًا على الذهاب لمقابلة الملك فى موعد غرامى حقيقى فى قصر المنتزه . . « ارتديت ثوبا دانتيل صغيرًا أسود كان من الصعب خلعه وكنت متأكدة أنه لن يستطيع الوصول

إلى أى شيء وأنا مرتدية هذا الثوب » ثم فكرت لحظة لقد قدموا لهم عشاء يكفى لعشرة أشخاص من الجمبرى والحمام وأكلات بحرية قام بطهوها شيف فرنسى وقدمها أربعة سفرجية سودانيون فى غرفة نوم الملك الواسعة التى تطل على البحر المضاء بنور القمر حيث كان فاروق كالمعتاد مرتديًا بدلة عسكرية ملكية ، وتكلم طويلًا عن عائلة إيرين وعن زواجها الفاشل كان لديه جواسيس فى كل مكان ، إنه أكبر إنسان فضولى فى العالم . . قالت إيرين « إذا عطست يجب أن يعرف ذلك » وهنأته إيرين على البحث الذى قام به بشأنها قائلة « لقد أديت واجباتك المدرسية دون أى أخطاء » وبعد تناول العشاء طلبت منه أن تعود لمنزلها .

وسألها فاروق « ألا ترغبين فى البقاء لبعض الوقت » قالت إيرين « ماذا نفعل » فرد عليها « تثيريني » ولكنها قالت « أنا فعلًا أريد أن أعود إلى المنزل » وفى الساعة الثانية عشرة والنصف أعادتها سيارة كاديلاك من القصر إلى منزلها عند والديها بالإسكندرية ، وبعد عشر دقائق أخرى طلبها فاروق على التليفون « لقد كان يسعد بالحديث فى التليفون » وطلب أن يراها مرة أخرى وتقابلا على نفس هذه الحال لمدة شهرين دون أن يحدث أى شيء بينهما ، قالت إيرين وهى تضحك « لم يكن دون جوان » .

ثم قبلت إيرين دعوة فاروق لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بأكلمها فى قصر عابدين . والداها كانا قد انتقلا إلى شقة بالقاهرة بميدان سليمان باشا لفترة الشتاء (لا زالا محتفظين بمنزلهما بالإسكندرية) لم يكونا فى هذا الوقت يهتمان بأى تصرفات سيئة منها . قالت : « **إذا كان الرجل يريد شيئًا لن ينتظر كل هذا الوقت وقد كنت محقة لقد أمضينا ليلةً رائعة فى جناحه بالقصر فتح الخدم حقيبة ملابسى فى غرفه نومه ولكن ذلك لم يزعجنى لم أكن ألبس أى ملابس نوم كان الجو حارًا جدًا وسألته هل يضايقك إذا نمت وأنا عارية ورد على لن يضايقنى لو نمتى عارية أو مرتدية لملابسك وهو كذلك لم يلبس أى شيء وهو نائم . قبلنى على وجنتى ونام كل منا عاريًا تمامًا معًا فى أكبر سرير رأيته فى حياتى دون أن يحدث أى**

شىء بيننا وفى صباح اليوم التالى انتقلنا إلى حمام السباحة الداخلى للقصر ولعبنا فى حمام السباحة ونحن عرايا مثل طفلين صغيرين فى يوم الأجازة . لم تكن هناك أية علاقات جنسية على الإطلاق ولقد كنت سعيدة بذلك خاصة بعدما عانيت من ذلك فى زواجى .

لم يقدم على أى شىء » لم يكن مهتمًا بالجنس » أصرت إيرين » لم تكن لديه أى شهية للجنس » ماذا عن طقوسه لابد أن هناك تصرفات معينة لفاروق » لم يكن يسعى إلى العلاقات الجنسية ، كان ذلك بعيدًا عن تفكيره لقد كان يريد أن يضمنى مثلما يمسك طفل بقطة صغيرة كان يحضن رأسى بين ذراعيه ويقول يالها من رأس جميل أو قد يضغط على قدمى ويقول يا لها من قدم جميلة وكان يُقّبل وجنتى كما كان يأكل أيس كريم ولكن الجنس لم يكن يهتم به على الإطلاق » .

على الرغم من غياب الإثارة الجنسية أخبر فاروق إيرين أنه يحبها ولكن ماذا عن فاطمة طوسون ، لقد وجهت إيرين له اللوم فأخبرها فاروق أن زوجة ابن عمه قد ولدت له ابنتا توًا ولكنه لم يعط للموضوع أى اهتمام وأرسل لفاطمة عقدًا من الجواهر فى المستشفى ولم يذهب لزيارتها على الإطلاق أو ليرى ابنته الصغيرة . ألم يكن هذا دليلًا كافيًا على فكرته عنها . فى نفس الوقت هذا الرجل الحقير الذى دفع زوجته إلى الزنا لم يفعل أى شىء سوى أنه ابتسم ونظر إلى الجانب الآخر . فى عائلة فاروق الحاكمة مستوى التصرفات الطبيعية لم يكن مطبقًا كانت قوانين اللعبة ، هى تلك التى يصنعها فاروق حسب الظروف ، وتحت هذه الظروف من عدم احترام للتقاليد ، كيف تتوقع لفاروق أن يتصرف بلياقة ؟ ! .

بدأ فاروق يخرج مع إيرين فى الحفلات العامة ، لقد أصبحت خليلته الرسمية ، كانا يذهبان إلى النوادى الليلية مثل سكاربى والكيت كات وكانت هذه النوادى ممتلئة بالجواسيس بما فيهم فتيات الاستعراض من المجر . عند وصولهما كانت الفرقة الموسيقية تتوقف عن العزف وتعزف إحدى أغانى فاروق المفضلة » كل ما حظيت به منك كانت ركلة » بدأت إيرين كذلك تقدم الملك لدائرتها – الدائرة الانجليزية –

فى أول الأمر كان يرفض الذهاب . ذات مرة عندما كنت ارتدى ملابسى للذهاب إلى حفل ركع على ركبتيه ومسك بساقى وقال لى : « **أنت جميلة جدًا أرجوكى لا تذهبى ولكنى قلت له لو لم تكن بهذا الغباء لذهبت معى . ولم يأت معى ولكنه حلق ذقنه فى اليوم التالى .**

إذا لم تكن هناك علاقة جنسية بين إيرين وفاروق ، فما الذى كان بينهما ؟ . .

« لقد كان مبهورًا بأنني يهودية » . الإنسان الوحيد الذى كان فاروق يطيعه كان فؤاد . كان أبوه بالنسبة له هو الحكيم وقد أفهمه أبوه أن أحسن امرأة فى العالم هى المرأة اليهودية خاصة عندما تكون متعلمة . كانت حبيبة الملك فؤاد السيدة سوارز وقد كانت بارزة فى المجتمع اليهودى فى مصر ، وقد استمرت علاقة الحب بينهما لمدة عشرين عامًا ، وأجبرت الانجليز أن يجعلوا فؤاد ملكًا على الرغم من أن ترتيبه لم يكن طبقًا لقوانين الخلافة يسمح له بهذا المنصب وبعد ذلك كانت لها اليد العليا فى ترتيب زواج فؤاد الأول إلى ابنة عمه التى تبلغ من العمر تسعة عشر عامًا ، الأميرة شويكار فى عام ١٨٩٦ . كانت هذه الأميرة من أغنى أميرات مصر وكان ذلك ضروريًا بالنسبة لفؤاد حيث كان مفلسًا من لعب القمار . وبعد حصول فؤاد على أموال الأميرة ، ادخلت السيدة سوارز هذه النقود فى بعض الاستثمارات مع أصدقائها اليهود فى المجال الصناعى وحولت هذه الأموال إلى ثروة طائلة وماتت السيدة سوارز بسكتة قلبية فى حفلة وهى ترقص مع الملك فؤاد . ولم ينسها أبدًا ولم ينس فاروق كذلك حب والده الكبير لها . ورأى فى إيرين فرصة لإحياء حكمة والده .

كان فاروق يحب أن يحصل على أفضل الأشياء دائما ، كما ينبغى للملك الذى يمتلك كل شىء ، بما فى ذلك خليلة يهودية . يحلق ذقنه وتذهب إلى حفلات الشاى الانجليزية ، ومقابل ذلك يصر أن تصبح إيرين مسلمة اعطاها إحدى هداياه النادرة ، مصحفًا صغيرًا مرصعًا بالجواهر ، ارسل إليها مدرسًا عربيًا لمدة ساعة كل صباح ليدرس لها دروسًا فى القرآن وأطلق عليها اسمًا عربيًا جديدًا « فتحية » نفس اسم شقيقته الصغرى ومعنى الاسم أن تفتح جميع الأبواب أمامك ، كانت إيرين تكره

الدروس ، كانت تكره أن تستيقظ كل صباح على دروس فى التقوى ، ولكنها حاولت أن تسايره .

وكانت جائزة إيرين أنها أصبحت أكثر من مشهورة بالقاهرة . وتذكرت إيرين : لقد كنت ارتدى وشاحًا حتى لا يعرفنى أحد ولكن حتى المتسولون الصغار فى الشوارع يعرفوننى ويحيوننى بصوت مرتفع « تعيش إيرين » . أخذنى فاروق إلى الحفلات العظيمة التى كانت تقيمها الاميرة شويكار وكان فاروق يحب الأميرة لأنها كانت تتذكر عيد ميلاده دائمًا . كانت تعيش فى حديقة كبيرة وبها خيام ملونة تقدم المأكولات الفرنسية والإيطالية والروسية وتقدم الشمبانيا الوردية بالجالون ، وهناك ثلاث فرق موسيقية وأربعمائة مدعو . هؤلاء المدعوون بأكملهم كانوا يقفون على المقاعد لينظروا إلّى عندما نصل ويقولون بعد انتهاء الحرب ستكون هذه المرأة الملكة الثانية لمصر .

كانت إيرين محبوبة من الجميع عدا والدتها التى طردتها من منزل الأسرة لتعيش بمفردها ، وكان ذلك أفضل عند إيرين التى لم تكن على علاقة طيبة مع والدتها ولم تصفح عنها لإكراهها على زواج إس ، أم ، من النجار . قالت « لو كنت تزوجت ملك انجلترا نفسه لكانت والدتى قد وجدت أى خطأ فى ذلك . ولم أرافق فاروق لأننى كنت أريد أن أصبح ملكة لمصر لقد اردت فقط أن أتحرر من والدتى » .

كانت والدتها تجعل ملك مصر ينتظر فى الشارع كلما جاء فى إحدى سياراته الرولز أو البوجاتى ليأخذ إيرين . لم تكن تدعوه للصعود إلى الشقة أبدًا وقالت إيرين « إن والدتى كانت تقول لى إنه عندما يستولى الألمان على مصر ستكون إيرين أول من يعدم شنقًا فى ميدان محمد على .

هل قابلت إيرين الملكة الحقيقية لمصر : « الملكة فريدة » ؟ . .

« لم أقابلها أبدًا لم تذهب فريدة إلى الحفلات ولكنها كانت تظهر فقط فى المناسبات الرسمية و لم تصطدم إيرين بفريدة أو بناتها فى القصر على الإطلاق » كان قصر عابدين

يحتوى على خمسمائة غرفة وكانت السيدات فى الحرملك أما أنا فقد كنت مع فاروق فى السلاملك .

« وماذا كنتم تفعلون ؟ » .

كنا نلعب العاب على بابا ، وكنا نمشى من خلال هذه الأبواب المزخرفة فى منتصف الليل ونحن عرايا نفتح ابوابًا سرية إلى غرف تحتوى على جواهر خرافية وكان فاروق أكثر الاغنياء الجهلاء يحب أن يحتفظ بهذه الكنوز ولكنه لم يكن يعرف عنها شيئًا ، يفتح درجًا به جواهر بملايين الجنيهات ودرجًا آخر به زمرد وآخر به ياقوت ولكنه يقفلها مباشرة لأنه يخاف أن آخذ أى شيء منها ثم ننزل إلى الجراج الملكى ويضغط على أزرار فتفتح الأبواب ويرينى جميع السيارات ، هناك كانت كلها بلون واحد « الأحمر » لم يسمح لأحد فى مصر غير الملك أن يمتلك سيارة حمراء كان هناك قانون يحرم ذلك ، وفى بعض سياراته كلاكس بصوت الحيوانات مثل كلب ينبح أو كلب يصرخ كأن أحدًا دهسه . كنا نذهب إلى الأهرامات فى منتصف الليل لننظر إلى أهراماته وأبى الهول الخاص به وعلى الرغم من ذلك لم تكن له أى اهتمامات فى التاريخ أو الآثار . كانوا مجرد لعب . ولعبته المفضلة أن ينزل إلى حمام السباحة وهو عار ، كان دائما يلبس خاتمه الزمرد الكبير وكنا ذات مرة يُحمِّى كل منا الآخر بالصابون فى حمام السباحة وأمسكت الخاتم وقلت له : هذا ملكى الآن ولكنه خرج مسرعًا من الحمام لأنه فكر اننى سآخذ الخاتم منه ، لقد كان شريرًا .

أخبرنى أنه يريدنى أن ارتدى ثوبًا مختلفًا كل ليلة يرانى فيها ، فقلت له اشتر لى هذه الأثواب فضحك ضحكته الكبيرة وقال لى « إطلاقا إن والدك رجل غنى » لم نكن نتكلم فى السياسة ، كنا فقط نثرثر عن الناس بكلام لا قيمة له . كان يجعلنى أقول له فكاهات مضحكة كتلك التى عن السيدة اليهودية التى كانت فى السرير مع زوجها سليمان وكان لا يستطيع النوم لأنه لا يستطيع أن يرد ليوسف نقوده فى الغد وعلى الفور تذهب الزوجة إلى النافذة وتفتحها وتصرخ بأعلى صوتها استيقظ من النوم يا يوسف إن سليمان لن يرد لك نقودك غدًا ثم ترجع الزوجة إلى زوجها مرة أخرى

لتقول له الآن تستطيع أن تنام يا سليمان وهو سيبقى مستيقظًا طوال الليل وكان فاروق يحب تلك « الفكاهة » .

لم يكتب فاروق خطابًا على الإطلاق ولم يقرأ ورقة واحدة ، لم يستمع قط للموسيقى كانت فكرته الوحيدة عن الثقافة والسينما ولم يكن يلعب بأوراق اللعب حتى ارتكبت خطأ واشتريت له ورقًا للعب وعلمته كيف يلعب فتعلق بذلك فقد كان فاروق مصابًا بمرض الأرق وكان لديه ثلاثة تليفونات بجانب المخدع ليطلب أصدقاءه الساعة الثالثة صباحًا ويدعوهم للحضور للعب الورق معه ولم يكن أحد يستطيع أن يرفض طلب الملك . كان مغرورًا لأن جميع الأشخاص المهمين كانوا ينحنون له ويقولون « جلالتك » ولكن إلا أنا لم أقل له جلالتك مرة واحدة فى حياتى .

« كان أفضل شيء بالقصر وجبة الإفطار . . كان السفرجية يقدمونها على عربات متحركة فضية عليها أجمل التحف الصينية والبورسلين والكريستال لم يأكل أحد منا شيئًا كنا نرسل الإفطار كاملًا إلى المطبخ مرة أخرى وكذلك فى الغذاء لم يكن فاروق يأكل ، لقد كان ذلك قبل أن يزداد وزنه ويصبح بدينًا كان شكله وسيما جدًا فى سن الواحد والعشرين عامًا وكان ذلك بفضل أكل المكرونة والجبن . لم يقرب الخبز إطلاقًا ولكنه يطلبه فى المطاعم ليكوّن كرات من الخبز ويقذفها على الأشخاص المهندمين المهتمين بمظهرهم ويرى كيف يتصرفون عندما يصيب الهدف وكان يضحك بسعادة شديدة على ذلك الموقف ، كان عنده ثلاثمائة شخص فى خدمته فى قصر عابدين يطلق عليهم « الأشخاص الصغار بالقصر » يكافىء من يعطيه أفضل خبر لهذا اليوم ويقول له « حسنًا يا ولد » « أنت صديق الملك » فى المرة القادمة انقل لى خبرًا أهم من ذلك ، كان الرجل المسكين يخرج ويبدأ فاروق فى الضحك مرة أخرى قائلًا « كلاب » كما كان يسميهم ، وكان يسوق بمهارة شديدة . . يسوق ويصطاد ويركب اليخت تلك هى هواياته المفضلة .

كنت أرتب رحلات الصيد فى الأجازات الأسبوعية إلى أنشاص والفيوم . كنت أدعو كل أصدقائى الإنجليز « كان الناس يرتعلون عندما يدعو نفسه إلى منازلهم .

لم يرسل لأحد ورودًا . لم يدخل أى منزل ومعه هدية مناسبة عندما كان يزور الأصدقاء كانوا يخبئون الأشياء الثمينة حتى لا يراها لأنه إذا رأى شيئًا وأعجبه يرسل لهذا المنزل عربة نقل فى اليوم التالى ليجمعه .

ففى مصر عندما تعجب بشىء يقول لك صاحبها « تفضل » وكان فعلًا يأخذها . عندما يريد فاروق شيئًا يظل وراءه حتى يحصل عليها تمامًا مثلما فعل بالنسبة لى .

ماالذى أعجب إيرين فى رجل دون اهتمامات جنسية أو ثقافية ؟ .

لم يعجبنى فيه أى شىء كان يجب أن أبقى معه حتى أبعده عن الألمان فعلى الرغم من مقاومة إيرين لم يكن السفير البريطانى سيرميلز لامبسون مستعدًا أن يترك هذه الأمور للحظ أو للغراميات . ففى اوائل فبراير عام ١٩٤٢ قامت مظاهرات طلابية مؤيدة للألمان واستقال رئيس الوزراء المصرى المؤيد للإنجليز ، كان لامبسون يريد أن يؤكد أن من يخلفه يجب أن يكون بناء على اختياره هو وليس اختيار فاروق . حتى أوائل الاربعينات كان لامبسون يرتدى بالطو رجالى يصل إلى ركبتيه وكان يرتدى رابطة عنق ذات ألوان زاهية ومنقطة وكان يطلق عليه فاروق اسم « جاموس باشا » فى أثناء هذا العام ناقش لامبسون بجدية مع لندن إمكانية إسقاط فاروق « الولد » كما كان يطلق عليه عندما عارض فاروق تعيين الرجل التابع للامبسون « مصطفى النحاس » الزعيم المحبوب لحزب الوفد رئيسًا للوزراء . وقد قام لامبسون بإجراء كان من أشد الإجراءات عنفًا من قبل الاستعمار البريطانى لدولة من المفروض أنها ليست مستعمرة بريطانية . . لقد أحاط قصر عابدين بكتيبة من الدبابات البريطانية وكسروا أقفال ابواب القصر ودخلت فرقة عسكرية مسلحة إلى درجات القصر الكبير واندفعت إلى حجرة مكتب فاروق واتهمت الملك باتهامات عديدة بدءًا من الافتراءات حتى الخيانة العظمى وقدمت له عريضة الاتهام ، فى أول الأمر اعترض فاروق لأن الوثيقة كانت مكتوبة باستهتار على ورق مقطوع من دفتر مذكرات بالسفارة البريطانية ، وحتى يفوت الفرصة على لامبسون فقد وافق على اختيار « ناظر المدرسة » كما كان يسميه فاروق ساخرًا بتعيينه لرئيس الوزراء الذى اختاره .

كانت هذه الحادثة صدمة مذهلة للدولة بأكملها ليست لفاروق فقط وأدت إلى زياده كراهية المصريين للإنجليز ، لقد كان البريطانيون معينين رغم أنف المصريين فى الوظائف العليا . والآن تمت مقاطعتهم ولكن طبعًا إيرين لم تقاطعهم . فى ذلك الوقت كان ابن وينستون تشرشل ، راندولف الضابط الشاب الذى جاء إلى القاهرة في عام ١٩٤٠ مع نخبة من القوات العسكرية التى ضمت ايفيلين واى ، من الاشخاص الذين يسعون إليها . وكان راندولف يطلق علي فاروق « الخنزير القذر » . كان فاروق متجاهلًا لراندولف ولم يكن مقتنعًا بسير وينستون حيث كان فاروق يطلق عليه وهو يتثاءب « رجل انجليزى بدين آخر » .

مازالت إيرين مقتنعة بأن فاروق سرق علبة السجائر الذهبية التى أهداها لها « وينستون لراندولف » فى عيد ميلاده الحادى والعشرين .

وعندما طلب فاروق أن يراها حيث إنها هدية خاصة جدًا قلت له « ليس انت أيها المريض بداء السرقة فلو رأيتها فلن أراها مرة أخرى » وقال لى « بشرف الملوك لن آخذها ولغفلتى وثقت فيه وبالطبع لم أرها مرة أخرى ولكنى وجدتها هنا فى باريس فى معرض الكارتيير بالقصر الكبير بعد أن عرض الضباط الأحرار مقتنيات قصر عابدين فى مزاد علنى من أكبر المزادات فى التاريخ عام ١٩٥٤ » .

حادثة عابدين جرحت فاروق جرحًا عميقًا وكما قالت نازلى « لو أن لامبسون جاء بعلبة من الشيكولاته بدلًا من الدبابات » . فلقد قلت لفاروق : « هذا درس جيد لك لقد حدث ذلك لأنك تقف مع الجانب الخطأ من الأفضل أن تكون فى صف الإنجليز » .

استمرت إيرين خليلة فاروق الرسمية لمدة عامين ، فى أغلب الأحيان ينامان عاريان معًا ، يلعبان ألعاب الماء فى حمام سباحة القصر ويثرثران . . لم يكن فاروق معقدًا من شىء ، كانت عقدته الوحيدة ثقته الزائدة فى نفسه . كان نظيفًا جدًا ، قليل الخطأ ، إلا أنه كان يحب أن يتجشأ طوال الوقت ليضايق الحاضرين .

كان ينام عاريًا دائمًا ولم « يشخر » أبدًا . كان كسولًا بطريقة لا تصدق ، لم يذهب أبدًا ليتمشى عندما كنا نذهب إلى حدائق القصر مثلا لنتنزه . . كان يجلس على دكة وينظر إلَى وأنا أمشى . من وجهة نظره - الملك لا يفعل شيئًا على الإطلاق لم يكن عنده ميول حقيقية للموسيقى أو الثقافة ، لم يقرأ أبدًا ، لقد كان مثل كلبه الوولف الالمانى الكبير . كان مجنونًا باللون الأخضر : ملاءات السرير ، ملابسه بالمنزل ، شبشبه كل هذا كان باللون الأخضر وكان الحرف « ف » على كل شيء . لم يمرض أبدًا كان يعبد حمامه كان أكبر وأفخم حمام رأيته طوال حياتى وكان يحب أن يحمى نفسه ولكنه يسعد أن يجعل الخدم يلبسونه حذاء يحب أن يراهم تحت قدميه .

« فكرته الثانية عن الملك أنه ليس مدينا لأحد بأى شيء . عندما كانت الإطارات توزع كحصص لندرتها طلبت منه أن يأتى بإطارين لسيارة لوالدى . ضغط فاروق على زرار التحكم الاوتوماتيكى الذى يفتح جميع أبواب جراجات القصر وأخذ يعرض سياراته التى لا تحصى وضحك ولم يعطنى شيئًا . ذات مرة كان أخى مصابًا بالتهاب رئوى ولم يكن البنسلين متوافرًا ولكى أجعله يوفر لى هذا الدواء هددته بأنى سأقول للعالم أجمع إن ملك مصر كان يستطيع أن ينقذ حياة شخص ولكنه لم يفعل ذلك » « كان فاروق يتكلم معى حتى الساعة الخامسة صباحًا ، فى لا شيء ، مجرد ثرثرة ما الذى ستفعلينه غدًا ، من الذى يعد حفلة ؟ من الذى خسر فى لعب القمار ؟ ومن كان هناك ؟ وماذا كانوا يرتدون ؟ لم يكن غبيًا ولكنه كان غير متعلم وكان سعيدًا جدًا بهذا . كان هو الملك . وكانت صحته قوية . كان مرحًا . . كل شيء كان يضحكه . كان يظن أنه ذكى جدًا وخفيف الظل عندما يغيظ الأشخاص ويثبت بذلك قوته ولا يستطيع أحد أن يقاومه . كان شديد الثقة بنفسه .

ولكن ماذا عن الجنس ؟ « ذات مرة قال لى فاروق يجب أن يزداد وزنك ، ولكنى قلت له إن هذا مستحيل لأننى أجرى وأعوم وألعب جيمنازيوم كان وزنى حينئذ خمسة واربعين كيلو جرامًا . وكان محيط وسطى هو نفس محيط رأسى . بالنسبة للشرقيين

يعتبرون المرأة النحيفة فقيرة .

شغلنى هذا الطلب لابد أن فاروق لديه أفكار أخرى ولذلك يريدنى أن أزيد وزنى لكنه لم يكن يفكر فى ذلك كان يستفزنى فقط .

فى نهاية ١٩٤٣ انتهى تهديد الجيش الألمانى فى شمال أفريقيا وأصبحت مهمة ايرين الغرامية غير ضرورية ولكن إيرين استمرت على هذا الوضع كاستمرارية لوضعها الأول وليس للضرورة . وجاءت النهاية فى رحلة الصيد فى الفيوم التى رتبتها إيرين ودعت لها همفرى باتلر والتى وصفته « الابن المخادع لملك انجلترا » جاءها همفرى بسكرتيرة انجليزية جميلة فى هذا الموعد إلى منزل الصيد الخاص بفاروق فى واحة على أطراف الصحراء جنوب القاهرة . كانت إيرين تظن أن هذه السكرتيرة هى صديقة باتلر حتى هذا المساء حيث رأت باتلر يشرب الخمر بمفرده وذهبت إيرين فورًا إلى غرفة نوم فاروق فى الطابق الثانى وكانت الغرفة مغلقة أخذت إيرين تطرق الباب بشدة وعندما فتح فاروق الباب رأت إيرين الفتاة الإنجليزية فى فراش الملك الكبير وقالت إيرين « أتمنى أن تكونى مستريحة فى فراشى » ثم عادت إيرين إلى البار لتشرب البراندى مع باتلر حتى الثمالة . ثم قررت إيرين أن تنام فى نفس الغرفة التى كان ينام فيها باتلر مع جنرال بريطانى آخر . فى ساعة متأخرة من هذه الليلة جاء فاروق باحثًا عنها اعترض باتلر طريق الملك وأفهمه أن إيرين كانت مريضة وأعطاها الدواء المناسب . لم يستطع فاروق الرد كان مذهولًا . لم تستطع إيرين أن تنام كانت مقتنعة أن هذه الفتاة الإنجليزية الرومانسية قد دبر أمرها كريم ثابت ، المستشار الصحفى لفاروق الذى أراد أن يستخدم الجمال الإنجليزى لينهى ارتباط إيرين بفاروق . كانت إيرين تطلق عليه « المتملق الخائن ، الموالى للألمان ، الوَحْش » .

فى اليوم التالى أظهرت إيرين الخضوع للأمر الواقع ولكنها طلبت من الخدم أن يقدموا إفطارًا فخمًا لثلاثة أشخاص فاروق وإيرين والسيدة الانجليزية . بينما كانت إيرين تتظاهر باللطف أمرت الخدم بجمع حقائب السيدة الانجليزبة فى السيارة الملكية وعند تمرير دور آخر من « الكرواسون » على الإفطار قالت إيرين :

« لسوء الحظ إنك لن تستطيعى أن تكملى الإفطار لقد طلبت فورًا الرجوع إلى القاهرة وتعجل السفرجية ذهاب هذه الدخيلة إلى السيارة ومنها إلى الصحراء » .

وغضب فاروق « مالذى فعلتيه إنها امرأة رائعة ، لا تقاوم » .

كانت هذه هى القشة التى قصمت ظهر البعير . رفضت إيرين أن تتكلم مع فاروق حتى نهاية هذا اليوم ثم عادت مبكرًا إلى القاهرة واختفت فى منزل هيلين موصيرى .

عندما خرجت صرخ فاروق بجنون « سأجعلك ملكة مصر ستكونين أمًا لابنى » . استطاع فاروق أن يجدها عن طريق جواسيسه ثم ذهبت إلى جناح همفرى باتلر فى فندق شيبرد ، استطاع فاروق مثل الكلب بحاسة الشم أن يجدها هناك ، اندفع إلى غرفة الطعام الرئيسية مرتديًا الشورت الحربى الكاكى وهو يبكى . وقد اعترض هامفرى باتلر طريقه محاولًا أن يجعل فاروق يحتفظ بوقاره ، وقال له « يبدو أنك أصبت بالبرد » واعترفت إيرين : « **على الرغم من أننى فى البداية لم أكن اهتم بفاروق إلا أننى أحببته كان حبوبًا مثل الطفل الشقى لا يمكن لأحد أن يقاومه ولذلك أحببته ولكن لم يكن ذلك حبًا رومانسيًا ولكن فى النهاية فقدت صبرى » .**

عادت إيرين إلى الإسكندرية لتعيش مع أصدقائها اليهود اللامبروسو . هناك قابلت ضابطا إنجليزيًا يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا اسمه برسيفيل فال بيلى فى حفل أقامه ادميرال بريطانى . اثناء هذه المقابلة كان فاروق يتبعهم فى كل مكان دون أن يظهر ولكنها كانت تشعر بوجوده إذا كانا فى ملهى ليلى يرقصان . . كانا يعودان إلى المائدة ليجدا إحدى خوذ فاروق وعصاه على كرسى فال . كانت إيرين تعتبر غرامها مع فال هروبًا لها من مصر وسوء سمعتها كخليلة للملك . هذا الزواج سيمكنها من الحصول على جواز سفر بريطانى وتأشيرة دخول انجلترا لأنها إذا استمرت كمواطنة مصرية فلن يعطيها فاروق هذا الحق إطلاقًا .

بعد شهر ونصف من أول مقابلة تزوجا فى كنيسة إنجليزية بالإسكندرية .

بدأت إيرين تعد الخطة للسفر إلى إنجلترا إلى سوتون بلاس ، المنزل الخاص

بعمة فال دوقة هولندا وفيما بعد متزل جى . بول جيتى . قبل أن تسافر زارها انتوينيو بولى « كان فاروق يحب رجلًا واحدًا وهو بولى وكان يحب إمرأة واحدة وللأسف هذه المرأة كانت أنا » جاء بولى لزيارة إيرين وقال لها « مدام إيرين » ، إنه يموت لقد ظل فى الفراش ستة أيام كاملة ، لا يأكل ، لا يذهب إلى البرلمان ، لا يقابل الوزراء ، أرجوكى يجب أن تأتى لرؤيته . ولو لمرة واحدة » عادت إيرين إلى عابدين فوجدت فاروق فى فراشه الكبير . . قالت له إنها الآن متزوجة وستسافر إلى انجلترا للأبد فنهض قائلًا وهو ثائر : إذا سافرت لن تضعى قدمك على الأرض المصرية ، لن نسمح لك بتأشيرة دخول سوف تكونى فى القائمة السوداء وبالنسبة لى سوف أعلن الحرب على اليهود ، سوف أفقد شعورى وأفقد نظرى ، سوف أذهب فقط إلى العاهرات وسأقضى باقى عمرى فى القمار . قلت له : « يا عزيزى لن يستطيع أن يمنعك أحد من الانتحار » وتركته ولم أكن أصدق كلمة واحدة مما قال ولكن لأول مرة فى حياته كان يقول الصدق والصدق الحقيقى » .

المبحث الثالث

رقص الناس مع إحدى فرق الرومبا الأربعة التى كانت تعزف ألحانها منذ الصباح إلى منتصف الليل فى نهاية الأجازة الاسبوعية . **وبعد منتصف الليل مباشرة طلب منهم أن يأتوا إلى سطح القصر فى ملابس النوم حيث كانت حفلة بملابس النوم . لم يكن مع ميلندا قميص نوم ولذلك استخدمت ملاءة الفراش وقد هنأوها على هذا الابتكار الحديث لملابس النوم . قدمت الشمبانيا الوردية . كان الملك يلبس الكمينو الأبيض ، زحف إلى الفراش تحت الناموسية وأراح ظهره على الوسائد وأمسك بيدها بإحساس شديد بينما خلعت ميس بيللا (راقصة شرقية) بعض ملابسها حتى أظهرت مفاتنها .**

قال « يويو » - كما كانت تطلق عليه - وهو يرفع ذراعية لأعلى للتأكيد : « إن عادتنا هنا أن نكون فى قمة النظافة » : بينما أخذت ميس بيللا تتمايل ببطنها أخذت ميلندا تدخن من سيجارته .

وفجأة نهض فاروق قائلًا : « هذا وقت الاختيار » . ثم اختار أجمل الفتيات على السطح وأدخلها فى جناحها الخاص .

وفى غرفتها جلس الملك على حافة الفراش وهو يقرأ « فوج » .

قال لها : « هذا عدد قديم وليس عددًا جديدًا . لم أهتم بهن لأنك لم تكونى معهن . ما خطبك ؟ يبدو عليك الغضب . تعالى هنا حتى أحملك » .

وهى تحاولة إخفاء دموعها ، تبعته ميلندا إلى شقته الخاصة ودخلت الفراش وأخذت تحتسى الخمر بينما أخذ يعرض عليها مجموعة طوابعه . وقد أسعده اهتمامها وقال لها : « لقد ظننت أن ذلك لن يسعدك » .

ثم اتكأت على الشبكة الذهبية وخارجها يطير الفراش الاستوائى وقلبت صفحات الألبوم ببطء . بعد ذلك جاء بورق اللعب ولعبا وكانت تفوز فى كل مرة .

بدأ يتذمر وقال : « أنت فتاة وقحة » ثم قال : « ما نوع المربى التى يطلبها الكتكوت فور خروجه من البيضة ! » هذه فزورة » .

فأجابت مبتسمة : « ليس عندى أية فكرة . ما هى ؟ » .

« والدتى باضت » ضحك الملك بصوت مرتفع وكان سعيدًا جدًا بنفسه .

« ما الشيء الذى لونه أبيض وأسود وكله أحمر ، فكرى هذه فزورة سهلة » .

قالت له : « لا أستطيع أن أخمن تلك أيضًا » .

« الجريدة » وضحك بصوت مرتفع « الآن غلبتك » دارت رأس ميلندا بعد شرب كل هذه الشمبانيا . بدأت رأسها تدور وملأ أذنها صوت زن . جذب الملك الحبل الوردى ذا النهاية المشربة من جيب ملابسه الخاصة بالنوم ولمس بخفه شنبه الطويل الملتوى ونظر بحرص للفراش وأخذ يداعبها ببعض الحركات المريحة له ولها حتى بدا كل منهما هادئًا بعد ثوران حدث فى جسمهما .

هذا مشهد من كتاب « لمسة فتاة صغيرة » قصة رومانسية كتبتها باربارا سكلتون فى عام ١٩٥٢ كانت كاتبة انجلترا المشهورة قبل الحرب فى الشئون النسائية المهلكة وكان ذلك السرد عن عاهرة مناسبًا وبالصدفة فإن بربارا هى السكرتيرة الانجليزية الصغيرة التى كانت السبب الرئيسى للشقاق بين إيرين جينل والملك فاروق فى عطلة نهاية الأسبوع الضائعة فى واحة الفيوم عام ١٩٤٣ . كانت بربارا إبنه كل من خادم مدنى بوزارة الخارجية ، وفتاة استعراض بصاله موسيقى . « فتاة مرحة » تزوجت من مؤلف بريطانى مشهور « سيريل كونوللى » الناشر الثائر الرزين لمجلة هورايزون ثم طلقت منه لتتزوج من محرر كونوللى المشهور ، جورج ويدنفلد ، وكان سبب طلاق كونوللى جريمة زنا مع ويد نفلد . ولكن بربارا كانت لديها أفكار أخرى بالنسبة

لزوجها الأول ، عندما طلق ويدنفلد بربارا فى ١٩٥٦ اتهم كونوللى بالزنا مع زوجته وقد ثبت أن الموضوع مسرحية هزلية لغرف النوم الفرنسية لمجرد العرض . إحدى فتيات لندن الضائعات أو المغامرات بمفردهن اللائى تحولن فجأة إلى كاتبات مشهورات .

كانت بربارا مرتبطة عاطفيًا بعدد من الملهمين المشهورين ، الشاعر بيتر كوينيل ، الناقد كينيث تيران ، المنتج السينمائي جون سوترو ، محرر جريدة « هاربر ريفيو أوف بوكس » روبرت سيلفرز ورسام الكاريكاتير شارلز آدمز بمجلة « نيو يوركر » ، داريك جاكسون وريث « نيوز أوف ذا ورلد » واستاذ الأحياء ، وريث محرر الستر هاميلتون (ابن هاميش) وكاتب العامود نوفيل أوبزرفاتور خليفة فرانسوا ساجان برنارد فرانك . وبالطبع الملك فاروق .

الملك فاروق الذى قالت عنه إيرين إنه لم يقرأ كتابًا على الإطلاق وكان بعيدًا عن أى اهتمامات ثقافية كيف انضم إلى طابور باربارا من المحبين المثقفين .

القرية الملكية السابقة « شوازى لوروا » شرق باريس التى كانت مشهورة على الخريطة حيث اتخذها روبرتو روزيلينى وانجريد برجمان ملتقى حبهم الهادىء أثناء علاقتهم الشائنة قبل الحرب . لم يبق شيء ملكي أو عاطفي بهذه القرية التى كانت تقع على بعد عشرين دقيقة بالقطار من نوتردام ما عدا الكوخ الرائع الذى قضوا فيه هذا الوقت ، الحديقة المحاطة بالأشجار المظللة بالمنازل البيضاء التى يسكنها عمال شمال أفريقيا . كان عبق الزهور يختلط برائحة الصلصة التونسية الشهيرة فى مطاعم الوجبات الخفيفة .

كانت بربارا سكلتون فى ذلك الحين فى السبعينات من عمرها تركب القطار الباريسى السريع إلى شقة بسيطة منسقة على مقربة من حديقة عامة وهو نفس المبنى الذى عاش فيه حبيبها الأخير برنارد فرانك مع زوجته الشابة وابنته ، وتلك السيدة القاتلة التى لم ترزق بأطفال من قبل أصبحت جليسة أطفال . لم يكن للزمن علامات

واضحة على جمال بربارا الأسطورى الذى يشبه جمال القطط ، كانت ترتدى « جرسًا » أحمر وبنطلونًا رماديًا لونه يشبه لون الذى يرتديه خادمها ، وخفا صينيا ولم تستخدم أى مساحيق . كانت جميلة وتشبه لدرجة كبيرة كاثرين هيبورن . ولقد قالت بربارا بعنف : « **ليس هذا مدحًا لقد كنت اعتقد دائمًا أنها غير جذابة على الإطلاق ، لقد كان فاروق يحب أفلام كاثرين هيبورن يجعلنى أجلس معه لنشاهد هذه الأفلام معًا فى غرفة العرض السينمائى بالقصر كنا نجلس أنا وهو فقط ، وظل يقول لى إننى شديدة الشبه بها . كنت متأكدة أنه يقول ذلك ليغضبنى على الرغم من أنها كانت موديلا لشيباريللى على الرغم من معجبيها الكثيرين** » . كانت بربارا (مثل باقى الجميلات اللاتى لا يبذلن أى مجهود للحصول على المعجبين) . لم تفكر أبدًا أنها كانت جميلة « إن وجهى يشبه الكعكة وليس لى أى عينين إطلاقًا . لم تجذب لى بسبب الجمال لابد أن شخصيتى هى التى كانت تعجبهم » كانت حادة الطبع لاذعة وغزيرة المعرفة وشديدة الذكاء . . أمرأة لا يستطيع أحد أن يمتدحها لأنها لم تترك أى شيء يمر هباءً ، نوعية يصعب التعامل معها وفى نفس الحين كانت تستحق المعرفة .

وإليكم جزءًا من أول مجلد لها للذكريات « الدموع قبل النوم » يعطى صورة واضحة للعالم السريع الذى جاءت منه والطريقة الشكوكية التى كانت تنظر بها للعالم ، والسبب الذى جعلها تعتقد أن فتاة الاستعراض وليست الفتاة المشهورة مثلها هى السبب الحقيقى لمأساة المرأة .

« كانت فتيات الاستعراض خليطًا غريبًا ، هذه أمريكية يشبه وجهها الخنزير طويلة وأنيقة جدًا ، الجميلة الهولندية التى تزوجت أدريان كونالد دويل الذى احتفظ بثعبان كوبرا يعيش على الأرانب الحية ، لوبا الروسية ، جردا النرويجية وهى أكثرهم جمالًا وكانت فتاة استعراض فى سيجفيلد فوليز شقراء زرقاء العينين مثل والدتها وكانت أفكارهم عن الحياة متشابهة وهى « إنك يجب أن تتزوجى من أجل الحصول على النقود فقط » ولكن لم تستطع أى منهما تحقيق ذلك .

كانت بربارا تصر على مشاهدة الأخبار الفرنسية فى جهاز التليفزيون الكبير الذى يخصها ، قبل تناول الغداء . كتبت بحماقة عن مذيع النشرة سام شيرد الصارم الذى يشبهها ، فى بى . سى . بى . جى . (بون شيك بون جيلز وهى تعنى بالفرنسية الإعدادى) حيث كان يلبس بالطو تويد أخضر ورباط عنق مضلع ، حيث كان يذيع بالطريقة التى يثرثر بها المذيع عند التحدث عن حفل الأوسكار . وقد استمرت فى الحديث عن المجلد الثانى لذكرياتها « تبك مرة أخرى » لم يكن بمحلات بيع الكتب بلندن نظرًا لهجوم النقاد البريطانيين اللاذع . ثم قدمت (بوف أو دوب) كان يليق بجدة من الريف فى « أوفرن » وليس متوقعًا من سيدة قاتلة على المستوى العالمى .

ثم انتقلت للحديث عن فاروق ؛ وتذكرت باربارا أن أول مرة شاهدته كان عام ١٩٣٦ حيث كانت تأخذ نائب ملك الهند ليزور عمها دادلى رئيس القوات المسلحة البريطانية للشئون الطبية فى الهند عندما ركب نائب الملك السفينة فى مارسيليا كان فاروق الأنيق جدًا الذى يبلغ ستة عشر عامًا على ظهر الباخرة حيث كان والده قد مات أخيرًا . ركب السفينة وسط احتفالات وأبهة كبيرة فى ليلة أثناء الرحلة بالبحر الأبيض المتوسط إلى السويس تسببت امرأة ، شربت حتى الثمالة ، فى معركة صالون الدرجة الأولى بالسفينة حيث كانت تحاول أن تجذب فاروق إلى الأرض ليرقص معها رقصة الثعلب . كان أفضل مشهد بالنسبة لبربارا الأسطول الصغير المكون من مئات من المراكب الصغيرة (الفلوكة) المضاءة بالشموع والتى تبدو كفراش مضىء وآلاف الفلاحين الذين خرجوا لتحية الملك الصغير عند وصوله ليلًا إلى الإسكندرية . نزل فاروق من فوق ظهر السفينة ليمشى على بساط أحمر ممتد على معبر السفينة وامتد الاحتفال العظيم بوصول الملك حتى مطلع الفجر .

بعد ست سنوات أخرى عادت باربارا إلى مصر فى وقت الحرب كموظفة شفرة فى مكتب الخارجية . كان ضامنها الدبلوماسى رونالد ماكلين الذى أصبح فيما بعد مشهورًا مع زملاء اكسفورد جاى برجيس وكيم فيبى ، كجواسيس للروس . قابلت فاروق فى أوبرج الهرم وكان أعظم ناد ليلى فى القاهرة حيث كان الملك يقذف

كرات من الخبز والسودانى على المعربدين الذين يلبسون أحسن الملابس وجاءوا ليشربوا الشمبانيا ويشاهدوا استعراضات ، تقابلت عينى فاروق وبربارا وفى اليوم التالى الموظف الذى دعاها إلى الجلوس على مائدة الملك حمل لها دعوة مكتوبة إلى الفيوم فى نهاية الأسبوع . وقد تذكرت سفرها هناك فى سفينة شراعية عالمية وهى قاطرة تشبه الأوزة كان طولها خمسين قدمًا ووزنها ثمانية أطنان . اشترى فاروق هذا اليخت البرى العملاق الذى يشبه « أم أربعة وأربعين » عن طريق وكيل المشتريات الأمريكية التابع له أرماند هامر . كانت مثل القصر المتحرك الذى يمكن أن يهرب عن طريقه من القاهرة إذا استطاع روميل أن يهزم البريطانيين ويدخل القاهرة وكان الملك يميل إلى الألمان . كان هامر يجلب لفاروق كل شىء من بيض فابارجى فى روسيا إلى الألعاب السحرية من برودواى ولكن ذلك اليخت البرى كان أكبر خدعة لأنه لم يعمل على الإطلاق ، انفجرت الإطارات فى حرارة الصحراء ، وحدث ماس فى الدائرة الكهربائية تطايرت الأكواب والخمور المعتقة فى كل اتجاه وقد وصفت بربارا كيف أحضر فاروق بوقًا ليجمع ضيوفه فى بدء رحلة الصيد فى الصباح وكذلك ليطلب المساعدة كلما تعطلت هذه المقطورة وفشل جهاز اللاسلكى . كما تذكرت الصفوف الطويلة من الفلاحين المصطفين على الطريق وهم يزغردون ويصفقون بينما العملاق الكبير يشق طريقه إلى الصحراء الشاسعة . وقد تذكرت بربارا إيرين جنيل بصعوبة « جمال أسطورى » واعترفت أنها أخذت مكان إيرين فى غرفة نوم فاروق وأصبحت خليلته فى عام ١٩٤٣ وكانت تراه مرة واحدة من كل أسبوع لعدة أشهر . وذكرت باربارا أن ما لفت نظره لها فى البداية كان قرطًا رخيصًا على شكل سمكة اشترته من سوق الموسكى وأخذه فاروق منها فى الفيوم وأخبرها أنه سيقدم لها مفاجأة وبعد أسبوع وجدت صندوق جواهر تحت وسادتها ووجدت فيه القرط السمكة وقد صنع مثله ذهبًا وعيونا من الزمرد . لم يكن فاروق ملكًا فقط ولكنه كان ساحرًا .

كانوا يطلقون علىَّ اسم « كيوى » مثل الورنيش الأسود المشهور حيث إن وجهى كان دائمًا يلمع . كتبت فى « الدموع قبل النوم » : فى بعض الأحيان كنا

نتناول الغداء فى قصر عابدين وبعدها نشاهد الأفلام السينمائية أو نسبح فى حمام السباحة الكبير بالقصر وكان فاروق يأخذنى بالسيارة دائمًا إلى فيلا موسكاتيلا وهو بانسيون كانت تسكن فيه وكنا نمر من أبواب القصر وأختبىء حتى لا يرانى حراس الليل على الرغم من وجود الأشخاص الأغبياء المصابين بعقدة الوهم والفزع والذين كانوا يحيطون بالملك دائمًا يجب أن اعترف أننى لم أشعر بالملل أبدًا . كنت أعامل بأدب جم .

اعترفت لى بربارا ووجهها قد احمر من الخجل مثل فتاة فى دير أن السباحة كانت تعبيرًا مهذبًا لأشياء أخرى . فى بعض الأحيان كانت تسبح وفاروق جالس فى الماء ، ولكن فى أغلب الأحيان كان يلعب ألعابًا جنسية تحت الماء فى الحمام الملكى كان يحب ذلك أكثر من أى شىء آخر . فيما عدا ذلك كان اهتمامه بالجنس ضئيلًا . كنا نتعانق ونتماسك أيدينا عند مشاهدة الأفلام الجنسية ولكن لم نصل إلى درجة الإثارة لقد كان مثلى تمامًا . فاروق له نشأة ملكية واثق جدًا من نفسه ولكن جزءًا من نشأته أنه يتوقع أن تفعل المراة كل شىء له ، ولقد كان مخنثًا يميل إلى كونه امراة أكثر من أن يكون رجلًا . لم يكن يعرف كيف يحب ولكنه كان يعرف كيف يقبل النساء (هذا مخالف لتجربة إيرين جينيل) كان الجنس بالنسبة له شيئًا يشتاق إليه كثيرًا ، وكان كل همه مداعبات النساء .

مرة أخرى كانت تجربة باربارا مختلفة عن تجربة إيرين جينيل . كانت لها علاقة جنسية مع فاروق ولكنها علاقة غير مثيرة لم نكن نمارس الحب كثيرًا ، فمرة فى حمام السباحة ومرة قبل النوم . فقد كنت أحب ذلك أظن أنه كان يحب أن يقهر المرأة المشاكسة . ثم قالت وهى تضحك كان ذلك يثيره كنت أفعل ما يريد لقد كنت متجاوبة ، ثم اعترفت لم أطلب الجنس فى حياتى ولم أقدم على حركة عدوانية فى حياتى ، كان الرجل هو الذى يبدأ دائمًا ، كنت أتمنى أن أكون مقدامة فى هذا الموضوع مثل هؤلاء الأمريكيات المتشبهات بالرجال ولكنى لم استطيع . حتى بعد أن تزوجت لم أطلب الجنس من سيرك وكان زوجى يقاوم الجنس لاعتقاده أنه يستنفد

خلايا المخ . لم أطلب منه شيئًا ولكن ذلك كان يضايقنى . كان وندفيلد على عكسه يريد أن يمارس الجنس بكثرة . لم يكن فاروق يريدنى من أجل الجنس كان يحب وجودى لأنه يظن أننى مسلية .

على الرغم من أن بربارا ظنت أن فاروق كان « محافظًا جدًا » إلا أنها وجدته مسليًا . كان رجلًا ناضجًا وعلى الرغم من ذلك لم يكن عنده المؤهلات التى تجعل منه ملكًا ، كان طفلًا ولكنه لم يفقد أعصابه أبدًا ، لطيفًا جدًا ، يحب الضحك لم يكن محبًا كبيرًا . كنت لا أطيق الضباط الإنجليز الذين عرفتهم فى القاهرة كانت الحياة فى القصر مع فاروق غير مملة .

وصفت شريحة من هذه الحياة فى كتاب « لمسة فتاة صغيرة » قالت إنها كانت مرآة حقيقية لتجربتها الواقعية وهى مطابقة لمذكراتها مثل قيام فاروق بجلدها « **أنا الآن متعبة ومتألمة بشدة من جلد فاروق لى الليلة الماضية على درجات القصر الملكى كنت أفضل أن يستخدم عصا ممتدة ولكنى تألمت بشدة من حزام لباس النوم الذى أحدث صوتًا رتيبًا لفترة دون توقف** » .

« الملك يويو (كما كانت تطلق عليه) كان ينتظر مجموعة كبيرة من الخطابات وأحدث المجلات الأمريكية بفتيات الغلاف ، أحضرت له سريعًا صينية عليها كأس كريستال به عصير برتقال طبيعى . كان يأمر الحارسين المسلحين اللذين ينامان أسفل فراشه بالانصراف وأخذ يقلب الصفحات بسعادة شديدة ويبلل أصبعه بلسانه العريض المبلل وبعد النظرة الخاطفة الأولى لأكوام الخطابات المتوسلة له من عاهرات فى كل أنحاء العالم كان ينزل إلى حمامه الذى يعده مدلك خاص به أسود اللون بعد أن يعطر ويدلك جسمه المشعر كان يحركه فى الأماكن المثيرة بفرشة ظهر بيد من الذهب مشكلة كأنها يد سيدة بأظافر طويلة حمراء ثم يلف فى لفافة حريرية ويجلس أمام المرآة يضغط أحد النوبيين أصابع قدمه والآخر يدلك فروة رأسه بأعشاب طبيعية وكان الحلاق الملكى يضع على صدغيه المنتفخين فوطة دافئة ويلوى شنبه الملكى بزوج من الماسك الخاص بذلك .

« هل هذه الفتاة الوقحة تناولت فطورها » كان الحلاق يعرف على الفور الفتاة التى يقصدها « إرسل أحدًا لينظم غرفتها لابد أنها فى فوضى » بعد المضمضة بغسيل للفم كان يرش على إبطه المحلوقة شانيل ويصل مع صينية الإفطار التى يقابلها فى الممر . .

يرى الفوضى التى لم يستطع الخدم بعد أن يقوموا بترتيبها يعلق على ملابسها الداخلية القديمة قائلًا « يجب أن نشترى لك أشياء أخرى بأسرع وقت ممكن ويعطيها روب استحمام زاهيًا لونه أخضر ويقبل رأسها : أنت كرنبتى الصغيرة ويجب أن يعتنى بك إنسان ما وسأكون أنا هذا الشخص » .

يتبعها فى الغرفة ويعلق على الأتربة التى تجمعت على الأثاث ويأمر الخدم بإزالتها .

بعد أن ارتدت ملابسها خرجا معًا فى جولة . قادها أولًا إلى جناح الأجداد السابقين حيث بطنت الحوائط الحجرية بصور الأجداد وبالحجم الطبيعى وصورة « ليويو » نفسه . هؤلاء الذين لم يكن عندهم الشارب الملكى المشمع كان عندهم ذقون سوداء وفى صالة أخرى عرض عليها المجموعة النادرة من الملاعق النادرة .

قال لها « هذه المجموعه كاملة تقريبًا » . عند مكان الأسلحة الملكية أمسك بيدها وقال : هذا المكان يحتاج إلى ستة من العبيد ليقوموا بتلميعه لقد انتهى « البراسو » من القصر تقريبًا ، إننى أشتريه مباشرة من بلادك عندما تكون هناك أماكن خالية بالسفن ، المسى هذه النهاية ، لطم بالرمح على ساقها الأيسر . وانفرجت أساريره .

فى الغرفة ذات البلاط الملون كانت هناك صناديق جوهرة الجواهر مملوءة بالزجاجات المرتبة بنظام . وعلى كل زجاجة ماركتها وتاريخ صنعها . كانت هناك جميع الأصناف من المسكرات إلى المشروبات الخفيفة .

« لقد استغرق هذا العمل دهرًا بأكمله ، كم من ذكريات لى فى هذه الغرفة » .

جناح آخر كان مملوءًا بكم من الصناديق وكان يفتح لها هذه الصناديق لترى ما بداخلها . الصفادات ، المنبهات ، النظارات كل هذه الأشياء منظمة بدقة ولها فهرس منظم . **« كما ترين أنا أجيد جمع الأشياء ، ثم قال لها محذرًا لا تلمسيها عندما رأى (بربارا) تقلب فى كاتالوج يستعرض قطع غيار المرسيدس أنا أعرفكم أيها النساء بأصابعكن الساخنة ، بأحمر الشفاه ، قالت له : « أنت تدخن بشراهة بعد أن رات جراب البيبه الخاص » .**

أمام قوائم الأكوام المكدسة من الخمور والحوافظ المكتوبة والمبوبة هنأته على كونه قارئًا مجتهدًا .

قال بفخر « أستطيع أن أقول بصراحة إننى لم أقرأ كتابًا واحدًا فى حياتى » .

عند العودة إلى غرفته الخاصة فتح دولابًا داخل الحائط وأشار إلى صفوف من البدل البيضاء من كل نوع لينو ، حرير ، شانتنج وجلد القرش . **« ولكننى أفضل النسيج القطنى ، ولكن انتظرى حتى ترى الأزياء الخاصة مررنا على مئات من الأحذية المدهونة حديثًا فى أماكنها كأنها على الأشجار وبدون أى ترابط بينها . رأيت ملابسه الداخلية الحريرية ودخلنا لغرفة أخرى حيث رأيت صفًا طويلًا من البدل عليها قماش ستان وردى لحمايتها ، كان هناك الزى العسكرى لمجموعة الخلاص العسكرية إلى زى قائد الواتوسى الفضفاض المصنوع من الفراء الثمين .**

« هنا تجدين كل الأزياء التى تستخدم فى العالم هل تستطيعين أن تجدى مثل هذا فى أى مكان » .

اعترفت لا يمكن بالطبع وظهرت السعادة الغامرة على وجهها .

استمرت باربارا تتكلم عن فاروق وكيف كانا يلبسان زى انتونيو وكليوباترا على العشاء ويرتدى وزراؤه ملابس تشرشل وروزفلت وستالين ، تكلمت عن الفحص الطبى اليومى لفاروق عن طريق طبيبه الخاص نظافته الزائدة فى حماماته المتعددة

بحمامات القدم وأحواض الاستحمام النصفى والباديهات والأدشاش الكثيرة . وكيف كان يكسر الأطباق فى حفلات العشاء الرسمية إن كان بها أى تلطيخ أو أى شق (كان يخاف من الميكروبات) وعن الأسلوب الذى كان يحتفظ به بعصير البرتقال الطبيعى وكيف كان يثلج كأنه أعظم شمبانيا .

كان فاروق يفضل الطعام البسيط كما كتبت فى (دموع قبل النوم) .

كان يحب جدًا هيكل الدجاج ، مدعيًا أن الجزء الخلفى هو أفضل قطعة فى الدجاج . كان يحب الجمبرى والفواكه وأينما ذهبنا كانت هناك أطباق واسعة من عنب الموسكات والتين والمانجو من مزارعه الخاصة وهذا البطيخ الشهى الوردى بلب أسود كبير كان طعمه شهيًا للغاية عندما يكون مثلجًا مع جبن الماعز الطازج . تكلمت عن هوس السرقة عنده كيف كان يعشق امتلاك الشمعدان الكريستال وأجهزة البيانو الكبيرة وأشياء فنية لا تقدر بمال من منازل رعيته الذين يزورهم لسوء حظهم أو لحسن حظهم ليكون هذا الملك ضيفًا عليهم .

كانت حياه بربارا تنقسم إلى قسمين . أثناء النهار موظفة شفرة تصرفاتها معتدلة تلبس الملابس البيروقراطية تعيش بمنزل صغير . فى الليل كانت وعاء جنسيًا بالنسبة له . . تلبس الملابس المبتدعة وآخر الخطوط التى يصر الملك على أن ترتديها ، كانت تهتم بمظهرها لحضور حفلات الرقص الفاخرة والأوبرا ومسابقات البولو ومسابقات الخيل . وبعد فترة أسكنها فاروق فى فيلا تطل على نادى الجزيرة الرياضى فى المنطقة التى كان يسكنها الانجليز فى القاهرة وهى منطقة الزمالك معدة بحمام مجهز لوضوء الملك المستمر كما أمدها بخط تليفونى مباشر مع قصر عابدين .

وبناء على ذلك قرر البريطانيون أن موظفة الشفرة اقتربت جدا من فاروق ، وكان ذلك فى غير صالحهم : **« فقد كنت أعمل فى مكان حساس ، وكانوا مقتنعين أن فاروق يقربنى منه ليحصل منى على معلومات . لم يدركوا أبدا أن فاروق لم يكن**

يهتم بأى شىء من هذا القبيل . الاتصالات الوحيدة بانجلترا التى كانت تهمه كانت طلباته بالتلكس لشراء أربطة العنق الحريرية من هوزو كورتيس ، لم يكن يهتم بأى شىء سياسى على الإطلاق ولذلك استغنت عنى السفارة فى النهاية لعدم اقتناعهم بمبرراتى » .

لم يبك الملك عندما سافرت بربارا إلى أثينا للعمل هناك . كانت تصرفاته غير اللائقة تضايق بربارا فقد قدم لها هدية الوداع فرخة مشوية من أوبرج الهرم وفراء لتدفئة القدم . لقد شجعها على كتابة شيكات كثيرة لمصمم أزياء إيطالى بالقاهرة ولم يبد أى استعداد لدفعها ولم يترك لها أى اختيار آخر سوى تجميد هذه المستحقات قالت « كان فاروق له تصرفات رخيصة وربما كان ذلك لأنه يكره الباحثين عن الذهب وكان هذا التصرف السىء أحد فكاهاته الكثيرة » .

لم تعرف بربارا شيئًا آخر عن فاروق حتى عام ١٩٥٠ ولم تتصور أنها ستعرف شيئًا عنه . كانت فى هذا الوقت مخطوبة لسيرل كونوللى ويبدو أن أيام الضياع انتهت وفجأة اتصل بها فاروق . كان فى رحلته الشهيرة لمدة ثلاثة أشهر بأوروبا وهو أعزب كانت تصرفاته اليومية الغريبة تكتب فى عناوين الصحف الرئيسية لدرجة أن اثنين من صانعى البغاء كانا يقيمان أسفل مسكن باربارا فى شوارع لندن التجارية المزدحمة فى مايفير أبحرا للجهة الأخرى من النفق إلى دوفيل ليتبعا بطانة الملك التى كانت تزداد يومًا بعد يوم . طلق فاروق فريدة فى ١٩٤٨ وخطب ناريمان صادق من المفروض أن تكون هذه هفوته الأخيرة وحيث إن بربارا كانت على وشك الزواج فكرت أن تكون هذه هفوتها الأخيرة هى الأخرى .

وأغرب ما فى الموضوع أن سيريل خطيبها شجعها على القيام بهذه المغامرة « كان يظن أننى أستطيع أن أحصل على النقود من فاروق لأدفع تكاليف شهر العسل » وضحكت قائلة « لم يكن لديه فكرة عن مدى بخل هذا الملك » قابلت بربارا حاشية فاروق فى « لابول » فى بريطانيا حيث خصص لهم عدة طوابق فى فندق هيرميتاج ، كان هناك اثنا عشر من المدعوين الرسميين بما فيهم : طبيب فاروق ، الحلاق ،

الحراس الخصوصيون وعدد لا نهائى من المتطفلين الذين تتبعوا حاشية فاروق إلى كازينوهات فرنسا على المحيط الأطلنطى إلى بياريتز اشترى فاروق بيريهات بعدد الحاشية حتى « يفرنس » المصريين أثناء هذه الرحلة .

« كان وزن فاروق قد زاد بدرجة لم أكن أتصورها مثل حيوان محشو والآن أصبح مولعًا بالقمار لم أكن قد لاحظت ذلك مطلقًا فى مصر كان يطلق علىَّ اسم « ماسكوت » جالبة الحظ . **لم يكن يريدنى معه من أجل الجنس ولكن لأننى كنت أجلب له الحظ كنت أنام معه فى كل فندق نذهب إليه . يأمر بإحضار سرير كبير مخصوص له وكان دائمًا يضحك ويسخر من العاهرات اللائى استخدمهن ولكننى كنت أظن أن ذلك مجرد حديث ، مجرد استعراض كبير ؛ إذ لم تكن معنا فتاة أخرى فى أية مرة كنا نمارس الجنس مرة واحدة كل يوم لم يكن لدينا حمام سباحة لإثارته كان يطلب منى أن أكون فوقه وكان ذلك كل ما فى الأمر ، كان يريد الجميع أن يخدموه كان ينام على ظهره مثل سمك قرش على الشاطىء وكنت آتى له . كان يحب العناق . كما قلت لم يكن يهتم بالجنس بل يهتم بالقمار كنت أجلس بجانبه لأجلب له الحظ ويعطينى كومة من أقراص القمار لألعب الروليت بها . كنت أحتفظ لنفسى بكثير منها لأننى أخسر دائمًا كان يلعب بعض الأحيان حتى الفجر ويبقى الكازينو مفتوحًا من أجله وكلما دخلنا أو خرجنا كانت هناك مجموعة كبيرة من الناس تهتف « يعيش الملك » إن الفرنسيين يحبون الملكية .**

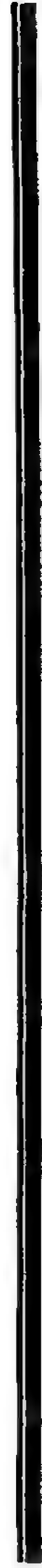
« كان سيريل غيورًا أكثر مما كنت أظن . . لقد كلف واحدًا من جريدة (الديلى ميل) بعمل حديث صحفى مع فاروق وجاء إلىّ « لابول » ولكن فاروق لم يسمح له بالمقابلة ، كان فاروق يكره الصحفيين . . حاولت أن أقنعه أن سيريل كاتب حقيقى وليس أحد هؤلاء الصحفيين ولكنه لم يقتنع بذلك . كان سيريل يلبس البيريه الأسود الخاص به ويتبعنا أينما ذهبنا كنت أركب فى سيارة فاروق الكبيرة الكاديلاك .

ويتبع أسطول السيارات أوتوبيس يحمل جميع الأمتعة . كان فاروق يقود السيارة دائمًا لأنه يحب القيادة وكان قائدًا ماهرًا « فى الطريق كنا نتوقف عند مطاعم مشهورة

ميتشلين » وتفتح فى أوقات غير مألوفة لتعد الوجبات للملك ورجاله الذين يجمعون أعجب الأشياء فى هذه المطاعم مثل ماركات زجاجات الويسكى وأشياء من هذا القبيل ويرسلونها إلى مصر . عندما وصلنا إلى « بياريتز » أقمنا فى فندق « باليز » فى طابقين على الأقل . لم يتكلم فاروق إطلاقًا عن ناريمان أظن أنه اختار واحدة من الشعب لتعطيه ولدًا ولكننى لم أكن أفهم لماذا اختار هذه الفتاة العادية .

حقًا كانت رحلتنا سطحية لم يتكلم عن عائلته أو عن السياسة أو أى شيء كنا نضحك ونسخر ونأكل ونلعب القمار ونشترى . ذات ليلة طلب منى أن يرى خواتم الخلود الرائعة الجمال التى كنت أمتلكها لسنوات وسنوات . ولم أرها بعد ذلك أنا متأكدة أنه أخذها ونسجها فى ثوب زفاف ناريمان المشهور المرصع بالجواهر وكعزاء لى طلب البائع فى محل « بوتشيرون » وجعله يحضر لى ماسكة سجائر ذهب ودبوسًا غجريًا وضعه على ثوب السهرة كان مثل علامة الكشافة . بعد « بياريتز » انتقل فاروق ورفاقه إلى « كان » ورجعت أنا وسيريل إلى « دوردون » كنت سعيدة بالهروب خاصة من الصحافة لقد أصبحت « المرأة الغامضة » فى لندن . أرسل فاروق إلى سيريل صندوقا من المانجو المصرية ربما كتعويض عن عدم السماح له بالحديث الصحفى . ظللت على اتصال بفاروق . كان دائمًا يطلق علىَّ « كيوى » أرسل لى باقة ورد رائعة عندما تزوجت سيريل .

« مرة أخرى دعانى لقضاء أسبوع معه فى « فيلا دامست » عندما كان فى المنفى كان المكان مظلمًا مقبضًا مثل الجنازة ، أطفاله لم يكونوا هناك ولا حتى العاملون كان هناك بعض الحراس الشخصيين وصديقته إيرما . كان مثل منزل مسكون بالأشباح . إيرما مورقة وجميلة ولكن فاروق كان يتركنا كل ليلة فى هذا المنزل ليذهب إلى روما . ربما فعل ذلك حتى لا يدفع فواتير الشرب الخاصة بى . على أية حال بدأت أتضايق من هذا المكان المغلق المظلم فكنت أشعر بأننى سجينة فى قرية ، وذات ليلة ذهبت إلى روما بمفردى وانتهى بى الأمر إلى الذهاب إلى الملهى الليلى فى « فيافينيتو » وكان فاروق هناك على مائدة محاطًا بالعاهرات كان يظن أن ذلك بطولة لم أكن من هذا النوع على الإطلاق ولكن لسبب لا أعرفه كان يحبنى وكنت أحبه .



الفصل الثالث

السلالة الحاكمة

الفصل الثالث

السلالة الحاكمة

بالانتهاء من موضوع الجنس بشكل ما حان الوقت للتعرف على فاروق الإنسان . الخليلات هن الخليلات يملن إلى الانبساط ولكن بلا شك كان فاروق يفرق بين حياته مع هؤلاء وبين الموضوعات الأخرى . كانت له نظرة شرقية للنساء ومعاملتهن كحريم فقط ، يلزمهن بأماكنهن ويطوعهن لنزواته لم يظهرهن فى الصورة الشاملة أيا كانت . للوصول إلى ذلك يجب أن نبدأ من أول الخيط ولن يتحقق ذلك إلا بالتوجه إلى نقطة النهاية .

شارع « أفينوفوس » بباريس ، الواسع المورق ، الملكى وهو من أغنى وأغلى الشوارع سجل الحروب الأهلية لقناة السويس حيث كان يعيش اليهود على جانب والعرب على الجانب الآخر . لولا الخدم الذين يأخذون كلاب الوولف للنزهة تحت الشجر الممتد فى الشارع الذى يبدو كحديقة كبيرة لكان من الصعب التفرقة بين الموقعين ؛ كان الشارع ساكنًا بدون حياة إلا من الطرقات المزدحمة بالعربات المرسيدس الليموزين السوداء وبها رجال أعمال وعربات أخرى « ب.ش.ل » حمراء بها سيدات أعمال ، عاهرات راكبات لعربات يدفعن خمسمائة دولار لمجرد اللهو ، ركوبه سريعة بعيدًا فى فندق لمدة عشر دقائق أو إذا كانت الفرصة سانحة فى أرض فضاء مهجورة فى شارع قريب « بوادو بولونى » .

لمجرد السخرية كان هذا هو الجانب اليهودى لهذا الشارع الذى كان فى الماضى منزلًا لآخر ملك ، ملك المستقبل الذى لم يتحقق لمصر . فؤاد فاروق الذى يبلغ من العمر تسعة وثلاثين عامًا ، الابن الوحيد للملك فاروق . الأحرف التى كانت مكتوبة

على جرس المبنى الحجرى الذى أنشىء عام ١٩٢٠ كانت (إف . إف) فى الطابق الأعلى كانت هناك شقة ملحقة بالمبنى وكانت من أعظم شقق المدينة . ارتفاع سقف غرفة المعيشة يماثل ارتفاع ثلاثة طوابق كاملة ، تدخلها الشمس من جميع الجوانب ، بها مكتبة من خشب الجوز ، الشرفة العلوية كانت تطل على برج إيفيل يلوح فى الأفق فوق صفوف مساكن المليونيرات على الجانب العربى من الشاطىء الذهبى . داخل الغرفة الملكية كانت هناك صور للأجداد العظماء ، صورة كبيرة لمحمد على المحارب الذى أنشأ هذه السلالة ، الخديو إسماعيل ، تمثال نصفى للملك فؤاد من الرخام الأسود ، صورة فوتوغرافية للملك فاروق فى الخيمة الملكية للملك عبد العزيز ملك العربية السعودية ، صورتان لفاروق إحداهما بالملابس الملكية الكاملة وهو فى السادسة عشرة حيث كان حينذاك (الملك الفتى) والأخرى بالملابس الملكية الكاملة وهو فى الثامنة والعشرين عندما أصبح بدينًا وأصلع . كان هناك العلم المصرى الأخضر من قماش قطيفة ، نصب عمودى رخامى بتاريخ الوفاة ، صورة طبق الأصل للوحة فنية للكونكورد ، السيوف ذات الحد الواحد ، مناظر للنيل التى رسمتها زوجة أبيه الملكة فريدة سابقًا . كانت هناك صورة موقعة لملوك أخرين ، الملك الحسن بالمغرب ، الملك حسين بالأردن ، الأمراء السعوديين . كان ذلك فعلًا مسكن ملك ولكنه فى نهاية الطريق .

الأمير فؤاد كما يطلق عليه الآن يعمل فى العلاقات العامة للشركات العالمية التى لديها أعمال فى العالم العربى حيث إن اتصالاته لها أهمية كبيرة وهو نفس العمل الذى حاول فاروق فى المنفى أن يعمل به ولكن دون توفيق . ولد فؤاد فى ١٦ يناير ١٩٥٢ ، خلع والده من العرش فى يوليو ١٩٥٢ وتنازل عن العرش لابنه الوليد الذى أصبح الملك فؤاد الثانى . بناء على هذا الإجراء أصبح فؤاد ملكًا فى المنفى حيث إن فاروق أخذ الرضيع معه إلى إيطاليا ليس فقط لضمان سلامة الطفل ولكن كورقة قمار فى لعبة الدول . كانت فترة الملكية لفؤاد قصيرة ، ففى ١٨ يونيو ١٩٥٣ الغى مجلس قيادة الثورة الملكية وأعلن مصر جمهورية السلالة الحاكمة التى بدأت بمحمد

على في عام ١٨٠٥ عندما ثار ضد الحكام الأتراك ، انتهت بصورة رسمية .

قال الأمير فؤاد في صالونه الملكي « استلم والدى تلغرافين بعد خلعه من العرش في عام ١٩٥٢ ، أحدهما من والدته « جدتي الملكة نازلى » في « كاليفورنيا » فلم يتكلما منذ عام ١٩٤٨ عندما نفاها فاروق وأخته الصغيرة فتحية من مصر بسبب علاقة حب انتهت بزواج فتحية من رياض غالى ، رجل قبطى وموظف دبلوماسى صغير ، وكان حبيب نازلى في البداية .

تمنت نازلى لفاروق الحظ السعيد والسلامة . كان التلغراف الآخر من الملك عبد العزيز يترجى والدى أن يعيش في المملكة العربية السعودية ووعده بأنه سيعيده إلى العرش في خلال ستة أشهر ولكن والدى بقى في إيطاليا . لم ير والدته ولم ير مصر مرة أخرى . وطوال حياته كان هناك حديث مستمر عن رجوعه إلى العرش وأنا متأكد أن هذا سبب قتله » .

كان فؤاد مقتنعًا بأن والده اغتيل بواسطة جهاز سرى مصرى كان حريصًا على رضا رئيسه الأكبر ، الرئيس ناصر . « ربما لم يأمر ناصر بقتله ربما كان ناصر له اتجاه آخر . على أية حال في عام ١٩٦٥ كان ناصر قلقًا » ذكر فؤاد في تحقيقات صحفية في الصحافة العربية أن أحد رجال المخابرات المصرية السرية اعترف أن مهمته الرئيسية كانت التجسس على فاروق في روما . وفي تحقيق آخر ذكر أن ضابطين مصريين من المخابرات المصرية كانا في مطبخ مطعم « أيل دو فرانس » يوم وفاة فاروق . خليلة صلاح نصر رئيس جهاز المخابرات المصرية دونت مذكراتها في عام ١٩٨٨ وذكرت أن فاروق أعطى حبويًا سامة مخصوصة . « ولم تطلب الأسرة تشريح الجثة عندما توفى والدى » قال « كنا في صدمة كبيرة وكان عمرى ثلاثة عشر عامًا ولم أكن أتصور أن يكون مات بالسم » .

لم يأت فؤاد إلى مصر على الإطلاق ولكن عرض علىّ بفخر دعوة لوظيفة في السفارة المصرية في باريس ، منذ عدة أعوام لم يكن يعرفني أحد . الآن كثير

من الثوريين يفكرون ويتكلمون عن عصر فاروق كعهد ذهبى لمصر . الآن أدركوا أنه كان صديقًا مخلصًا لأمريكا ، كان ضد الشيوعية ، كان يدعو للاقتصاد الحر ، كان ضد عبد الناصر فى كل هذه الاتجاهات . بالنظر إلى التدهور الفظيع الذى وصلت إليه مصر يبدو والدى ذكيًا ولكن بعد فوات الأوان .

كان فؤاد يبدو كدارس موهوب أكثر منه حاكمًا . يلبس نظارات ، وجهه شاحب ، شعره خفيف ، تصرفاته جادة . ملابسه المكونة من جاكيت تويد (أرمانى) قميصه المخطط (شارفيت) وحزامه (ديور) تدل على أنه رجل من أصل ملكى وليس رائدا لمكتبه فى السوربون . كان البعض يقولون إنه يشبه أباه . كانت زوجة فؤاد من مدينة فرنسية كبيرة ، الأميرة فضيلة ، أنيقة ، جمالها خارق وعيناها ثاقبتان وكانت فى القوائم الفرنسية لأشيك السيدات . زاد وزنها قليلًا بعد الزواج . تزوجت عام ١٩٧٧ فى القصر الملكى فى موناكو وكان الأمير رينيه والأميرة جريس شهود عقد القران الإسلامى (ربما كان الملك فاروق يعجبه هذا الوزن حيث إن مزاجه فى روما كان يتجه إلى « جونوسك ») . كانت زوجة فؤاد مولودة فى فرنسا من أب فرنسى « بيكارد » وأم يهودية « الساتيان » قدمها شقيقها الذى كان زميلًا لفؤاد فى مدرسة « لوروسى » فى سويسرا وهى من أغلى المدارس الداخلية هناك . كان من ضمن خريجيها شاه إيران ، عم فؤاد بالمصاهرة ، الأمير رينيه ، الوصى غير الرسمى لفؤاد ، وريتشارد هيلمز الرئيس السابق لـ سى . آى . إيه . الذى كان تدخله سببًا فى عدم تولى فؤاد عرش مصر اليوم . عندما تزوج فؤاد من دومينيك أسلمت وأصبح اسمها الجديد فضيلة احترامًا لميل فؤاد الأول وفاروق وتفاؤلهم بالحرف (ف) .

انضم إلى فؤاد وفضيلة أطفالهم الملكيون أكبرهم محمد على وهو أشقر شعره ملتو وعمره سبع سنوات كان يلعب بكرة قدم بين التحف المصرية ، لقد كان متعبًا جدًا لوالديه اللذين قالا إنهما يحاولان أن يخضعاه لنظام غذائى لتجنب ميله الوراثى للبدانة ولكن عندما تقدم الأميرة الحلويات الدسمة لوجبة خفيفة بعد الظهر تكون

معركة حامية بينها وبينه ، شقيقته فوزية سميت على اسم عمتها الكبرى ، عمرها تسع سنوات ، شقراء ، رقيقة ومبهجة ، قبلت والديها على الوجنتين وانحنت لهما والأخ الصغير فخر الدين عمره ثلاث سنوات يحب الحلوى وألعاب الفيديو .

كآخر شخص فى السلالة الحاكمة شعر فؤاد بفخر شديد وبمسئوليته لتخليد ذكرى والده . كانت لديه مجموعة رائعة من الصور الفوتوغرافية ، ليس فقط فى أيام مجد فاروق وهو ذاهب إلى تتويج الملك إدوارد مع دوق وندسور الشاب ، وهو يصطاد الغزلان مع الملكة فريدة فى الصحراء وهو يخطو بين الأعمدة الأثرية فى الأقصر ، وهو يحتفل بروزفلت وتشرشل . كانت أيضًا هناك صور لأيام أخرى سعيدة وحزينة ، صور مع الأسرة ، وصور لأيام الوحدة . كانت أكثر صورة مضحكة لفاروق فى المنفى على شاطىء بحيرة جنيف وهو يلبس كاب « دافى كروكيت » من الجلد .

كان فؤاد فيلسوفًا مهذبًا لم يكن عنده أى أحقاد للقذائف والسهام التى قذفها التاريخ فى وجهه أبيه . أكثر شىء كان يندم عليه هو عدم معرفته الحقيقية لوالده حيث كان فاروق فى روما وكان فؤاد وأخواته غير الشقيقات فى المدارس السويسرية . يجتمعون مرات قليلة فى العام ولمدة ساعات قليلة فقط فى اليوم حيث كان فاروق يستيقظ متأخرًا بعد الظهر .

« كان والدى يحب أن يرانى أنيقًا دائمًا ويختار ملابسى . ذات مرة رآنى ارتديت رباطًا للقميص من جواهر صناعية غضب جدًا لذلك وخلع رباط القميص المكون من الماس والزمرد الخاص به وعليه حرف « ف » وبدلها معى . ولبس هو الرباط الرخيص الذى كنت أرتديه » .

تذكر فؤاد أن والده كان يخرج معه ليشرب الشيكولاته المثلجة يتذكر النمر الكبير المحشو والدبابة « الشرمان » التى تعمل بالريموت كونترول التى اشتراها له فاروق فى عيد ميلاده تذكر عندما سار خلف نعش والده فى روما عندما توفى « كان والدى يظن أن روما ليست مكانًا آمنًا بالنسبة لأطفاله فهناك كثير من أفراد المخابرات

المصرية السرية فى روما ولذلك أبقانا فى سويسرا . كنت أحضر بالقطار مع حارسه الخصوصى عبد الله رستم وكان رجلًا رائعًا لا يعرف القراءة والكتابة وشديد الولاء لوالدى . كنت أجلس فى غرفة الضيوف فى « باريولى » . كان والدى يحب روما جدًا لدرجة أنه عرض حياته للخطر بيقائه هناك ، لم يكن يهتم بالبوليس السرى يحب أن يخرج ويستمتع بحياته كان رجلًا شجاعًا » .

قال فؤاد « عندما كنت صبيًا كنت أريد أن أكون طبيبًا ولكن والدى لم يشجعنى على ذلك . فى الحقيقة كان مستاءًا جدًا لذلك كان يريدنى أن أكون مثل الملوك حتى لو لم أستطع أن أكون ملكًا . كان يريدنى أن أخدم فى المجالات العامة وليس فى وظيفة برجوازية . كان مصرًا على أن أكون قريبًا من شقيقاتى على الرغم من أنهن لديهن مربية فرنسية وأنا عندى مربية انجليزية . لقد أحضر لى مربية بريطانية ليثبت أنه ليس ضد كل الأشياء الانجليزية » قال فؤاد وهو يبتسم « إنه سعيد لأن مهنة لامبسون آلت للكلاب . كان لامبسون هو الرجل الوحيد الذى يكرهه بشدة » لقد سعد جدًا لإقالة لامبسون بعد الحرب من منصب السفير البريطانى ولم يمكنوه من أغلى أمنية له وهو أن يصبح نائبًا لملك الهند وهو أعلى منصب فى الدبلوماسية البريطانية الاستعمارية .

غرور لامبسون هو السبب المباشر لعدم تمكن الانجليز من إصلاح علاقاتهم مع المصريين ، كانت أمامه فرصة لكى يصبح قائدًا كبيرًا ولكن مأساة حياته أنه أضاع هذه الفرصة .

كان فؤاد فى حاجة شديدة إلى محاولة فهم والده وسبب سقوطه ولكى يتمكن من ذلك لابد أن يفهم السلالة الحاكمة التى يتبع فاروق لها كان تسلسل الحكم فى مصر من عصر الفراعنة إلى عهد فاروق ، عمره خمسة آلاف عام ، كان طريقًا متعرجًا وفى أغلب الأحيان يميل إلى الانحدار لأسفل كيف لفاروق أو أى قائد آخر أن يقارن بالأساطير التى سبقته ، توت عنخ آمون ، رمسيس ، بطليموس ، كليوباترا ، صلاح الدين ، ومحمد على . ولكن بدلًا من الانكماش فى الظلال الطويلة لهؤلاء السابقين

الخالدين بدأ فاروق حكمه الملكى بالاستدفاء بهم ، فاروق الفتى الذهبى لمصر . لقد نظرت الدولة له على أمل أن يقودها إلى المستقبل وأن يحيى الماضى بأمجاده التى لا يضاهيها أية مدنية أخرى فى العالم . كان المصريون يريدونه أن يؤدى عملًا واحدًا قبل أى شيء آخر وهو أن يخرج البريطانيين من مصر وتلك كانت مهمة فاروق الرئيسية التى كلفه بها الشعب المصرى ، أن يكسر شكوة الاستعباد الاستعمارى الذى كان سببًا فى عذاب المصريين منذ الأيام السوداء لحكم الآشوريين فى القرن السابع قبل الميلاد . ولو كان فاروق يستطيع أن يحقق ذلك فقط لكان انضم إلى هذا الصرح العظيم . ولكان وصل إلى أكثر من ذلك . البريطانيون مكروهون لأقصى درجة فلو استطاع فاروق أن يخرجهم من البلاد لجعلوه مسيحًا آخر .

تاريخ مصر كان مليئًا بالاستعمار الخارجى ؛ من الآشوريين ، البابليين ، الفارسيين ، المقدونيين ، الرومانيين ، العرب ، الأتراك ، الفرنسيين ، وأخيرًا من البريطانيين الذين كرههم المصريون لأقصى درجة ، وكان هذا الكره الشديد له أسبابه الكثيرة . كان فى مصر ثلاثة بلاد أسطورية ، طيبة والإسكندرية والقاهرة . وكانت القاهرة أولى هذه البلاد أو على الأقل كانت تحيط بممفيس العاصمة الفرعونية القديمة لمملكة الأجداد . كانت طيبة بمعابدها العظيمة فى الأقصر والكرنك ووادى الملوك عاصمة المملكة الوسطى والحديثة . والاسكندرية كعرش لحكم البطالمة كانت عاصمة الفكر والعلم فى العالم ومن أكبر دول الأرض . وقد استمر مجدها لأكثر من ستة قرون منذ أسسها اسكندر الأكبر الذى جاء من مقدونيا ليهزم الفرس فى مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد ثم تطورها وإزدهارها على يد خليفة الإسكندر الذى كان جنرالًا ثم أصبح حاكمًا مستبدًا ثم الملك بطليموس .

منارة الإسكندرية المشهورة ، مكتبتها ، كلية الطب ، كل هذا جعل الاسكندرية فى عهد بطليموس جوهرة وتاج البحر الأبيض المتوسط عاصمة اليونان عند مصب النيل وأثرت فى العلماء والمفكرين مثل أفلاطون ، وارسطو ويوكليد فى الهندسة ، اريستارشس فى علم الفلك ، أرشميدس ، أراتو سشينس الذى قاس محيط الكرة

الأرضية ، ارياسيتراتس الذى ربط بين المشاكل الجنسية والانهيار العصبى . كل هؤلاء عملوا وأجروا أبحاثهم فى (الموسيون) وقدموا تأملاتهم كانت من أوائل الجامعات الحديثة . كان عدد اليهود الموجودين بالاسكندرية أكثر من أى مكان آخر بالعالم ، طبعًا باستثناء القدس . كانت هذه المدينة رائدة فى تثبيت المسيحية على أسس فلسفية ودورها بمثابة مطران فى توصيل الدين الجديد للعالم الرومانى فى نفس الوقت عكست المسيحية ، لو صح القول ، إنها اقترضت الرموز الروحانية لمصر القديمة : صحوة أوزوريس من الموت كابن الشمس الأم الإله إيزيس وابنها حورس الصليب المعقود رمز الحياة .

كانت كليوباترا آخر البطالمة وقد أصبحت ملكة فى السابعة عشرة وتزوجت اثنين من أشقائها كانت لها علاقات تهز العالم مع يوليوس قيصر ومارك أنطونيو وماتت عن تسعة وثلاثين عامًا عن طريق لدغة أفعى رمزًا للقوة . وذهبت إلى الإسكندرية مع كليوباترا وقوتها حيث سقطت فى يد أوكتافيوس وأصبحت المدينة الثانية فى الامبراطورية الرومانية ، وفى عام ٤٥ بعد الميلاد طبقًا للتقويم القبطى دخلت المسيحية مصر إلى الاسكندرية عن طريق القديس مارك وأول من آمن بالمسيحية كان صانع أحذية يهوديًا . على الرغم من المجهودات التى بذلتها الامبراطورية الرومانية لمنع عبادة أى رب غير الامبراطور الرومانى ولكن الله المدعم باوزوريس ساد مصر وعلى العكس كان ازدهار المسيحية فى مصر بداية لخسوف شمس الإسكندرية . عندما انتقل الامبراطور قونسطنطين إلى العاصمة الرومانية على شواطىء البوسفور كانت هناك خلافات دينية بين المسيحيين البيزنطيين والمسيحيين الأقباط هذه الخلافات حولت الإسكندرية إلى أرض معركة لاهوتية مزقت وحدة المدينة وجعلتها فريسة سهلة للمسلمين العرب الذين انتصروا على المدينة دون أى عناء فى عام ٦٤١م .

لم يكن العرب سببًا فى حرق مكتبة الإسكندرية العظيمة ، كانت هذه البربرية من الأعمال المسيحية . فى الحقيقة كرم الفاتحون العرب أقباط مصر وجعلوهم مسئولين عن جباية الضرائب . واحترموا الإسكندرية وتقاليدها العظيمة ولكن كانت

المدينة قد وصلت إلى حالة اضمحلال سريع . بينما كان اليونان والرومان ينظرون إلى البحر ، كان العرب يتجهون إلى الصحراء . كتب القائد المنتصر عمرو بن العاص إلى الخليفة بالعربية « لقد فتحت مدينة تحتوى على أربعة آلاف قصر ، وأربعة آلاف حمام ، وأربعمائة مسرح وألف ومئتى محل لبيع الخضروات وأربعين ألف يهودى » وكان رد الخليفة على خطاب عمرو مكافأة حامل رسالة عمرو بوجبة بسيطة من الخبز والزيت والتمر . لم يكن العرب يهتمون بهذه المدينة العظيمة بثقافتها المتقدمة وموانيها الضخمة لم يهتموا عندما سرق الإيطاليون جسد القديس مارك من الإسكندرية وخبأوه فى جردل لحم خنزير مملح ليعوقوا فضول الضباط المسلمين بالميناء . كان العرب من جميع الوجوه مختلفين مع الاسكندرية الواقعة على البحر وكانوا يريدون عاصمة فى الصحراء ، وفى النهاية رجعوا ثانية إلى بداية مصر وأنشأوا مدينة جديدة بجانب المدينة القديمة ممفيس تطل على حصن بابليون وأطلقوا عليها اسم الفسطاط وازدهرت هذه المدينة بسرعة كبيرة . وكانت القاهرة إحدى تقسيمات الفسطاط القديمة والتى تحولت فيما بعد إلى اسم العاصمة كلها .

إنها قاهرة القرن الخامس عشر وليست بغداد التى كانت المكان الحقيقى لليالى العربية كما كتب هناك « الذى لم ير القاهرة لم ير العالم أجمع إن ترابها ذهب ، نيلها معجزة إلهية نساؤها مثل نساء الجنة حور العين ، منازلها قصور ونسيمها عليل ومعطر مثل خشب الصبر وتبهج القلب » سمى العرب القاهرة « أم الدنيا » كتبت كل هذه الصفات للقاهرة التى عاصرت أيامًا عظيمة ولكنها سترى أيامًا أخرى سوداء ! ! .

حدثت الطفرة والازدهار الكبير فى مصر فى القرن الحادى عشر حيث أصبحت عاصمة معقدة يسكنها نصف مليون نسمة كانت مبانيها تتكون من خمسة طوابق : وكانت مياه الشرب متصلة بالمنازل ونظام متقدم للصرف الصحى . فى هذا الوقت كانت لندن وباريس تعيش فى أوحال القرون الوسطى ولكن حدث تدهور شديد لهذا التقدم والازدهار بسبب سلسلة متتالية من سبع سنوات كان فيها منسوب النيل منخفضًا

كانت هذه بداية الكارثة فى عام ١٠٦٦ عندما انتصرت انجلترا على النورمانديين . انتشرت المجاعات وأصبح القاهريون مثل آكلى لحوم البشر ينهبون القصور والمكتبات وأدى وضع مصر المتدهور إلى بداية الحروب الصليبية ولم يقتصر الهدف من هذه الغزوات على الحمية الدينية بل كان لديهم نهم وشراهة لكنوز الشرق .

ثم فتحها صلاح الدين القائد الكردى الذى انتصر على القدس وسجن ريتشارد قلب الأسد وأصبح سوطًا على الصليبيين . أعظم محارب فى عصر الحروب ، صلاح الدين ، حول مصر إلى امبراطورية امتدت إلى دمشق وحلب . قام خلفاء صلاح الدين بمواجهة هجوم جنكيز خان وجماعاته المغولية بتقوية الجيش وضمان ولائه بتعيين قوة مختارة من العبيد المحاربين المعروفين باسم المماليك من جبال القوقاز حيث عرف الشراكسة القادمون من هذا المكان الصعب فوق البحر الأسود بشراسة رجالهم ، وجمال نسائهم ، كانوا أطول وأجمل القوقازيين أجمعين . كان الشراكسة من أصل غير هذا الجنس ، كانوا من أصل الجنس الآرى وأقرب إلى الآريين من هؤلاء الهندوس فى أقصى الشرق .

الشراكسة المماليك اثبتوا جدارة فائقة كجنود طبقًا لسمعة جنسهم . ففى وقت قصير أصبح هؤلاء العبيد ، أسيادًا وقتلوا السلطان المصرى فى عام ١٢٥٠ وتمكنوا من البلاد وأحكموا قبضتهم عليها ، وهزموا المغول المهاجمين وكذلك الصليبيين وتبعوهم وطردوهم حتى الشواطىء الفلسطينية ، وبناء على ذلك أصبح المماليك أبطال العالم الإسلامى . ولكى يحافظوا على مستوى قوتهم اتبعوا نظام حكم الأقلية العسكرى ونظام العبيد فى الجيش . كانوا يأتون بالأولاد من الشراكسة الصغار إلى مصر ويشترونهم كعبيد ثم يحولونهم إلى الدين الإسلامى ويدربونهم تدريبات عسكرية صارمة . وبعد أن يطبعوا فى ذهنهم التعاليم الإسلامية والأساليب الحربية يمنحوهم حريتهم ويستخدموهم فى الجيش الخاص لأحد النبلاء المماليك أو أحد الأمراء . وكان الأمير الأكثر قوة وظهورًا يعيش كسلطان ، وكانت قوته تقدر بمدى حاجته للجيوش الخاصة من النبلاء الآخرين فى الحروب ضد الغزاة ولمنع أى ضعف فى

هذه الجيوش لم يسمح لأبناء المحاربين بالعمل فى المجال الحربى أو بخلافة آبائهم فى هذه المناصب فقد كانوا بدلًا من ذلك يأتون بعبيد آخرين ويتبعون معهم نفس النظام ، ولذلك استمر جلب هؤلاء إلى مصر .

كان أقوى هؤلاء المماليك السلطان محمد أنصارى وكان استثناءً نادرًا لسياسته الصارمة فى عدم محاباة الأقارب فى التوظيف ، وبعد وفاته كانت هناك فجوة نتيجة للوفاة المفاجئة لهذا السلطان وتورط الأمراء فى اتخاذ قرار باختيار من يخلفه فى هذا المنصب القيادى فى القاهرة ، وتم الاختيار على ابنه أنصارى الذى جلس على العرش وهو فى التاسعة من عمره ولكن اسيئت معاملته أسوأ من أى عبد آخر للتأكد من أنه لن يستطيع ممارسة سلطته الحقيقية ، ولم يحقق هذا النظام النتائج المرجوة ، على العكس هرب أنصارى من القصر فى أوائل العشرينات من عمره إلى سوريا حيث كون جيشًا وعاد إلى القاهرة وقتل جميع أعداء والده وانفرد بالسلطة وحتى لا يبقى معتمدًا على الجيوش الخاصة تحول المقاتل الشرس انصارى إلى الجانب السلمى وأبعد مصر عن أى حروب ، وركز مجهوداته للثقافة والفنون وبنى كثيرًا من أعظم جوامع وقصور مصر وحول المدينة إلى سحر الليالى العربية .

كل هذه الثقافة كانت قاتلة لمصر ، فقد منع أنصارى المماليك عن الحرب ولم يعد الجيش المصرى أقوى جيش محارب فى العالم . وبعد موت السلطان أنصارى تفككت الدولة وأدى انتشار الطاعون وغزوات السامريين إلى زوال هذه الدولة . وفى نفس الوقت رفض المماليك أن يتكيفوا مع الأساليب الحربية الجديدة . لقد تدربوا على أساليب الفروسية ورفضوا أن يحاربوا بأى أسلوب آخر . . رفضوا استخدام البارود ، قالوا إن هذا السلاح للجبناء فقط ، الرجال الحقيقيون يستخدمون السيوف فى حروبهم . الأتراك العثمانيون الذين أصبحوا الأعداء الرئيسيين للمماليك لم يكونوا بهذا الغرور فى عام ١٥١٦ استطاعت المدافع التركية أن تهلك معظم الجنود المصريين الفرسان وأصبح السلطان العثمانى سليم الأول واليًا على مصر . أصبحت القاهرة خاضعة للقسطنطينية وأصبحت مصر ولاية عثمانية . كانت أوروبا فى هذا الوقت تنعم

بأمجاد عصر النهضة ، وكانت مصر موبوءة بعصر مظلم . اكتشفت طرقًا جديدة للوصول إلى آسيا ولم يستخدموا مصر كطريق للوصول كما كانوا يفعلون سابقًا . كما أثبتت رحلات كولومبوس وخلفاؤه أن البحر وليس الأرض هو أمل المستقبل .

نقطة التحول فى أوروبا للإسراع نحو التقدم والعصر الحديث كانت إحياءً وازدهارًا للماضى ولا يوجد أى ماض أكثر رومانسية من ماضى مصر . ليس هناك ما يدعو للعجب إن الازدهار فى قوة الملوك أمثال ملك الشمس ينشىء انبهارًا ورواجًا لملوك الشمس الأصليين ، الفراعنة . عندما توفى لويس الرابع عشر ، أمر أن يحنط جسده مثل موميات الفراعنة . كذلك نابليون بونابرت الذى أسره الشرق الأوسط ورأى نفسه ليس فقط فى وادى الملوك ، ولكن فى أسطورة الاسكندر الأكبر فى عام ١٧٩٨ ، فقد جاء بحملة كبيرة إلى مصر ونزلوا بالاسكندرية ، وزحفوا إلى وادى النيل حيث هزموا المماليك الضعفاء فى معركة الأهرامات .

وجد نابليون أن مصر تعتبر مستعمرة تركية تكاد تكون من الدرجة الثانية مملوءة بآثار مدفونة فى الرمال . أحد هذه الآثار حجر رشيد الذى اكتشفه أحد ضباط نابليون ، وقضى عشرين عامًا ليفك رموزه . لم يبق نابليون طويلًا حيث كان على خلاف مع المصريين ، فقد أعاده البريطانيون إلى بلاده بعد معركة أبى قير البحرية فى عام ١٨٠١ ، ثم انسحب البريطانيون كذلك فى عام ١٨٠٣ ولكن ليس للأبد حيث تركوا مصر لحلفائهم الأتراك .

كان الأتراك أنفسهم ضعفاء ، ومروا بصعوبات كثيرة للسيطرة على المماليك الذين يحكمونهم ، وأدى ذلك إلى وجود فراغ فى القوة المصرية خاصة بعد الحملة الأوروبية الحربية على مصر . وقد انتهز هذه الفرصة مؤسس السلالة الحاكمة للملك فاروق فملأ هذا الفراغ . ونؤكد هنا حقيقة هامة وهى أن فاروق ليس عربيًا بأية صورة ، لنبدد أى شك فى هذا الموضوع . كان محمد على ألبانيًا ، هناك جنسيات أوروبية أخرى فى نشأته ولد عام ١٧٦٩ فى ميناء قولة فى منطقة الحدود الواقعة بين مقدونيا وما يسمى الآن بتركيا . كان محمد على يتيمًا ، عنده طموح ، رباه

تاجر دخان فرنسي . تزوج زواجًا وصوليًا من إبنة عمدة (قوله) وترقى سريعًا فى صفوف الجيش العثمانى . وصل إلى مصر فى صحوة الانسحاب البرطانى وأصبح القائد الثانى للمرتزقة الألبانيين فى الجيش العثمانى المحتل الذى كان يحاول أن يحتفظ بالسلام المؤقت فى هذه الدولة المضطربة .

كان السلام مستحيلًا مع الوجود العثمانى ، وكان السبب الرئيسى لتحمل المصريين للحكم المملوكى طوال هذه الفترة ، أنهم ظنوا أن المماليك سيحافظون على الوضع الراهن ويدافعون عنهم ضد أى غزو أجنبى . وكان لانتصار نابليون السريع أثر فى زعزعة ثقة المصريين فى المماليك وأكد ذلك لهم مدى ضعف المماليك . أما العثمانيون فكانت مهمتهم الرئيسية الحفاظ على السلام ، ولذلك أصبحت القوات الفرنسية الاستكشافية فى أدب حراس الفاتيكان . كان هؤلاء الجنود يعتدون على النساء رغمًا عنهم وكانوا ينهبون أى شىء يريدونه بحجة أن ذلك تعويض لهم لأن رؤساءهم لم يهتموا بهم على الإطلاق ، وفى نفس الوقت أثقل العثمانيون والمماليك الشعب المصرى بالضرائب الباهظة التى لم يقابلها أى نفع . . حتى أنه أثناء مشاجرة قتل اثنين من العثمانيين .

شعر محمد على أن الحصان العثمانى الذى جاء به إلى مصر ورقة خاسرة ، ولذلك تبنى سياسة جديدة ، حيث أخذ دور الرجل المحايد الهادف إلى الاستقرار والسلام كرجل مفكر ، وحول المرتزقة الألبانيين بحيث تعلو سلطتهم على سلطة البوليس المنهكة فى ذلك الوقت ، وفى نفس الوقت تقرب إلى قواد المماليك وحكام المقاطعات الذين انقلبوا ضد العثمانيين ولكنهم كانوا ضعفاء . وفى عام ١٨٠٥ أعلن القائد الروحى فى القاهرة ، شيخ الجامع الأزهر الشيخ عمر مكرم وهو اكسفورد الإسلام ، سقوط الولاية العثمانية فى القاهرة وأعلن أن محمد على هو الحاكم الجديد فى مصر . وفى اسطنبول كان السلطان العثمانى غارقًا فى مشاكله الخاصة ولم يفكر فى مواجهة هذا الانقلاب المحلى .

كانت الإمبراطورية العثمانية تعانى من حرب طاحنة مع روسيا حيث ضاعت منها

دولة (القرم) وكان القيصر يسخر منها بتسميتها « الرجل المريض فى أوربا) ، وكانت مصر تزيد من مرضها . خفف محمد على هذه الضربة بإظهار ولائه الخاص للباب العالى كما كان يطلق على القسطنطينية ولكن كان ذلك مجرد تظاهر فقط .

عزز محمد على قوته واستخدم جيوش المماليك فى طرد غزو آخر من الحملة البريطانية فى رشيد عام ١٨٠٧ . ورفعت مئات من الرءوس المذبوحة لرجال البحر الانجليز على عصا طويلة لتزين شوارع القاهرة . وكان ذلك دليلًا على استمرار حياة العصور الوسطى . وفى عام ١٨١١م دعا محمد على ٤٧٠ من حلفائه المماليك إلى القلعة القديمة التى تطل على القاهرة للاحتفال بتقليد ابنه طوسون منصب قائد حربى ، وقد ثبت أن هذه خدعة وأن المدعوين أسرى . بعد تناول القهوة أعطى إشارة ، فقلت على أثرها أبواب القلعة وتم قتل جميع المماليك البالغ عددهم ٤٧٠ ولذلك أنهى بهذا الأسلوب البربرى حكمهم الذى استمر سبعة قرون من القسوة والعنف . وقد تهلل المصريون لزوال هؤلاء المستعمرين الأجانب لقد أصبحوا أحرارًا أخيرًا ، على الرغم من أن محمد على نفسه لم يكن مصريًا مثل أى دخيل آخر إلا أن الشعب المصرى اعتبره مصريًا خالصًا فهو الذى حررهم .

بعد قليل رأى المصريون أن محمد على رغم أنه غير مصرى إلا أنه ليس استعماريًا وخاليًا من الأحقاد . تحت حكمه تحول الإقطاع إلى اسلوب حديث آخر ابتكره . بدلًا من استمرار محاولته فى تقليد صلاح الدين أعظم سلطان محارب فى ماضى مصر الإسلامى ، سمى نفسه محمد على باشا (وهو اللقب التركى الدال على كلمة لورد) واتخذ من نابليون مثلًا أعلى له وبدأ أسلوب الحكم بالنظر إلى أوروبا كملهمة له . كان محمد على رجلًا أبيض ذقنه بيضاء وكانت ملامحه خليطًا من على بابا وسانتا كلوس وكان يدخن الشيشة ، ولم يشارك العرب فى خوفهم من البحار . بدأ بإنشاء أسطول حربى وسفن تجارية وفعل كل ما فى وسعه ليشجع التجارة الدولية بإحياء الإسكندرية مرة أخرى ، وهى التى كانت قد تقهقرت إلى ميناء ضئيل يسكنه خمسة آلاف نسمة فقط . أدخل زراعة القطن ذى التيلة الطويلة الذى خلق فيما بعد

طبقة من المليونيرات فى مصر . استورد دود القز وأشجار التوت من سوريا وخراف الكاشمير من الهند وأنشأ المصانع لتصنيع الحرير والصوف . كما أنشأ مصانع للبنادق والبارود والمعدات الدفاعية الأخرى الخاصة بالجيش التى كانت تستوردها مصر .

ثم انتقل محمد على إلى النواحى الدفاعية فجند الفلاحين إجباريًا فى أكبر وأقوى جيش فى الشرق الأوسط ، ثم استعان بالضباط الفرنسيين الذين كانوا خارج الخدمة بعد سقوط نابليون لقيادة الجيش المصرى وكان أحد هؤلاء الضباط ، الكولونيل جون سيف الذى أسلم وسمى نفسه سليمان باشا الفرنساوى وكان من أحد أجداد والدة الملك فاروق ، الملكة نازلى . أصبح ستف ورفاقة الأوروبيون نواة المجتمع الدولى الذى تمركز فى أول الأمر فى الإسكندرية التى ستزدهر فى القرن التالى وتضيف إلى مصر الشخصية العالمية .

على الرغم من وجود كل هؤلاء الأجانب حول محمد على ، إلا أنه ظل حاكمًا شرقيًا ، فلم يتعلم أيًا من اللغات من الأوروبيين الغربيين الذين جاء بهم إلى مصر . كان له عدد كبير من الحريم وكان مشهورًا بأنه والد لأكثر من مائة ابن وبنت ، أكثر من ذلك يرتدى الملابس التركية الفضفاضة ويأكل دون استخدام أدوات المائدة ويجلس على السجاجيد ، وعنده مجموعة من العرافين - يؤمن بالجان ويخاف من الحسد ، وكان لا يتوانى عن قطع رقاب أعدائه وتعذيبهم بطريقة وحشيه شرقية . لقد عاش مثل الوالى السلطان العثمانى ، وفى وقت قصير فكر محمد على أن يكون فى وضع السلطان العثمانى .

انتصرت جيوش محمد على على معظم الحجاز (المملكة العربية السعودية الآن) وكذلك على السودان منبع النيل . إن هذه الحملات تكلفت مبالغ طائلة . استخدم محمد على المصرين القوميين فى الجيش وكان ذلك أول الخطوات التى اتخذها فى رد مصر إلى المصريين فكان قائد الجيش المصرى ، وجيش محمد على ابنه الكبير إبراهيم . فى عمر السادسة عشرة أرسل محمد على ابنه إبراهيم إلى القسطنطينية كمظهر من مظاهر الولاء من والده للباب العالى . تحول إبراهيم بعد العام

الذى قضاه فى البوسفور إلى الكره الشديد للعثمانيين ، وإلى وطنى مصرى فخور بترديد أن شمس مصر الحارقة قد حولته إلى مصرى . كان الابن يرقى القوميين المصريين إلى الرتب العالية فى الجيش لأول مرة بعد عصر الفراعنة . كان والده محمد على يعين المصريين فى المناصب الحكومية والخدمات المدنية .

استمر محمد على فى طموحاته فى الغزوات الخارجية حيث غزا اليونان وحقق نصرًا كبيرًا على سوريا وأعلن الحرب على السلطان العثمانى الذى كان يكلفه مبالغ كبيرة من المال . أدت زيادة القوة المصرية إلى خوف الأوروبيين وبدأت الصحافة فى لندن وباريس تبتدع حملة صحفية شرسة عن حرب مقدسة أخرى ، وادعت أن المسلمين يقتلون المسيحيين وتم التحالف بين انجلترا وفرنسا وروسيا ليضعوا حدًا لأحلام محمد على التوسعية لإقامة إمبراطورية مترامية الأطراف . كان هذا التحالف يقوده لورد بالمرستون البريطانى الذى كان يخاف أن تستغل مصر القطن الطويل التيلة لصالحها وتصنعه بنفسها ، حيث إن هذا القطن كانت له شهرة واسعة ممتدة من شارع جيرمين لصناعة القمصان إلى مصانع لانكشير بانجلترا ، لقد انتعشت الصناعة البريطانية بصادراتها من القطن المصرى المصنع حيث كانت تصنع « قمصان بيضاء لرجال ذوى بشرة سمراء » ولم ولن يسمح بالمرستون بأن يخاطر بالمنافسة مع مصانع محمد على . وفى عام ١٨٣٩ كانت جيوش محمد على الغازية على بعد مسيرة يوم من القسطنطينية . اتفق بالمرستون ورفاقه مع السلطان العثمانى . الأسطول البريطانى العملاق الذى كان قد أغرق الأسطول البحرى المصرى فى اليونان كعلامة إنذار مبكرة فى عام ١٨٢٧ كان راسيًا فى البحر موجهًا مدافعه إلى قصر محمد على الجديد العظيم قصر رأس التين بالأسكندرية ، ونزل الادميرال البريطانى سير شارلز نابيير إلى شاطىء الإسكندرية ليقدم إنذارًا إلى محمد على « إذا لم تستمع جلالتك لرجائى غير الرسمى لك بالتوقف عن أية مقاومة سأضطر إلى استخدام القنابل ، وأقسم بالله إن قنابلى ستصل إلى هذه الغرفة التى تجلس بها الآن » كان واضحًا لمحمد على أن أيام الإمبراطورية انتهت ولم يغفر المصريون للإنجليز هذا الموقف أبدًا . وإذعانًا للولاء

غير المتكافىء للسلطان العثمانى ، اضطر محمد على أن يترك أسطوله وأن يستبدل بالضباط المصريين ضباطًا عثمانيين والكارثة الكبرى أن يقلل من عدد الجيش المصرى حيث إنه لم يكن فى استطاعته أن يتوسع خارجيًا ، قضى محمد على باقى حكمه فى تحديث هذه الدولة التى تبناها . بنى المستشفيات وزودها بالأطباء الفرنسيين وردم المستنقعات ، فتح الجامعات ، والمطبعة الأميرية ، وطرد العاهرات المشهورات بالرقص فى القاهرة إلى الصعيد حتى لا يدنسوا أحاسيس الزائرين الأوروبيين .

إن نشأة محمد على وإذلاله على أيدى الأوروبيين ، جعلته مصابًا بكره الأجانب . وكانت أعظم إنجازاته أنه أعطى الفلاح المصرى إحساسًا بأهميته وثقة فى النفس لضرب الباشوات العثمانيين الذين كانوا يكرهونهم وفى نفس الوقت لم يعط ظهره لأوروبا ولكن على العكس احتضنها وخاصة فرنسا حيث استعان بالخبراء الفرنسيين وجلبهم إلى مصر وأرسل ابنه إسماعيل إلى فرنسا ليرى المعمار الجديد ، جراند بوليفارد ، من أوحال القرون الوسطى ولذلك عمل على تحويل القاهرة إلى صورة باريس الملكية .

كتب إى . أم . فورستر أن السبب الحقيقى لإعجاب محمد على بالحضارة الأوروبية « لأنها تجعل الشعب عدوانيًا وتعطيه البنادق » ولكنه لم يهتم بمظاهر الرفاهية الأخرى بها وكانت إصلاحاته مظهرًا مخادعًا للتأثير على المسافرين والرحالة . لكن تتذكر إن فوستر كان بريطانيًا وقد نظر البريطانيون وصحافتهم ورجال دولتهم إلى مصر الحديثة نظرة اشمئزاز . كان محمد على ومعظم خلفائه يبادلونهم نفس النظرة ولم يصفحوا عنهم إطلاقًا . كانت الدولة الوحيدة التى يكرهها محمد على هى انجلترا حيث كانت المصمم الرئيسى لتوقف طموحاته فى التوسع الخارجى .

بعد أن أجبرت بريطانيا محمد على ، على الخضوع للخلافة العثمانية فى عام ١٨٤١م فرضت عليه أن يرفع الحظر على البضائع المستوردة ، الذى كان يطبقه لحماية صناعته المحلية الوليدة . وعلى الفور أغرقت الأسواق المصرية بالبضائع الإنجليزية واقتصر دور مصر بعد أن كانت دولة منتجة إلى مورد للمواد الخام ، خاصة لبريطانيا .

أما الجانب الاستبدادى لهذا الحاكم التقدمى ، يتمثل فى استيلاء محمد على على جميع أراضى الدولة التابعة للأفراد جاعلًا من نفسه أغنى رجل فى مصر بضربة واحدة وكان هذا النظام هو « الاحتكار » وقد أوجد صفوة ممتازة خاصة به حيث وزع هذه الأراضى على أسرته والمستخدمين الخاصين به والحكوميين العاملين بالمناطق النائية وجامعى الضرائب ، وفى أسفل الهرم الاجتماعى وضع الفلاحين على الرغم من أن محمد على قد شجع الفلاحين وأعطاهم الثقة فى أنفسهم إلا أنه قد قصم ظهورهم .

طبق نظام السخرة الجديد ، كان يجبر العمال على العمل حيث قاموا بإنشاء وتشييد البنية الأساسية الحديثة . ولكن كانت حياتهم هى الثمن . وعندما حفرت قناة السويس ، مع تطبيق نظام السخرة مات حوالى ١٠٠٫٠٠٠ فلاح من أجل قيام هذا المشروع .

من الناحية الاجتماعية عاش محمد على أفضل من أى ملك آخر فى أوروبا منذ لويس الرابع عشر . قصر شبرا على نيل القاهرة ، كان له قبة مبنية من الرخام تليق بأن تكون « قبلة خان » ، كان بها النافورات على شكل التماسيح . وحوريات عرايا من الحصى وحرملك يضم مئات السيدات ينعمن بحياة حقيقية من أجل بهجة الباشا . إن متع الشرق تستحق الحفاظ عليها ! ! . مات محمد على وهو فى سن الثمانين من عمره عام ١٨٤٩ ، وكان قد حول مملكته من دولة عدائية متأخرة إلى أرض حديثة أصبحت مطمعًا لأى دولة عظيمة فى أوروبا .

استمر ابن محمد على ، سعيد فى تمجيد دولته كما فعل والده حيث منح فرديناند ديليسبس حق حفر قناة السويس ولذلك مجد اسمه وأطلق على المدينة الواقعة على مدخل القناة « بورسعيد » كان ديليسبس قنصلا فرنسيًا طموحًا بالإسكندرية ، وكان ابن عم الإمبراطورة أوجينى . كسب صداقة سعيد عندما كان صبيًا صغيرًا . وكان محمد على يخاف على ابنه . فقد كان عنده استعداد للبدانة ولذلك فرض عليه نظامًا غذائيًا قاسيًا .

لم يتعلم محمد على القراءة قبل الأربعين ولم يكن مهتمًا إطلاقًا بتعليم ابنه أو بدراسته الأكاديمية ، ولكنه كان مهتمًا اهتمامًا بالغًا بوزن ابنه سعيد . كان ديليسبس يرثى لحال الصبى المحروم ، ولذلك كان يدعوه إلى القنصلية ويقدم له أكلات المكرونة سرًا دون علم ابيه وبعد سنوات وقّع سعيد على معاهدة ديليسبس لحفر قناة السويس دون محاولة قراءتها حيث كانت تحدد لمصر سدس الأرباح الطائلة من تشغيل هذا المشروع وكان الجزء الأكبر لصالح المتعهدين الأجانب .

وفى عام ١٨٦٩ مات سعيد وخلفه ابن عمه إسماعيل ، كان إسماعيل قد اتخذ لقبًا جديدًا « الخديو » ويعنى « نائب الملك » لسلطان الإمبراطورية العثمانية . كان ولاؤه للسلطان يبدو مهذبًا ولكن فى الحقيقة كان سرابًا . كان يلبس الطربوش الاستانبولى والبالطو الطويل بدون ياقة ، الذى كان الزى الرسمى للحكام العثمانيين كعلامة لولائه للقسطنطينية ، ولكن عدا ذلك كان حاكمًا مطلقًا غير تابع للعثمانيين على الإطلاق .

إسماعيل الشبيه بالثور ، بذقنه الطويلة ، وعينيه الخضراوين ذات الجفون الغليظة كان جد فاروق . وقد كان ملهمًا لفاروق فى تبذيره الشديد . تلقى الخديو إسماعيل تعليمه فى فيينا وباريس وكان يجيد التحدث بالفرنسية وكانوا يرحبون به فى قصور أوربا عندما كان شابًا صغيرًا . هذه النشأة جعلته يصر على أن يجعل مصر جزءًا من أوروبا . وعند توليه حكم مصر عام ١٨٦٩ بدأ يعيد بناء وسط القاهرة على النظام المعمارى لباريس « جراند بوليفارد » بباريس الذى صممه البارون هوسمان .

أكمل بناء القصور الملكية العظيمة فى رأس التين بالإسكندرية وقصر عابدين وقصر القبة بالقاهرة على الطراز الإيطالى . بنى الأوبرا بالقاهرة خاصة لافتتاح القنال ، وكان فيردى يوزع ألحان أوبرا عايدة لهذه المناسبة . أدى حصار القطن فى أمريكا نتيجة الحرب الأهلية إلى نقص شديد فى القطن على مستوى العالم ، وقد جعل ذلك إسماعيل يكسب مكاسب هائلة مفاجئة استخدم هذه الأموال لتشييد السكك الحديدية وخطوط التلغراف وحفر قنوات الرى وبناء المستشفيات والجامعات ليبهر الأوروبيين

ويدللهم حتى لا يشعروا بأية غربة فى مصر ، كما ابتدع نظامًا جديدًا « الامتيازات الأجنبية » وبمقتضاه لا يدفع الأجانب فى مصر أية ضرائب ولا يخضعون لأى قانون مصرى وفى حالة أية خصومات يمثلون أمام محاكمهم فقط « المحاكم المختلطة » وهو مجمع من القضاة الأجانب .

كان الاحتفال بافتتاح قناة السويس أعظم احتفال فى هذا القرن ، حمل اليخت الإمبراطورى « إيجل » الإمبراطورة أوجينى (خليلة إسماعيل المزعومة) وقاد الموكب الذى تكون من ثمان وستين سفينة كان خلفهم الإمبراطور فرانز جوزيف من النمسا وولى العرش فردريك ، وويلهلم من بروسيا والأمير هنرى من هولندا ، بالإضافة إلى آلاف الأوروبيين الملكيين والبلوتوقراطيين الذين جاءوا لينضموا إلى النبلاء العثمانيين ، وأيضًا رؤساء القبائل الأفارقة والمهراجا الهنود . فى حفلات الرقص أقيمت المهرجانات والرحلات النهرية ورحلات إلى الأهرامات والأوبرا (لم يستطع فيردى إعداد أوبرا عايدة لذلك قدموا ريجوليتا بدلًا منها) . بصفة عامة كانت كل هذه المظاهر لإثبات أن مصر أصبحت دولة غربية . وقد أقاموا فى « قصر الجزيرة الليالى العربية » الذى بناه إسماعيل خصيصًا ليقيموا فيه فى هذه المناسبة وقد تحول هذا الفندق الآن إلى ماريوت القاهرة .

دعه يتحمس ليسعد هذا الحشد الأوروبى ، إسماعيل الذى ارتد عن الحياة القديمة هو « ستيبين ميتشيت » المصرى ولكن يجب أن تذكر أنه ما زال محتفظًا ببعض العادات الشرقية الملكية – فقد شنق وزير المالية الخائن الذى كانت والدته مرضعة إسماعيل عندما لم ينجح فى قتله بالقهوة المسمومه ، وكان دائمًا يتفوق على الأوروبيين فى مطالبهم الخاصة فقد كان يأمر بإقامة المأدبات الفرنسية حيث يقدم الأكلات الكلاسيكية مثل « ليفرد آلارويال » مقدمة على أطباق « سيفر » لا تقدر بمال وأكواب كريستال مرصعة بالجواهر مملوءة بالشمبانيا و« شاتو ديكويم » وبعض الإضافات الشرقية الضئيلة وكان يقدم هذا الطعام للضيوف ، النوبيون لابسي العمامات لتسعدهم ، الأقزام والأغاوات فى أجنحتهم الخاصة . كان الزوار فى قصور الخديوى

ينامون على أسرة من الفضة الخالصة تحت شبك من الحرير لمنع الناموس ، كانوا يجلسون على الأثاث الملكى المطلى بالذهب والمنجد من الجوبلان ، كما يسيرون على الرخام الإيطالى ويستخدمون مرحاضًا من الذهب الخالص . كانت هذه تجربة فريدة تدل على تفوق إسماعيل على قصر « فرساى » و« وندسور » . لقد بدأ عالم جديد للمرأة ازدهر أكثر فى حكم فاروق . . فقد احتفظ إسماعيل بعدد لا يحصى من الخليلات الأوروبيات كن يقدمن له « كضيوف للقصر » من أصدقائه الأجانب بعض هؤلاء السيدات منحهن امتيازات فى العمل وأصبحن أغنياء جدًا .

كثير من وزراء الخديو والعاملين الرسميين بالقصر كانوا أوروبين بعضهم كان قد قابل رؤساء لم يحالفهم الحظ مثل نابليون الثالث وماكيسيميليان بالمكسيك . ووجدوا أن مصر مرسى آمن لهم كما كان كذلك بالنسبة لعدد كبير من ضباط الحلفاء الذين أصبحوا فيما بعد مرتزقة لإسماعيل ، مثلما فعل القائد البريطانى الشهير جنرال شارلز جوردون « الصينى » وسمى كذلك لبطولاته فى الهجوم على بيكين والانتصار عليها وهزيمة الثائر (تاى بينج) . خدم جوردون إسماعيل كحاكم للسودان وقتل فيما بعد وقطعت رأسه فى ثورة الخرطوم الوطنية عام ١٨٨٥ التى أسقطها الانتقام البريطانى الشرس بقيادة لورد كيتشينر حيث قضوا عليها فى أم درمان عام ١٨٩٨ .

المشكلة الوحيدة التى نتجت عن تحويل مصر المذهل للغرب هى إفلاسها . كان ممتازًا فى كرمه ولكنه لم يكن كذلك فى النواحى المالية . وجد إسماعيل نفسه مثقلًا بفوائد مذهلة لديونه . فباع نسبة كبرة من نصيب مصر فى قناة السويس بأربعة ملايين جنيه بربع قيمتها الحقيقية ، وتم هذا العقد مع رئيس الوزراء « درزائيلى » للملكة فيكتوريا ، حيث كان هو العقل المدبر لهذه الصفقة المربحة . فى عام ١٨٧٩ أصبحت الديون المصرية مائة مليون جنيه وهو دين يقصم الظهر . أصحاب الديون الأوروبيون بقيادة « روث تشايلدز » كانوا عصبيين فى استرداد أموالهم . . لم يستطع إسماعيل تدبير هذه الديون لذلك عومل كمتهرب من دفع الدين وكان يجب عليه أن يرحل . لجأ الانجليز

والفرنسيون إلى حليفهم السلطان العثمانى يقفون خلفه ويمدونه بالقوة التى افتقدها منذ أمد بعيد ، فجعلوا السلطان يرسل تلغرافًا إلى تابعه الخاضع لسلطانه موجه إلى « خديو مصر السابق » لقد رجع إسماعيل مرة أخرى ليصبح باشا وأخبره السلطان العثمانى أن ابنه توفيق سيصبح خديو مصر الجديد . كان إسماعيل يدرك أن البريطانيين والفرنسيين وراء هذا التصرف من الباب العالى ، وحيا ابنه بصفته الخديو الجديد وبعد أربعة أيام أبحر من الإسكندرية إلى نابولى على اليخت الملكى المحروسة وهى نفس السفينة التى سيركبها حفيده فاروق وحفيد ابنه فؤاد للمنفى فى إيطاليا بعد ثلاثة أرباع قرن .

مات إسماعيل فى قسطنطين فى عام ١٨٩٥ بعد أن أصبح بدينًا وحزينًا لعدم رؤية مصر التى حولها إلى بلدة أوروبية مرة أخرى . ولكن بقى تراثه العالمى .

فى أثناء فترة نفيه كان يعيش فى مصر أكثر من مائة ألف أوروبى ، كثير من الأوروبيين كانوا يسافرون إلى مصر فى موسم الشتاء حيث إن إسماعيل قد وضع مصر على خريطة السياحة العالمية كأحسن هدف لقضاء أجازاتهم . بالإضافة إلى الآثار التاريخية والامتيازات الأجنبية لإغرائهم بالبقاء فى مصر ، كانت هناك الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية ، والمعابد اليهودية والنوادى الرائعة للرجال والأوبرا على مستوى « لاسكالا » والمحلات التجارية المماثلة لـ « ديو دولا باريس » وللأروبيين الذين يكرهون البرد والرطوبة كانت الاسكندرية بنسيم البحر الأبيض والقاهرة بدفء الصحراء . كانت هذه الأشياء التى تجذبهم لا تقاوم ونظرتهم العامة لقتل هذا الوليد ، عن طريق « الحماية » الاقتصادية .

ولسوء الحظ بدأت المشاكل فى هذه الجنة حيث كان الخديو توفيق خجولًا ومحدود الخبرة ، وكان من جميع الأوجه مختلفًا عن والده . عند توليه السلطة فى السابع والعشرين من عمره لم يكن قد ترك مصر على الإطلاق . كان أكثر إنجازاته المشهورة منع جلد الفلاحين كعقاب لهم ، لكن كان الوقت قد فات ، والفلاحون على وشك عض الأيدى التى كانت تضربهم . كان أحمد عرابى فلاحًا من الزقازيق

وهى قرية تقع على نيل الدلتا ترقى حتى أصبح ضابطًا فى الجيش المصرى ذا مرتبة عالية والآن أراد أن يستخدم منصبه ليساعد هؤلاء الكادحين الذين نشأ هو من بينهم . قاد عرابى حركة ضد توفيق وسلالة محمد على الذين وصفهم عرابى بأنهم باشوات أتراك كما ثار ضد المتاجرين بديون مصر ، وكان شعاره « مصر للمصريين » هذا الشعار الذى ألقى بكل من توفيق والبريطانيين فى نفس السلة . قاد عرابى سلسلة من المظاهرات الوطنية أحاطت بقصر عابدين بآلاف من العسكريين المسلحين وهم ينشدون « لسنا عبيدًا » وكان تعليق توفيق وقحًا وقصيرًا « أنا الخديو وأستطيع أن أفعل ما أشاء » .

فى عام ١٨٨٢ تحولت مظاهرات عرابى إلى عصيان مسلح شامل ومخيف وطلب توفيق المساعدة وبحجة حماية قناة السويس شريان الحياة البحرى للإمبراطورية البريطانية أرسلت انجلترا اسطولًا بحريًا إلى ميناء الاسكندرية . ورفعت المراكب مدافعها محرضة على الشعب بين المناهضين لعرابى مما أدى إلى قتل أكثر من خمسين أوروبيًا . وبعد ذلك بدأ البريطانيون يقذفون الاسكندرية بالقنابل لمدة عشر ساعات ونصف مما أدى إلى دمار المدينة الشبيهة بالمدن الأوروبية ثم نزل البريطانيون إلى الإسكندرية ، وانتصروا على قوات عرابى فى صحراء التل الكبير ونفوا الفلاح الثائر إلى سيلان . وعلى الرغم من أن البريطانيين أعلنوا وصولهم فقط من أجل الحفاظ على الاستقرار ووعدوا بالانسحاب الفورى إلا أنهم بقوا فى مصر حتى عام ١٩٥٦ .

كان الوجود البريطانى الرسمى الجديد فى صورة « الحماية المقنعة » وكانت عن طريق القنصل العام (سير إيفيلين بارينج) اريستقراطى من عائلة بارينح المشهورة بالبنوك وهى شريان رئيسى فى العائلة الملكية ويعمل دبلوماسيًا فى جميع أنحاء الإمبراطورية من الإنديز إلى الهند وكان اسم الشهرة « أوفر بارينج » وسماه المصريون « اللورد » بدأ الفرنسيون والألمان والروس والأتراك يستاءون للوجود البريطانى فى مصر وبدأوا يستعجلون خروجهم وقد أكد البريطانيون لرفاقهم المستعمرين أنهم سيتركون البلاد فور سداد ديونهم واستعادة سلطة الخديو وكان أول أمر صدر عن

بارينج هو دفع الدين القومى ولكن البريطانيون لم يتركوا البلاد نظرًا لسلسلة من الاضطرابات والأزمات فى السودان أدت إلى قتل جوردون « الصينى » وفى نفس التوقيت توفى الخديو توفيق عام ١٨٩٢ وخلفه ابنه الأكبر عباس حلمى الذى كان يشبه جده إسماعيل ، حيث تعلم فى أوروبا . كان شعر الخديو عباس أحمر ، عيناه باللون البنى وكانت له نفس شخصية إسماعيل حيث كان يميل للعالمية . كان يحب الحياة الدنيوية وله كلب أليف خاص به « بولدوج » على الرغم من أن المسلمين الأصوليين يعتبرون الكلاب نجسة وكان ذلك مخالفًا لمعتقداتهم ، وكان سير إيفيلين بارينج يعترض على كل شىء يقوم به عباس ويعامله مثل ناظر المدرسة الذى يتعامل مع تلميذ بمدرسته ويبرر ذلك بالإحساس البريطانى القديم للعنصرية « يجب أن نتعامل مع هؤلاء الشرقيين بعنف » وكان يعتبر الشرق كل ما يقع جنوب شرق نهر الدانوب .

وكان زميل بارينج الاستعمارى فى مصر « لورد هيربيرت كيتشنر » السردار أو المعتمد البريطانى للجيش المصرى . وفى عام ١٨٩٨ انتقم كيتشنر لموت « جوردون الصينى » بنصر ساحق فى أم درمان حيث هزم عشرون ألف جندى الستين ألفًا التابعين للخليفة عبد الله . والنتيجة أن السودان التى كانت قد هزمت سابقًا عن طريق مصر أصبحت الآن سودان مصرية / إنجليزية ويرفرف عليها العلمان فى آن واحد . ضاع كل أمل للمصريين فى خروج الإنجليز من هذه البقعة الأفريقية . سلالة محمد على التى استعانت بالأنجليز للحفاظ على سيطرتها على مصر . . أفلت منها الزمام .

بدأت مصر بجذب العمال إليها مثلما جذبت السياح على أساس ثقافى وتجارى وتحقق ذلك بالاستقرار الذى فرض عن طريق البريطانيين حيث كان مغناطيسيًا يجذب الأجانب من الخارج وبنيت فنادق أنيقة كمشتى مثل فندق وينتر بالاس بالأقصر وكاتاراكت بأسوان وتوسع فندق شيبرد الذى بنى عام ١٨٤١ . وتم إنشاء نادى الجزيرة الرياضى بالزمالك للعب البولو والجولف والتنس وكان محددًا للبلوتوقراطيين والبيروقراطيين البريطانيين فقط وقد منع من دخوله الوطنيون المصريون والارستقراطيون الأتراك من الطبقة الحاكمة . كان هذا التصرف من منطلق كراهية

اللورد كيتشنر لأى أجنبى خارج بلاده ولكن السؤال الرئيسى كان « من هم الأجانب فى هذه الدولة ولمن تئول ملكيتها ؟ » . كان عباس حلمى يعرف الرد على هذا السؤال بدلًا من الانتصار على البريطانيين ، أهملهم نهائيًا وأخذ يوسع فى ثروته الخاصة ويبنى قصرًا بديلا للقصر الصيفى فى المنتزه ومنزلا آخر على البسفور . كثير من أفراد أسرة محمد على كانوا قد تزوجوا من الحكام العثمانيين ومع وجود هذا الحشد الكبير من الأقارب ، شعر الخديو عباس أن القسطنطينية بلده الثانى وكان يفضلها على مصر حيث كان يعامل معاملة ذليلة من البريطانيين من جهة ، وكان مكروهًا من المصريين من الجهة الأخرى . فى القاهرة كان عباس يبقى للراحة ولمميزاتها حيث كان ينتقل فى عرباته الملكية ويتبعه الخدم الشرقيون يجرون على أقدامهم . . كان فى قفص مذهب فى إمبراطورية يعامل فيها كخاضع وليس كأمير .

بدأت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وكان الخديو عباس حلمى فى القسطنطينية يزور السلطان التركى محمد الخامس الذى كان رجلًا لطيفًا جدًا لدرجة وجود بعض الإتجاهات التى كانت تؤيد أن يأخذ عباس حلمى مكان محمد ويصبح خليفة بدلا منه . ومهما كانت طموحات عباس العثمانى فإن كراهيته للإنجليز معروفة ، وعندما ارتمت تركيا أثناء الحرب العالمية فى أحضان الألمان اتهمت انجلترا المصريين بالتواطؤ مع الألمان على الرغم من أن المصريين لم يدخلوا الحرب أصلًا وأعلنوا الحياد ووجدت بريطانيا الفرصة سانحة لتعلن الحماية البريطانية على مصر ، وأعلنت رسميًا ما يلى « انتهاء السيادة التركية على مصر وحكومة جلالته ستتبنى كافة الإجراءات اللازمة للدفاع عن مصر وحماية سكانها ومصالحها » وعلى الفور أسقط عباس حلمى لولائه للسلطان التركى الذى كان حليفًا للألمان وعدوًا للإمبراطورية البريطانية ووضعوا مكانه عمه حسين كمال الابن الثانى للخديو إسماعيل .

منح البريطانيون حسين اللقب الجديد « سلطان مصر » الذى كان يعتمد بطبيعة الأمر على الوجود البريطانى بمصر ، فى وقت الحرب تحت ستار حماية النيل وقناة السويس . وقد استخدم البريطانيون مصر عن طريق المعتمد البريطانى لورد أدموند

النبى كموقع قدم لحملاتهم فى فلسطين وجاليبولى . لقد تحررت مصر من الأتراك ولكن أحكمت انجلترا قبضتها عليها أكثر من ذى قبل .

عندما مات السلطان الجديد عام ١٩١٧ بعد أن أفرط فى تناول الطعام فى مأدبة بقصر عابدين ، وكان موته المفاجىء مشكلة لم تكن فى الحسبان من حيث اختيار خليفته . في بادىء الأمر اختار الانجليز ابنه الرياضى الأمير كمال الدين ولكنه رفض وفضل أن يظل حرًا ليستطيع الصيد فى أدغال أفريقيا حيث قال : « إنى متزوج بأحسن زوجة وعندى أحسن حصان فى العالم فماذا أريد من الدنيا أكثر من ذلك » كان كمال بالطبع مواليًا للألمان وكان يشعر أن الألمان سيكسبون الحرب ولم يكن يريد أن يصبح لعبة فى يد الجانب الآخر . وافق البريطانيون بعد ذلك على أحمد فؤاد أصغر ابن ، وترتيبه الثانى عشر لأولاد الخديو إسماعيل الذى كان لا يتكلم العربية لدرجة أن اللورد كرومر تفوق عليه فى اللغة العربية .

كان فؤاد فى الحادية عشرة من عمره عندما ترك مصر مع والده المنفى إلى إيطاليا . وهناك كانت الأسرة فى ضيافة الملك أمبرتو الذى جعلهم يقيمون فى فيلته المفضلة فى نابولى . ثم تعلم فؤاد الصغير في مدارس جنيف وفي الكلية الحربية الإيطالية فى تورين . وبعد التخرج أصبح فؤاد « ملازمًا أول » فى سلاح المدفعية فى الجيش الإيطالى . لقد تأسس فى روما وكانت تربطه علاقات حميمة بهذه الدولة وبكل ما هو إيطالى ، وأول هذه الأشياء الحب الزائد للطعام والقمار ، وقد نقل ذلك إلى ابنه فاروق . لقد اضطرته الروابط الأسرية التى جعلته فى موقع يلزمه مساعدة السلطان العثمانى فى فيينا وهذه الروابط أدت إلى رجوعه عام ١٨٩٥ وهو فى الثامنة والعشرين ليساعد ابن عمه الحاكم (نظرًا لانتشار أولاده فى أماكن متفرقة) الخديو عباس حلمى .

كان فؤاد فى ذلك الوقت بدون عمل ، وعلى الرغم من أسلوب حياته المنغمس فى الترف والملذات أعطاه ابن عمه راتب موظف عادى ، وكان يصطدم بمن يراقبه فى كل مكان . . بوابين جميع نوادى الرجال ، بار فندق شيبرد والقائمين ببيع السلع

إلى العاهرات . إن أهم ما ينشله من هذه الأزمة زواج مدروس ذو حيثية . كان يهدف إلى الزواج من السيدة سوارز وهى غنية ولها مكانتها ، ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك ، أولًا لأنها كانت متزوجة ولن توافق على الطلاق ، وثانيًا لأنها كانت يهودية . وكان الحل الأمثل الثانى بالنسبة لفؤاد أن يركز هدفه على ابنة عمه الوارثة شويكار التى تبلغ من العمر تسعة عشر عامًا .

كان جد شويكار ، وفى نفس الوقت عم فؤاد ، أحمد فهمى ، الأخ الأكبر للخديو إسماعيل وكان سيصبح هو نفسه الخديو لولا وفاته فى حادث قطار . وكان ابن الأمير أحمد ، ويدعى أحمد عنده ثلاثة أولاد ، شويكار وشقيقان ، محمد إبراهيم وأحمد سيف الدين . وكان الأخ الثانى متهمًا بعلاقة غير سوية مع شقيقته فى القصر الوردى حيث كانوا يقيمون بالقرب من مساكن البريطانيين على ضفاف النيل . ولم تؤثر هذه الشائعات على فؤاد الذى كان مفلسًا فى ذلك الوقت ، تزوج شويكار ذات الذقن الصغير والروح المعنوية المرتفعة عام ١٨٩٦ وبعد تسعة أشهر رزقوا بمولود إسماعيل ولكنه توفى بعد تسعة أشهر أخرى ، وكانت هذه آخر فرصة لشويكار للإنجاب ولم يكن هناك أى حب بينهما ، حيث كان زواجهما زواج مصلحة ، وهنا طبق فؤاد القواعد المتبعة فى الباب العالى بأن وضع المرأة يكون فى الحرملك بحبسها فى القصر الذى ورثه واستمر فى علاقته السرية مع سوارز .

الوقت الذى كان يقضيه بالقصر كان يبحث عن القاذورات أو الأتربة التى لم ينظفها الخدم وكان يرش الكولونيا من زجاجة من الذهب الخالص يحملها معه دائمًا على أى شىء يتوهم أن رائحته غير مقبولة . وقد أصيب بمرض النظافة القهرية بسبب صفيحة قمامة ألقيت عليه بالصدفة عندما كان صبيًا صغيرًا ، وقد يكون سببها التدريب العسكرى الإيطالى المتشدد . كان النظام المتبع فى الجيش سببًا لاستيقاظه الساعة السادسة صباحًا حيث يقوم بعمل التدريبات الرياضية دائمًا أمام مرآة لم يتضح سبب هذه النرجسية عنده ، لقد كان قصيرًا ، بدينًا ، له عنق وشارب ملفوف لأعلى . وقد عوض فؤاد هذا النقص الطبيعى فى مظهره بارتدائه الملابس الأنيقة البريطانية المقلمة

الرفيعة ذات الجيوب المربعة ، ويضع وقاء للجزء الأعلى من الحذاء يحيط بالكاحل ، ويمسك عصا بالإضافة إلى الطربوش ليتلاءم مع الأزهر .

ظهر الجانب الشرقى فى فؤاد فى رغبته الشديدة فى الجنس وكذلك فى الدروشة . كان أقرب أصدقائه بعد السيدة سوارز ، المنجم الهندى الذى وعده بأنه سيصبح ملكًا فى يوم ما .

وقد أخبره هذا الدرويش كذلك بأن الحرف (ف) يجلب له الحظ السعيد ولذلك أطلق على كل أولاده أسماء تبدأ بحرف (ف) ووضع هذا الحرف على كل شيء يمتلكه ، العربات ، الأطباق ، الأثاث ، أمشاط الشعر .

بينما حجب زوجته عن أعين الناس ، أخذ يهدر ثروتها ويبددها خاصة فى لعب القمار . فى أحد أيام عام ١٨٩٨ خانه الحظ كان فى ذلك الوقت فى أفضل أماكنه التى يتردد عليها باستمرار وأكثر الأماكن أناقة ، نادى محمد على . جاء شقيق شويكار الأصغر الذى يدعى البعض أنه كان يحب شقيقته حبًا محرمًا ، الأمير سيفُ الدين وكان متأثرًا بالمعاملة السيئة التى تتلقاها شقيقته على يد هذا الرجل صائد الثراء ، اندفع شقيقها إلى الملهى وجرى إلى السلالم حيث حاصر فؤاد فى « الغرفة السرية » وأطلق عليه ثلاث طلقات فى قدمه وصدره ورقبته .

واندفع القاتل إلى أسفل دون أن يعترضه أحد حيث كان الباشوات والدبلوماسيون يختبئون خلف المقاعد الجلدية الوثيرة وبقى فؤاد ينزف فى حالة سيئة ، وقبض عليه بسرعة الضباط البريطانيون واندفع الأطباء إلى النادى واتفقوا على ضرورة إجراء العملية فورًا فى هذا المكان لخطورة الحالة . كان فؤاد ما زال فى وعيه ، وصرخ رافضًا عندما حاولوا أن يعطوه بنجًا بواسطة الكلوروفورم حيث إنه كان مصابًا بعقدة الخوف من البنج ضمن عقده الأخرى الكثيرة . استطاع الأطباء أن يخرجوا الرصاصات من صدره وقدمه ولكن الرصاصة التى فى رقبته كانت قريبة من شريان رئيسى . . وكانت محاولة إخراجها ستؤدى إلى وفاته . وفى أثناء الجراحة رأى فؤاد المهتاج ، المؤمن

بالشعوذة ، عندليبا يقف على حافة الشباك الخارجية وقال فى نفسه ، إذا غنى العندليب ثلاث مرات سأعيش وغنى الطائر ثلاث مرات وفقد فؤاد وعيه ، أخيرًا ، وعاش ولكن مع وجود طلقة فى حلقه كانت تسبب تشنجًا فى الحنجرة وتؤدى إلى صوت لا إرادى يحدث من وقت لآخر مثل نباح الكلاب ، كان هذا النباح مفاجأة لأى شخص غير معد لسماعه ولكن اللباقة كانت تحتم على الجميع أن يتجاهلوا هذا الصوت كليًا . وبعد أن أصبح فؤاد ملكًا انتقم من كل الذين نظروا إليه بازدراء أو بأية صورة أخرى على هذا العجز . أى شخص كان يتعجب حتى ولو برفع حاجبه عند سماع هذا النباح كان يشطب اسمه فورًا من قوائم زوار القصر .

وبالنسبة للانتقام من سيف الدين أمر لورد كرومر بتقديمه للمحاكمة حتى يثبت أن الحكام المصريين ليست عندهم حماية من المثول أمام القضاء ، وليس مرخصًا لهم بالقتل ، كان الشاهد فى هذه القضية الضابط البريطانى الصغير الذى قبض عليه ، وقد وصف ما حدث بقوله : « رأيت هذا الزنجى يقف على أعلى الدرجات الرخامية وهجم عليه وأفرغ الرصاص فيه » . وحكمت المحكمة على الأمير بخمسة أعوام أشغال شاقة فى المحاجر التى جلبوا منها أحجار الأهرامات ، وفى أثناء سجنه أخذ يكتب سلسلة من تهديدات القتل للخديو وأفراد آخرين فى الأسرة الحاكمة . ثم قرر اللورد كرومر أن سيف الدين مختل عقليًا وأرسلوه إلى انجلترا إلى مستشفى للأمراض العقلية لطبقة الأثرياء فى « تنبريدج ويلز » فى « كنت » .

بعد أن شفى فؤاد من هذه الحادثة ، طلق ابنة عمه شويكار التى تزوجت أربع مرات أخرى ، آخرها فى عام ١٩٢٧ . أحد أبنائها وليد يسرى الذى أشيع عنه أنه عشيق . لزوجة فاروق السابقة الملكة فريدة وقد دبرت شويكار هذا الحب بنفسها كنوع للانتقام لنفسها من فؤاد . الانتقام الآخر هو احتواء فاروق وتقديم الحفلات الصاخبة له وتشجيع ولعه بالنساء والقمار وتشجيعه على الفسق ، وبالتالى إبعاده عن واجباته كملك . وبالرغم من أن ذلك كان انتقامًا ، فإن فاروق كان يستمتع بكل لحظة فقد كانت حفلات شويكار لرأس السنة حفلات رائعة لا يستطيع فاروق أو

غيره أن يمتنع عنها .

بعد طلاقه كان فؤاد مقتنعًا بالنبوءة الهندية من العراف الهندى ولذلك حاول أن يأخذ مظهرًا ملكيًا بدأ فى الاشتراك فى الأعمال الخيرية ليظهر بمظهر لائق بالملوك ، أصبح فؤاد رئيسًا لجامعة القاهرة . هذه الجامعة الدولية الجديدة ، كان الكفيل الرئيسى لجمعية الصليب الأحمر التى سميت فى مصر جمعية الهلال الأحمر ، كان رئيسًا للجمعية الجغرافية الملكية وأكثر المناصب التى تتلاءم مع مرضه بالنظافة ، كان مؤسس متحف الصحة . وكان كذلك يرعى المكتشف المصرى الشاب الجرىء أحمد محمد حسنين الذى تخرج أخيرًا من جامعة اكسفورد . فقد بعثه فؤاد فى بعثة استكشافية برئاسته إلى المناطق غير الموجودة على الخريطة على الحدود الليبية وقد فاز حسنين بعد قيامه بهذه البعثة الاستكشافية بالميدالية الذهبية للجمعية الجغرافية الملكية ، ومثل شويكار سيكون لحسنين دور فى حياة فاروق ابن فؤاد . فقد عينه فؤاد مدرسًا خصوصيًا لفاروق ولم يدرك فؤاد كذلك أن حسنين سيتورط فى علاقة غرامية مع زوجة فؤاد الثانية وأم فاروق الملكة نازلى .

لم يكن عند فؤاد أى أمل أن يصبح ملكًا لأنه لم يكن فى خط الخلافة المباشر (على الرغم من عدم أهمية ذلك الموضوع مع الوجود البريطانى فى مصر) ولكنه كان يدرك تمامًا مدى تقلب البريطانيين . وضع فؤاد أمله أن يصبح ملكًا لألبانيا ، وكذلك جزء من الإمبراطورية العثمانية التى كان يعتبر نفسه على علاقة طيبة معها . ولكنه لم يختر لهذا المنصب ولحسن حظه رضى البريطانيون عنه واعتقادًا منهم أن هذه النبحة فى صوته أفضل بكثير من أى لدغة أخرى ، ولذلك عينوه سلطانًا .

كان أول أمر للسلطان بعد توليه هذا المنصب إيجاد زوجة جديدة . فلم يكن مناسبًا لملك أن يبقى بدون زوجة ، والأسوأ أن يكون مطلقًا ، والأسوأ من ذلك كله أن يكون عنده خليلات إيطاليات ويهوديات ؛ ومن جهة أخرى كان ضروريًا للحاكم أن يكون له وريث ولذلك بدأ الملك فؤاد البالغ من العمر خمسين عامًا بالبحث عن زوجة مناسبة . بعد تجربته مع شويكار لم يرغب فى الزواج من أية

أميرة ، وكان قد استخدم رأس مالها حيث نصحته السيدة سوارز باستثمار هذا المال وقد أصبح الآن ثريًا ولذلك لم يفكر فى المال ، كان يريد أن يتزوج بفتاة تليق بأن تكون ملكة ، جميلة ، عندها استعداد للتعليم ، وتستطيع الإنجاب .

ووجد هذه الفتاة فى المسرح ، امرأة شابة ممشوقة تبدو كملكة ذات عيون داكنة مثيرة ، تبشر بالإثارة .

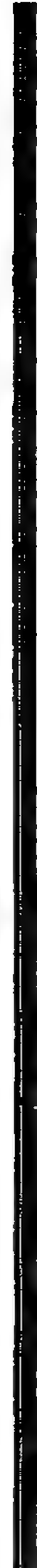
بدأ فؤاد يسأل عنها وقد عرفته ليدى جراهام زوجة السكرتير الأول للمقر البريطانى (كما كان يطلق على السفارة أيام الحماية البريطانية) . كانت هذه المراة نازلى صبرى ابنة وزير الزراعة ، وكانت تبلغ من العمر تسعة عشر عامًا وعلى الرغم من أنها لم تكن من العائلة الملكية ، فإنها كانت متكبرة مثل الطبقة البورجوازية فى مصر وكانت من سلالة ضابط فرنسى بطل من المرتزقة سليمان باشا الذى تزوج ابنة شريف باشا وكان رئيس وزراء لمصر ثلاث مرات متتالية . تلقت تعليمها فى باريس وكانت تتكلم الفرنسية بطلاقة مثل فؤاد المتحرر من العصبية الوطنية . وتقدم فؤاد للزواج من نازلى إلى والدها عن طريق ليدى جراهام ولكن نازلى رفضت الزواج منه مطلقًا ، لقد كان كبيرًا جدًا فى السن بالمقارنة بها . وكان متأكدًا أن أى فرد من عامة الشعب مهما كانت مكانته لا يستطيع رفضه لأنه هو السلطان ، لذلك أصر فؤاد على طلبه ، وطلب أن تقابله نازلى وجهًا لوجه وقد نجح إصراره فى إقناعها وتزوجا فى حفل بسيط بالقصر يوم ٢٤ مايو عام ١٩١٩ .

كان الموضوع الثانى لمهمته الحصول على وريث . أول الأمر كان فؤاد يدلل زوجته الجديدة ويحقق لها كل رغباتها مثل الحصول على أمشاط معينة من باريس ، لم يكن ذلك دليلًا على الحب ولكن كان جزءًا من إيمانه بالخرافات . كان فؤاد يريد ولدًا ولم يكن يستطيع أن يقوم بأى عمل يغضب منجمه . وبدأ يؤدى الصلاة ويعد الله بانه سيمتنع عن القمار وشرب الخمر إذا منحه الله ولدًا . وأخيرًا جاءه عندليب مثل ذلك الذى أنقذه من الموت فى ملهى محمد على منذ عدة سنوات . وكان غناء هذا العندليب فألًا حسنًا وبدأ يغنى العندليب على نافذة غرفة نومه ، وأعلن

فؤاد أنه لو غنى ثلاث مرات ستضع نازلى مولودًا ذكرًا سماه « فاروق » مستخدمًا حرف (ف) الذى يتفاءل به الفاروق الحق والباطل (الرجل الذى يعرف كيف يفرق بين الخطأ والصواب) ولد فى قصر عابدين فى ١١ فبراير عام ١٩٢٠ جمادى الأول ١٣٣٨ هجرية .

كانت هناك إشاعات مغرضة حيث إن الزواج تم بهدوء . البعض قال إن نازلى ولدت هذا الطفل بعد زواجها وتم الاحتفاظ به فى مكان سرى حتى أعلن التاريخ الرسمى لميلاده .

لو كان هذا المولود أنثى كانت ستطلق نازلى . وقد بدأت هذه الإشاعات تعود بعد اثنين وثلاثين عامًا عندما ولدت ناريمان ابن فاروق . وكان اتجاه فاروق مع خليلاته « أعطنى ولدًا وسأتزوجك » قد يكون مماثلًا لما حدث لوالده . أقيمت الاحتفالات فى مصر لوصول ولى العهد ، وقد أعطى فؤاد طبيب القصر الذى قام بتوليد نازلى ألف جنيه ذهبًا وأمر بأن توزع عشرة آلاف جنيه أخرى على الفقراء وثمانمائة جنيه ذهبًا على المساجد بالقاهرة . أما فى القاهرة والاسكندرية والدلتا والصحراء فقد نحرت الذبائح وشويت احتفالًا بمولد فاروق ، وأطلقت المدافع طوال الليل وبدأ الشيوخ يقيمون صلاة الشكر لمولد هذا الأمير . وفى أبريل أصدر اللورد الدنبى بيانًا رسميًا بأن فاروق هو الوريث الشرعى للسلطان . وبذلك تأكدت استمرارية حكم سلالة فؤاد لمصر . وتركزت أعين العالم على هذا الأمير الصغير حيث أصبح آخر الفراعنة .



الفصـــل الـرابـــع

الملــك المـراهـــق

الفصل الرابع

الملك المراهق

قليل من الأمراء على وجه الأرض قد فسدوا وعُزِلُوا ، وكان من حقائق الحياة من حولهم وجود أكثر من فاروق الصغير . وواحدة من هذه الحقائق أيضًا ، كانت أمه السلطانة نازلى . حاول السلطان فؤاد أيضًا أن يعزل نازلى عن مهامها منذ البداية بإحاطتها بالمولدات الإنجليز والمربيات كما أنه قد جلب فلاحات كثيرات الولادة من المنطقة الاسطورية للبن والعسل فى تركيا الشهيرات بصحتهم البدنية لإرضاع الطفل .

فى العشر سنوات الأولى من حياة فاروق ، جعل فؤاد من نازلى ماكينة إنتاج ، أنتجت أربع بنات بحرف الفاء ، الواحدة تلو الأخرى . ونظير مجهوداتها ، أبقى فؤاد نازلى كالسجينة فى الحرملك ، أو ما يسمى بجناح الحريم فى عابدين والذى زين ديكوراته بحرف « ف » فى كل مكان . مراقب بواسطة حبشى يدعى رضا أغا وخمسة آخرين من النوبة . يرتدون مثل رؤساء وزراء أكثر منهم حراس قصر : معاطف الصباح البيضاء ، بنطلونات مقلمة وطرابيش ، يغلقون القصر من الساعة التاسعة مساءًا وحتى الرابعة صباحًا ، نازلى والتى كانت (girl-about-town) فتاة متمدنة قبل زواجها ، أصبحت الآن شبيهة بآن بولين المصرية فى برج لندن ، لم تكن تُرى إلا فى افتتاح خاص فى الأوبرا أو خلف مشربية أو زواج ملكى أو جنازة من وراء حجاب (وقد كان مفروضًا بالقانون على كل النساء المصريات حتى عام ١٩٢٧) ، فيما عدا ذلك لم تترك الحرم . وصلتها الرئيسية بالعالم الخارجى كانت من خلال الوصيفات ومن ضمن هؤلاء الوصيفات مدام قطاوى اليهودية والتى كانت أكثر ملكية من نازلى نفسها ، وكانت صديقة حميمة لعشيقة فؤاد اليهودية السيدة سواريف Suaref ، ومناصبهم فى القصر كانت دليلًا على أهمية اليهود الذين اشتهروا فى مجالات القطن والبنوك ، وغياب العداء للسامية على الأقل ضمن الطبقة العليا . فواحدة من مآسى الشرق الأوسط هو

خروج هذه النخبة اليهودية إلى أوروبا وأمريكا (لكن ليس لإسرائيل) بعد سقوط فاروق ١٩٥٢ .

واحدة أخرى من الوصيفات عند نازلى والتى كان من واجبها أن تكون جزءًا من حاشية نازلى فى شئون الدولة . هى زينب ذو الفقار ، زوجة لقاضى فى المحكمة المختلطة فى الاسكندرية ، وقد أصبحت ابنة هذا القاضى صافيناز ، فريدة « ملكة فاروق » . لكن ذلك بعد أن توفى فؤاد . فأثناء حكمه لم يكن ليسمح بهذا الاختلاط أو أى شىء من شأنه أن يضعف قبضته الحديدية على ابنه ووريثه وبمعرفته ذكاء نازلى وقدرتها على السيطرة ، سحب فؤاد منها حقوقها كأم وجعل كل القرارات الخاصة بتنشئة فاروق منه يقولها كأوامر للمربية Ina Noylor والتى يدعوها فاروق بنيزى والتى كان دائمًا يجرى ليقبلها أولا إذا ما كان له الخيار بينها وبين والدته . وقد سألته نازلى ذات مرة « لماذا لا تقبلنى ؟ » أجاب الأمير وهو محاط بأيدى مربيته « لأنك تضعين الكثير من طلاء الشفاه » . كانت نازلى تحت نوع من أنواع الحبس المنزلى لمدة ستة عشر عامًا ، كان مسموحًا لها بزيارة ابنها لمدة ساعة واحدة فى اليوم . وقد راقب فؤاد مكالماتها الهاتفية وكثيرًا ما كُشِف تنصته بمحض الصدفة . حتى ازداد إزدراء نازلى بمعدل كبير وانقلب الشعور بالازدراء إلى حب السيطرة المبالغ فيها بعد أن مات الحاكم .

وبينما أخذ بزمام الأمور وسيطر سيطرة كاملة على قصوره فقد فعل نفس الشىء مع بلده . وكان ذلك سببًا للمشاكل . كان قائد الحركة الوطنية المصرية قائدًا فلاحًا أراد إكمال ما بدأه عرابى ، كان سعد زغلول فلاحًا وقائدًا تعلم فى الأزهر وكان قاضيًا فى سن الرابعة والعشرين . وفى الخمسين قائد الوفد الذى كان يخطط للذهاب إلى لندن عام ١٩١٨ بعد نهاية الحرب العالمية الأولى للمطالبة بإلغاء الحماية البريطانية على مصر وأن تصبح مصر حرة مستقلة . لكن رفض لندن الجاف باستقبال زغلول نفخ فى الجمر وأثار القلق والسخط بشكل كبير . وأصبحت كلمة « الوفد » هى اسم الحزب الوطنى الجديد الذى أصبح أكبر قوة سياسية مصرية . فثار الشعب وقُتِلَ سبعة بريطانيين فى قطار . وقُبِض عل مثير الغوغاء : زغلول المتقشف المنظر ، ونفى إلى جزيرة مالطة .

لكن بعد ذلك أعاده اللورد ليقمع هذا القلق وعلى مدار السنوات القليلة التى تلت ذلك كان هناك العديد من الاقتراحات والاقتراحات المضادة بين القاهرة ولندن .

لم يرض السلطان فؤاد عن كونه لعبة فى أيدى البريطانيين . لكنه علم أن زغلول الذى يرى نفسه فى جورج واشنطون ، كاب لبلده ليس بصديق القصر . على عكس ذلك زوجة فؤاد ، نازلى ، والتى فقدت أمها فى الصغر ، تقربت جدًا من زوجة زغلول صفية ، وكانت علاقتهما تقريبًا مثل علاقة أم بابنتها ، وهذا القُرب كان هو فى الغالب المُلْهم لعزل نازلى فى الحرم . لم يسمح أبدًا لصفية زغلول أن تزورها .

وإذا خير فؤاد ، فسيختار بريطانيا على الفلاحين . فلعبة أفضل من لا شىء ، رأى فؤاد بمكره من موقف زغلول غير الثابت طريقة لجلب قوة أكبر لنفسه ، عند ذلك اختار فؤاد وفده ليبعث به إلى لندن وعزل زغلول ، وعندما رد زغلول بإثارة الجموع للتظاهر والاعتراض بواسطة حصار قصر عابدين ، كان رد فعل البريطانيين وكما هو متوقع القبض على زغلول ونفيه ، وهذه المرة ، إلى جزيرة سيشل . ولأن البريطانيين قد نالهم الكثير فى عام ١٩٢٢ ، وهو نفس العام الذى اكتشف فيه هاورد كارتر مقبرة توت عنخ أمون فى وادى الملوك ، ألغوا الحماية على مصر وأصبحت مصر « ولاية مستقلة » وألغيت القوانين العرفية التى كانت قد طبقتها بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ . وأصبح فؤاد ملكًا بدلًا من سلطان ، وقد أعطاه ذلك الحكم السلطة لحل البرلمان وأمر بانتخابات جديدة وعين أربعين فى المائة من مجلس الشيوخ . وظلت القوات البريطانية تحت قيادة اللورد اللنبى لتحمى المصالح الأجنبية والاتصالات فى مصر والسودان . وبالرغم من ذلك فقد أحرز فؤاد نقاطًا كثيرة لتنظيمه للوفد الذى ذهب وليس زغلول الذى حصل أخيرًا على الاستقلال لمصر .

أما زغلول ، وكأن لديه « سبع أرواح » . فقد أدار مجتمعًا للثأر من منفاه فى سيشل وأخذ يضرب حتى سُمِحَ له أن يعود ورشح لأن يكون رئيس الوزراء عام ١٩٢٤ ليُخرِج البريطانيين وقواتهم من مصر . واتبع نجاح زغلول السياسى بإطلاق الرصاص على عدد من الموظفين البريطانيين فى وضح النهار ، وبلغ ذلك الذروة

باغتيال سير لى ستاك عام ١٩٢٤ ، وهو قائد بريطانى للجيش المصرى وحاكم فى السودان ووزير التعليم فى القاهرة . لم يكن لزغلول وهو مريض فى سن السادسة والأربعين القوة لأن يثبت ، إذ إن أنف البريطانيين وتعجرفهم منعهم من أن يفزعوا خارج البلاد وقطعًا لم يخرجوا وقناة السويس وإمدادات القطن لهم فى خطر .

خلف زغلول بعد استقالته ، فلاح آخر من الدلتا يدعى مصطفى النحاس ، كان قد اصطحبه فى منفاه فى سيشل . قد تعلم النحاس بالعمل ، كعامل تليفونات ليدفع مصاريف تعليمه ، إنه رجل مألوف ذو وجه يشبه الجمل وكل عين من أعينه فى اتجاه مختلف ، وكفكاهة محليه « واحدة على مصر العليا والأخرى على مصر السفلى » لدى النحاس لمسة شعبية ، وكان من الممكن أن يسبب لفؤاد قضية أخرى مثل حالة زغلول لولا أن جاء شبح من الماضى ليهدد الملك .

كاد فؤاد عام ١٩٢٥ أن يُغتال ، هرب الأمير سيف الدين أخو شويكار من مستشفى الأمراض العقلي فى « Tunbridge Wells » تنبريدج ويلز إلى اسطنبول ، ومن هناك بعث بحملة قانونية على فؤاد لاسترداد الثروة الكبرى التى صودرت باعتقال الأمير والتى يديرها الملك فؤاد ، وبالتالى تزيد من ثروته الملكية . وأشيع أن النحاس خلف موضوع الأمير المجنون وأنه يقبض فى المقابل ، أكثر من مائة ألف جنيه . اضطر النحاس أن ينحنى أمام ثورة الشعب ثم استقال من منصبه كرئيس وزراء . وسيطر فؤاد على معارضيه من خلال شبكة جواسيسه التى استغلها وسخرها من أول بوابين شبرد إلى محررى الصحف ، من ضباط المخابرات البريطانية إلى أعضاء الوفد المرتشين ، وخاصة السفرجية السودانيين والنوبيين فى كل منزل كبير - وذلك بترتيب من رئيس خدم فؤاد - كان لفؤاد أعين وآذان فى كل مكان فى البلد . فالمعرفة أثبتت أنها قوة . وبحلول عام ١٩٢٨ ، توفى زغلول ، والنحاس على الهامش والبريطانيون سعداء لأن يكون لهم صديق فى القصر خير من عدو فى الشارع ، أصبح فؤاد ملك البلاد المسلَّم به قادرًا على حكم بلده حكمًا فرديًا كما فعل مع أسرته .

كانت هناك مربية ضمن المربيات الانجليزيات الأصل سويدية تدعى جيردا

سجوبرج ، والتى نُشِرت مذكراتها كسلسلة فى الصحف السويدية عندما طُرِد فاروق عام ١٩٥٢ والتى أعطت نظرة سريعة للحياة فى القصر فى مصر فى العشرينات .

تتذكر جيردا عندما قادها رئيس أطباء الملك فؤاد من محطة الرمل بالأسكندرية إلى رأس التين ، وهذا الطبيب الوحيد المسموح له بدخول الحرم . وهناك قابلت فؤاد الذى وصفته بأنه رجل سمين يشبه النسر تحدث إليها بالفرنسية ، وقابلت الملكة نازلى منفردة والتى تحدثت إليها أيضًا بالفرنسية والتى تشبه فتاة باريسية جميلة وتم تقديم فاروق الصغير الذى يتحدث الانجليزية بطلاقة وهو فى الرابعة إلى جيردا وألقى بذراعه حولها وقال « أنا مسرور جدًا لأن أراك ، إنك معلمتى أليس كذلك ؟ » .

ويوم فاروق يبدأ فى الثامنة عندما توقظه فرقة صغيرة تعزف السلام الوطنى المصرى خارج شباك غرفته . ثم يأتى خادم نوبى إلى غرفته ليجهز حمام الأمير وملابسه ، بعد ذلك تساعد جيردا فاروق فى ارتداء ملابسه وتجلس معه حتى ينتهى من الشاى والخبز مع الزبد والمربى . بعد الإفطار ، يدخل رئيس خدمه محمد وهو مرتدى رداء أحمر اللون ليقبل الأرض ثم يقبل يد فاروق ويقوده إلى حدائق القصر حاملًا مظلة لتحمى الأمير من حر شمس الصيف ويحركها كلما تحركت الشمس . من الساعة العاشرة حتى الحادية عشرة يجلس فاروق فى الحديقة فقط ليتعلم الصبر ، بينما تقص له جيردا قصة أو تعزف له الفرقة قطعة موسيقية . بعد ذلك يبدأ فى تمرينات لمدة ربع الساعة . فى الحادية عشرة ، تغسل جيردا يد فاروق وتمشط له شعره للزيارة الأولى لوالدته فإنه يزورها مرتين يوميًا . وبعد ساعة مع نازلى يؤخذ فاروق من الحرم إلى صالة الطعام فى القصر ، حيث يجلس بمفرده على منضدة محلاة بالورود والفضيات ليقدم له الغذاء بواسطة رجلين نوبيين يرتدون ملابس خضراء نيلية وقفازات بيضاء وعادة ما يتكون الطعام من دجاج مشوى ، فاصوليا خضراء ، كعكة شيكولاتة وعنب . ويعقب الغذاء مساعدة جيردا له لخلع ملابسه ليبدأ فى نوم خفيف لمدة ساعتين .

فى الرابعة والنصف يستيقظ فاروق ويرتدى زيه الرسمى بدلة حريرية خضراء

ذات ياقة وأساور بيضاء . يشرب الشاى فى القصر مع أخواته الأميرات ويلعبون فى الحديقة حتى السابعة ، ثم يلى ذلك زيارة قصيرة لنازلى فى الحرم لمدة نصف ساعة تأخذه جيردا بعد ذلك إلى حجرته حيث يساعده النوبيون لأخذ حمامه المسائى وتقص له جيردا قصة لينام . كان فاروق مغرمًا بابن اخت جيردا الصغير ، جان بالسويد . لقد وضع صورته بجانب سريره وجعله وهميًا « صديقه الحميم » إذ ان الملك فؤاد لم يكن يسمح فى الواقع بأى أصدقاء .

أما عن انطباع جيردا عن الملكة نازلى ، فهو أنها فى غاية الضيق والملل . إنها وحيدة مع خادماتها وحراسها ، عدا الزيارات المختصرة الرسمية من أطفالها ، فلم يكن مسموحًا لها أن تجلس فى الحديقة وتقريبًا لا ترى زوجها أبدًا . كل ما تفعله طوال اليوم أن تبدل ثيابها إذ ان لديها كمًا هائلًا . والحدث الرئيسى لها أن تنتقل من رأس التين إلى قصر العطلات فى المنتزه . بالرغم من أن البعد بين الاثنين عدة أميال على كورنيش البحر المتوسط ، والتجهيز للرحيل يستغرق ثلاثة أيام لحزم الأمتعة ولإعانتها . وكانت أزمة عندما فُقِدت واحدة من قبعات نازلى المفضلة ، ثم عثر عليها بعد ذلك فى عُلبة .

ذات يوم من أيام التنقل ارتدت نازلى شيفونًا أصفر وارتدى فاروق بدلة حريرية زرقاء وطربوشًا أحمر . كان لدى فاروق اجتماع رسمى مع والده الذى ظلّ فى رأس التين ليدير أعمال البلد . بدأ الوداع وكأن الوالد والابن لن يرى أحدهما الآخر ثانية . تقدمت نازلى وفاروق على سجاد أحمر حتى قافلة من السيارات المنتظرة يمرون بمئات من الضباط الواقفين للتحية . كان فاروق يحب الاستقبالات الرسمية والنزهات القصيرة على الشاطىء ، والتى كانت الاتصال الوحيد له بالعالم الحقيقى . وخلال الرحلة كلها كان على نازلى أن ترتدى حجابًا وكانت تحرس بحراسها وكأن هناك حربًا جارية . تصف جيردا المنتزه وكأنه جنة عدن ملئت بالورود النادرة ، الغزلان والطيور من السودان وثلاثمائة من البستانيين لا يفعلون شيئًا سوى سقاية الزرع طوال اليوم . بالنسبة إلى الأسرة الملكية كان الصيف مملًا مثل سواه . الإثارة الوحيدة عندما

يأتى الملك فؤاد للزيارة ويلاحظ تقصيرًا من أحد الخدم ، مثل ألا تكون حذاء من أحذية فاروق فى مكانها الصحيح . وهناك يقضى فاروق معظم أوقاته يلعب مع قطته وتحطيم الأوانى النادرة . كان يحب أن يلقى بالأشياء .

الحدث المثير الآخر هو العودة إلى القاهرة لحلول شهر اكتوبر . يغادر فؤاد ونازلى الاسكندرية بقطارين منفصلين ، قطاره الملكى وقطارها الملكى . أما الأمير فاروق فله عربة خاصة فى قطار نازلى . لم يكن مشدودًا للسجاد الأحمر ، ولا للقوات الواقفة للتحية والأعلام العالية لكنه كان مغرمًا بضغط وجهه على شباك القطار ليشاهد الفلاحين يزرعون فى مزارع القطن ، والأرز وقصب السكر ، ينظر إلى جاموسة معصوبة الأعين لرى المزارع من ماء النيل ، البدو على الجمال فى الصحراء ، القرويين الفقراء فى أكواخهم الطينية الذين جاءوا ليحيوا الأمير الطفل . عند كل وقفة ، تحلى المحطة بأعلام وتزدحم بالناس ، يُقاد فاروق لرصيف القطار ليحيى الجموع .

تصبح محطة رمسيس حديقة من الورود والأزهار للاستقبال الملكى . وبالرغم من أن نازلى تغطى بحجاب وتحميها مظلة قائد حراسها السوداء ، إلا أن جيردا تستطيع أن ترى أنها غارقة فى مجوهراتها ولا تريد أى شىء فى الدنيا إلا أن تظهرها وتتباهى بها . انحنى الجميع تجاه الأرض بمرور نازلى ثم فاروق على السجاد الأحمر . وعزفت فرقة كبيرة السلام الوطنى ، وداخل العربة الكبيرة المنتظرة وتجرها الخيول ، وتبدأ الرحلة خلال الحشد اللانهائى فى القاهرة إلى قصر عابدين . عربة فؤاد . نسخة من عربة فرنسية من القرن السابع عشر ذات إطارات ذهبية يجرها ثمانية خيول عليها أغطية حمراء مطعمة بالذهب – تقود المسيرة ومحاطة بعشرين حارسًا يركبون خيولًا بيضاء . يتبع فؤاد عربة رئيس الوزراء والتى يجرها ستة أحصنة سوداء والكل بعد ذلك لديه أربعة أحصنة فقط . تستمر المسيرة مدة أربع ساعات وتنتهى أمام قصر عابدين ذى الفناء الممهد بحجارة حمراء تعطى إيحاء بسجادة كبيرة حمراء . وبالجملة كان الأمر وكأنه من أيام الحكم القديم وليالى ألف ليلة وليلة .

كانت جيردا تسعد عندما تتاح لها فرصة الخروج من القصر فى أيام عطلاتها

وتذهب إلى الأسواق . فإنها تعشق مصر القديمة بروائحها من الثوم والقهوة . إنها تحب تسلق أعلى مئذنة ابن طولون لتشاهد غروب الشمس على المساجد الأخرى والقصور والأهرامات . تذهب بمفردها للفنادق الكبرى مثل شبرد وسافوى والكونتيننتال لتشاهد الشيوخ والباشوات ينظرون إلى السائحات الغربيات المرتديات القمصان اللاصقة بالجسم واللؤلؤ ويرقصون ، بينما زوجاتهم محبوسات فى الحرملك .

فى القاهرة كان وقت الأسرة الملكية مقسمًا بين قصر عابدين الرسمى وقصر نهاية الأسبوع قصر القبة . تتذكر جيردا مراسم كل يوم من أيام الانتقال ، فؤاد يهرول وفى يده تاج نازلى ، نازلى تنقب ضمن فساتينها اللانهائية لتقرر أيهم ترتديه أمام مرآتها حيث لن يراها إلا حراسها ، والخدم النوبيون يعملون ويعرقون بشكل يثير الشفقة . ووسط أشجار السنط المزهرة فى حدائق قصر القبة ، يحب فاروق الصغير أن يجدف فى مركب فى البحيرات والقنوات الصناعية .

تتذكر جيردا شهر رمضان ، حيث لا طعام ، لا عطور ولا تدخين أثناء ساعات النهار من السادسة حتى السادسة والخدم كسالى وفؤاد غضبان أكثر من المعتاد . فؤاد الذى يحب أن يأكل ، مر على قانون يسمح له بعدم الصيام مقابل شراء طعام لعشرين شخصًا فقيرًا . لا أحد فى القصر يبدو عليه الجوع ، وقطعًا هؤلاء المربيات التى تزن الواحدة منهن ٢٥٠ رطلًا المأجورات لإرضاع أخوات فاروق الصغار .

كتبت جيردا فى مذكراتها : الحقيقة لا يوجد لها مكان فى مصر . وخلف الوعد شيء طبيعى وفاروق جيد جدًا فى ذلك ، إنه يحب أن يكذب ، لكن المدهش أن يكون له أم مثل نازلى ، بدأت جيردا فى كره نازلى التى تدعوها بـ « شيرى » . كرست نازلى نفسها لخلق حجج لتخرج من الحرملك ، فقد تظاهرت عدة مرات بانهيار عصبى خلال عدة أشهر لتقنع فؤاد بأن يسمح لها بالذهاب لمصحة فى أوروبا . أبحرت على يخت ملكى حيث بناه فؤاد ليكون حرملك عائمًا ، وكانت تصلها كمية كبيرة من البرقيات تحذرها من أن تصور دون حجاب وتحثها أن تكون رفيقة بقبعاتها وإيشارباتها .

وأثناء غياب نازلى ، حضرت جيردا « رُقية » حيث يذبح جمل عليه المجوهرات . يهرع الحاضرون إلى الجمل المحتضر بأكواب من ذهب ليجمعوا دمه ثم يطلون به وجوههم ويرقصون حول الضحية . كما أنها أيضًا زارت جدة فاروق ، أرملة الخديو إسماعيل ذات الثلاثة والثمانين عامًا ، ترتدى باروكة وتطلى رموشها أحمر قانيًا وترتدى ساعة ضخمة على حزام حول خصرها ، ولديها يد واحدة فقط . لقد كانت عبدة فى الحرملك السابق ، وضبطت تسرق وقطعت يدها كعقاب ، عندما رآها إسماعيل صدمه جمالها وجعلها واحدة من زوجاته الأربع . كان لديه مئتان أخر ، غير ملاحقته للأجنبيات وأشهرهن الإمبراطورة الفرنسية أوجينى . أشهر هدية لها كانت سلسلة ذهبية بزمردة على شكل عين وكان الخديوى يقول للإمبراطورة « لكى تكون عينى دائمًا عليك » .

فعلت جيردا ما بوسعها لتبقى فاروق على الصراط المستقيم بأن تدفع له دائمًا مثالًا جيدًا وهو صديقه الوهمى ، جان ، والذى كان فاروق يكتب إليه خطابات ويبعث إليه ببذور القطن ليرى إذا ما ستنمو فى جو السويد . بعد ذلك عادت جيردا إلى الدول الاسكندنافية وانتقلت كل مسئوليتها عن فاروق كمربية . وأحضر فؤاد السيدة أنا نايلور وهى أرملة لطبيب فى يوركشير لتأخذ مسئولية تربية الأمير التى تركتها جيردا ، وبدأتها المربية المحبوبة لفاروق لوسى سيرجنت .

كانت الآنسة لوسى سيرجنت تغنى لفاروق أغانى وهو فى المهد وتقص عليه أساطير إيرلندية قديمة وظل هو متذكرًا ليوم ميلادها ويبعث لها تلغرافًا كل عام حتى مات . على الجانب الآخر السيدة نايلور لم تكن تغنى أى نوع من الأغانى فقد اتبعت التقاليد البريطانية الحازمة وفى سلسلة ذكرياته التى خطها عام ١٩٥٢ بعد طرده سلط الأضواء على من كان الآمر فى القصر .

« طلبت منى أمى أن أخلع المعطف ، إذ بدا علىّ المعاناة من الحر . اعترضت المربية قائلة إننى سأصاب بالبرد ، لكننى كنت سعيدًا أن أخلعه بدعوة من أمى ، وفى الحال فعلت . لم تعلق السيدة نايلور التى يبدو أنها لا تفهم أن المناخ المصرى أشد

حرًا من انجلترا ، لكن فى اليوم التالى ذهبت أنا وأخواتى لزيارة أمى ، والبستنا بعناية فى ملابس صوفية غطتنا بالكامل . وقالت والآن ، إذا خلع أى منكم معطفه ، سأضربه عندما يعود ، سأعلمكم الطاعة . ولا أهتم بمن يأمركم بعصيانى – جلالتها أو أى شىء آخر .

بالطبع ، عندما ذهبنا لزيارة أمى ، دعتنا مرة أخرى لخلع معاطفنا ، أخواتى خفن ولكنى خلعت معطفى . وعندما عدنا نلت عقابى » .

عندما لا يكون مغطى بالملابس الصوفية ، يرتدى فاروق مثل البنت بلوزة قطنية بيضاء ذات ثنيات كبيرة ، شورت وحذاء مارى جان أسود وجوارب قطنية بيضاء . وملامحه المستديرة الناعمة وشعره الطويل حتى الأذنين أضاف عليه ذلك الإيحاء بالأنوثة ، ساعد أيضًا على ذلك عزله عن الأولاد الآخرين وكما كتبت السيدة نايلور : « الحقيقة المدهشة حقًا أن حياته الأولى أى قبل أن يأتى إلى بريطانيا لأول مرة قبل وفاة والده بستة أشهر ، لم يكن قد قضى ساعة واحده بصحبة ولد . رفقاؤه فى اللعب الوحيدون كانوا أخواته الأربعه . وحبه لأخواته لم يشعره بوحدة ، صبى قضى حياته فى القصر وحيدًا » .

أخواته بترتيب السن هن : فوزية والتى كان يدعوها فاروق وزى ، وفايزة ، فايقة ، والتى كان يدعوها إنتى . تدعو الأخوات فاروق Laky ، اسم جاء من النطق الخاطىء للطفلة إنتى وهى تنطق اسم أخيها الأكبر فالتصق به .

قسم الأطفال الملكيون وقتهم على القصور الأربعة . كان هناك مقر دائم بقصر عابدين فى القاهرة ، والذى يعتبر من أغنى القصور فى العالم ، مشهور ببهوه المرمرى البيزنطى ، ذى صور لراقصات عاريات بالحجم الطبيعى بالموزيكو ، وصالونه قناة السويس ذو طابع Canaletto ليخلد الافتتاح العظيم ، ومسرحه ذو الخمسمائة كرسى مذهب ، وجراجه الذى يستوعب مائتين من السيارات . وعلى الطرف البعيد من القاهرة يقع قصر القبة ذو الأربعمائة حجرة ، والذى بناه الخديو إسماعيل . والمنطقة التى تبعد

حوالى عشرة أميال من قصر عابدين فى القاهرة تسمى هليوبوليس « عين شمس » فى القدم كانت مقر عبادة الإله رع ، الإله الشمس . بعد ذلك تقول الأساطير أن مريم والمسيح بحثوا بها عن ملجأ بعد هروبهم من . أما فؤاد فيعتبر قصر القبة ملجأه الخاص . فهو قصر ذو أسوار مانعة ، تبلغ ستة أميال تحيط بسبعين فدانًا من الحدائق الغناء به البحيرات والقنوات ، خيول وجمال ، أيضًا خط قطارات حديدى خاص . يفضل فؤاد الإقامة فى القبة أكثر من قصر عابدين الرسمى ، وكان ذلك محل إقامة فاروق كطفل أثناء الشتاء من اكتوبر إلى مايو . أثناء الصيف تنتقل الحكومة بأكملها إلى الاسكندرية ، حيث تدار أعمال البلاد من رأس التين حيث يرسو اليخت الملكى المحروسة . والأعمال الأخرى تنقل فى المنتزة ، حيث يوجد منزل للدراسة صغير على الشاطىء بناه فؤاد لكى يتلقى ابنه الدروس وأمامه منظر البحر .

كان فؤاد يقول دائمًا « ليس مهمًا أن تكون أميرًا ، لكن الأهم أن تكون نافعًا » لذلك فقد اهتم بتعليم ابنه بعناية فائقة ، وبدأ هذا التعليم عندما بلغ فاروق الخامسة .

الفترة التى قضاها تحت عناية جيردا أصبحت أكثر حدة . أصبح يستيقظ مبكرًا ، حوالى السادسة صباحًا ليؤدى تمرينات رياضية . ويبدأ تعليمه بعد الإفطار فى التاسعة وحتى الواحدة موعد الغداء ، ثم يركب خيوله ، سامى وسيلفرتيل (أو ذو الذيل الفضى) ، يسبح ، أو يتعلم أن يتسلق النخيل تحت قيادة مدربه الرياضى الفرنسى . لكن يقع التعليم فى المرتبة الأولى ، على الأقل نظريًا . كان مهمًا جدًا بالنسبة لفؤاد الذى لا يتحدث العربية ، أن يتعلم فاروق عدة لغات وأن يكون متمكنًا جدًا من اللغة التى يتحدث بها الشعب الذى سوف يحكمه يومًا ما .

بعيدًا عن اللغات ، كره فاروق التعليم . وجد على بعض الدفاتر الدراسية فى قصر عابدين بعد عام ١٩٥٢ بعض الملاحظات كتبها معلموه . واحدة تقول « حسن خطك الردىء واهتم بنظافة دفترك » وأخرى تقول « من المشين ألا تعرف تاريخ أجدادك » . (موبخة الأمير الذى يعرف القليل عن أسرته الملكية والأقل عن بلده) .

لم يقم فاروق بزيارة الأهرام بالرغم من أنها على بعد اثنى عشر ميلًا من عابدين ، حتى أصبح ملكًا . ولم يكن كل المعلمين فوق مستوى التملق . « ممتاز . ينتظرك مستقبل لامع فى عالم الأدب » كان هذا تعليق على مقال قصير يحتوى على سبعة أخطاء إملائية وجملة تقول : « ابى لديه وزراء كثيرين وأنا لدى قطة » .

كان فؤاد دائمًا متيقظًا لحالة بدنه الفيزيقية واستعداد أسرته للسمنة . فقام بصيام يومين لا يأكل فيهما سوى الفاكهة . كما وضع ابنه فى نظام أكثر صرامة للتخسيس ، ليس فقط لأن يجعل من فاروق رشيقًا لكن من أجل أن يسحب من نازلى اهتمامها بطعام فاروق والتى تهتم كأم بأن طفلها يضيع منها جوعًا . قامت بعد ذلك حربًا ، فمن ناحية تُهرِّب نازلى كعكًا بالكريمة وأشياء محتوية على نسبة عالية من السكريات لفاروق ، ومن ناحية أخرى تأخذهم السيدة نايلور وتلقى بهم . وصل الحال بالمسكين فاروق أن يأكل طعام قطته ليكفى حاجته .

الهواية الرئيسية لفاروق كانت الصيد فى شاطىء المنتزة والتقاط الصور الفوتوغرافية بماكينة كوداك اشتراها له والده ، والقيادة على طرق القصر الممهدة . فقد كان فاروق شغوفًا بالسيارات وله صورة فى السادسة يقود سيارة كهربائية طراز « T » وهو يرتدى طربوشًا ومعطفًا أنيقًا من الفرو . فى الحادية عشرة أعطاه فؤاد أول سيارة حقيقية ، طراز أوستين السابع . بعد ذلك قدم له ملك إيطاليا سيارة فيات . وفى سن الخامسة عشرة منحه فؤاد سيارة موريس للسباق .

بالرغم من بذخ السيارات ، فإن فؤاد قد أبقى على فاروق فى ضيق مادى أكثر صرامة من نظامه الغذائى . لكن فاروق كان محبًا لخير البشر ، فمن الخمس جنيهات التى يأخذها كل شهر ، يعطى الأسر الفقيرة التى تعمل فى القصر جنيهين وجنيهين آخرين لأطفال الخدم فى القصر ليشتروا الكتب الخاصة بتعليمهم . كتبت السيدة نايلوز « كان مثالًا للطيبة والولاء لأصدقائه وخادميه ، أثناء ركوبه للخيل ذات مرة ، فقد دبوس عنق ماسيًا ، وبعد

عدة أشهر قُبِض على موظف من موظفى الاسطبل يحاول بيعه . توسل فاروق للصفح عنه ، لكن والده قد قرر أن يكون مثالًا وعبرة لغيره . ولم يرتد فاروق أية جواهر بعد ذلك حين يذهب لركوب الخيل . كان يقول من الخطأ وضع المغريات فى طريق الفقراء » .

وقف فاروق أيضًا جانب نينزى . عندما أتى الرسام الإيطالى الشهير لازلو إلى قصر عابدين ليرسم الصورة الرسمية للأمير ، طلب لازلو من الأمير البالغ من العمر تسعة أعوام التوقيع فى كتاب له خاص بجمع توقيعات المشاهير . قال فاروق إنه يريد من السيدة نايلور أن توقع هى الأخرى ، احتج لازلو لأنه يريد توقيعات ملكية فقط . لكن فاروق أيضًا احتج إذا لم توقع نينزى فلن يوقع هو الآخر . فى النهاية لان لازلو وكتب تحت التوقيع الوحيد غير الملكى للسيدة نايلور ضمن مجموعته ، « حضرت كل جلسات رسم صورة الأمير فاروق : وقعت بطلب خاص من الأمير » . كان لدى فاروق ألفة وتجاوب مع خدم القصر ، الذين ينقسمون إلى فريقين : فريق إنجليزى وآخر إيطالى . من الفريق الأول ، هناك السيدة نايلور والسائق الرئيسى لفؤاد والصيدلى الخاص به والذواقة الرسمى للملك المتحوط وابنه ويدعى تيترينجتون ويدعوه فاروق تيترز ، ومن الإيطاليين معمارى فؤاد ويدعى أرنستو فيديوكى وحلاق القصر وبيترو ديلا فال وأنطونيو بولى ، الذى أصبح الصديق الوحيد الحقيقى للصبى . أحب فاروق خلق الأعذار ليهرب من معلميه ويختبىء ويقف مع بولى والإيطاليين فى القصر والجراجات ومنهم تعلم الفكاهات وتعلم الكثير عن النساء .

وأول فكاهة كانت كذبة أبريل ، طلب فاروق من والده أن يقف لكى يأخذ له صورة فوتوغرافية ، أطاعه الملك مجبرًا ، لكن بدلًا من ومضة الكاميرا خرج منها ثعبان أخضر بطول ثلاثة أقدام . فضحك الملك .

يحب فاروق أن يفك أسر طائر السمان من الشباك التى تنصب له فى المنتزه . كان يأخذ بندقية ويطلق الرصاص على كل شبابيك الدور الأرضى للجناح فى قصر القبة . كان يغيظ معلميه العبوسين ومدربيه بأنه سيثأر منهم عندما يصبح ملكًا . ذات

مرة كانت الملكة نازلى مستضيفة للملكة مارى ملكة رومانيا فى الحرملك . سأل فاروق ملكة البلقان إذا ما كانت تود رؤية حصانيه الاثنين وضغط عليها للموافقة فأجابت بالموافقة ، فأحضر حصانيه الاثنين سامى وسيلفرتيل لأعلى على السلم الضخم لحرملك قصر القبة ثم داخل الصالون . ولم تكن الملكتان فى غاية السعادة .

عندما بلغ فاروق سن الثانية عشرة عام ١٩٣٢ ، ظهر على الملأ لأول مرة ، أخذ مكان فؤاد فى العرض الجوى الملكى فى مطار بهليوبوليس . عام ١٩٣٣ أصبح قائد الكشافة فى مصر . وبهذا الوقت كبر ليصبح وسيمًا لدرجة عالية جدًا ، أصبح أطول من أبيه . أحبه الفلاحون جدًا . فى الواقع أصبح فاروق سلاح أبيه السرى ضد رغبة الغوغاء .

توجه الشعب إلى حسن البنا بعد سحب ثقتهم بالنحاس بعد دعوة سيف الدين القضائية ، وحسن البنا هو مؤسس الإخوان المسلمين . وقد أسس من قبل مجتمعًا لمنع الخطيئة ، فإنه يعتقد أن مصر أصبحت مُشَبعه لأنها تنظر للغرب بدلًا من القرآن .

أما فاروق بالرغم من مشبك عنقه الماسى وسيارته الانجليزية « الاسبور » ، فإنه يصلى لمكة خمس مرات يوميًا على سجادة للصلاة لا تقدر بثمن . إنه يغسل يديه ورجليه وشعره تبعًا للتقاليد الإسلامية « يتوضأ » . إنه يتحدث العربية ، ويعطى الفقراء . فكان بمثابة حجة أبيه الرادعة لحسن البنا . إذا أراد المصريون الفارس النبيل ، المنقذ للشباب ، ففاروق هو الشخص المطلوب دعاه المصريون « الراعى الأمين الطيب » وأطلقت عليه الصحافة « الأمير الساحر » عندما وصل إلى مصر الدبلوماسى ميلر لامبسون كمندوب بريطانيا السامى ، وقد خدم قبل ذلك كوزير للصين ترك علامة فى حياة الأمير فاروق . كانت لدى لامبسون فكرة لامعة وهى بعث الصبى إلى Etro ليحصل على التعليم المناسب له كحاكم فى المستقبل ، لكنه رُفِض فلم يكن يعرف اللاتينية واليونانية المطلوبتين وفشل فى اختبار قبول Etor . وذلك قد وضع حدًا لأكاذيب درجاته المرتفعة بواسطة معلميه . فى الحقيقة لم يكن يعرف أى شىء عدا

اللغات . كان ذلك الموقف محرجًا لمصر وللأسرة الملكية . ولم يستطع أحد تكرار المحاولة فى خارو أو وينشيستر أو أى مدرسة كبيرة أخرى لأن النتيجة ستظل كما هى . ولفترة وضع فؤاد مدرسة واحدة نصب عينيه وهى Turin Military Academy (أكاديمية تورين العسكرية) لكن شبح الحرب بدأ فى الظهور . فى عام ١٩٣٥ غزا موسوليني أثيوبيا . وفجأة وضعت قناة السويس فى خطر حقيقى جديد . لم يستطع حينئذ المفوض السامى لامبسون أن يبعث فاروق لعدوه . إذا استقر الأمر على أكاديمية عسكرية فلتكن إذن بريطانية . استقر فؤاد ولامبسون أخيرًا على الأكاديمية العسكرية الملكية بولويش . فلدى تلك المدرسة الطابع المصرى النبيل وقد تخرج منها سير إيفلين بارينج ولورد كرومر وجوردون الصينى ، الشخص الوحيد الذى عارض هذا الاختيار ، كانت الملكة نازلى ، التى تعتقد أن ابنها ليس مستعدًا لأن يترك المنزل .

لكن وكالمعتاد ، لم يكن لاعتراض نازلى أى وزن . فى آخر اكتوبر ١٩٣٥ ، أبحر فاروق وعشرون رجلًا من الحاشية إلى انجلترا على الباخرة البريطانية ديفونشاير ، حيث وقف الأمير يغالب دموعه ويرفع أصبعيه ، سوف يتغيب لمدة سنتين ليصبح رجلًا .

استقرت البعثة التعليمية فى منزل كينرى ، منزل فخم بكينجستون هول ، بالقرب من « SHOP » كما يطلقون على الأكاديمية فى ولويتش . كان كينرى قبل ذلك مقر أمير اليابان chichibu . كان قصرًا كبيرًا على مساحة تقدر بحوالى تسعة وعشرين فدانًا محاطًا برجال الشرطة البريطانيين . لم يدخل فاروق وولويتش مباشرة لكنه كان يأخذ محاضرات فى بعض الأحيان ليعد نفسه لدخول اختيار المدرسة حتى يصبح تلميذًا حربيًا . لم يحظ أى تلميذ بهذا الاستعداد من قبل أما بالنسبة لفاروق فقد كان معه معلمه الرئيسى ، ومعلمه العسكرى وأستاذ اللغة العربية الخاص به وضابط بريطانى يدربه على المبارزة ، ومدرب الاسكواش ، وطبيبه الخاص والذى بدونه لم يكن لفاروق أن يترك الوطن ومجموعة من الطهاة والوصفاء وخدم آخرون .

فى الحقيقة لم يستيقظ فاروق أبدًا فى هذه المدرسة العسكرية ، بدلًا من ذلك

يستيقظ ليأخذ حمامًا دافئًا فى منزل كينرى ، ويقاد إلى وولويش راكبًا لسيارة رولزرويس مرتين أسبوعيًا . وفى أول مرة يدخل فيها فاروق اختبار دخول المدرسة رسب ، مسببًا لوالده الذعر فى القاهرة . تحدث فؤاد إلى معلميه الرئيسيين وكلاهما كان على مستوى عال . كان معلمه الأكاديمى مكتشف الصحراء الكبير أحمد محمد حسنين ومعلم فاروق العسكرى كان الفريق عزيز المصرى ، وهو تركى شاب وضابط ثوري للألمان فى الحرب العالمية الأولى ذهب إلى قيادة الأكاديمية العسكرية فى القاهرة ، كان عزيز المصرى لا يحب الانجليز مثل حسنين . بالرغم من أن المصرى كان وسيلة مع كمال أتاتورك فى قيادة الثورة ضد السلطان العثمانى ، فإن الملك فؤاد يثق فى ولاء حسنين .

حتى بعد رسوب فاروق فى الاختبار ، بعث حسنين بتقارير إلى فؤاد تبلغه أن الأمير يتقدم بوضوح . أما تقارير المصرى فكانت تمامًا خلاف ذلك . قال إن فاروق توقع أن تُعطى له الإجابات وأكثر من ذلك بدل الذهاب إلى المدرسة يذهب إلى اتجاهات أخرى . قال المصرى أيضًا إن فاروق يُقاد إلى محال فى ضواحي لندن ، للشرب وحتى لزيارة bordelb وسط مايفير . كان الأيسر لفؤاد تصديق حسنين الباعثة للأمل عن تلك الآتية من المصرى . كما أن السيدة نايلور روعت من قساوة الضابط الشاب ونقص كياسته ، أخبرت فؤاد أنه ليس له مكان فى هذه البعثة الدبلوماسية لإنجلترى المتحضرة . فى النهاية وافق المصرى واستقال .

لكن مذكرات فاروق تكشف بعد ذلك صحة هذه التقارير :

« لقد كنت فظيعًا فى الرياضيات وكنت أجد صبرًا قليلًا فى هذه المادة . الذى كان حقًا يمتعنى هو العلوم ، كنت آخذ كتب العلوم إلى المنزل لأقرأ واستمتع ، حتى أصبحت متقدمًا عن باق الطلاب فى هذه المادة .

عندما أتيت إلى انجلترا كطالب ، كنت أنفق معظم مصروف جيبى أبحث فى محال الكتب المستعملة ، وبالرغم من أنه قد قيل إننى أملك سيارة « سبور » حمراء وأخيف

بها الأهالي في وولويش ، فإن ذلك لم يكن صحيحًا . كنت أحب مثل هذه السيارة ، لكن كل ما كنت أملك هو عجلة ، وكان سائق سيارة كبيرة يقودني إلى لندن مرتين أسبوعيًا » .

يتذكر فاروق أيام أن كان يجرى في الخامسة صباحًا وسط الضباب وكيف تعلم الملاكمة . كما كتب عن صداقته بدوق وندسور الشاب والذى كان يأخذه إلى مباريات كرة قدم . في المقابل علمه فاروق اللغة العامية والتي تعلمها من مدرب الملاكمة . وكتب أيضًا عن عشائه في قصر باكنجهام وسيره مع باقي الملوك أثناء جنازة الملك جورج الخامس .

ويعترف حسنين أن معظم أوقات فاروق كان يقضيها في النوم والتسوق والذى عززه جدًا بالنسبة إلى العامة وخاصة التجار الذين أطلقوا عليه « الأمير فريدى » . وفى لندن انفق ثروة في شارع بوند على المجوهرات والأنتيكات لأسرته ، كان يحب زيارة اندية بال مال . كان يستمتع أيضًا بإهانة معلمه . في أحد النوادى متكاسلًا بجانب المدفأة مع بعض الأعضاء ، نادى حسنين الواقف خارج الحجرة وعندما حضر المكتشف ، ناوله فاروق بقايا سجائره ليتخلص منها قائلًا بسرور « خادمى » .

انتهى هذا الحال بالأمير بعد ستة أشهر من وصوله إلي انجلترا في ٢٩ أبريل ١٩٣٦ عندما توفي والده في سن التاسعة والستين أثر سكتة قلبية نتيجة غرغرينة من جرح لم يلتئم جيدًا في حلقه من رصاصة .

وتبعًا للعقيدة الإسلامية بضرورة الدفن السريع ، أدخل فؤاد اليوم التالى مسجد الرفاعى ، وهو مسجد اعتبر كمدفن ملكى كبير من أسرة محمد على . سبق سبعة ثيران إلى الميدان خارج المسجد . وسار في الجنازة ستة آلاف شخص من أمراء ودبلوماسيين ورجال دين وجنود عابرين القاهرة إلى مثوى فؤاد الأخير . وعندما وصلوا إلى المسجد ، نبحت الثيران وتبعًا للتقاليد انتثرت الدماء على النعش وأصحاب المقامات .

وخلال هذه المراسم المقامة فى القاهرة ، كان فاروق فى انجلترا يرتب للعودة إلى الوطن . كملك لمصر ، لم يدخل فاروق اختيار الدخول ، ورحل دون أن يسمح له بدخول الأكاديمية . . ذهب أولًا إلى قصر باكنجهام ، يرتدى بدلة سوداء وطربوشًا أحمر . هناك قام بزيارة صديقه دوق وندسور ، الذى أصبح حينئذ الملك ادوارد الثامن والذى تقدم للزواج من السيدة سمبسون . عرض الملك الانجليزى على الملك المصرى لمصاحبته إلى مصر ، لكن فاروق أجاب أنه ليس من الضرورى وذهب إلى محطة فيكتوريا حيث ودعه هو وحسنين وحاشيته سير انطونى ايدن دوق كنت والسفير المصرى فى بريطانيا . وفى دوفر قوبل فاروق بالحرس الاسكوتلندى وموسيقى القرب حتى ركب السفينة الفرنسية Cte d Azur ، واصطحبته عبر القناة الانجليزية مركبتان حربيتان ، سكوت وسكيميتار . ثم أخذ قطارًا خاصًا آخر إلى مارسيل ، وقف فى باريس فى محطة ليون للتحية مقدمة من رئيس فرنسا . فى مارسيل كان الترحيب أكبر عندما استقل إلى الاسكندرية ، فى هذه الرحلة رأت باربرا سيكيلتون لأول مرة هذا الشاب الوسيم والذى أصبحت فيما بعد عشيقته .

فى ظلام الصباح المبكر للسادس من مايو ، عندا رست الباخرة فى الاسكندرية ، كان الميناء وكما تتذكر باربرا سكيلتون مفعمًا بالحركة والأضواء للاحتفال . انقلب الحزن على فؤاد باحتفال لاستقبال فاروق . رفعت الأعلام بعد أن كانت منخفضة إلى النصف لموت فؤاد . أطلق البريطانيون إحدى وعشرين طلقة للتحية ، وترك فاروق الباخرة إلى المحروسة والتى عبرت به الميناء إلى مرسى رأس التين حيث تعزف الفرقة الملكية السلام الوطنى . استقبل الملك رئيس الوزراء على ماهر الذى اكتُشِف بعد ذلك أنه خائن ، والذى ركب مع فاروق سيارة رولزرويس مكشوفة على الكورنيش حتى محطة الرمل ، حيث أخذه قطار خاص إلى القاهرة . كانت الطرق مزدحمة بآلاف الجماهير ، قوات ، الشرطة ورجال الإطفاء ، تجمعوا لتحية حاكمهم الجديد وأمطروه بسيل من الورود من الشرفات هاتفين « عاش ملك النيل » « عاش ملك مصر والسودان » .

اصطف آلاف الفلاحين فى الدلتا لرؤية ملكهم . أصبحت القاهرة مهرجانًا من

الأعلام والرايات لتحية الحاكم الصغير . ترك فاروق القطار ونزل على سجاد أحمر ليستقبله المفوض السامى البريطانى ميلز لاميسون والفريق الدبلوماسى بأكمله فى القاهرة . ركب فاروق سيارة رولزرويس أخرى منتظرة أخذته وسط الهتافات إلى مسجد الرفاعى . حيث قام بالصلاة على والده ثم بدأ بعد ذلك إلى الآلاف من طلبة الأزهر بردائهم الأبيض وعممهم البيضاء أتوا لتحية وإقرار الموافقة على الملك ، وكثير منهم من الإخوان المسلمين . وقد امتدحته صحيفة التايمز البريطانية قائلة : « سلوك صاحب الجلالة المكرم لكن فى نفس الوقت المتواضع صنع رد فعل ممتاز » . بعد المسجد ، ذهب إلى قصر عابدين لينضم إلى والدته وأخواته . امتلأ الميدان أمام القصر بعدد لا نهائى من صبيان الكشافة والبنات المرشدات . لقد أصبح قائد الكشافة فى مصر ملكها . إن البلد الآن تغمرها النشوة .

وألقى فاروق أول خطبة له من شرفة قصر عابدين :

كانت مشيئة الله ان لا أرى والدى لأخر مرة . سأبدأ فى حياة جديدة أتمسك بها بقوة وبنية حسنة . وأعد أن أهب حياتى لخدمتكم وللمجهودات المستمرة لرخائكم . فلقد رأيت بنفسى مدى حبكم وأقول لكم أننى أعتزم الحفاظ عليه من أجل مصر الغالية . فأنا أعتقد أن عظمة الملك هى من عظمة شعبه . أريد أن آتى بالإصلاحات والله هو المعين .

وبعض من الأسباب التى جعلت مصر شغوفة جدًا باحتضان فاروق هى راحة الشعب لأن يروا نهاية فؤاد . وكما أقرت صحيفة نيويورك تايمز يوم جنازة فؤاد :

بالرغم من حقيقة أن مصر اليوم فى حداد رسمى لوفاة الملك فؤاد ، إلا أن البلد فى مناخ طبيعى يدهش من يراه ، الجميع ذاهبون إلى أعمالهم كالمعتاد .

وعدا منظر الأعلام وهى منكسة وصورة الملك فؤاد وعليها شريط أسود فلا شىء يدل على وفاة حاكم البلد بالأمس .

لقد جعل فؤاد من نفسه أقوى وأغنى رجل فى البلد وجعل نفسه أيضًا مبغوضًا

بشكل واضح . لقد استحوذ شخصيًا علي سُبع الأراضي في مصر . إذا تصور فؤاد أرض الدلتا ، لكان طلب من المالك لأن يحدد أى سعر يريده . لكنه كان يقول ألف جنيه للفدان ، فكل ما ينطق به فؤاد إن ذلك الثمن مرتفع جدًا ، ثم يدفع له بمثمن للأراضى فيقول المثمن إنها تساوى تسعين جنيهًا للفدان ، فيعطيه فؤاد مائة جنيه للفدان .

أما إذا رفض المالك فإن فؤاد ينجح فى إغلاق قنوات الرى رسميًا . باختصار لم يستطع أحد رفض عرض فؤاد .

كان فؤاد الذى يفخر بأصله الأجنبى ، يطلق على هؤلاء الملاك (هؤلاء المصريين) وأقل أدبًا بالفرنسية « Ces Cretins » . لم يكن هذا البخل من سمات هذه الطبقة يتذكر محمد نجيب الذى قاد الثورة ضد فاروق عام ١٩٥٢ فى مذكرات الثورة ، قدر مصر .

« كان فؤاد قبل اعتلائه العرش ، لعوبًا فقيرًا مدينًا للجميع بالأموال ، ومتى أصبح ملكًا كرس نفسه لاكتناز أكبر قدر من الأموال يستطيع اكتنازه . لم يكن ينفق قرشًا يستطيع ألا ينفقه أو يستطيع تحاشى إنفاقه . لم يكن يمنح أى شيء لأعمال الخير عدا المناسبات الرسمية ، وذات مرة أمر بجلد حارس ملكى التقط بعض التمر من على إحدى نخيل حديقة قصر البستان . ومن أجل توفير الأموال ، فى عام ١٩٢٥ ألغى علاوة كانت منذ زمن بعيد تعطى لضباط حرس القصر » .

مقابل ذلك ورث فاروق ثروة تقدر بمائة مليون دولار ، مستثمرة فى مصر وأوروبا وأيضًا يسيطر علي حوالى خمسة وسبعين ألف فدان من أخصب الأراضى على وجه الأرض ومائتي سيارة وخمسة قصور ويختين والعديد من أكواخ الصيد واستراحات من البحر المتوسط حتى السودان ، وقطار خاص ، وقوة جوية تحت أمره . لكن لسلوكه الممتاز ومظهره الحسن وتواضعه ، لم يطالبه المصريون بقرش أو فدان . فلدى هذه البلد تقليد منذ آلاف السنين وهو احترام حاكمها الذى يستحم فى اللبن بينما يكد عمالها

وسط بعير الجمال . كانت الثقة العمياء والرضا طريقتهم فى الحياة . لكن لم يكن هناك فرعون ولا ملك أو حتى خديو بدأ حكمه بهذا الحماس وحسن النية التى بدأ بها فاروق . أيضًا لم يكن منهم شخص غير مستعد للحكم مثله فها هو ذا معزول تمامًا ، تقريبًا غير متعلم فى سن السادسة عشرة ، مطلوب منه ملء فراغ أبيه السياسى ، ونوع من أنواع الحرب تدور بين القومية الامبريالية الاشتراكية والملكية . ومن أجل براءته نظر إليه كل مجموعة كأداة يمكن التحكم فيها حسب هواها . ولم يمض على وفاة فؤاد وقت حتى بدأت انتخابات جديدة حيث أحرز الوفد أكثر من ثمانين فى المائة من مقاعد البرلمان ، مجلس النواب . وعاد النحاس إلى مجده السابق كرئيس وزراء . أما فضيحة الأمير سيف الدين ومطالبته القانونية لم يعد يتذكرها أحد . أصبح الملك الجديد محاطًا بمعارضين مصريين أقوياء ظلوا يطاردونه مدة حكمه ، كما سيفعل معارضه الانجليزى ، ميلز لامبسون ، وحتى العائلة الملكية نفسها لم تخل من المكائد . فعم فاروق ، الأمير محمد على ، أكبر قريب رجل حتى لفاروق ووريث العرش إذا ما حدث أى شىء لفاروق لم يكن دون طموحات ، لذلك كانت تؤخذ نصائحه للملك الجديد بعين الحذر ، أخيرًا ، هناك هتلر وموسولينى يجب أن يؤخذوا فى الاعتبار فكلاهما يضع عينيه على قناة السويس .

ونظرًا لهذه الظروف ، أجمع الكل أن أفضل شىء أن يعود فاروق إلى انجلترا ليكمل تعليمه . وتبعًا للقانون الإسلامى ، فلن يبلغ سن الرشد حتى يصل الثامنة عشرة ، وهاتان السنتان ستكونان متسعًا له لكى ينضج ولمصر أن تستعد لفترة حكمه ، لكن لسوء الحظ ، لم يكن للملكة نازلى أن تسمح لابنها أن يبعد عنها بعد ان استعادته . لقد طردت السيدة تايلور وأحضرت مربيتها الانجليزية الخاصة السيدة برودبنت لكى تنشىء ابنها وبناتها وفق رغباتها . فعلى أية حال إنها الملكة .

كونت مجلسًا لإنابة الملك من ثلاث رجال لإرشاد فاروق حتى يبلغ الثامنة عشرة . كان هناك توازن رقيق بين مصالح الملكية ورغبات فؤاد ورغبات نازلى . يمثل الملكية – والانجليز – الأمير محمد على ، حفيد الخديو إسماعيل وابن الخديو

توفيق ، كان متحيزًا للإنجليز ، إنه مربى خيول عالمى وجامع للتحف الفنية . كان قصره فى المنيل على جزيرة الروضة بالنيل مثل المتحف يضم كنوزًا عظيمة من الإمبراطورية العثمانية كان محدودبًا « منحنى » إلى حد ما ذا لحية بيضاء ، متأنقًا على الطريقة الادواردية لكنه دائمًا يرتدى طربوشًا بزاوية معينة ليذكر الجميع أنه ليس إلا رجلًا آخر من رجال الأندية . وقد عارضه شريف صبرى فى أمر بعث الملك الصغير للتعليم فى انجلترا كعضو آخر فى مجلس الإنابة وهو أخو نازلى « ذى الميول الفرنسية » شريف صبرى ، والذى كان سكرتير العلاقات الخارجية ، ويكمل المجلس رجل فؤاد ، عبد العزيز عزت ، وهو رجل ساحر دبلوماسى قضى ثلاث سنوات فى انجلترا كوزير مصر فى بلاط سانت جيمس وتزوج من ابنة أخت فؤاد . كان عزت أيضًا حليفًا لبريطانيا لكنه قرر إكرام رغبة الملك فؤاد وهى منع الأمير محمد على من أن يفعل أى شىء ليأخذ العرش من ابنه . وقد حافظ عزت على وعده وصوت مع صبرى لإبقاء فاروق فى مصر وعدم ذهابه إلى انجلترا . وعند هذا الحد أتى ميلز لامبسون بما اعتبره حلًا سليمانيًا كما أطلق عليه . إذا لم يستطيعوا بعث فاروق إلى انجلترا . لماذا لا يأتوا بانجلترا إلى فاروق ؟ تتجسم رؤية لامبسون البريطانى بإحضار معلم ليمدنه وخاصة يجعل من هذا الحاكم الشرقى رجلًا ذا طابع إنجليزى . بدأت العاصفة صيف عام ١٩٣٦ عندما كان لامبسون فى لندن من أجل مفاوضات المعاهدة الانجليزية المصرية التى ستجعل من لامبسون سفيرًا بدلًا من مندوب سام وستلغى المحاكم المختلطة لتضع الأجانب تحت حكم القانون المصرى لآول مرة منذ فرض الامتيازات الأجنبية فى القرن التاسع عشر . بالرغم من أن شروط المعاهدة كانت معقولة ، فإن لامبسون مع طموحه السامى . لم يحب فكرة الانقياد وراء ملك مراهق . بالتعليم الانجليزى المناسب كان متأكدًا من أن فاروق سوف يكتسب القيم المناسبة ، وسيتعلم « الصبى » الاحترام . ذهب لامبسون إلى مدرسته القديمة كلية إتون لمقابلة الناظر . لم يطلب من إتون إعادة النظر فى قبول فاروق لكنه أراد منه أن يجد معلمًا ممتازًا ليبعث به إلى مصر .

إدوارد فورد ، الآن سير إدوارد ، فى الثمانين لا يزال صارمًا كرامى القنابل لأنه كان كذلك ومتيقظًا مثل طلاب إتون وقد كان كذلك أيضًا . كان لا يزال فى السادسة والعشرين عندما قام بتعليم فاروق ، لقد كان مُرافعًا middle Temple ثم سكرتيرًا خصوصيًا للملكة إليزابيث ، حيث تم إعطاؤه رتبة الشرف . ولدى السير إدوارد ذكريات مثيرة للضحك فى السنة التى قضاها مع فاروق ، التى بالرغم من التوقعات العظيمة تحولت إلى ما يشبه مسرحية أو قصة ساخرة أو نسخة تهورية من Waiting for Godot .

جاء فورد إلى لندن من جامعة اكسفورد عام ١٩٣٤ وكان يحاول كسب بعض الأموال بينما يحدد إذا ما كان سيصبح محاميًا أم معلمًا فى مدرسة . ومن أجل ذلك ذهب إلى كندا وعمل فى عدة وظائف لتعليم الصبية ، وذلك أقنعه باختيار المحاماة عن التعليم واجتاز اختبار المرافعة عام ١٩٣٦ ، وعمل فى مخزن لإمداد حرس رماة القنابل . عندما استدعى إلى السفارة . يقول « كنت قلقًا من أن أكون قد أفشيت سرًا أو مايشبه ذلك لكنى قابلت بدلًا من ذلك رجلًا جليلًا ميلز لامبسون الذى طلب منى أن أعلم فاروق . إنه اراد منى أن أعلمه ما كان سيعرفه إذا ذهب إلى ايتون . قال . « فقط علمه كيف يتصرف كصبى انجليزى مؤدب فى هذه السن . كانت قضية أخلاق ، وعدم فقد الأعصاب ، كان الأيسر بعث فاروق إلى إتون ومعاملته مثل أى صبى آخر ، لكن وكما ترون ، لا يستطيع المرء معاملته مثل أى صبى آخر » .

وبقبول عرض لامبسون ، ذهب فورد إلى مارسيليا ، حيث أخذ سفينة تمر بمالطا حتى الاسكندرية ، واستقبله فى ميناء الاسكندرية العميد عمر فتحى ياور لفؤاد ثم فاروق ، الذى أخذه إلى فندق سمر بالاس Summer Palace Hotel جانب شاطىء مصيف سيدى بشر وليس إلى قصر المنتزه كما توقع . قيل له : « يجب أن نريحك أولًا » . ثم انتظر وانتظر لمدة أسبوعين فى الفندق قبل أن يؤخذ فى النهاية إلى القصر . ويشرح فورد « ورث فاروق عن أبيه رجال البلاط وأرادوا أن يستمروا فى أعمالهم ، و لم يكونوا يجرؤن على الإسراع فى أى أمر ، والذى أدى منهم إلى كثير من التملق ويالللأسف ،

فلو كنت حصلت على تعاون من البلاط لأصبح الأمر أكثر سهولة . وفؤاد لم يكن ليموت فى وقت أسوأ من ذلك » . وعندما قابل فورد الملك ، أصر فاروق أن يذهبوا للسباحة فى الحال . تأثر فورد بمظهر فاروق الحسن ، أدبه وأخلاقه الممتازة بالرغم من اعتقاده فى البداية ، وكما يقول : « كان فاروق يعتقد أننى جاسوس أجنبى » وعندما بدأ فورد فى دروسه التى كانت تستمر لمدة ساعة كل يوم ، كان فاروق يستخدم كل قوته لتحاشيها ، يقول فورد « طلبت منه أن يقرأ H.g. Wells of the World, Van loom, ومثل هذه الأشياء . وكان من المهم جدًا أن يتعلم كيف يتحدث جيدًا ، سواء ارتجالًا أو خطابة . اخترت أجزاء من كتاب اكسفورد للناشر الانجليزى فأجلسه طرف الحجرة لكى أرى إلى أى حد سوف أسمعه . كان يجب أن يلعب هذه اللعبة ، لم تكن صحبته سيئة أبدًا لكنه غير قادر تمامًا على التركيز ، كان بمجرد بدء المعلم فى الدرس يأمر بإحضار عصير برتقال أو يصر على « الأستاذ فورد » أو كما أطلق عليه المعلم الصغير وكان يطلق بعض من كنوز أسرته او أن يأخذه فى سيارته « الاسبور » الحمراء فى الثامنة لنزهة . يقول فورد : « لديه حب الأمريكان لمجرد القيادة لا يهمه ماذا يرى » كانت قيادة السيارات متعة فى حد ذاتها . حتى عندما حاول فورد تنظيم بعض النشاطات مثل ركوب الخيل فى الصحراء أو مباراة تنس ، لم يربط فاروق نفسه أبدًا بوعد ، دائمًا يعد فورد « سأعلمك » ولكنه لم يفعل . يقول فورد : « ليست لديه أى فكرة عن كيفية التعامل مع شخص فى مثل عمره ، إنه لم يعرف أى شخص ، كان نصفه تلميذًا فى التاسعة أو العاشرة ، ونصفه الآخر شابًا فى الثالثة والعشرين قادرًا على الجلوس ، جانب رجل عظيم مثل لورد رزفورد [كيميائى شهير] وأن يؤثر فيه جدًا ، لديه عين ثاقبة ، عين ملكية . فى إنجلترا استطاع أن يعثر على كتب ثمينة جدًا ونادرة فى مكتبة كلية ترينتى بكامبريدج . يمكن أن تكون مجرد حظ لكنها أدهشت الجميع . إنه يتحدث الانجليزية والعربية بطلاقة » .

تضاءلت دروس فورد مدة أسبوعين . وكنتيجة لذلك ، أمضى أوقاتًا ممتعة فى الاسكندرية ، يقول : « كنت أقضى بعض الوقت معه ومعظم الوقت فى ثكنات

الاحتياط بالاسكندرية ركبت الخيول وسط الحدائق . حصلت على منزل أرضى واسع الشرفات على الشاطىء ، كان جميلًا جدًا ، بسيدى بشر وكان لدى خادم سودانى يعتنى بى . لقد أمضيت أوقاتًا مدهشة » .

لم يقم فورد بأى نشاط مع الملك الصغير خارج القصر . يقول : « لم يكن فاروق مهتمًا آنذاك بالنساء . لم يذهب مطلقًا إلى نواد ليلية حتى مضت سنوات . كنت أعتقد أننى أنسى الراقصات الجميلات من لبنان وكل أنحاء أوروبا . كانت حياة رائعة » .

وأثناء ذلك كان الملك الجديد يتعلم كيف يستخدم حقوقه وامتيازاته ، كطلب من مجلس الإنابة أن تنشأ محطة سكة حديد للقطار الملكى فى المنتزة بدلًا من الموجودة هناك وجعل ارنيستو فيريوكى يرسم له التصميم . لكن المجلس رفض ، لأن القطار الملكى يستخدم مرتين فى العام الواحد أولاهما عندما يأتى بالأسرة الملكية إلى الاسكندرية والأخرى عندما يعود بهم ، فمحطة جديدة مضيعة للأموال ، لكن فاروق أصر وجمع شخصيًا حراسًا لهدم المحطة القديمة وأتوا عليها . واجه المجلس الأمر الواقع واضطر للانصياع لرغبة الملك . وفيما عدا ذلك لم يكن له حتى بلوغه الثامنة عشرة أى تدخل فى الحكومة ، كان مكتفيًا بأن يكون مشاهدًا ، لكن هذا المشاهد يريد العبادة ولذلك قرر المجلس إخراج الملك من قصوره وسط شعبه .

أتيحت الفرصة لفورد أن يرى باقى مصر فى يناير ١٩٣٧ ، عندما دعاه حسنين لأن ينضم إلى رحلة فاروق الملكية التى تستغرق شهرًا إلى صعيد مصر على يخته فى النيل . كانت أول مرة يرى فيها فاروق البلد الذى يحكمه والآثار التى أخذت بألباب العالم كله . حضرت هذه الرحلة أيضًا الملكة نازلى وبناتها ، اللاتى كان فؤاد يضعهن فى الحرم . لم يكن هناك دروس خلال الرحلة ، لكن فورد احتفظ بمذكرة ليسجل يوميًا ما يراه غريبًا فى حياة فاروق ودائرته وما شعر به من البريطانيين . ومن نادى Turf ، ذهب فورد إلى حلوان وكما يطلق عليها المحليون حلوان الحمامات لركوب السفينة . وفى مقدمة الأسطول الصغير كان اليخت الملكى « قاصد خير » حاملًا فاروق

والملكة نازلى واخواته وأصحاب المقام العالى ، يتبعه أربع مراكب ولنشات بمحركات . واحدة من هذه المراكب عليها الحرس فقط ، وأخرى عليها الكثير من أعضاء الوزارة المصرية ، وأخرى تحمل البقر والجاموس من أجل اللبن .

ويتبع السفن على طول النيل ركب كبير من السيارات ، على رأسه سيارة الملك الرولزرويس ، وسيارته باكار الحمراء وكرفان كما دليس حمراء . هذه السيارات ستأخذ الملك وبلاطه فى جولة فى المدن للسياحة بعد الإرساء .

وهذه هى بعض ملاحظات فورد عن ركاب اليخت . أما بالنسبة للألقاب باشا ، بك ، أفندى ، فهى تقابل على الترتيب الألقاب الانجليزية لورد ، نبيل ، سيد أو كما وصفها فورد : « الباشا رجل يبدو مهمًا ، البك رجل يظن أنه مهم ، أفندى يتمنى أن يكون مهمًا » . فى الواقع فإن الباشا والبك القاب تمنح بواسطة الملك أما أفندى فإنها طريقة مؤدبة لخطاب أعضاء مهنة معينة .

« يرتدى الأمير محمد على الطربوش على جانب من رأسه ، ولحيته الفضية العريضة وشاربه الأبيض يعطى الإيحاء بالأصل التركى . أما عزيز عزت فيشبه الرجل التركى المحترم ، تبدو عليه الأخلاق الأوروبية وتظهر عليه لمسة من الأصل الكريم . أما شريف باشا يقال عنه إنه ذو حس منطقى : لا شيء مميز بالنسبة له ويشبه أخته الملكة نازلى إذ إن له أسنانًا أمامية كبيرة بارزة » .

موجه أخرى من الهتافات عند وصول الملكة والأميرات الأربع يرتدين أثوابًا بيضاء متشابهة ، قبعات للوراء ومعاطف رمادية اللون وجوارب بيضاء . لقد أمضيت فى مصر خمسة أشهر ولم أر الملكة بعد . الجزء الأعلى من وجهها جميل ، لكن أسنانها قبيحة جدًا ، و(مثل كل النساء هناك) بالرغم من أنها منقبة من تحت الأنف ، إلا أنها كانت تضع طلاء للشفاه كثيفًا جدًا .

أما عن أحمد بك يوسف ومراد محسن باشا Keeper of the Privy Pures وحسنين باشا Comptroller of the house hald وطبيب الملك وهو رجل سمين ، لكنه بهيج الطلعة

ويدعى د . كفراوى ، وعمر فتحى بك رئيس ا.ث.ت . لا شاغل لهم إلا الترقية وشغلهم الشاغل عدم القيام بأى شىء من شأنه أن يزعج جلالة الملك . القليل منهم من عنده بعض العمل ونادرًا ما تجد أحدهم لديه هواية أو أى نوع من أنواع الإبداع . يعتبر التملق بالنسبة لهم ضرورة فى حين أن الأروبيين يشمئزون منه .

كانت الشخصيات المفضلة لفورد ، أخو نازلى ، ومحافظ الاسكندرية السابق حسين صبرى ، وحسنين زميل فورد . يقول فورد :

[صبرى ذو مظهر شاب ، بالرغم من أنه قد يكون فى الخمسين ، متأنق ، ذكى ومسل . يحكى الكثير عن غرامياته – وله عشيقة جميلة فى رومانيا . كان من المعروف أنه غارق فى ديون كثيرة أنقذه من بعضها الملك فؤاد . . . إنه شخص يمكن الحكم على مستوى تعليمه بأنه جيد وهو تركى تجرى فيه دماء فرنسية . يرتدى قميص صيد ملونًا وزيت الشعر الذى يضعه لا يخطئه أحد] .

عندما مررنا بحشد من الفلاحين الذين يهتفون على الضفاف قال « وإذا أعطيت لكل واحد منهم قرشًا ، سيأتون غدًا ليهتفوا لشخص آخر » – ملاحظة ذات أهمية .

أما بالنسبة لحسنين :

« أجلس جانبه فى معظم الوجبات تسرنى ذكرياته عن اكسفورد ، ذكاؤه حاد ، سريع التصرف ، أدب جم ، له اهتماماته بجميع الموضوعات ، إنه إلى حد ما نوع غير معتاد من المصريين . رشيق ، ملامحه حادة ، بشرته صفراء قاتمة وشعره رمادى مرتب إلى الوراء ، له مظهر البدوى ، يقال إن دما اسكتلنديا دخل فى أجداده . لديه عيون خبيثة تخترق أى شىء ، لا تظهر ناعسة أبدًا . دمث جدًا وذلك ما يفتقده مظهر المصرى . ليست له ميول سياسية لكنه يعتقد فى حق مصر لأن تحكم نفسها . إنه خال تمامًا من هذا الغرور الحاد المشتهر به أمثال الرجال الطموحين فى هذه البلد . بالرغم من ثقافته الغربية فان طبيعته طبيعة الشرق . أدبه ومجاملته الشرقية تخرجك من مآزق سلكته للتملص من حديث ما » .

بالرغم من أن فاروق وفورد كانا على سفينة واحدة ، كان فاروق يتهرب من فورد بنجاح كما كان يفعل فى القصر ، لم يعطه درسًا واحدًا يقول : « لم يُطلب منى عمل شيء » ولم يُدع إلى مشاهدة فيلم على ظهر اليخت ، وبعد فترة أحس فورد بالإهانة إذ ان جلالة الملك توقف عن تحيته بصباح الخير وكأنه لا شيء . أيضًا مع الملكة ، عندما قدمه حسنين لها لم تعطنى أى اهتمام سوى أنها مدت لى يديها . ثم تحولت تجاه الباشا وسألت : « هل استعد الملك ؟ » وكأنها قد استنفذت صبرها من الانتظار . وصافحت ثلاثا من الأميرات ، اللاتى ابتسمن بسحر وصافحن برسمية » .

كانت الرحلة حفلة لا تنتهى ، فكل قرية فى كامل زينتها لاستقبال الملك الجديد . تسابق الشيوخ ومديرو الضيعات وهم فى أبهى صورهم لإظهار كرم الضيافة ، بإقامة مسابقات الجمال ، ومبارزات بالعصى ، ومباريات رياضية ، واصطياد البط وذبح الذبائح لفاروق ، كل ذلك مسجل بواسطة مصورى فاروق . أكثر من ألف صورة ساكنة أخذت وأخذت متحركة حوالى خمسة وعشرين ألف صورة بماكينة تصوير الملك كوداك . تعب فورد من هذه المكانة التى ليس لها مثيل ، حتى إن حريتا جاربو نفسها يمكن أن تحسده عليها » .

وجد فورد خطأ فى هوى صاحب الجلالة قال : « هوى غير منطقية ونزوة غير ضرورية لصبى دى ستة عشر عامًا وثلاثة أرباع من العام » . كانت رغبة فاروق أن يوضع صنبور واحد للمياه الساخنة والباردة فى حجرته ربما لأن فورد رجل انجليزى صارم معتاد على أخذ حمام بارد فى جو إيتون لذلك استنكر من فاروق ذلك بشدة . « إن ذلك من السهل أن ينفذ بسرعة » . فى القصر فى القاهرة ، لكن على السفينة فى النيل فى الليل المتأخر ، لم يكن من اليسير تنفيذه بسرعة . وبإضافة الإصابات عل الإهانات ، سربت هذا النظام الجديد من على سطح السفينة إلى كابينة فورد . يمكن أن يكون الجو البارد فى يناير فى النيل والحجرات الرطبة قد أيقظت ذكريات أيام المدرسة للصبى الصغير .

وجد فورد أن الأسرة الملكية غير عاقلة إلى حدٍ كبير . بجانب الحلاقين الملكيين الذين يحلقون ذقن الملك كل يوم وقد عينهم فؤاد لعمل ذلك منذ أن بدأت لحية فاروق فى الإنبات فى سن الثالثة عشر ، هناك ثلاثة أطباء ، وصيدلى ومساعدون للطبيب على السفينة . لاحظ فورد « صناديق كثيرة جدًا من الأدوية ، مساحيق ، كريمات ، مراهم ، زجاجات ، إلخ إلى حد انه عمليًا من الصعب السير فوق سطح السفينة » .

لم يستمتع فورد بعظمة مصر القديمة مع مثل هذه المجموعة ، فكل ما يفعلونه هو « تدخين عدد لا يحصى من السجائر ، شرب القهوة ، التحدث بعضهم لبعض . . . لم أفكر أبدًا أنه يمكنني قضاء أى وقت مع مثل هؤلاء اللاغين لعقولهم . وفى هذه الأماكن الراقية . أرجو ألا أظهر بمظهر محبى الطبقات العليا فقط إذا قلت إن اللقب المناسب لهم هو « الطبقة المتوسطة » إذ لا أجد القيم الجيدة التى يجب أن تفرض بين الحكام ومن يحكمون . لا أثر للحضارة الأوروبية عقليًا أو روحيًا » .

تعلم فورد أنه فى مصر لا يجب لمن يجلس أمام الملك أن يضع إحدى رجليه على الأخرى وشعر أن ذلك زائد عن الحد ، لكن من ناحية أخرى استنكر الألفة الزائدة عن الحد من خدم الملك النوبيين والسودانيين الذين يتدخلون فى أمور ليست من شأنهم ودائمًا يصفعون فورد من الخلف وكأنهم انداد له .

ونعود إلى فاروق ، فقد تمكن فورد أخيرًا من أن يجلس معه فى الغداء على اليخت : **« حضر صاحب الجلالة الغداء اليوم . كان مبتهجًا وودودًا : جلست على شماله . ليس من اليسير التحدث معه ، إذ إنه يقاطع الحديث المتصل ليقول فكاهة ليست ذات فائدة كبيرة ، فهو يحب أن يعطى انطباعات أنه يتحدث طبيعيًا . يتحدث جيدًا عن الأشياء الجارية لكنه لا ينتبه إلى المتحدث معه . علقت على غصون النخيل المثنية على شكل قوس والتى نصبها القرويون على الضفاف . فقال إنها تشبه « أحد الزعف » ثم سألنى إذا كنت قد سمعت عن « أحد الأيس كريم » قلت لا ، فى البداية ضحك من قلبه وتنبهت للفكاهة إذا كانت كذلك ، قلت له إن ذلك**

كان سيئًا لم أتوقع منك أن تقول ذلك . وقرب نهاية الوجبة ، بطريقة صبيانية جعل مراد محسن باشا يلتفت بعيدًا عنه ، ثم التقط منديله من جيبه . وتبع ذلك ضحك عال جدًا حيث شارك فيه الباشا والآخرون ، اما أنا فلا أعتقد أنه تصرف لائق فى قاعة طعام كبيرة حيث الخدم وغيرهم . لكن لم يبد أحد علامة احتجاج » .

ومع هذا ففى التلاقى الذى حدث بين فاروق وشيخ من « الشيوخ المحليين » ، رجل كبير فى السن يرتدى جلابيب بيضاء ذو لحية بيضاء أعجب به فورد . افتتح الشيخ الجلسة بالقرآن ، ثم رفع يديه إلى السماء لينزل بركة السماء على الملك الصبى . فاحتضن فاروق الشيخ الكبير وصافح يده بثقة لكن بتواضع مما جعل الحشد يهتف ، فقد « لعب جلالته دوره ببساطة وعزة مما أثر على الناس الموجودين هناك » .

فى نهاية الرحلة إلى أسوان التى تستغرق شهرًا حيث يقلب الطربوش إلى عمة وتذهب شمال أفريقيا ، وتأتى أفريقيا السوداء ، بعد أن زار فاروق وادى الملوك ورأى مقبرة توت عنخ آمون ، صعد الموكب الملكى القطار الملكى الأبيض عائدين إلى القاهرة . بالرغم مما وصفه فورد بالخطإ فإن الرحلة كانت ناجحة جدًا . لقد لمس الملك رعاياه ؛ لقد أعطى أموالًا لفقراء كل قرية وكل بلد كانت تحتفل به طوال رحلته فالكل يهتف . « عاش الملك » وشارك « حسنين باشا فورد فى توجيه النقد لأخطاء الملك » .

« لقد تحدثت بمنتهى الصراحة مع الملك وقلت له نقاط فشله (النقطة الرئيسية عدم محافظته على الوقت . كما أنني نبهت إلى أن محاولة البلف

والفهلوة تعتبر حماقة إنها كخلق فقاعة من سمعته ستنفجر إن آجلًا أو عاجلًا . لم يستحسن سموه قولى هذه الأشياء ، وقال لى إنه لم يكن ليسمح لى أن أقولها إذا لم يكن يعرفنى جيدًا ، وأنكر بشدة محاولته للبلف أو الخداع) وافقنى حسنين على ما قلت ، لكنه قال إنه ليست بالفكرة الصائبة التحدث إلى جلالته الآن ، فجلالته ملك ، ويجب أن يُتملق ويُداهَن : يجب علينا الإصغاء لكرامته ، ولحسه الجيد ، بدلًا من أن ننهره أو نوبخه . فقد كان غير آمن فى وظيفته . ويعتقد أن صاحب الجلالة سوف يرفض أى شخص يتصرف أو يتحدث كمعلم له ، خاصة عندما بدأ فى حكمه ، قال لى إن الملك مراوغ جدًا ، وبعض الأحيان لا يستطيع العثور عليه فى القصر . إنه يتلقى معظم معلوماته ، حتى فى النواحى السياسية من الخدم البربر . لم يعد صبيًا وأصبح الملك . ولديه الفكرة والاعتقاد أن الملك يجب أن يكون كاملًا . لذلك لا يجب العثور عليه . ولهذا يجب أن يحظى بسمعة أنه يفعل كل شىء على أكمل وجه . فشعبه ينتظر ذلك . لا يجب السماح لأحد بتفجير الفقاعة » .

أمل فورد الكبير أن يخرج فاروق مما يرى أنه نفاق القصر إلى ساحات اللعب إذا لم تكن فى إيتون ، فعلى الأقل لأى مؤسسة إنجليزية . إنه شىء مخيف أن يكون المرء حاكمًا شعبيًا بلا أى منصب وبلا أى عمل يؤديه . يريد فورد أن يقنع فاروق فى بالبقاء فى انجلترا إذا ما ذهب هناك فى جولته حول القارة . تحدث فورد إلى زميل له فى الكلية للسماح لفاروق بحضور الفصل الدراسى الشتوى . قبل زميله لكن بشرط أن يكون الفصل الصيفى . فى هذا الوقت خطط فورد رحلة بحيث يعبر هو وفاروق أوروبا من أثينا إلى لندن . « قلت له إن لديه عامًا واحدًا لأن يستمتع بوقته ، لأنه بعد ذلك سيرتبط بحلة واقفة مخططة – الزى الملكى – طوال حياته » سنأخذ

جولة واسعة ، ليرى العالم كصبي عادي وليس كحاكم لولاية . وفى اكسفورد سينشئ صداقات كثيرة . ولن تهم دراساته . لن يجعلوه يعمل كثيرًا فقد أتى ولى العهد اليابانى إلى ماجدلين واستمتع جدًا . وضعت كل ذلك أمامه بمنتهى الحماس ، فماذا قال لى ؟ « سأفكر فى الأمر » .

كل مجهوداتى لأن يمضى فاروق فصلًا دراسيًا كاملًا فى اكسفورد ، لكنه قضى يومًا واحدًا ورحلتنا جاءت بطريقة مختلفة تمامًا عما عملت له » .

رحل فاروق إلى أوروبا من ميناء بورسعيد على الباخرة فى أبريل ١٩٣٧ ، مع والدته ، واخواته ، وحسنين وثلاثين أخرين معهم سبعة أطنان من الأمتعة ، وأكثر من مائتين وخمسين حقيبة على الباخرة أمضى فاروق تقريبًا كل وقته فى منطقة القبطان ، لكنه أيضًا كان يحب التجوال فى الدرجة الثانية والثالثة . ثم وقع حادث كاد أن يصبح عالميًا فى صالون الدرجة الأولى ، سحب تاجر سكير انجليزى للمعادن الملكة نازلى لترقص معه . فحاول حسنين الذى كان يصطحب نازلى إخبار التاجر أنه بحضرة ملكة مصر . فأجاب الانجليزى « وما الفرق ؟ » واستمر فى جذب نازلى حتى تدخل القبطان وبعث بالرجل إلى مقصورته . قال فورد فى مذكراته « كنت متخوفًا من أن يؤثر ذلك الحادث وتنحاز الملكة ضد الرجال الانجليز » .

فى سانت مورتز ، لم يهتم فاروق بارتداء ذلاقاته الجديدة . فقد فضل بدلًا من ذلك التزلق على الجليد بقدم واحدة بل أكثر من ذلك يصنع كرات ثلجية « والتى كانت الرياضة الشتوية الوحيدة التى يمارسها » كما قال فورد ، وكان ذلك أمام الباشا ، والخدم البربر ، والوزير السويسرى ، وموظفى الفندق ، وكل البنات فى الحفلة » .

كان فاروق ينام إلى وقت متأخر ، بعض الأحيان الرابعة مساءًا ، ثم يذهب للتسوق وشراء الميداليات ، الساعات ، وساعات الحائط الكبيرة ذات أنواع معينة . وفى المدينة يتبعه مخبروه السريون ومصورو السينما ، أو أن يذهب للعب بآلات السولت فى فندقه بسانت مورتز .

اشتكى فورد بغضب كونه مُنع من الجلوس على المنضدة العليا للملك بدلًا من أن يظل مع « وزراء ومنظمى الاحتفالات » ، بينما ينتظر الباقون جوعى لمدة ساعتين أو أكثر بعد ميعاد الطعام حتى يظهر فاروق . بعد العشاء ، في البار ، وحول عصير برتقال ، يقضى الملك ساعات يقذف « بكرات صغيرة ينفخها » على أى فتاة يود الرقص معها . ويكتب فورد فى مذكراته « للأسف كان ذوقه غير موفق بالمرة حتى قدمت له كونتيسنين سويديتين ، وكان قد اختار يهودية مجرية ليست ذات جاذبية على الإطلاق لإغاظة بعض النازيين الألمان المتواجدين هناك !) هذا وصداقته ليهودى ألمانى آخر في سن السبعين ، وكان تاجر فحم يقطن لندن ومع رجل أعمال من الطبقة المتوسطة ، كل ذلك أدى إلى إشاعات سارت في الفندق . « إنه يلتقطهم وهو يلعب على ماكينة قمار ، حيث يتجمعون حوله ، بينما الآخرون المهذبون ينتظرون لأن يُقدموا إليه » .

أما الملكة نازلى فقد انغمست فى مغامراتها الخاصة ، شرب الشمبانيا وتضرب بكعوبها فى البار فى الليل المتأخر بعد مغادرة الصحافة . حتى إنها قد رقصت مع فورد ، والذى كانت قد أهانته على السفينة . فى لحظة تحولت إلى فورد واعترفت نه أنها لم تكن لزوجها أيه مشاعر وقالت : « عندما تزوجت كنت فقط ألد : كانت أما لأطفال فؤاد ؟ ولم تدخل المشاعر فى هذا العقد الاجتماعى . ثم سألته سؤالًا وكان ضربة غير متوقعة : « سيد فورد ، هل تعتقد أننى سأعرف كيف أحب أى رجل ؟ » أجاب فورد : « أتمنى ذلك » ، ثم انسحب سريعًا إلى غرفته ، فقد كانت الإجابة الحقيقية لسؤال نازلى هو حسنين . وكما قال فورد : « إنه يتصرف مثل كلبها الأليف ، ويتبعها حيثما ذهبت » . وبدا حبهما الذى لم يكن سرًا منذ هذه الرحلة .

فى أثناء ذلك ، وكما كتب فورد « استاءت الملكة من اختيار الملك للأصدقاء ، لكنها قد أدخلت نفسها فى مغامرات أسوأ ، مع صاحب لقب فرنسى ، كانت تعانى مشاكل كبيرة من آلام فى أذنيها ، لكنها رفضت الذهاب إلى طبيب متخصص فى

زيوريخ للاستشارة . ذهب بعد ذلك الركب كله بقطار لجنيف من أجل أن تتسوق نازلى . فقد طلبت معطفًا من الفراء وكان على الجميع أن ينتظر بضعة أيام حتى يفرغوا من صنعه . فيما عدا عرض كان فاروق يقتل وقته فى شراء الميداليات والعملات . وكتب فورد « بلا تمييز بالوزن » . وكانت صالة الفندق تحتشد بتجار الآثار آملين فى بيع أى شيء للملك . ووجد فورد صعوبة فى الضغط على نفسه لتحمل ثلاثة أيام تأخير أخرى إذ أنه كان متشوقًا للذهاب إلى انجلترا ، فلقد وجدت نازلى مصفف شعر وطبيب أسنان فى زيوريخ تود أن تبعث بناتها إليهما .

ولملء هذا الفراغ وُكِّل للسفير المصرى فى سويسرا أن يأخذ فاروق فى جولة سياحية لبرنامج حافل ، مصانع الشيكولاتة ، لكنه فقد صبره عندما رأى كل واحدة منها إما تؤجل ، أو تلغى ، أو تختصر أو تبدل . ففى مدرسة كافارى السويسرية ، تأخر فاروق أربعين دقيقة ، وعزفت الفرقة السلام الوطنى المصرى خمس مرات على التوالى ، . وعندما أشارت صحيفة شيوعية إلى تأخير فاروق وإلى غناه بالمقارنة بفقر الفلاحين ، لم يُسَر من هذا المقال وجعل حسنين يحتج لدى الحكومة السويسرية . وفيما عدا ذلك يقول فورد « ظل فاروق فى حجراته فى الفنادق التى نزل بها ، حيث ينظم ميدالياته وعملاته ، ويأكل الشيكولاتة ، ويُطعم فى أوقات الطعام ولم يستطع أحد الدخول إليه عدا الطبيب وحسنين » .

وحدث أكثر من ذلك عندما وصل الركب إلى انجلترا ، كتب فورد يقول : « ميَّز وصولهم إلى انجلترا تقلب أطوار الملكة . إنها شغوفة بأن تجعل أول ظهور لها على المسرح الانجليزى ناجح جدًا ، تكبدت الآلام لأن تبدو ذكية ، أنيقة وأوروبية ، قامت بعمل مسح على كل الصحف اليومية التى تلى ظهورها لترى إذا ما كانت أحدثت التأثير الذى ناضلت لأجله ، وطردت أى أفكار لارتداء زى شرقى معتم فضفاض وحجاب . لكن من الواضح أنه ليس لأحد موكَل بترتيب الصحف أو ليس لأحد الشجاعة لأن يُخفى الإهانات بعيدًا عن الأعين الملكية : ولم يمض وقت حتى وقعت عيناها على مقصوصة من الديلى اكسبريس بعنوان « تبرج الملكة يكشف عن طلاء شفاهها » واستمر ليقول

إن المصريين قد اجتمعوا فى فيكتوريا مندهشين ، لرؤية وجه ملكتهم لأول مرة إذ إنه كان مخفيًا عن أعينهم فى مصر . » زاد الهمس باندهاش لحظة نزولها من القطار ، كانت ترتدى معطفًا أنيقًا من الفرو الثمين مع قبعة ماى فير على شعر مموج أحمر . . . إلخ ، تحدث المقال عن مهارة وضع أدوات التجميل على وجهها . . إلخ . وكان من الواضح أنه خبر « ساخن » عادى وركيك لدى وصول الملكة نازلى إلى انجلترا . لكن الملكة أظهرت أن لديها نفس رد الفعل تجاه نقد الصحف ، مثل الملك (إذا سُمِى ذلك نقدًا) فكانت غاضبة جدًا ومرضت . وأعلنت أنها ستغادر بريطانيا ، وقد بعث حسنين باحتجاج إلى قصر باكنجهام ، والخارجية ، والسفارة المصرية ولورد بيفربروك ، وفى نهاية هذه الاتصالات المختلفة ، اتهمته أنه شريك فى هذا الهجوم عليها لأنه فشل فى الامساك بلحية الصحفى فى منزله الخاص ، وهددته بالطرد .

وبينما كانت نازلى تشتعل غيظًا ، كان فورد يتجول مع فاروق فى لندن . ذهب إلى مينت ، وقصر باكنجهام ، وسكوتلانديارد ، إلى محاكمة جنائية فى وإلى المحاكم القضائية ، حيث أُعجب فاروق جدًا بطريقة إدارة العدالة البريطانية وطلب أن يجلس إلى جانب القاضى المرتدى لباروكة القضاة ، والذى سمح له . فحضر هو وسير إدوارد عدة مراسم عسكرية ، وبروفة بحرية ونوبة تمام وعطلتين عظيمتين لنهاية الأسبوع ، الأولى مع البمبروك فى ويلتون ، والثانية مع الـ فى حيث كان هدف فورد أن يقابل فاروق شبابًا انجليز نبلاء ، فى البداية لم تكن نازلى تريد من ابنها أن يذهب ولم تكن هى مدعوة . كانت تشك فى مؤامرة « أن يتآمر حسنين لتغريب الملك عنها » كما قال فورد . لكن فى النهاية قبلت ، لأن المضيفين دعوا الملكة المصرية . وعندما ذهبت هناك « أُعجب بسحرها الكثيرون ولم تحاول التدخل فى متعة فاروق » . يوضح فورد أن سيطرة نازلى على ابنها أكبر ، كانت من سيطرة أو تأثير أى شخص ، بينما إلى حد ما ، كانت بعيدة .

« كانت عطلة نهاية الأسبوع بويلتون تمثل نجاحا غير مشكوك فيه ، اذ إن فاروق

قد أدهش الكبار بمرحه وتلقائيته ، لكن لوحظ عدم معرفته لمجاراة أنداده الذكور . في ، حيث كان السيد والسيدة [أنطونى] إيدن ضيوفًا أيضًا ، فلم يتصرف بحكمة بقراره أن يسبح حوالى ١٢ ميلًا الساعة الثامنة مساءًا . تأجل العشاء للجميع بما فيهم سكرتير الشئون الخارجية لمدة ساعة ونصف ، وتسبب فى مشاكل لمضيفيه . وقام بالقليل فى لجعل أى شخص يريده كضيف مرة أخرى » .

ثم كانت لفورد لحظاته القصيرة من الانتصار ، فكان يأخذ فاروق إلى رحلة على الطريق لزيارة اكسفورد وكامبرج . ومرة أخرى رفضت نازلى السماح لفاروق الذهاب بدونها . ومرة أخرى تأخر الملك . مرة واحدة هى التى أتى فيها فاروق فى الميعاد ، لكن حاشيته خذلته . لم تكن نازلى تحب نزهات السيارة وأصرت على أخذ القطار ، الذى لم تتفق مواعيده للوصول فى الوقت المناسب . ويصف فورد مشهد رحلتهم بالقطار إلى كامبردج .

« **كنت أتمنى لو أن الأمير محمد على ورئيس مدرسة الأزهر كانا هناك ليريا الملكة دون قبعة مرتدية فستانًا من القطن الرقيق الملون ذى الأكمام القصيرة فهى ممددة على مقعد فى عربة القطار فى الدرجة الأولى ، مع معلم الملك الانجليزى** ، لم أكن أعلم أنه فى الخامسة وخمس وأربعين دقيقة سينتظر نائب رئيس الجامعة (مع الفرقة مرتديًا الجلباب والكاب) على بوابة كليته مستعدًا لتحية ملك مصر لكامبردج . لكنه انتظر فى زيه لمدة ساعة وثلاثة أرباع من الساعة حتى السابعة والنصف . عندما وصل الملك فى سيارته . الكوميديا أو التراجيديا فى هذا الوقت جاءت من أن الملك وصل إلى كامبردج فى الميعاد ، لكن لم يكن معه حسنين ، ولا أنا ، وليست لديه أدنى فكرة عما قد أخرنا أو حتى أن الملكة آتية خلفه .

غادر الملك مبكرًا مع خدمه ومخبريه السريين ، لكنه عند وصوله كان بدون مستشاريه ، لم يكن لديه أدنى فكرة عما يجب اتباعه من البروتوكول فى هذه الزيارة . وبدلا من أن يكمل وحده ذهب إلى المدينة ، وأمضى اليوم فى شراء الكلاب . وبالرغم من تأخير فاروق إلا أن فورد كان مندهشًا لقدرة فاروق على تحسين مثل

هذه المواقف .

« لم يستطع أى منا إظهار أنه لم يحدث شيء ، إلا الملك . فمهما كان متأخرًا ، فإنه يدخل باسمًا ، ويشتبك مع رجال عظماء مثل لورد روارفورد فى محادثة بطريقة سلسة وودود ، وأعتقد أن نائب رئيس الجامعة قد نسى المصاعب التى مرت به بوجود هذا الملك الشاب الساحر . . . فقد ترك الانطباع أنه شاب ذكى لماح . وكان مسليًا لسامعيه إنه يتظاهر هنا . . أنه كان فى الحقيقة في وولويش . عندما شاهد حجرات الطلبة قال : « ها ، مريحة جدًا ، لا شيء مثل الحجرات التى كنا فيها فى وولويش » .

ذهب فاروق بعد كامبردج إلى - ض لمشاهدة مسرحية أخذ فى خداع من حوله أنه قد رآها واستمر فى هذا الخداع فى اكسفورد ، حيث سحر الجميع . الجميع عدا فورد ، الذى ازداد ازدراؤه لإهمال فاروق والدته وملازمته للخدم . ويشرح فاروق ذلك فيما بعد لحسنين عن سبب تفضيله المكوث مع مخبريه وخدمه « أنهم لا يضايقوننى » لكن فورد يقول : « كان مثيرًا للاشمئزاز منظر صفعه لوصيفتيه من الخلف ، أو استسلامهما له بوداعة كى يطلى ألسنتهما بحبر أسود قبل الذهاب إلى قاعدة الخدم بكينستون » .

ذهب فاروق ومن معه إلى باريس . لم يدع إلى الاحتفال بتتويج الملك جورج السادس ، والد صديق فاروق ، دوق وندسور . كان قد قرر هو ونازلى أن يرحلا سريعًا لحفظ ماء الوجه بعد أن أهملهما الانجليز . ترك فورد معلقًا كما كان لمدة هذا العام الأخير ، فلم يعرف ماذا سيصير إليه المستقبل مع فاروق . لم يكن متأكدًا من أنه سيدعى إلى فرنسا أو أن يدعى مرة أخرى إلى مصر كمعلم أو أن يعود إلى المحكمة لاستكمال مستقبله كمحام . فاجتمع مع نازلى مرة واحدة قبل أن تعبر القناة ، والتى لم تهتم فيها بمستقبل فاروق العملى قدر اهتمامها بمستقبله العاطفى . كانت منزعجة جدًا وكما قالت لفورد **« هذه الفلاحة « فريدة » ، تحاول الإمساك بالملك ، الملكة فى غاية الاستعجال لأن تجد لفاروق صاحبة أو أكثر ، كما قالت لى . لكنى اقترحت عليها أنه سيكون أفضل حالًا إذا ترك هذا الموضوع حتى يكون أكبر قليلا وفى**

الوقت الحالى إنه يحتاج إلى كثير من التمرين ، وإنها يجب أن تساعده بعد ذلك فى الحصول على زوجة جيدة . ففى الوقت الحالى قد بدا الملك فى تقدير الجمال النسائى وأرى أن فى تعجيل الأمور ضررًا كبيرًا ، واحتمالات كثيرة لمتاعب وفضائح » .

وكما اتضح بعد ذلك ، لم ير فورد « فاروق » ثانية حتى سنوات ، بعد الحرب ، فى سانت مورتز ، عندما أغاظه فاروق بقوله عن كونه جاسوسًا أجنبيًا . فى ١٩٣٧ بالرغم من أن فاروق ظل فى فرنسا ، وتحاشى معلمه فدعاه حسنين الذى كان فورد يومًا معجبًا به لكنه الآن أعاد تقديره بأنه « لولبى » ، إلى وظن فورد أنه أخيرًا سيكون جزءًا من الاحتفالات الملكية لكنه كان مخطئًا . لقد دعاه ليقول له إنه لم يعد من الآن معلم فاروق . فى حمل حسنين سلام الملك لفورد وقدم له علبة سجائر ذهبية . تأثر فورد لإنهاء خدمته دون احتفال رسمى ، وكتب لفاروق شاكرًا الهدية ، وكلمات قاسية للوداع والتى طلب بها من الملك أن يحيا حياة طبيعية وأن يحافظ على وقته ، من أجل الجميع دعاه ويعترف فورد أن هذه الكلمات كانت قاسية وجريئة لكنى قررت عدم الذهاب قبل أن أقولها » . ثم ذهب إلى مستقبله الباهر فى ثم فى قصر باكنجهام . لكن لا تزال مواقفه مع فاروق تحركه . لأنه رجل ليس معتادًا على الفشل .

كتب فورد فى تقريره للسفير لامبسون : « **إذا كنت قد قمت بتقديم الملك فاروق إلى بلد وشعب ليكون حليفهم ، ولتشجيع الصداقة بينهم ، ربما حينئذ يمكننى القول إننى لم أفشل بالمقارنة بأمالى عندما أتيت إلى هنا منذ عام » . يعتذر فورد بشدة عن « حساسية » فى مذكراته . « لقد كان فى السادسة والعشرين فقط ، فبإمكانه أن يكون أكثر صبرًا » كان على أن أعرف أن المهمة كانت منتهية منذ البداية ، لقد حكمنا مصر لمدة طويلة ، وكان من الصعب علينا فهم أنه ليس عليهم أن يفعلوا ما نقوله بعد الآن » .**

الفصـل الخامـس

اللعنــة والانتقــام

الفصل الخامس

اللعنة والانتقام

فكما أن فاروق لا يستطيع أن يتصور عالم لا يكون فيه ملك مصر ، أيضًا لا يتصور ميلز لامبسون الشاب عالمًا لا يكون فيه نائب الملك فى الهند . فالهند هى جوهرة تاج الإمبراطورية البريطانية ونائب الملك من أعلى المناصب خارج بريطانيا . للوهلة الأولى يتصور المرء أن الأفضل للامبسون أن يستقر فى ١٠ شارع دونينج من أن يقطن دلهى . لكن رئيس الوزراء منصب سياسى وعادة مُربك . يتصدى ميلز لامبسون لأى شغب أو عراك وهو رجل طوله ستة أقدام وخمس بوصات ويزن ٢٥٠ رطلًا . ويتناسب مع هذا القوام خلفيته وتنشئته . لقد ولد ليحمل أعباء الرجل الأبيض .

كانت الخدمة في الخارج هى قدر لامبسون ، وقد استمسك بها جيدًا . لقد أتى فى عصر كانت بريطانيا تحكم العالم . أخذ موقع رسول للتبشير فى المستعمرات الكافرة وإنقاذها . ولم يتوقع أى تدخل ممن هم أعلى منه لما تريده الإمبراطورية البريطانية من مبادىء شامخة مرتفعة . وأهم من ذلك لم يتوقع الدخول كرجل لرجل مع الملك فاروق . وتبع ذلك عشر سنوات من الضغينة والتنافس بين الملك الصبى ورجل الملك ، التنافس الذى كانت له أثاره السيئة ليس بالنسبة للمتنافسين فقط بل لمصر وانجلترا والامبراطورية أيضًا .

كان لسير ميلز لاميسون ماض ثورى . فجده الأكبر كان من قواد جورج واشنطون . وقد استقر لاميسون الأمريكى فى نيوهيفن ، لكن جد سير ميلز ، بعد أن صنع ثروة من أعماله فى الولايات المتحدة انتقل إلى انجلترا ليصنع ثروة أخرى ، وأصبح قطبًا من أقطاب الصناعة فى لقد تزوج لامبسون الانجليزى والدة سير

لامبسون التى كانت ابنة عضو من اعضاء البرلمان وعلمت ابنها الوطنية وواجبه نحو الخدمة العامة . ولد عام ١٨٨٠ وكانت له امتيازات كثيرة وهو صغير بين أحضان منزل فى المدينة فى شارع بونت بماى فير وضيعة على أراضى كيل إيرن باسكوتلندا . ذهب إلى جامعة إيتون لكنه رأى أنه لا داعى لأن يستزيد ، وتزوج من راشيل فيس فتاة ذات دم أزرق ، التى كانت حفيدة مزارع قطن ارستقراطى أبيض فى الميسيسبى .

عام ١٩٠٣ ، التحق بوزاره الخارجية كأول خطوة فى الطريق الذى رسمه إلى الهند . وسار مستقبله متوافقًا تمامًا مع خطته ، فحصل على مناصب ذات أهمية متزايدة فى سوريا وطوكيو وبكين ، حيث كان لقبه مبعوث صاحبة الجلالة وسفيرها المفوض إلى الصين . أصبح لامبسون عزيزًا جدًا إلى الخدمات الخارجية . تقول برقية إليه من وزير الخارجية سير أوستين شامبرلين : « برافو لامبسون ، رجل » . أعطى عام ١٩٣٣ القاهرة ، واحدة من أهم مراكز الدبلوماسية لبريطانيا ، فى مساومة بين واشنطون وموسكو لأن مصر هى مرتكز الشرق الأوسط ، موطن قناة السويس ، والبوابة إلى الهند ، والشرق الأقصى ، وبترول الخليج العربى . أصبح لقب لامبسون الجديد مفوضًا ساميًا لمصر والسودان . كان يحذو حذو اللورد كرومر واللورد كيتشنر لكنه كان أسرع .

أبحر لامبسون من شانغهاى فى ديسمبر ١٩٣٣ ، توقف فى مقابر هابى فالى فى هونج كونج ليرى قبر زوجته راشيل لآخر مرة ، فقد توفيت منذ ثلاثة أعوام مضت ، ثم استقبل الدبلوماسى الأرمل ، ابنتيه ومعلمتهما بتكريم كبير وصحبهم إلى) ، ومضى إلى منصبه الجديد . توقفت سفينتهم (غ.غ.) فى سنغافورة ، وكولومبيا وبومباى وعدن ، حيث استقبل استقبالات رسمية كمفوض سام ، وصل آل لامبسون إلى السويس فى شتاء مصر غير القارس فى السابع من يناير ١٩٣٤ . حيث كانت المفرقعات والاحتفالات ، أخذه قطار خاص هو وأسرته إلى القاهرة ومنها إلى مقره الذى يوحى بحشائشه الخضراء ، واسواره وملاعب الكروكى واسوده الحجرية وكأنه واحة انجليزية على شاطىء النيل .

بوصول لامبسون إلى مصر ، أُخِذ في جولة واسعة سريعة حول البلد وأعجب بالآثار الفرعونية فى وادى النيل والمعابد اليونانية والرومانية المدفونة إلى حوالى منتصفها فى الصحراء قرب الحدود الليبية والأديرة المسيحية على قمم الجبال فى سيناء والبحر الأحمر . أحب الشيوخ والرهبان وسحرة الجلا جلا والدراويش الراقصين واللاعبين بالثعابين . أحب لامبسون البلد لدرجة العبادة حتى إنه فى البداية أحب الأسرة الملكية الحاكمة . وقد وصف الملك فؤاد بأنه « رجل طيب ، ماكر أكثر مما يظهر عليه » . أما بالنسبة لفاروق ، وقد كان وقتها فى الرابعة عشر يقول : **« يذهلنى ؛ إنه كبير جدًا بالنسبة لسنه لكنه بسيط جدًا بتمتعه بالفكاهات ، لغته الانجليزية جيدة جدًا . أعتقد أن ذلك يرجع إلى مربيته البريطانية السيدة نايلون . . بمنتهى الصراحة لقد تأثرت به . يمكن القول بأنه ولد طيب وأمين » .**

استقر لامبسون فى هذه الحياة كـ « رجل عظيم فى القاهرة » . وبالإضافة إلى مهامه الدبلوماسية كان يستضيف الأجانب فى حفلات بالحديقة ، يلعب الجولف ويمارس التجديف فى مراكب صغيرة (راكب واحد) فى نادى الجزيرة ، أنشأ اسطبل خيول للسباق ، يتعلم العربية ، يتعلم الطيران ، يمكن أن يرقص الفالس فى شبرد أو سيميراميس حتى الثالثة صباحًا ، ثم يستيقظ فى الخامسة ليصيد البط فى الفيوم . إنه يعمل بكد ويلعب أيضًا بكد ومثل هذه تكون حياة النخبة الموقرة . أما من الجانب الاجتماعى فإن لامبسون كان يحتاج إلى رفيق بعد زوجته ، مضيفة ممتازة غير بناته ، اللاتى أجبرن على ملء الفراغ . فى الرابعة والخمسين ، رجل عظيم يجد حلمه الصغير فى فتاة السابعة عشرة ، طولها خمسة أقدام بالكاد ابنة الطبيب حسن السمعة سير أرلو كاسيلانى . حيث كان والدها الإيطالى يرأس العيادة الانجليزية للأمراض الاستوائية وقد شارك فى هذا المجال بمساهمات عديدة ، لذلك منح اللقب . وقضت جاكى طفولتها فى كولومبيا ولندن وروما حيث تبناها فى العطلات المدرسية سفير بريطانى ليس لديه أطفال وأقرب صديق لوالدها .

كانت راقصة ماهرة وذات دلال كبير ، كانت أشبه بفتاة بريطانية ؛ فجمالها مثل

الدمية الصينية . تعليمها الأجنبى ، نشاطها ومرحها جعلا منها ملكة لكل حفلة شاى . فى ربيع عام ١٩٣٤ ، استجمت جاكى من ذهابها وإيابها بأن أتت إلى مصر مع رديب بال بتن لامبسون بنت أخت سير ميلز . أقاموا فى الاستراحة النيلية ، حيث انطلق الشرار حتى إن جاكى قد طولت من إقامتها حتى عطلة سير ميلز الصيفية ليذهبوا إلى لندن فيما يسمى بغرام مايو . . ديسمبر ، تزوجا فى لندن قبل أعياد الميلاد فى حفل كبير ضم أصحاب المقام من الامبراطورية والعالم .

وفى القاهرة أثبتت روابط أسرة سير ميلز الجديدة أنها أشبه بشىء لزج . ففى عام ١٩٣٥ ، بعث بنيتو موسولينى طائراته ودباباته إلى أثيوبيا التى يتكون جيشها من رماح وأقواس . ولأن والد جاكى كان طبيب الأسرة الملكية الإيطالية قَبل عرضًا من روما وهو أن يذهب كرئيس أطباء الجيش الإيطالى ، وذلك لما واجهه الجنود من أمراض استوائية . توقف سيرادلو فى القاهرة فى طريقه إلى الحرب ليقوم بزيارة ابنته وزوج ابنته والذى أصر أن تظل زيارة سير ادلو سرًا . أبعد سير ميلز السير ادلو خارج الأضواء وأخذه فى نزهة بالسيارة إلى الأهرامات . فلم يتصور أن يجرى فى الحرب من أجل الروابط الأسرية . لكنه فهم واجبه وما يمكن أن يجلب له من كتب فى مذكراته عن ذهن سير ادلو المشوش بالمشاكل .

« إنه فى غاية الخوف من أن يحاول موسولينى تقييده . كما شرح لى ، إنه فى ايطاليا ١٥٠ ليس لديهم الخبرة فى علاج الامراض الاستوائية . . . وذلك يزعج كل ترتيباته وارتباطاته فى امريكا بريطانيا وكل مكان اخر ، لكن الرجل المسكين يتألم من أجل ذلك . لكنه يقول بشجن ، إذا حدث وكنت ايطاليا ، فلن تستطيع مخالفة ما يطلبه موسولينى منك » .

كان عام ١٩٣٥ عامًا مرعبًا بالنسبة للديمقراطية . فبينما كان موسولينى يلعب دور الصياد الأبيض العظيم ضد الأثيوبيين ، كان مولد هتلر والذى بعد وفاة فون هيندبيرج ، اخذ الرئاسة فى المانيا ، وسمى نفسه بالفهرر ، وبدأت المذابح الدموية . كانت للامبسون الحاسة السادسة عندما تنبأ بأن الديكتاتورين الاثنين يضعان عيونهما

على مصرالعزيزة .

وكان على علم بالروابط بين القاهرة وروما ، منذ أن نفى الخديوى إسماعيل - نفى من بريطانيا - وفى إيطاليا كضيف فى المنزل سافوى . لم ينس فؤاد الذى أبحر مع والده إلى المنفى ، ضيافة إيطاليا . فإيطاليا كانت حبه الأول ولغته الأولى . كان قصره يعج بالايطاليين ، حتى إن لامبسون كان قلقًا من تأثيرهم على الأمير فاروق . إنه يجلس معهم ، مع الحلاقين والوصفاء والكهربائيين الذين مثلوا بالنسبة له النماذج الطولية . وبالأخذ فى الاعتبار وجود الدوتش فى أثيوبيا ، راى لامبسون أنه سيواجهه تحديًا مزدوجًا لإبعاد مصر عن إيطاليا وفاروق بصفته الوريث للحكم بعيدا عن الإيطاليين .

عند هذه النهاية ، أراد لامبسون خلق وهم كبير عن إحسان ، وكرم واحترام الإنجليز ، سيبعث مصر لعصبة الأمم ؛ سيبعث فاروق إلى وولويتش . كانت المعاهدة المصرية - البريطانية للصداقة والتعاون عام ١٩٣٦ انتصارًا دبلوماسيًا كبيرًا للامبسون . وأنشأ تحالفا غريبًا مع السياسى المصرى .

قاد لامبسون حملة ضد جنون موسولينى ، أصبح القصر الآن مستعدًا ، فمصر تقف فى خطر الانضمام إلى الديكتاتور المفترس وإمبراطوريته الرومانية الجديدة . فيما عدا الطعام كانت الإمبراطورية البريطانية أكثر تحضرًا ، ولم يطلب لامبسون من مصر أن تصبح مستعمرة ، لم يطلب حتى الحماية المستترة منذ ١٨٧٩ . إنه يرحب بالاستقلال فلن يصبح مفوضًا ساميًا . سيصبح سفيرًا عالى الشأن . لقد وافق على فض المحاكم المختلطة رمز السيطرة الاجنبية وامتيازاتها فى مصر . كل مصر أقرت ضرورة الوقوف بجانب بريطانيا فى حالة حدوث عدوان والسماح لبريطانيا بأن تبعث بعشرة آلاف جندى من قواتها و ٤٠٠ طيار إلى منطقة القناة وستترك القوات البريطانية القاهرة والإسكندرية وستعود إليها « لحماية مصر » فقط إذا قامت حرب . كان لامبسون يعلم ما سيحدث على الصعيد العالمى أكثر من المصريين ، الذين أسرعوا لتوقيع المعاهدة والاحتفال بيوم الاستقلال . صدق البرلمان المصرى بـ ٢٠٢ من

الأصوات لصالحه وسبعة فقط ضده ، وبطريقة ما كان هذا التصويت يمثل التنافس بين لامبسون وموسوليني . أقام انطوني إيدن ، سكرتير الشئون الخارجية عشاء احتفالًا بالوفد المصري الذي اتى من أجل المعاهدة إلى لندن ، أخطأ كثير من المصريين في طائر الطيهوج من يوركشير على أنه ديك كبير في السن .

بعد أن أصبحت البلد في جيبه ، حول لامبسون كل طاقته إلى فاروق . ما لم يتوقعه هو موت الملك فؤاد في إبريل ١٩٣٦ . وحزنا على فقدان العاهل ، كتب لامبسون :

« بالرغم من كونه قرارا ، إلا أنه كان عاملا كبيرًا في الموقف هنا و . . . يمكننا في آخر لحظة إقناعه بالتصرف كما نرغب . كان فؤاد فعالا جدًا مع بريطانيا ضد الأحزاب السياسية المصرية المختلفة التي تحتاط دائما من الغرباء .

لكن فاروق اذهل لامبسون ، فلم يكن يتوقع . « ملك صغير هاو بين ايدينا » . بصراحه لا أعرف كيف سنواجه هذه المشكلة . اعتقد لامبسون أن فاروق سيظل عدة سنوات في بريطانيا ليتحضر وليصبح « واحدًا منا » لكن فاروق أمضى ستة أشهر فقط ومعظم وقته أمضاه في التسوق والأندية .

أصبح فاروق شغل لامبسون الشاغل بعد جنازة فؤاد ، خلال المسيرة الطويلة التي أحدثت بثورًا في قدم لامبسون ، وقد أنزعج من الفلاحات اللاتي كن في حالة هيستيرية من الصراخ ، وقد تناثر عليه دم من الذبائح من الجاموس والثيران عندما دخل النعش مسجد الرفاعي . لكن لامبسون قد انبهر بتحية المدافع والقوات الجوية عند أستقبال فاروق عند عودته الحزينة من إنجلترا إلى مصر . لم يتأثر لامبسون من بعض القصص التي كان يسمعها عن القصر من « جواسيسه » مثل صيدلي فاروق الانجليزي ، تيترينجنون ، الذي يأتي بمعظم شائعاته من معلمه فاروق والسيدة أنايلور . كتب لامبسون :

« بأخذ آراء العائلة الملكية بالترتيب عن الصبي ، لم يكن لدى الملك إدوارد شيء

ليقوله ؛ دوقة كنت ما هى إلا فتاة صغيرة ودوق لا يساوى شيئًا ، الخ » .

وقد سأل عن الذى يعلم أخواته الموسيقى ، وعندما قيل له السيدة موراى ، أجاب أنه يجب إيقافها . أما عن الرسم فقيل له إن معلمة إنجليزية أخرى تعلمهن وطبقًا للسيدة نايلور قال إنه لن يسمح بكل هذه السيطرة الإنجليزية حول أخواته فكلهن حقيرات وهمهم القيل والقال .

مسلحًا بكل هذا القيل والقال ، قابل لامبسون فاروق لأول مرة منذ أن أصبح الملك ولا يزال يجده « صبيًا لطيفًا متكلمًا » .

« كانت مهمة صعبة بالنسبة له فى هذا العمر أن يتحمل مثل هذه الأعباء الثقيلة . لم أرغب بأية حال إحراجه ، لكن ما يحدث فى بلده كان حيويًا جدًا لنا ، أتمنى أن يتذكر أنه فى أى وقت يقابل فيه صعوبات ، أو أن يكون فى حيرة أننا حقًا أصدقاؤه بلا أية دوافع خفية . »

تملق لامبسون الملك الجديد بمقارنة موقفه بموقف الملكة الصغيرة فيكتوريا ، فقد اتخذت الملكة من اللورد الماكر الحاذق ميلبورن مرشدًا لها . سيصبح سير ميلز لورد ميلبورن لفاروق .

قال فاروق للسفير إنه يعتزم أن يستمر إلى الأمام ببطء وعناية ، واضعًا شعار والده « الصبر » فى الاعتبار . قال له لامبسون إن شعار أسرته « لاتقلق أو تنزعج » . قال فاروق إنه يفضل شعاره إنه أقصر . ختم لامبسون أول اجتماع ملكى ب « قولى له فى لحظة إنه يجب الحذر من تمكن الإيطاليين ، لكن فعلت ذلك بتحفظ شديد » .

لم يرد أن يترك مشروع جعل هذا الصبى مثل الإنجليز وقد شعر أن هذه الطريقة أفضل طريقة لمنعه من أن ينغمس أكثر مع الإيطاليين ، حاول إقناع نازلى أن تبعث ابنها مرة أخرى إلى المدرسة فى انجلترا لكنها رفضت أن يذهب . قرر لامبسون أن يأتى بمدرسة ابتون إلى فاروق على شكل المعلم إدوارد فورد ، لكن فاروق وكما سبق الذكر كان يتملص . عبر فورد عن سخطه إلى لامبسون الذى كان قد عينه ،

ولامبسون الذى كان هو الآخر مغتاظًا ، قرر مواجهة الملك وأعطاه « محاضرة صغيرة » كما أسماها لامبسون .

« الناظر » كان اسمًا من العديد من الأسماء التى يطلقها فاروق على « مُعَذبه فهم بطبيعة الحال أن فاروق مثل أى صبى ملكى فى عمره يفضل قضاء الأوقات السعيدة بعيدًا عن الدراسة ، لكن هو الملك والملك لا يمكن أن يمضى كل وقته فى اللعب والمتعة .

أكد فاروق للامبسون أنه قد صنع جدولًا وأنه سوف يلتهم كتبه ، مما جعل لامبسون يخجل . ويعترف لامبسون أنه ظهر وكأنه المعلم ، لكن كانت هذه المحاضرة واحدة من عدة محاضرات ونهاية كل محاضرة يتعهد فاروق بأن يكون أفضل ويتملص من لامبسون كما يفعل مع فورد ، يقول لامبسون فى مذكراته « أدهشنى الملك فاروق عندما أصغى إلَّى ووعدنى أن يفعل . . . . إنه بلاشك ذكى وذو أخلاق رائعة » .

بالمعاهدة موقعة فى جيبه وفاروق ظاهريًا منغمس فى كتبه البريطانية ، استطاع لامبسون العودة إلى حياته الطبيعية . فأكثر ما تفعله السفارة هو استقبال الناس ؛ وسريعًا ما أصبحت جاكلين لامبسون سيدة مجتمع فى القاهرة ، تقيم حفلات العشاء الفخمة وحفلات الشاى وتستضيف عددًا كبيرًا من الضيوف الدبلوماسيين البريطانيين مثل الطيار الفرنسى ت ئ الذى كتب الأميرة الصغيرة والذى منح عجع فى السفارة بعد أن تحطمت طائرته فوق الصحراء المصرية وتم إنقاذه بواسطة بعض المارة من البدو . إلى بابرا خيوتون ، لم يبهر سير ميلز « بأغنى امراة فى العالم . كانت أيضًا جميلة جدًا ؛ ترتدى ملابس أنيقة جدًا ومغطاة بأفخم أنواع المجوهرات . أما زوجها . . . فقد أذهلنى فإنه مغرور ، مسرور من نفسه جدًا ومشغول بإدارته لأمواله وأعمال روجته » .

بالرغم من مناخ القاهرة الرائع ، كان العالم الخارجى عام ١٩٣٧ قد بدأ فى

الاحتراق ، فقد تمكن هيلاسلاسى أخيرًا من الهروب من أديس أبابا ، وأعلن موسولينى أن غزوه قد انتهى . وأصبحت أثيوبيا جزءًا من الإمبراطورية الإيطالية . وانفجرت الحرب الأهلية فى أسبانيا . وغزا اليابانيون الصين وأمسكوا بيكين وشانغهاى . أما فى روسيا ، فقد نفى الشيوعيون تروتسكى الذى استقر فى المكسيك . وفى أمريكا وقع الرئيس روزفلت قرار الحياد ، بينما فى انجلترا أصبح نيفيل تشمبرلين رئيسًا للوزراء وسيبدأ سياسة لإخماد هتلر .

أما بالقرب من فلسطين فهناك أيضًا برميل بارود . فاقتراح المفوض الملكى البريطانى بقيام ولاية مستقلة يهودية أدى إلى فزع كبير بين القواد المصريين . أراد رئيس الوزراء النحاس لفلسطين أن تكون دولة عربية مستقلة ، خالية من اليهود ولا شىء أكثر من ذلك . كتب لامبسون « لم يزعج ذلك النحاس مطلقًا ، لقد أقر أن الانتداب كله خطأ والشىء الصواب الوحيد هو تقطيعه » .

قابل أبو الصهيونية ، حاييم وايزمان لامبسون فى القاهرة ووبخه على اشتراكه فيما يقوله النحاس . لكن لامبسون خرج من الموضوع بأن قال : « استحقاق أو عدم استحقاق هذا الانفصال ليس من اختصاصى ؛ وأقول بالنسبة إلى تهديدات وايزمان إنه إذا لم يأخذ اليهود ما يريدون سينقلبون إلى أناس أشرار إننى حقًا لا أصدق أن يفعل اليهود أى شىء أحمق من شأنه أن يسبب الإحراج لبريطانيا . فى هذا الوقت وسط هذا الحدث العالمى الكبير » . كان رأى لامبسون الخاص أن تكون هناك هدنة لعشر سنوات أخر .

وأصبح لامبسون مثل المكوك فى الذهاب والإياب إلى ومن لندن عدة مرات للمناقشات . قام بزيارة الملك الجديد جورج السادس ، الذى خلف أخاه الذى تنازل عن العرش من أجل السيدة سيمبسون ليصبح دوق وندسور . انضم آل لامبسون فى قصر باكنجهام إلى الملك والملكة ليشاهدوا جهاز التلفاز الملكى الجديد ، بينما الأميرات اليزابث ومارجريت تسلقتا المنضدة يصنعن ويأكلن جبالا من مكعبات السكر .

قابل لامبسون ملحوظة جادة من أنطونى إيدن عن عدم استعداد مصر ، خاصة ، المدافع المضادة للطائرات فى حالة تشوب حرب . رئيس الوزراء شامبرلين فى شارع دونينج . كان شامبرلين متواجدًا متحمسًا لاجتماعاته الأخيرة مع موسولينى ومتفائلًا وأقنع لامبسون بأن مثل هذا الاستعداد سيكون مميتًا لو علم المصريون أننا لا نأخذ استعدادات كافية لحماية أمنهم . أعاد لامبسون على شامبرلين وصف الشرط الكبير فى المعاهدة وهو أن بريطانيا ستحضر جموعًا كبيرة من القوات فى حالة « طوارىء عالمية » لكن شامبرلين وشعاره « السلام » لم يكن مستعدًا لإثارة هذا الأمر .

أما فى القاهرة « المستقلة » فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ فقد تسلم فاروق وهو فى السابعة عشرة وتبعًا للتأريخ الإسلامى قد أصبح فى الثامنة عشرة . سيحل مجلس نيابة الملك . وصار لفاروق الأمر وحده . حان وقت التتويج ، بعد أن أنهى فاروق ووالدته وأخواته جولتهم الكبيرة فى أوروبا فى ٢٠ يوليو فى مارسيليا ، التى أبحروا منها إلى الأسكندرية على الباخرة المصرية النيل . كان فاروق عصبيًا . فحتى الآن كان أكبر قرار اتخذه طوال حياته أن يقود قطارًا كهربائيًا من قطارات السهم الأحمر السويسرية السريعة من جينيفا إلى بيرن . وقد امتدحه مساعدوه فى القطار كمهندس ليس له مثيل . لكن قيادة القطار للأسف لا تعد استعدادًا لقيادة أمة . لكنه بالرغم من ذلك روض نفسه على المهمة ، إنه يبلغ ستة أقدام فى الطول ، رشيق ، معتدل وقطعًا يبدو عليه أنه الملك . وسوف يحسن بقية الأشياء .

فى بداية حكمه ، كانت طريقة فاروق تتمثل فى احتفالاته المذهلة التى ميزت سنواته الأولى كملك لمصر ، أمسكت بخيال العالم وأحاطت المراهق بفخامة وقصص خرافية غيمت على حقيقة أنه ليست لديه أدنى فكرة عن كيفية حكم بلده الكبير المعقد . لا يستطيع صبى فى مثل عمره - إلا الاسكندر الأكبر الذى غزا فارس فى سن الواحد والعشرين - أن يتصدى لمثل هذا الحمل . لكن من يلاحظ مسألة كهذه عندما تكون الحفلة مسلية ! ! .

فاق تتويج فاروق تتويج الملك جورج السادس . فمنذ اللحظة التى وقف فيها

على السجاد الأحمر عند وصوله إلى الأسكندرية . جُنَّ جنون شعبه الذى لم تأسره طريقة الاحتفالات البريطانية ، ذبحت القرابين فى تحيات لا نهائية ، القوات الجوية المصرية مصطفة ، السفن الحربية لكل الدول فى ميناء الإسكندرية أطلقت مدافعها الكبيرة . فى القاهرة ازداد عدد السكان لثلاثة أضعاف بوصول الفلاحين من كل أنحاء البلاد ، فى بواخر نيلية وعربات الكارو وأوتوبيسات قديمة جدًا ودواب من عدة أميال يستطيع المسافر مشاهدة المدينة المضاءة ويسمع دقات الطبول . . عدد لا نهائى من اللحم الضأن والبقرى يجهز للطعام فى متنزهات القاهرة ليعطى بالمجان . الطريق من الأهرامات إلى القلعة كان منظرًا ضخمًا للألعاب النارية والرايات الخضراء وأقواس النصر وعليها صور فاروق التى علقت فى كل مكان على الطريق من قصر عابدين إلى البرلمان . بالنسبة للعديد من الفلاحين الذين لم يسبق لهم الخروج من قراهم كانت الرحلة إلى القاهرة الحديثة كأنها زيارة إلى حديقة .

فى السادسة صباحًا فى ٢٠ يوليو ، انطلقت المدافع فى عابدين لتعلن عن بداية المسيرة . فاروق يتألق فى زيه العسكرى الأبيض وعصاه القصيرة والطربوش الأحمر ، دخل عربته التى تجرها الخيول وحولها لكيون بطرابيشهم الحمراء وزيهم الأبيض والأزرق والذهبى يبدون فى غاية البرود فى جو حرارته تصل إلى ١٠٤ درجات فهرنهيت . كان من المفترض أن يرتدى فاروق سيف محمد على المطعم بالمجوهرات ، لكنه بطريقة ما فُقِدَ ضمن مقتنياته فى قصر عابدين . وهنا اقتُرِحَ اقتراح آخر هو أن يرتدى تاجًا لملك فرعونى صغير آخر هو توت عنخ آمون لكن رأس فاروق الكبيرة لم تكن لتتناسب معه . ثم تتبعه فى سيارة رولزرويس الملكة نازلى ، نصف محجبة واخواته الأميرات فى أعمار من السابعة إلى السادسة عشرة ، يرتدين نفس الزى مثل حفل شاى أليس فى بلاد رة وأثواب أنيقة بيضاء وجوارب حتى الكعوب . تعزف الفرق خلفهم ، وفرسان على خيول صهباء خلفهم . . ركب طويل سائر وسط المدينة . حيث ملايين الهتافات .

جلس مجلس النواب فى مناخ بارد بواسطة أول نظام تكييف فى مصر ، مع الضباط البريطانيين ، والشيوخ العرب فى زيهم الأبيض والدبلوماسيين الأوروبيين فى زيهم الرسمى ، الكل يقدم تهانيه . أما رئيس الوزراء مصطفى النحاس فقد ذهب مع فاروق إلى البرلمان فى العربة الذهبية وكان مرتديًا قبعة ومعطفًا للصباح ، كان خطابه لفاروق ، مثل القصيدة أو النشيد بالنسبة للسفير لامبسون ، الذى انحنى تجاه جاكى وهم فى أول صف لقاعة أصحاب المقام . أعطى النحاس الفضل لفاروق فى استقلال مصر ، وعضويتها فى عصبة الأمم . ولم يتمالك لامبسون نفسه من أن يبتسم . لأنه كان يعلم أن الفضل يعود إليه .

ثم صعد فاروق المنصة وأقسم اليمين وخطب خطبة ذكية وديمقراطية بالعربية كان لها أثر الموسيقى فى أذن الملايين الذين سمعوها من خلال مكبرات الصوت فى شوارع القاهرة وقرى النيل التى أدخلت إليها الكهرباء لهذه المناسبة :

« إن الملك هو أول خادم لهذه البلد . . .

الفقراء غير مسئولين عن فقرهم ، المسئول هم الأغنياء . أعطوا الفقراء ما يستحقون دون أن يسألوا . الملك يصبح ملكًا جيدًا عندما يكون للفقراء الحق فى المعيشة الجيدة ، وعندما يكون للمريض حق العلاج وللخائف الحق فى الاطمئنان وعندما يكون للجاهل حق التعليم . . . » .

ظهرت خطبة فاروق وكأنها إعلان ضد مصالح طبقته . كما بدت وكأن الشاعر حسنين هو الذى قد كتبها له . لامبسون كان مندهشًا . فهذا صبى لا يفتح كتابًا ، يعطيه معلموه المصريون كل الإجابات .

« وإذا كانت مشيئة الله أن يلقى على كاهلى فى هذه السن المبكرة مسؤليات الملك ، فأنا من جانبى أرحب بواجباتى ومستعد لأن أضحى فى سبيل واجبى . . . . شعبى الكريم ، أنا فخور بكم وبولائكم ، وأنا مؤمن بالمستقبل كإيمانى بالله . دعونا نعمل معًا . سننجح ونصبح سعداء . ولتحيا أرض آبائنا ! »

لم يحب لامبسون ما توحيه كلمة « أرض آبائنا » خاصة من وجهة نظر تحيز فاروق وأسرته الملكية للايطاليين . بالفعل هى « أرض آبائنا » ! لكن لامبسون قد دونها ضمن ملحوظاته لجنونه بهذا الموضوع .

استمرت الأحتفالات ثلاثة أيام أخرى ، فى القصور ومنازل الأغنياء فى المدينة والطعام المجانى ، الألعاب النارية والموسيقى للفقراء . أعطِى فاروق خوذة ، ركب جوادًا ، تفقد الجيش فى العباسية . كما أنه قد أعطِى جلبابًا وصلى فى مسجد الرفاعى شكرًا لله وترحم على أجداده النبلاء . ثم ارتدى جاكتًا للعشاء واحتفل مع الناس حتى الفجر ، ثم ارتدى زى الكشافة ليحيى أولاد الكشافة من شرفته بعابدين ، ثم ارتدى حلة بسيطة وذهب إلى المناطق الفقيرة من المدينة ، يوزع أموالا على مؤسسات الفقراء . إنه عهد جديد من المشاعر الطيبة يستقبل مصر .

عندما انتهت مراسم التتويج ، أخذ فاروق القطار الملكى إلى الإسكندرية إلى القصر الفخم على شاطىء البحر ، قصر المنتزة لكى يستجم . وصل مع والدته وأخواته فى الخامس من أغسطس . كان من المفترض أن يكون صيفًا هادئًا . كان فاروق على الصفحات الأولى من الصحف فى كل مكان مرة أخرى . هذه المرة لأن هذا الشاب قد حطم قلوبًا كثيرة لأنه قد خطب فتاة محظوظة جدًا تبلغ من العمر حينئذ خمسة عشر عامًا . تدعى صافيناز ذو الفقار . لم تكن من أسرة ملكية تركية لكن أسرتها فى غاية الأهمية . فوالدها يوسف ذو الفقار يعمل قاضيًا فى محكمة الإسكندرية المختلطة . ووالدتها زينب ، واحدة من وصيفات نازلى . فى الحقيقة كانت الأم والابنة جزءًا من الجمع الكبير الذى اصطحب الأسرة الملكية فى أخر رحلة تزحلق فى سويسرا .

لكن فى ذلك الوقت لم ينتبه فاروق لصافيناز ، التى كانت قد تركت مدرسة الليسيه للانضمام إلى الجولة الكبيرة .

من جهة أخرى كانت الملكة نازلى ماكرة ، فصافيناز امرأة شابة ، صغيرة ، جميلة من طبقة عالية تتحدث الفرنسية بطلاقة وأخلاقها ممتازة ، بالرغم من أنها ليست من العائلة الملكية ،لكن بالنسبة إلى نازلى كان ذلك ميزة كبيرة . فاذا كان من المحتوم وجود ملكتين فنازلى تريد أن تكون الأولى ، وقطعا لا تود أن تكون الملكة الثانية بل تكون أميرة . كان هناك عدد كبير من الأميرات العثمانيات واضعين أعينهن على فاروق ، لكن نازلى التى هى نفسها من أسرة كريمة لكن ليست ملكية ، كانت دائمة القلق عن كون دمائهم أفضل من دمائها . لا تتحمل فكرة المنافسة . فصافيناز القليلة الجسم ، المراهقة لن تمنحها أى شيء سوى الإخلاص التام فى هذه المناسبة كان فاروق والذى لمْ يظهر أى اهتمام جاد بالجنس الناعم مطيعًا لوالدته كما توقعت منه .

قاد فاروق سيارة الفاروميو الحمراء بمحاذاة الكورنيش من المنتزه إلى فيلا ذو الفقار ، بصحبة الأميرالاى عمر فتحى والذى كان واحدًا من أحب المرافقين للملك أثناء القيادة ، ربما لأنه لا يشكو المناورات التى يقوم بها فاروق من خلف عجلة القيادة . وفى الفيلا رحب واحد من السفرجية بالملك على الباب وقال له إن القاضى وحرمه غير موجودين . قال فاروق دعك من الآباء . احضر لى صافيناز . نفذ الخادم مجبرًا طلبه وقال فاروق ما لديه إلى صافيناز التى تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا والتى قالت له إنه يجب أن يطلب ذلك من والدها .

قال فاروق إنه سينتظر ، لكن صافيناز قالت ليس بهذه السهولة فإن والدها فى طريقه إلى لبنان لمدة أسبوعين . لقد رحل لتوه اليوم إلى بورسعيد ، حيث سيستقل سفينة إلى بيروت وهنا أخذ فاروق قرارًا ملكيًا جريئًا ، اتصل بقائد الشرطة فى الإسكندرية الذى استطاع أن يوقف السفينة قبل مغادرة الميناء ، وتم إنزال القاضى ذو الفقار وإحضاره إلى المنتزه ، حيث ينتظره فاروق . أراد القاضى أن يرفض . فإنه يعتقد أن كلا من فاروق وابنته صغيران جدًا ، ويجب تأجيل هذا الارتباط لعدة

سنوات . لكن فاروق ونازلي لم يستمعا له . لقد تشاورا في هذا الأمر لعدة أشهر ، وحددا يوم الزواج ٢٠ يناير ١٩٣٨ . لم يستطع القاضى إلا أن يصغي . ورفع فاروق لقب القاضى من بك إلى باشا ومنح السيدة ذو الفقار ، أعلى لقب للمرأة المصرية . الأسبوع الذى تلا وبمناسبة يوم ميلاد خطيبته قدم لها شيكًا بـ ٥٠،٠٠٠ دولار وخاتمًا ماسيًا يقدر بمثلهم . الحب يمكن أن يكون أعمى ، ويمكن أن يكون مربحًا . قدم فاروق صافيناز باسم جديد حتى يكمل مجموعة والده من حرف « ف » فصافيناز اسم فارسى يعنى « الوردة النقية » أما الاسم الجديد فهو فريدة . بدأت البلد فى الاستعداد لحفل ضخم آخر ، أول زواج ملكى منذ الفراعنة ففؤاد تزوج نازلى قبل أن يصبح ملكًا ، فريدة بعد نازلى ستكون ثانى ملكة مصرية منذ كليوباترا .

صقلت الخطبة صورة فاروق الشعبية ، حتى أن ٢٢ شخصًا ماتوا وأصيب ١٤٠ آخرون بأضرار بالغة فى الحشد الذى تجمع لتحية الملك الذى وصل إلى ثمانين ألف شخص حول القصر الصيفى فى رأس التين فى الاسكندرية ويظهرون ولاءهم وحبهم إلى الملك الجديد ، حيث أمضى فاروق الأيام القليلة التى تلت ذلك فى زيارة المستشفيات وفى مقابلة مجلس وزرائه لمناقشة تعويض أسر الضحايا .

عاد فاروق إلى القاهرة مفعمًا بالثقة وقام بأول حركة سياسية كبيرة له وهى خلع النحاس من الوزارة . فلم يثق أبدًا فاروق فى هذا العجوز الثورى والزغلولى ، فهو يراه عدوًا طبيعيًا للقصر . وساعد على ترسيب ذلك مطالبة النحاس بحق البرلمان فى طرد خدم فاروق الإيطاليين من القصر وأولهم أنطونيو بولى ، إذ ان رواتبهم تدفعها الدولة ، وليس الملك ومن حقها أن تعين أو تطرد أو تحدد رواتبهم . فشعر فاروق بالإهانة لمحاولة التدخل فى شئون خدمه الملكيين وخاصة أعز أصدقائه .

ثم كانت معارضة النحاس اللاذعة لقائد خزانة فاروق ، على ماهر ، الذى قد شارك النحاس فى يوم من الأيام مكتب محاماه . كان الرجلان متضادين بشكل كبير ، النحاس فلاح شعبى ، ماهر ملكى أنيق . خدم ماهر الملك فؤاد كرئيس وزراء بينما كان فاروق فى المدرسة فى انجلترا

وقد صنع مذاقًا خاصًا للحياة فى القصر ، كان أنيق السياسة المصرية ، يرتدى طربوشًا حريريًا ، ودبوس عنق من اللؤلؤ إنه يكره البريطانيين ويكره لامبسون كمستشار فاروق الأول للسياسة ، كل ذلك ألقى بالنحاس فى أذرع « الأستاذ » لامبسون ولذلك كان فاروق يشك فى رئيس وزرائه مثلما شك عطيل فى ديدمونة . إذن يجب أن يزاح النحاس .

بدلًا من النحاس ، عين فاروق محمد محمود كرئيس وزراء . لسنوات عديدة ، من قبل كان من مريدى زغلول لكنه تعلم فى جامعة بريستول وأصبح من أقرب حلفاء الملك فؤاد . كان طرد النحاس محبطًا للامبسون كما هو الحال فى تعيين محمد محمود ، والذى تضمن عددًا من الوزراء حلفاء إيطاليا . فى حين قام موسولينى بزيادة عدد قواته القابعة بليبيا ، وقد أعلن بصراحة طموحه فى أن يلعب دورًا أكبر فى العالم العربى الإسلامى .

من منطلق هذا التقرب المزعج ، قرر لامبسون أن الوقت قد حان « لمحاضرة صغيرة » أخرى لفاروق ، كتب لامبسون « **ستكون كارثة إذا ما اعتقد هذا الصبى أن بإمكانه القيام بأى خدعة أو لعبة يحبها . أنا شخصيًا أحبه إنه حقًا ذو نكاء ملحوظ وشجاعة – وقد بدأت أخشى من الأخيرة** » .

اجتمع مع فاروق فى قصر عابدين فى ديسمبر ١٩٣٧ ، معتقدًا أنه لا يزال يتعامل مع « صبى » لكنه خرج بانطباع غير ذلك بالمرة .

« وجدته محيرًا فى التعامل معه – مزاجه عال جدًا ، فقد أخذ الأمر كله ببعض الثرثرة . بينما يتحول فى أوقات معينة إلى التصرف بطريقة ملكية » ذلك ما كتبه لامبسون إنه يعتقد أن خلع النحاس وحزبه « الوفد » يسيطر على أغلبية البرلمان خطأ فادح .

« يجب أن تتذكر دائمًا أن مصر ليست انجلترا بأى حال من الأحوال . . . لكن حدسى أن المسألة كلها خطأ كبير . أما بالنسبة للمعاهدة القديمة لا أستطيع

القول أين تقف الآن ، لكن يجب أن يقال إنه مهما كانت الحكومة الجديدة وأيما كانت مقاعدها فى البرلمان قليلة ، فإنهم مجبرون على الاقتناع بعدم إمكانهم إهانة الحكومة البريطانية . . . »

ثم أنهى لامبسون بمقولة لاتينية تعلمها فى إيتون تصف التصرف الأحمق من فاروق بخلع النحاس وإهانة لامبسون وبالتالى انجلترا : والتى ترجمتها [الذين يريد الله أن يدمرهم ، يصيبهم فى البداية بالجنون] .

فى أبريل ١٩٣٨ ، قامت أول انتخابات لاختيار حكومة فاروق الجديدة ، وقد فاز رجال الملك وهُزم النحاس ووفده . ففاروق بلمسته السحرية على الشعب ، جعل لامبسون يبتلع كلماته . . إذا كان هناك ملك يأخذ أغلبية الأصوات ، فإن فاروق هو هذا الملك .

أعظم حفلات الملك كان يوم زواجه الذى أعلن كعطلة رسمية وجعل حفل التتويج يبدو وكأنه مجرد استعداد بسيط لهذا اليوم ، فقد خُفِضت أجرة المواصلات العامة سبعين فى المائة حتى يستطيع ملايين القرويين الذين قد قدموا إلى القاهرة فى حر يوليو أن يعودوا مرة أخرى فى برد يناير .

كان الشعور العام فى القاهرة جيدًا جدًا حتى ان اللصوص قد أعلنوا فى صحيفة يومية فى العاصمة تأجيل أخذ « ملتقطاتهم » أثناء الاحتفال .

أنيرت شوارع المدينة بسيل من الأضواء . كل ميدان عام تم تزيينه بتاج كبير مزين بالأنوار كبديل للمجوهرات . على صفحة النيل ، أنير أسطول من المراكب والعوامات بالمصابيح والشموع .

وقد شاهد فاروق من شرفة قصر عابدين الجميع يقدمون إليه التحيات من أول أطفال الحضانات الذين غنوا أغانى كتبت خصيصًا لهذه المناسبة إلى البدو على خيولهم قدموا من الصحراء ليقدموا عرضًا لملكهم المحبوب . فى المساجد كانت مصر تدعو لفاروق (أربعة عشر مليون من خمسة عشر مليون فى البلد مسلمون ،

٨٠٠٫٠٠٠ مسيحيون ، ٢٠٠٫٠٠٠ يهود) . وخطب شيخ الأزهر الشيخ مصطفى المراغى خطبة امتدح فيها إخلاص فاروق للإسلام وهتف آلاف الطلاب من الأزهر « يعيش الملك المؤمن » .

« وبكل تقواه هذه ، كان حفل زواجه حديثًا وإن لم يكن ماجنًا » . أقيمت المراسم نفسها فى غرفة فى قصر القبة فى جلسة أشبه بجلسات العمل . وتبعًا للتقاليد الإسلامية لم يكن للعروس دور فى هذه المراسم . فلم يكن من المفروض تواجد فريدة مطلقًا ، لكنها امرأة عصرية ، لقد شاهدت فاروق ووالدها يعقدان « القران » من وراء المشربية ، مرتدية نقابًا من التل يغطى حتى أنفها فقط ورداء باريسيًا من الدنتيل الفضى على ساتان ذى ذيل طوله إلى ثمانى ياردات من اللاميه الفضى المتلألىء .

فى وجود الشيخ المراغى وثلاثة مشايخ آخرين يرتدون العمامة البيضاء وحله أرجوانية ، الملك فاروق فى زيه الأسود والذهبى منح القاضى ذو الفقار « شيكًا » يمثل نصف صداق فريدة . والنصف الآخر حالة حدوث طلاق . ثم مد القاضى يده اليمنى وأمسك يد الملك . وفى نفس الوقت غطى الشيخ يديهما بقطعة من قماش الحرير الأخضر . سأل ذو الفقار الملك : « أتقبل الزواج من ابنتى ؟ » قال فاروق « أقبل أن أخذها لنفسى ، أعتنى بها وأمنحها الحماية وانتم الحاضرون هنا شهود » ثم كرر ذلك مرتين تبعًا للشريعة الإسلامية . ثم وقع الرجلان على نسختين من العقد واحدة منهما كتبها على ماهر والأخرى يتم ملؤها فى أرشيف المحاكم الإسلامية . ثم رفع علم أبيض كعلامة على أن العقد قد تم ، تبع ذلك إطلاق ١٠١ طلقة مدفع للتحية لكى تسمعها القاهرة كلها .

انسحب الملك والقاضى إلى الصالون الكبير للاحتفال مع باقى الحاشية (رجال) والتى تضمنت كل الأمراء والنبلاء فى البلد ومجلس الوزراء ، وكل رؤساء الوزارات السابقة ومن بينهم النحاس . وبدأ الخدم السودانيون يقدمون الشراب التقليدى شربات الورد وتم توزيع علب شيكولاتة ذهبية بينما أُهدِى إلى المراغى

ومساعديه شيلان كشمير .

كسرت فريدة التقاليد الإسلامية التى تقول بعدم التصوير بأن وقفت لأخذ صورة ودون حجاب هذه الصور للملكة الجديدة ستُرى بعد قليل معلقة فى كل نوافذ المحال وعلى الأزرار وتعرض للبيع . وكما قال جوزيف ليفى ، مراسل نيويورك تايمز معلقًا على التقدم الأخير لتحرير المرأة ، « الملكة فريدة فتاة عصرية بكل المقاييس ، ويعتزم [فاروق] أن يتركها تحيا هذه الحياة . بالرغم من امتلاء خزانة ملابسها بخمسة وأربعين رداء باريسيًا يُقَدَرون بحوالى ٣٠٠٠٠ دولار فإنها تجنبت مستحضرات التجميل وكانت النتيجة أن ظهرت بمظهر الفتاة الصغيرة » .

انتظر فاروق عروسه الجديدة أسفل السلم الرخامى الكبير ثم اصطحبها إلى الخارج فى الحدائق الرسمية حيث عزفت فرقة موسيقية نشيد الزفاف وقد حمل بنات أختها الأربعة ذيل ردائها الطويل . وعند بحيرة القصر وقفت نازلى تنتظر الثنائى المتزوج حديثًا . فانحنت فريدة وقبلت يديها ، ثم قبلت نازلى فريدة وفاروق . وقاموا بتقطيع كعكة الزفاف ، التى كانت كبيرة جدًا ، تصل إلى اثنى عشر قدمًا فى الطول وستة أقدام للمحيط تكفى لأن يقفز بداخلها مجموعة من الدراويش . لكنهم لم يفعلوا . والكعكة لم تكن على شكل هرم أو أبى الهول لكن كانت على شكل حصن مستدير

تلقى قصر القبة هدايا الزفاف من كل بلاد العالم . بعث الفرنسيون طبق تقديم عشاء من البورسولينى . وبعث اليونانيون بتمثال للنصف الأعلى من بطليموس الذى حكم مصر . وبعث الأتراك بصندوق مجوهرات مطعم بالماس لا يقدر بثمن . وبعث العرب باسطبل من فحول الخيول الأصيلة . وبعث موسولينى بتمثال مرمرى للإمبراطور وبعث هتلر بسيارة مرسيدس سبور . وبعث الملك جورج ملك بريطانيا بزوج من بنادق بيردى للصيد ومجموعة من أدوات الجولف ، كان أمل ملك بريطانيا أن يحب ملك مصر الجولف . وقدم مجتمع اليهود المصرى إلى فاروق علبة للحلى والنفائس تحمل زابور داود مطبوعًا على لفائف فضية ، بينما مول جيرارد رابى مشروعًا

لإطعام الأطفال على شرف فاروق وفريدة . فاروق نفسه أعطى ملكته عقدًا ذا ثلاث ماسات كان قد شاهده فى معرض بباريس عندما كان هناك ، وأعطاها أيضًا العديد من المجوهرات الأخرى يبلغ ثمنها ٣٠٠٫٠٠٠ دولار وسط علامات الفرح والإعجاب من الحاضرين الذين يتصرفون وكأن فريدة قد فازت بجائزة كبيرة فى برنامج أسئلة .

أما شوارع القاهرة فكانت تعج بعروض الألعاب النارية على النيل والرقص والموسيقى الشعبية من كل أنحاء البلاد . أيضًا عروض الأكروبات والسحر ، حيث قدم فاروق مئات الأطنان من لحم الخراف لكى تشوى وتطعم الفقراء ، وقدم نادى السيارات الملكى عرضًا ضخمًا جدًا من الزهور مصممة على أشكال عديدة من المستشفيات إلى الأهرامات حيث سار فى الشوراع بين القصرين الرئيسيين القبة وعابدين . فى اليوم التالى من الزواج صعد فاروق مرة أخرى ليشاهد عرضًا آخر للجيش المصرى . حيث سار الفرسان برماحهم وشاراتهم الخضراء والحمراء . ثم فرقة الهجانة على جمال بيضاء . لكن مفاجأة العرض كانت المعدات الحديثة — دبابات ، مدافع مضادة للطائرات ، مدفعية ثقيلة ، مع الطائرات فى الجو تحوم للتحية .

أما فى وسط القاهرة فى سينما ريو فكان هناك رسم بالحجم الطبيعى للملك وهو محاط بستة آلاف مصباح كهربائى ، بينما تمثال مُقام طوله ستة أقدام لايزيس وأوزوريس وحورس يسكب لفاروق وفريدة خمر السعادة فى كأس الحياة . أصيب المئات ، فكثير من الناس سقط من الشرفات ، وسحقهم الترام ، وداستهم والخيول والجمال ، كانوا متزاحمين لمحاولة شراء الطوابع التذكارية . كان الأمر اندماجًا لليالى العربية ووادى الملوك ، وعند انتهاء كل ذلك والذى استمر عدة أيام ، كان فاروق قد استحوذ على قلوب بلده وخيال العالم .

ولفترة قد كسب لامبسون . شكره على بنادق بيردى (لكن ليس على أندية الجولف) وأخذ فاروق فى المزاح عن « الصعوبات السياسية فى فرنسا وصعوبة العثور

حكومة فرنسية ، وقال إن هناك حكومة أو حكومتين احتياطيتين فى مصر يمكن أن يقدمهم بسرور إلى فرنسا » ، ثم علم فاروق أن مدافع لامبسون ليست بيردى فقال : « حسنًا ، يجب أن نرى هذا الموضوع إذا كنت جيدًا » استمتع لامبسون بروح الملك المرحة وخرج من الاجتماع بنتيجة استنتجها وهى أن فاروق « كان انجليزى المظهر » .

أخذ فاروق فريدة لشهر عسل قصير فى ضيعته الريفية بأنشاص ، على بعد خمسة و ثلاثين ميلًا خارج القاهرة ، حيث لديه حديقة حيوان خاصة ، ومزرعة نموذجية ومركز اتصالات وإذاعة . ثم عاد إلى القاهرة ليقيم احتفالًا آخر كبيرًا ، هذه المرة بمناسبة يوم ميلاده الثامن عشر فى ١١ من فبراير . كان هو وفريدة زوجين متناسبين . وعلى عكس والده الذى حافظ على العادات الإسلامية ووضع نازلى فى الحريم ، كان فاروق يأخذ فريدة فى كل مكان . يأخذها معه فى السيارة ، ووضع صورها على الطوابع فكيف لملكة جميلة أن تدفن ؟ هل المسألة مسألة تحريم ؟ ذهبوا إلى فندق شبرد وحفلات الكوكتيل للسفارات . فلم تكن فريدة ملكة تقبل الوقوف وراء الكواليس . كان فاروق الذى يفاجئها بالهدايا المختلفة من جواهر أو تمثال أو خاتم كل يوم من أول عام من زواجهما . حقًا مراهقًا وقع فى الحب .

لقد حطم كل المعتاد بأن تسير الأمور على ما يرام بين فريدة ونازلى والتى كانت تصر على الحصول على وقت من اهتمام الملك لافتتاح البرلمان فى إبريل ، برلمان بدون مصطفى النحاس لذلك فإنه يمثل انتصارًا سياسيًا كبيرًا لفاروق مكملًا لانتصاره على الصعيد الشخصى . فى خطابه ، وضع فاروق نفسه خلف انجلترا مساندًا لرئيس الوزراء نيفيل تشمبرلين وسياسته لصداقة إيطاليا ، أعلن الملك الشاب أن اتفاقية إيطالية . بريطانية ستكون « الضمان الوحيد للسلام » فى هذا الوقت .

أما لامبسون فلم يكن متأكدًا . فهناك أخبار مزعجة من انجلترا وهى أن السيدة أوستين شامبرلين ، أرملة سكرتير الخارجية الراحل واجو نيفل ، قد أيدت وشجعت الامبراطورية الإيطالية .

. . . إنها تقيم ولائم كبيرة وكثيرة ، حتى أنها الآن فى طريقها للقيام بزيارة (المستعمرة الإيطالية) ليبيا . . كل هذه النشاطات من جانب السيدة شامبرلين غريبة . أنا مندهش كيف تستطيع أن تقيم هذه المآدب وقد تركت معدمة بعد وفاة أوستون العجوز الفقير . لم أقل ذلك لكننى أشك فى أن يكون نيفيل هو الذى رتب ذلك الأمر .

زارت السيدة شامبرلين القاهرة فى طريقها إلى الأقصر ووادى الملوك ، وقد أكدت للامبسون « لاشك فى أن الشعب الإيطالى ليس لديه الرغبة فى إثارة المشاكل معنا » قلقها الوحيد هو « أن السفير البريطانى فى روما ، سيراريك دريموند لا يرى موسولينى مطلقًا ويقضى كل وقته يلعب الجولف مع بعض الجميلات » .

مع كل هذه الظروف ، حاول لامبسون أن يكون متفائلًا وألا يعتبر كل الإيطاليين أعداء . لكن فى عشاء طويل مع السيدة شامبرلين فى فندق شبرد ، قدمت السفير إلى الحاكم الإيطالى فى أثيوبيا دوق الذى أعطى لامبسون الانطباع كـ « شخص ساحر ومخلوق رائع ، طوله ستة أقدام وست بوصات ونصف حسب البنية . « أحببت الرجل جدًا ؛ فى الحقيقة شعرت أنى أتحدث إلى رجل بريطانى جذاب واجتماعى » .

يتمنى لامبسون أن تدار إيطاليا كلها بأشخاص ارستقراطيين مثله . أما الآن فحركة القميص الأسود الفاشية « موسولينى » أثرت على شباب مصر . كان هناك قمصان الوفد الزرقاء ، التى شجعها النحاس والذى درب الشباب مثل هتلر ، وهناك القمصان الخضر للملكيين ، التى شجعها على ماهر . عرفت القمصان الخضر بمجتمع شباب مصر واستطاعوا إطلاق الرصاص على النحاس فى مظاهرة لكنه لم يقتل . وحاول طالب سورى ، محتمل أن يكون من ذوات القمصان الزرقاء إطلاق الرصاص على فاروق على شاطىء الأسكندرية فى صيف ١٩٣٨ . وكان فاروق يشعر بالفخر سرًا إذ إنه أحس أنه يستحق محاولة لاغتياله . لكن ظاهريًا صنع موقفًا سياسيًا ، ادعى أنه قد أنقذ من هذه المحاولة لأنه كان يحمل القرآن فى جيبه . فاروق المؤمن . فاروق الذى لا يغلب .

وبجانب السورى المجنون ، هناك آخرون قليلون ، لم يتأثروا بملكهم الشاب المحبوب منهم محمد نجيب ، كان برتبة صاغ في قوات الحدود بمحاذاة ليبيا ، وكان مسئولًا مسئولية مؤقتة عن المتحف الحربى فى القاهرة .

فى مارس ١٩٣٨ ، ولد أول ابن لنجيب . أراد أن يسميه صلاح الدين تيمنًا بالسلطان الشهير ، لكن أصرت زوجته على تسميته بفاروق . مثل كثير من الأمهات المصريات فى ذلك الوقت ، إنها تعتقد أن الاسم سيكون فألًا حسنًا . فى ذلك الصيف ، وعمره سبعة وثلاثون ، كان عليه مقابلة الملك بشخصه . فاروق مثل أبيه يحب اقتناء كل شيء ، بدأ في اقتناء مجموعات حربية فى المنتزه . أحضر نجيب من متحف القاهرة إلى الاسكندرية ومعه شاحنتان من المعروضات لفاروق . ووقف نجيب وجنوده بكامل زيهم الرسمى انتباه فى قيظ حدائق القصر للملك حتى يأتى لتفقد هذه الكنوز . وأخيرًا وصل فاروق مرتديًا خوذة ، وصندلا بلا جوارب . ولا يرتدى قميصًا . لم يكن تقريبًا يرتدى ملابس فصدم نجيب . كيف لا يرتدى ملكه المحبوب قميصًا ؟ حتى أنطونيو بولى ، يدعوه الملك بولى بك والذى كان يسبح فى المنتزه مع فاروق وكما كتب نجيب فى « قدر مصر » « كان لديه الوقت الكافى لأن يرتدى قبل الظهور أمامى أنا والجنود فى الحديقة » قدم نجيب شخصيًا للملك شيئين نفيسين : مدفع نحاس ومدفعًا كان لجده الخديو إسماعيل . كانت المدافع ضخمة وثقيلة ، لكن نجيب استطاع أن يرفعها دون أى مجهود . أما الجنود الآخرون فلقد كانوا عصبيين وشعروا أنه يمكن أن يسقطوهم . قال فاروق لنجيب مادحًا إياه « أيها الصاغ » والذى سيصبح يومًا ما رجل مصر القوى « أنت قوى جدًا . ماذا تأكل ، الفول ؟ » لم يعجب نجيب بهذا القول . رفع فاروق بنفسه المدافع . وكتب نجيب : « صدمنى ارتخاء عضلاته وكتلات الشحم على صدره . لقد كنت فى ضعف عمره ، لكن جسمى فى حالة أفضل بكثير » .

ربما قد أقام فاروق المآدب الكثيرة ، لكنه فى ذلك الوقت لم يكن قد أصيب بالسمنة الزائدة التى أصابته بعد ذلك . الآن طوله ستة أقدام ووزنه ١٨٠ رطلًا . وهو

طبيعي يرتدى قمصانًا - من شارع جيرميم ، مع بدل أنيقة جدًا تحوز إعجاب لامبسون . لكنه كان متدفعًا ، وواثقًا من نفسه . لكن حريته الزائدة جاءت بنتيجة عكسية مع نجيب . لقد توقع نجيب رؤية فرعون ؛ فعندما وصل رأى مراهقًا جميلًا ، فأصابه إحباط .

بعد إقامة نجيب لمدة ستة أيام ليقوم بنصب الأسلحة ، أو كل له فاروق مهمات أخرى . لقد أراد بعضًا من أسلحة ز وخاصة مدفع ١٨٧١ الذي كان يوجد في الجيزة والعديد من المدافع والقنابل الأصلية لمحمد علي . بحث نجيب عن هذه الأسلحة فى كل أنحاء البلد . عندما قام بتسليمها ، لاحظ أن « فاروق باستلامه إياها كان سعيدًا سعادة الطفل الصغير بمجموعة جديدة من اللعب » .

عندما بدأ اليوزباشى عثمان مساعد نجيب أن يفرغ واحدة من القنابل بطريقة خاطئة ، أخذها منه فاروق وأفرغها بالطريقة الصحيحة ، ثم سأله أين تلقى تدريبه كجندى أجاب :

« فى المدرسة العسكرية فى انجلترا ، مثلكم يا صاحب الجلالة ، قال فاروق إنه كان من الأفضل لك دخول الأكاديمية العسكرية الملكية . مرة أخرى لم يعجب نجيب بروح المرح فى فاروق . ترقى نجيب إلى البكباشى ونال وسامًا وكان واحدًا من هؤلاء المسئولين عن شراء الأسلحة الإيطالية الفاسدة التى انفجرت فى أوجه المصريين عام ١٩٤٨ فى الحرب ضد إسرائيل»[1] . وفى عام ١٩٥٢ ، وكان فاروق فى المنفى ونجيب قائد القوات المصرية ، قضت محاكم الثورة بانتزاع رتبة عثمان ، لثروته غير القانونية وحكم عليه بخمسة عشر عامًا فى السجن ربما كان على فاروق أن يرتدى قميصه .

لم ينس نجيب أبدًا غضبه من سلوك الملك الشائن . وبعد ذلك وفى نفس هذا العام ، عندما تخرج نجيب وكان الأول على دفعته من مدرسة الضباط المصرية ،

(١) لقد تجاوز المؤلف الحقيقة فى هذه المعلومة . (الناشر) .

والتى كان معظم معلميها بريطانيين ، وصل الملك فاروق ليمنح الدفعة شهادات تخرجهم . وقد أمر القائد الضباط بتقبيل يدى الملك .

« قلت لزملائى إننى لن أقبل يد أى شخص تحت أية ظروف وحثثتهم على الحذو مثلى . لكن لم يفعل أى منهم ذلك . أما أنا فقد أخفيت رفضى وتظاهرت بالارتباك فبعد تحيه الملك ، صافحته بشدة حتى إنه فزع ، كما كشفت ذلك صورة ظهرت فى إحدى الصحف نفس الليلة » .

ازدادت كراهة نجيب للملك فاروق عن عام ١٩٣٨ بقيام ثورته وحتى كتب مذكراته عام ١٩٥٢ . ففاروق عام ١٩٣٨ ملك يصعب على أى شخص أن يكرهه . فقد كان من أشهر رؤساء الدول . بالرغم من شبابه ووسامته اللذين مثلا أركانًا أساسية لشهرته ، لكن هناك أسباب أخرى تتمثل فى وهم المصريين الكبير أن بريطانيا فى طريقها للخروج من بلدهم ، أيضًا تحضّر فريدة وتحدثه العربية ، حضوره المساجد ، فاروق « المؤمن » أصبح وكأنه نهاية السلسلة الطويلة لدمى البريطانيين الممثلين فى الخديوية وعودة إلى أمجاد محمد على . الانجليز فى مصر لا زالوا يشعرون بأنهم الحماة المتعجرفون وذلك يهيج أناسًا مثل نجيب . فإنهم يتعاملون مع مصر كجزء من الإمبراطورية . لكن المصريين لتاريخهم المجيد وأمجادهم الأخيرة تحت راية محمد على وإسماعيل ، يعتقدون بضرورة وجود امبراطورية لهم ، بهذا الطموح الوطنى ، كان فاروق ذو الثمانية عشر عامًا قوتهم . لكن العبء عليه كان كبيرًا بالإضافة إلى عدم خبرته واقتراب حرب عالمية أخرى .

لن يكون فاروق دمية فى يد لامبسون أبدًا . الظروف المحيطة أجبرت الاثنين أن تنشأ بينهما علاقة الغريم بغريمه . كان على فاروق أن يقف ضد « الناظر » وإلا ستفقد مصر صورتها . فإذا كان هناك محرك دمى فى الصورة فإنه على ماهر . صحيح أن حسنين يكتب الخطب ، لكن على ماهر يطلق الضربات . ، على ماهر من عائلة والده مستشار شهير للخديو عباس حلمى ، اتهم بواسطة اللورد كرومر « مستشار سيء فقد وقف عقبة للتعاون المنسجم بين الخديو والبريطانيين . أخو على ماهر أحمد

ماهر . حمل ما بدأه والده . فى عام ١٩٢٤ حوكم عن قتل سيرلى ستاك سردار الجيش المصرى للسودان فى وسط النهار . دافع النحاس الذى كان شريكًا لأخيه . ومثل على ماهر اختلف أحمد مع النحاس لكنه لم يكن أبدًا مع الانجليز .

فى مذكرات سير لورانس جرافتى سميث ، أو سكرتير شرقى فى السفارة البريطانية ، يصف الأخوة ماهر على أنهم « من وجهة نظر بريطانية . . من أصل ردىء » فعلى ماهر « دائمًا بارع فى إساءة فهم وإساءة ترجمة أى تلميح أو ملحوظة إنجليزية » يقول : « لم أصادف طموحًا قهريًا أكثر من ذلك . دعانى على العشاء معه وزوجته فقط ، كان مساء غير مريح . انتظارهم لحادث يمهد له أن يصبح رئيس وزراء كان معلنًا صراحة : من المفترض أن أشد الخيط الضرورى للمساعدة » .

« كل من الأخوين قصير وسمين . كان أحمد بدينًا أما على باشا فيقوم بزيارة سنوية إلى ترينج حيث يعيش هناك على عصير البرتقال ، ويعود بأعين ملتهبة ومجعدة ؛ ثعلب صغير يتحرك بحرارة الطموح . لا أتصور أبدًا أن درجة حرارته طبيعية » .

منذ بداية حكم فاروق ، كان على ماهر خلفه ، ينصحه فى لعبته ضد منافسيه الرئيسيين ، النحاس ولامبسون . بعض التحركات ضد النحاس كانت طفيفة ، مثل رفض فاروق ارتداء تاج على أساس أنه سيكون باهظ الثمن جدًا ، لقد شجعه النحاس أن يرتدى واحدًا ، فقط لكى يجعل من فاروق موضوعًا لشن هجوم على إسراف القصر ، لكن على ماهر أقنعه ألا يفعل كما أقنعه بعدم تكييف قصر عابدين تكييفًا مركزيًا ، فذلك سيتكلف مليونين من الدولارات فى حين يترك الفلاحين مشتعلين وغارقين فى عرقهم . وملحوظة أخرى ، الساحر القانونى على ماهر علم فاروق كيف يتحكم فى البنية المصرية ، بالأخص فى حل وتعيين البرلمانات وخلع رؤساء الوزارات ، بغض النظر عن امتلاكهم لنسبة عالية فى مقاعد البرلمان . وكان ذلك الطريق الذى تم به خلع النحاس ١٩٣٧ .

بعد أن تخلص على ماهر من النحاس ، استدار إلى لامبسون . أراد أن يحارب إمبراطورية بإمبراطورية . لهذا اتبع برنامجًا استراتيجيًا زواجيًا . كانت أخوات فاروق الأربع أجمل نساء العالم الإسلامى ، إن لم يكن فى العالم كله . فوزية ناجحة جدًا ، أكبرهن فى السابعة عشرة كانت مثل نجمة سينمائية فى هوليوود وقد كانت تشبه جين تيرنى . الأخت الثانية فايزة ، كانت الأذكى والأنشط ، ولدت مَضيفة ومقيمة للحفلات حتى فى سن العاشرة . الثالثة فايقة أطيبهن وأعقلهن بينما فتحية حلوة وخجولة كانت فى السادسة عام ١٩٣٨ . جاء على ماهر بفكرة وهى اتحاد مسلمى مصر « السنة والشيعة » فى إيران بخطبة فوزية إلى ولى العهد الإيرانى رضا محمد ، رأى على ماهر فى هذا الاتحاد أن مصر ستطغى كشريك بجانب إيران البدائية إلى حد ما .

والد ولى العهد ، الشاه رضا ، لم يكن من النوع السلطانى الموقر ، يحيا على نظام غذائى بسيط من اللحم والأرز وينام على مرتبة على الأرض . بالرغم من كونه جاهلًا فقد كان رجلًا عسكريًا مستبدًا ذا طلعة منغولية يغتال منافسيه ويجلد الفلاحين فى الشوارع إذا لم يحيونه كما يجب .

لقد كان كل شيء ملكًا فى قصر مثل فؤاد أو فاروق . أما بلاطه هو فإنه لم يكن يتصرف كبلاط حتى إن زائريه يمزحون قائلين إن الخدم فقط هم الذين يعرفون حسن التصرف . لكن ذلك كله لا يمثل مشكلة لعلى ماهر . يمكن للإيرانيين التعلم من المصريين . تم الاتصال الدبلوماسى ، وقُبِلَ العرض . وعقد الزواج سيصبح بين الأمير رضا والملك فاروق فى مارس ١٩٣٩ . ثم ستصبح فايقة وفايزة التاليات . كان على ماهر يدرس إمكانية الاتحاد مع ابن الملك عبد الله ملك الأردن . وفى العراق خلف الملك فيصل الثانى البالغ من العمر خمس سنوات أباه [الشغوف بالسيارات الاسبور] الملك غازى الذى قتل فى حادث تحطم سيارته . المهم أن فتحية و فيصل سيكونان ثنائيًا رائعًا .

كل محاولاته بتوحيد العرب جاءت لعلى ماهر بفكرة أخرى للملك فاروق من أجل طموحه الذى لا يفتر . إن لقب خليفة المسلمين لم يشغل منذ عام ١٩٢٤ ، بعد إنزال آخر خليفة عثمانى ، السلطان عبد الحميد وتأسيس الجمهورية التركية بواسطة مصطفى كمال أتاتورك فى عام ١٩١٨ كان لكمال أتاتورك القوة الكافية لأن يطلب من السلطان أن يزوجه ابنته . لكن السلطان رفض على أساس سجل كمال الطبى ومرضه التناسلى أو لطموحه الزائد أو كليهما . كمال كان فى قائمة الانتظار لأن يصبح الوزير الحربى لتركيا . . أزاله السلطان من القائمة . بعد أربعة أعوام رد كمال الجميل . فنفى السلطان أولًا فى مالطة ثم سان ريمو (السلاطين ذوو الألقاب الخديوية يُجذبوا إلى إيطاليا) ، ولمدة قصيرة أصبح ابن عم السلطان الخليفة . الخليفة لقب آخر مرادف للسلطان وقد أزال كمال الاثنين من أجل صالحه الخاص . شعر كمال أثناء محاولته لجعل تركيا بلدًا متحضرًا بقيود الإسلام غير المناسبة للعصر فأخذ فى نقله أيضًا ، وبعث آخر خليفة فى قطار الشرق السريع لأوروبا بلا عودة .

هام على ماهر حبًا بلقب الخليفة القائد الروحى للعالم الإسلامى البالغ أكثر من ٣٠٠ مليون تابع مخلص . بدأ على ماهر إعداد فاروق للخلافة . ازاد من دروس القرآن للملك مع الشيخ المراغى . وأعلن إشاعة أن القرآن الذى يحمله فاروق قد حفظه من محاولة الاغتيال من الطالب السورى . ولقد جعل لفاروق مظهر الرسل .

فى احد هذه المساجد ، بعد أن انتهى من صلاته كإمام ، وقف الحشد المجتمع وبينهم خمسمائة جندى وعسكرى معلنين صاحب الجلالة كخليفة وقائد للمؤمنين . وسواء كان ذلك تلقائيًا أو بتدبير على ماهر ، مسألة تخمين . فمن المعروف أن على ماهر كان على اتصال قريب من حسن البنا ، الذى يكره البريطانيين ونفوذهم الأجنبى أكثر من على ماهر نفسه ، إذا كان ذلك ممكنًا .

أما بالنسبة للبريطانيين ، فقد قام على ماهر بكل ما يمكن لخياله الخصب أن يتصوره للتأكد من أن مقابلات فاروق مع سير ميلز لامبسون لن يُساء فهمها .

يتذكر سير لورانس جرافيتي سميث : « لا يوجد رجل شاب عاقل يود أن يُذكَّر ، أو حتى يتذكر بنفسه ، يوم أن لاحظ أحد الزوار أن بنطلونه قد ابتل ، لكن ذلك هو نوع المشاعر التى يستحضرها ماهر باشا بإقناعه » .

لم يستطع لامبسون إلا أن يطرب للخطبة الساخرة لفاروق ٢٠ فبراير ، ١٩٣٩ ، للاحتفال بالعام الهجرى الجديد : « إن ثقتى بشخصى وتوكلى على الله هما إلهامى فى أعمالى ، لكن ذلك لا يمنعنى من أن أبحث عن أراء الرجال ذوى الخبرة » . وقد أكد على أهمية وحدة مصر « لصد أية محاولة من أى فرد يحاول النيل من شموخها » . تحدث عن تقوى أبيه الملك فؤاد وقال إنه لم يرث كل صفات أبيه الحميدة ، لكنه قد ورث عنه الصفات الكافية : « فأنا مثله ، لا يستطيع أحد التأثير عليّ » .

كان عام ١٩٣٨ عامًا جيدًا جدًا بالنسبة لفاروق ، فقد أصبح الملك ، وأصبح زوجًا وأصبح خليفة والجميع قد أحبوه . لكن آخر العام أتى له بإحباطه الأول . ففى نوفمبر ذهب هو وأنطونيو بولى إلى الشاطىء خارج الاسكندرية لتعقب هواية الملك – التى من أجلها جند نجيب – من أجل الأسلحة القديمة . مدفع يرجع إلى غزو نابوليون مصر عام ١٧٩٨ وجد مدفونًا فى الرمال ، وأراده فاروق لمجموعته . ذهب هو وبولى فى عملية لإخراجه ، عندما آتى رسول من المنتزه يقول إن الملكة فريدة ستضع حملها . عاد فاروق وبولى مسرعين إلى القصر . كان فاروق يدعو من أجل وريث . وإلا فإنه إذا حدث أى شيء له ، سيعتلى العرش عمه البالغ من العمر أربعة وستين عامًا الأمير محمد على الصديق القريب للامبسون . وقد كان الأمير محمد على يعتقد أنه كابن أصغر للخديو توفيق وأخ للخديو عباس حلمى ، لديه حق ادعاء الملك أكثر من الملك الصبى . فطموح الأمير أن يرى فاروق مقتولًا أو ميتًا أو مخلوعًا من على العرش حتى يعتليه ، هو وذلك لم يكن خفيًا .

خاب ظن الملك وأحبط عندما توقف الحرس عند إطلاق أربعين طلقة وليس

١٠١ طلقة والتى تعنى أن المولود صبى .

وللمحافظة على الـ « ف » ، أسماها فريال ، مثل جدته ، زوجة الخديو إسماعيل ويعنى « الضوء » . بدأت الاحتفالات مرة أخرى فى المدن والقرى ، وأعلن فاروق أنه بولادة كل طفل فى مصر سيتلقى منه دولارين كهدية . وبدأت الألعاب النارية ، اللحم للفقراء ، حلوى للأطفال . كانت البلد مسرورة وفرحة ، لكن فاروق لم يكن سعيدًا .

من المفترض أنه يستطيع المحاولة مرة أخرى ، لكن لا أحد يعلم سواه وملكته أن هذه مشكلة فى حد ذاتها .

الفصـــل الســـادس

مباريـــات حـربيـــة

الفصل السادس

مباريات حربية

كان عام ١٩٣٩ عامًا غير عادى لا يمكن تصديقه ، فقد انتهت الحرب الأهلية الأسبانية تحت قيادة فرانكو كما بدأت الحرب العالمية الثانية تحت قيادة هتلر فى حين تنحت الولايات المتحدة جانبًا .

حيث رأت أن اقتصادها الذى يعانى من الكساد والخراب يمكن أن ينشط ويُبعث من جديد من خلال مكاسب الحرب الأوروبية واكتفت بإمدادهم بالسلاح والتجهيزات والمعدات الأخرى .

وفى ذات الوقت الذى جلست فيه أمريكا بعيدًا عن مسار الحرب شغلت نفسها بقضايا تاريخ السينما وتلك السنوات التى رُشحت فيها بعض الأفلام لنيل مكافأة الأكاديمية عن أحسن فيلم (صورة متكاملة) مثل Starecoach, Goodbay Mr. chips, the Wizard of oz, gone with the wind

كما فاز Steinbeck,S the grapes of Wrath بجائزة بوليزار pulizar .

أما Hitler,S Mein Kampf فقد نُشر فى طبعة إنجليزية . كما قام الأمريكيون بتأكيد ذاتهم من خلال جعل أغنية god bless ameria kate smith أغنية العام .

فى حين أن الجنس Sex قد تلقى صدمة مضاعفة بموت كل من سيجموند فرويد وهافيلوك إليس Havelock Ellis .

أما الجوارب النيلون فقد خلقت ثورة عند أصحابهم فى Macy, Gimbels' Harrods, salfridges, Au printemps, Galaries Lafayette, .

وفى لندن يرقصون رقصةLambeth Walk فى حين يتغنون فى برلينLILI Marlene أما - pan AM وفى ظل سحب الحرب – فقد بدأ تقديم خدمة منظمة عبر الأطلنطى حول مقهىDixie)dixie Clipper& .

كما قام الأمريكان بمحو (القضاء على) الهنود الحمر من النسق العالمى ، أربع مباريات ليس لأحد إذا كان العالم الحقيقى فقط بسيطًا جدًا .

وفى مصر . . فقد شاهد الملك فاروق جميع الأفلام (المشهورة) فى حجرة العرض ذات الشاشة الضخمة فى قصر عابدين ، لكنه لم يكن متأثرًا بالأحداث الكبرى فى العالم خارج قصوره . لقد كان الحدث الكبير الذى يشغله هو زواج الأميرة فوزية من ولى عهد إيران . والحفل الذى أقيم فى القاهرة . . مدينة الاحتفالات الكبرى .

وفى الأول من سبتمبر قام هتلر بغزو بولندا ، وفى ٣ سبتمبر أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا ثم توسلت بالمعاهدة التى عقدتها مع مصر ١٩٣٦ لإرسال حشود من القوات مرة ثانية إلى مصر . لقد أصبحت القاهرة كما أصبحت الدار البيضاء أسطورية مثلما حدث فى فيلم Humphrey صحراء خيالية عبر العالم بها الجواسيس والمحاربون والقهوة وبها نساء لهن ماض ورجال لهم مستقبل . ولكن باستثناء أن القاهرة قد وقعت فى يد الملكية التى لم تحاول الدار البيضاء سواء على الساحة أو فى الواقع أن تستحضرها أو تستدعيها .

وحتى الانفجار الفعلى للحرب فقد كانت القاهرة هى القاهرة الساحرة بدون الجواسيس والجنود حيث إن السيد (ميلز لامبسون) لم يوافق على فكرة الجواسيس ، إذ كان مقتنعًا بأن مجموعة العاملين الإيطاليين فى قصر الملك فاروق لم يكونوا فوق مستوى الشبهات .

وقد رد الملك فاروق على توقعات لامبسون بمنح ١٧ منهم الجنسية المصرية بأمر ملكى . الآن فقد نجح الملك فاروق حيث لا يجوز حاليًا تسميتهم إيطاليين .

فاروق لم يستطع مقاومة الهزل الذى أثير حول رجاله أيضًا .

وبينما كان الإيطاليون يحتفلون بوضعهم الجديد (الغطاء الواقى لهم) قام فاروق بتوجيه صدمة لهم حيث أعلن أنه نظرًا لأنهم مصريون فعليهم أن يهتدوا للإسلام ويلتزموا به . لكن التحول إلى (ديانة أخرى) كان أقل مشكلة من النتيجة المترتبة عليه .

فالمسلمون يجب أن يختتنوا وهذا ما لا يقدر عليه الإيطاليون . وقد يكون من الممكن نفى ذلك لكنهم تكتموا على الأمر وصمموا أن يكونوا كما أعلن فاروق (مصريون ملء دمائهم) .

وأكثر من « أنه أمر ملكى » وفوق كل ذلك فقد كان على الملك أن يحجز جَّراحًا وطابقًا كاملًا فى المستشفى لمجموعة (الختان) . لكنه فى اللحظة الأخيرة سحب السكين .

فحتى الفوز بكأس العالم فى كرة القدم لم يجعل الإيطاليين الموجودين فى مصر سعداء - لكن الشخص الإيطالى الوحيد الذى لم يثق فيه لامبسون كان إيرنستو فيروس Ernesto Verrucci المهندس الملكى الذى كان لامبسون يعرف أنه قادر على وضع تصميمات وخطط .

وقد استعان لامبسون برئيس الوزراء « محمد محمود » واعتمد عليه فى توضيح الماضى الملكى المنقوش لفيروس ونقله إلى الملك .

فقد كتب لامبسون « **لقد كان تعيين هذا الرجل عارًا وخزيًا فهو غير موثوق فيه وغير أمين كما أخبر محمود الملك بأنه كانت توجد عدة تقارير مشينة عن ماضى فيروس .**

تلك التقريرات التى تقول إنه عمل كقوَّاد . لكن فاروق تساءل « قواد لمن ؟ » الأمر الذى أربك الباشا وحيره ، فأخبرنى ضاحكًا « أنه لم يستطع أن يخبر الولد (الملك) أن فيروس كان القوَّاد الذى استخدمه والده الملك فؤاد » .

ففى هذه المرحلة من حياته الصغيرة . كان فاروق متدينًا لا يفكر فى القوَّاد ، فقد كان ولدًا صالحًا يذهب إلى المساجد ويجمع الأسلحة الأثرية ويقود السيارات الاسبور . ويحاول أن يصبح أبًا وزوجًا صالحًا . ولم تكن مسألة التسلط الجنسى التى أصبحت مشكلته فيما بعد قد ظهرت .

لكن فشله فى الإعداد والتجهيز للزواج كان مخيبًا لآمال الملكة الشابة (فريدة) . فقد كان إعطاؤها هدية كل صباح كتعويض عن كل ما لم يعطه لها كل ليلة . حيث كان يشعر بالذنب والخجل . وحقيقة أن ابنته لم تكن ولدًا كانت وصمة وعارًا فى رجولته - كما هو معروف فى الفولكلور المصرى .

استشار فاروق أطباءه حول الجرعات والمقويات الموجودة منذ الفراعنة لتنشيط حالات الحب والجنس فما الذى فعله أنطونيو مع كيليوباترا ؟ وماذا عن الاسكندر الأكبر ؟ .

فوجد الإجابة فى الطعام . الحمام ، فحيث إن الطيور تنتج مثل الأرانب فقد نُظر إليها كعلاج عظيمم للضعف والعجز الجنسى . وكذلك الحال بالنسبة للمانجو ذات النكهة الشهوانية وكذلك لحم الضأن . . كل ذلك بدون سبب معروف .

لذا فقد التهم فاروق كلا من اللحم الضأن والحمام والمانجو التى غسلها بعصير البرتقال حيث كان له آلة خاصة للعصر ومزجه بالسكر .

كما أن الحشيش ذاته يعتبر منشطًا جنسيًا لكنه فى الوقت نفسه يثير الجوع . وفى حالة فاروق . . فكل شىء يذهب إلى معدته .

وفى عام ١٩٣٩ . عندما وصل الأمير محمد رضا لإتمام عقد زواج فوزية من أخيها فاروق الذى كان يبدو الملك الشاب أقل صبيانية وأكثر رجولة ونضجًا .

فمنذ مولد فريال ، كسب أكثر من ٣٠ جنيهًا وكان عليه شراء أزياء جديدة يصنعها له الخياطون الملكيون لكى يستقبل ويحيى صهره الجديد .

كان يوم الخامس عشر من مارس يوم استقلال مصر ويوم ميلاد أبى الأمير رضا (الشاه) وفى عابدين قام شيخ الأزهر (المراغى) بوضع المنديل الحريرى الأخضر على يدى فاروق والشاه المنتظر .

وفيما بعد وفى الرفاعى حيث دُفن الشاه ، أمَّ فاروق المصلين وقام الشيخ المراغى بإلقاء كلمة أكد فيها الوفاق الدائم بين فرقتى الإسلام (السنة والشيعة) التى قد اشتركت فى هذا الاتحاد التام الناجح .

ثم أقيمت مأدبة كبيرة فى بوفيه عابدين الضخم فى الصالة المزودة بالأرابيسك والآيات القرآنية المكتوبة بالذهب باللغة العربية على الأسقف العالية .

قام فاروق بمرافقة ليدى لامبسون المتألقة التى كانت ترتدى ثوبًا من الستان الضيق بدون أكمام للسهرة . مع فراء المنك الأبيض فى حين قام محمد رضا - فى كامل زيه - بمتابعتهم بكل احترام .

وعلى مائدة العشاء أُخذت الصور للملك فاروق بينما كان السير مايلز يجعجع بنشاط مسيطرًا على المائدة كلها وخزانته مرصعة بالميداليات والديكورات .

وقد كان العشاء مثله مثل كل حفلات العشاء التى تقام فى عابدين رسميًا .

فكما تنص بروتوكولات عابدين فى مجلد ضخم . من يجلس أين ؟ ومن يشرب نخب من ؟ ومن يُدعى إلى ماذا ؟ وهكذا .

وكلها صور من الأبهة التى كانت منتشرة فى البلاط الفرنسى والعثمانى ، وهى تلك الأشياء التى أوصلت مارى أنطوانيت إلى المقصلة .

وأثناء حكم فاروق كانت البروتوكولات مفروضة من قبل كبير رؤساء الحرس (سعيد ذو الفقار) الذى لم تربطه علاقة بعائلة الملكة فريدة .

فذو الفقار لم يخدم فقط الملك فؤاد وإنما أيضًا خدم الحكام الثلاثة السابقين عليه فى مصر . ولم يعد يتحمل الذل والمهانة من قبل سجل الحكم والحكام .

وفى سنة ١٩٤٢ وعند وفاة ذو الفقار كانت آخر كلماته . . الأمر بمراجعة نظام الأولويات فى مآدب الدولة . . (حفلات الغداء والعشاء الملكيين) .

وحتى تدفق القهوة على يد الجرسونات السودانيين كانت طقوسًا زخرفية تشمل ملابس مخملية مرصعة بالمجوهرات على ذراع الخادم ، وحاملات (صوانى) للفناجين من الذهب الخالص مرصعة بالخردل والفيونكات الكثيرة . . لكن فاروق بدأ فى ملازمة الحانات والنوادى الليلية بعد الزواج ، رافقت الملكة - نازلى - شخصيًا فوزية إلى طهران فى رحلة جعلت الملكة والأميرة تشعران بالحرية والانطلاق .

وفى الطريق إلى بلاد فارس عن طريق بغداد انقطع التيار الكهربى وفرغت أوعية المياه فوجدوا طعام القصر أقرب إلى قوت السجن كما أن قواعد الإتيكيت كانت أقل بكثير مما فى برتوكولات عابدين .

وبدلًا من رئيس الحرس قام الضباط العسكريون بتنظيم المجلس .

وما زال هذا يمثل تحالفًا خاصًا بالأسرة الملكية وليس « روميو وجوليت » .

فالحب والراحة التى كان من المقرر أن تتم فى ظل هذا التحالف كانت فى غير محلها . عين فاروق والد الملكة فريدة القاضى ذو الفقار كسفير لمصر فى إيران . والعضو الأول فى المخطط الكبير لعلى ماهر الذى كان محبوكًا ومثبتًا .

وفى أبريل ١٩٣٩ زار الدكتور جوزيف جوبلس جوبلز القاهرة - فى الظاهر - ليرى الأهرامات . وقد اعتقد لامبسون أن ذلك يشبه تصريحات موسولينى بعدم الاعتداء فى حين كان يضع وينشر قواته على الحدود الليبية لتصل إلى أكثر من ٢٠٠ ألف وعلى الحدود الأثيوبية لتصل إلى حوالى ربع مليون جندى .

لقد وصف موسولينى إيطاليا ومصر بأنهما شعبان متحدان بفضل البحر (المتوسط) وقد كان لامبسون على علم بما تعنيه هذه العبارة .

لقد اعتقد السفير أن الطريق الوحيد إلى قلب فاروق هو من خلال ذاته وبناء عليه فقد رتب الأمور لملك انجلترا لدعوة فاروق وفريدة إلى لندن فى زيارة رسمية للدولة .

بين طائر الطهيوجgrouse& وأثناء رحلته الصيفية السنوية فى انجلترا أخبر لامبسون بأن فاروق كان يُبدى بعض الإشارات الدالة على أنه صبى صالح وبالتالى فإنه يستحق الدعوة الملكية وبغض النظر عن أن هدية الزواج غير اللائقة بتوادى الجولف قد حملت ثقلًا أكثر من تملق اتحاد كل من موسولينى وهتلر ، فالملوك ، وعلى الأقل الملوك الانجليز ، يكونون دائمًا دكتاتوريين كاذبين .

وحتى سبتمبر ، كان الحدث الأكثر إثارة فى حياة فاروق بعد زواج فوزية ، هو توقيع عقد صفقة فراخ (دجاج) بينما هو فى نزهة الربيع مع فريدة وابنته فريال على الباخرة المحروسة ، كان حبيس حجرة النوم فى قصر عابدين . تلك الحجرة الفسيحة مثل ملعب كرة القدم وورق الحائط الذهبى ، ومطبخها الكامل والمعد لتجهيز العشاء حتى منتصف الليل . وحمام السباحة الذى كانت جدرانه مزودة ببراويز كبيرة للحوريات العاريات . وقد وجه فاروق ملاحظة إلى رئيس الوزراء محمد محمود قائلًا له « إنك لن تقدر زوجتك حقيقة إلا إذا كنت مريضًا . . وبعد ذلك بقليل . . كانت الملكة فريدة حاملًا مرة أخرى ومع اندلاع الحرب ، قطع لامبسون رحلته القصيرة إلى انجلترا وعاد إلى مصر بالطيران أو الخطوط الجوية الملكية « المركب الطائرة » .

وفى الاسكندرية فى الأول من سبتمبر علم لامبسون أن رئيس الوزراء قد أعاد حساباته حول الصحة المتدهورة .

فاستبداله لا يتضمن عملات عقليًا حيث كان على ماهر يخطط داخل مجلس الوزراء وقد أتم حل حياته كرئيس للوزراء فى المقدمة وفى المركز بل وكالنجمة فى السماء فى شهرته .

ذهب لامبسون مباشرة إلى المنتزه ووجد فاروق فى حالة ممتازة وكان يبدو ودودًا

عطوفًا . وقد قدم له لامبسون دعوة الملك جورج للزيارة الرسمية إلى انجلترا « أنا أقترح أن يفتح ويقرأ الخطاب وبالفعل فعل ذلك ثم صاح قائلًا حسنًا جدًا منه » مرتين ثم أشار إلى أنه لا يوجد شيء آخر يجعله هو والملكة فريدة أعظم سعادة .

لكن بالنسبة لإعلان الحرب الوشيك من قبل انجلترا فإن الشيء الذى يبدو أنه يضايق فاروق هو احتمال إلغاء حفل الشاى الذى كان مقررًا إقامته فى حديقة البلح التابعة له بالقرب من أبى قير بمناسبة عيد ميلاد فريدة فى ٥ سبتمبر .

وقد كتب لامبسون أن فاروق قد خضب كل معتقدات آبائه الخرافية حيث أعتقد أن ذلك حظًا سيئًا أن يتم الغاؤها « فقلت إنه لا يبدو فقط حظًا سيئًا بل أيضًا هو شيء غير مرغوب فيه ولا يمكن المطالبة به » . فقال رئيس الوزراء « تأكد أن الحفل سيستمر ، » وهنا أثنى عليه فاروق وأكد لـ لامبسون أنه سيجده صالحًا للتعامل معه مباشرة وبكل صراحة وبالتركيز على الموضوع مباشرة » .

لم يكن على ماهر واحدًا من القمة . ففى كلمته عند افتتاح البرلمان المصرى ، هيَّج لامبسون وأغضبه بهذه الطرفة عن الاعوجاج والاحتيال .

« عندما ثارت الحرب حولنا ، كانت سعادة بالنسبة لى للرد عليك وتكرار أن التعاون مع حليفنا سيكون فى المستقبل مثلما كان دائمًا فى الماضى ، المرشد المفضل لنا لإنجاز وإتمام مهامنا وأعمالنا . ولذلك سيتلقى حليفنا منا كل مساعدة ممكنة » . لكن على ماهر لم يذكر ولو مرة بريطانيا بالاسم ، أما الكلمة التى التصقت فى ذاكرة لامبسون فكانت كلمة « التعاون والتنسيق » .

لقد قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع ألمانيا وقامت بنزع ملكية الممتلكات الألمانية ووضعت إشارة الصليب الأحمر على المنازل والمحال الألمانية ، كما حبست ألف مواطن ألمانى يعيشون فى مصر . حيث كان معظم الألمانيين فى مصر أعضاء فى الحزب النازى لكن المئات الآخرين كانوا خارج الحزب وكان معظم هؤلاء من اليهود .

ولم تتضايق السلطات فى ملاحظة هذا التميز وضم كل ألمان القاهرة واليهود والنازيين داخل المدرسة اللألمانية هناك بينما فى الاسكندرية وضع رعايا الرايخ الثالث فى المدرسة الإيطالية حيث لم تكن هناك أكاديمية ألمانية هناك .

من ناحية أخرى انفجر القتال الدامى بين اليهود ومعذبيهم الذين اضطهدوهم لكن ذلك كان خلال ٣ سنوات قبل انفصال اليهود عن النازيين . وهذه التبريرات المنطقية كانت أكثر حساسية من وجه الحقيقة القائلة بأن الحارس القضائى الرسمى المكلف بمصادرة الأملاك الألمانية فى مصر (أحمد صادق) كانت زوجته يهودية .

وقد أعلنت مصر قانون الطوارىء ووضعت كافة الشواطىء المصرية تحت سيطرة ورقابة البحرية البريطانية . لكن مصر رفضت إعلان الحرب ضد ألمانيا . (وإيطاليا لن تدخل الحرب حتى العام القادم) لكن تجنب الحرب وعدم القتال من قبل مصر أصبح موضوعًا حرجًا وجادًا عند كل من لامبسون ورؤساء القوات العسكرية البريطانية مثل : الجنرال السير هنرى ميتلاند وجامبو وويلسون المسئول العام عن القيادة فى مصر والجنرال السير أرشيبالد . وافيل القائد الرئيسى فى الشرق الأوسط .

أما وافيل فقد خدم فى فلسطين فى الحرب العالمية الأولى كما سار مع لورانس واللنبى إلى القدس لقد أصبح فيما بعد عند لامبسون قديس القديسين ، والوالى على الهند ، لكن الجنرالات لم يكن لديهم صبر طويل على مماطلات ومراوغات على ماهر فقد فرضوا ضغوطًا على لامبسون من أجل الوصول إلى النتائج فى ظل ظروف الدبلوماسية برغم أن هذا الضغط ستكون له فيما بعد آثار مرعبة بالنسبة لكل الأحزاب المختصة .

وعلى كل حال فإن المصريين أقاموا سورًا وسياجًا لخواطرهم وتوجهاتهم تجاة الألمان .

فلم يكونوا يستطيعون تجنب أو إغفال الحقيقة الصعبة القائلة بأن البريطانيين قادمون . لكن الآن ، نجد أن الزى الكاكى للجنود الذين وصلوا من أنحاء

الامبراطورية ومن نيوزلندا ومن استراليا ، ومن الهند ، ومن انجلترا ذاتها ، قد أصبح ينافس الأزياء الأخرى فى الشوارع مثل البدو والبرجوازيين .

فحوالى اثنين إلى ثلاثة ملايين جندى بريطانى كانوا سيعبرون أو سيمرون خلال وقت الحرب فى « ايجييت » كما يسمونها . ولكن بعيدًا عن الميادين الحساسة فى وسط القاهرة ، فإن عالمى مصر وانجلترا لم يتقاطعا أبدًا . وكذلك لم تتقاطع الدائرة الداخلية لعالم فاروق مع باقى مصر . بالرغم من أنه كان المزيج الرئيسى لنخبة فاروق مع النخبة (الصفوة) الانجليزية التى كانت تضفى على القاهرة وقت الحرب مزيدًا من السحر والخيال وانطباعًا يضع المدينة فى مصاف الأساطير المدنية مع باريس وعصر الجاز وتأرجح لندن فى الستينات .

لقد كان ميدان إسماعيل باشا من أعم الميادين السحرية فى وسط القاهرة . بالقرب من شاطىء النيل وحول الميدان يوجد المتحف المصرى (بيت توت عنخ آمون) وثكنات قصر النيل الخاصة بالجيش البريطانى يحل محلها اليوم النيل هيلتون .

وكاتدرائية جميع القديسين ، ودير وزير الغرب فى المجتمع البريطانى لكنه اليوم طريق خال على طول نهر النيل .

أما ميدان سليمان باشا والذى سمي باسم جد الملكة نازلى الفرنسى – فهو مركز تجارى ساحر – حيث يوجد جروبى معقل الشيكولاتة والسكر الذى أنشأته عائلة الكسندريان سويس ، فى المقدمة يوجد حلواني ومحل خارجي للقهوة ، وفى الخلف توجد صالة ذات سقف زجاجي حيث تقدم فيها الطلبات من الساعة الخامسة حتى الثامنة ثم تبدأ السهرة فى العاشرة .

وحتى البريطانيون الذين حضروا إلى هنا وجدوا أنفسهم يتحدثون الفرنسية حيث كان جروبى واحة فاخرة للسيدات اللاتى يأتين للاستجمام والراحة من التسوق فى المناطق القريبة كما كان صالونًا ومخزنًا ، كما كانت تتوافر فيه البنوك الضخمة الرئيسية ومكاتب الخطوط الجوية والمحلات المتخصصة التى تقدم منتجات القارة

الأفريقية بل ومنتجات القارات الخمس الأخرى فى « شارع بوند ، شارع رى ، هونورى .

لكن المنطقة لم تكن للسيدات فقط ففى بعض عمارات ميدان سليمان باشا كانت هناك نواد فسيحة للرجال . وكانت تسمح فقط بعضوية البريطانيين ونادى محمد على الذى لم يسمح بعضوية أحد من الخارج بالإضافة إلى نادى السيارات الملكى الذى كان المكان المفضل لفاروق للمتعة ولعب القمار .

أما على المستوى المؤسسى فقد كان البرلمان على مسافة صغيرة من بعض العمارات وكذلك الجامعة الأمريكية وقصر الأميرة حيث كانت تقام الحفلات العظيمة فى المدينة وعلى الجانب المعاكس نحو موقف محطة رمسيس أسفل تمثال بوليفار العظيم الذى بناه الخديو إسماعيل كتقدير لباريس ، يوجد ميدان الأوبرا ودار الأوبرا الملكية التى شاهدت أول عرض لأوبرا عايدة سنة ١٨٧١ والتى كانت الجوهرة الثقافية فى الشرق الأوسط . بالإضافة إلى حدائق الأزبكية وقصر عابدين على الجانب الآخر .

وفى مقابل الحدائق يوجد فندق شبرد ذو المدخل المصنوع من الصفصاف وصالة موريش وحجرة الكرنك للكرة . والبار الكبير التابع له .

وبينما كان روميل يدق أبواب مصر فى العلمين ويهدد بالقضاء عليها عبر البحر الأحمر كان الجنود البريطانيون يمزحون « انتظر حتى يأتى إلى شبرد » .

وتوجد مجموعة من المبانى الضخمة تتمثل فى الانتركتيننتال السافوى وقصر عدن حيث يذهب إليه الناس دائمًا بملابس المساء من أجل تناول العشاء .

وتشبه هذه المنطقة القنوات الحمراء الضيقة فى امستردام حيث لا توجد بها المياه ولكنها مزخرفة بالألوان الزاهية .

وبالقرب من شبرد توجد مخازن متخصصة للهراسات الضخمة العالية كما توجد بها منازل عالية يقيم بها سيدات وجميلات أوروبا من كل الجنسيات ومزودة بحدائق

معطرة تنافس القناة رقم ٥ . فمعظم هؤلاء الفتيات من فتيات العرض الجميلات اللائى يأتين فى جولة عامة من حصن لندن أو المولان روج ويقمن فى المساء بتقديم عروض فى الكيت كات فى باخرة كبيرة على النيل حيث تعمل فيها بعض المضيفات المجريات كجواسيس نازية أو فى أويرج الهرم فى طريق الجيزة إلى أبى الهول .

كل هذه الإنشاءات لها زبائنها وإن كان المسئولون يعتبرون أكثر روادها الأمر الذى يجعل الجنود المتطوعين خارجها كما لو كانوا يقفون فى سوق السمك .

أما المنطقة الضيقة شمال حدائق الأزبكية فتعرف باسم كلوت بيك بنسبة إلى الرجل الفرنسى انطوان كلوت الذى ساعد محمد على فى استحضار مصطلحات الصحة الغربية إلى مصر فى القرن التاسع عشر .

لكن كلوت الفقير لم يكن سعيدًا بعودتة الشرفية أو الفخرية إلى الاستشراق ، إن قتل المحاربين والزناة لم يكن أمرًا غير مألوف ، فالاستراليون يعتبرون أكثر حيوانية بين جميع المقاتلين حيث كانوا يذهبون ليديروا بيوتًا سرية لممارسة الجنس أثناء وقت فراغهم حيث يشعرون بالسعادة .

وقد انتشرت الأمراض التناسلية حيث إن البريطانيين كانوا يتبعون الإيطاليين فى التفكير الخاص بإمداد حراسهم بالعاهرات خاصة أثناء الحرب الأهلية الأمريكية على يد الجنرال جوزيف هوكر .

لقد كانت القاهرة مقصدًا وغاية للغرب بما فيها من السعادة والبعد عن القنابل . ففى منطقة الموسكى (البازار) توجد المساجد القديمة مثل الأزهر كما يوجد مسجد السلطان حسن ، والبوابات القديمة مثل باب زويلة ، والكنائس القبطية التى ترجع إلى المسيح بالإضافة إلى المقابر .

إنها قاهرة التاريخ ، مثلما كانت قاهرة الآثار والأهرامات . بل وقاهرة السعادة : فالتاريخ ومشاهدة المناظر يجب أن تنتظر السلام .

أما معظم المقيمين الأجانب فيقيمون على النيل فى منطقة جاردن سيتى حيث

السفارات ومنازل الأثرياء وعبر النيل فى الزمالك حيث يعيش الأجانب بالقرب من نادى الجزيرة الرياضى لممارسة رياضة الجولف والكرة .

كذلك الحال فى هليوبوليس حيث يفضلون ركوب الخيل فى الصحراء . أما مينا هاوس فى طريق الأهرامات فقد أقام فيه تشرشل و لورد مونيتان وغيرهم من أصحاب المقام الزائرين .

وعلى العكس من ذلك فإن القاهرة القديمة والحديثة لم تختلطا ، تلك الحقيقة التى عبر عنها رجال الشارع أمثال اللواء نجيب الذى كتب :

« لم تطلب بريطانيا من أية دولة أكثر مما طلبت من مصر أثناء الحرب حيث توقعوا من المصريين أن يتصرفوا كحلفاء مطيعين بينما كانوا يعاملونهم كرعايا مقهورين مستعمرين ، فقواتهم تسير فى شوارع القاهرة تردد الأغانى الفاحشة عن الملك الذى كان يمثل رمزًا قوميًا مثل العلم ولم يكن فاروق محبوبًا من الشعب إلا عندما تعرض للإهانة العامة من قبل الجيوش والقوات البريطانية » . حيث كان الجنود يغنون وهم سكارى عن « فاروق النصاب القذر الكبير » أو « الباشا » أو أفندى وغيرها من المصطلحات التى كانت تستخدم للتعبير عن الكهنوت المحلى والطبقات التى تعمل فى خدمة الحكومة . لكن البعض استخدم هذه المصطلحات لتعنى « الرجل الشرقى الخبيث » .

ولا أحد يستطيع أن يكون أكثر من سكان الطبقة العليا فى القاهرة ، طبقة فاروق . فالجنرالات يعرفون ما لا تفهمه الجنود . فالقاهرة قد انقسمت إلى ارستقراطيات متميزة عديدة اختلط كل منها فى بوتقة واحدة تمثل القاهرة كلها . لكن القمة بين هذه الطبقات العليا المتساوية كانت تتمثل فى الأتراك الذين ينتمى إليهم الملك فاروق وكل سلالة محمد على وزوجاتهم وهذه الفئة كانت فى – عيون المصريين – الأكثر جاذبية فى المدينة . لأن دماءهم ترجع إلى البنات ذوات العيون الزرقاء والشقراء (تلك الفتيات المسترقات فى جيش السلطان العثمانى اللاتى تحررن

وأصبحن من سيدات قصر الحريم الملكى » . لقد عهد الأمراء الأتراك إلى الرقيق تربية وتهذيب أطفالهم معهم وتحت رعايتهم . بحيث تحولت بعض السيدات من الرقيق إلى أميرات فى القصر وأحاطوهم بهالات من البريق الخاطف .

ولكن . . ونظرًا لأن النخبة التركية كانت مسلمة فإن القليل من زوجات الأمراء والنبلاء قد استقروا فى بيوتهم وفى قصورهم المختلفة حيث كان أزواجهم الأمراء على نفس نمط فاروق ذوى تربية أوروبية ، يلعبون القمار ويتنقلون بين الملاهى الليلة .

ولم يكونوا مؤمنين أو حسنى السمعة عند الأميرات زوجاتهم . وكانت هذه حقيقة قائمة ، من ناحية أخرى فقد كانت هناك روابط وعلاقات ألمانية مع الأمراء الشباب بالإضافة إلى الأمراء الأتراك .

فقد وقفت تركيا إلى جانب ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى . هذا الصراع لم يكن من أجل تحسين النسل ولكنه كان قضية امبراطورية .

وفى هذه الأيام . . فإن ألمانيا لم تكن وحشًا هتلريًا وإنما كانت تنظر إلى الوفاق الثلاثى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا تلك القوى الاستعمارية التى حصلت على النصيب الأكبر من الإمبراطورية العثمانية .

وفى تركيا كان القيصر ويلهلم يعتبر محسنًا أكثر من ملك انجلترا أو قيصر روسيا بل كان صديقًا مخلصًا للمسلمين .

وقد اشتركت تركيا مع الألمان على أمل كسر العبودية الاستعمارية لهذا التحالف الثلاثى واسترداد أملاكها سواء فى البلقان أو حتى من أمجادها السابقة .

وقد لجأ الأتراك إلى القوميين المصريين الترك الشباب من أمثال ابن عم الملك فاروق (الأمير عباس حليم) الذى كان بطلًا على نمط Red Baron لخدمة الألمان فى الحرب العالمية الأولى ، والفريق عزيز المصرى الذى كان بطلًا مغوارًا عسكريًا للأتراك قبل أن يصبح المعلم العسكرى لفاروق الصغير فى انجلترا .

وهؤلاء الملحقون الألمان فى الحرب العالمية الأولى لم يجلسوا جلسة ودية مع لامبسون والبريطانيين الذين أسرعوا إلى ذكر النتائج السيئة فى الحرب العالمية الثانية خاصة فى أيامها الأولى (حيث سادت حالة الريبة وعدم الثقة) .

إذا كان البريطانيون يشعرون بالقلق بسبب الأتراك الارستقراطيين فى القاهرة فإنهم أيضًا لديهم من ناحية أخرى – مجموعة من الأصدقاء اليهود الارستقراطيين فى القاهرة . وبالرغم من أن مدام يوسف قطاوى كانت رئيسة حاشية الملكة نازلى وكذلك السيد روبرت رولو الذى كان الصراف الشخصى للملك فؤاد والذى نقل ثروة معقولة إلى إيطاليا لحساب الملك ، فإن يهود القاهرة لم يعضوا أيدى البريطانيين التى أحسنت إليهم وشرفتهم .

وقد كان فيكتور هرارى سيدًا وباشا حيث لم يجد غضاضة أو تعارضًا فى خدمة ملكية ، من ناحية أخرى فقد كان البارون جورج منسه يهوديًا مصريًا شريف المولد ذا اسم أجنبى ذلك الاسم الذى منحه له امبراطور الامبراطورية النمساوية المجرية ، لكن لم تكن هناك مشكلة حول أى تعاطف ألمانى ، لقد جاء معظم يهود القاهرة إلى مصر هربًا من التحقيقات والمشكلات الأسبانية وكونوا ثرواتهم فى مجال : التمويل والقطن تجارة التجزئة .

وتركت محال إقامتهم فى المنطقة بين بنك القاهرة وشيكوريل التى تشبه مثيلتها فى وادى الملوك . ولم يعان اليهود من التمييز العنصرى ، فقد كانوا حكامًا فى المجتمع حيث عارض معظمهم مسألة تقسيم فلسطين وخلق دولة مستقلة لليهود .

كان اتجاههم يتمثل فى التساؤل الآتى « لماذا تصبح منفصلًا عن المجتمع عندما تكون فى قمته ؟ أى أنهم يرفضون الانفصال عن المجتمع طالما أنهم يتمتعون بمكانة متميزة فيه ، أما الفئة الأخرى التى كانت تمثل مجتمعًا فرعيًا داخل المجتمع المصرى هى فئة الأقباط الذين أحضروا العقيدة المسيحية على يد القديس مارك وأقاموها فى مصر وظلوا يعتنقونها بعد الفتح العربى فى القرن السابع .

فالنخبة القبطية فى القاهرة والتى تضم وهبة ، وويصا ، وخيرت ، يدعون أنهم ينحدرون من نسل الفراعنة لكن الواقع يشير إلى صعوبة تحديد تاريخ أسلافهم قبل الغزو الفرنسى (نابليون) . لكن معظم الأقباط قصدوا إلى أن يظلوا فى الظلام .

وترجع جذورهم إلى عاصمة صعيد مصر فى أسيوط حيث كانت تتجه قوافل الجمال إلى السودان ، وحيث كان وجودهم المنتشر فى الدولة قد جعل الأقباط أصحاب الأرض الرئيسيين بعد عائلة فاروق وقد كانوا أيضًا يسيطرون على القانون والسياسة . ولما كانت السيدات القبطيات غير مقيدات بالتعاليم الإسلامية وغير خاضعات لها فقد أقام الأقباط بعض حفلات البنات الضخمة .

وقد كان الممثل Blayboy المفضل للمدينة هو فيكتور سميكة – والذى كان يرافق بربارا هوتون ودوريس دوك . كما كان Hqreychile Hohemloth يلعب بكرة البولو مع المهراجا فى الهند ويصيد طائر الطهيوج مع البارونات فى يترول ، كل ذلك فى ظل نوع من الندية والمساواة . كما كانت توجد أيضًا نخبة يونانية تتركز إقامتها أساسًا فى الاسكندرية فى حين سيطرت النخبة اللبنانية على الصحافة أما النخبة الفرنسية فقد ارتبطت بشركة قناة السويس ، أما البريطانيون ونخبتهم المحلية فقد كانوا من علماء الآثار والمصريات خاصة منذ أيام معاهدة كرومر – كيتشنر أثناء إلغاء الحماية البريطانية أمثال السيد توماس روسيل باشا الذى كان رئيسًا للبوليس فى القاهرة وقد اكتسب روسيل شهرة واسعة منذ أن قام بدور كبير فى كشف مخابىء الهيروين والأفيون التى كانت تُخبأ فى بطون وأمعاء الجمال حيث قام ببقر بطون هذه الحيوانات .

لقد كان رجلًا عاديًا من الشعب على عكس لامبسون فقد كان فى بيته مثلما كان فى السفارة (إن وظيفة الأخير العنيفة قد أعطتها مناخ الأول) .

هذه هى حالة المجتمع الذى قسمته القيادات العسكرية البريطانية أولًا ثم الأمريكية . لقد كانت القاهرة فى أواخر ١٩٣٩ وأوائل ١٩٤٠ واحة السلام والحفلات – بدون سقوط أو انفجار أية قنابل فى أى مكان – ومع ذلك فقد استمرت المكائد حتى فى

الأعياد . فعلى سبيل المثال فى يناير ١٩٤٠ أقام الأمير محمد على حفلًا يضم البريطانيين والفرنسيين ، والأتراك (الذين كانوا مع الجانب اليمينى فى الحرب) فى قصر المنيل فى جزيرة الروضة على ضفاف نهر النيل بالقرب من منطقة جاردن سيتى .

وفى الحفل ، تحدث الملك فاروق مع السير لامبسون عن أخبار المزاد الذى حضره الرجلان وحيث أخبر فاروق لامبسون أن هناك صديقًا قديمًا للامبسون قد قام بإرساء المزاد أو العطاء لصالح الملك .

وقد كان فاروق يشير بعبارة « الصديق القديم » إلى الرجل الملكى المدعو فيروسى . وكذلك كتب لامبسون فى مذكراته « ويبدو أن الرجل كان إنسانًا قذرًا » . وقد قلت ذلك بناء على التعبير العامى وكذلك بناء على موضوع عرق المعاكسات الذى كنا نتحدث عنه .

وفيما بعد ذلك اليوم اتصل رئيس البروتوكول ذو الفقار بلامبسون فى السفارة وطلب منه عقد اجتماع عاجلًا ، ووصل ذو الفقار وأخبر السفير أنه كان خارجًا عن حدود الأدب حينما وصف أقرب مساعدى فاروق « بالكلب القذر » فادعى لامبسون أنه لا يتذكر إذا كان قد استخدم هذا اللفظ بالتحديد لكنه لم يستبعد احتمال ذلك .

« أنا أعرف أن الملك فاروق على معرفة ممتازة بالمصطلحات الانجليزية العامية والتعبيرات المجازية ولكن إذا كان الملك فاروق اعتقد أنى لم أناد أو أدعو ٧ بالكلب القذر فإننى كنت مهيئًا تمامًا للقول بأنه كلب لطيف أو أى نوع من أنواع الكلاب التى يفضلها جلالته .

وأعتقد أن ذو الفقار العجوز قد وجد نفسه متحيرًا بهذه الرسالة الحمقاء وبهذه الواقعة المضحكة حيث أشار هو ذاته إلى ٧ (فيروس) باعتباره من نفس النوع لكن هذا مثل واحد مما نعرفه بالفعل ، ذلك أن الملك فاروق يتعالى على نفسه لدرجة أنه أصبح مستحيلا .

لكن ليس مستحيلًا مثل رئيس الوزراء على ماهر الذى استمر فى إحباط لامبسون

المتعجرف . إن البريطانيين يحتاجون لبناء او إقامة البنية الأساسية لجيوشهم فى مصر ويحتاجون مساعدة السلطات المصرية للقيام بذلك . لكن على ماهر كان قد قام بطرد وعزل كل البيروقراطيين الموالين لبريطانيا أمثال رئيس شركة الخطوط الجوية المصرية الذى باع للجيش البريطانى حوالى ٢٠ ألف طن فحم ، وأحل محلهم بعض الفنانين الموثوق فيهم كما أعلن على ماهر أن القاهرة مدينة محايدة ومفتوحة ، الأمر الذى يحميها – فى ظل القانون الدولى – من التعرض للقنابل أو الهجوم عليها . لكن هذا الإعلان يتطلب ألا توجد قوات مسلحة لأية دولة أجنبية داخل حدود المدينة .

أما لامبسون وبعض الجنرالات فقد كانوا يحاولون نقل مقر قيادة البريطانيين بعيدًا عن القلعة وثكنات النيل إلى موضع فى صحراء الجيزة خلف الأهرامات .

وفى إهانة جديدة لأصحاب الأرض المضيفة (المصريين) رفض البريطانيون التحرك بل إن الخطوط الموجودة بين القصر والسفارة أصبحت أكثر ارتباطًا ومتانة ومرسومة بوضوح .

عندما جاء أنتونى إيدن – وزير الحرب – إلى مصر للترحيب بالقوات التى وصلت مع نيوزلندا واستراليا شعر لامبسون أن إدراك إيدن لفاروق يماثل إدراكه (أى لامبسون) له .

« فهو لا يثق فى الملك الصغير الذى يعتبر أنه من الصعب التعامل معه أو معالجة الأمر معه » كما أن رئيس الوزراء كان لديه على نفس القدر من الصعوبة وقد قام الأمير محمد على بمساعدة إيدن فى تقديره وتوقعاته حيث أصبح بسرعة طابورًا خامسًا ، فقد اهتمت به العائلة الملكية المصرية فى مواجهة البريطانيين . لقد وجه الأمير اللوم إلى فاروق حول على ماهر الذى كان محل تقدير واحترام حتى أن أخاه قال ذلك . « لقد استشهد به لامبسون ، فقد حاول الأمير توضيح طبيعة الشعب المصرى لإيدن ، « كيف أنهم يريدون معالجة ثابتة للأمور » ويعتقدون أنه متأكد من أننا لا نرغب فى إضافة المزيد إلى حيرتنا . إذا نحن عاملناهم بمرونة وهدوء فإننا

سنجد أن الأمر كله خارج إيدينا فى الوقت الذى يصبح من الضرورى لنا أن نتعامل معه » .

لقد أثبتت سنة ١٩٤٠ أنها سنة خيبة الأمل الشديدة لفاروق كما كانت سنة ١٩٣٨ لقد كانت الصدمة الأولى التى تلقاها فى أبريل هى عندما توقفت بنادق القصر عن التصويب بعد الـ ٤١ ، فقد وُلدت طفلة جديدة . فوُضع فاروق فى موضع يفرض عليه الاحتفالات وتقديم الطعام والمال للفقراء ، وسمى الطفلة فوزية على اسم أخته المفضلة والتى تعيش حاليًا فى طهران فهو يفتقدها بشدة . ولكن ليس بالدرجة التى يفتقد فيها وجود ابن له .

المشكلة أنه يوجد رجل آخر حيث تزوجت الأميرة شويكار الزوجة الأولى للملك فؤاد وسيدة الحفلات المفضلة فى القاهرة للمرة الرابعة واحدًا من ألد أعداء الملك فؤاد وهو سيف الله يسرى الذى تحول من ند حاقد إلى ند محب . وقد رُزقوا بولد أسموه « وحيد » وقد كان واحدًا من النخبة المصرية التركية الأكثر صلاحية للانتخاب كملك أو رئيس ، فقد حصل على الباكالوريا فى باريس وعمل كقائم بالأعمال في السفارة المصرية فى واشنطن ، كما كان قوى البنية حيث كان ماهرًا فى التصويب وركوب الخيل ، لعب (الجولف) كما كان راقصًا رفيع المستوى ولكن السبب الذى جعله يتزوج من امرأة بسيطة تكبره بعشرين عامًا كان غامضًا للكثيرين . لقد كانت المرأة هى الأميرة سميحة ابنة أخى الملك « فؤاد » كما كانت ابنة عم وحيد ، فالعائلة الملكية لمحمد على قد ترعرعت ونضجت بالتزواج فيما بينها ولذا ظهر بينها العته والاختلال العقلى .

والأميرة سميحة كانت ساحرة وغنية ، لكن وحيد يستأهل أكثر من أميرة مثالية فماذا عن الملكة الصغيرة ؟ ! .

لقد قابل وحيد فريدة فى حفل عيد ميلاد والدتهم والذى كان فوق العادة للملك فاروق فى قصره بالقرب من البرلمان . وقد كانت هناك ٣ فرق موسيقية لخدمة ٥٠٠

ضيف كما ظهرت الفتيات فى الزى البلدى مع تلال من الجمبرى وطيور الصيد وسجائر الدنهل للرجال .

فى البداية كان الاثنان مجرد أصدقاء وبعد ذلك تزوج كل منهما من العائلة المالكة .

ولكن فى القاهرة لم يحسم الزواج الأقاويل ، ولم يردع القصص حول الزنا وحياة الليل لقد كانت القاهرة باريس الشرق الأوسط ، لقد ارتبطت البنت الصغيرة بمداعبة أمها فجعلت الملك الصبى ذا الطبيعة الصالحة يغتاظ .

وقد انتهت الهدايا اليومية وبدأت الصراعات اليومية . لقد تراجع فاروق إلى التأكيد على مصاحبة انتونيوبولى الذى كان سيأخذ فاروق إلى أوبرج الهرم ليعاكس فتيات العرض الأوروبيات ، وينسى أحزانه فى شراب البرتقال المبرد فى الثلج .

لقد طلق فاروق فريدة بسبب خيانتها ، والطلاق فى الإسلام يعتبر رخصة وامتيازًا من حقوق الذكر البسيطة . لكن فاروق كان يأمل أن يبعد وحيد يسرى بحيث تعانى فريدة من حالات المراهقة وأعراضها . وبحيث تظل غير مرتبطة ويسهل رجوعها إليه . وبعد كل ذلك فقد كان فاروق يحتاج إلى وريث بالإضافة إلى جو من الاحترام والتقدير ، ذلك الجو الذى كانت فريدة تستطيع أن تقدمه .

فالشعب المصرى يهيم بالقصص والحواديت الخيالية عن الجنيات وحياتهم والتى كان من المفترض أن فريدة وفاروق يعيشانها . ولذا لم يستطع فاروق الملك أن يدمر هذه الصورة بالطلاق . ولم يصرح بالفشل كزوج حتى لا يعطى لأعدائه وخاصة البريطانيين منهم فرصة يستغلونها ويخططون بشأنها .

لقد كان فى ذلك الحدث تدمير لكل رجل مصرى مثلما كان تدميرًا لكل ملك مصرى أن يعرف أو يعتقد أن زوجته تفضل شخصًا آخر عليه وأنه لا يشغل قلبها بحبه وحتى عندما كان ابنًا وحيدًا فشل فى الفوز بحب أمه وشغل مركزًا ثانيًا فى قلبها . الفكرة الأساسية أن ملكته المقدسة المعبودة نازلى قد اتخذت حبيبًا منافسًا

لفاروق ، إنه المعلم والمربى المقدس لفاروق ألا وهو حسنين الذى كان متقلبًا .

إن جاذبية الملكة للرائد الدارس للطيران استمرت حتى عندما كان فؤاد الغيور جدًا ، على قيد الحياة ، لكن فؤاد كان أوتوقراطيًا قادرًا على إنهاء حياة كل من الزوجة والمعلم بشكل بالغ الضرر .

لقد بدأت القصص بشكل حماسى عن العائلة الملكية سنة ١٩٣٧ (رحلة الربيع الكبرى) لكن الأمر كان متكتمًا سريًا فقد كان حسنين مثالًا للحصافة فى حين أن نازلى كانت أقل من ذلك حيث جعلت حسنين رئيس حراسها ليقدم تقريرًا رسميًا على استمرار خصوماتهم .

لقد كان الخصوم مقربين جدًا لراحة ومواساة فاروق ولذا فقد جعل جواسيس قصره يعملون .

وفى إحدى الليالى ، جاء تقرير إلى الملك يتضمن أن والدته ومعلمه كانا فى حجرة الملكة فى الجزء المخصص للحريم فى قصر القبة ، بعض الأغبياء الحمقى قد اندفعوا إلى المكان الذى كان مقصورًا على الشخصيات الخصوصية ، أما فاروق فقد أمسك أحد مسدساته وجرى مسرعًا نحو الصالة المغطاة بالسجاد الأخضر الطويلة والمليئة بالبراويز وصور أسلافه المبجلين العظام والذين كانوا يتبرمون فى قبورهم - كما كان يعتقد - من الخجل والعار الذى كان يواجهه فاروق . لقد اندفع فاروق فجأة إلى حجرة نوم أمه وبدلًا من أن يضبطها فى منظر فاضح ، فقد وجدها فى كامل ملابسها حيث كان حسنين جالسًا يروى لها بعض آيات القرآن - وليس يروى قصائد غزلية من آلهة الحب عند الهندوس أو فقرات حب من عمر الخيام .

لقد افتقد الإحساس بالوقت بالرغم من أنه مازال يوجه لهم التحذير الذى كرره فى مذكراته فى مرحلة ما بعد المنفى .

إذا لم يتوقف ذلك ، فإن واحدًا منكما سوف يموت ، إنكم تفضحون ذكرى

والدى ، وإذا انهيتها بقتل أحدكم فإن الله سيسامحنى كما هو معروف فى شرعنا المقدس الدينى وكما يعرف كل منكما .

لكن الجانب المستفز فى الموضوع هو أن حسنين كان قد تزوج بالفعل من العائلة الملكية ، إن زوجته لطيفة يسرى ، أخت وحيد يسرى ، ويبدو أن كل الطرق تؤدى إلى والدتهم الأميرة شويكار والتى كان فاروق يعتقد أنها أفضل أصدقائه . لقد أعاد فاروق الأميرة إلى مكانتها الكاملة فى القصر وحثها على التشجيع الجاد للحكم أو القضاء العادل للملك .

ولكن هل تحاول الأميرة تدمير فاروق من خلال نصل مفتاح شباكها الأسود الخاص بالانفجارات الخطيرة ؟ هل تحاول إتمام انتقامها من الملك فاروق الذى بدأه أخوها المجنون أحمد عندما أراد قتل زوجها المكروه الملك فؤاد لقد كانت عائلة محمد على تعانى من النفور .

فقد كان الأمراء والنبلاء فى البلد يحقدون على تولى فؤالد العرش ويعتقدون أن البريطانيين هم الذين توجوه . كما كانوا ينقمون على عودة العرش إلى ابنه فاروق .

وإذا كانوا فى الخارج ليستقبلوا فاروق فإن سنة ١٩٤٠ قد منحتهم هذه الأمنية لقد حصل فاروق على العرش من ملكتين وبطل طيران .

وبينما كان الأمريكان مستمرين فى تجنب أحداث الحرب فقد اهتموا بمشاهدة أفلام شارلى شابلنthe great dictator فى القصور المجهزة ، أو قراءة كتاب جديد لهيمنجواى والذى انعكس على غزور هتلر لاسكندنافية والذى جعل الدول الضعيفة أكثر ضعفًا وانخفاضًا ، حيث هزم القوات البريطانية فى دنكيركDunkirk واحتفل بهذه المناسبة مع الشمبانيا خاصة عندما أخذ باريس .

وبالرغم من أن السيد مايلز لامبسون قد استمرت محادثاته مع بيت سافوى من خلال الدوق الكبير الذى كان يعتقد أنه حليف مؤيد وأنه قد سُحب أو جُرَّ إلى العجلات الحربية لألمانيا وقد أعلنت إيطاليا الحرب رسميًا على بريطانيا فى ١٠ يونية .

وقد أمر سفير إيطاليا فى مصر بإغلاق السفارة ومغادرة القاهرة وهو السيد 'Count Maxxalini' وقد اضطر السفير لإطاعة الأمر لكنه وعد مساعديه بالعودة خلال أسابيع قليلة .

ومن ناحية أخرى صدرت أوامر بإطفاء أنوار الاسكندرية ليلًا حيث أصبح من المتوقع أن تبدأ الهجمات الجوية فى أية لحظة . الأمر الذى أثار أزمة ثقة بين بريطانيا وفاروق وحكومته . وفى ١٧ يونية اندفع لامبسون إلى الاسكندرية حيث كان فاروق يقضى أجازة الصيف فى المنتزه وقد عرض الأمر على الملك مباشرة . وقد كان على رئيس الوزراء على ماهر أن يذهب (يستقيل) وكذلك الفريق المصرى الرئيس الحالى لأركان حرب الجيش المصرى كان عليه أن يذهب - بل إن فاروق ذاته عليه أن يذهر بمعنى يخلع) .

وقد عرض لامبسون على فاروق إقرارًا مشينًا حول تواطؤ القصر ، ذلك التقرير من الأمير البريطانى إيليوت كبير مسئولى البحرية فى الاسكندرية والذى ورد فيه أنه خلال أو أثناء الليالى المظلمة لوحظ أن ذلك يمكن أن يكون إشارة مفيدة للغواصات الإيطالية أو الحصول على اتجاه معين لإسقاط الألغام الإيطالية .

« لقد أعطانى الأدميرال إيليوت صورة فوتوغرافية تبين البيت الذى تأتى منه الأنوار » كتب لامبسون : « سلمت الملك نسخة من تقرير إيليوت والصورة التى اضطرب الملك عندما وقعت عيناه عليها حيث إنه تأكد أن هذا البيت محل النزاع هو قصره الذى كنا نجلس فيه فى هذه اللحظة » .

إن الحالة الجيدة والسعيدة التى كان عليها الملك فى البداية قد زالت تدريجيًا خلال فترة المقابلة وخاصة عندما أخبره لامبسون بأن على ماهر قد تم استبداله وحل محله عدو فاروق وخصمه النحاس .

ولقد شرع فى استشارة النحاس الذى كان قد أهان جلالة الملك وسبه من على نفس الكرسى الذى جلست عليه . وفى وقت ما أكد أنه باعتباره ملك مصر فإنه

مكلف بحماية أهله وشعبه بعيدًا عن الحرب فى الجانب الخاسر وقد أكدت على هذا القول حيث إن مصر - معنا - ستعوم أفضل وتحقق نتائج إيجابية .

وقد وبخ لامبسون فاروق لإهماله واللامبالاة لوجوده فى الاسكندرية فى الوقت الذى كان فيه العالم يشتعل وطلب منه (بدون إبداء تهديدات مباشرة) أن يحمل نفسه ويعود إلى القاهرة وينفذ توصيات لامبسون . والتى كان أهمها النصيحة الخطيرة لعلى ماهر .

أنهى لامبسون الاجتماع بقوله « أنا أكرر أنتى آمل أن يدرك أننا كنا جادين بشكل مميت » لقد قال إنه يعرف كل ذلك جيدًا وأنه جاد بالفعل أيضًا .

وفى الخامس والعشرين من يونيه ، اندفع الجنرال وافيل 'Wavell' إلى السفارة البريطانية فى القاهرة يحمل بعض الإشاعات بأن الملك فاروق ينوى مغادرة البلد جوًا (بالطائرة) وأن لامبسون يريد أن يطلق عليه الرصاص ويسقطه أو على الأقل يقبض عليه قبل الرحيل . وقد أراد وافيل من فاروق أن يذهب ليبين ويوضح أنه جبان لأنه ترك بلده وقد بدأ لامبسون ثابتًا حيث كان ينفذ أوامر وزارة الخارجية الخارجي فى عدم السماح لفاروق بالذهاب إلى إيطاليا حيث يمكنه أن يصبح مدعيًا ومطالبًا بعرش مصر .

وحتى بالرغم من أن وافيل كان حاد الطباع فإن لامبسون قد أصر على أن لا يسمح للولد (فاروق) بمغادرة البلاد ، ووافق على تحمل المسئولية الكاملة فى القبض على الملك ، لكن الصبى (فاروق) لم تكن لديه مثل هذه النوايا ، ففى ٢٨ يونيه عاد إلى القاهرة (إلى قصر عابدين) ودعا لاميسون لاجتماع عاجل و لم يستطع أن يبدو رحيمًا عطوفًا مع ذلك الرجل ، الذى كان يسعى لعزله وسجنه وبصفة خاصة لأن لاميسون كان يؤكد دائمًا أنه موال لبريطانيا .

لقد عزل على ماهر لأنه استغرق وقتًا قصيرًا قبل تعيين النحاس الذى أخبر لامبسون أنه كان مليئًا بالخطط والأنماط البلشفية .

وبدلًا من ذلك فإن رئيس الوزراء الجديد هو ابن عم الملكة نازلى (حسن صبرى) والذى كان وزيرًا سابقًا شديد الميل للانجليز ، بينما الفريق المصرى كان يركز على الرحيل وبغض النظر عن موضوعه مع نازلى فقد أصبح حسن رئيسًا لمجلس الوزراء لعدد من الأسباب أقلها أنه كان رجل أوكسفورد لقد عين مجلس الوزراء الجديد لفاروق مجموعة من الوزراء الموالين لبريطانيا . ولذا كان لامبسون سعيدًا « لأنه فاز » .

وفى برقيته لوزارة الخارجية كتب « كان الملك فى حالة مهذبة وأكد لى حسنين أنه يعرف أنه ليس لديه إلا حيز ضيق للتصرف وأنه سوف يتصرف بنفسه حينئذ . لكن الكلمة الأخيرة لفاروق وحتى لو لم يواجه بها لامبسون مباشرة .

وبالإشارة إلى الجذور الإيطالية لليدى لامبسون والحقيقة القائلة بأن والدها كان يخدم موسولينى كفيزيائى ورئيس لجيوش الدوتشى .

قال فاروق « سوف أتخلص من الإيطاليين إذا تخلص هو من زوجته » . لامبسون لديه الآن فكرة ثابتة مؤداها أن الشيء الوحيد الذى يمكن فعله هو الإطاحة بالولد « فاروق » تلك الفكرة التى أبلغها لوزير الشئون الخارجية « أنطونى إيدن » خلال زياراته المتعددة للقاهرة . . ولمساعدته ضد الولد (فاروق) قام لامبسون باختلاق بعض الحكايات والأساطير السلبية عن فاروق تلك الأساطير التى لاقت قبولًا وثقة بمصدرها . وأهم هذه القصص المفضلة لديه هى أن فاروق كان يلازمه كابوس يتمثل فى أنه يتصور أن هناك مجموعة من الأسود تجرى وتطارد الملك .

ومع مقتل فرويد ، استشار فاروق على ماهر لتفسير هذه الأحلام وقد جاء التحليل النفسى – السياسى لهذه الكوابيس بأن الحيوان المفترس الذى كان يظهر رمزًا للمضطهدين والظالمين البريطانيين لفاروق .

وتبعًا لهذه الرواية فإن فاروق قد ذهب إلى حديقة حيوان القاهرة ليلًا وقتل كل الأسود الأسيرة هناك لطرد الأشباح والعفاريت التى يراها ليلًا .

قصة أخرى اختلقها لامبسون شملت نزع ملكية الإيطاليين بمجرد أن أعلن موسوليني الحرب ، فقد تم نقل الخزانة الرئيسية للبنك الإيطالى الواسع والتى أمر فاروق البخيل بنقلها إلى بدروم قصر عابدين وقد وجدها فرصة للحصول على المال بدون مجهود أو عمل فقد قام ستة من الخدم النوبيين بوضع الخزانة أسفل الردهات والسلالم ، ثم قاموا بفتح أقفالها على يد متخصص وقاموا بتوزيع الأموال السائلة (النقدية) والذهب وقد ابتهج فاروق بهذا وأراد أن يشكر الخدم على المجهود الذى بذلوه .

فقام بوضع وإحضار دلو ماء إلى البدروم ووضع حفنات الذهب داخله ثم طلب من النوبيين الذهاب للصيد وسوف يتنافس هؤلاء النوبيون فيما بينهم على الذهب حيث قام كل منهم بهز الآخر لخطف حفنة أكبر من الذهب .

لكنهم حينئذ هبوا واقفين يصرخون وأيديهم خالية . لأن السائل الموجود فى الدلو لم يكن ماء وإنما كان فيه حامض . لدرجة أن جلد ذراع النوبيين قد احترق فلما عادوا أخذ فاروق يزمجر ضاحكًا على جزاء خيانة خدمه والشكر الذى قدمه لهم لم يكن جيدًا .

لم يذكر لامبسون فاروق بأى خير لأى شخص يعبر أو يمر بالقاهرة فالعديد من هؤلاء عابرى السبيل كانوا شيقين بالفعل من أمثال الملوك كاللورد موتنباتن واللورد أستور وأمثال الجنرالات نويل كوارد وإيفلين واف إلى كريمت روزفلت . لقد كان روزفلت واحدًا من المهندسين المخططين لوفاة الملك فاروق أو انتقال ملكه إلى آخر . وهذا يتمم ما أراده لامبسون ولم يستطع القيام به .

لقد كان سعيدًا لكنه كان فى حالة سبات . لقد كان رزوفلت متضجرًا من ابن عمه فرنكلين الذى ورط أمريكا فى الحرب ولذا فقد انضم روزفلت إلى الجيش البريطانى برتبة ميجور وهذا عمل جرىء جيد لرجل فى مثل سنه وفى وضعه فى أمريكا كما أكده لامبسون ونظرًا للإجماع على طرد فاروق ، فإن فاروق لا زال

لا يستطيع نشر الفكرة وإبلاغها إلى الجنرال وافيل قائد الفرق فى الشرق الأوسط والذى رفض أن يتحرك من موضعه . لقد خشى هو وآخرون إذ إنه لم يكن متأكدًا أن الدولة ستسلم بذلك (أى لطرد الملك) وتخضع للأمر . . وتساءل كيف سيكون رد فعل حركة شباب القمصان الخضر المعادية لبرطانيا ، وهكذا . . لقد كانت أطروحة لامبسون أن فاروق دمية غير موالية وغير مخلصة للنازية أو الفاشية لا تستطيع ببساطة أن تلعب عليه لصالحهم .

لكن لامبسون كان فقط مُنظرًا أى يطرح أطروحات نظرية ولم يكن لديه دليل واضح على ذلك . فلقد كان فاروق دائمًا يسير معه (حالًا أو فيما بعد) . لذا فكان عليه أن ينتظر حتى تظهر الفرصة الحقيقية للتخلص من الولد والانقضاض عليه .

الحكومة الجديدة الموالية لبريطانيا بقيادة رئيس الوزراء حسن صبرى كانت قصيرة الأجل ، ففى نوفمبر سنة ١٩٤٠ ارتقى صبرى المنصة فى افتتاح البرلمان ليلقى خطبة الملك . وكان فاروق – كما هى العادة – يجلس خلفه ويستمع وبدأ صبرى يخطب ثم توقف قليلًا والتفت ناحية الملك ثم أخذ يلهث وسقط .

ولما التف حوله وزراء الدولة ، حضرت وصيفة ومعها شمعة تحترق أى مشتعلة ووضعتها بالقرب من أنفه وكان ذلك لاختبار إذا ما كان لديه أى تنفس يمكن أن يجعل الشمعة ترتعش أو تنطفىء . لكن لم يكن هناك أى نفس فحمله بعض الوزراء بعيدًا ثم أكمل وزير آخر الخطبة واستمر العرض . وقد جاءت التقارير الطبية تؤكد أنه مات بأزمة قلبية . وقد أحل فاروق خال فريدة (حسين سرى) محله وهو ذلك المهندس ذو التنشئة والتدريب فى بريطانيا والذى عمل فى بداية حياته العملية كوزير للأشغال العامة والتجارة .

وإلى جانب تربيته الانجليزية فقد كان الاختيار الأول لدى لامبسون هو النحاس . لكن فاروق كالعادة عارض النحاس وطرح فكرة إعادة على ماهر . لكن هذا العرض قد أثار لامبسون وجعل سِّرى يبدو أفضل من غيره بالمقارنة .

إن كل شيء يمر بسرعة في حياة فاروق ما عدا ما يتعلق بعمره كحاكم عنده ٢٠ سنة ، لكن الآن نجده بدأ يفقد شعره وشكله ونظراته بل وزوجته وأمه وعرشه . الشيء الوحيد الذي لم يفقده هو أصدقاؤه لكنه في الواقع لم يكن لديه صديق باستثناء أنطونيو بولي الذي كان صديقًا ليوم الجمعة فقط فهو أكبر منه بحوالي ٢٠ عامًا ، كذلك علي ماهر كان أكبر منه سنًا ويشبه الكاهن اليوناني وحسنين الرجل الحكيم . فاروق لم يكن لديه صديق يقترب منه في صغر السن ويشاركه في مشكلاته . فإن حياته الملكية الحبيسة قد عزلته تمامًا عن حياة المراهقين وواقعهم وأفراحهم وآلامهم . فلم يعش هو حياة المراهقة . وإنما واجه أزمات منتصف العمر بدرجات خيالية .

عام ١٩٤١ كان عامًا مليئًا بالأحداث العظام لكل واحد ما عدا فاروق ، ففي فبراير فاز الجنرال وافيل وأحرز نصرًا مؤزرًا في بنغازي ، (ليبيا) حيث جاء بمدد إلى المصريين الموجودين في الصحاري الغربية والذين تعرضوا لقصف القنابل بالطائرات الإيطالية . لقد كانت النجدة (المدد) واسعة النطاق لكنها قصيرة حيث دخل الجنرال روميل حالًا في غزو شمال أفريقيا لصالح المحور في حين أن الألمان قد فوجئوا بذلك أما بريطانيا فقد سارت على نهج موسكو في الحقد على القاهرة . لذا فقد بدا للألمان أنهم لا يستطيعون الوقوف على كل جبهة وخاصة بعد أن ضربت اليابان ميناء بيرل هاربور بالقنابل في ٧ ديسمبر بحيث أرغمت الولايات المتحدة على الدخول إلى حلبة الصراع .

وإذا بدا أن آلة الحرب الألمانية متفوقة على آلة الحلفاء فإن الاختلاف في آلة الدعاية كان مجالًا لمقارنة Mercedes بـ Austin . وقد كتب جرافتي سميث السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية في مذكراته « **إن الألمان لديهم خطين بسيطين للدعاية في مصر أثناء الحرب أولهما أن هتلر كان مسلمًا وولد في مصر (وقد رأيت منزل والدته في طنطا) وثانيهما أنه عندما يكسب الحرب فإن الرجل الفقير سيحصل على أراضي الرجل الغني وقد كانت هذه المحاور مؤثرة وفعالة للحديث بشأنها . بالإضافة إلى انتصار محمد حيدر الذي كان معروفًا على المستوى المحلي والذي**

كان يدعو إلى ذلك فى كل قرية » .

وبعد انتصار الجنرال وافيل فى بنغازى وقبل الهجوم الرئيسي للمارشال روميل قام جرافتى سميث المسئول عن قسم الدعاية فى السفارة بمجهود لإظهار أن الألمان ليسوا عنصرًا ساميًا أو سيدًا قائدًا .

وذلك بعرض المسجونين الألمان الأول فى الحرب فى شوارع القاهرة بدلًا من نقلهم كما كانت الإجراءات الطبيعية – فى عربات لورى مغطاة . ومع ذلك ولسوء الحظ فإن صورة الألمانيين أصبحت أقوى مما كان لأن ، الجماهير كانت تصدق أذنها ولا تصدق عيونها وكما كتب جرافتى سميث :

« يبدو مهمًا بالنسبة لى أن القاهرة كانت سترى هؤلاء الشباب المعروضين بعد هزيمتهم وتزيل بالتالى اعتقادها وإيمانها بالجنس السامى أو عنصر الرجل الخارق وقد اتفقنا جميعًا على ذلك وتم العرض بالفعل وقد حضر إلىَّ واحد من وكلائى فى نفس المساء وتوسل إلىَّ بألا أسمح (العرض) مرة أخرى . حيث كان يحلق ذقنه على أيدى حلاق عمره ٨٠ عامًا على حصيرة على الرصيف . وقد سأله العجوز بهمس إذا كان يعرف محمد حيدر الآن فى مصر . نعم . . لقد كانت تلك حقيقة مؤكدة . فقد كان بين الألمان الذين عبروا المدينة هذا الصباح وقد عارض الوكيل ذلك قائلًا إنه مستحيل ثم سأل : وماذا عن المحاربين البريطانيين ببنادقهم والذين كانوا يسيرون إلى جانب الألمان ؟

لقد كانوا يوضحون له الطريق . . كما قال الرجل العجوز . لقد كان الحنين إلى محمد حيدر مثلمًا كان الحنين إلى المسيح حيث لم يكن لديه شيء يفعله بالنسبة لإعادة التوزيعة الاقتصادية أكثر من إحضار أكثر من ١٠٠ ألف جندى بريطانى إلى القاهرة .

فقد حوَّل المحاربون الآتون من برمنجهام إلى برسبان القاهرة المسالمة العظيمة إلى مباراة كرة قدم ليست لها نهاية . . لقد أزعجوا سيداتنا وكدروهم وأهانوا رجالنا

وقاموا بجرائم تخريب الآثار بمالها من أضرار عامة .

وعندما قام رئيس الوزراء ونستون تشرشل الذى حل محل نيفل شامبرلين الذى توفى سنة ١٩٤٠ بإلقاء خطبة ، قال فيها إن مصر « تحت الحماية البريطانية » لقد كانت هذه الخطبة أكثر إيذاء من التصرفات السوقية لإحد السكارى . وبالرغم من أن القاهرة قد استغنت وتجنبت الهجمات الجوية للمحور وأى خسائر أو تخريب يتبعها ، فإن اتفاقية الحماية البريطانية للملك وللدولة قد خلقت نوعًا من السخرية والاستهزاء بفكرة استقلال مصر وسببت جرحًا نفسيًا عميقًا على كل مستويات المجتمع .

ولكن . . أصلًا هل هذه الجروح تؤثر بنفس الدرجة على المسئولين الشباب فى الجيش المصرى والذى لم يُسمح له بممارسة دور فعال فى الدفاع عن مصر .

وكل ما كان يفعله المحاربون المصريون هو الوقوف فى الحراسة حول قناة السويس والمدافع المضادة للصواريخ ضد الهجمات التى لم تتم بعد ، وكذلك كان بعضهم فى دوريات حراسة على حدود الصحراء المهجورة .

بل إن المهمة الأخيرة قد مُنعت عنهم ونُزعت منهم عندما بدأ روميل فى تقدمه . ففى أبريل ١٩٤١ أمرت بريطانيا وحدات الجيش المصرى بالرجوع من على الحدود واستبدالت بهم قوات الحلفاء . فإذا كانت بريطانيا تشك فى كفاءة المصريين وولائهم فإن ذلك فى غير محله . وبذلك فقد أهين المحاربون الأُصليون كلية .

لكن هذه الكراهية قد تم تخفيفها على يد على ماهر الذى ما زال يعاتب نفسه على عدم قوته العضلية كرئيس للوزراء . لقد انضم ماهر إلى رئيس المجموعة الفريق عزيز المصرى ليكفل مجموعة خاصة للمسئولين الرسميين معروفة باسم الدائرة الحديدية والتى تضم جمال عبد الناصر وأنور السادات والذى احتفظ فى ذلك الوقت بنظارة لعين واحدة وشعر مقصوص وعصا فاخرة تعبر عن اتجاه معاد للبريطانيين ومؤيد للألمان .

وفى وقت معين فقد تورط السادات فى محاولة لمهاجمة عزيز المصرى وإرغامه على ترك مصر ليلحق بالقوات الموجودة مع الألمان فى العراق . لكن الطائرة سقطت . وقد تم القبض على الرجال الذين نجوا منها وقبل عقد المجلس العسكرى أُذيع أن مسئولًا بريطانيًا عالى المستوى ، ومسئولًا عن العمليات السرية قد قابل المصرى بشأن بعثة معادية للنازى تذهب إلى العراق لتقوية الروابط البريطانية هناك .

وقد أكد ذلك بفظاعة الحيرة بالنسبة للمجموعة ولامبسون . ونظرًا لذلك فقد شارك البريطانيون فى هجوم ضد المصرى والسادات لالتقاطهم والقبض عليهم بعد ذلك بعدة سنوات .

وفى نفس الوقت فإن حسن البنا الماقت للإنجليز والذى عمل مصالحة بين المصرى والسادات قد تعرض للنفى إلى مزرعة فى صعيد مصر عندما أعلن الإخوان المسلمون عن ريبتهم وشكوكهم فى الخطة لقطع خطوط الاتصالات البريطانية أثناء هجوم روميل المتوقع وقد ترك ذلك على ماهر باعتباره رئيس وقائد الدعاية لمقت الانجليز .

وفى أبريل ١٩٤١ قدم رئيس الوزراء سرى إلى على ماهر رسالة إلى السفير المصرى فى العاصمة واشنطن لإبعاده عن الدولة . لكن على ماهر لم يسلم بهذه الرشوة الصريحة . فعندما صرح سرىّ إلى ماهر بأن البريطانيين قد نصبوه سفيرًا هناك فقد اغتاظ فاروق حيث وجد أنه قد فقد إخلاص وولاء خاله بالمصاهرة وعليه أن يبحث عن رئيس وزراء جديد .

وفى نفس الوقت فقد استمرت مشكلات عائلة فاروق حيث إن الملكتين لم تنقلبا عليه فقط وإنما انقلبت كل منهما على الأخرى .

ذلك أن عضو مجلس العموم الوديع المطيع البشوش الذى كانت نازلى تستخدمه للمحافظة على هيبتها وتعظيمها لم يصبح الآن محل تقدير . وعندما قامت العائلة الملكية برحلتها الشتوية السنوية إلى فندق كتراكت بأسوان أعلنت كل من نازلى

وفريدة الحرب . حيث كانت نازلى تأتى متأخرة للغذاء الأمر الذى كانت تعتبره فريدة إهانة لذا فلم تكن فريدة تنزل على الإطلاق لتناول الغذاء ، وأكثر من ذلك فقد نقلت فريدة حجرتها لتعلو صالون العشاء الخاص بالفندق مباشرة .

وعندما وصلت نازلى أخيرًا ، اختفت فريدة التى كانت تعانى من المرض والتوعك . أو تدعى ذلك . ثم قامت هى والسيدات اللاتى فى مرحلة ما بعد المراهقة بتشغيل الفونوغراف بصوت عال ، وبدأن فى الغناء والتركيز على الأجزاء الأخيرة فى الأغنية لقد كان الضجيج مثل الزلزال الذى جعل من المستحيل أن تستطيع نازلى أن تتحدث أو تسمع أو حتى تهضم طعامها . وقد ترك فاروق الملكتين فى أسوان وأتم رحلته وأجازته مع أنطونى بولى فى البحر الأحمر .

فى ١٩٤١ قابل فاروق إيرين جونيل وبدأ مشكلته غير الجنسية معها أى بدأ ممارساته اللاجنسية معها فى محاولة لنسيان فريدة لكنه لم يستطع بقلبه ولا بأجهزة جسمه . لقد كان فى سن العشرين فقط ، لذا فإن العزلة الطويلة فى القصر قد اكسبته خبرة قليلة فى التعامل مع النساء أو البنات أو أى إنسان آخر بشأن هذا الموضوع (الجنسى) . فقد تركزت تربيته الصارمة على الأشياء وليس على التعامل مع الناس ، ولذا فقد كان هذا هو السبب الذى من أجله كان يجمع كل شىء بداية من القانون النابليونى وحتى علب وزجاجات فحم الكوك .

ونظرًا لأن شهر العسل مع فريدة قد انتهى بسرعة فإن تذوق فاروق للقصة (الحب والمعاشرة) كان حلوًا أو عسلًا وحمضًا . ويبدو أنه ليس لديه فكرة عن كيفية الاستمتاع بأى أمر آخر أكثر من رش الماء فى حمام سباحة القصر على أصدقائه الجدد .

فاروق وإيرين لم يكونا أنطونيو وكليوباترا وإنما كانا Dick و Jane ولقد كان لفاروق اهتمامات أخرى أكثر من الحب وأهمها العمل على البقاء على العرش ، إنه يعرف أن البريطانيين يريدون أن يطردوه ويخلعوه وقد رأى ما فعلوه مع شاه إيران فى صيف

١٩٤٦ . إن حلفاء بريطانيا وروسيا الذين صُدموا بهتلر لم يرغبوا فى حضور آلاف الألمان إلى إيران ولم يرغبوا فى إعلان الشاه بأن إيران دولة محايدة فى حين إن النازيين كانوا فى ضواحى موسكو .

لقد أرسل البريطانيون جيشًا غازيًا إلى إيران عن طريق الهند للاستيلاء على البلد وإجبار الشاه على توقيع مرسوم بالتنازل عن العرش لأسباب تتعلق بالصحة . وحينئذ قام البريطانيون بترحيله على مركب بطيئة إلى موريشيوس ، وقد سمحوا لصهر فاروق – محمد رضا – بأن يخلف والده . لكن فاروق علم أن الرابطة الامبريالية القوية كانت مجرد وهم فقد جرب البريطانيون العملية فى إيران كما كانوا ينوون تجريبها وإجراءها فى مصر للتخلص من فاروق .

فقد وصفوا فاروق بتعاطفه مع النازى والحقيقة أن فاروق كان لمصر ولم يكن لألمانيا أو انجلترا .

وإذا كسب محمد حيدر الحرب فإن فاروق سيكون حقيقة فى خطر عظيم يهدد بخلعه خاصة عن طريق تدخل عائلته الخاصة . فإن ابن عمه عباس حليم كان مواليًا للألمان فى حين كان عمه على مواليًا للبريطانيين .

إن بطل الطيران الألمانى حليم فى الحرب العالمية الأولى كان مؤمنًا بالاشتراكية القومية كما كان مخطط ومهندس إضراب سبتمبر ١٩٤١ . وقد تدخل فاروق لوقف الإضراب الذى جعل حليم هو الصديق العزيز للرايخ الثالث .

لذا فالملك فاروق لا يثق فى هتلر أبدًا بعد ذلك أكثر مما فعل لامبسون . وهناك مرشح ألمانى آخر لعرش فاروق هو الخديو السابق عباس حلمى الذى خلعه البريطانيون ١٩١٤ عندما كان فى رحلته وإجازته الصيفية فى البسفور . لذا فقد بقى عباس حلمى فى استانبول ينذر بالعودة إلى مصر ، وفى ١٩٤١ وهو ما زال على قيد الحياة فى تركيا ، كان يدعى أنه مسنود من قبل بعض الأتباع الأساسيين فى العائلة المالكة فى مصر والذين كانوا منذ البداية يتكرون على فاروق بعض سلوكياته فى شبابه وشعبيته .

وفى نفس الوقت كانت أسرة محمد على الملكية قد أصبحت حقيرة منافسة حقودة مثل الثعالب الحقيرة . لذا فإن فاروق لم يكن راغبًا فى إقحام دولته فى أحضان هتلر . إن تربيته السياسية على يد السيد مايلز لامبسون قد علمته كيف يعرف الأوتوقراطى عندما يراه . وحتى بدون نشر أو تعميم الأحزاب فإن مصر كانت فى اضطراب كاف فإن التواجد البريطانى فى مصر قد سبب تضخمًا فظيعًا ، فى حين ظلت أجور الفلاحين كما هى فلم يستطيعوا مسايرة الأسعار الصاروخية للسلع الضرورية مثل الطعام والدواء والكيروسين ، أما السفير لامبسون فقد تعامل مع الارتفاع الجنونى للأسعار ببيع « المانجو الخاص بالسفارة » والطيور التى كان يصطادها فى نزهاته الجماعية فى الفيوم . قال لامبسون : « دعهم يأكلون طائر الطهيوج » ، لكن الفلاحين لا يستطيعون الحصول على الفول أو تقديمه . بل إن المخابز كانت تخلط نشارة الخشب بالدقيق حتى الأيام الخالية من اللحوم قد تم تقنينها مؤسسيًا لذا فالجماهير كانت جائعة وغاضبة لكنهم ما زالوا يحبون ملكهم الشاب . إن قلاقل واضطرابات عائلة فاروق كانت مستترة تمامًا . بحيث إنه استمر فى زياراته للمساجد وتقديم المنح والهدايا للفقراء واستمر كذلك فى خطبه الملهمة الرنانة . فإذا كان هناك أحد يستحق اللوم فهم البريطانيون وإذا كان هناك أحد يجب أن يتحمل أخطاء وآلام الجوع لدى الجماهير فهو الدمية البريطانية رئيس الوزراء حسين سرى .

ومع المرابضة البريطانية على حافة الصحراء ومرابضة سرى على حافة القاهرة فقد وجد فاروق طريقة للتخلص من سرى وإعادة تعيين على ماهر كرئيس للوزراء . لقد كان لامبسون يدفع مصر لقطع جميع علاقاتها مع فرنسا الغاشية ويطرد بعثتها الدبلوماسية من القاهرة منذ اكتوبر ، لكن فاروق رفض واهتم بتأمين وسلامة ٣٠٠ طالب مصرى ما زالوا فى باريس .

وفى يناير ١٩٤٢ وبينما فاروق فى إجازته فى أسوان ، ضغط السفير لامبسون على سرى لقطع العلاقات مع فرنسا .

الأمر الذى أعطى فاروق الفرصة لقطع علاقته مع سرِّى الذى تعدى رئيسه

وخالف كل البروتوكولات الملكية .

وفى ٢٨ يناير استولى روميل على بنغازى وقام بهجوم جوى قاتل على الاسكندرية وقد تم نقل إمدادت الحلفاء التى كانت ترسل إلى مصر ومنها إلى الشرق الأقصى فيما بعد بيرل هاربور ، وقد فقدت بريطانيا اليونان حديثًا – وكان يبدو أنها من المحتمل أن تفقد مصر أيضًا ، لقد نصح على ماهر فاروق بأن يتبع سياسة الأرض المشتعلة البريطانية فى دلتا النيل فى الواقعة الظريفة الخاصة بضياع وفقدان روميل فى الصحراء .

سوف يتراجع البريطانيون وفى طريق عودتهم سيحرقون ويغرقون ويخربون الأرض الخصبة ولما كانت مصر غير مقاتلة ولا تستطيع أن ترى أى فوائد أو منافع – مطلقًا – من الوجود البريطانى وإحلاله بوجود ألمانى لا يبدو أنه اختيار أو بديل فاشل لكنه – بالتأكيد – أقل من أن يجعل الدلتا الغنية النفيسة خرابًا .

لقد عرف فاروق أن النحاس كان رجل لامبسون وأنه سوف يخرب أو يدمر أى شىء إذا كان الثمن مجزيًا وحقيقيًا . أما سرى فكان أكثر وطنية لكن فاروق ليس متأكدًا إلى أية درجة هو وطنى . إلا أن على ماهر كان هو السياسى الوحيد الذى يثق به فاروق والشخص المفضل لحماية مصر ضد الغزو الألمانى المتوقع .

لقد خرج بعض طلاب الأزهر والإخوان المسلمين إلى الشوارع ثائرين هائجين يحتفلون بتحريرهم المتوقع على يد روميل . ويعلنون : « يسقط البريطانيون .يحيا فاروق » ، ولما طلب حسين سرى من فاروق إرسال جيش لقمع الطلاب ، هز فاروق كتفه وعامل رئيس وزرائه بشكل لا إنسانى . وفى نفس اليوم قدم حسين سرى استقالته .

وقد تلقى لامبسون أخبار سرى أثناء رحلة صيد البط فى مطلع الفجر الرطب فى الفيوم فى فبراير (١ فبراير) فحزم حاجاته وعاد إلى القاهرة تَوًا . . .

وقد أخبر حسين سرى السفير لامبسون بأن الولد « الملك » غبى جدًا وأنه يشعر

بالرعب من وقت لآخر ويسعى لإنقاذ نفسه فقط » .

لكن لامبسون كان لديه قدر كاف من المناورات . « هل يجب علينا الذهاب لتخويف وإرهاب الولد (الملك الصبى) فى الساحات والاستراحات الدورية ؟ كتب لامبسون « وإذا حدث ذلك فإننى أشعر بأن قبولنا ورضاءنا يجب أن يعلن ويذاع » ويجب أن تعمل فارس (إيران) على تذكرة الملك فاروق بما سيحدث إذا تعرضت للضغط » . وعندما سأل لامبسون حسين سرِّى عمن يعتقد أنه سيخلفه ، أجاب سرِّى أرسل إلى الوفد ، فبرق لامبسون وكتب : « أنا قلت إن ذلك كان مثلًا للعقول العظيمة التى تفكر هكذا » فقبل الدخول لرؤيته توصلت بالتحديد لنفس النتيجة لكنها قد اكتسبت قوة أكثر بتدخله وبحكمته وامتيازه » لقد اشتعلت غيرة وحمية لامبسون حتى المهمة الموكل بها خاصة عندما كتب سرِّى تقريرًا حول ما أخبره به فاروق فى بداية مباراة الكراسى الموسيقية البرلمانية .

« لقد كسب السيد مايلز الدورة الأولى لكننى سوف أسقطه فى الجولة الثانية فكتب لامبسون كلمة واحدة فى مذكراته « وقاحة » .

الجنرال وافيل – الذى كانت لديه قوة محددة محدودة فى حماية لامبسون كى لا يتمكن من خلع فاروق – قد ترك الشرق الأوسط ليصبح قائدًا رئيسًا للقوى البريطانية فى الهند .

وقد كانت المواضع والمراكز التجارية مع من هو خليفته فى قيادة الشرق الأوسط الجنرال السير كلود أوتشنيليك المسئول الطويل الذى قضى حياته المهنية العسكرية كلها فى الهند لكنه كان يظهر ترددًا واضحًا » .

كتب لامبسون ذلك عند اختبار الأوامر والترتيبات حول الملك الصبى .

وقد كان أوتشينليك مهتمًا بأن الدولة يجب أن تقوم بتمرد ضد هذا السلوك الامبريالى . كانت فكرة لامبسون أنه يعرف مصر ولا يقلق بشأنها . ولأن the AUK كما يسميه لامبسون كان جديدًا فى مصر فإن السفير كان قادرًا على أن ينقل إنذاره

إلى الجنرال .

وكان على فاروق أن يوافق على تعيين النحاس رئيسًا للوزراء وألا يتحمل النتائج . ففى الثانى من فبراير ، ذهب لامبسون تلبية لاستدعاء فاروق الذى كان ودودًا أكثر من العادى . حيث اتفق جوهريًا مع لامبسون حول كل الموضوعات التى طرحها كما وافق على رؤية النحاس لاستشارته . . فعلى فاروق أن يعين النحاس كرئيس للوزراء حتى يتمكن من تشكيل حركة ائتلاف . لكن لامبسون لم يرد أى ائتلافات تتضمن أحزاب القصر وإنما كان يريد الوفد . . الوفد فقط . حيث إن الوفد الذى كان قد أصبح حزبًا قوميًا معاديًا لبريطانيا ، الآن قد وقع فى احضان عدوه القديم . لكن النحاس لن يكون شيئًا ولن يفعل شيئًا إلا إذا كان مرنًا .

وقد أخذ لامبسون استراحة من مفاوضات هذا المساء لحضور عرض جمعية الهلال الأحمر فى سينما مصر : « موضوع خطير خاص بالملكتين والسيدات التابعات لهن حاليًا » . وبعد ذلك عاد ليغسل جفنيه المتعبين لمدة نصف ساعة قبل النوم .

وفى اليوم التالى وفى جولة لقاءات مع حسنين والعرض على فاروق والنحاس والعرض على الوفد زادت حماسته . فاروق يريد حكومة ائتلاف .

أما لامبسون فيريد حكومة « فترة » وتعنى حكومة الوفد « أما حسنين فقد حاول كما هو معتاد أن يلتوى » . فكتب لامبسون : « لكننى أوضحت أن ذلك كان عملًا أى شغلًا » .

وفى ٤ فبراير التقى لامبسون فى مكاتب المجلس الحربى للشرق الأوسط مع الجنرالات والآدميرالات البريطانيين فى جاردن سيتى . لكتابة هذا الانذار : « إذا لم أسمع خلال السادسة مساء اليوم أن النحاس قد أمر بتشكيل الحكومة فإن جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل النتائج » .

وبفرض أن الملك فاروق سيرفض فقد كرر لامبسون والمسئولون . كلمة « النتائج » وقد دُعى الجنرال R.G.W. H saone قائد القوات البريطانية فى مصر لوضع

القوات حول قصر عابدين وقد قرر لامبسون و ستون النزول معًا لإجبار الملك على التنازل عن العرش . « من الواضح أنه يجب علينا أن نسحب الملك ونأخذه معنا » وكتب لامبسون « سواء كانت الاستقالة فى جيبى أو لم تكن » .

وحينئذ فسوف يأخذونه فى سفينة حربية ويرحلونه إلى الاسكندرية ومنها إلى منفاه فى سيشل .

وقد قام السير والتر مونكتون بكتابة وثيقة الاستقالة - وهو الذى وصل توًا إلى القاهرة كمدير عام للدعاية والخدمات الإعلامية البريطانية . وقد ارتجف لامبسون بحضور مونكتون .

« فقد كان هو الرجل الذى دبر استقالة الملك وكتبها . كما كان هو الشخص الذى كتب ودون الوسيلة التى من خلالها أصبح ادوارد فيل دوق وندسور . وبإقلاع فاروق إلى المحيط الهندى أصبح الملك الجديد هو الأمير محمد علي والذى كان منتظرًا فى أجنحة القصر لمدة طويلة . وقد كان لامبسون على اتصال بالمكتب الخارجي فى لندن حيث عبر انطونى إيدين عن سعادته بهذه الأخبار وهذا المشروع الجديد قائلًا بأنهم سيرونني فيما بعد وأنهم يعتقدون أنه من الجوهرى التثبت من الأمر هذه المرة عندما نتعامل مباشرة مع الملك بدلًا من أن نتصل به فيما بعد عن طريق رئيس الوزراء .

لقد تغير مكان المجلس الحربى ، وبينما كانت الساعة تدق وتشير إلى لحظة العزل والتنحى عن العرش كان لامبسون يتناول الغداء مع (ليدى ديارا كوبر دوف) اللذين كانا فى طريقهما إلى لندن من سنغافورة حيث كان يعمل كوزير للدولة .

وخارج الأزهر استمر الطلاب فى التظاهر والهياج يهتفون « يحيا روميل ، يحيا فاروق ، يسقط البريطانيون » وكانوا يغنون بينما قطع لورانس جرافتى سميث الغداء بتقرير عن أن طلاب مدينة الزقازيق قد حطموا زجاج المحلات وتعرضوا بالضرب للأشخاص الذين يُعرفون بأنهم يوزعون منشورات الدعاية البريطانية هناك . وبعد الظهر تأثر لامبسون بالأخبار التى تتضمن أن فاروق كان يحزم حقائبه ويخطط للهرب .

من أن لامبسون قد أمر بوضع رقابة على كل مطارات القاهرة فإنه تأكد أنه ليس من الممكن وضع حراسة على كل الطرق داخل وخارج المدينة .

وكتب لامبسون يقول : « **يمكن ويجب أن نتوقع المجازفة بالملك الذى قد يقوم بعمل سرير سرى فى أسفل السفينة (فى طاقة السفينة من أسفل) . وإذا فعل هذا فإنه سيدمر كل مبرراته ويمكن ألا يحدث ضرر بالغ** » .

لقد كان الشيء الرئيسي الذى يهم لامبسون هو إبعاد الملك وخلعه عن العرش . وفى قصر المنيل كان الأمير محمد على أيضًا يحزم حقائبه ويستعد لدخول قصر عابدين هذه الليلة . وبعد انتظار طويل بعد الظهر ، جاءت الساعة السادسة بدون أى نظر ولو خلسة من داخل القصر أو من أى مكان آخر . وفى السادسة والربع وصل حسنين إلى السفارة البريطانية يحمل الإنذار الأخير موقعًا عليه من ١٧ قائدًا سياسيًا شهيرًا .

« من وجهة نظرهم فإن الإنذار البريطانى يمثل نقضًا ومخالفة صريحة للمعاهدة الانجلو - مصرية بل ومخالفة لاستقلال الدولة ولهذا السبب وبناء على نصيحتهم فإن جلالته لا يستطيع أن يوافق على أى عمل ناتج عن مخالفة المعاهدة المصرية الانجليزية ، وقد تفرس لامبسون فى التوقيعات : « على ماهر ، أحمد ماهر . . المشتبه فيهم دائمًا . ثم وقعت عيناه تقريبًا بل وفرقعت جفونه تقريبًا حينذاك . ففى قائمة التوقيعات كان حسين سرى ومصطفى النحاس . . النحاس ؟ هل كان النحاس يراوغ ؟ لقد كان لامبسون عابسًا داكن اللون . وقد أخبر حسنين بأنه يجب أن يصل إلى قصر عابدين فى التاسعة تمامًا . وقد حاول حسنين إقناعه بالعدول للبحث عن حل ينقذ جميع الأحزاب المختصة . لكن لامبسون لم يكن مهتمًا بكلامه . وبعد طرد حسنين وعزله قام لامبسون بدعوة أمين عثمان الوزير السابق للمالية ذو التربية الغربية (فى أكسفورد) . والذى لعب دورًا هامًا من أجل لامبسون كوسيط بين البريطانيين والوفد . لقد صُدم لامبسون عندما وقع النحاس على القرار . ثم سأل لامبسون الوسطاء « هل ما زلت آمنًا ومطمئنًا فى الاعتماد على النحاس إذا ظللت

فى السلطة ؟

« قال امين إنه يراهن على كل ما يمتلك على أن النحاس سيظل ثابتًا وأنه يستطيع فقط أن يفترض أن هناك إجماعًا على الموافقة على القرار . وبتأكيد ولاء النحاس وطاعته من خلال عثمان ، قام لامبسون بارتداء واحدة من بدله البيضاء وثبت سلسلة ساعته وقرأ وبرهن على وثيقة الخلع التى كتبها والتر مونكتون ثم ذهب لتناول العشاء الأخير باعتباره سفير الملك فاروق « ليس من السهل على الشخص أن يدفع وينحى الملك بعيدًا عن العرش فهو لا يستطيع أن يكتم مشاعره وأحاسيسه الثورية » .

وعلى المائدة جلس مع لامبسون كل من جاكلين وأوليفر ليتليتون وزير الدولة من قبل تشرشل فى الشرق الأوسط وزوجته مويرا .

وعلى مائدة العشاء السريع ظهر منعطف جديد لم يلاحظه لامبسون حتى ذلك الوقت « ماذا يحدث إذا واجهنا فاروق بالموسيقى وأنزلناه واتفقنا على استدعاء النحاس . . هل سيكون لديه تبرير للاستمرار فى استكمال إجراءات العزل ؟ لم تكن لدى لامبسون أى مشكلة فيما يتعلق بهذه الجزئية لكن ليتليتون كان يفكر فى رد الفعل العام سواء فى مصر أو انجلترا والذى سيكون مخالفًا ومعاكسًا تمامًا لفكرة إخراج الملك الصبى واستقبالنا فى التاسعة مساء . تلك الإجابة التى رحبنا بها فى الساعة السادسة مساء .

وقد تشاور لامبسون مع الجنرال استون الذى كان برفقته إلى قصر عابدين وقد اتفق استون مع ليتليتون . أما لامبسون فقد كان خارجًا عن التصويت . لقد قرر أنه إذا انهار فاروق فسوف لا يعزله بعد كل ذلك .

وأثناء رحلته التى استغرقت ٢٠ دقيقة إلى عابدين كان يدعو لامبسون ويتمنى ألا ينهار فاروق .

وقد وصل لامبسون واستون فى سيارة لامبسون الرولزرويس يتبعهم ستة ضباط مسئولون متشابكو الأيدى ومسلحون تمامًا .

في حين كانت ترافقهم كتيبة مكونة من ٦٠٠ جندى بريطانى مع بعض الدبابات والعربات المصفحة التى كانت تحاصر الميدان حول القصر .

وقد تم إغلاق البوابات المزخرفة للقصر لكن واحدًا من الضباط ضرب القفل بمسدسه فأطاح به . وقد كتب لامبسون يقول : « **أستطيع أن أرى المشاعر والتعبيرات المفزعة لحراس البلاط الملكى الذين استقبلونى عند المدخل واشترطوا أو افترضوا أن هذا الوصول بهذه الصورة يشير إلى تأثير حال** » .

وقد ابتهج لامبسون بهذا الزئير وحركة الدبابات التى كانت تتخذ مواقعها خارج القصر وذلك الفزع الذى لاحظه على مجموعة العاملين فى القصر والذى سببه لهم هذا الضجيج بالخارج وقد ظل لامبسون ينتظر لمدة خمس دقائق فى الغرفة الموصلة للملك . لكنه لم يكن مستعدًا للانتظار أكثر من ذلك . لذا فقد نهض كل من لامبسون والجنرال ستون ليتخذا طريقهما إليه . لكن رئيس الحراس (ذو الفقار باشا) اعتقد أن ذلك يمثل مخالفة ونقضًا فظيعًا للمراسم والبروتوكلات التى يحترمها ويتعامل بها . لذا فقد حاول ذو الفقار أن يقطع الطريق على الجنرال ستون . لكن لامبسون رفع الرجل العجوز الضعيف وطرحه بعيدًا عن الطريق . فاروق كان مندهشًا ومنزعجًا بهذه الطريقة الوقحة فى الدخول عليه وهو يجلس خلف مكتبه . فأخبر لامبسون أنه يريد أن يحتفظ بحسنين الذى كان واقفًا خلفه فى حضور إجراءات العزل . وقد أجابه لامبسون لهذا الطلب ثم بدأ يزجره لبطء حركته ومراوغته فى ارتداء حذائه فى حين كان الباقى حوالى ١٥ دقيقة قبل أن تدق الساعة السادسة المهلة الأخيرة للإنذار . ثم قال له . . ما هذا . ؟ وقبل أن يشرح الملك أخرسه لامبسون قائلًا لا وقت للشرح والتبرير وإن التبرير ليس من حقه وليس هو الإجابة التى يريدها لامبسون . . إنه يريد خلع الملك فقط .

وبدأ لامبسون فى الحال فى قراءة خطاب يوضح الجرائم العظمى وإساءات فاروق ضد انجلترا ومصر والمعاهدة . وقد صدم هذا الخطاب مستشارى وناصحى فاروق حيث اتهمهم فيه بمساعدة العدو ووبخ فاروق على إثارة أزمات غير ضرورية وبطريقة

خليعة غير لائقة ، عندما رفض الانضمام إلى مطلب لامبسون بتشكيل حكومة النحاس . إن مثل هذا الطيش وعدم تحمل المسئولية من جانب السيد صاحب السيادة يهدد أمن مصر بل وأمن القوى المتحالفة . إنهم يوضحون أن جلالتك لم تعد قويًا أو ملائمًا لشغل العرش . وحينئذ دفع لامبسون الخطاب (خطاب العزل) إلى وجه فاروق « نحن – ملك مصر – متنبهين ومركزين على مصالح بلدنا والتى من خلالها ومن أجلها نعزل ونتحى أنفسنا ونولى ورثة العائلة عرش مملكة مصر وكل الحقوق المرتبطة بالسيادة وكل الامتيازات والسلطات التى تمكنهم من حكم المملكة والرعية . وإننا بذلك نطلق سراح رعيتنا من سجن الطاعة والولاء لشخصنا » .

قال لامبسون : وقِّع على ذلك الخطاب فى الحال . . « وإلا سيكون لدى تصرف آخر سيكون غير لائق للتصرف معك ومواجهتك » .

نظر فاروق إلى الوثيقة التى كانت مكتوبة بالآلة الكاتبة على ورق فولسكاب بريطانى قديم وقال . . إذا كان قد انعدم الورق فى القاهرة ألا يوجد ورق خاص بالسفارة البريطانية للكتابة عليه ؟ يجب أن تعطينى قطعة كافية من الورق . . وبدأ فى غمس قلمه فى الحبر . وحينئذ تدخل حسنين باللغة العربية التى لا يستطيع لامبسون فهمها . وبعد وقفة متوترة من قبل الملك ، نظر إلى أعلى ثم قال باستعطاف ألا تعطينى فرصة أخيرة ؟ فقال لامبسون : « اللعنة » سوف لا يوقع بعد كل ذلك . لكن لامبسون لابد أن يجبر الولد (الملك) على التوقيع . وعليه أن يستمع إلى مقترحات فاروق والتى تتعلق باستدعاء النحاس فى الحال فى حضور لامبسون إذا كان ذلك ضروريًا ، واستعداده أن يطلب منه تشكيل الحكومة . توقف لامبسون ذاته لكن لحظة الإحساس بالهيبة والتعظيم للملك قد انقشعت وزالت وبالرغم أنه يكره ضياع هذا الإحساس لكنه نظر إلى الجنرال ستون وأدرك أنه سيسمح للولد بالبقاء والاستمرار قلت أنا أتفق على أن الملك فاروق بعاطفة واضحة قال إنه من أجل كرامته ومن أجل مصلحة الدولة فإنه سيستدعى النحاس فى الحال » .

ثم كتب لامبسون بخط ثقيل ثابت « **بعد أن أصبح الملك فاروق يعانى من**

الالآم ليجعل نفسه مقبولًا ومرضيًا عنه وأنيسًا ودودًا فأنا أوافق على بقائه » .
وقد شكرنى فاروق فيما بعد شخصيًا لأننى كنت دائمًا أقوم بمحاولات كثيرة لمساعدته . ثم أخذ كل من لامبسون والجنرال ستون طريقه للرحيل عبر حراس البلاط الملكى الذين وصفهم لامبسون « بصياح الدجاجة المذبوحة » .

ومرورًا بالقوات البريطانية الضخمة المدججة بالأسلحة والبنادق على أهبة الاستعداد وكذلك بالدبابات البريطانية المنتشرة فى ساحة القصر .

ثم ركبوا السيارة الرولزرويس التى أعادتهم إلى السفارة البريطانية .

لكن الذى لا يعرفه لامبسون هو أن فاروق كان يخفى ثلاثة حراس ألبانيين خلف الستائر الموجودة فى حجرته وأن مسدساتهم وطبنجاتهم كانت مستعدة تمامًا لقتل لامبسون واستون إذا قاما بإيذاء أو خطف فاروق بعيدًا عن القصر . كما أن حراس قصر فاروق كانوا مسلحين ومختبئين خلف الحراس الذى يشبهون الدجاج المذبوح جاهزين ومستعدين لقتل رجال لامبسون إذا اقتضت الحاجة لذلك .

لاحظ لامبسون فى مذكراته - بعد هذه الهواجس التى اعترته هذا الصباح حول عدم الإطاحة بالملك فاروق فى هذه الفرصة الذهبية - إن المساء كان انتصارًا اعترف به لكن لم أستطع الاستمتاع به أكثر من ذلك .

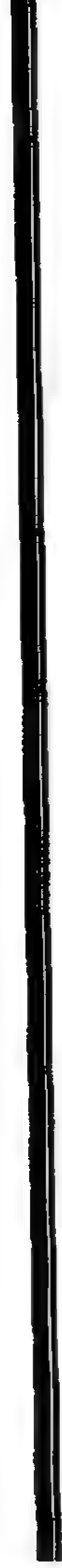
فبالعودة إلى السفارة حيث كان كل من دوفDuff وديانا كوبر يجلسان هناك أقيمت حفلة « وقد وجدنا أن معظم الممثلين الأساسيين فى صالة السفارة يناقشون أحداث المساء مثلما كان الناس يناقشون الليلة الأولى لمسرحية ما عندما لا يكون أحد واثقًا من أنها ستكون ناجحة أو فاشلة » وهذا هو ما كتبه دوفDuff فى مذكراته أما ديانا كوبر فقد تذكرت بعض الضيوف يرثون أحداث الليلة خاصة ما يتعلق بعدم التوقيع على قرار العزل . فى حين كان الآخرون سعداء .

كما أنها استعادت تلك اللحظة عندما خرج السيد مايلز من صومعته ممسكًا بيد النحاس باشا وكلاهما يبدو عليه العبوس والكدر .

وفى صباح اليوم التالى تلقى لامبسون تلغراف من أنطونى إيدن « أهنئك بحرارة أن النتيجة تبرر وتؤكد ثباتك وثقتنا فيك » وقد ابتهج لامبسون بها ثم دون فى مذكراته اليومية « حقًا إنه لطيف » فإن لامبسون وهو فى سن الستين من عمره . ما زال الصديق العزيز لوزارة الخارجية وحيث كان يرى نفسه الوريث وتقريبًا صانع الملك . فهل يستطيع والى الهند أن يصل إلى هذه الدرجة الآن ؟

وفى نفس الوقت فإن لامبسون كان يدرك أنه مع عدم التخلص من فاروق فإنه يمكن أن يذهب للجحيم . وبالتالى فكلما أسرع فى الخروج من مصر والتوجه إلى الهند كلما كان أفضل « إننا ما زلنا نواجه الحقيقة القائلة بأن لدينا شخصًا متعفنًا على العرش ، وأنه إذا سارت الأمور بشكل سيء بالنسبة لنا فإنه سيصبح مكلفًا بأن يطعننا فى الظهر . ولكن هذا مجرد احتمال ومع ذلك فإننى مازلت غير مطمئن وغير مستريح لأنه يمكن أن يكون قد استوعب الدرس الذى تلقاه . . ولكن بالنسبة لى فإنه يبدو أكثر قبولًا أن نعرفه ماذا فعلنا وأننا سوف نكسب كراهيته وبذلك سنواجه بقرار حماسى بالوصول إلى الميدان بصحبتنا .

وبرغم أن لامبسون كان فظًا متفاخرًا فإنه فى ذلك الوقت كان رسولًا معلمًا .



الفصـل السـابــع

المبارزة وأسـرار الصـراع

الفصل السابع

المبارزة . . . أسرار الصراع

أيًا كان الانتصار الذى ربما أعلن عنه سير وليام لامبسون فى تصفيته الحساب مع الملك فاروق فسرعان ما اتضح أنه انتصار أجله قصير وما هو إلا انتصار باهظ الثمن كذلك . مع أن الرقباء البريطانيين أمروا بحجب نبأ الحدث ، والإعلان بدلًا منه عن أن تغيير الحكومة كان مرسومًا للإرادة الملكية وليس بعمل يدل على الأسف العميق ، فقد شاهد مقدار كاف من الناس الدبابات البريطانية فى عابدين مما أدى إلى كشف الحقيقة . كانت نتيجة ذلك هى فيضان حقيقى لنهر النيل بالتأييد والتعاطف لفاروق .

كان معظم البريطانيين فى مصر مرتاعين من جراء طغيان لامبسون رغم رضاء وزراة الخارجية فى لندن . تصدر هذه القائمة الجنرال ستون الذى صاحب السفير إلى عابدين ليلة تطور الأحداث المفاجىء فى القصر فى الرابع من فبراير . حرر ستون بصفة خاصة مذكرة اعتذار للملك فاروق ومذكرة غضب للجنرال جيمبو ويلسون ، قائد البعثة البريطانية فى سوريا آنذاك . واعتقد سير توماس راسل حكمدار شرطة القاهرة أن لامبسون قد دمر الصداقة كلها التى عمل لسنوات لبنائها من أجل القضية الإنجليزية . أيضًا ماريشال الجو سير وليام شولتو دوجلاس ، رئيس قيادة المقاتلات فى شمال أفريقيا ، رأى أن عمل لامبسون هو خطأ استراتيجى كبير « معاملة الملك فاروق كما لو كان مجرد ولد غير مطيع وبالأحرى ولد غبى . . . كان فاروق غير مطيع ولم يزل صغيرًا جدًا . . . إلّا أنه فى رأيى ، وبانتهاج الرأى الواقعى ، كان أيضًا ملك مصر » ، وهو ما دوّنه دوجلاس فى مذكراته .

لو كان البريطانيون فى مصر مرتاعين ، فقد كان المصريون أنفسهم مفزوعين . كتب محمد نجيب ، البكباشى آنذاك ، خطابًا إلى فاروق جاء فيه أنه لعدم إتاحة الفرصة

أمام الجيش لإنقاذ الملك فإنه يخجل من ارتداء الزى العسكرى ويلتمس الاستقالة من الخدمة . رفض فاروق طلب نجيب . وسأل الملك ذات مرة قادة أركانه عن المدة التى تظل فيها العسكرية المصرية محافظة على القاهرة ضد أى هجوم بريطانى . فأعطوه تقديرًا بساعتين وهو تقدير سخي . إن لفتة نجيب مهما كانت وطنيتها لو تم تنفيذها لكانت وضعته على أحسن تقدير فى مدفن مع ديفى كروكيب وجورج آرمسترونج كاستر .

تحمل جمال عبد الناصر إهانة ضربة لامبسون نيابة عن الشعب وكان وقتذاك فى السودان ، حيث حدد عبد الناصر الرابع من فبراير بمثابة البداية الحقيقية لحركة الضباط الأحرار التى أطاحت أخيرًا بفاروق وبالعهد البائد . عندما أصبح ناصر مدرسًا بالأكاديمية العسكرية الملكية . فى أواخر تلك السنة كان قادرًا على اختيار أفضل وأنكى من هم تحت إمرته وبدأ يغرس فيهم فلسفته للثورة . كان أنور السادات نفسه مشغولًا جدًا بالنظريات . كان على اتصال نشط مع جواسيس النازية الذين كانوا يعيشون فى عوامة على النيل يقوم بإعداد مشروع معاهدات مع روميل تضمن ولاء مصر للرايخ كمقابل للإستقلال التام ، وشراء عشرة آلاف زجاجة من الموسكى لعمل كوكتيل مولوتوف لأجل تحميص وشواء البريطانيين الممقوتين .

خرجت مصر عن بكرة أبيها فى الحادى عشر من فبراير للاحتفال بعيد الميلاد الثانى والعشرين للملك فاروق – وهذا حد ذاته غير عدائى . كان أحد أضخم الحشود على الإطلاق الذى ملأ ميدان عابدين للهتاف بالتهانى للملك الشاب ، بينما أصبحت مصر من الاسكندرية إلى أبو سمبل مهرجانًا لفاروق حافلًا بالرقص والغناء وحفلات شوى الضأن . تأثر فاروق تأثرًا عميقًا . وكان غروره من المؤكد فى حاجة إلى مثل ذلك التشجيع . وألقى خطابًا إذاعيًا بالامتنان للبلد ، بدأه كما كان يفعل دائمًا بالتحية « شعبى المحبوب » ، وأشار الخطاب إلى قوة ومجد مصر وانتهى بهذا : « شكرًا لحبكم لى ولاتحادكم حول شخصى ، وقوتى هائلة » .

سواء كان هذا تفكيرًا غبيًا لما بعد المراهقة أو تظاهرًا بالشجاعة لحفظ ماء الوجه ، فإن قوة الملك فى تلك اللحظة ربما كانت أقل ضخامة مما كان يود أن تكون . وكانت القوة الأكثر ضخامة هى قوة النحاس رئيس الوزراء الذى أذاع تحيته الخاصة بميلاد الملك حيث ذمّه فى صورة مدح باهت للغاية واختتمه بفظاظة بالغة مشيرًا إلى « إيمان فاروق الثابت فى مستقبل الوطن » .

عرف كل واحد أى وطن بالتحديد كان النحاس يلمح إليه فقد خسر الحلفاء المعركة الحاسمة فى طبرق بليبيا ، وبدأت قوات المشير روميل التدفق إلى مصر محتشدة فى محطة سكة حديد العلمين على بعد ستين ميلًا غربى الاسكندرية . ولا يتم إغفال ما يبدو أنه استيلاء المحور على أرض الفراعنة حيث إن موسيلينى طار بنفسه إلى إفريقيا وأخذ معه حصانه الأبيض وهو أكثر خيوله رشاقة واعتزم أن يجوب القاهرة من فوقه فى انتصار فخيم . وأذاع راديو ألمانيا بلاغات مكشوفة لسيدات الاسكندرية ليُخرجن أبهى فساتينهن لأجل « تكتل النصر » وهو حزب النازى المطلق . وبدأت المقاهى على امتداد كورنيش الاسكندرية بجوار الشاطىء تطلب كميات من البيرة حيث بدأ القصابون التحول عن السجق .

وحينئذ بدأ العمل سرًا فى طبع الصور الفوتوغرافية لروميل وهتلر التى اشتراها عدد لا يُحصى من التجار ليكونوا على استعداد لاستبدالها بصور فاروق والنحاس التى سبق أن عرضوها بوطنية جمة . إن أسوأ كابوس لبريطانيا – وهو فقد مصر ، وفقد قناة السويس ، ويكاد أن يكون حقيقة قادمة بخطوة عنيدة .

وبينما الجيش الثامن يفقد ميلًا بعد ميل من أرض الصحراء ، كان النحاس يفعل كل شىء فى استطاعته لمنع أصدقائه البريطانيين من أن يضربهم الطابور الخامس من أهل البلد . لم يكن النحاس قانعًا بتحديد إقامة على ماهر فى عزبته خارج الاسكندرية فقد قام بسجن منافسه رئيس الوزراء السابق مع آلاف من مبغضى الانجليز الآخرين الذين هم فى مناصب عالية ممن وصفهم لامبسون بأنهم « أقل المرغوب فيهم » . وكانت إجراءات المحاصرة هذه مستوحاة من اعتقال أمريكا لما يربو على مائة ألف

يابانى أمريكى من الساحل الغربى مما تسبب فى ظهور سيل الاتهامات - الزوجة ضد زوجها ، شركاء الأعمال ضد بعضهم البعض ، وعائلات متباغضة - كل من هؤلاء رأى أن هذه بمثابة طريقة رائعة للتخلص من أى أحد لا يريدونه قريبًا منهم . حتى إن النحاس قام بإغلاق وكر القمار المفضل لدى فاروق وهو نادى السيارات الملكى . وكان مفضلًا أيضًا لدى الأمير عباس حليم وآخر معروف أيضًا بأنه أوثق المتعاطفين مع الألمان فيما بين الارستقراطية التركية بالقاهرة .

خشية أن ساء فهم النحاس كدمية لامبسون ، قام بسن إجراءات معينة اعتبرت مناصرة للمصريين كلية مثل القانون الذى يطالب باستخدام اللغة العربية فى كل المعاملات التجارية . وفى نفس الوقت قام النحاس بتبنى قانون أعطى كل جندى من جنود الحلفاء فى مصر هدية عيد الفصح به علبة من السجائر وصندوق حلوى بيضتان ملونتان . كانت الترضية بسيطة لقوات كانت فى حالة انخفاض للروح المعنوية بسبب هذه الأحداث العالمية .

فقد اجتاح اليابانيون بعد بيرل هاربر هونج كونج وسنغافورة وجاوة ثم رانجون . ونصب النازيون كيسلنج Quisling كرئيس وزراء للنرويج وكانوا متقدمين تجاه ستالينجراد فى حركة كماشة أفروقوقازية من شأنها أن تعطى المحور السيطرة على الشرق الأوسط برمته وبتروله ، ناهيك عن قناة السويس . وكان قد تم إعلان الحرب بسبب السويس وعرف البريطانيون ذلك ، بالإضافة إلى السويس كانت تبدو قضية خاسرة على نحو متزايد إلى درجة أن رؤساء الأركان فى لندن كانوا يدرسون فى نفس الوقت نقل القوات من الشرق الأوسط إلى الهند وبورما .

بدا الموقف فى الثانى من يوليو مكشوفًا جدًا حيث ذهب لامبسون إلى قصر عابدين ، ليناقش مع فاروق مشكلة ما سيحدث له ولحكومته فى حالة وقوع أى احتلال للعدو . يقول لامبسون : « اعتقدت أن رئيس وزرائه قد شرح له فكرتى وهى أنه من الحكمة أن يقوموا بنقل كل المحتويات والمتعلقات إلى الخرطوم لميزة أنها تخضع للحكم . وبهذا لا يمكن إتهامه بمغادرة مصر أو هجرها . علاوة على أن كل ما يفعله

العدو المحتل سيكون غير دستورى وأن شعار نيل المصريين لن يخبو ولن ينقطع عند عودتهم » .

فاروق أخبر لامبسون بأنه لا يحب فكرة الرحيل على الرغم من هتلر أو لامبسون نفسه أوكيسلنج فلا يجب أن يعتبره بلده خائنًا . إن فاروق ولامبسون متنافرين بطبيعة الحال منذ الرابع من فبراير . وكانت جميع مقابلاتهما رسمية تمامًا وباردة إلى حد بعيد وذلك منذ مأدبة الغداء فى أبريل مع ملك اليونان حيث وصف لامبسون فاروق بأنه « ملك يجسد تمامًا التباهي بأهميته الذاتية » ، وقد اصطحب معه تسعة من مسئولى القصر لمأدبة الغداء لينأى بنفسه عن السفير البريطانى . لم يتحدث فاروق على مأدبة الغداء مع أى أحد بما فى ذلك لامبسون سوى أنه تحدث مع ملك اليونان وقد غادر دون أن يتصافح بالأيدى . فضلًا عن ذلك ، اشتكى ملك اليونان إلى لامبسون أنه عندما طلب إجراء مقابلة مع بعض وزراء فاروق ، ضحك فاروق ورفض الفكرة على أنها مضيعة لوقت اليونان ووصف وزراءه بأنهم « أوغاد » . وطُلب من الملك المصرى فى إحدى الحفلات الدبلوماسية الراقصة أن يراقص ليدى لامبسون حيث تمكن فاروق الرشيق طبيعيًا إلى حد ما أن يدوس على قدمى الليدى الرقيقتين . بينما كانت الفرقة الموسيقية تعزف « ذلك السحر الأسود القديم » لجاكى لامبسون ، وكان الجو معتمًا وكئيبًا .

عندما حضر لامبسون إلى عابدين فى يوليو لمناقشة احتمالات المنفى ، وقف فاروق محتجًا واستمر فى المناقشة وهو يخطو إلى حافة بساطه . سرعان ما انفتح باب مكتب الملك وأطل أحد مساعدى فاروق ، فظن لامبسون أن الموعد التالى مع فاروق قد حان حينئذ استأذن لامبسون بالانصراف ، لكنه لم يكن هناك ، فى حقيقة الأمر ، موعد تال . فقد وضع فاروق جرسًا خاصًا مخبأ تحت البساط يطأه عندما يريد التخلص من أحد وخاصة من لامبسون . فيسرى ضوء أحمر فى الممر المؤدى إلى المكاتب الخارجية حيث يعطى إشارة للمساعد الموجود بنوبة العمل ليطل برأسه فى صمت له مغزى . وأصبح الجهاز معروفًا باسم « زر لامبسون » ، وترجمه فاروق

بالمقعد الدبلوماسى القاذف . وهناك حيلة أخرى معروفة بحيلة طعم السمكة يستخدمها فاروق فى بروتوكول عابدين المتمسك جدًا بالشكليات وآداب السلوك الذى يقضى بأن أى إمرأة يتم تقديمها إلى الملكة فريدة يجب عليها إرتداء قفاز (أحدهما مخلوع عن اليد ، والآخر ترتديه اليد الأخرى) وفستان طويل أسود اللون ، ولا يجب أن تضع ساقا فوق ساق ، ويجب أن تنحنى مع ثنى الركبة ثلاث مرات فى طريقها إلى عرش الملكة المعطر ، ويجب أن تحيى فريدة « بصاحبة الجلالة » ، ويجب أن تخرج بحيث يكون وجهها نحو الملكة أى تخرج بظهرها . للتأكد من أن هؤلاء الماثلين أمام الملكة سينتهى بهم المطاف بخبطة ، فقد وضع الملك المغرم بالمزاح سجادة عبارة عن نمر ممدد على أرضية مغطاة بطبقة شمعية كثيفة فى منتصف طريق الخروج مباشرة ، وكم من سيدة دبلوماسية بريطانية كبيرة سقطت سقطة مؤذية جدًا على النمر المتحرك لمسافة قصيرة بسبب الشمع وذلك لتسلية الملك بارتباكهن .

كان هناك من ناحية أخرى فى شهر يوليو وقت مخصص للألعاب الردهية (فى الردهة) . كان تهديد روميل قريبًا لدرجة أن كلا من السفارة البريطانية ومركز القيادة العسكرية البريطانية أخذ فى إحراق ملفاته السرية . فقد هبت عاصفة عنيفة من الثلج الأسود فى درجة حرارة ١١٠ مئوية . وأغلقت الطرق أمام العائلات الهاربة من الاسكندرية والتى عانت كثيرًا من قاذفات المحور ، ومن القاهرة التى تتوقع ما هو أسوأ قبل أن يطوف الزعيم الثانى على فرسه الأبيض . وكانت محطة قطار القاهرة محتشدة بالهرج والمرج بالآلاف من الصفوة الذين يتحايلون لركوب القطار اليومى الوحيد إلى فلسطين . أما الذين فشلوا فى ركوب القطار فقد قاموا بالترحال الأبدى إلى جنوب أفريقيا . واندفع المقيمون الأجانب خصوصًا البريطانيين إلى البنوك لاسترداد نقودهم وقتما يستطيعون . حتي ان النحاس رئيس الوزراء أعد خطط الطوارىء لنقل خزينة البلد وبرلمانه إلى الخرطوم كما نصح لامبسون فاروق بذلك

كان الكثير من مصر فى حالة سرور حقيقية من رؤية نهاية لامبسون حتى و،و كان ذلك يعنى بداية « محمد حيدر » وظل الملك فاروق أكثر ثباتًا . لأنه مثل القبطان

كان مستعدًا تمامًا للغرق مع السفينة التى ربما تغرق . وكان من المرجح أن يكون الأمير عباس حليم السلاح الجديد حيث لمعت عيناه الزرقاوان أمام لامبسون الذى حث النحاس عند سماعه أن الأمير شرب فى نخب روميل فى نادى محمد على واعتقاله فى إحدى الاستراحات الحكومية فى واحة بعيدة .

ولقد نص اتفاق يوليو بالنسبة للخروج من مصر بدأ باليهود المحليين . ورغم الإبادة النازية التى صارت معلنة فى النهاية فى أوائل عام ١٩٤٢ (تم قتل ما يربو على ألف يهودى بولندى كل يوم فى حجرات الغاز بمعسكر الاعتقال) ، ورفضت الإدارة البريطانية فى فلسطين رفضًا باتًا توسيع نسب الهجرة تاركة اليهود المصريين وكثيرًا من اليهود الأوروبيين الآخرين بأن يعيشوا فى مصر وبتركهم فى الاسكندرية والقاهرة تحت رحمة روميل وهو الأمر المتوقع . وكان الموقف يتفاقم من خلال الأنباء الإذاعية المستمرة بأن هتلر سوف يرسل حملة مفاجئة كاسحة من مائتى قاذفة قنابل ألمانية إلى القاهرة . وكان كل يوم يبدو أنه اليوم الموعود . وقد بذل لامبسون قصارى جهده للتأكيد على أن ذلك خداع أخرق وأن العالم على ما يرام . ورغم أن لامبسون لديه عربة وقاطرة سكة حديد خاصة مستعدة فى حالة وصول روميل الزعيم الثانى ، فقد بدأ عمله كالمعتاد حيث أمر أن يتم تنظيف وإعادة طلاء البوابات الحديدية للسفارة .

كان من العجب أن يتخذ الملك فاروق موقفًا قدريًا فى هذا الجو القلق . لقد أهانه لامبسون سياسيًا ، وأهانته فريدة زواجيًا ، وأخيرًا أهانه النازيون ، ثم بعدم قدرته على إنجاب وريث من ناحية السلالة الحاكمة . إلا أنه بالنسبة للوريث فقد بدا الآن أنه مسألة أكاديمية . وريث لماذا ؟ هل لأجل أن يطويه النسيان ؟ حيث إن روميل على البوابات وحيث يواجه فاروق فقد كل شيء وهو فى سن الثانية والعشرين . كان الشيء الوحيد الذى يمكن لفاروق التأكد منه هو متعته أيًا كانت ومهما كانت مدتها . فأطلق العنان لنفسه عند هذه السن الصغيرة . وأصبح ذواقة للطعام والشراب ومذهبه اللذة متخذًا موقف إطلاق العنان للنفس فى رغباتها وملذاتها اليوم لأن غدًا نحن بصدد

خلعنا من الحكم . وكان مولعًا بالفتيات قبل كل شيء .

كانت الأميرة فاطمة طوسون زوجة ابن الأمير عمر طوسون ، أول علاقات فاروق الغرامية غير الشرعية ، وكان الأمير عمر طوسون يرقى مع الأمير محمد على وذلك على صعيد قمة العائلة الملكية في البلد . وكان ورعًا مسلمًا من المدرسة القديمة وقد آمن بأن مكان المرأة فى جناح النساء فى القصر الإسلامى وبأن الشباب المستقيمين لا يجب أن يدخنوا أو يعاقروا الخمر أو حتى يضعوا ساقًا فوق ساق ، وأصيب الأمير عمر بصدمه لقيام ولديه الأميرين سعيد وحسن طوسون بشرب الخمر وسباق الخيل وانتهاج سبل المعيشة الغربية ، والذى صدمه أكثر هو التحرر الغربى لزوجتي ولديه ماهافيش وفاطمة اللتين صارتا صديقتين وبسرعة لابن العم الملك فاروق كما أنهما صارتا من أشد المعجبات به . حيث كان بياض البشرة فى مجتمع تلفحه شمس الصحراء هو الجمال الذى كانت تتمتع به فاطمة وجسمها المكتنز باللحم قليلًا كانت تعتبر إحدى أجمل الجميلات . ويقال إن جمالها يضارع وسامة فاروق . ولأنه لم يلتفت إليها على الإطلاق ربما فقد دفعها هذا الأمر فى الحقيقة إلى أحضان أميرها الذى يكبرها بعشرين سنة أو أكثر . وعندما رأى فاروق فاطمة أخيرًا لم يمنعها الزواج من تبادل الشعور معه ، فلم يجذب أى أحد ببساطة انتباه الملك إليها . ودعا فاروق فاطمة لقضاء أمسيات على ضوء القمر فى أحب مكان للقاءاته وهو قصر صغير فى غاية من الزخرفة على النيل فى حلوان – له شرفات شاملة حيث النسمات العليلة وروائح الياسمين والدفلى عطر الزهر والخدم والحشم المدلل الذين يجعلون أى إنسان يبدو كملك ، ملك حقيقى على وجه الخصوص .

كان هناك قيل وقال لا ينتهى حيال طلاق وزواج مرة ثانية وأن الطفل الذى تحمله فاطمة فى أحشائها هو طفل الملك وليس طفل الأمير . عندما اتضح أن الطفل فتاة لُقبت فى بعض الدوائر « الآنسة الملكية » ، وتحولت اهتمامات فاروق إلى الشقراء الجميلة ، أنيقة المظهر إلى حد بعيد إلّا أنه من المستحيل الزواج بالمطلقة إيرين نجار اليهودية الاسكندرانية . ثم بربارا سكلتون الأنيقة المتكبرة ، محبوبة مكتب

الشفرة البريطانى حيث أنه من المستحيل أيضًا الزواج منها لأن البريطانيين يخشون من أن تصبح جاسوسة لفاروق ، وقد تم ترحيلها إلى اليونان .

هؤلاء كن الخليلات « الرسميات » فقط . كان أنطونيو بوللى لا يكل من تمشيط جميع النوادى الليلية فى القاهرة للتنقيب عن فتيات الكورس الأوروبيات المغامرات اللاتى يقمن بإلقاء النكات الساخرة الهجائية أثناء حفلة المنوعات المناوئة للنازى ، وهى البدعة السائدة فى تلك الفترة . وحيث لم يترك بوللى لم يترك حجرًا دون البحث وراءه فقام باستكشاف مقدار كبير من المواخير فى كل من سوق سمك القاهرة وشارع الراهبات بالاسكندرية للبحث عن النساء المشبوهات (الساقطات) الجميلات لكى تَنَلن بعض الاحترام الملكى فى صورة قلادات وأقراط من الماس كثيرًا ما يمنحها فاروق لمن ينتزع حبه وإعجابه ويتحول الأمر إلى حفل مجوهرات . أصبح فاروق مفتونًا « بجمع » كل أنواع النساء مثلما أنه قام بجمع كل شىء من زجاجات الكوكاكولا وبطاقات البيانات الخاصة بالخمور والساعات المغردة بنغمات جنسية إلى العملات التى لا تقدر بثمن والانتيكات الفرعونية والفن الأوروبى الجميل . . أراد أن يجرب كل شىء وكل واحدة . فذهب على سبيل المثال إلى إحدى الراقصات يلاطفها - رغبة فى سماع كلمة أفضل - وكانت نجمات ذلك الفن الرشيق المفعم بالحيوية هن تحية كاريوكا وسامية جمال وحكمت فهمى .

أقامت حكمت فهمي مجلسًا خاصًا بها في عوامة على النيل بجوار عوامة اثنين من الجواسيس الألمان يعملان تحت غطاء اثنين من المستهترين أحدهما بريطانى والآخر أمريكى . قام النازيان المترفان بتجنيد جارتهما للحصول أى معلومات هامة تكون قد حصلت عليها خلال حفلات التسلية ليس للملك فاروق وحده بل ولكبار الضباط البريطانيين أيضًا . إن الجاسوسين اللذين بعثا برسائلهما الشفرية المستخرجة من كتاب ربيكا Rebecca تأليف دافن مورير Daphne De Mour ، وكان أساسًا لأحد أفلام هيتشكوك ، وساعدهما فى بث رسائلهما أنور السادات البارع جدًا .

أمضى الألمانيان حياتهما المنحطة فى النوادى الليلية والبارات والمواخير فى القاهرة

وكانا يدفعان البقشيشات بالعملة الألمانية مما حدا بالمخابرات البريطانية إقتفاء أثر نقودهما الغريبة من خلال الساقى فى بارات شيبرد وجروبى وملهى بديعة حتى وصلت إلي عوامتيهما ذات السمعة السيئة وتم إلقاء القبض عليهما مع السادات . والعقاب من الطبيعى أن يكون هو الموت على النيل . وكان صيف ١٩٤٢ وقتًا حرجًا جدًا لأن يقوم البريطانيون بإعدام ضباط جيش مصريين مهما كانوا خائنين . وبالفعل تم الزج بالنازيين فى معسكر اعتقال صحراوى بينما تم تجريد السادات من رتبته وإيداعة السجن لعدة سنوات لمراوغته فى القبض عليه ولنشاطه المعادى للبريطانيين . وكانت هذه الحادثة مادة روائية لفيلمين وروايتين إحداهما « المفتاح إلى ريبيكا » تأليف كين فوليت .

كان حب فاروق للنساء مادة للروايات أيضًا ، إن لم يكن أسطورة ، على الرغم من سمعته غير الملكية بقدر ما يعطيه من متعة للنساء اللاتى يحببهن أكثر من رفيقاته . والأسطورة المساوية لذلك فى تلك الفترة هى شهية فاروق الهائلة . إن لم يستطع شرب الخمر فإنه يعوض ذلك فى الانغماس فى ملذات عيد الثالوث المقدس بالأكل والمرح . وكان طبق فاروق المفضل المكرونة والجبن بعصير البرتقال ، لكنه من حيث النساء فإنه كان يريد تجربة كل شيء ، وكان ولعه بالأكل إنتقائيًا مثل انتقائه للجنس والمجموعات الفنية وغيرها . وإن قائمة الطعام لبوفيه العشاء فى عابدين تقدم الأطعمة الشهية التالية : خلاصة شوربة طيور باردة ، وشريحة من السمك على طريقة أهل البندقية ، وحساء على الطريقة الشرقية ، طبق من اللحم الديولد البرية المحشو ، خروف صغير ، طيور باردة من الحمام ، كتل من لحم العجل ، دجاج صغير ، فطيرة من لحم الحيوانات البرية ، كشك ألماظ ، ديك رومى فيومى محمر وبارد ، سلطة فرنسية ، بقلاوة هرمية الشكل ، شارلوت بالفواكه ، جاتوه مارجريت ، كعك صغير متنوع ، جلاس مشكل ، قوالب كافيار صغيرة ، حلوى ، وفواكة . هذا كله ، حيث كان الوقت وقت حرب . بينما كان الناس يتضورون جوعًا ليس فى روسيا وحدها

وإنما فى فرنسا أيضًا . ومع روميل فى العلمين ووضوح النهاية كان فاروق يعامل أى امرأة وكل وجبة طعام كما لو كانت الأخيرة فى حياته .

إلّا أن الأمر لم يكن كذلك ، فقد قام الجيش الثامن في أغسطس بالسيطرة على خط القتال في العلمين ببراعة . وانتشر روميل إلي حد بعيد وعادت طرق إمداده إلي ما يزيد على الألف ميل داخل ليبيا وكان يتم قطعها مرارًا بقذف الطائرات البريطانية . كانت الاسكندرية تبدو قريبة جدًا إلّا أن النازيين لم يستطيعوا التقدم إلي أى مسافة منها . وعاد موسولينى إلى روما مع حصانه الأبيض . وألغى أيضًا أمره بالميداليات حيال غزوه شمال إفريقيا مع الزعيم الثانى ، حيث الأهرامات على جانب والانتصار السامى على الجانب الآخر وأمر بتدمير كتاب الدليل باللغة الإيطالية الذى تم طبعه . وقد احتفظ البريطانيون هذه المرة بقلقهم . لقد أنقذوا مصر وعرش الملك فاروق .

انهزم روميل آنذاك فى نهاية يوليو . أى تم صده . لكن الخطر ما يزال قريبًا فقد ظل روميل بمثابة تهديد مدمر . طار ونستون تشرتشل رئيس الوزراء البريطانى إلى القاهرة فى أغسطس عند نهاية الفوز الحقيقى وذلك لجعل الجنرال برنارد مونتجومرى يحل محل الجنرال أوكينلك . الذى عاد إلى الهند . وكان تشرتشل حساسًا جدًا تجاه الضغط السىء الذى عاناه جيشه فى شمال إفريقيا خصوصًا من جانب المراسلين الأجانب غير البريطانيين . فقد زارت كلير بوث لوسى مصر من ناحية وارتعدت من عدم مقدرة وتنظيم القوات البريطانية هناك . وقد حررت مقالًا لاذعًا صادرته الرقابة البريطانية إلاّ أن محتوياته تم توصيلها إلى زوجها هنرى فى صحيفة التايم . وكان من بين الكلمات السيئة التى قالتها مسز لوسى أنها وصفت قوات الجو الملكية بأنها « حوريات طائرة » .

لم يكن عالم الأمريكيين فى القاهرة بدون تمثيل فى الإدارة العقيمة . فكان الوزير الأمريكى الكسندر كيرك (كان رجل بريطانيا فقط يسمى سفير) غندورًا جدًا يرتدى الحرائر المعطرة وزراير بدلته مكسوه بقماش من نفس قماش البدلة . كان سير مايلز لامبسون مغرمًا بالسفير الذى دائمًا ما كان يقيم حفلات فى عوامة على النيل مزدانة

بمجموعات من ريش النعام الأبيض . وكان كيرك يختال بعقدته الأودبية ، ويحتفل بذكرى المرحومة والدته بالشموع المضيئة ليل نهار حول إطار صورتها على غرار شعلة الجندى المجهول فى آرلنجتون .

إذا كان الموقف برمته فى مصر فى حاجة إلى شيء من الشدة فإن ونستون تشرتشل عرف أن رجله مونتوجمرى هو أهل لها وينفذها فيما يسمى بعملية الشعلة . وقال السيرجنت جنرال مونتجومرى وهو نحيل لكنه قوى ، إنه الجنرال « مونتى » قد أعلن لدى وصوله إنه « لن يكون هناك مزيد من التنغيص أو من التقهقرات » . حتى إنه قبل أن يهزم روميل فعلًا ويجعله يتقهقر من العلمين إلى خارج مصر وعودته إلى ليبيا فى نوفمبر التفت مونتجومرى إلى مفهوم المصريين بأن البريطانيين مثل صراصير الليل . فلم يكن مونتجومرى مجرد فائز بل بدا وكأنه رجل مهم . واقتطع تشرشل وقتًا من زيارة قواته ليسبح فى البحر الأبيض المتوسط قرب الاسكندرية حيث طفا على ظهره وعمل علامة النصر بساقيه وهى العلامة التى اشتهر بها . وأقام تشرتشل بالقاهرة فى فيلا ، البيت الأزرق ، المعروفة بالمنزل الأزرق الذى يطل على منظر الأهرامات الفخمة وسط بستان من الأشجار .

رغم أن الملك فاروق أخبر إيرين نجار أنه لم يتأثر بتشرتشل (انجليزى سمين آخر هذا ما كان يدعوه به فاروق) ، فقد قام الملك بدعوة رئيس الوزراء إلى مأدبة عشاء فى فندق مينا هاوس المقابل للأهرامات ، واندهش تشرتشل فجأة بالمأدبة . وعندما وضع تشرتشل يده فى جيبه وجد أن الساعة التي منحته إياها الملكة آن لأنه كسب معركة بلينهايم قد فقدت .

كانت العيون كلها متجهة إلى فاروق الذى عرف الجميع أنه أخذ دروسًا مؤخرًا فى النشل من لص كبير كان قد عفى عنه من سجن طره ليكون مدرسه فى خفة اليد . قام اللص بإعطائه دروسًا بأن وضع أجراسًا تم تثبيتها فى جيوب بدلته ، استخدمت كأجهزة إنذار مصغرة . تخرج فاروق بامتياز فائق وبإمكانه نشل أى جيب دون أن يدق أى جرس تنبيه . وبينما تحير تشرتشل كان لامبسون يستشيط غضبًا .

وعرف أن فاروق قد سرق الساعة . وغادر فاروق المأدبة بعد ما ظل يشاهد الضيق البريطانى الشديد لمدة ربع الساعة . . فقد كان يلعب دور شارلوك هولمز . عاد الملك البوليسى السرى بعد عشر دقائق فرحًا بالنصر ممسكًا بالساعة معلنًا أنه إقتفى أثرها حتى موظف صغير بالقصر لديه مشكلة كبيرة وهى الهوس بالسرقة . وقد عبر تشرتشل عن امتنانه الكبير لفاروق ولو أن صدقه فى ذلك كان موضع جدل .

استقبل فاروق تشرتشل بعد ذلك فى قصر عابدين حيث كان لامبسون يرغب فى أن يقلل الملك من فرض نفسه على الآخرين والاستعراض . وكان طول الوقت يأتى بجلسة أو وضع كملك . فتح فاروق المحادثة بتقديم سيجار حجم كبير إلى تشرتشل لم يرى لامبسون مثلها على الإطلاق . وهنا استعرض تشرتشل أمام جمهور الحاضرين كم سيسحق البريطانيون روميل ويكسبون الحرب وشكر فاروق . لموقف الإخلاص من المصريين وقال مؤكدًا على أنه فى أوقات الشدة يقدر المرء أى شعب يكون صديقه الحقيقى على المستوى الرسمى والشعبى . وهذا كان له معنى هام . هذا الأمر انتزع من الملك فاروق الإعلان بتضامنه الشخصى وتضامن الشعب . . . وقال الملك أيضًا إنه فى مناسبات كثيرة أساء الفهم والإدعاء وذلك بصورة كبيرة إلّا أنه لاَ يرغب فى انتهاج ذلك . . . وإجماليًا . . . هذا أمر مستحسن ، لكن الانطباع العام لرئيس الوزراء أن الولد يميل إلى تناول كل شيء باستخفاف وزلاقة لسان مدروسين . وكما قال لى فى نفس الوقت إنه غير متأكد تمامًا أن شيئًا يمكن أن يتمخض عنه . وأنه يعتقد أنه ربما يراه بمفرده فى طريق عودته .

إن رغبة تشرتشل فى مواجهة فاروق وفى غياب لامبسون كدرت السفير الذى اتصل على الفور بوزارة الخارجية لأجل عدم تشجيع ومنع مثل تلك المواجهة عن قرب . ولم تحدث تلك المواجهة .

خلف لامبسون من ناحية أخرى إنطباعًا ممتازًا لدى تشرتشل الذى بعث له فى ديسمبر ١٩٤٢ بالبرقية « السرية والشخصية » التالية :

« أتودنى أن أكون من بين الأسماء المقترحة لمنصب نائب الملك فى الهند ؟ فما هو شعوركم تجاه الاقتراح من حيث السن والصحة والميل إلى ذلك ؟ والرجاء فهم أنى أسأل سؤالًا ولا أقدم اقتراحًا فى هذه السن . مع أطيب التمنيات » .

ها هو حلم الحياة والمهنة ، أعلى منصب مفتوح أمام أى مواطن فى الخدمة العامة البريطانية . شعر لامبسون أن كل هذه الجهود تم تبريرها بأنه يتحمل عبء الامبراطورية بالطريقة « الصحيحة » . فأرسل برقية ثانية إلى تشرتشل ، « شخصية وسرية » أيضًا :

بالغت فى تقديرى بدرجة كبيرة انكم مجرد النظر فى اسمى . أما بالنسبة للميل فليس هناك شيء ينبغى أن أحبه كثيرًا وبالنسبة للسن والصحة فإنه يمكننى أن أعلن أنى سليم ومعافى (أمسك الخشب) : وأعتقد أنه بالنسبة لمطالب المنصب على ذلك الأساس فهى أمر منتهى .
إنى افهم تمامًا أنه ما من اقتراح يتضمنه سؤالكم .
ومع أحر تحياتى

وبينما كان لامبسون فى انتظار قرار بشغف حيال حلمه بمنصب نائب الملك ، إحتفى به الملك جورج السادس بأن جعله أول بارون لكليرن بعد ضيعة عائلته فى اسكوتلاندا . ولترقيته إلى رتبة نبيل بينما كان فى خدمة الحكومة هو شرف فردى ونادر . وكرم النحاس لامبسون بمأدبة ضخمة للاحتفال بالمناسبة التى أغضبت فاروق دون شك . وسيكرم لامبسون نفسه فى وقت قريب من خلال موقف بغيض جدًا حيث بدأ فاروق يرضى عن الانجليز ، كما أن بعض القادة الاستراتيجيين الانجليز فى مصر بدأوا يرضون عن فاروق .

وبعد ما أثبت البريطانيون همتهم فى العلمين وتقدموا غربًا إلى ليبيا للاستيلاء على طبرق مرة ثانية بدت مواقف الملك فاروق تجاههم تتغير تغيرًا مفاجئًا . فقدم ألاف الجنيهات كهبة فى ديسمبر لأجل الجيش البريطانى من ناحية هدايا الكريسماس

للقوات . وعند منحه زى ماريشال القوات الجوية الملكية بدأ فاروق فى إرتدائه فى كل مكان وربى شاربه على غرار شارب الكولونيل بليمب . أحب مظهر الميليشيا البريطانية كثيرًا جدًا مما جعله مثل الدمية بملابسه بهذه الطريقة وكان يستعرض بها بكبرياء فى مكتبة بعابدين . وعزا كثير من الساخرين فقدان فاروق الصواب إلى أنه يريد المراهنة على الحصان الرابح ، لكن الحلفاء ذوى الرتب العالية تأثروا بولاء فاروق الحقيقى وبألمعتيه ووسامته أيضًا . ببساطة أراد أن يكون محبوبًا واستجاب لمعاملة الاحترام التى تلقاها من أهم الرجال الانجليز غير لامبسون .

ماريشال الجو البريطانى دوجلاس أحب فاروق . ووجد المشير سمتس Smuts أن فاروق « ذكى بطريقة مذهلة » ، وأن وزير الدولة لشئون الشرق الأوسط أوليفر ليتلتون الذى أقنع لامبسون ليلة حادث عابدين بأن يعطى فاروق فرصة لأن يقول نعم ، لأنه اعتقد أن الملك جدير بالحب ولديه المقدرة . حتى أن تشرتشل رفض أن يقلل من قيمة مقدرته ربما بسبب رشاقة أصابعه التى بها أنجز وبدهاء فرحة الساعة .

كان السيناتور ريتشارد راسل القوى وهو من جورجيا من بين الأمريكيين فى مصر حيث وصف فاروق بأنه « جذاب ويتمتع بالشباب . . مواصل للعمل .. يدير الحكم بدرجة أحسن من تلك التى للحكام العاديين فى الشرق الأوسط » . كذلك الدبلوماسى الأمريكى وينثروب أولد ريتش كان أكثر سخاء فى مدحه ملاحظًا أن فاروق فهم تعقيدات سوق الذهب الدولى كذلك أسواق المال فى وول ستريت . عرفت القوات المسلحة الأمريكية الطريق إلى قلب فاروق وذلك من خلال اللعب . مثل هتلر أهدى فاروق سيارة مرسيدس روديشتر ، وقدم الأمريكيون إلى الملك طيارة خاصة وجيب و « بطة » وهى عربة برمائية أحبها فاروق أكثر من غيرها حيث كان يأخذ خليلاته فيها ليقضوا أمسيات على شواطىء المنتزة .

عادت الحياة فى مصر إلى طبيعتها بعد إزاحة روميل عن الطريق . والطبيعى بالنسبة لمصر كان غير طبيعى تمامًا بالنسبة لباقى العالم . وكما وصف ذلك نويل كاوارد فى مذكراته عن الشرق الأوسط :

أشارت الأنباء الرسمية إلى أنه ربما فى مكان ما فى العالم الخارجى قد تكون هناك حرب من نوع ما دائرة . . . هذا المكان هو آخر ملاذ يسمى « المجلس الدولى » . كل الأناقات فى حياة الفخفخة قبل الحرب لا زالت موجودة هنا : الأغنياء ، العاطلون ، حفلات كوكتيل ، حفلات عشاء ، مجوهرات وفستان السهرة .

إن يوميات المصور سيسيل بيتون وخطاباته تعطى أيضًا بعضَ الفكرة عما كان يبدو عليه المزاج ، كما فى وصفه للفتاة مومو ماريوت إبنة المالى أوتو كان من نيويورك وزوجة البريجادير البريطانى ، بعد الأميرة شويكار ، مضيفة القاهرة ، الثانية فى الأعم .

أشيك سيدة فى القاهرة . . . مومو ماريوت بأظافرها الطويلة الحمراء وملابسها البسيطة جيدة التفصيل . يتم رؤيتها فى حفلاتها بصحبة الجنرالات والفرق العسكرية والمشاهير ، كان ذلك فى قلب مجتمع زمن الحرب القاهرى . . . كانت مومو تعيش مع والدتها ، مسز أوكى ، أم الطائر حيث تشتهر به ، فى منزل فخم تم استئجاره من ثرى مصرى . وهناك الساعات وأجهزة الراديو والتليفونات والأضواء التى تحيط بالسرير ، والحمام الهائل الجدير بكليوباترة . وقد أُضطرت مومو أن تقيم حوض استحمام متواضعًا فى أعماق الرخام حيث لم يكن قد تم بناء السخان على نفس المقياس .

واستمر بيتون فى كتابته حيث كتب : « توجد مثل هذه الحياة الاجتماعية هنا لدرجة أنى انزعجت » ووصف أمسية نموذجية حيث قال : « حفل عشاء ضخم – ذلك التصنع والسلوك الأحمق فى مثل ذلك التجمع – ثم النادى الليلى حيث فرقة الرقص جيدة للغاية لدرجة أن المرء أدرك أن موسيقى الرقص الجيدة نادرًا ما يتم عزفها ، وكم هى مثيرة – المرح هنا رائع على الإطلاق – ضباط انجليز فى اجازة يحدوهم الأمل بأن يستمر الأمر لمدة ساعات دون أن يفتر » .

كان زمن الحرب فى القاهرة يشبة موسيقى كول بورتر أو حجرة رسم نويل

كاوارد المضحكة . كان الملك فاروق يكره كاوارد نفسه . ذات ليلة كان كاوارد فى حفل حيث فوجىء فاروق بصديقه ماريشال الجو دوجلاس موجود به . وحيث تكون حفل تسلية هذه الليلة من إعلانات قصيرة عن أفلام ، ويتبعها فيلم لكارى جرانت . وحيث قرر دوجلاس فى الواحدة والنصف صباحًا أن فاروق لا يزال فى حاجة إلى مزيد من التسلية ، لذا طلب من كاوارد التفضل بغناء بعض من أغنياته بما فى ذلك اغنياته الجديدة ، وقد قام بغناء أغنية « لا تتركنا للألمان » لأجل الملك . وتأثر كاوارد بالملك فاروق الذى قابله من قبل ووجد . أنه غير ممكن تقريبًا الاعتقاد بأنه فى سن الثالثة والعشرين فقط . إنه رجل ضخم وسيم . . . لكنه إضافة إلى ذلك كان لديه شعور بأنه عصبى بعض الشىء . والقيل والقال على الصعيد المحلى هو أنه لا يهتم بالانجليز كثيرًا جدًا إلا أننى أستطيع القول إنه إذا كان هذا هو الحال فإنه يبدو ذلك فيما يتعلق بخصوصى واهتمامى بالدبلوماسية الممتازة للغاية .

كانت هذه الليلة بالنسبة لكاوارد وفاروق مختلفة عن مثيلاتها . كما وصفها كاوارد : قيل لى أن الملك شغوف لسماعى وأنا أغنى ، مما ثبت فى نفسه القدرة الفائقة على مواصلة الغناء ، لذا جلست جلسة معتدلة وشدوت بثلاث أو أربع أغنيات . وأعتقد أنى شدوت كما لم أشدو فى حياتى من قبل إلاّ أننى كنت قلقًا جدًا .

تذكر دوجلاس السبب وأثر الحادثة فى مذكراته :

لم أشك فى أن كاوارد كان قلقًا . كان يعمل بجد ويسافر مسافات طويلة فى جهده الكريم للترفيه عن الجنود . لكن ما الذى جعله يشدو بطريقة سيئة جدا فى حفلتنا – وكان العرض فى الحقيقة ضعيفًا جدًا – وهو التعليق الذى قاله الملك فاروق عندما سألت كاوارد إذا كان غناؤه سيكون جيدًا جدًا ليشدو لنا . وقال بصوته الجهور ، إنه ما من شخص يستطيع الإفلات من أن يسمعه ، مما جعل فاروق يتعجب ، « نعم . . . تعال وغنى لأجل عشائك » . لو كانت النظرات تقتل ، لكانت نظرة كاوارد إلى فاروق قتلته وتسببت فى فقده عرشه أسرع من موته .

أحب دوجلاس فاروق وسامحه لإهانة كاوارد . « كان يحاول أن يكون فكهًا

فقط ، ويتصرف ويتكلم بطريقة ظنها طريقة إنجليزية » – هذا ما كتبه دوجلاس . ورغبة من فاروق أن يعوض كاوارد ، رآه ذات ليلة مع لامبسون لكن لم يدخلان أوبرج الأهرام فدعاهما ليشاركا منضدة الملك رغم أن فاروق يكره لامبسون . لكن لم يتحمل فاروق الصحبة طويلًا حيث غادر المكان مبكرًا . واستمر لامبسون وكاوارد فى الشراب ومشاهدة العرض ليكتشفا أن فاتورتهما التقطها الملك . إن هذا العمل الكريم أدهش لامبسون تمامًا بينما كاوارد كتب آسفًا على أن كل ما تناوله زجاجة بيرة وأخذ علبتى سجائر .

كان المشير دوجلاس متعاطفًا جدًا ومتفهمًا لموقف فاروق . لأنه كان قادرًا على إدراج الملك فى كثير من النشاطات فى سبيل مساعدة القضية البريطانية . أراد فاروق جدًا أن يكون له أصدقاء ليحبهم وينتمى إليهم . فهو لم يزل صبيًا وله إحتياج الصبية بأن يتم قبوله كأحد أفراد المجموعة (الشلة) .إن دوجلاس والعديد الضباط البريطانيين الآخرين الذين قابلهم الملك من خلال دوجلاس أدخلوه المجموعة فدعوه إلى حفلات الرقص والسياحة فى استراحاتهم فى نهاية الأسبوع ، يغيظونه ثم يفعلون الشيء الذى يحبه كثيرًا – عاملوه كعضو فى مجلس العموم . كما ولع فاروق بالاستخفاف بالذات . عندما سأله أحد أصدقائه الجدد إذا كان سيذهب إلى أحد الاستعراضات العسكرية البريطانية ، أجابه فاروق « لماذا يجب على أن أذهب ؟ إنهم عادة يأتونى بالدبابات » .

وردًا على كرم ضيافة الانجليز دعا فاروق رفقاءه وخليلاتهم إلى قصره لمشاهدة أفلام هوليوود مثل فيلم كازابلانكا أو ليشترى لهم آخر تسجيلات برودواى « أو كلاهما » أو يدعوهم إلى حفلات صيد البط فى الفيوم أو لإطلاق الرصاص على التيوس الجبلية فى وادى الريشراش ، أو يأخذهم إلى أوبرج الأهرام لمشاهدة العرض الشبابى بملابسهم المميزة . لم ينهض فاروق لمحاولة الخطوات الجديدة . فقد جلس يحتسى عصير البرتقال ، ويدخن السيجار الضخم ، ويقذف بكرات صغيرة من الخبز إلى أى أحد يبدو متسمًا بالأُبّهة ، وكان يسقط مكعبات الثلج فى الفساتين التى بها

تقويرة الصدر ، ويلقى بنكات لا تنتهى ، ويتلاعب بالألفاظ مع أى أحد بما فى ذلك نفسه . إن مذهب الأبيقورية بأن المتعة هى الخير الأسمى الذى انتهجه فاروق فى مواجهة التهديد الألمانى لم يخمد حيث إن المقولة « غدا نموت » لم تعد نائمة . ولا أحد يحب أن يكون لديه وقت طيب أو يعطى وقتًا طيبًا أفضل من ملك مصر الذى بدا أنه فى طريقه للتغلب على مركب النقص النهائى الذى بذل لامبسون جهده فى أن يوقعه به . كل ذلك راق للمشير دوجلاس الذى أظهر شعورًا أبويًا حقيقيًا للملك الشاب وذلك لاستمرار وتصاعد استياء سير مايلز لامبسون الذى لم يستطع فهم السبب فى أنه لا يستطيع أحد أن يقضى أى وقت على الإطلاق مع الملك الصبى إن لم يكن مضطر إلى ذلك .

وكما كتب دوجلاس :

بدأت بعد وقت أحب فاروق بصدق مما ضايق كثيرًا بعضًا من شعبنا فى القاهرة لم تكن هناك أى إشارة حينئذ فلم يكن هناك أى شىء رذيل حياله رغم أن طيشه أصبح يضايق . وكانت هناك سقطة أخرى له وهى حرصه الشديد على اكتساب ثروة ضخمة . قال لى فى إحدى المناسبات إنه يعتقد أن ثروته الشخصية يجب أن تكون حوالى ستة ملايين جنيه وكشف بوضوح جدًا قصر نظره فى التصريح علنًا بأن أحد اهتماماته الأساسية فى الحياة هو زيادة تلك الثورة . وأدى هذا الأمر به إلى مداهنة الأغنياء فى مصر ، مثلما هم يفعلون معه ، على حساب عامة الشعب الذى اهتم به قليلًا أو لم يهتم به ، وكلما ينخرط دوجلاس فى قضايا الرخاء الاجتماعى ، يشعر فاروق أنه بحاجة تمامًا إلى القول « شعبى المحبوب » ويقوم بإسكات دوجلاس بالمزاح متهمًا إياه بأنه أصبح شيوعيًا وهى اختصار للنازى أو الفاشستى حيث كان ذلك هو أسوأ ما يكون فى عام ١٩٤٣ . وقد وجد دوجلاس على وجه العموم أن فاروق « شاب ذكى » . فإنه يتم إبلاغه جيدًا وقارىء جيد ولم يكن مغفلًا على الإطلاق لأن يظهر بطريقة غبية ويعرف فيها أمام الجمهور . كان يمزج محادثاتنا بالجدية والتنكيت مما يربك الناس الذين يشاهدوننا معًا فى نوادى القاهرة الليلة » .

ولو أن تهديد الحرب لمصر ابتعد فى عام ١٩٤٣ إلّا أن استمرار الاحتلال البريطانى أصبح إهانة متزايدة . وضح هذا الأمر فى مبارزة معقدة بين فاروق ولامبسون حيث أن محصلته منها ستقرر مستقبليهما وعلاقة مصر ببريطانيا كذلك . هذه المكاشفة ، التى دامت حتى عام ١٩٤٦ ، عندما تمت دراستها تفصيليًا أوضحت مدى عمق التنافر والعداء بين الرجلين مما يرمز إلى الخلافات التى لا تقبل التسوية بين البلدين . إن حرب فاروق – لامبسون هامة بالنسبة لتاريخ مصر الحديث أكثر من أهمية الحرب العالمية الثانية ، فقد أضرت بالتأكيد ضررًا جوهريًا .

لم يكن فى صالح لامبسون أن يكون لديه رفيق قوى من بنى وطنه مثل ماريشال الجو دوجلاس يكفل الولد السيء الذى شكل لامبسون له هبة كبيرة لعمله الدبلوماسى بالإساءة إليه لذا بدا لامبسون أكثر من رجل دولة بقدرته على التعامل مع فاروق فى كل من أوتوقراطيته وخياناته المتنوعة وإنه على ضوء إمكانية تعيينه نائب الملك فى الهند ظهر أنه عظيم فى مصر ، على حساب فاروق .

ربما كان دوجلاس واقعًا تحت نفوذ الملك إلّا أن آخر شخص سيسمح له لامبسون أن يرضخ كان ونستون تشرتشل الذى كان يأتى إلى القاهرة ويخرج منها لرؤية حملة الصحراء المنتصرة وذلك عدة مرات فى عام ١٩٤٣ ، ولم يترك لامبسون الرجلين (الزعيمين) بمفردهما خشية أن يتوثقا كثنائى غريب أيضًا . وتدخل لامبسون فى هذا الأمر ، ولحسن الحظ كان تدخلًا جيدًا . وصف إحدى لقاءات فاروق وتشرتشل بارتياح واضح :

المحادثة . . . كانت ودية تمامًا ، تدور بدرجة كبيرة حول مجموعة الملك من الأسلحة النارية وهكذا . انتقل ونستون بمهارة إلى الإشارة إلى عادة ملك انجلترا فى دعوته لطعام الغداء فى قصر باكنجهام مما جعل الملك فاروق يبدو على وجهه علامات الاستياء ، والحرج لبعض الشيء عندما اقترحت أنه ربما . . . يدرس نظامًا مثل هذا بنفسه . وكان رد الملك أنه لو كان هو الذى يدعو رئيس الوزراء سيكون الأمر مختلفًا لكنه للأسف لم يكن هو : وإنما النحاس هو الذى سيوجه إليه الدعوة .

أشار ونستون عند نقطة ما فى المحادثة إلى النحاس بأنه ماهر جدًا . و لم يحظ هذا التعليق بأى ثناء خاص . كانت الساعة تقارب الثامنة عندما أفلحت فى جعل الملك وهو يهز كرسيه ينادى رئيس الوزراء بالتالى : « هل تعرف يا تشرتشل ، . . . إلخ » . . وفى نهاية العشاء . . . وصف ونستون الملك لجاكلين بأنه « وقح » .

ربما وجد تشرتشل فاروق وقحًا إلاّ أنه أفضل مما وجد النحاس . فقد تحدث رئيس الوزراء المصرى برتابة إلى رئيس الوزراء البريطانى بشأن مشاكل المحصول والأسمدة التى كما قال لامبسون : « كان الأمر فوق قدرة رئيس الوزراء تشرتشل لأن يفهمه حيث كان تشرتشل بطبيعته غير مهتم بمثل تلك التفاصيل . . عندما كان النحاس ماض فى حديثه خشيت أن تأتى لحظة وينام ونستون . فقد جلس وعيناه مغمضتان وبدا كأنه نائم إلاّ أنه فى الواقع قد ضاق ذرعًا فقط » .

لو كان تشرتشل قد ضاق ذرعًا من تفاصيل النحاس فإن فاروق وكثيرًا من الشعب المصرى كانوا مغتاظين من فساد النحاس الذى ظهر إلى النور على يد أقرب نصير سياسى له وصديقه لمدة عشرين عامًا وهو مكرم عبيد وزير مالية مصر . عبيد ، القبطى الذكى ، كان يُعتبر بصفة عامة مخ حزب الوفد بينما كان النحاس واجهة الحزب .

بقدر ما هو ممكن فى النهاية استبدال النحاس إلاّ أنه لم يضل القوة الحقيقية خلف المنصة حيث زوجته زينب الوكيل المليئة بالقوة والحيوية والتى كانت تتطلع إلى أن تكون بالنسبة لمصر مثلما صارت إليه إيفا بيرون فى الارجنتين وإميلدا ماركوس فى الفلبين .

كانت حرم النحاس أحد أعمدة المجتمع القاهرى ، مشهورة بباعها الطويل فى جمع المال من خلال سيطرتها على الإنفاق على محسوبية الحزب والتعيينات . فقد وجهت حرم النحاس ذراعيها القويتين إلى زوجها الذى كان يشكو من اضطراب فى البروستاتا . فأجبرته على طرد مكرم من وزارته ومن الوفد قبل أن يناله مكرم أولًا .

رد مكرم بالمعلومات السرية حيال البلد . إن كتابه ما يسمى « الكتاب

الأسود » ، وهو مجموعة الإساءات النحاسية التى كان يعتزم مكرم عبيد أن يقدمها إلى فاروق بمثابة إلتماس لإقصاء رئيس الوزراء ، قد تم طبعه مع ترجمة فى الجزء العلوى وأصبح موضوعًا أسخن من « عشيق الليدى تشاترلى » . وحيث أن مكرم الباحث الأول عن الفضائح فى مصر قد أعد مائة وثمانيه تهمة إساءة المنصب والامتياز الشخصى . كان من بينها التالى : أغلق النحاس مدرسة فى جاردن سيتى وبنى على المساحة مقرًا له على غرار عشرة داونتج ستريت . وقد أصدر أمرًا للسفارة المصرية فى لندن لشراء ستة من فورير ثعلب فضى لحرمه بشارع بوند . ووافق على رى قطعة أرض صحراوية تؤول إلى ابن عمه مما يكلف أكثر من قيمتها . وكانت تقدم الوظائف مقابل الرشاوى وتستخدم المعلومات السرية الخاصة بسياسة الحكومة للأراضى لعمل ثروة فى سوق قطن الاسكندرية ، وتضع حشدًا من أقاربها (حرم النحاس) فى الوظائف الحكومية العاطلة والمربحة فى نفس الوقت ، وكانت تبيع جوازات السفر وتأشيرات السفر نظير مبالغ باهظة . إن الكتاب الأسود لمكرم جعل مصر تبدو وكأنها جمهورية فاسدة .

إن الصراع ما بين النحاس ومكرم الممتد لمدة أعطى فاروق فرصة نموذجية لأنْ يفعل ما كان يحلم به منذ الرابع من فبراير عام ١٩٤٢ : التخلص من النحاس مرة وإلى الأبد . أعطاه الكتاب الأسود الذخيرة لذلك ، فَشِلَته الجديدة من الأصدقاء البريطانيين أعطته الثقة بالنفس ، والتوقع بنهاية الحرب ، ورحيل الجنود البريطانيين ، والفرصة فى أن يكون زعيم مصر مستقلة حقًا - كل ذلك أعطاه الدفعة إلى التخلص من منافسة الأساسى على تلك الزعامة .

ولو أن لامبسون سلم جدلًا أن « ذلك الكتاب المزعوم يبدو أنه يحتوى على دليل دامغ » إلّا أنه حاول منع فاروق من استخدامه كذريعة لاقصاء النحاس . وقرر لامبسون أن يحمى الرجل الذى كان أفضل صديق للامبسون فى السياسات المصرية . إن أداة لامبسون فى منع فاروق من العمل المتهور هى حسانين الذى كان بمثابة « رئيس مكتب السفير البريطانى » . ولاحظ لامبسون أن حسانين ككلب حراسة

« كان أمامه مهمة شيطانية صعبة فى كبح جماح الملك » الأمر الذى من شأنه أن يعانى لامبسون فى السيطرة عليه بعد ذلك .

قام لامبسون بتجميع قادة الأركان البريطانيين الذين رفضوا بشدة تأييد اقتراح لامبسون بأن القوات المسلحة ربما تكون ضرورية ليبقى النحاس والوفد على الرغم من نصيحة لامبسون بأن الوفد هو « الضمان لقاعدة عسكرية مستقرة » . لم يكن رجال لامبسون العسكريون متأثرين بذلك . ولن يستأسدوا على فاروق مرة ثانية أبدًا بالدبابات فى عابدين . عندما تضايق لامبسون من الجنرالات ذهب إلى لندن وبعث ببرقية إلى ونستون تشرتشل بأن « الضعف لا يجدى أبدًا » . إزاء هذه الجملة الطنانة بعث ببرقية كرد فعل عنيف للجنرال جيمبو ويلسون :

إنه يبدو لى من غير المحتمل جدًا أنه أكثر من إثبات مطلوب فى أى قضية وأن لديك قوة هائلة تحت إمرتك . إن سفير صاحب الجلالة لابد وأن يكون فى موضع « النصيحة » الرسمية الرقيقة للقصر لذا أرجو التشاور معه ودعم موقفه .

كان لامبسون يشعر أنه مولع بالقتال بصفة خاصة فى ذاك الربيع وانتفخ من الزيارة الممتعة مع الجنرال مونتجومرى الذى أخبره « أن القتال فى الصحراء يناسبه وأن جيشه لم يكن فى لياقة أفضل رغم الحقيقة بأن القوات تعيش تمامًا على الأغذية المعلبة ، البولوبيف بصفة أساسية » . وكان مونتجومرى يحلق عبر الرمال فى قلعة طائرة أمريكية قد فاز بها فى رهان مع أحد الجنرالات الأمريكيين ، حول المكان الذى سيكون به مع حملته فى تاريخ معين . وقد تركت المواجهة برمتها لامبسون يشعر بأن مونتجومرى لو استطاع ضرب روميل فإن لامبسون يمكنه ضرب فاروق بكل تأكيد .

« فاز » لامبسون ثانية . فقد تنازل فاروق عن طرد النحاس . « ونفع الدواء » وكتب لامبسون فى مذكراته وهو مبسوط . « أتخيل أن الأمر لابد راجع إلى التنويه الذى أعطيته إلى حسانين » . وحيث استدعى فاروق لامبسون إلى عابدين وقدم إليه ورقة طويلة مكتوبة على الآلة الكاتبة تقول إنه تحقق من أن الإهتمام بالحرب لابد

وأن يسود كل شيء وإنه كما فهم إننا نعتبر الأمر سيكون على ما يرام إزاء أهدافنا الخاصة بالحرب لجعل الحكومة الحالية باقية فى مكانها ، لذا سيوافق صاحب الجلالة على مضض على ذلك . . أظن فى الواقع أنه تخل ظريف جدًا مع ميزة إنقاذ ماء وجه صاحب الجلالة .

أخبر لامبسون فاروق مباشرة أنه بينما تجيء حكومات وتذهب حكومات ولأن إنجلترا لا تهتم بعدد الملوك المتدنى حاليًا فى العالم فإن فاروق كملك من الممكن أن يكون له حكم مدته طويلة لو ، ولو فقط ، التصق بالبريطانيين . وأوضح لامبسون تمامًا من هو الزعيم ولا يزال الزعيم ، لذا وضح عندما قام وينديل ويلكى بتأليف كتابه « عالم واحد » حيث كتب عن لامبسون معلنًا أن السفير البريطانى فى مصر كان « الحاكم الفعلى عمليًا » ، وكان الكتاب قد تم حظر تداوله فى مصر . وإنه بإنهاء مقابلتهما بشأن النحاس ، وعاقب لامبسون أيضًا فاروق بشأن « الانطباع الباعث على الأسى الذى أوجده كل الشباب أعضاء الأسرة المالكة نزولًا لطلب واحد . إن الأمر مرجعة إلى صاحب الجلالة ليتصرف تصرفًا حسنًا : إنجاب طفل عندما يكون كل شيء بهيجًا » .

إن نصح لامبسون لإنجاب ابن كان إشارة رديئة خاصة مما يضيف صفة على جراح فاروق الزواجية ، والتى كان لامبسون على وعى بها . إضافة إلى « الصداقة الوثيقة » المستمرة لفريدة مع وحيد يسرى أقامت علاقة أخرى مع رسامها حيث أشيع بدرجة كبيرة عن أنها علاقة أكثر من كونه أحد رعاياها وفنان . كان الفنان رجل السيدات البريطانيات ومتسلقًا اجتماعيًا جنسيًا وهو سيمون إلْوِيزْ ، وكان فى الأربعين بيد أن ملكة مصر تقترب من العشرين .

حضر إلْوِيزْ إلى القاهرة لعمل صور للمجتمع الراقى المحلى ، ونجح فى ذلك لدرجة أنه رسم السفير لامبسون نفسه . كان فى ذهن الويْز الطموح أن مهمته فى مصر ستكون ناجحة لو قام برسم الملك والملكة فقط ، وشق طريقه فى النهاية بالغواية من خلال عمة فريدة زوجة رئيس الوزراء السابق حسين سرى . وافق إلويزْ فى أوائل

عام ١٩٤٣ على العمولة المحترمة للمساومة على السعر الأساسى وهو ألف جنيه مصرى لكل صورة لأن تكون النصف .

ذهب إلويز أولًا إلى عابدين حيث كان عليه رسم فريدة أولًا . ثم سرعان ما أعلن أن كل أبهة ومراسم عابدين تصرف الانتباه . وإنه على الملكة أن تأتى إليه ، إلى الاستوديو الخاص به . كان هذا الاقتراح مثيرًا لسببين . أولًا ، إن الملكات المصريات تخضعن لقواعد الحريم الخاصة بالشرف الذى بموجبها لا تغادرن القصر لأجل مثل تلك الصور القاتمة . ثانيًا : إلويز له سمعة « كرسام منهجى » ، وهو أنه يحتاج إلى أن ينام مع الجانب النسائى فى موضوعاته ليصل إلى فنه معهن . حيث أنه أعطى فاروق مداعباته المتعددة وأعطى فريدة « عصريتها » من حيث الذوق والإخلاص الفنى ، ذهبت الملكة إلى إلويز فى سرية تامة مصطحبة معها خادمتها الشخصية الموثوق بها . ولم يكن هناك شىء سرى بالنسبة لفاروق . فقد اكتشف جواسيس قصره الجلسات خارج أسوار القصر ، وفاجأ فاروق الاثنين . عندما سمع لامبسون عن الحادثة رتب الأمر لإرسال إلويز إلى جنوب إفريقيا بزعم رسم صورة لزوجة المشير سموتس غشقفغ إلّا أنه فى الواقع لمنع فضيحة وإمكانية الانتقام الجسدى من الرسام رغم أن إلويز لم يكن شجاعًا تمامًا حيث كانت الرومانسية والحرفة الفنية هما الأمران المعنيان . وتوقع إلويز تمامًا عودته إلى القاهرة بعدما يقوم برسم مسز سموتس . وثار إلويز عندما قام لامبسون بمنع عودته . واستحث فاروق ، كثير المزاح ، لامبسون فى نفس الوقت من خلال حسانين على طلب عودة إلوير ليكمل صورة فريدة ويقوم بعمل بورتريه له كذلك . قال فاروق فى نهاية الأمر إنه رصد بالفعل مبلغًا جيدًا .

قبل فاروق علنًا نصيحة لاميسون لإنجاب ولد . أصبحت فريدة حاملًا فى ربيع ١٩٤٣ ، إلّا أن هناك إشاعة سارية بشأن هوية والد الجنين ، وكانت هناك مراهنات قليلة على أنه الملك . كان فاروق يأمل جدًا أن يكون الطفل صبيًا . وبينما كان فاروق منتظرًا استمر فى الانغماس فى الملذات ، كان يكفر عنها قليلًا من خلال مرحلة دينية

حيث يزور دير سانت كاترين فى سيناء مضيفًا لحية الرجل الدينى الوقور إلى شاربه الكبير مما ألهم نويل كاوارد إلى تحيته هاتفًا « يحلق الملك » بدلًا من « يحيا الملك » .

ولأن فاروق كامن قد كون مجموعة من الأصدقاء الانجليز ولأنه اعتاد تملق السفير ، وتنازل أمام لامبسون بشأن النحاس و« الكتاب الأسود » كانت بالنسبة له أمور مروعة ، تقل فى ترويعها عن ترويع ليلة الدبابات فى عابدين . فلا تزال الإهانة قائمة وأراد فاروق أن يجد السبيل لإنتهائها . فاقترح عليه أصدقاؤه الانجليز ممن تحالفوا معه أن يذهب إلى الملك جورج نفسه دون الرجوع إلى صديقيه الحميمين تشرتشل وإيدن وذلك لترتيب إزاحة لامبسون كسفير . وحذر الأصدقاء الإنجليز فاروق من أن ذلك الحوار لابد من أن يبدأ بالمراهنة وبنعومة قاطع الماس . وبعد تفكير كثير فيه ترو قام فاروق وصحبته بتدبير موضوع دخول قصر باكنجهام : وكان حصان طروادة الذي سيتيح دخول القصر عبارة عن صندوق شيكولاتة . وتكون الهدية من بنات الملك فاروق الأميرتين فوزية وفريال إلى ابنتى الملك جورج الأميرتين إليزابيث ومارجريت . لكن أحلى مفاجأة لابد وأن تكون فى يدى حامل الهدية ، وهى عبارة عن خطاب من الملك فاروق يتم تسليمه باليد إلى الملك جورج فى نفس وقت تقديم الشيكولاتة للأميرتين . يقول الخطاب إهتمام فاروق بإجراء حديث مع جورج يتم فيه الإنتهاء من المتاعب مع مايلز .

إن رسول هذه الدبلوماسية الحلوة كان ضابط بريطانى شاب يدعى باتريك تيلفر – سموليت Patrick Telfer-Smollet الذى تم استدعاؤه إلى عابدين لتجميع الهدية . وعندما وصل وجد فاروق فى وسط بحر من الشيكولاتة يربو ثمنها على مائتى جنيه مصرى وهى من أفخم شيكولاتة جروبى . حيث كان الملك نفسه يتذوق جميع الأنواع المختلفة ملتقطًا أفضلها وأحلاها على الإطلاق ، ثم يتم وضعها فى صندوق مصقول بعناية فائقة يزينه شعار النبالة لكل من انجلترا ومصر . ولأجل الوصول إلى انجلترا أثناء هذه المرحلة من الحرب كان على تيلفر – سموليت الذهاب عن طريق لشبونة المحايدة التى تُعين على

عبور القارة عن طريق الخرطوم ، نيروبى ، وعنتيبى ، وداكار حيث ذابت الشيكولاتة أثناء ذلك أكثر من خمس مرات حاول تيلفر – سموليت جهودًا للحفاظ عليها بالثلج عندما كان الثلج فى متناول اليد . أخيرًا وصل إلى قصر باكنجهام ليقدم الشيكولاتة والخطاب وكان الملك والملكة وابنتيهما خارج القصر إلا أنهم داخل البلد . فقام موظف القصر بكنس الشيكولاتة . أما الخطاب الذى صدرت بشأنه أوامر مشددة لأجل تسليمه باليد للملك جورج فما زال فى يدى تيلفر – سموليت المرهقتين . ولم يصل الخطاب إلى الملك الإنجليزى على الإطلاق .

مر فاروق بفترة سيئة قصيرة فى نوفمبر مع البريطانيين . فقد كان متجهًا إلى الاسماعيلية فى سيارته الكاديلاك الحمراء ، وبجواره أنطونيو بوللى ، وكان يقود بسرعة تزيد على المائة ميل فى الساعة ، وذلك لرؤية اليخت الملكى الخاص به إذا كان يليق به أم غير ذلك . عندما أراد أن يتجاوز سيارة جيش بريطانى رأى سيارة أخرى تتجه نحوه مباشرة . فأوقف السيارة ، ونجح فى ذلك ، إلاّ أنه بينما هو عائد إلى الخلف تصادم بسيارة لورى مما جعل الكاديلاك تتحطم فى بستان من الأشجار على امتداد الطريق . وتوقف اللورى للمساعدة ووجد فاروق واعيًا ومحشورًا بين المقعد وعجلة القيادة . عندما أخبر أحد الجنود البريطانيين إنه ملك مصر واعتقد الجندى أن الرجل يهذى حيث قال لأصدقائه إنه إذا كان الرجل هو ملك مصر فإننى (الجندى) إمبراطور أفغانستان . وأضيف جرح آخر إلى الإهانة عندما تم نقل فاروق على النّقالة وسقطت وعليها فاروق بينما ينقلونه إلى سيارة الإسعاف البريطانية بسبب وزنه الهائل (الذى وصل إلى أكثر من مائتى رطل) . وسقطة فاروق على الأرض زادت من جروح السيارة التى لحقت به ، وكان التشخيص فى مستشفى ميدانى بريطانى بالقرب من القصاصين يقول كسر بعظم الحوض وضلعين .

تم استدعاء كبار الأطباء إلى المستشفى العسكرى . وأرادوا نقل الملك إلى القاهرة لكنه أصر على أن يتم علاجه كأى جندى بريطانى عادى رغم أنه كان يتألم . وأحب أن تكون الإصابة « إصابة حرب » مما يجعله يشعر كشاب عادى وطبيعى

وبطل إلى حد ما . كان هناك تليفون بجوار سريره وطعام خاص يتم نقله من عابدين ، وهناك طوابير طويلة من الفلاحين عند بوابات المستشفى ومعهم هدايا من الحلوى التى صنعوها ، لكنه قام بدور الجندى المجروح تمامًا . وأخبر أحد طلاب المدرسة العسكرية قصصًا لأجل الجنود الآخرين عن أيام الدش البارد فى انجلترا » فى محل « وأثبت أنه كان يقوم بتمرينات مؤثرة (بالنسبة لحجمه) فى بار معروف بأشعة بلقان . وأحب خدمات الممرضات البريطانيات ، مسّاجهن والعلاج الطبيعى الذى يقمن به . إن مغازلاته الثقيلة للممرضات كذب الإشاعة بأن كسر حوض فاروق أدى به إلى العجز الجنسى وإلى ما هو أسوأ .

كثير من الذين ينبأون بصعود وهبوط فاروق إنما ياتى بعد الحادثة التى وقعت له أن السحق الذى حدث له دمر النظام الجنسى والهرمونى وأنه يزيد بدانته ومن سلوكه الشاذ . لكن فاروق يزداد بدانة بالفعل . ولم يكن والده أو أى من المنحدرين من محمد على يميل إلى النحافة . أما بالنسبة لعجزه الجنسى ونفوره المستمر فقد شهدت به العديد من خليلاته وكما كان شذوذه موضع شك لدرجة ما . فإن أيًا من التقارير الطبية لم يتناول الحادثة بأنها غير عادية . كان الأطباء فى الحقيقة على استعداد أن يخرجوا فاروق بعد أسبوع ، لكنه أحب تجربة المستشفى كثيرًا جدًا ، وتباطأ فى ذلك لأسباب ثلاثة . كان مسرورًا لأن يكون بعيدًا عن عابدين ، بعيدًا عن لامبسون ، بعيدًا عن النحاس ، . بعيدًا عن فريدة ، وبعيدًا عن نازلى التى تفتقر إلى الأضواء كملكة ولتبتعد عن فاروق وفريدة سافرت إلى الشواطىء والمزارات المقدسة فى فلسطين فى أجازة طويلة ووافقت على العودة فقط لو استقبلها كل من فاروق والنحاس فى محطة سكة حديد القاهرة بفرقة موسيقية بالملابس العسكرية الكاملة . وقد وافق الملك ورئيس الوزراء وعادت نازلى للوطن لكن فاروق نجح فى إيجاد عذر لعدم الإنصياع لوالدته فى آخر دقيقة .

كان فاروق يبتهج أيضًا من تجنب كل بروتوكول بما فى ذلك زيارة نوفمبر لكل من تشرتشل وروزفيلت وتشيانج كاى شيك فى مينا هاوس وهم فى طريقهم

إلى مؤتمر طهران . كانت دراسات التحركات والإيواء سلسلة من الأخطاء الهزلية مع الدبلوماسيين الذين تعثروا أمام سطور برقية دولية أتت إلى الفندق بطريقة متشابكة أشبه بخيوط العنكبوت وهى أن جيوشًا ممن يقومون برش الفيليت يحاولون جعل أصحاب المقامات الرفيعة فى أمان من البعوض حامل الملاريا الوبائية المتفشى فى مصر آنذاك ، وعندما تم إعطاء تشاينج كاى شيك الاسم الكودى (سماوى) حدث تشويش وارتباك لكل واحد فاندفع إلى فرنسا ليرى مسرحية هزلية أكثر من إسراعه للمؤتمر فى طهران . كان تشاينج غير مستطيع التحدث ولو بكلمة انجليزية ودائمًا ما كان المترجمون يضلون كما وصف لامبسون كانت المحادثة مكونة من « أصوات السرور الواضحة عند الاجتماع ثانية » . إنه مع كل زعماء العالم بالإضافة إلى ملوك اليونان ويوغوسلافيا وألبانيا فى المنفى فى القاهرة فى ذاك الوقت فإن المدينة التى تجاور الأهرام بدت كما لو كانت المدينة الوحيدة فى العالم وفيما عدا ذلك فقد كان فاروق يفضل كثيرًا جدًا ممرضات كوكتنى ، من أفقر أحياء لندن ، ورجال المشاه من ميدلانرز .

لم يعد فاروق يلعب دور المعتل وكان عليه أن يعود للواقع حيث كان أقسى مرحلة بكل أسف إنجاب فريدة فى ١٥ ديسمبر بنتًا أخرى . وأطلق عليها فاروق اسم فادية وبينما يظهر استياءه من الداية (التى قامت بمباشرة الولادة) وهى انجليزية أكد لها « أنها تحب نفس الشيء » وحيث كانت الفرق الموسيقية تعزف « سيقول الشعب نحن فى حب » وصل فاروق إلى احتفالات شويكار بعيد رأس السنة الجديدة مع إيرين نجار التى أعلنت للقاهرة وللعالم عن مدى تدنى الحب الملكى بين الملك والملكة إلى درجة سيئة . وكتب لامبسون عن موقف فى حفل شويكار مع الأمير محمد على فى الثالث من يناير على ١٩٤٤ حيث قال :

كان الملك الشاب « حقودًا ومعتوهًا » . وكدليل على ذلك ذكر حادثة فى حفل شويكار . هنأ الأمير عبد المنعم الملك على شفائه من الحادث حيث رد الملك بأنه استاء من كثير من الناس الذين سينتقم منهم . وكان من الغريب أن يخبرنى الأمير

الأمير محمد على هذا حيث صُدمت وجاك من الانطباع الفظ العام وغير السار الذى أبداه الملك فى الحفل . وكان تعليق جاك على ذلك لى هو أن الولد « من المؤكد سيء » وأخشى أن تكون على صواب حقًا ، وإننى أشعر الآن أنه من الحكمة لو أننا قمنا بإزاحته . . . فى فبراير ١٩٤٢ . . . كنت أرغب بكل تأكيد فى التخلص منه مرة واحدة وإلى الأبد . وسيكون من الصعب مسايرته مرة ثانية ومن المؤكد أنه وحسانين يلعبان لعبة ذكية جدًا لدرجة أنى بدأت أشعر أنه يجب التفاهم معه فى الأمر قبلما أن تنزلق الأشياء إلى أكثر .

بينما كان لامبسون يفكر مليًا فى كيفية « التعامل » مع الولد الملك المشاكس وفى انتظار تطورات المنصب الضخم فى الهند ، صرف نفسه عما سيحدث بالنسبة للبريطانيين فى مصر الذين ينعمون بالحياة فى بلد كمثل نادى من أنديتهم ابتعدت عنه الحرب . وامتدت دائرة اتصال لامبسون مع المشاهير مثل فيفيان لى ، جوزفين بيكر ، جاك بينى ، الذين حضروا ليرفهوا عن الجنود ، وامتد إلى المهراجا غاييور الذى حضر ليلعب الجولف . وكان لامبسون مولعًا بالبنادق . وكان أسعد أيامه يقضيها فى الصحراء يطلق فيها أنواع المدافع الرشاشة الموجودة بالترسانة البريطانية بينما هو وليدى لامبسون يأخذون دروسًا خاصة فى إطلاق الرصاص بالمسدس . لقد قابل كل مشاهير العالم لكن الرجل الذى أثر فى لامبسون مثلما أثر روزفيلت أو تشيانج كاى – شيك كان رائدًا بريطانيًا يدعى جرانت – تايلر الذى اشتهر بأنه أحسن رامى بالمسدس فى العالم وقد استأجره بوليس شيكاغو للمساعدة فى التعامل مع عصابات آل كابونى . وقال لامبسون أن جرانت تايلر « قام بقتل ما لا يقل عن سبعة وخمسين رجلًا » وهو العدد المساوى لعدد البط الذى تم اصطياده فى الفيوم . وتألم لامبسون جدًا لموت الرائد السريع حيث كان قد غادر إحدى الغواصات فى أحد الشواطىء الفرنسية وقتل ستة ألمان طيارين الذين كانوا يوجهون الغارات على انجلترا ، وعاد إلى الغواصة وكان كل ذلك فى خلال سبع وعشرين دقيقة . « الحرب بكل تأكيد تجعل المرء يتصل مع ناس مشهورين ، ورجل آخر مثل هذا كان طيارًا مقاتلًا وهو

ماكس أيتكن نجل لورد الصحافة فى بيفربروك الذى وصف عرضًا لسير مايلز وليدى لامبسون « أنه قام بطلعة وأصاب إثنتين فوق كريت كل ذلك بسهولة دون أية صعوبة » .

أحيانًا كان لامبسون يخلط بين الجولف والرماية . ففى نادى الجزيرة الرياضى تضايق لامبسون ذات مرة من الطيور التى كانت تحلق فوق كرات الجولف حيث أخطأهم عند رميهم بالبيض فأرسل فى طلب بندقيته وأطاح بعدة عشرات . لم يعجب ذلك الوطنيين حيث أن الطيور تؤكد على ميزان الطبيعة من خلال إلتهام الطيور للديدان التى تدمر محاصيل القطن ، وكما أن معاملة لامبسون لفاروق لا تعجب الوطنيين أيضًا . كان اتصال لامبسون بالمصريين العاديين أقل بكثير من اتصالات فاروق مثل أولاد الكرة ولاعبى الأكروبات والسيوف الذين تستأجرهم السفارة فى الحفلات الراقصة .

كان لامبسون يرسل إلى ونستون تشرتشل شربة السبانخ المصرية التى لها مميزات ساحرة ، وشربة الكوارع التى أحبها رئيس الوزراء .

وحيث أن تشرتشل يساند لامبسون فإنه غير نادم على عقاب فاروق فى كل فرصة ممكنة إغتاظ لامبسون من موقف فاروق فيها تجاه البريطانيين فى مصر ويريد أن يقطع أى مساندة إنجليزية لفاروق قد تجعل كره لامبسون له أقل من أن يتم تبريره . عندما علم ماريشال الجو دوجلاس أنه بصدد إرساله إلى انجلترا فى أوائل ١٩٤٤ كرئيس أركان قيادة السواحل الأمر الذى أحزن فاروق فى خسارته المتوقعة لأحسن صديق إنجليزى له وأول من أوضح له أن البريطانيين قادرون على معاملته كملك وليس كحدث قاصر . أراد فاروق إهداءه كذكرى للصداقة ، فمنحه وشاح ووسام إسماعيل وهو اعلى درجات التكريم . ولأن اللوائح العسكرية تتطلب أن يحصل دوجلاس على تصريح رسمى قبل قبول ذلك مما جعله يتبع الأمور الرسمية . وقد فوجىء عندما سمع من وزارة الخارجية أنه عليه رفض مكافأة فاروق . رغم أن اتصالات الرفض جاءت من لندن كان هناك شك قليل إن الدافع لها جاء من القاهرة ، وكان دوجلاس فى موقف حرج وكتب :

إن غضبه كان طلب فاروق بإخباره بالضبط لماذا لم أقبل هذا الوسام . وكان عليّ أن أخبره أن قرار الرفض ليس بقرارى . . . قال فاروق على الفور إنه اكتشف أن يد سفيرنا وراء كل هذا . كنت أميل إلى الظن بالنسبة لى فى أن فاروق قد يكون على صواب ، لكن كل ما أستطيع قوله هو تكرار أن ذلك قرار رسمى وصل من لندن . أما حرج فاروق سيأخذ الأمر بمثابة إهانة شخصية لرفضى هذا الوسام العالى . . . وأخبرت سفيرنا أن بينما الأوسمة لا تعنى شيئًا بالمرة بالنسبة لى فإن عدم السماح لى بقبوله سبب إساءة بلا مبرر لفاروق مما يزيد آلامه تجاه البريطانيين . إلّا أن لامبسون كان عنيدًا بشأن حكم وزارة الخارجية ، وترك الأمر لى لأنفذ المهمة غير السارة بأن أكتب رفضًا رسميًا للملك فاروق .

كان ذلك نهاية للصداقة . اغتاظ لامبسون من أن دوجلاس تجرأ وتكلم فى شأن هذا الأمر وتذمر منه . « لو كان هناك أى مزيد من الحديث الخلفى منه سأتحرك لأخبره عندما أراه مرة ثانية من أين يبدأ » . هذا ما دونه لامبسون فى مذكراته بالتأكيد ، لكن فاروق فى نفس الوقت أدار وجهه (خَدّه) ودعا لامبسون فى فبراير إلى الحفل الملكى باصطياد البط حيث كان على لامبسون أن يستيقظ فى الساعة الثالثة إلا الربع صباحًا . « كان صيدًا جيدًا وكنت أصيب البط فى العنق إصابة جيدة ، حيث كتب لامبسون الذى اصطاد مائة وسبع عشرة بطة ، أكثر من أى واحد آخر فى حفل الصيد فيما عدا الملك » الذى أعلن أنه اصطاد أربعمائة وسبعة وثلاثين إلّا أنه ظهر أن هناك صديقًا يطلق معه رصاص الصيد ولم أكن أشك أن كثيرًا من الخفراء يقومون بالعمل فى منطقته . . رغم أن لامبسون تضايق من خروجه من الصيد إلّا أنه زعم إلى أن صاحب الجلالة كان فى أحسن حالاته وهو مضياف جدًا بكل تأكيد .

عرف فاروق أن الطريق إلى قلب السفير كان من خلال البندقية . وكان لامبسون مستكينًا لذلك الشعور بالأمن لدرجة أن لامبسون رأى ذلك بمثابة « قنبلة » فى إبريل ، عندما دعا فاروق لامبسون إلى عابدين ليخبره إنه بصدد طرد النحاس مرة واحدة وإلى الأبد وإحلال صديق لى (للامبسون) رئيس لحكومة دائمة ، وكان الصديق صديقًا

جيدًا للبريطانيين يسمى حسنين . ثم قدم فاروق إلى لامبسون قائمة بالوزراء المقترحين الذين رآهم لامبسون كمجموعة من الأغنياء « التافهين » كان من بينهم المليونير عبد الفتاح عمرو كل مميزاته الأساسية للمنصب كانت أنه بطل العالم فى الاسكواش .

كان دافع فاروق المباشر إلى طرد النحاس هذه المرة هو محاولة الأخير للسلطة كزعيم للبلد من خلال جولته فى صعيد مصر حيث كان وباء الكوليرا يقتل الآلاف ، وكان فاروق فى نفس الوقت يقوم بجولة إغاثة . بينما أسس النحاس هيئة إغاثة باسمه وليس باسم الملك كما كان متبعًا وعرفت باسم مؤسسات النحاس. كان النحاس يبذل قصارى جهده لجعل الملك يظهر كشيء غير ضروري ، وهذا ما أراده لامبسون من النحاس أن يفعله . وأصبح من المفهوم أن فاروق يصر على التخلص من النحاس .

ظاهريًا ، حاول لامبسون أن يلعب اللعبة ببرود جدًا جدًا . وكتب لامبسون يقول : « حافظت على أن تكون الأمور ودية جدًا وعلى أساس رسمى » . « عندما شرح أنه غير ممكن فى الحقيقة أن يكون لمصر ملكان ، علقت بملحوظة وقلت معاذ الله ، فوجدنا أن ملكًا واحدًا كاف جدًا ؛ ومزح لامبسون أيضًا أن رد فعل لندن إزاء التغيير ربما يكون « لا فائدة فيه تمامًا » . لكنه تحت السطح كان لامبسون يعنى كل كلمة حرفيًا . كان مغتاظًا . وكان يودع فاروق بود للغاية ، وهرول إلى السفارة وأبرق لأنطونى إيدن ووزارة الحرب فى لندن » برقية شخصية وسرية للغاية . . بالنسبة للنقاط أندهش إذا ما كان فى استطاعتنا مواجهة هذه الارتباكات المستمرة وعما إذا كان باستطاعتنا إتخاذ خط متشدد ونسيطر على مصر مباشرة أم غير ذلك . تلك « السيطرة المباشرة » بالنسبة للاستعمار القديم يعنى الإطاحة بفاروق فى النهاية .

طرح لامبسون السعيد القضية كالمعتاد أمام قادة أركانه الذين أعاقوا ثانية استخدام الجيش للتخلص من الملك . ووصفهم لامبسون « بالتوماسيين المتشككين » . وبينما كان لامبسون يبرق مرة أخرى لوزارة الحرب فى لندن علم أن فاروق عبر النهر بالفعل ووقع مرسومًا بإقالة النحاس ، مع أنه أكد للامبسون أنه لن يفعل أى شيء باندفاع دون إخطاره أولًا . حتى أنه لم يبال بارتداء السترة السوداء التى دائمًا يرتديها للذهاب

إلى عابدين ، وذهب لامبسون باندفاع إلى القصر لمواجهة الملك الذى هدأ من ثورة السفير بتهنئته على بدلته الكاكية من أين يمكنه الحصول على واحدة مثلها تمامًا .

عندما أعاد لامبسون المناقشة من ملابس الرجال إلى السياسة ، شرح فاروق أنه كان عليه أن يتحرك بسرعة لأن النحاس كان بصدد القيام بجولة أخرى إلى الدلتا هذه المرة ، وكان على فاروق أن يعين دون شك من هو زعيم مصر . كان لامبسون متضايقًا من الأمر برمته . كان ويندل ويلكى وكل واحد آخر يعرف تمامًا أن لامبسون كان رئيس مصر . أخرج لامبسون برقيته من جيبه وألقى بها فى وجه فاروق . كانت البرقية من ونستون تشرتشل وأمر فاروق ألا يتخذ أى إجراء حيال طرد النحاس حتى تقرر وزارة الحرب الأمر . وتنتهى البرقية بالآتى : إن حكومة صاحبة الجلالة ستكون متأكدة تقريبًا من أنها المصنفة لمن يضرب الأول [فاروق أم النحاس] .

وإنه باعتبار أن مصر قد تم إنقاذها من أهوال الغزو ومن أن تكون ميدان قتال وبقيت أرض سلام ورخاء ، فإننا لنا الحق فى أن نخطركم بهذا الموضوع .

خرج لامبسون من القصر ليتسلم برقية جديدة من تشرتشل تتنبأ باجتماع وزارة الحرب فى اليوم التالى وأنه من المحتمل جدًا مساندة الإدارة الديمقراطية أمام زمرة القصر يرأسها طاغية شرقى أثبت فى كل مناسبة أنه صديق سيء لانجلترا . فى نفس الوقت أكد للوزارة أنه فى القاهرة قوات كافية تحت أمرهم للتعامل مع أى مصريين مشاغبين . . . .

اجتمع لامبسون برؤساء أركانه وعرض عليهم القضية . فقد استساغ القيام بدور القائد الأعلى .

جميع الخطط العربية تم إعدادها للإنقلاب بما فيها التوقع برد من الجيش المصرى وشرطة القاهرة حيث توقع لهما لامبسون عدم تحرك أى منهما مع تغيير المتربع على العرش . وعند إجراء مكالمة هاتفية إلى قصر المنيل أحزم الأمير محمد على حقائبه للتحرك إلى عابدين .

كان أمام لامبسون شهر واحد وأخير مع فاروق قبل أن تتحرك الدبابات ويتم الغلق عليه ثم إرساله إلى المنفى إلا أن ذلك المشهد لم يتم تحديده . أخبر فاروق لامبسون عن مدى أهمية الأمر بالنسبة لشرفه ولصالح بلده فى التخلص من فساد النحاس وجنونه بالقوة ، مما دعا لامبسون أن يخرج عصا المدرس ويضرب بها فاروق بسبب سوء أسلوبه . « إن الأمر بالأحرى مسليًا . . . حيث وضع مسألة شرفه الخاص قبل مصلحة بلده وهذا شيء من ناحية اقتراحي يبدو أنه أتفاق جيد لعكس الأمر الذى أصدره آنذاك » وهذا ما كتبه لامبسون . « ذكرت هذا فقط لأوضح نوع العقلية الطفولية التى معها على المرء أن يتخذ قرارًا » .

وذكر لامبسون الولد بشبح والده ، الملك فؤاد ، الذى رثا فى عدة مناسبات إلى لامبسون « أن الصبى المسكين لم تتسنى له الفرصة » . لامبسون أخبر فاروق بأنه (لامبسون) هو الفرصة الوحيدة لأن يبقى فاروق على العرش وأنه بدد هذه الفرصة الذهبية لأن يدفع تشاؤم والده العميق حيال تنبؤات ولده كقائد . ظل فاروق ساكنًا . كان مؤدبًا تمامًا أمام ثورة الثور الذى يواجهه وقال للامبسون إنه كان « منفصلًا تمامًا فيما يختص بموقفه هو . إنه القدر الذى وضعه على عرش مصر وواجهه بكل هذه المشاكل » .

عندما ترك لامبسون فاروق قابل حسانين فى الردهة . لقد أهين حسانين نفسه إهانة تامة عندما استخف لامبسون ، صديقه العزيز ، بتعيينه رئيسًا للوزراء ، إلاّ أنه بقى مؤدبًا أيضًا . كرر لامبسون المعاملة القوية ، بخروج حسانين وموافقة فاروق على الإبقاء على النحاس على أساس طوارىء وقت الحرب . كانت لندن فى حالة هجوم عليها وأن الهجوم السرى للغاية سيظهر فى السادس من يونيو من شأنه أن يبرز فاروق بمثابة « حليف مخلص » فى الإبقاء على الوضع كما هو عليه مؤقتًا . رفض حسنين الموافقة على أى مثل الاتفاقات التى تحفظ ماء الوجه .

لقد أهين الملك ، ومصر قد أهينت بجعل لامبسون حكومة النحاس مستمرة مما يمكن مقارنة هذا فى ابتزاز الأموال والرشوة والفساد بالنسبة لتلك الأنظمة فى

الجنوب الأمريكى أثناء إعادة البناء ، أو إدارة مايرجيمى برمتها . ووكر وتامانى هول فى مدينة نيويورك فى « العشرينات الصاخبة » .

عاد لامبسون إلى السفارة ليشحن مسدساته ويشحذ سيوفه . ظل منتظرًا خطابًا من قادة الأركان بشأن اليوم التالى للهجوم القادم مما أثاره لعدم وصول الخطاب قط . فماريشال الجو الجديد الذى حل محل دوجلاس لم يتسنى العثور عليه للتوقيع على الرسالة الخطية . فقد كان مع الملك فاروق فى أوبيرج الأهرام لمشاهدة العرض . وإنه فى اليوم التالى لم يقدم أية أعذار وبعث فاروق بحسانين إلى لامبسون ومعه الرسالة الخطية البسيطة التالية :

« بأمر صاحب الجلالة أبلغ سعادتكم بأنه قرر ترك الحكومة الحالية فى منصبها مؤقتًا » . لقد « أيد لامبسون الولد » مرة أخرى إلا أنه كان مستاءً ، فهو يريد إقصاءه .

نسف لامبسون فرصته الذهبية . إثارات الربيع تبعها صيف هادىء وخال من الحفلات وبيروقراطية زمن الحرب الكئيبة . إن الإثارة الحقيقية حدثت فى أغسطس عندما انفجر لغم نازى شديد الانفجار وقد غسل شاطىء قصر المنتزة . فشعر فاروق الذى كان لديه ولع بالأسلحة ، كما لو أنه اكتشف الكأس المقدسة للمِقْذافِيّة وقد أمر ضباط البحرية المصرية بإبطال اللغم . وكانت البحرية المصرية التى تفوق قليلًا وبشق الأنفس البحرية السويسرية عديمة الخبرة بالألغام ، ولذا تم التحول إلى البحرية البريطانية للمساعدة وعندما وجد فاروق هذا الإعتراف بالعجز تسلم اللغم من الخبراء البريطانيين قبلما أن ينجزوا مهمتهم وتم وضع اللغم الحى على شاحنة فى الاسكندرية . وقطع اللغم الطريق من خلال الدلتا حتى القاهرة حيث أضافه فاروق إلى مجموعة سلاحه فى عابدين . مع كل هذا الحنق من فاروق ما يزال لامبسون لا يريد لفاروق أن ينسف نفسه والقصر معه والتمس من حسانين أن يدعه يرسل للبحرية البريطانية أن تعود لإنقاذ الملك . لكن فاروق رفض بعناد وكشف عن طريقة للإبقاء على لغمه وقصره أيضًا . فكتب لامبسون : « إن هذا مجرد مثال آخر عن مدى تهور وعدم مسئولية الملك الشاب » وعندما وصف الحادثة للنحاس وبعض أصدقاء من الوفد الذين

« بسخرية إلى حد ما اتخذوا خطًا ربما كان شفقة تمامًا وهو أن لا ينفجر اللغم » . الشفقة حقًا . كانت مصر فى سبتمبر هادئة عندما شعر بالأمان الكافى بأن يأخذ جاكلين فى أجازة لمدة شهر فى جنوب إفريقيا فى زيارة المشير سموتس والليدى سموتس . كانت أول رحلة له خارج مصر منذ أن بدأت الحرب . وبينما كان فى الخارج التقط ورقة وقرأ بعض الأنباء السيئة جدًا . لقد تم طرد النحاس كرئيس للوزراء وإحلال أحمد ماهر محله ، شقيق على ماهر العدو اللدود للامبسون . وكان النحاس يسلم أيضًا بقوته ومركزه . كان ولد لامبسون ، ولد إيدن ؛ وكان صبى تشرتشل . ليس فى إمكان أى أحد أن يمسه إلّا أنه ما من أحد هناك لاستدعاء الدبابات ضد فاروق أيضًا . وفتح النحاس فى الثامن من أكتوبر رسالة خطية من القصر ، وقرأ الخطاب التالى من القصر :

عزيزى مصطفى النحاس باشا ، إنه شوقًا إلى رؤية بلدنا تحكمها وزارة ديمقراطية تعمل لأجل الوطن ، وتطبق روح ونص الدستور ، وتقيم المساواة فى الحقوق والواجبات بين كل المصريين ، مؤكدة فى النهاية على الطعام والملبس لكل واحد ، قررنا إقصاءكم من المنصب .

لم يقم المصريون بأى قدر من المظاهرة للنحاس أو حتى أى مسيرة . حتى البريطانيون لم يفعلوا له شيئًا . حتى أن لامبسون الذى كان منذ شهور يدفع بالدبابات للحفاظ على النحاس فى منصبه ، يدفع الآن بالمبررات . كتب :

الحال سيء ! ولو كان هذا حدث . . . فإن ما يخفف عنى أن ذلك حدث أثناء غيابى . . . كنت غائبًا على أية حال فى وقت لا يتسنى للنحاس أو الوفد باتهامى بأنى تركتهم يفعلون ذلك . . . وعلى أية حال أيضًا فإن الوقت الحرج للخطر من ناحية الحرب مر بسلام . عمل النحاس لنا بطريقة حسنة آنذاك ويجب على الواحد أن يقف مع أصدقائه . وهذا ما فعلته ، ويظن كثير من الناس ذلك جدًا . أما إذا كان لابد من تغيير أفضل ، يكون ذلك من الأفضل كثيرًا ، بينما كنت أنا بعيدًا .

لامبسون في مذكراته رثى من أنه والبريطانيون لم يعد لهم أحد « في جيوبنا » تمامًا مثل النحاس ، لكنها تلك هى السياسات ، وتلك هى مصر . ومن ثم فإن المعركة للسيطرة على البلد ، لقد « ضرب » الملك فاروق فى النهاية لامبسون بنفس الطريقة التى تم « ضربه » فى صيدهم البط . لكن بالنسبة للسيطرة الإجبارية على لامبسون كان طرد النحاس الخيط الحر الذى فك خيط اللحاف برمته .

إن سلسلة الاغتيالات الوحشية ذكرت البريطانيين أن مصر لم تكن مجرد منتجع إستوائى بأنتيكات بينما الملك فاروق الصديق الحميم الجديد أثار نيران الوطنية لتكون حريقا هائلا ضد البريطانيين . إن الأحلام المهنية المجيدة للامبسون عام ١٩٤٦ تحولت إلى رماد . وتمت إحالته إلى المعاش كسفير فى مصر عند السادسة والستين بعد ما خدم ثلاثين عاما ولم ينل جائزة نائب الملك فى الهند بعد ما كان يتم تشجيعه حيالها ، وبدلا منها حاز على مفتش خاص فى سنغافوره ، جنوب شرق آسيا .

رقص فاروق بصفة خاصة على قبر طموح خصمه الرهيب لكنه أمام لامبسون كان جنتلمانًا بريطانيًا تماما . فقد دعا لامبسون إلى مأدبة غذاء فى عابدين لتوديعه حيث لاحظ لامبسون بحزن : « كيفما كان سروره من القلب ، وهو دون شك مسرور ، إلّا أنه ممثل جيد ولا يظهر ذلك » . قضى لامبسون الباقى من حياته يدمر لعبه . كان أمامه ثلاث فرص كبيرة لاقصاء الولد ، فى كل مرة يعطيه فرصة « ليكون جيدًا » تردد لامبسون فحشر . أما بالنسبة للمنتصر فإن فاروق يتمتع بمفاسد الشرق الأوسط .

إنه برحيل النحاس ورحيل لاميسون كان الملك فاروق لأول مرة فى الحكم ، حاكمًا لبلده دون منازع . أخيرا هو ملك يتولى الملك ويحكم . كان المستبد أيضا فى حياته الشخصية . بعد ما تمت ولادة فادية تخلت الملكة فريدة عن مظهر الزواج وتحركت مع بناتها إلى جناحهن فى القبة تاركة عابدين . لقد خرجت زوجته من حياته . وسرعان ما فعلت والدته ذلك أيضا ، ومثلما تصور والده موت حسانين رئيس مستشاريه فى تصادم سيارة بنفس طريقة اللورى البريطانى الذى كان على وشك قتل

فاروق . اتخذت الملكة نازلى عشيقا جديدا ورحلت به إلى أمريكا تاركة فاروق دون قيود سواء سياسية أو زواجية أو بنوة . ومع القوة المطلقة والحرية المطلقة والثروة المطلقة واجهت فاروق ورطة مهمة رجل الدولة ومزاج الانغماس فى الملذات . حيث كانت لديه الفرصة العظيمة لأن يصبح الزعيم العصرى للشرق الأوسط برمته . مع أنه كان محاطا بكل المغريات بالنسبة لملك شرقى ومسلوب الفعالية من جراء عدم الخبرة إلا أن ذلك كان محصلة : عدم النضج السياسى الذى جعله لامبسون مستمرا . ومع ذلك كانت الفرصة لا تزال سانحة . إن العالم برمته كان يرقب ويتمنى لو أن الولد الملك الساحر ذى الشعر المسترسل هب إليه .

الفصل الثامن

الجهاد المزيف

الفصل الثامن

الجهاد .....المزيف .

كان عام ١٩٤٥ من الناحية الجدلية هو أكثر أعوام القرن العشرين نكبة – فهو عام الموت :

انتحر هتلر بعد قيادة روميل . تم تعليق موسيلينى من خصيته . تم الحكم بالإعدام على كويسلنج وبيتان ولافال جميعهم . روزفليت صرعه نزيف فى المخ ، لقى باتون حتفه فى حادث سيارة ، هيروشيما وناجازاكى أنهتا الحرب العالمية الثانية . ذلك العام يميزه أيضا تحول مصر من واحة زمن الحرب إلى مقبرة سياسية ، فمع اغتيال أحمد ماهر رئيس الوزراء فى البرلمان المصرى بدأ مهرجان الموت المتعصب الذى استمر حتى فيما بعد الوقت الذى عنده لم يقدر فاروق على تولى مقاليد البلاد أو الحكم . التناقص الضخم بين الثروة والفقر ، وبين القوة والعجز ، بين الباشا والفلاح جعل من مصر مرجلا مزعجًا للسخط الاجتماعى – السياسى الذى لم يعد يتسنى احتواؤه عن طريق ممارسة الولاء الفرعونى والكياسة الاستعمارية للقمع . والغريب تماما أن أضخم مشكلة قابلت الملك فاروق لم تكن مصر عندما هزم سير مايلز لامبسون فى النهاية وتولى السيطرة على بلده . كانت المشكلة هى إسرائيل .

إن مشاكل فاروق مع إسرائيل بدأت فى انجلترا مثلما بدأ الكثير جدا من متاعبه . فقد القى أنطونى إيدن خطابًا عام ١٩٤١ فى منزل أمين بلدية لندن بمدينة لندن يحض فيها الدول فى الشرق الأوسط على أن تتحد معا ضد مخططات النازيين وأيضا الشيوعيين ، وتنبأ إيدن بأن ستالين يشكل تهديدًا خطيرًا على موازين القوى فى الكرة الأرضية بعد هزيمة هتلر ، وكان إيدن فى هذا ذا بصيرة . فإن ما تصوره إيدن كان عصبة ممكلات الجِمال سهلة الانقياد التى تخش تماما البريطانيين وتعتمد عليهم ، وبناء

على ذلك نظر إيدن إلى لامبسون الذى نظر إلى رجله ، النحاس ، ليصبح المحرك الأول فى إقامة هذا التحالف من الرمال المتحركة التى تحتها يركد البترول الذى أعطى تلك الدول أهميتها الحيوية .

قام النحاس فى أكتوبر ١٩٤٤ بإحضار جميع قادة أهم الدول العربية(مصر ، سوريا ، لبنان ، العراق ، الأردن ، السعودية ، اليمن) معًا إلى الاسكندرية حيث قاموا بالتوقيع على بروتوكول الجامعة العربية . وكانت بالنسبة للنحاس انتصارًا دبلوماسيًا عالميًا ، وكان أول وآخر انتصار له . ولم يكن هذا الأمر منطقيًا بالنسبة لمصر . لم تكن مصر ترى نفسها بلدًا عربيًا على الإطلاق حتى ذاك الحين . كانت الأشياء الوحيدة التى تشارك فيها السعودية والأردن والعراق ، فضلًا عن الأرض الجرداء والمناخ ومهد الحضارة ، أن شعوبهم معظمهم مسلمون ويتكلمون العربية .

إن وصف مصر ببلد عربى هو أمر يجعل الجد الأكبر محمد على والخديو إسماعيل يتقلبان ويتقلبان فى قبريهما . لقد أخرجت جهودهما مصر من العرب وأفريقيا ، ومن الماضى ، وزجت بها إلى أوربا والحضارة العصرية الحديثة التى يشهد بها أى من الذين عاشوا زمن الحرب وبكل سرور . كانت مصر « عالمية » ، فكانت القاهرة باريس إفريقيا ، وكان البلد بوتقة تضم المسيحيين والأقباط والبيزانطيين والأرثوذوكس اليونانيين واليهود . ربما كانت الطبقة الدنيا بكل إنصاف من المسلمين ، إلّا أنه من فكر فى الطبقة الدنيا فى مصر ؟ ومن الذى يتجرأ أن يقارن القاهرة والاسكندرية ، ذروة الكياسة ، بعمان أو دمشق أو بغداد .

ولو كان الاختيار ، من ناحية أخرى ، هو اختيار ولد أوروبا أو أعراب الصحراء لكان الثانى ربما المفضل . حيث أن الملك فاروق يمسك بدفة جامعة الدول العربية بالفعل ، إمبراطورية حرة جاهزة الصنع ، امبراطورية لا يلزمه الأمر أن يقهرها . إضافة إلى أن فاروق تجنب الكحول وأطلق لحيته ليكون دائمًا مسلمًا جيدًا ومحترمًا . وتصور فكرة اتخاذ لقب خليفة الإسلام . ولكونه رئيس جامعة الدول العربية فذلك أمر دنيوى مساوٍ لقدس الأقداس . إن الخطأ الخطير الذى ارتكبه فاروق من عدم

الإدراك كان فى مصادرة ثمار أعمال النحاس الدبلوماسية واضطلاعه بحق الحجر على المسئولية الضخمة تجاه أشقائه المسلمين . لم تكن امبراطورية فاروق العربية حرة بقدر ما كان يظن . جاء أول عدم توازن الدول بعد توقيع بروتوكول جامعة الدول العربية وطرد النحاس عام ١٩٤٤ بوقت قصير . ففى السادس من نوفمبر بينما كان لامبسون مستمرًا فى أجازته المشئومة فى جنوب إفريقيا وبعد الإطاحة بالنحاس والتى سببت له آلامًا كثيرة ، قام اللورد موين وزير الدولة البريطانى بإدارة السفارة فى غيابه وقد تم اغتيال اللورد موين أثناء وجوده فى المقعد الخلفى فى سيارته « هامبر » السوداء اللون حينما كان متوجهًا لتناول طعام الغذاء فى منزلته أمام نادى الجزيرة الرياضى . كان مغتالاه عضوين فى جمعية سرية تعرف باسم بالمقاتلين لأجل حرية إسرائيل ، وتسمى أيضًا عصابة ستيرن على اسم مؤسسها أبراهام ستيرن .

كان اللورد موين وولتر إدوارد جيفيس من أكبر وأغنى العائلات فى أيرلنده . وكان بارون الجعة (البيرة) صديقًا وثيقًا لونستون تشرتشل ، وكان عطاؤه الهندى فيما يخص بناء جيش يهودى فى فلسطين أدى إلى انتقام عصابة ستيرن . وعد تشرتشل وأنطونى إيدن اليهود بمثل ذلك الجيش ، لكن هبتهما عرقلتها إدارة فلسطين . كان على لورد موين ، الذى كان سكرتير مستعمرة ، أن يبلغ الأنباء السيئة إلى الزعماء الصهاينة حاييم وايزمان وديفيد بن جوريون . فأراد الصهاينة الراديكاليون منذ ذاك الحين فصاعدا أن يقتلوا الرسول الذى نقل الأخبار ، خاصة نشاطات هبة موين فى إقامة جامعة الدول العربية . ورأت عصابة ستيرن أن الجامعة العربية بمثابة عدو للشعب اليهودى ، ولا تقل بريطانيا ذاتها عن ذلك وهى بمثابة القرين المنافق وراء الجامعة ضد الصهيونية . وتم اختيار اللورد موين كهدف رمزى يتسنى للواحد أن يرسله كرسالة للعرب وللبريطانيين خاصة وأن الصهاينة لا يتم اللعب بهم كدمى .

أرسلت عصابة ستيرن رجليها للاغتيال فى أوائل العشرينات إلى القاهرة ليكونا ظلًا لموين . المشارك الأكبر إلياهو حكيم وجد لنفسه خليلة ليسير معها ممسكًا بيدها فى جولات رومانسية حول الدار المعروفة فى منطقة جاردن سيتى حيث يعمل موين ،

وفى الزمالك حيث يقطن وذلك لاستكشاف كل تحرك للدبلوماسى . وعندما كانا مستعدين قام حكيم ومرافقه زورى بعمل كمين وقتلا لورد موين وسائقه ، وكيل عريف ، من مرمى قريب . ثم هرب المغتالان من الشوارع الخلفية للزمالك على دراجتيهما . ولما لمحهما رجل شرطة مصرى ، أطلقا عليه الرصاص ، إلا أن الأوامر المحددة لهما إطلاق الرصاص على البريطانيين فقط . أما قتل المصرى فقد أريد به إفهام الرأى العام وإقناعه بأن البريطانيين هم العدو الحقيقى للعرب واليهود على حد سواء . ولقد تم إلقاء القبض على الإرهابيين وتمت محاكمتهما وبسرعة تم الحكم عليهما بالإعدام .

كانت أسوأ ضربة ضد البريطانيين فى مصر منذ مصرع سير لى ستاك ، قائد الجيش المصرى ، فى ١٩٢٤ ، جريمة القتل التى اتهم فيها أحمد ماهر رئيس الوزراء وحليفة البرلمانى الأساسى ، فهمى النقراشى ، ولو أنهما تمت تبرئتهما فى النهاية . وقد اعتقد معظم البريطانيين أنهما تشددا تشددًا كافيًا منذ ذاك الحين حيث إن مثل ذلك العمل الإرهابى لن يحدث ثانية ، لذا ظل سيرتوماس راسل رئيس شرطة القاهرة مستعدًا لما هو أسوأ وحمل معه فى سيارته مسدسًا وبندقية محشوة باثنى عشرة طلقة . ولم يحدث أن خطر ببال البريطانيين أن يكون الإرهابيون صهاينة .

عندما داهمت المفاجأة ونستون تشرتشل ، اعتقد أن اليهود خانوه دون اعتبار للشعور السارى بين كثير من اليهود أن تشرتشل قد خانهم . « إذا كانت أحلامنا للصهيونية تنتهى بدخان مسدس غادر ، والعمل لأجل مستقبلها يتمخض عنه مجموعة من العصابات على غرار عصابات ألمانيا النازية ، حينئذ فالكثيرون مثلى سوف يعيدون النظر فى الموقف الذى سبق اتخاذه لمدة طويلة مضت » . . بهذا حذر تشرتشل اليهودية العالمية ورفاقها من مجلس العموم .

إن اليهودية ، التى هى على الأقل عنصر موالٍ صهيونى ، جعلت من الإرهابيين أسطورة أكثر من إدانتهما . فقد قام زعماء اليهود الأمريكيين بتجميع المال لعائلة الاثنين وبعثت بفريق من محامى الحريات المدنية مخولين بسلطة عالية إلى القاهرة

لمنع إعدام « الشهيدين » الصهونيين . وقد أثار هذا الأمر سخط تشرتشل بدرجة أكبر من اعتماده على لامبسون للتأكد من أن قاتلى موين يتم الإجهاز عليهما دون تأخير . وهذه كانت برقية تشرتشل فى التاسع والعشرين من يناير ١٩٤٤ « شخصى وسرى للغاية » .

آمل أنكم ستتحققون من أنه إن لم يتم تنفيذ الإعدام فى حينه فى قاتلى اللورد موين فذلك أمر سوف يسبب صدعًا واضحًا بين بريطانيا العظمى ومصر . إن مثل ذلك التدخل الكبير فى سير العدالة لن يساير العلاقات الودية (علاقات الصداقة) التى أقمناها . وإذا كانوا واقعين تحت ضغط اليهودية الصهيونية والأمريكية فأعتقد أنه من الصواب أن يكون لديك أرائى الشخصية حيال الأمر .

اعتمد لامبسون بالتالى على فاروق وأحمد ماهر كيلا يخضعان للضغوط الأمريكية وحذر من أن « أى فشل فى التأكيد على الحكم بالإعدام سيكون له عاقبة وخيمة » . أحمد ماهر وعد لامبسون بأن الشنق سوف يستمر وأضاف « أما بالنسبة للضغط المعنى (واعترف أن هناك الكثير منه) فقد كان يرفض عن عمد قراءة أى من سيل البرقيات الذى يهبط عليه من كل أنواع الدوائر ، خاصة من أمريكا التى تحث على الإسراع بالرحمة » . وسار البريطانيون فى النهاية فى إصرارهم على العين بالعين إزاء العقوبة . وتم إعدام قاتلى الحرية فى مارس . وعند وقوف إلياهو حكيم على المشنقة فإنه نطق آخر كلماته إن الخيش الأحمر فى السجن (خيش السجن الأحمر) الذى يشنق فيه المجرمون المصريون هو أفخم بدلة ارتداها على الإطلاق . وتم فى عام ١٩٧٥ استبدال جثتيهما بعد استخراجهما من قبريهما فى هليوبوليس بعشرين مصريًا إرهابيًا على قيد الحياة ممن كانوا فى السجون الإسرائيلية . واحتشد قتلة عصابة ستيرن فى القدس فى احتفال تكرمهما كأبطال حرب .

ولو أن فاروق كان قد أكد لتشرتشل أنه « مُصِرٌ جدًا . . . على ضرورة شنقهما وفقًا لحكم المحكمة » ، فإن القضية « اليهودية » تركته فى موقف متصارع رهيب حيث إن قضية فلسطين تم إثارتها كقضية حارقة فى الشرق الأوسط . وكان الشىء

الطاحن أن « بعض أحسن أصدقاء فاروق ، وأصدقاء مصر كانوا يهودًا » . بعيدًا عن الدور البارز لطبقة الباشوات اليهود ، فإن « شعبنا » فى القاهرة والاسكندرية وفى شئون الأمة السياسية والمالية ، اليهود ، لا غنى عنهم فى حياة فاروق الاجتماعية . كانت هيلين موصيرى أحب منظمات مباريات القمار اليه . ووصفها لامبسون بأنها كإحدى « الرفيقات الخصوصيات » للملك ، وكتب سنايرلى عن « التليفون الخاص بجوار سريرها للاتصال المباشر مع الملك فاروق ، حيث اعتاد الملك أن يطلبها هاتفيًا فى أى ساعة – نهارًا أو ليلًا – فمثلًا اتصل بها الملك فى الواحدة صباحًا وقال لها إنه يرغب فى حفل قمار على الفور ، وهكذا » .

وكانت إيرين نجار خليلة فاروق المفضلة جدًا . فقد استاء عندما تركته وتزوجت جنديًا بريطانيًا ، حتى أنه فى يأسه أقسم « أن يشن حربًا ضد اليهود » ، وبالرغم من أن ذلك كان من بين الأمور الأخرى المدمر للذات ، فإنه لم يستطع استرجاعها . ولكى ينسى إيرين بدأ فاروق علاقة مع يهودية من الاسكندرية ، ليليان كوهين ، واسمها الفنى المسرحى كاميليا ، وكانت نجمة الغناء فى أوبرج الأهرام . وكانت تعمل فى ناد ليلى ، وتقدم أغنيات يهودية فى القصر ورقصات فولكلورية ، وكانت تضع نجمة داوود حول عنقها . كانت إيرين نجار شقراء فى حين أن ليليان شعرها داكن ومثيرة . ولها وجه فاتن . وكان أفضل سن للمرفهات عند فاروق : الفتيات ذوات الستة عشر ربيعًا .

كما أحب والده اليهود من قبل ، أحب فاروق اليهود كذلك ، حيث يعيش اليهود والمسلمون فى تعايش سلمى فى مصر لقرون ، وكان اليهود متممين للتقدمية الطموحة لمملكة محمد علي . إن المعبد اليهودى الذى يتسم بالفن فى القاهرة هو أحد الآثار المؤثرة ورمز لموقع اليهود . وإنه قبل جريمة قتل لورد موين لم يكن هناك قضية عنصرية . رغم إصرار الصهاينة على تأكيد الموقف المعادى للبريطانيين وليس للعرب بصفة خاصة ، إلّا أن قضية فلسطين التى لا حل لها كونت تحالفا قوميًا ساميًا ضد الاستعمار الانجليزى . وأصبح الشرق الأوسط مظاهرة عنصرية تقلب اليهود والعرب

والانجليز على بعضهم البعض .

أبحر فاروق فى أوائل ١٩٤٥ على المحروسة إلى السعودية لزيارة الملك ابن سعود وأولاده الأربعين ، ثم إلى مكة وذلك فيما يسمى بداية صداقة خاصة ساعدت على مساندة فاروق فى منفاه الأوروبى . وكانت الرحلة هذه أول خطوة فى برنامج فاروق كرئيس لجامعة الدول العربية « لِيُعَرِّب » نفسه . وبإرتدائه العقال الذى جعله يبدو مثل ياسر عرفات ، تبادل فاروق قبلات الخد التقليدية مع ابن سعود وهو يرى فرق البدو من المحاربين وهم يطلقون بنادقهم ، وجلس على السجاجيد وأكل الضأن المشوى وشرب الجالونات من القهوة العربية والماء المقدسه وتسلم سيوفًا وخناجر محلاة بالجواهر لا تقدر بثمن من ابن سعود الذى قدم إليه فاروق قلادة إحدى زوجات محمد على لإعطائها لإحدى زوجات سعود . وعند توديع ابن مسعود لفاروق عند عودته إلى اليخت أعطى الملك العربى للملك المصرى هدية أخيرة وهى عشرة من الخيول العربية الأصيلة وعشرة جمال ، وقال ابن سعود « حتى لو كانت مصنوعة من الذهب فإنهما ستكون متواضعة » . وإنه فى إشارة إلى بساطة الصحراء تحدث فاروق بتواضع مع ملك الوهابيين ؛ وقال « أن أهم شىء أننى قابلتك » .

سرعان ما ردّ فاروق كرم الضيافة (الوهابى) ، ودعا ابن سعود إلى القاهرة فى فبراير ليقابل معه هيلاسلاسى وروزفيلت وتشرتشل الذين توقفوا فى القاهرة فى طريق عودتهم من مؤتمر يالتا مع ستالين على البحر الأسود . جاء ابن سعود ، البالغ من العمر السابعة والستين ويبلغ طوله ستة أقدام وعرضه خمسة ، مرتديًا عباءة وغطاء رأس بلون التاج الذهبى ، إلى مصر على متن مدمرة أمريكية حاشيته ثم أرسله روزفيلت على متنها إلى جدة . وصل ابن سعود مع حاشيته المكونة من ثمان وأربعين بما فيهم صانعو القهوة ، والمسئولون عن الإنفاق ، وعشرة من الحراس الخصوصيين كانوا مسلحين بسيوف وخناجر . وتم طرح السجاد وتم تغطية ظهر السفينة بالسجاد الشرقى وترتيب الكراسى لمسافة ، وقام كابتن عربى حافى القدمين بقيادة السفينة فى البحر الأحمر حتى الإسماعيلية ، وتم إحضار قطيع من الأغنام على ظهر السفينة لتقديم وليمة

المساء الشيش كباب بعدها نام الملك فى خيمة حريرية أقيمت بجوار برج المدفع فى مقدمة سطح السفينة . وبعد اللقاء مع روزفيلت وفاروق وهيلاسى على ظهر مدمرة الرئيس الأمريكى ، ورست السفينة الحربية فى البحيرات المرة قرب قناة السويس ، ثم تحرك الحفل إلى النيل حتى واحة الفيوم ، إلى فندق البحيرة ، موقع الصيد الجديد الذى شيده فاروق أخيرًا لحفلات صيد البط . وقد غادر هيلاسلاى دون رؤية تشرتشل ولم يك لامبسون على هذا الرحيل الفاتر لجحوده الدور البريطانى فى إعادته للعرش . وتأثر لامبسون كثيرًا بالملك ابن سعود .

رجل رائع له حضور قيادى . كانت أول ملحوظة له قالها لى ، فهو نادرًا ما يقابل أحدًا أضخم منه . ولا أظن أى أحد يقابله إلاّ أن يتأثر به . . . ويقف وراءه مباشرة عبيد يلبون طلباته ويعدون له الأطباق . . . إلخ ويشرب ماءًا خاصًا تم إحضاره من مكة ، حيث أصر على أن يتذوقه أنطونى إيدن وونستون تشرتشل . أما الباقون فقد تم إمدادهم بالويسكى والصودا وتم تقديمها فى كئوس ملونة غريبة وتم وصف الخمر (للإبقاء على الأحاسيس الوهابية) بأنها « دواء » .

تأثر لامبسون أيضا بكرم الملك ابن سعود . وكان من بين الهدايا التى منحها الملك إلى تشرتشل ، خواتم من الماس وسيف مطعم بالجواهر وخنجر وعطور غريبة . . . بعض الزجاجات المحتوية على توابل وصندوق كبير من عطر الورود ، وملابس رائعة ، التى نجم لامبسون وإيدن فى جعل تشرتشل يرتدى مثل لورانس العرب . خمن لامبسون أن الهبات العربية تقدر بقيمة إجمالية قدرها ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه استرلينى . وخجل من أن كل ما أعطوه للملك ابن سعود فى المقابل زجاجة عطر قيمتهما مائتا جنيه التقطها مساعد تشرتشل من أحد بازارات القاهرة . ووعدوا الملك بأن سيارة رولز رويس ضد الرصاص جارى إعدادها له فى انجلترا . وانتهى تشرتشل من بيع كل هدايا الملك لدفع ثمن السيارة .

إن كل الزخرفات ألهت تشرتشل عن الملك الآخر ، فاروق ، الذى زار

روزفيلت ، الذى كان على وشك الموت ، وهو على سفينته الحربية قرب الإسماعيلية . فقد دعا تشرتشل فاروق لمؤتمر خاص فى « البيت الأزرق » البريطانى المواجه للأهرامات . واكتمل الإهمال عندما منع حارس الأمن فاروق ، الذى كان هو بملابس ماريشال جو بريطانى المحببة إليه ، ليدخل من مدخل خطأ . وعندما قابل الملك أخيرًا تشرتشل ، أتخذ رئيس الوزراء البريطانى دور لامبسون وهو دور الوالد الصارم للصبى حيث تم تنويره سياسيا . وكما وصف لامبسون :

ونستون . . . . أخبر فاروق أنه بإمكانه اتخاذ خط محدد بشأن إصلاح الأحوال الاجتماعية فى مصر . وأكد على أنه ما من مكان فى العالم توجد به ظروف تطرف الثروة وتطرف الفقر كمصر . يالها من فرصة للملك الشاب أن يقدم نفسه ويدافع عن مصلحة شعبه وظروف معيشته . فلماذا لا يأخذ من الباشاوات الأغنياء بعضا من ثروتهم ويخصصها لإصلاح الظروف المعيشية للفلاحين ؟ وظل ونستون يذكر هذا الأمر بقوة .

قال فاروق إنه لا يستطيع أن يوافق تشرتشل على أكثر من هذا وإنه يدرس الأمر بجدية .

وكان فاروق مهتما جدا بصورة بلده الخارجية أكثر من الظروف غير الملائمة فى الداخل فقد أراد كثيرا لمصر أن يتم تمثيلها فى المؤتمر القادم فى سان فرانسيسكو الذى أوجد الأمم المتحدة .

وفرصة مصر هنا هى أن الدول التى شاركت فى الحرب مؤهلة للحضور . لو أن مصر تم اعتبارها « عضوًا مؤسسًا » للأمم المتحدة لأعلنت الحرب خلال أسبوعين مما ينعت فاروق بالانتهازية . وقال تشرتشل ملاطفا فاروق إنه بإعطائه كل « المساعدة المادية » لمصر أثناء الحرب فإنه يكون من العار بالنسبة للبلد أن تخرج من عمل السلام فى سان فرانسيسكو . وكان الإعلان مجرد شىء فنى .

إنه بتشجيع تشرتشل الذى التهم عشاء الوداع من اللحم والبيض والبيرة ثم طار

إلى لندن في طائرة سكاى ماستر جديدة أعطاها له روزفيلت ، جعل فاروق رئيس وزرائه الجديد يتولى مهمة دخول مصر الأمم المتحدة . فقد استبعدت من مؤتمر السلام عام ١٩١٩ في فيرساى .

والمشاركة في المؤتمر القادم في سان فرانسيسكو سيشير باستقلال مصر الحقيقي أمام العالم أجمع . وإن أهم تحقيق لأحمد ماهر كرئيس للوزراء هو إطلاق سراح مايسمون بالمتعاطفين مع المحور ، بما فيهم شقيقه على ماهر ، من المعتقل . وكانت أمامه الفرصة أن يلعب دور رجل الدولة .

وحيث كسب أحمد ماهر تأييد مجلس النواب في الرابع والعشرين من فبراير بالنسبة لإعلان الحرب وانتقل من خلال ردهات البرلمان إلى مجلس شيوخ مصر . وهناك واجه محاميًا شابًا يدعى محمود عيسوى ، نجل وكيل وزارة لوزارة المواصلات . وقف عيسوى ليحيى أحمد ماهر . ثم أخرج مسدسا وأطلق ثلاث رصاصات على أحمد ماهر مباشرة . وعندما علم لامبسون بإطلاق الرصاص هرع من السفارة البريطانية التى كانت أمام البرلمان . ومع وصول لامبسون كان أحمد ماهر قد مات .

علم لامبسون أن المعتدى كان عضوًا متعصبًا من جمعية مصر للشباب المؤيد للمحور . وكان أحمد ماهر قد تلقى ذاك الصباح خطاب تهديد من عيسوى متوعدًا بإطلاق الرصاص على رئيس الوزراء إذا استمر في إعلان الحرب . فأخرج أحمد ماهر الخطاب من جيبه وأعطاه لشرطة البرلمان الذين . . يرتدون زيًا فاخرًا خاصًا بهم ويحملون مسدسات ويلبى التى لم يطلقوها أبدًا فهى لم تكن محشوة على الإطلاق وقت ارتكاب الجريمة » . وقد تضخم خزى العدالة المصرية عندما هرب عيسوى من السجن الشرطى ولجأ إلى سوريا .

ذهب لامبسون إلى عائلة أحمد ماهر لتقديم التعزية في منزلهم في القبة بجوار قصر فاروق حيث تعيش فريدة . لقد فوجىء لامبسون عندما وصل ووجد أن من

بين الموجودين الشرير على ماهر الذى كان يتلقى العزاء . . ومن الطبيعى أنى دخلت مباشرة إلى المنزل حيث وجدت على ماهر محاطًا بأقارب فى تجهم عميق . فشددت على يديه وأخبرته كيف كانت الصدمة والحزن اللذين يخيمان علينا جميعًا . كان الأمر بالنسبة للسيدات كارثة وكان الأقارب الأكبر سنًا واقفين فى المدخل ويبكون بطريقة تخلو من السيطرة على المشاعر .

إن مشهد الحزن هذا سوف يتكرر عدة مرات فى السنوات التالية حيث بدأت السياسات المصرية تأخذ منعطفًا آخر . إن أحمد ماهر اعتلى منصب رئيس الوزراء عن طريق ما يزعم المتآمر المتعاون السابق باشتراكه فى جريمة قتل سير لى ستاك ، محمود فهمى النقراشى ، الذى تم اغتياله فى عام ١٩٤٨ . الواحد فى مصر إما قاتلا أو مقتولا . . فلم يمهل العمر حماس النقراشى المعادية للبريطانيين . وظن فاروق أنه بانتهاء الحرب يكون آن الأوان للبريطانيين أن يوفوا بعهودهم لإنهاء احتلالهم وسحب قواتهم من شوارع المدينة وإعادتهم إلى منطقة القنال . حاولت السلطات البريطانية إعاقة فاروق من أى رحيل . ومن ثم طلب النحاس إعادة التفاوض عام ١٩٣٦ « معاهدة الاستقلال » . ثم عرقلت بريطانيا الأمر ثانية مما حدا برئيس الوزراء الجديد أن يرسل الطلاب الوطنيين للتظاهر فى الشوارع .

ولو أن النحاس ما زال مذنبًا فى العيون الوطنية الراديكالية بصداقته مع لامبسون ، لقد تم تفجير سيارته إلّا أنه لم يكن بالسيارة . وقام الوطنيون فعلًا بقتل رئيس حراسه وضابط اتصال الوفد بالبريطانيين وهو أمين عثمان . . كان عثمان خريج أكسفورد ، ربما كان المصرى المفضل إلى لاميسون إلّا أن ارتباطه بالشارع القاهرى يعرض الصورة الذهنية للخطر .

كتب جمال عبد الناصر أنه وجيله برمته تحركوا إزاء العنف « إنه بالنسبة لخيالى الملتهب بدت الاغتيالات السياسية على أنها العمل الإيجابى وكان علينا أن نتبناه إذا ما كنا نريد إنقاذ مستقبل بلدنا » . ناصر ورفاقه الضباط والإخوان المسلمون ، وجماعات طلابية عديدة بدأوا فى فرز طبقة الباشاوات بدقة لولائهم للأعداء البريطانيين

للدولة ، أو الدولة التى يريدون جعلها بلدًا مثاليًا . وأعدوا قائمة بالباشاوات الذين سيتم اغتيالهم ، وقاموا بدور القاضى والجلاد معًا . إن المنحدرين من بناة الأهرامات العظيمة على وشك تحطيم القيود النفسية التى دامت قرونًا ، وكانت فلسطين القضية التى استقطبتهم والتى ترمز إلى القهر والعدوان الصهيونى . كان تشخيص لامبسون ربما كانت المعاناة من نهاية المرحلة الاستعمارية ، حتى ولو تساقطت الأجساد حوله فإنه يمسك بالعلم (الراية) عاليًا وهى راية عبء الرجل الأبيض . ها هو موقفه حيال قضية فلسطين ، وقد أعرب عنه فى أبريل عام ١٩٤٥ عندما كانت كل قضية تقسيم البلد إلى قطاعين ، قطاع يهودى ، وآخر عربى ، يبدأ مناقشتها فى انجلترا .

دائمًا كان الشعور يخالجنى بضرورة أن نعمل جيدًا ، وبرؤية فوزنا فعلًا فى الحرب نقترب من مشكلة فلسطين من الزاوية البريطانية البحتة . ويجب علىّ أن استجمع شجاعتى على عدم اعتبار كل العوامل الخارجية بما فيها الضغط من أمريكا ، والتوصل إلى قرار بشجاعة أنه لأننا فى فلسطين فإننا بصدد البقاء هناك إلى أجل غير مسمى وأن يكون مستوى مستقبلنا بسيطًا مثل استراتيجيتنا العالمية ، وحيث إن هذه الحرب أكدت على الأهمية الحيوية لبعض العوامل ، كالمواصلات والبترول . فمن ثم يجب أن أخبر العالم مباشرة . . . أننا مصممون على البقاء حيث نكون غافلين عن صرخات العرب واليهود . . . اللعنة على كل ذلك فلم نربح الحرب ولم يحن الوقت الآن . . . أنفعل ما نظنه أنه الأفضل والمناسب للغاية لمصالحنا ؟ إن خط لامبسون المتشدد أعاد افتراض بريطانيا إبان بريطانيا راج ، بريطانيا كيبلنج ، بريطانيا الملكة فيكتوريا .

تم تجاهل حقيقة الضريبة التى فرضتها الحرب على الامبراطورية البريطانية المترنحة فعلًا . لقد ولت أيام المجد . وإن لامبسون مثل امبراطريته كان حدثًا فى غير زمانه . كان يريد أن يكون نائب الملك ، لكن نائب لماذا ؟ كانت الأمور تسير هكذا : لم تعد هناك الهند لمعاملتها باستبداد بعد ذلك ، بينما مصر تقوم فعلًا بالرد العنيف . وقام لامبسون مرة ثانية بحفر قبره الدبلوماسى فى الوحل ، وعندما تم

استبدال تشرتشل كرئيس للوزراء وحل محله كليمنت أتلى وهو من حزب العمال ، كانت نهاية لامبسون بادية للعيان .

قام فاروق فى أغسطس ١٩٤٦ بتقبيل العلم المصرى الأخضر قبل أن يرتفع ليحل محل العلم البريطانى . ثم رحلت القوات البريطانية خارج الحصن بعدما احتفظت بها كقاعدة أساسية لهم لعمليات القاهرة منذ ١٨٨٢ . وقد أخلت القوات البريطانية بعد شهر ثكناتها على امتداد النيل ومقر قيادتها فى الاسكندرية كذلك . وبدأ انسحابهم إلى منطقة القنال .

إن المظاهرات الطلابية كان لها تأثير على بريطانيا . حيث إن إرنست بيفن وزير الخارجية العمالى المناوىء للإمبريالية أراد سلامًا مع فاروق ومصر ، لذا وافق على إجلاء القوات . وقام بيفن بنقل لامبسون إلى سنغافورة ، وحل محله سير رونالد كامبل المؤدب غير الأهوج .

وحيث إن التاسع من مارس ١٩٤٦ كان آخر يوم فى منصب لامبسون ، فقد اجتمع مائتا موظف بريطانى ، وجنود ودبلوماسيون ، ولم يحضر أحد من الوطنيين ، إلى السفارة لتوديع لامبسون وتقديم سلطانية تركية من الفضة إليه كتقدير له . تأكد لامبسون لحظة تسلمه برقية من « إرنى » بيفن أنه قد « تم رفسه إلى أعلى » . وحذر وزارة الخارجية من خطأ قرارها فى آخر سطور قبل توجهه شرقًا ليتقبل قدره .

ليس له شيء أخطر من تدمير هيبتنا فى مصر حيث يعتبر الشعب هنا هذا الأمر انتصارًا كاملًا للقصر على السفارة وأعتقد أن ذلك مآله لأن يكون كارثة . وكان لامبسون على صواب من ناحية الإدراك العام لتنقله على الأقل .

وحيث إن النحاس طرد من المنصب وخرجت القوات البريطانية من القاهرة فكر فاروق قليلًا فى لامبسون أو من يخلفه . وكان تأكيد فاروق على السلطة أقل من فقده القيود . وكان العرش مثل لعبة . لم يسرع فاروق إلى بناء السدود والمدارس والمستشفيات أو إلى أن يصبح روبين هود ويأخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء . كان

فاروق أشبه بولد صغير رحل عنه والداه وفقد قيد الوالدين ، وفعل ما كان يشعر أنه يحبه . ولعب دور الملك .

قبل أن تظهر حرب فلسطين على نطاق واسع ، استمر فاروق فى ملذات جديدة إلا أنها مهلكة مثل التى بدأها عام ١٩٤٢ ، بعدما أهانه لامبسون ، وبسبب التنبؤ بفقده عرشه إلى النازيين . كان ذلك ثورة الانغماس الذاتى القلق . إن فخفخة فاروق بعد الحرب تأسست على الأمن الكامل إن لم يكن كبرياء . كان واثقًا من نفسه حتى أن لويس الرابع عشر ربما يأتى بنظارة شمسية ليقى نفسه من وهج فاروق . وإن رغبة فاروق الجديدة كانت السيطرة الهائلة (حق الحكومة فى مصادرة الملكية الشخصية) . وإنه تحت قناع تطوير مجموعات القصر ليكون أثرًا لفخامة البلد ؛ وصار لدى فاروق هوس السرقة الملكية . ولو كان قد سرق ساعة ونستون تشرتشل الآن لاحتفظ بها ببساطة باسم الدولة . ولم يأمن أى منزل أو قصر من نظرة الملك اللصوصية . فقد أخفى الباشاوات أفضل لوحاتهم ، أثاثهم ، والصينى عندما يحضر الملك إليهم فى إحدى حفلاتهم . وكانت أعظم رغباته الأسلحة ، والعملات ، وطوابع البريد . كانت مجموعاته من تلك الأشياء من بين أفخم المجموعات فى العالم . فلم لم يكن يترفع عن خلع بروش ياقوت أو قلادة من أميرة أو زوجة أحد الباشاوات ويشكرها على هديتها للأمة .

البارون أمبان المليونير الذى بنى مترو باريس ، وتقاعد فى فيلا ضخمة على هيئة معبد هندوسي في مصر الجديدة ، أرملة ابنة فتنها فاروق . كانت الفتاة فتاة استعراض الاستربتيز فى إحدى الدور البريطانية المخصصة لذلك حيث فتنت عيني المرحوم ابن البارون وهى على المسرح فى لندن ، وعمل الابن منها بارونة . وأراد فاروق أن يفعل شيئًا آخر أيضًا . وعندما رفضت الفتاة اكتشف أن أوراق هجرتها قد تم إلغاؤها حيث إن الفتاة أرملة غير متزوجة وأرادت تجنب الروتين الحكومى والمزيد من الاقتراحات الملكية فغادرت القاهرة إلى الريفيرا الفرنسية .

كان لفاروق طريقة غريبة جدًا فى مغازلته مع أميرة اليونان ، التى أعطت بعض

الإحساس لنمط تودده . فقد وصف لامبسون حفلة الرقص التى أقامها ولى العهد والأمير بيتر ، عندما حضر أحد الخدم إلى الأميرة وقال إن الملك فاروق قد تسلق السياج ودخل من الباب الخلفى وصعد إلى فوق ولأجل « السلامة » أغلق الخادم على الملك حجرة الأميره بيتر . فصعدت الأميرة ووجدته هناك وقالت له إن ذلك إجراء يخلو جدًا من السلوك والعرف من جانبه ؛ ومن الأفضل أن ينزل وينضم للباقين . ولأنه رفض ذلك ، ذهبت وأحضرت الأمير بيتر وأقنعاه بالدخول إلى الحجرة المجاورة التى تطل على نفس البلكون . نزلت الأميرة وزوجها وأخبرا الأميرتين طوسون ، وهيلين موصيرى ، وسيدة أخرى . . . أن ملكهم فوق ورفض النزول . ثم ماذا ؟ صعد الأربعة حينئذ وانضموا إلى الملك . . .

كرجل سيدات فإن فاروق جمع عناصر روميو ، باستركيتون ، دون جوان ودادى وور باكس ، وكازانوفا ، وكاليجولا . له حق مقدس وهو الاقتراب من الجنس الآخر . فلم ير فرقًا كبيرًا بين إغواء امرأة وإعطاء الأمر لأحد من الياوران ؛ توقع من كلاهما أن يهبا إنتباهًا له . وكان يحب أيضًا أن يضايق بطريقة صبيانية جدًا . ذات مره فى أجازة شتاء فى صعيد مصر ولع بإحدى فتيات فندق نيوكاتاراكت الجميلات اللاتى رآهن فى حفل به ، وكن مع رولوس وقطاوى وموسيرى فى الجمعية اليهودية بالقاهرة . كانت الفتاة فى سن السادسة عشرة وكانت غنية لدرجة مفرطة رغم سنها ، واستقلالية للغاية ولم ترد مشاركة فاروق سواء كان ملكًا أو غير ملك . ولم تُعِرْه انتباهًا عندما كان يريدها أن تشرب عصير البرتقال معه . وكان للفتاة قصر شتوى (مشتى) على الغرار الفيكتورى على جزيرة وسط النيل . مرت بضعة أيام بعد الحفل وعند تجهيز المائدة بطعام الغداء حضر فاروق وحاشيته مدججين ببنادق بيردى وساروا إلى المنزل حيث أعلن أنطونيو بوللى أن الملك هناك ليصطاد غزلان تسكن الجزيرة . يا له من شرف . ويا له من رعب ! رسمت الفتيات خطة لوقاية حياتهن بعد محادثة مع بوللى . و سوف يصطحب ابنتهم إلى حفل نهاية الأسبوع . عاد فاروق منتصرًا إلى طعام الغداء ، ولم يكن لديه نية قنص أى شىء سوى الوريثة

الغنية جدًا ، وقد سر من أن حيلته نجحت . عندما رأى وجه الفتاة التى طال يحلم بها ، وهى تحملق فيه عبر النافذة وقد أثارته إثارة كبيرة جدًا . أخذ الفتاة إلى الرقص ، وبعدما حولها من البغض إلى الافتتان لم يتكلم معها ثانية .

كانت إحدى هؤلاء ، الأميرة أشرف ، شقيقة زوج أخته ، شاه إيران . تقدم فاروق ليطلب يدها ، وكان فاروق أول المتقدمين إليها ، وذلك عندما زارت القاهرة عام ١٩٤٥ فى صحبة زوجة شقيقها فوزية لتتعافى من نوبة ملاريا أصابتها فى طهران .

كانت أشرف مذعورة . فقد كان فاروق متزوجًا . وأكد فاروق لها أنه لا توجد مشكلة . كان زواجه غير ملائم وهو بحاجة إلى إنهائه . أشرف باستطاعتها أن تقدم ضربية الرحمة . وفاروق يحصل على الطلاق ويتزوجها .

كان « التقدم إلى الخطبة » يبدو أحد حيل فاروق المفضلة للإغواء ، وكذلك كانت المجوهرات التى تحولت إلى دجل . أعرضت أشرف عن فاروق لأن يبدأ معها حيث إن عائلتها تشك فيه أنه قام بسرقة السيف المطعم بالجواهر والحزام والميداليات التى كانت تزين جسد المرحوم والدها الشاه الذى مات فى المنفى على يد البريطانيين فى جنوب إفريقيا عام ١٩٤٤ وتم دفنه فى نصب أبيض ضخم على النيل فى أسوان ، ورغم أن المحليين يزعمون أن فاروق هو السارق إلا أن الملك أنكر ذلك ، وقام باستعراض التحقيقات التى انتهت إلى لا شيء . وعندما تم خلع فاروق بعد ثمانية أعوام آلت امتيازات الشاه إلى قبو خزانة عابدين .

بدأ فاروق الترحال بعد الحرب . إن قيامه بالحج إلى مكة يحدد أول رحلة له خارج مصر منذ جولته فى أجازة للتزحلق عام ١٩٣٧ فى أوروبا . وقد بدأ فاروق ، مع السلام فى الشرق الأوسط ، الإبحار على المحروسة أو على قاصد خير ومعه غالبًا خليلته آنذاك ، ورحلات أخرى ، اختار قبرص مثل جزيرة كابرى . أخذ ليليان كوهين معه إلى هناك كثيرًا . حيث شاركت ليليان فاروق البودوار مع أرنبه المدلل ، ويدعى فاروق أيضًا ، حيوان يعيش أيضًا مع أجناسه الشهيرة . كان فاروق يحب أن

يدع الحيوان فاروق يلعب على الجرائد المنثورة على سريره حيث يحب أن يراه وهو يداعب إناث الأرانب التى أحضرها له .

وكان فاروق يأخذ اليخوت من قبرص إلى الساحل التركى ليمارس اللعب هناك . وكان أحد أحب الأطعمة فى العشاء إليه طهو طائر الحجل أو السمان ، خلط دم الحيوانات مع البيض والليمون إلى الرومى . وفى الصباح بعدما يستمر فى الانغماس فى رفع الكوليسترول لديه بانكبابه على كريسبى الأرز التى يحبها على الإفطار مع كمية من البيض وقلوب وكلاوى الطيور . فإنه من السخرية كان يتجنب الخبز لأنه يعتقد أنه يزيد الوزن .

عندما رحل سير مايلز لامبسون كان فاروق قد تخلص من أى قوة نظامية فى حياته من أى نوع . كان لامبسون بمثابة باروميتر لإفراطات فاروق . الآن المجال أصبح مفتوحًا بدرجة كبيرة ، والأفق أمامه فسيح . لم يأخذ فاروق الأمر من نازلى منذ أن إعتلى العرش ، مما جعل حسانين السلطة الوحيدة المؤثرة فى حياة فاروق . لكن الدور الذى اتخذه حسانين كان أكثر من ذلك وهو الدور الأبوى الجائر . فلم يتنبه فاروق لمعلمه ورئيس الديوان المستمر فى العلاقة مع والدته حيث لم تتم مناقشة الوضع أبدًا .

بلغ الأمر ما بلغه فى فبراير ١٩٤٦ . وكان حسانين يعانى من نوبة قلبية خفيفة فاجأته فى جنازة لورد موين ، وبينما كان يقود سيارته فى طريقه إلى منزله على كوبرى قصر النيل الذى جعله المطر أملس ، عبر النيل فاجأته شاحنة جيش بريطانى قادمة لم يتم السيطرة عليها فخرجت عن الطريق المرورى لها واصدمت بسيارة حسانين حيث مات فى آخر ذلك اليوم بالمستشفى الإنجلو – أمريكى . كان حسانين فى الستين . وبمراجعة الأوراق الخاصة بالدولة التى كانت فى حوزة حسانين وملف مستندات خاص به بعد المأساة التى لم تكن متوقعة ، وجد فاروق عقد زواج غير متكافىء بين حسانين ونازلى تاريخه ١٩٣٧ . مرة أخرى شعر فاروق بالخيانة . فدمر المستند وقطع كل الاتصالات مع أمه .

بعدما مات حسانين سرعان ما بدأت تسافر إلى أوروبا خاصة إلى سويسرا للعلاج من ألم كلوى مزمن . واصطحبت معها ابنتيها فايقة وفتحية اللتين بلغتا سن المراهقة إلا أن ملابسهما متشابهة تمامًا كتلميذات بريئات بجوارب قصيرة ومرايل رمادية ، دون أثر للمكياج . وتزوجت أختهم الكبرى فايزة عام ١٩٤٥ إلى ابن عم تركى ارستقراطى ودرجة القرابة بعيدة وهو محمد بولنت رؤوف ، وهو جذاب بدرجة عالية وقد أحبه فاروق أكثر من زوج أخته المحببة فوزية ، الشاه الشاب .

بدت الرومانسية أبعد شيء عن الأذهان البريئة فايقة وفتحية ، إلا أنها لم تبعد بعيدًا عن أمهما الفاتنة التى لم تزل قادرة على العيش والحب بما فيه الكفاية لتعوض قهر الملك فؤاد للحريم .

قابلت نازلى فى مارسيليا قنصلا مصريا شابا قبطيا يدعى رياض غالى ، فى العشرينات من عمره ، طويل الهامة ، أسمر ، فاتر الهمة ، له شارب خفيف مما يعطيه هالة ناعسة مميزة على غرار دون أمينش / جيلبرت رولاند أو ربما كواحد من الأولاد الأوروبيين المتهورين مثل فريد استير الذى كان ينقذ دائما جينجر روجرز . لم تكن نازلى تريد أن يتم إنقاذها عن طريق الفريد استير أو حتى عن طريق كلارك جيبل بالنسبة لذلك الأمر .

إن الشيء الوحيد الذى تريده الملكة الأم هو رجل مثل حسانين . وكان الأمر مختلفا لأن تغازل بيروقراطيًا صغيرًا فى نصف عمرها .

كان حل نازلى الاستمرار فى لعب دور الملكة الأم وتمرر غالى ليكون رفيق فتحية . وبدأت الشائعات فى الأنتشار ، خاصة عندما ظهرت صور الثلاثة فى المجلات وصفحات الفضائح . وفجأة كانت فتحية ترتدى ملابس قصيرة مع مكياج ويتدلى منها الماسات . وحيث كانت مع غالى تتأبط ذراعه تحولت عيون الكبار إليها ، كذلك إلى نازلى بمكياجها وتأبطها ذراع غالى . وإذا كانت الصور تحكى قصة ، فما هى إلا واحدة من ألف ليلة وليلة . واغتاظ فاروق من أمه أكثر من ذى

قبل ، وإذا كان هناك رجل يعيش فى منزل من الزجاج فإنه هو . هل مملكة محمد على تجمعت فى معركة حماقة ؟

وقد نجح فاروق فى أن يدنس المرحوم حسانين سياسيا أكثر من تدنيس نازلى رومانتيكيا .

جمع فاروق مجموعة جديدة من المستشارين ليحلوا مكان حسانين أشبه بأوبيريت جلبرت وساليفان . لو بقى أنطونيو بوللى المفضل لدى الملك حيث كان أفضل وصف له هو سكرتير اجتماعى . وخلف كريم ثابت حسانين كسكرتير صحفى للملك ، والذى صار مكروها بسرعة من جانب كل الناس . فقد جاء ثابت من عائلة مصرية – لبنانية صحفية هامة تمتلك الجريدة اليومية المؤثرة « المقطم » . وكسب ود الملك بكتابة سلسلة مقالات عن فاروق أثناء أيامه الحالكة مع لامبسون خلال الحرب .

كان ثابت رجل علاقات عامة قبل أن يتم معرفة من هم رجال العلاقات العامة فى مصر . فقد جعل من فاروق أعظم قائد عرفه البلد منذ رمسيس . وكان صعود ثابت فى بلاط فاروق ثابتًا لدرجة عظيمة . كان ثابت أشبه بالأحدب ، وأملس مثل بياناته الصحفية . ولهذا كان يحبه فاروق : فقد كان يسلى الملك .

كان مستشار فاروق الاقتصادى الأساسى مثل ثابت ، مصرى من أصل شرقى . جذب ثابت انتباه الملك عن طريق التملق الذليل إلّا أن الياس أندراوس يختلف عنه فى ذلك حيث جذب انتباه الملك عن طريق الاستقامة . لقد كان أندراوس مدير الضيعة المؤتمن وهى أكبر ضيعة قطن للملك فى دلتا النيل . عندما رأى الأمر يبدو كما لو أن الألمان سيغزون مصر قام بتحويل الكثير من أرضه باسم أندراوس أملا فى خداع النازيين وبذا يحتفظ بثروته من خلال أندراوس . عندما مضى التهديد الألمانى قام أندراوس بتحويل كل الأرض ثابتة إلى ملكية سيده على الرغم من وجود فرصه فى الابتزاز . إلا أن عدم أنانية أندراوس المالية جعلت منه أسطورة فى مصر . وكان نادرة ما بعدها نادرة ، شرقى بروح رجل بنكى سويسرى . وكان على فاروق أن يحصل عليه .

كانت أسباب فاروق فى أختيار إدمون جالهان أقل قابلية لأن يتم فهمها إلى حد بعيد .

جالهان الذى وصف بأنه « متعهد القصر » كان فى الحقيقة تاجر أسلحة يعمل تحت غطاء مستور أقلام حبر أمريكية . وكون ثروة وزعم أنها من الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ . وانفق كثيرا من تلك الثروة وكثيرا من وقته فى مونت كارلو .

كان يؤمن بالخزعبلات إلى حد بعيد ليلاحق كل اضطراباته العصبية – كانت أخر تلك الخزعبلات قريبة من روح المرحوم والده . ونقل جالهان جثة والده من مقبرة القاهرة إلى موناكو ليدفن هناك .

لا زال هناك الحلاقون الخدم الخصويون ، والأطباء ، ممن يشرفون على الكلاب ، الذين يحتاجهم فاروق حوله ، إلا أن ثابت وبوللى واندراوس وجالهان الفرسان الأربعة . وأصبحوا واحدة من أكثر النقاط الحساسة على نحو مؤلم فى حكم الملك ، وما انفك فاروق مخلصا لهم تماما .

على أن ذلك الإخلاص كان إحدى سمات فاروق الخلقية الأكثر امتيازا ، إلا أن ماجعل الملك ذلك الصديق الرائع دمغه بمثابة سياسى متبصر . ورغم أن فاروق يلعب بوكر وباكاراه وشيمان دى فير كل ليلة تقريبا فى نادى السيارات الملكى مع حلفائه الباشاوات اليهود الكثيرين (واستمر فى ذلك حتى خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨) ، فقد كان يقوم باستعراض تقوية روابطه بجامعة الدول العربية . وكان الاستعراض فى أول الأمر كله شفهيًا . ثم تقابل فاروق مع ابن سعود ثانية عام ١٩٤٦ فى القاهرة وتم إصدار الإعلان التالى :

نحن ننضم إلى كل العرب المسلمين فى إيمانهم بأن فلسطين فى بلد عربى وإن حق شعبها وحق العرب المسلمين فى كل مكان الحفاظ عليها كأرض عربية .

كان ذلك مجرد حديث ، لكن الحديث سرعان ما بدأ فى حصر فاروق فى

زاوية لم يكن يريد حقيقة أن يكون فيها . وإنه بتحالفه مع ملك الصحراء ، فإن ملك المدينة جعل الأمر من المستحيل أن يجعل نفسه أيضًا ملك اليهود . إن رجل المدينة والملك غير المتعصب له أصدقاء يهود ومستشارون وأحباب ، وتحدث بجبرية حول جعل إيرين جونيل زوجته وهي يهودية. فقد كان والد فاروق قد غرس في ذهن ابنه فكرة أن اليهود جنس سيد حقيقي . بينما كان ابن سعود من ناحية ثانية يفتخر بأن السعودية تخلو من اليهود ولم ير أي يهودي في حياته حيث تباهى بذلك أمام سير مايلز لامبسون . إن مواقف ابن سعود تجاه اليهود كانت « عربية » أكثر من مواقف فاروق حيث فسر على أن فاروق لا يمكنه تجنب اندفاع من الصحراء ضد التحول الصهيوني واليهودي بالانضمام إلى جامعة الدول العربية وقيادتها . قبل أن يرحل إلى جنوب شرق آسيا ١٩٤٦ دعا لامبسون ابن سعود إلى حفل عشاء في القارة البريطانية حيث تطرق إلى الحديث عن الكبرياء والتعصب .

أكد ابن سعود على صداقته القوية لبريطانيا العظمى للحماية وكصديق بصفة خاصة . . . وإذا تنفس العرب من وقت إلى وقت بمشاعر معادية للبريطانيين فإن الأمر بمثابة الوالد عندما يتجادل مع ابنه متمنيًا له الموت . لكن نفس الأب يتمنى الموت للذي يقول « آمين » حيال هذا الشعور . وصرح أيضًا بأنه ما من شيء يبدد الصداقات العربية البريطانية والتفاهم إن لم تمر خلال تصرف لأجل القهر أو أي عمل يعرض الإسلام أو مستقبل العرب للخطر . . . ويعتبر اليهود حاليًا خطرًا على الإسلام والعلاقات الأنجلو – عربية .

شرح ابن سعود للامبسون كيفية فوز المسلمين بفلسطين « بالسيف » من الرومان منذ ألف وأربعمائة سنة ولم يأخذوا شيئًا من اليهود . متهمًا البريطانيين بالثنائية ، وسأل الملك العربي لامبسون عما إذا كان أي بلد أوروبي يتوقع التخلي عن أرض في حوزته منذ أربعة عشر قرنًا . واندهش ابن سعود أيضًا إزاء سبب الطلب من العرب تعويض اليهود لأجل ما ارتكبه الألمان والبولنديون أثناء الحرب . وقد أخبر ابن سعود لامبسون أنه يشعر أن فلسطين ليست من شأن أمريكا لكنها بالأحرى هي مشكلة أنجلو عربية .

وأوضح الملك إلى لامبسون مثل « تحذير ودى » تم طرحه كمسألة منمقة .

بعدما ضحت بريطانيا بكثير من الأرواح . . . فى الفوز بالحرب من أجل العدالة والسلام ، فهل هم سيضحون لأجل اليهود فى فلسطين ؟ هل كان اليهود أقوى من الألمان واليابانيين ؟

وصرح صاحب الجلالة أن المرحوم الرئيس روزفيلت أخبره أن اليهود ليس لهم أى أهمية سياسية حقيقية فى السياسات الأمريكية سوى أنهم يتحكمون فى ثلاثة ملايين صوت من حوالى خمسين مليون صوت . ولم يخش روزفيلت من الرأى اليهودى فى أمريكا ويود أن يرى العرب لا يتم التعامل معهم دون عدل بالمقارنة باليهود . . وشعر بأن كل الجنود البريطانيين يمقتون اليهود وهذا قد زاد من احترامه لهم وحبهم . وأضاف صاحب الجلالة قائلًا إنه لو كان له صديق محبوب ثم اكتشف أن الصديق فيما بعد ويشعر بسرور اليهود فإن هذا الصديق يصير محبوبًا أكثر من ذى قبل .

كان ذلك هو راى جامعة الدول العربية عن اليهودية الذى ناصره ابن سعود . لكنه عند هذه المرحلة - من مسألة السامية الشاملة - لم يكن ابن سعود مولعًا بالقتال . لم ير أى يهودى ويشعر بسرور من استمرارية تلك الحالة من الحرمان . كان ابن سعود ينبح مع أن القادة العرب الآخرين الذين عبروا طريق فاروق كانوا أكثر تلهفًا إلى القضم (العض) . وكان أول هؤلاء الذى استقبله فى مصر فى يونيو ١٩٤٦ مثل « لاجىء سياسى » . وكان هذا الرجل هو الحاج أمين الحسينى مفتى القدس ، وهو بدون شك أشد أعداء الصهيونية - والامبريالية الانجليزية من العالم العربى ، واشترك مع النازيين « كطرف رابع » فيما رآه حلف برلين - روما - طوكيو خلال الحرب العالمية الثانية أملًا فى عزل العدوين اللدودين - اليهود والبريطانيين - فى انقضاضه كلية . وعندما فشل ذلك الأمر ، تم تحديد إقامته بعد الحرب فى فرنسا ومنها هرب إلى القاهرة وإلى ضيافة قصر فاروق مع جواز سورى مزيف .

وإنه بمنحه حق اللجوء السياسى للرجل الذى يراه البريطانيون قويًا وخطرًا ومجرم

ومجرم حرب هاربًا كان فاروق يتصرف من موقع الولاء . كان المفتى صديقًا وثيقًا لوالد زوجته فريدة ، القاضى ذو الفقار . وبعد حادثة قصر عابدين ١٩٤٢ ، أعلنت المخابرات الألمانية اكتشافها المؤامرة البريطانية لاغتيال فاروق . المفتى ، من خلال القاضى ذو الفقار ، الذى كان سفيرًا لفاروق فى فارس ، وأقام نظام إنذار من خلال شفرة مبنية على إذاعات القرآن لتحذير فاروق من أى محاولة اغتيال أو انقلاب ضد نظامه . وتم وضع خطط الهرب أيضًا وإعدادها بحيث أنه بموجبها يطير فاروق أولًا إلى مقر القيادة الصحراوى لروميل ، ومن ثم إلى الأمان التام عند الفوهرر فى برلين . إلّا أن الخطة كانت موضوع مراسلات ألمانية وتوثيق . على أية حال ، كان فاروق ممتنًا للرجل وشعر أنه على الأقل لابد أن يمنحه ملجأ ، ذلك الرجل الذى كرس نفسه لإنقاذ حياة الملك .

إن ذات الرجل يود أن يضع حدًا لحياة الأعداء السياسيين اليهود والبريطانيين لم يكن الحاج أمين الحسينى بدويًا فى عصابة إطلاق الرصاص . كان من الطبقة العليا ، أديبًا عالميًا ، من أكبر العائلات العربية التى عاشت فى المدينة المقدسة لقرون . وُلد فى القدس وما من أحد يستطيع حمايتها حماية غيورة . عندما وصل الحسينى إلى القاهرة كان فى السابعة والأربعين وكان يبدو أصغر من هذا . كان هزيلًا وجائعًا ومتوترًا له لحية حمراء مستديرة حيث اكتسب تسمية الملتحى « بارباروسا » من جانب المخابرات البريطانية التى راقبت كل تحرك له مثل تحرك الثعلب . إن الحسينى الذى يشبه قليلًا إليك جينيس فى ملبسه نال تعليمًا عاليًا فى المدارس التركية بالقدس ثم فى الأزهر فى القاهرة حيث رحل قبل أن يحصل على درجة شيخ . وبعد قيامه بالحج إلى مكة وعودته ثانية إلى القدس عمل بالجمارك ، ثم عمل مدرسًا لكن مهنته الأساسية هى حراسة ميادين الاضطراب الاجتماعى .

عمل الحسينى فى الواقع كرجل مخابرات للقضية البريطانية فى الحرب العالمية الأولى ظانًا أن البريطانيين سوف يحررون شعبه من الأتراك الذين كانوا يحاربون مع الألمان . . فعل البريطانيون ذلك ولكن لاستبدالهم بقيد جديد – وهو قيد إنجلترا .

وإنه وفقًا لاتفاقية سايكس – بيكو عام ١٩١٦ التى قسمت عثمانى الشرق الأوسط إلى قطع فيما بين الانجليز الذين حصلوا على العراق والأردن وفلسطين « كمجالات نفوذ » ، والفرنسيين الذين حصلوا على لبنان وسوريا . وكانت الاتفاقية سرية بين بريطانيا وفرنسا وقيصر روسيا الذى ظهر عندما تم إعلانها من جانب البلاشفة خلال ثورتهم فى نوفمبر ١٩١٧ كدليل على عناد ناهبيهم . هذا الإعلان فضح ت .إ . لورانس من بين « الأصدقاء » البريطانيين الآخرين للعرب كأداة إمبريالية ، أداة حزن وحب ، لكنها مع ذلك أداة . حلفاء لورانس الهاشميون من مكة حسين وملك الحجاز (غرب الجزيرة العربية) وابنه فيصل الذى أصبح ملك العراق ، وابنه الآخر عبد الله الذى أصبح أمير الأردن – قاد جميعهم ثورة عربية ضد الأتراك . إنهم بمثابة عرب غير ثوريين من وجهة نظر الحسينى لكنه اعتبرهم دمى للإنجليز . فقد ساعد الانجليز حقيقة أولاد حسين فى حصولهم على عرشهم وحافظ الجيش البريطانى والتدخل المالى على بقائهم .

إن أسوأ الخيانات للحسينى كان خطاب الثانى من نوفمبر ١٩١٧ من وزير الخارجية البريطانى ، لورد بلفور ، إلى لورد روتشيلد أحد أعمدة اليهودية البريطانية :

إن حكومة صاحب الجلالة ترى من الأفضل إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستستخدم أفضل جهودها لتسهيل تحقيق هذا الهدف ، وإنه من المفهوم بوضوح ما من شىء سيتم من شأنه الإجحاف بالحقوق المدنية والدينية للمجتمعات غير اليهودية الموجودة فى فلسطين أو الحقوق والحالة السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر .

إن الاحصائية البريطانية عام ١٩١٨ لفلسطين ضمت سبعمائة ألف عربى وستة وخمسين ألف يهودى . رغم أن إعلان بلفور مثلما أوضح الخطاب أعلاه يبين أن السياسة الخارجية البريطانية بالنسبة لمنطقة الانتداب صارت معروفة وتعامل العرب الذين يبلغون الأغلبية بمثابة « جاليات غير يهودية موجودة فى فلسطين » .

فجأة بعد ألف سنة من تلك الأغلبية يتم سلخ المواطنين العرب واعتبارهم بمثابة

متطفلين . حتى أن لورد كازون نائب صاحب الجلالة فى الهند وخلف لورد بلفور كوزير خارجية أعجب بقلب الفلسطينين العرب رأسًا على عقب إعجابًا عظيمًا ، « الذين يملكون الأرض . . لن يكونوا راضين عن تجريدهم لأجل المهاجرين اليهود وأن يكونوا مجرد قاطعى خشب وساقى مياه لليهود » لم يكن الحسينى راضيًا بالقطع . بدأ الحسينى بحملة من الوطنية الراديكالية فى الأسواق والمقاهى فى المدينة القديمة للقدس مما أدى إلى مظاهرات فى عيد الفصح عام ١٩٢٠ عند بوابة يافا وما نتج عن ذلك مصرع ستة يهود وستة عرب وعشرات الجرحى وزيادة جرح العداء السامى الذى لن يندمل أبدًا . ثم هرب الحسينى إلى الأردن للتخلص من إلقاء القبض عليه . وحكم عليه غيابيًا فى نفس الوقت بحكم محكمة بريطانية عسكرية بالسجن لمدة خمس عشرة سنة لدوره فيما يسمى بأول عمل إراقة دماء فى المعركة الطويلة على أرض فلسطين .

إن الصفة السلبية التى لم يستطع الحسين إتهام البريطانيين بها هى عدم القدرة على حمل الضغينة ضده . بعد عامين من هروبه إلى الأردن تم استدعاؤه للعودة ثانية إلى القدس من جانب البريطانيين وعفوا عنه وكافأوه بمنصب سياسى – دينى قوى وهو منصب المفتى الذى خلا بموت زوج أم الحسينى الذى ظل به أربع سنوات . وكان تعيين الحسينى للمنصب الدينى من جراء المحبة المسيحية التى أدركها سير هيربرت صامويل المفتى العام اليهودى فى فلسطين . سير صامويل كيهودى فى فلسطين قصد أن يميل ليبرهن على عدم محاباته ورغبته العميقة فى حفظ السلام بتعيين رجل الحرب ذلك . كان ذلك حكمًا خاطئًا بدرجة كبيرة . لم يتحول الحسينى إلى مسالم بفضل تعيينه مفتيًا ، ولا بتعيينه عام ١٩٢٢ من جانب صامويل رئيسًا للمجلس الأعلى الإسلامى الذى شكله البريطانيون بمثابة مساعد لحكومة الانتداب . هذا الأمر جعله مسئولًا عن كل التمويلات الدينية . المحاكم والمساجد والجبانات . وكان شعاره « يا قدس ، ها أنا ذا » ، الحسينى ، المفتى ، الآن هو زعيم روحى ودنيوى لعرب فلسطين ، قاسيًا فى عدم منح البريطانيين أو اليهود يوم راحة .

قام المفتى عام ١٩٢٩ بتنظيم موجة جديدة من المظاهرات الدموية أشعلها قيام اليهود بإقامة شبكة عند حائط المبكى لفصل الرجال عن النساء وقت الصلاة . وجد المفتى أن ذلك يبدو إشارة إلى تآمر يهودى لمصادرة قبة الصخرة الملاصقة لحائط المبكى . وقد انتشرت المظاهرات فيما بعد القدس لتعم فلسطين . وقتل ما يزيد على المائة يهودى . وتحول الآن المفتى من اليهود إلى أغنياء العرب ، رجال من طبقته ، باع بعضهم الأرض ليهود فلسطين . وعلم مسلمو الطبقة العالية المفتى من الجانب الخلقى ، وعرفوه دكتاتورًا عندما شاهدوه مرة واحدة . وعارضت الطبقة المثقفة العربية توليه المنصب واتهموه « المفتى » بالإساءة للأموال الدينية لإنفاقه ملايين الجنيهات على أغراضه الخاصة ، وأغراضه العدائية وخلافه . وإزاء ذلك لقى الكثير من هؤلاء حتفهم ويقدر عددهم بألفين وعرب آخرين أيضًا لقوا حتفهم فى عملية المفتى للتطهير الملائم .

ولا يتصور المفتى أنه قادر على سلطة الإرهاب تلك . فلقد كان رشيقًا ومؤدبًا كيسًا ، بسلوك خال من العيوب والأخطاء ، وله صوت ينساب برقة ، وأصابعه أظافرها مستوية ، يتكلم بنعومة مع أن معه حرسًا خصوصيًا من ستة رجال ، ويرتدى درعًا واقيًا من الرصاص تحت ملابسه الدينية ، وينتقل فى سيارة ضد الرصاص .

لم يصل فى موعده أبدًا . أحيانًا يأتى مبكرًا وأحيانًا متأخرًا . ويحاذر من أى نوع من العناصر التى قد تعطى ميزة لأى من أعدائه الذين لا حصر لهم ويريدون اغتياله .

كان المفتى من نوع الفوهرر لشغفه القتل الجماعى لليهود والدمار لبريطانيا . كان هتلر يشعر بمثل ذلك . فبدأ النازيون فى أوائل ١٩٣٦ بإمداد المفتى بالأموال ليحقق « أعماله الجيدة » فى فلسطين ، خاصة بالنسبة لزيادة أعداد اليهود الأوروبيين القادمين بداية من ١٩٣٣ خوفًا من ثورة هتلر . حيث إن الحرب العالمية الثانية تقترب : فقد قرر البريطانى سير هيربرت صمويل أن المفتى يجب أن يوضع فى دار الإفتاء إن لم يكن فى السجن لسلوكه الفاشستى .

قامت السلطات البريطانية بتجريد المفتى من كل مناصبه وأصدرت أمرًا بالقبض عليه . فلجأ فى أول الأمر إلى قبة الصخرة للاختفاء من الشرطة . ولم يفلح فى ذلك فقد تخفى كامرأة عربية وهرب إلى لبنان . ولما حاولت الحكومة الفرنسية اعتقاله استمر فى هروبه إلى العراق ووصل إلى بغداد فى أكتوبر ١٩٣٩ .

إن حمام الدم فى أرض المفتى المقدسة أرعب البريطانيين مما جعلهم يتراجعون بطريقة مكثفة عن موقف إعلان بلفور المؤيد للصهيونية . وقام البريطانيون فى مايو ١٩٣٩ بإصدار ورقتهم البيضاء التى تطالب بإقامة دولة ثنائية مستقلة فى فلسطين فى عشر سنوات وزيادة الهجرة الصهيونية سنويًا إلى فلسطين بخمسة وسبعين ألف . هذا فى الوقت الذى يهرب ملايين اليهود من النازيين ولا مكان لهم يذهبون إليه سوى فلسطين . وأغلقت أمريكا بواباتها أمام الهجرة فى عام ١٩٢٤ . ورغم قوة اللوبى اليهودى الأمريكى المزعوم فقد تم السماح لحوالى ألف يهودى من أوروبا بالدخول إلى البلد . رغم الأماكن الفسيحة المفتوحة أمامهم سيما استراليا وكندا أيضًا لم تكن هناك أى إشارة بصدد دخول أى منهم إليهما . وكانت جمهورية الدومينيكان كريمة معهم فقد عرضت السماح لمائة ألف يهودى . لذلك رأى الصهاينة بالهجرة أن بريطانيا تطعنهم فى الظهر ، وكان العرب مسرورين ، لكن المفتى لم يكن مسرورًا . فقد أعتقد أن الورقة البيضاء لم تذهب بعيدًا بما فيه الكفاية . فلم يكن يريد أى يهودى فى فلسطين . وكان اليهود فى حاجة للمساعدة التى بوسعهم الحصول عليها . وهذه خيانة أخرى لن ينسوها ، وكانت جريمة قتل اللورد موين فى القاهرة عام ١٩٤٤ البداية لدفع الثمن .

حينما عاد المفتى إلى بغداد ، كانت حملة المفتى ضد الانجليز قد أعطيت متنفسًا فى فراغ السلطة الذى أوجده موت غازى ملك العراق الشاب ، وكان غازى ابن فيصل ، قد نال تعليمه فى هارو دْ ، وكان على غرار فاروق خلابًا ، وقد لقى مصرعه فى حادث تحطم سيارة سبورت عقب حفل كوكتيل . كان ابنه فيصل الثانى فى السادسة من عمره ، الذى رآه رفيقًا مناسبًا لشقيقته الصغرى الأميرة

فتحية أو الكبرى الأميرة فريال .

كان العراق ذا قيمة هائلة للبريطانيين بسبب مستودعات البترول الهائلة التى تم اكتشافها هناك بداية فى ١٩٢٧ وقد جعلت العراق الثانى فى الترتيب بعد إيران دولة البترول القيادية فى الشرق الأوسط . ألمانيا لم تع تلك الأصول البترولية وأصبح المفتى حليفهم فى بغداد . فكان أداة فى الإطاحة بالكولونيل رشيد على عام ١٩٤١ ، الذى كان مثل المفتى أرستقراطيًا محليًا ، وطنيًا يبغض الانجليز . وهرب الأمير عبد الله شقيق أرملة الملك غازى إلى الأردن ، الذى كان مثل رشيد على محب لانجلترا ، هذا حدث عندما قام بمحاولته لدى فاروق « لإنقاذه » من محاولة بريطانية مزعومة لاغتياله ، وكان فى نفس الوقت أيضًا على قدر المحاولة التى حاول فيها المصرى الهرب إلى العراق ، إلا أنها فشلت ، كان الفريق المصرى رئيس الأركان ، ومعلم فاروق السابق ، أراد الهرب من مصر لمساعدة الثوار الموالين لألمانيا (وقد سبق أن قبض البريطانيون عليه حيث استطاع المصرى بمهارة المراوغة لتبدو محاولته كما لو كان مسافرًا إلى ميسوبوتاميا لمساعدة القضية البريطانية) .

أخفق الثائر العراقى أخيرًا لعدم وصول المساعدة من النازيين ، معدات أو قوات كانوا قد وعدوا بها . فقد كان هتلر مشغولًا جدًا بخططه لغزو روسيا ، وكان الشرق الأوسط فى المكان الأخير فى استراتيجياته ، الأمر الذى سبب استياء كثير من العرب الذين رأوا « محمد حيدر » كالمسيح مخلصهم من السيطرة الإمبريالية البريطانية . واحتفظ فاروق بهدوئه وعرشه ، فهرب المفتى مرة أخرى ، أولًا إلى طهران ثم إلى برلين ، وصار العراق أكثر إنجليزية من ذى قبل . وتم تأثيث قصور الملك فيصل الثانى على طراز المنازل فى أكسفورد شاير ، واحضروا مربية بريطانية له ، ثم تم إرساله إلى مدرسة عامة فى انجلترا . وبعد التعويض البريطانى بعامين تم وضع الصيد الملكى فى بغداد مثلما كان قد تم غرسه فى أكسفورد شاير . بينما كان الملك العراقى يلعب فى الحقول فى هارو ركب الوصى العراقى سيارته بعد التنزه عائدا إلى منزله ، وكانت أم كلثوم تغنى فى راديو سيارته الرولز رويس اللامعة جدا .

أقام فى فيلا فى برلين واستقبل النازيون المفتى كبطل معلنين أن « دمار ما يسمى بالوطن القومى اليهودى فى فلسطين هو جزء من الرايخ الألمانى » ، بينما أعلن المفتى « أن يهود فلسطين لابد من خلعهم بمثل الطريقة التى بها تم حل مشكلتهم فى البلدان التى يسيطر عليها المحور - الموت » .

حث العميل على ضرب تل أبيب والقدس بالقنابل فى الثانى من نوفمبر ، وهو تاريخ إعلان بلفور وذلك « للاحتفال » بذكراه السنوية . ولم يكن لدى الفيلد مارشال جورنج قوات كبيرة كافية للقيام بالمهمة . فقام المفتى ، على صعيد أقل ، بالعمل مع هيملر لإنشاء مدرسة للتخريب فى أثينا للارهابيين العرب الموالين للنازى ، وتجهيز مسلحين ألبان ويوغسلاف فى وحدات لمعارضة الجنرال تيتو . وساعدنى حملة روميل فى شمال افريقيا وعمل فى مجال الأتصالات الجاسوسية فى ليبيا وتونس وعمل مع رينتروب وزير الخارجية الألمانية لمنع هجرة أربعة آلاف طفل يهودى احتجزهم النازيون فى بلغاريا - إلى فلسطين . لن يتم الإبقاء على النساء والأطفال خاصة إذا كانوا يهودا .

بعد هزيمة الألمان فى عام ١٩٤٥ تحول المفتى إلى الفرنسيين الذين اعتقد أنهم سيعطونه اتفاقا أفضل من البريطانيين . أولا أودعوه سجن شيرش ميدى ثم نقلوه إلى فيلا مريحة فى ضواحى باريس . ثم استبعد البريطانيون الفرنسيين أنفسهم لأنهم أجهزوا على تطلعاتهم الأستعمارية وذلك بدفع قوات شارل ديجول الحرة من لبنان وسوريا لضمان استقلال تلك البلاد . وأمدهم المفتى بكارت رابح .

أراد اليهود حول العالم محاكمة المفتى كمجرم حرب فى نورمبرج ، لذا حذر الزعماء الصهاينة الأمريكان رئيس الوزراء الفرنسى السابق ليون بلوم من أنه لن تكون هناك مساعدة من الولايات المتحدة بعد الحرب إلى فرنسا حتى يتم تقديم المفتى للعدالة .

تملص رئيس الوزراء جورج بيرولت من القضية بأن ترك المفتى « يهرب » .

والأتفاق بشأن هربه أن يعد المفتى بالموافقة على موقف فرنسا ودعمه حيال مستعمراتها فى شمال افريقيا فى الجزائر وتونس والمغرب واعتباره بمثابة حماية وليس استغلالًا مثل البريطانيين . وقام المفتى بحلق ذقنه الحمراء وارتدى حلة غربية وتم إعطاؤه جواز سفر سورى ووضعه فى طائرة ترانزوورلد إيرلاينز إلى القاهرة ليجد الملك فاروق فاتحا ذراعيه شغوفا ليرد معروف رجل الدين الذى قدمه له .

فهم فاروق مثل الألمان والفرنسيين أن للمفتى مستوى معينًا من الإقامة . ومن ثم جعل ملك مصر « ملك » القدس أن يقيم فى فيلاته فى حلوان على النيل ، أحب فيلا لدى فاروق كمكان للإغواء . لم ينم المفتى أكثر من ثلاث ساعات ويستيقظ عند شروق الشمس ثم يصلى على سجادة صلاة صغيرة أعطاها له والده منذ أربعين عاما – هذا خلافا لفاروق الذى يظل حفله حتى الفجر وينام حتى الظهيرة مع خليلته فى ذاك الوقت . أينما يهرب سواء إلى بغداد ، برلين أو القاهرة فإن السجادة لا يتركها أبدًا . وبعد الصلاة يقوم المفتى بالتمرينات الرياضية للحفاظ على نشاطه ثم يخرج إلى الحدائق المطلة على النيل ثم يزور مكان الدجاج تحت نخيل فاروق . وكان المفتى يحب الدجاج ، وإلقاء الحبوب أمامهم وهم يلتقطون الطعام مثلما يحب القتل الجماعى . بعد فروض الصباح يتناول المفتى القهوة العربية ويعقد مجلسًا لاتباعه القدامى فى المنفى ، وكذلك أتباعه الجدد النشيطين فى مصر أمثال الكابتن جمال عبد الناصر الذى تطوع بخدماته فى هجوم المفتى « لطرد اليهود إلى البحر » والبريطانين معهم .

كان المفتى خارج فلسطين لمدة سبع سنوات تقريبًا ، وقد قرر البريطانيون أن ٩٥ ٪ على الأقل من جميع العرب الفلسطينيين سيفعلون ما يأمرهم به . وكان البريطانيون غير مرتاحين حيال وجود المفتى فى القاهرة حيث أصبح الاغتيال أمرًا مزمنًا .

استنكر ونستون تشرتشل فى لندن كرم ضيافة فاروق للمفتى وطالب حكومة العمال باعتقال مجرم الحرب . مع أن البريطانيين كانوا غير راغبين فى أن يرسلوا

برجل الدين إلى نورمبيرج وبذلك خلقوا حربًا مقدسة جديدة فى مصر . وأعلن المفتى أنه « تحت رحمة الملك » . الأمر الذى أعطى فاروق إحساسًا أكبر بقوته . على أية حال فالرحمة أمر لا يطيقه على الإطلاق . الوجود الثورى للمفتى ذو مغزى فى القرار البريطانى بسحب قواتهم خارج القاهرة والاسكندرية والعودة إلى منطقة القنال خلال بضعة شهور من مجىء المفتى .

كان الملك فيكتور إيما نويل والملكة إيلينا ، ملك إيطاليا ، متمتعين بكرم ضيافة فاروق ذلك الصيف حيث حضرا ليعيشا فى الاسكندرية بعدما تنازل فيكتور عن العرش فى مايو ، كان فاروق يرد الجميل ، ثانية ، حيث إن إيطاليا استقبلت الخديو إسماعيل عندما تم إجباره على التنازل عن العرش . وجد فاروق فى النهاية أمامه ملكًا فاشيستيًا ومفتيًا نازيًا ، وسوف يتم استخدام كرم ضيافته كحملة تشهير ضد فاورق ، التى ستستمر من خلال تنازله عن العرش حتى وقت طويل بعد مماته .

تحالف فاروق مع المفتى وكان تحالفًا ملحوظًا جعله قريبًا من رجل وجد نفسه مثيلًا للمفتى فى مصر . الشيخ حسن البنا . وبالمقارنة بين حياة الفلاح ورجل القدس ذى الجذور النبيلة ، كان البنا فقيرًا . كان الاثنان أصوليين ، درسا فى الأزهر ، يؤديان رسالتيهما بتبصير الناس بأمور دينهم فى الأسواق وفى القرى ، وكانا مجموعة أشياء مختلطة . فبينما المفتى سريع الضغط على الزناد إلّا أن المرشد الأعلى ليس رجل حرب . علاوة على أن أهداف البنا لم تكن اليهود بصفة كبيرة وإنما كانت مقاومة الإنجليز الكفرة وطبقة الباشاوات المنحطة . وموقف فاروق من البنا ، كان موقفًا غير مريح ، بسبب غضب البنا البيوريتانى (التطهرى) مما يفسر إقلاع فاروق عن الخمر وحضور صلاة الجمعة بالمسجد ، وإطلاق لحيته أحيانًا . ففيما عدا النساء والميسر والنوادى الليلية والإنفاق ببذخ كان فاروق مسلمًا ورعًا . تطلع فاروق لسنوات عديدة إلى أن يكون خليفة لكل المسلمين وحامى الإيمان . (الأقربون أولى بالمعروف) .

إن مشكلة فلسطين ووجود المفتى فى مصر أدى إلى إعادة التركيز على الغضب الدينى للبنا . وقد كان يبلغ تعداد الإخوان المسلمين آنذاك فوق المليون مصرى

وأصبحت الحركة بمثابة حركة سياسية مثلما هي دينية فقد كان هؤلاء فقراء وفلاحين تقريبًا ممن تركوا الأرض إلى المدن يريدون قطعتهم من فطيرة مصر بعد الحرب . حيث كانت أغنى بلد فى الشرق الأوسط إلاّ أن الثروة كانت موزعة توزيعًا سيئًا ، مصر بها الآن خمسمائة مليونير بدلًا من البلوتقراطيين الخمسين قبل الحرب . هؤلاء الباشاوات الذين يمثلون أقل من نصف بالمائة من جميع الملاك ، يملكون ثلث الأرض المزروعة كلها في البلد . وكان بإمكان فاروق تحويل الفلاحين من حرمانهم بالتحليق بطائرة من طائراته فوق أكواخ القرى التى تبنى من الطين على امتداد النيل ويسقط كرات البنج بونج الملونة للفلاحين ليفدى صناديق الحلوى فى المخازن العسكرية الملكية .

بريطانيا مدينة لمصر بميزان ضخم من الاسترليني ديون حرب تربو على أربعمائة مليون جنيه لكن القليل من ذلك يتم تمريره من أسفل مناضد نادى السيارات الملكى إلى الفلاحين الذين تزيد نسبتهم عن ثمانين فى المائة يعانون من البلهارسيا . هذه كانت حالة واحدة حيث لا يقف فيها الدين لذلك فقد دعا البنا إخوانه إلى السلاح ، وتشكيل خلايا عسكرية مكثفة ، والقسم بالمصحف على الالتزامات الجديدة يد فيها المصحف والأخرى تحمل المسدس .

بالرغم من كل ذلك فإن فاروق وطبقة الباشاوات كانوا فى ارتياح كبير لأن الفلاحين الأصوليين مع ظهور مسألة فلسطين كقضية رمزية ملتهبة فى الشرق الأوسط سيتحولون بعيدًا عن الباشوات إلى طريق الأشرار اليهود . عرف فاروق والباشوات أن مصر بصدد حفر الخندق من أجل أى تغيير اجتماعى فورى لن يكون سوى علامة مميزة . إن قمة مصر ربما تشع الأرستقراطيات الفرنسية أو البريطانية فى مستواها « الحضارى » ، إلاّ أن السخط عند قاعدة الهرم الاجتماعى أتت من مستوى المعيشة المتفاوت الذى نافس المنبوذين فى الهند . أثبت فاروق مهارة تامة فى الروغان من هذه الثورة للغليان فى مصر ليحولها إلى لطمة على وجه القومية العربية واحترام الذات عن طريق العدو القديم للشعب ، البريطانيين ، الذين تحالفوا مع صهاينة فلسطين .

لم يكن البريطانيون مولعين باليهود أكثر من المفتى . شاهد على ذلك الخطاب التالى إلى القوات من قائد القوات فى فلسطين الفريق باركر ، عقب قيام إرهابى يهودى بنسف مقر القيادة البريطانية فى فندق داوود بالقدس فى يونيو ١٩٤٦ ، وقد فيه باللائحة على اليهود فى هذا العمل الحقير .

« إذا كان الشعب اليهودى يريد فعلًا أن يوقف هذه الجرائم يمكنهم أن يفعلوا ذلك بالتعاون النشيط معنا . وبالتالى قررت . . أن تقطعوا الروابط مع كل الدرجات لجميع أماكن اللهو اليهودية ، والمقاهى ، والمطاعم ، والحوانيت ، والمساكن الخاصة . أظن أن تلك الإجراءات . . سوف تعاقب اليهود بطريقة يمقتونها أكثر من أى طريقة أخرى ، وذلك بالتأثير على جيوبهم مظهرين إزدراءنا لهم .

إن المنطقة الوحيدة التى تجمع اليهود والعرب هى فى كرههم للإنجليز . بغض النظر عما حدث فى فلسطين ، وقد أراد فاروق أن يخرج البريطانيين من مصر . ذلك برنامج لا يمكنه أن يتجنبه . ويبدو أنهم راحلين . ففى يونيو ١٩٤٦ أرسل بيفين وزير الخارجية الفيلد مارشال مونتجومرى إلى مصر كواجهة لانسحاب القوات البريطانية من مدن الدلتا إلى منطقة القنال . كان بيفن صريحًا بشأن حضور مونتجومرى « لينشط » الانسحاب . وبينما كان مونتجومرى هناك ، أعلن فاروق عن نقطة تُنَغِّز بأدب بطل الحرب بأن كل مصر كانت تعانى حقيقة من « أربعين سنة إساءة حكم فيها البريطانيون » .

وقد أمضى مونتجومرى معظم وقته الدبلوماسى مع رئيس الوزراء الجديد إسماعيل صدقى ، وهو رجل دولة فى السبعين من عمره ومعتل كان قد خدم الملك فؤاد كرئيس للوزراء عام ١٩٣٠ واختاره فاروق ليحل محل محمود فهمى النقراشى ، الذى خدم غرضه فى زيادة شعلات الوطنية وترويع البريطانيين من الاعتقاد بأن مصر ممكن أن تصبح ميدان قتال ثورى مع قنابل أشبه بقنابل فندق الملك داوود ، وتحدث بانتظام . وقد تم استدعاء صدقى لإنهاء الاتفاق وهو انجاز اتفاقية (معاهدة) أنجلو – مصرية جديدة بموجبها تصير مصر وإلى الأبد مستقلة حقيقة .

حدث الأمر تقريبًا . فبعد محادثات طويلة مع بيفن فى لندن ، عاد صدقى فى أكتوبر عام ١٩٤٦ إلى القاهرة فى انتصار ظاهر . فالتحرك البريطانى من مصر كان جاريًا ، بينما ظلت قضية كبيرة وحيدة هى من الذى سيحكم السودان « الذى كان خاضعًا للحكم » الانجلو – مصرى منذ أن قام اللورد كيتشنر بسحق قوات المهدى فى أم درمان مع تشرتشل هناك مع الفرقة واحد وعشرين . وبالرغم من أن الهلال المصرى طار بجانب اتحاد جاك ، كان إرسال السياسة كلها تتم فى لندن والخدمة المدنية يقوم بها ضباط الخدمة الأجنبية الإنجليز .

[ومع أن مصر لا زالت تتخيل أن السودان لها ، وبقوانين الطبيعة كان يجب ذلك . كما كتب هيرودوت « مصر هبة النيل » . حيث إن مصبات المياه لأعلى النيل فى السودان المتحكمة فى ذلك البلد وبها يتم التحكم فى شريان حياة مصر . لم تكن مصر فى وضع يحتمل قطع الماء عنها تمامًا لبريطانيا حيث يمكن تلطيخ شرفها الإمبريالى ، وتلطيخ عظمتها الاستعمارية . وكانت النتيجة اتفاقات دبلوماسية متعارضة داخليًا تم التوصل إليها – وهى البروتوكول السودانى . وعدت مصر بموجبها بأن كل السياسة المستقبلية فى السودان سيتم صياغتها « فى إطار الوحدة بين السودان ومصر تحت تاج مصر » . وبناء على ذلك عاد صدقى إلى القاهرة منتصرًا ، مؤكدًا للملك فاروق أن السودان له وأن النيل له وأن النيل لن يجف .

إلا أن القطاع الثانى من البروتوكول كفل للسودانيين ، وليس المصريين ، حق اختيار الوضع المستقبلى لبلدهم . لذا فإن هذه النقطة أعطت السودان حق تقرير المصير . إلى أن يقرأ الإنسان الواحد الجزء الثالث من البروتوكول الذى يوضح أن البريطانيين سيستمرون فى اختيار الحاكم العام للسوادن . وقد كان هذا أقوى المراكز فى البلد ، والاستحواذ عليه يضمن للبريطانيين الزعامة الكبرى للسوادن والنيل ، وباختصار فإن كل الحديث الثنائى ألقى كل نقطة تبقى الوضع على ما هو عليه . الوضع البريطانى . وكما أوضح كليمنت أتلى : « لا تغيير فى الحالة القائمة وإدارة السودان يتم التفكير فيها » .

استاء المصريون . وناورت بريطانيا مرة أخرى . إن صحيفة الإخوان المسلمين للبنا تحث على « أن كل مصرى وكل شرقى عليه أن يعلم أطفاله منذ نعومة أظافرهم أن يكرهوا ويلعنوا الامبراطورية البريطانية » . فانهارت المعاهدة تمامًا ، واعتلت صحة صدقى واستقال من منصبه فى ديسمبر ١٩٤٦ وأعاد فاروق رئيس الوزراء النقراشى ، الذى أنهى كل المفاوضات رسميًا مع البريطانيين ، وألغى البروتوكول الذى كان صدقى قد وقعه ، وقدم قضية السودان لمجلس الأمن فى الأمم المتحدة التى كانت تعتبر مسألة حياة أو موت . لكن لم يتم اتخاذ أى قرار . واستمر البريطانيون فى تحركهم إلى منطقة القنال . وإنه بموجب معاهدة ١٩٣٦ السارية بين الانجليز والمصريين فإن قواتهم فى زمن السلم لابد من تحديدها بعشرة آلاف . وخرقًا لتلك الشروط احتفظ البريطانيون بثمانية ألف رجل ، على أهبة الاستعداد فى القنال .

وفى إطار اهتمام بريطانيا ، فقد أعطت سنة ١٩٤٧ مصر قدرًا كبير من الارتياح . فقد كان زواج الأميرة إليزابيث من فيليب مونتباتن القوى ، دوق أدنبره هو الحادث السعيد فى بريطانيا التى عانت ، من ناحية أخرى ، شتاء قارصًا منذ عام ١٨٩٤ . ونتيجة لنقص الفحم رأت بريطانيا أنها مجبرة على تأميم صناعة الفحم لديها . والسكك الحديدية ، والغاز سيتبع ذلك سريعًا ، حيث إن لندن كانت تبدو كمثل موسكو . عندما تفوز الاشتراكية ، تخسر الامبريالية . فقد تخلى البريطانيون عن الهند . وقرروا أيضًا التخلى عن فلسطين . لأنهم تعبوا من محاولة دفع اليهود إلى الإذعان وقاطعوهم حتى الموت جوعًا ، معلقين فى حبال الخوف . قرر البريطانيون أنهم ببساطة لا يستطيعون تحملهم بعد ذلك ، وصرفوا النظر عن المسألة البريطانية برمتها وألقوا بها إلى مجلس الأمن بالأمم المتحدة الذى أوصى بالتقسيم .

إنه مع قنبلة الشرق الأوسط الموقوتة صوتت الجمعية العامة إلى جانب التقسيم فى مقر الأمم المتحدة المؤقت فى نيويورك وأصبحت فلسطين قصة العام المثيرة ، مع العديد من القصص المنسوجة الملفقة ، وقد خرجت إحداها من الخزانة وهى قصة معادية للسامية . وكان الفيلم بعنوان اتفاق جنتلمان حيث يلعب جريجورى بيك

دور مسيحى يشتهر بنشر الفضائح فأخفى نفسه كيهودى يتم طرده من فنادق المنتجع ، وفاز بجائزة الأكاديمية كأحسن فيلم للعام . وبسبب فظائع الحرب العالمية الثانية نال اليهود تعاطف العالم الغربى . فماذا تعنى هذه الرقعة الصحراوية ؟ لِمَا لا ينالها اليهود ؟ ألم يعانوا بما فيه الكفاية ، كل ذلك بدا إنصافًا وعدلًا وسهلًا للغربى .

كانت مصر ساكنة بطريقة لا يمكن إهمالها وعيونها على فلسطين . فقد أكتنف البلد وباء الكوليرا الذى جاء به حاج مصرى عائد من مكة وصب زجاجة ماء مما يعتقد أنها ماء زمزم مقدس فى بئر ماء بالقرب من أسيوط . كان الماء ملوثًا فانتقلت العدوى . ومات خمسة وثلاثون ألفًا فى ستة شهور . ومن الناحية الاقتصادية كان الانسحاب البريطانى إلى السويس نعمة مزدوجة . فقد ذهبت جنيهات البريطانيين مع رحيلهم . ووصلت البطالة إلى درجات عالية . اختفى الملك فاروق عن نظر الشعب ، مستمرًا فى رومانسيته مع ليليان كوهين ولعب الميسر مع أصدقائه الباشوات اليهود فى نادى السيارات الملكى مازحًا حيث كان يقول « أحضروا أعدائى الصهاينة حتى يتسنى لى أن آخذ مالهم » . إن أعماله مؤيدة لليهودية ، لكن كلماته كانت كلها مؤيدة للعرب . فقد أعطى فاروق حق اللجوء ثانية للمفتى . وعبد الكريم (الخطابى) الذى قاد تمردًا ضد الفرنسيين والأسبان فى المغرب عام ١٩٢٥ ونفاه الفرنسيون إلى جزيرة الاتحاد فى المحيط الهندى لمدة واحد وعشرين سنة ، ثم قفز من السفينة فى قناة السويس وهو فى طريق عودته إلى فرنسا لتحدد إقامته هناك . نزل من السفينة هو وزوجتاه وستة أولاد وخمس بنات ومعه ستون قطعة من حاجياته ، وكفن والدته . وشكر فاروق لإعطائه حق اللجوء وقال الثائر العجوز : « إنى أعتمد على الله وقررت النزول مع عائلتى لأكون تحت حماية فاروق ، المدافع الكبير عن العربية والإسلام » . وتصادف هذا المديح انفجار قنابل الإخوان المسلمين فى دور سينما بالقاهرة وكانت تعرض أفلامًا أمريكية من هوليود التى تسيطر عليها « اليهودية » مما وضع فاروق فى حرج .

إن الطريق الرئيسى إلى القدس له محطة حرجة فى القاهرة ، ففى ديسمبر ١٩٤٧

عندما اجتمع رؤساء وزارة سبعة من جامعة الدول العربية فى القصر الذى يستضيف جامعة الدول أمام المتحف المصرى للآثار وذلك ليقرروا كيفية قيام ٤٥ مليون من شعوبهم بسحق ستمائة ألف يهودى فى فلسطين . كان لهذا العزف طرق مختلفة . فالأمير فيصل من السعودية الذى دائمًا يشرب اللبن لتهدئة معدته ، أراد أن يعاقب الغرب بحظر البترول . ونورى السعيد من العراق الذى كان مع لورانس وتم اتهامه بأنه مخلب بريطانى ويلبس ملابس غربية ورابطات عنق من نادى بول مال حث إخوانه العرب أن يكونوا حذرين ويراوغوا لكسب الوقت . وكان رياض الصلح من لبنان الوطنى المتحمس الذى حكم عليه الفرنسيون بالإعدام ست مرات لكنهم فشلوا . أراد هجمات فورية من رجال المقاومة كما فعل نظيره السورى جميل مردم وهو عضو مؤسس لجميعة الفتح السرية التى ساعدت فى الإطاحة بالسلطان العثمانى من سيطرته على سوريا . ثم كان هناك فيصل ، والعم عبد الله من الأردن الذى أراد ضم القدس إلى بلده . وسعى فى نفس الوقت إلى تسوية الخلاف مع اليهود وله مقابلاته الشخصية السرية مع جولدامائير وكان لعبد الله خليلة سوداء ، تكتب الشعر وتكره المفتى ، وتكره الأساليب الغربية للملك فاروق وسلالة محمد على .

وأخيرًا ، يجب على هؤلاء الرفقاء الغرباء أن يواجهوا حتمية الحرب . كان حرس الشرف للعرب من الجيش المصرى الذى كان يقدر بمائتى ألف جندى قويًا تقريبًا وبصفة عامة . أما بصفة خاصة فإن أكبر قوة تستطيع مصر فعلًا تجنيدها تكاد تكون خمسة وثلاثين ألف رجل . وكان يتم تجنيد مائة وثمانين ألف مجند كل عام ، ويتم إعفاء خمسين ألفًا منهم لأسباب متنوعة ، ومنهم ستون ألفًا غير لائقين ، وخمسون ألفًا آخرون يتهربون من الخدمة بعدم الاستجابة للقانون . وإنه من العشرين الألف المتبقين يخدم خمسة آلاف خدمة فعلية كاملة . أما المتبقون فقد فروا إلى الصحراء أو اختفوا ببساطة . ولم يكن روميل أفريقيًا هكذا . وعرف رئيس الوزراء النقراشى ، هذا . حتى أن دعاة الحرب كانوا على وعى بهذا من ناحية الحدود العسكرية للبلد . وقد انتهى الانتداب البريطانى فى فلسطين فى الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ وانسحبت

القوات البريطانية على الفور . وتم إعلان الدولة الإسرائيلية وعلى الفور اعترف بها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . وأراد العرب الذهاب إلى الحرب . إلاّ أن النقراشى اعترض . واجتمع مع وزرائه وأعلن أن القوات المصرية غير مستعده للأسف . ناقضه فاروق فى ذلك – كانت الجيوش العربية المتحدة تتفوق على إسرائيل عدديًا بنسبة أربعين إلى واحد . وكان الإخوان المسلمون مسلحين وخطرين يريدون الاندفاع إلى فلسطين ، تحثهم طبول الحرب من جانب المرشد العام والمفتى . ويفضلون أن يصبوا غليانهم على اليهود فى فلسطين ، من أن يفرغوا غضبهم فى مصر على فاروق الذى توصل إلى ذلك . وحيث إن فاروق كملك ملوك العرب فلا يستطيع سوى أن يحارب . هاهنا جهاده وكان عليه أن يقوده .

فشل الجهاد تمامًا . لأن الملك فاروق أولًا كان كمثل صبى يلعب لعبة الحرب . فارتدى ملابس فيلد مارشال الكاكية وتفقد قواته من فوق حصانه وسلمهم آلاف المصاحف ، ومنح الرتب العسكرية لشقيقاته ، وأمر ببناء نصب الانتصار فى مصر الجديدة بالقرب من مطار القاهرة إلى ميدان محمد على المساوى للشانزليزيه لأجل استقبال الأبطال الغازين . لكن ذلك لم يحدث .

إن المصريين الذين استفادوا فقط من الحرب كانوا اللواء محمد نجيب الذى أصيب بجراح ثلاث مرات وصار بطلًا كبيرًا ، والنقيب جمال عبد الناصر الذى أصبح بطل حرب صغيرًا لمقولته « لا تقل لا للموت » مدافعًا عن فرقته التى حاصرها الإسرائيليون فى جيب فى قطاع غزة « الفالوجا » ، وان مطبخ وزارة فاروق المكون من بوللى وجالهان وأندراوس وثابت زعموا أنهم كونوا ثروات من صفقات الأسلحة القديمة الإيطالية الفاسدة . ووجد المصريون الذين لحقتهم الإهانة فى تلك الأسلحة الفاسدة ورجال فاروق كباش فداء مناسبة لهزيمتهم الشائنة .

بدأ فاروق يفقد تأييد « شعبى المحبوب » لأول مرة أثناء حكمه . ووقفت الجماهير المصرية أثناء فترة لامبسون بكل إهاناتها المتكررة ، وأثناء التضور جوعًا والتضخم والملاريا والكوليرا ، وخلال كل الخليلات والسيارات والطعام والنوادى

الليلية . كان المصريون أكثر شعوب العالم تسامحًا ، والأكثر تفهمًا عندما كان ملكهم ، فرعونهم ، هو المعنى بالأمر . لكنهم لا يستطيعون تحمل فقد الحرب مع هذه الأمة الصغيرة من اليهود المبتدئين ، وخاصة فى ضوء موضوعات كريم ثابت الصحفية والإذاعية عن الانتصارات المصرية التى لم تحدث على الإطلاق . فقد شعر الشعب المصرى بالخيانة أكثر مما شعروا بها من جانب البريطانيين لأنهم هذه المرة شعروا بأن الذى خانهم هو حاكمهم هم ، وكان ضرب السفينة « الأمير فاروق » من جانب زورق إسرائيلى مسلح هو أقسى الجراح » . ذاك الأمر قال كل شىء . وكان باقى الأمر سرًا .

إن انهيار مال فاروق فى أمريكا الموالية للصهاينة ، وما طرأ على علاقاته مع النازيين بسبب روابطه بالمفتى - أمور شوهت صورة فاروق - إن مجموعة كبيرة من المثقفين اليهود تضم مارك كونيللى ، إريسكين كولدويل ، ليليان هيلمان ، توماس مان ، رينهولد نيبور ، إيجبين أونيل ، ستيفن ل . وايز الحاخام - قدموا مذكرة توضح علاقات فاروق بالمحور واعتبارها بمثابة إدانة للحرب التى شنتها مصر ضد إسرائيل - وحيث إن أولئك لهم هيبة ومقام رفيع فقد أدى ذلك إلى حملات صحفية مرعبة بالنسبة لفاروق ، مع تناول طبيعة « جرائمه » المزعومة ، وما تناولته وسائل الإعلام .

إن الحرب الاسرائيلية - العربية كانت طويلة من وقف إطلاق النار عدة مرات ثم هجمات جديدة حتى انتهاء القتال أخيرًا فى يناير ١٩٤٩ ، لكنه وضح فى وقت مبكر من هم الخاسرون . ومع هبوط شعبية فاروق فى مصر والخارج كذلك ، ومع كل انتكاسة عسكرية فإنه من الغريب السبب فى أن فاروق اختار السابع عشر من نوفمبر ١٩٤٨ لينهى زواج الملكة فريدة ، وكان الملك والملكة ينامان فى حجرات نوم منفصلة فى قصرين مختلفين منذ السنوات الأربع الأخيرة . خليلات فاروق لم يكن سوى مسائل خاصة لكنه ما من سبب لطمس أسطورة الزواج الملكى فى الوقت الذى احتاجت مصر كل أسطورة للتشبث بها . وفاة الأميرة المحبوبة حماته الأميرة شويكار قبل عام كان بمثابة حرمانه من مستشاره الحكيم ، ربما استمرار تورط فريدة

مع ابن شويكار ، وحيد يسرى ، دفعها ، وليس فاروق ، للإصرار على الطلاق . فلا فاروق ولا فريدة بإمكانهما تحمل تمثيلية الزواج أطول من ذلك ، حرب أو لا حرب . كان فاروق مع فريدة فى حفل عيد ميلاد أقامته شويكار للملك فى الحادى عشر من فبراير ١٩٤٧ حيث دعت فاروق وفريدة أملًا فى التقارب بينهما الذى لم يكن واقعيًا . وتحت حث شويكار اقترب من زوجته فى مكتبة قصر شويكار مع صندوق كبير من المجوهرات ، حيث سجل ستانتون جريفز السفير الأمريكى فى برقية « سرية » لوزير الخارجية فى واشنطن أن الملكة « وبخت الملك حيال طريقة حياته . . . وقالت : لو أن المجوهرات هى ثمن عودتى إليك فإنك تستطيع أن تأخذها بعيدًا » . وترك الملك الملكة وهو غاضب جدًا . إن فشل محادثات السلام دمرت حفل شويكار ، وهو الحفل الأخير ، حيث ماتت بعد أسبوع . وأقام فاروق جنازة رسمية ضخمة للأميرة ، وتقدم الجنازة .

لاحظ السفير جريفز أيضًا أن فاروق « قام بعدة جهود خلال السنة الماضية لعمل مصالحة لكن الشروط التى وضعتها الملكة كانت شديدة » . ولم يوضح ما هى هذه الشروط . فقد اتخذ فاروق القرار الصعب ، بعد موت شويكار ، بشأن الطلاق الذى تجنبه طويلًا . وكان الشيء الذى أراح فاروق أن هذا العمل لم يكن بدون سابقة فى سلالة محمد على . والد فاروق ، فؤاد ، طلق وتزوج ثانية مثل أسلافه السلطان حسين والخديو عباس . وأقسم فاروق فى أول الأمر « عقابًا » لفريدة أن يحرمها من كل المجوهرات التى أعطاها لها ، ومنعتها المحكمة الشرعية من الزواج ثانية وأن تنزل إلى رتبة غير ملكة ومنحها مبلغًا شهريًا حوالى مائتى جنيه للمعيشة .

حول فاروق طلاقه إلى يوم عالمى يتصل فى نفس الوقت بطلاق الإمبراطورة فوزية شقيقة فاروق وزوجة الشاة فى طهران ، حيث لم يتم إنجاب ولد ليرث العرش وفقدا الحب القليل بينهما . وعادت فوزية إلى مصر عام ١٩٤٦ ، بعد أن عالجها طبيب نفسانى أمريكى ، وذلك للاستشفاء من مرض الملاريا . وأنه بموجب أوامر أطباء فاروق ، تم منعها من العودة إلى « مناخ طهران » ، ولم تفعل ذلك . كان لها

والشاه ابنة واحدة ، شاهيناز ومعناها « محبوبة الشاه » . وكان كل واحد يعتقد اعتقادًا كبيرًا أن الاتحاد الملكى سيكون اتحادًا كاملًا . وحضرت فوزية إلى طهران بجهاز يقرب من نصف مليون دولار قيمة مجوهرات ، ومائة فستان سهرة وسبعة معاطف فرو . وغادرت طهران دون شيء سوى الاستياء . كتب سيسيل بيتون مصورها فى طهران مقالًا مختصرًا لكنه دقيق عن العائلة الملكية الفارسية . الشاه والشهبانو (فوزية) حيث كتب قائلًا :

عاش فى قصر حديث شنيع تمامًا وحديقة بنمط سيء وقبيح بإفراط لا توجد فى هوليود الآن . . إنهم يبدون كعصابة من عصابات جنوب أمريكا . كان الشاه يرتدى بدلة رمادية قديمة ويبدو فيها كيهودى شاب صغير وشعر طويل غير مرتب ، ذقنه غير محلوقة جيدًا تبعث على القيء وزوج حذاء أبيض وأسود متسخ . والملكة بفستانها من شارع شافتسبرى ، تنورة قصيرة جدًا ، ضيقة من الوسط ، أخضر فاتح ، مكياجها كثير ، عادية جدًا ، جميلة جدًا ، من نوعية نجمات الأفلام ، فوتوجنيك . أخت الشاه متشددة (الأميرة أشرف) ومتسلطة . . طفل فى سن الثالثة أشبه بفتاة صغيرة ، ابنة الشاه ولعبه لطيفة صغيرة . . .

إن حادثتى الطلاق لملك مصر والعاهل الفارسى خداع للعلاقات العالمية « خطأن يؤديان إلى حق » ، ربما تكون لكل طلاق عدم شعبية ، كل على حدة . إن فقد الوريث للعرش فى كل حالة كان سببًا للتفسخ الذى حدث بين الزوجين . وقد غلّف الحاكمان الدوافع الشخصية فى الكرامة كعمل دولة وليس كنزوة . وتم الطلاق وبدا فى شكل ملكى مثل التتويج .

قام الشاه وفاروق فى السابع عشر من نوفمبر فى كل من القاهرة وطهران بإجراء الطلاق من زوجته خلال احتفال إسلامى بسيط . وكان البيان الصحفى لكريم ثابت من قصر عابدين كالآتى : أراد الله ، فى حكمته ، أن الروابط المقدسة التى توحد صاحب الجلالة فاروق الأول وصاحبة الجلالة الملكة فريدة أن تتلاشى وسمح للأسف برغبة الانفصال أن تنمو فى قلبى الزوجين النبيلين . وتحقيقًا لهذه الرغبة أصدر صاحب

الجلالة فى السابع عشر من نوفمبر وثيقة الطلاق الرسمية . وبإعلان هذا الحدث فإن مجلس الوزراء يدعو الله أن يبهج البلد بمنح جلالته السعادة .

صارت الملكة فريدة الآن السيدة صافيناز ذو الفقار لكنها كانت تؤكد دائمًا على كل واحد بما فى ذلك والدتها أن ينادوها صاحبة « الجلالة » . واستمرت فى العيش كشخصية ملكية . وترك فاروق جواهر التاج لها ، وأعطاها عزبة ضخمة فى الزقازيق ، وفيلا بالقرب من الأهرام حيث أخذت أصغر بناتها فريدة . أما الأميرتان الكبيرتان فريال وفوزية فقد عاشا فى قصر القبة تحت رعاية فاروق وتم السماح لهما بزيارة أمهما مرة كل أسبوع .

إذا كان الشعب صدمه الطلاق وأحزنه فإن هناك حدثًا تم فى أقل من شهر حولهم بسرعة وأكثر لصدمة أكثر حزنًا . فقد قام الإخوان المسلمون بسبب الفشل فى حرب فلسطين بما كان يقلق فاروق بالضبط فإنه إن لم يرسلهم إلى فلسطين فسوف يقومون باعتداءاتهم : وقد تحولوا إلى الداخل تجاه حكومته . أولًا فى أكتوبر ١٩٤٨ قاموا باغتيال حكمدار شرطة القاهرة ، وبعد أسبوع اغتالوا محافظ القاهرة . وفى ديسمبر تنكر أحد إرهابيى الإخوان المسلمين كضابط شرطة واغتال النقراشى رئيس الوزراء عند دخوله المصعد فى وزارة الداخلية . كان النقراشى يمزح دائمًا بأنه يلعب فى الوقت الضائع حيث كان محظوظًا ، فهو لم يشنق لدوره فى قتل سيرلى ستاك عام ١٩٢٤ . وقد صار كل من أحمد ماهر والنقراشى اللذان زعما أنهما قاتلان ، رئيسًا للوزراء ، وكلاهما تم اغتياله على يد قاتلين وطنيين .

لم ينته حمام الدم . وبعد ستة أسابيع فى فبراير ١٩٤٩ ، اغتيل فى القاهرة حسن البنا الذى شن حملة مفتوحة ضد فاروق وذلك عندما أطلق عليه الرصاص من الخلف . ثم أخذ المرشد العام إلى المستشفى لكن عربة الإسعاف كانت بطيئة الحضور كالمعتاد ربما كان عن عمد . وهرب القاتل بين الجماهير ونزف حسن البنا حتى مات . ونظرت كل مصر إلى الملك فاروق على أنه الذى أعطى الأمر بالقتل . وسواء أمر بالقتل أو لم يأمر فقد فَقَدَ الإخوان المسلون قائدهم ، وغادر المفتى مصر ليعيش

فى لبنان ليرضى على اغتيالات الأرض المقدسة عقابًا لهزيمة فلسطين ، وأشهرها الأمير عبد الله ، الملك عبد الله الآن ، لأنه وافق على ضم القدس إلى مملكته . وتم إطلاق الرصاص على عبد الله على يد قاتل وذلك عند دخوله أحد المساجد فى القدس لأداء صلاة الجمعة .

خرج فاروق من الحرب ، أول حرب مقدسة له ، رجلًا متغيرًا ، فقد رحل أعداؤه لكن أصدقاءه باقون ، خاصة اليهود ، وقد كانت قبلتهم المفضلة فى المجتمع المصرى قد تغيرت نهائيًا . كذلك عائلته ، كان لديه منزل نظيف ولكنه خاو أيضًا . وقد تحقق عزل فاروق من التجربة المريرة للفشل الحقيقى ، لأول مرة . فقد جعل لامبسون من فاروق ضحية . هذه المرة ، وكان عليه أن يتحمل مسئولية قراره وكانت تجربة عقاب غير مألوفة . وتوقف فاروق فجاة عند سن الثامنة والعشرين من أن يكون الملك الولد . وبتساقط شعره ورؤيته وازدياده وزنًا بكميات بدا فاروق أكبر من سنه بعشرين عامًا عن حقيقته . إن الولد الذهبى تحول إلى رجل مسن ، ممتلىء ، أصلع ، أعمى ، ورجل عجوز قذر ، يسيطر على أمة باشاوات القطن والفلاحين حيث الفروق الطبقية المذهلة مما يذكرنا بأولئك المزارعين الأمريكيين فى الجنوب قبل الحرب الأهلية .

إن فاروق اتصل بالحارة المصرية فتغلب على استيائها . وجعل الاستياءات مكثفة لم يتم التركيز عليه مع لامبسون والنحاس والمرشد العام والمفتى – كلهم خرجوا من حياته ، ولم تكن لديه معارضة جادة ، مخلصة أو من أى نوع آخر . ورغم كارثته العسكرية كان فاروق فى أوائل ١٩٤٩ ملكًا مطلقًا أكثر من ذى قبل . فهو يستطيع أن يطلق زوجته . وأن يحرم أمه على نحو صريح ، والتخلص من أعدائه . كان فوق الاعتبارات وفوق القانون . كان هو القانون . كان هو الملك .

عندما وصل الملك فاروق ، قام كل من فى الفندق ، بما فيهم « الأغاخان » ، بالانحناء على ركبتيه لإظهار احترامهم للملك . ولكن والملك يمر أمامهم ، قامت « ميمى » بالاعتدال فى وقفتها ، بتوجيهات من آورولاندو ، ومدت يدها له . وكعادته

فى التودد والانجذاب إلى الفتيات المراهقات الحسناوات ، انحنى فاروق وقَبَّل يدها ، وقامت مئات من عدسات المصورين المتواجدين بالتقاط الصور . وياللحسرة قام « كريم ثابت » بالصراخ قائلًا : « دمروا الكاميرات ! **فقام الحراس الألبانيون المسلحون ورجال البوليس الفرنسى بالقفز والتقاط كل كاميرا فى الحجرة ولم يكن « أورلاندو » من النوع الذى يستسلم ، فقد قام فى الليلة التالية بتزيين « ميمى » بقطعة من القماش الأخضر بلون النيل المصرى والتى قام بسرقتها من إحدى سيارات فاروق الكاديلاك وقام بإرسال « ميمى » إلى أحد الأماكن التى يرتادها فاروق . وثانيًا وقع فاروق فى الغواية ، فقد توقف للإطراء على اللون الذى ترتديه « ميمى » وثانيًا قامت الكاميرات بالتقاط الصور لهما . وثانيًا قام الحراس بالتقاط الكاميرات . ولكن هذه المرة اكتشف « ثابت » أن « أورلاندو » يقوم بخدمة سيدين وقام بفصله لتعارض المصالح مع خصم ثلاثة أيام منه . وتم منع « أورلاندو » الذى أعلن أنه شخص غير مرغوب فيه ، من حضور مآدب الغداء التى كان يقيمها فاروق يوميًا فى مطعم « وليم الفاتح » ، وعاد « أورلاندو » إلى باريس ثائرًا ولكنه استمر فى عمله ، وكان يقوم بتوجيه حملة « ميمى » فى هوليود بالتليفون . وبما أنه كان لديه خط سير « فاروق » كاملًا فكان من الممكن تتبعه كظله فى كل فندق يذهب إليه من « دونيل » إلى « بياريتز » إلى « سان سباستيان » إلى « كان » وكان « أورلاندو » يصور للصحف أن فاروق هو الذى كان يقوم بمطاردة ميمى ، وليس العكس .**

وقامت أكثر من أربعين صحيفة حول العالم بتلقى القصة حول الملك المنغمس فى الملذات والذى يطارد إحدى المراهقات . وتساؤلات عما إذا كانت « ميمى » ستكون الملكة التالية لمصر ، كليوباترا الأمريكية ؟ وفى محاولة للتظاهر بازدراء الملاطفات التى كان يقوم بها فاروق ، عبرت ميمى عن فزعها من مطاردته الساخنة لها . وقالت « إننى كنت أظن أن جميع الملوك مبجلون ومتحكمون فى أنفسهم مثل ملك بريطانيا » . وقد قامت والدة « ميمى » بمنعها من رؤية الملك فاروق ثانية ،

وأعلنت « أن الأمر كله كان شاقًا » ، لأن « ميمى » الصغيرة لا تعرف شيئًا عن الوجه القبيح للحياة .

فى « بيايتز » قام « أورلاندو » بإشراك « ميمى » مع مجموعة من عارضات الأزياء التابعات « لجاك فاس » وقد سألتها عن بعض التوجيهات التى تجعلهن ينلن استحسان فاروق . وعندما رفض الفندق إدخال « ميمى » إلى الكازينو فى « بياريتز » لأنها أقل من السن المحدد لدخول الفتيات ، قام « أورلاندو » بطلب خدمة من منظمة الحفلات « إيزا ماكسويل » ، والتى نجحت فى إدخال « ميمى » مع دوق ودوقة وندسور . وكلما زاد إنكار « كريم ثابت لهذه العلاقة ، كلما زاد اقتناع العامة بوجودها . وفى روما ، كانت « ناريمان صادق » تقرأ يوميًا أخبار العلاقة ولم تتمكن من التوقف عن البكاء على مغازلات حبها الحقيقى . وفى النهاية قام منتج من هوليود كان يقوم بالتصوير فى أسبانيا ، وهو جريجورى داتوف ، بالدخول فى عملية الإغواء ، بل كان حقيقة الإغواء نفسه . وقد وعد والد « ميمى » بتمويل الفيلم القادم « لراتوف » ووقع راتوف العقد مع ميمى . وتلقى « جيدو اورلاندو » مبلغ ١٨ ألف دولار . وقد كتب « أن هذا المبلغ لا يعتبر سيئًا بالنسبة لعمل مكثف استمر خمسة أسابيع » . ولكن عملها فى الأفلام لم ينجح أبدًا ، ولكن فى سنة ١٩٥٥ تزوجت « ميمى » إيرل كوفتزى وأصبحت « سيدة » ولم يهتم فاروق بهذا الخبر السيء واستدعى حبيبته القديمة « باربرا سكلتون » ، التى تركت الشخص الذى كانت ستتزوجه قريبًا ، سيريل كونولى ، فى لندن وطارت إلى لتكون « جميلة الأسبوع » التى ترافق فاروق فى طريقه إلى « بياريتز » . وأصبحت باربرا ، والتى قيل عنها بصورة خاطئة إنها أمريكية ، « المرأة الغامضة لفاروق » . وقد أقاما فى بياريتز ، كما فعل دوق ودوقة ويندسور ، فى فندق « القصر » الذى قام نابليون ببنائه للإمبراطورة « أوجينى » . وفى الوقت الذى كان فيه دوق ودوقة وندسور يرتديان ملابس البحر البيضاء والأحذية الخفيفة ويسيران على الرمال ، كان فاروق ينام طوال اليوم ، ويصحو من النوم لأخذ إفطاره من الجمبرى ، وشراء مجموعة من المجوهرات لمواساة ناريمان على

قصص الحب الرهيبة التي كانت تقرأها ، وكسب وخسارة ثروات على موائد القمار . وكان الملك فاروق يحب النزهات الجماعية ، وفى أحد الأيام قام بشراء أربعة دست من القبعات ، وألبسها إلى المحيطين به ، وأخذهم معه فى أسطول سياراته الكاديلاك لتناول الغداء في . وقد ذهب الملك فاروق ودوق وندسور ، وقد كانا على صلة شخصية فى إنجلترا منذ أربعة عشر عامًا مضت ، لصيد الحمام معًا .

وكانت الوقفة التالية لفاروق عبر الحدود الأسبانية فى منتجع « سان سباستيان » ، حيث كان يقام هناك مهرجان للأفلام . وقد نام الملك أثناء عرض فيلم كارول ريد ، بالرغم من أن بطلته ، ميشيل مورجان كانت تجلس إلى جانبه . وقد سُمح لـ « بربارا سيكيلتون » بالعودة إلى خطيبها ، « كونولى » ، الذى كان يتتبع أسطول فاروق وهو يشعر بالغيرة ، أمِلًا ، بدون جدوى أن يقوم الملك فاروق بإعطاء« بربارا » قطعة من الجواهر لا تقدر بثمن حتى يستطيعوا الإنفاق خلال شهر العسل وحتى مع رحيل « باربرا » ، تزايد عدد حاشية الملك فاروق ووصل إلى واحد وخمسين ، من بينهم أربعة عشر شخصًا من البوليس السرى المصرى ، وإحدى عشرة سيارة كاديلاك سوداء جديدة ، وأربع من السيدات اللاتى كان يقضى وقته معهن . وقد علق السفير البريطانى لدى أسبانيا على ذلك قائلًا إن الملك السابق لأسبانيا سافر ومعه حاشية من ستة أفراد فقط . وقد وصف السفير كيف وصل البوليس السرى مسبقًا إلى فندق « ربنا كريستينا » لاختيار حجرة نوم الملك والغرفة التى على يمينه « للسيدة الأساسية » وحجرة النوم التى على يساره للبديلة لها . وكانت حاشية الملك كلها تشعر بالخوف حتى الموت منه ، وكما أشارت إحدى الصحف المحلية ، بأنهم لم يروا أبدًا ملكًا يضحك بهذا الكم مع حاشيته التى تتسم بمثل هذا الوقار والوجوم » .

ومن أسبانيا ، قام فاروق بالإبحار إلى الريفيرا ، حيث اشترى لكل فرد نظارات خاصة لغطس الضفادع البشرية ، وزعانف ، وأدوات صيد للقيام برحلة صيد تحت البحر . وفى « كان » ، حيث حجز عدة أدوار من فندق « كارلتون » وحيث خانه حظه فى لعبة القمار « البوكر » ولكن ليس بمثل الحظ السيء الذى أصاب الرجل الذى

تغلب على فاروق ، والإيطالى جيانى أنجيلى ، وجاك وانر من هوليود والهندى « نواب » من بالانبور وذلك فى لعبة السكة الحديد فى كازينو « بالم يتسن » حيث فاز بـ ٨٠ ألف دولار . وقد استطاع « المحظوظ ميكى » هايمان ، ويعمل فى مجال صناعة النسيج ، إفلاس البنك فى الكازينو فى كان سنة ١٩٤٨ ، حيث ربح ٢٠٠ ألف دولار فى أسبوع واحد . وقد استطاع « هايمان » الفوز على فاروق فى ثلاثة ألعاب من ألعاب الرهان وعندما قام لصرف الفيشات التى كسبها ، أمسك بصدره ووقع ميتًا بعد أن أصيب بأزمة قلبية . وكانت عناوين الصحف « المحظوظ ميكى يهزم فاروق . ويموت » .

وللهروب إلى حظ أفضل فى إيطاليا ، جعل وقفته الأخيرة فى « سان ريمو » ، حيث قام بشراء بعض الأنتيكات ، ثم ركب الباخرة فخر البحار عائدًا إلى الاسكندرية وقد قام باستقباله جمع من عشرة آلاف من رعاياه الذين تم جذبهم إلى رصف الميناء عن طريق تقديم وجبات مجانية . ثم انفجرت الفقاعة التى كان يحيط نفسه بها عندما تم إهداؤه كتابًا يضم قصاصات الصحف التى تستنكر كل شىء يخصه ، من إنفاق منذ حكمه . وقد كان هناك جزء فى « الإيكونوميست » أزعج حتى البريطانيين ، الذين حاولوا إقامة السلام مع فاروق عن طريق إرسال دوق « جلوستر » إلى مصر لإعطاء فاروق رتبة « جنرال » الفخرية فى الجيش البريطانى . (وفى المقابل ، قام فاروق بإعطاء الدوق صورة موقعة منه) .

وكانت قصاصة مجلة « الإيكونوميست » تتهم فاروق بتحويل الاعتمادات المالية الخاصة بالبلدية ، لتعلية السور الذى يحيط بقصر « القبة » والذى يمتد مسافة ستة أميال ، كما سَخِرت من « مساندته الشديدة » للنحاس ، وختمت نقدها مشيرة إلى « أنه فعل تقريبًا كل شىء خلال ثلاثين عامًا فيما عدا تنصيب جواده رئيسًا للوزراء . وبدأت لندن فى البحث عن طريق لوضع مقالات محابية عن فاروق فى الصحف السريعة الانتشار التى يمتلكها « لورد بيفربوك » ، فى الوقت الذى اتخذت فيه القاهرة مبادرة مباشرة . فقد قام ، أغنى الرجال فى مصر من خارج العائلة المالكة ، وصاحب

الأراضى والمصانع « محمد عبود » ، والذى كان متزوجًا من سيدة إسكتلندية وله صلات واسعة فى بريطانيا ، بالذهاب إلى انجلترا ومعه عدة مئات آلاف من الدولارات لتصحيح انطباع « بيفربوك » عن فاروق وحاشيته . ولكن الصحافة أثبتت جهلها . وقد كتب السفير البريطانى « ستيفنسون » أنه يبدو أن عبود باشا قد تفرغ لهذه الحملة الدعائية ولكنه لاحظ للأسف أن الصحف البريطانية ، على عكس الصحف المصرية ، لا تبدو مهتمة كثيرًا بالرشاوى .

ومن المحتمل أنه كان يجب عليهم الاستعانة بـ « جيدو أورلاندو » . ولكنه كان فى الجانب غير المناسب . وكانت العميلة التالية له هى الأميرة « بيان جافيدان » ، التى تبلغ أربعة وسبعين عامًا ، أرملة الخديو عباس حلمى الثانى ، الذى عزله البريطانيون بسبب علاقاته مع تركيا أثناء الحرب العالمية الأولى . وزوجة الخديو التى ولدت فى فيلا دلفينا كانت جميلة ولكن مفلسة ، وظنت أن « أورلاندو » يمكن أن يساعدها فى الحصول على منحة من الحاكم ، الملك فاروق . ويااللعار على الوصفة التى وصفها لها « أورلاندو » فلقد جاء بالأميرة من « إنسبرال » فى استراليا ، حيث كانت تعيش ، إلى باريس وجعلها تنهار من سوء التغذية خارج القصر الذى كانت تمتلكه فى الدائرة الإدارية رقم ١٦ . وكان « أورلاندو » يردد أن ملكة سابقة لمصر تجوع حتى الموت – إنه أمر مثير للإحساس . وقد عرض صورة للأميرة وهى تُعد البيض على الموقد ، وقد تسابقت الصحف للفوز بهذه الصورة ، وناشد أى شخص بإعطاء هذه السيدة الغنية نهاية سعيدة وقبول الأميرة كطاهية . وقد عرضت السفارة المصرية فى باريس على الأميرة إعطاءها ٥٠٠ دولار للعودة إلى استراليا ، وقامت الأميرة بإحالة العرض لمدير أعمالها ، « أورلاندو » . وعندما اكتشف المصريون أنه يعمل على إزعاج الملك فاروق ثانيًا ، شدوا الخط ولم يعطوها شيئًا . ومع ذلك ، فقد قام « أورلاندو » ببيع مذكرات الأميرة فى ٣٨ دولة وفى النهاية حصل لها على عمل فى أثيوبيا ، ليس كطاهية ولكن كمُرتبة لملابس الإمبراطور « هيلاسلاسى » .

والشىء الوحيد الذى تم فيه السيطرة على الصحف كان منع نشر السيرة الذاتية

للملكة السابقة فريدة فى إنجلترا ، وكانت بعنوان « الاسم جنة ولكن الحياة كانت جحيمًا » ومن ناحية أخرى استمر الهجوم على فاروق ، وبلغ ذروته فى أول خطاب علنى يتلقاه فاروق من الأحزاب المتحدة التى تشكل المعارضة للقصر وللوفد وقد أعلن الخطاب أن صبر الشعب قد نفد وأن هناك ثورة ستحدث قريبًا « وأن هذه الثورة لن تدمر فقط هؤلاء الظالمين ولكن يمكن أن تترك الدولة فى حالة إفلاس مالى ، وأخلاقى وسياسى » .

وبالتأكيد كان الظلم متمثلًا فى المجلس الوزارى التابع لفاروق . وكان الإعلان يتسم بالتهذيب فى هذا الصدد حيث إنه لم يشر إلى الأسماء ولكنه قال : « إن الظروف وضعت فى القصر العديد من المسئولين الذين لا يستحقون هذا الشرف ، هؤلاء غير حكماء فى نصحهم ويسيئون تناول الأمور . والبعض منهم مشكوك فى تورطه فى فضيحة الأسلحة التى أثرت على جيشنا الباسل .

والاعتقاد السائد أن العدالة لن تكون قادرة على لمس هؤلاء المسئولين ، بالضبط مثلما أثبت اعتقادنا أن الحكومة البرلمانية أصبحت حبرًا على ورق . مما جعل صحف العالم تصفنا كشعب يتحمل الظلم فى صمت ويقولون إننا لا نعلم بأننا نُعامل بصورة سيئة ونُساق مثل الحيوانات . الله يعلم أن صدورنا تغلى بالغضب ، وأن بصيصًا من الأمل يراودنا .

وهذا الأمل الضئيل يتمثل فى الملك فاروق ، الذى تدعوه المعارضة ثانية ليصبح الفتى الذهبى لبلاده كما عرفوه وأحبوه وعليه أن يُبعد نفسه عن أصدقاء السوء . إن الدولة تتذكر الأيام السعيدة التى كنت فيها جلالتك تمثل الراعى الصالح الأمين للدولة وإن جميع آمال الدولة مُركزة فى جلالتك . ولم تمر مناسبة لم تُظهر فيها الدولة ولاءها وإخلاصها لك ولم تكن الصحف الصفراء لتؤثر على فاروق . ولكن هذه العريضة التى قدمتها المعارضة أصابته بشدة وقد استجاب فاروق بالطريقة الوحيدة التى يعرفها لإسكات هذا النوع من النقد .

فقد لجأ إلى إسلوب الهجوم السياسى واعتلى أكثر المنصات ثباتًا وأعلن : « أخرجوا البريطانيين من مصر » : – فعل هذا بعد أن عاد توأ من أوربا .

وقد قرأ النحاس باشا افتتاحية فاروق فى حديثه أمام البرلمان فى ١٦ نوفمبر ١٩٥٠ التى طالب فيها بوحدة مصر والسودان تحت حكم فاروق كملك وإلغاء المعاهدة المصرية – الإنجليزية التى وقعت سنة ١٩٣٦ . وقام بالإيماء إلى فلسطين قائلا إن المعاناة غير المعلنة التى يعانيها اللاجئون العرب ستبقى أبدًا وصمة على جبين المدنية ولن يزيلها إلا عودئهم إلى منازلهم وتعويضهم عن خسائرهم » وحالما انتهى النحاس من قراءة البيان حتى بدأت المظاهرات المناهضة لبريطانيا ، والمناهضة لليهود فى شوارع القاهرة خارج البرنمان .

وانتهت أحداث الشعب فى النهاية ، مع وسائل الدفاع البريطانى الصارمة و تحمل فاروق مزيدًا من الأعباء الخاصة بدوره المزدوج كصانع سلام وكاسح للبريطانيين .

وضاعت الأجازة التى أتسمت بالتبذير والإسراف فى طى النسيان وسط هذا الصخب . أما الخطوة التالية لفاروق والتى كان مخططًا لها فكانت تضمن له قلوب وعقول الجموع المصرية . ففى عيد ميلاده الحادى والثلاثين ، ١١ فبراير ١٩٥١ ، أعلن أخيرًا خطبته إلى « ناريمان صادق » وهى من عامة الشعب والتى كانت توصف بأنها « وردة رائعة فى المجتمع المصرى ، وسليلة إحدى الأسر الشهيرة والنبيلة .

وقد وصفها بذلك « كريم ثابت » بأسلوبه المنمق والمزخرف وهو يعلن الخبر :

« نشكر الله ، ويسر حكومة جلالته بأن تُعلن للشعب المصرى النبيل النبأ السعيد بخطبة مليكها ، الذى أعطى لهم قلبه وحبه » .

وقد أثنى النحاس على هذا الحدث ، معلنًا « أن زواج الملك الوشيك والمنتظر سيقوى العلاقات بين الملك والشعب المصرى » .

وقد قام الساخرون بالاستهزاء بهذه الخطبة ، مشككين فى أن السبب الوحيد

تحدوثها هو أن ناريمان أخيرًا قامت بولادة ولى العهد ، وأنه سيتم الكشف عن ذلك فى الوقت المناسب .

ماذا عن روما ؟ وماذا عن آداب الملكية ؟ هكذا كان يتضاحك الساخرون القاعدة الوحيدة التى تهم هى أن يكون الطفل ذكرًا . أى شىء آخر يمكن أن يجعل « وردة المجتمع » عرضة لهجوم صاخب ووقح .

ولم تُظهر صور الخطبة أن ناريمان كانت حاملًا فى طفل والحقيقة أنها كانت تبدو وكأنها « سكارليت أوهاوا » مصرية ، ذات خصر نحيف ، وترتدى ثوبًا خرافيًا من قماش اللاسية وتضع مكياجًا حديثًا ، وشعرها الذهبى مصفف بطريقة منمقة وكانت مناسبة جدًا لفاروق الذى كان يزن ١٦٠ رطلًا . ووافقت روما على ناريمان واستخدم فاروق نوعًا ما من السحر . فقد حول ناريمان إلى ملكة مناسبة .

الآن بدأ فاروق ، أو بالأحرى كريم ثابت ، حملة دعائية هجومية على الطراز القديم .

فقد تم بناء أقواس النصر ، وتمت إضاءة النصب التذكارية ، وتم إرسال الجيش فى عروض عسكرية ، وقامت القوات الجوية بعروض فى الجو .

وتم توزيع الوجبات المجانية على الآلاف فى القاهرة والإسكندرية وتم توزيع ثلاثة آلاف « أكْر » من الأراضى الملكية على دلتا النيل على الفلاحين الذين لا يملكون أراضًا ، بالإضافة إلى بعض المساكن الصغيرة والإمداد السنوى بالحبوب . وتم توزيع الحلوى والملابس على الأمهات فى مستشفيات الولادة ، وعلى المرضى فى المستشفيات ونزيلى الملاجىء . وتم تقديم خدمات خاصة فى كل جامع . فقد كان الملك ، فى حالة حب .

وقد كتب السفير « جيفرسون كافرى » إلى وزير الخارجية « دين أتشسون » حول الزفاف المنتظر :

– إن المغزى السياسى لهذه المناسبة ينبع بصورة كبيرة من المجد الذى يأمل

الملك والقصر فى استمداده من بزوغ الملك فاروق فى أعين عامة الشعب كرجل « مستقر » ، سعيد فى زواجه ومولع بالحياة العائلية . وجزء طبيعى من تعاليم المسلم فى مصر أن يتم قبول التصرفات الشخصية غير المتشددة من رجل غير متزوج ولكن هذا لا ينطبق على التصرفات المتوقعة من رجل متزوج .

وإذا استطاع الملك أن ينهى وجوده الليلى الدائم فى الملاهى الليلية فى القاهرة فإن الدعاية البناءة التى نبعت من زواجه يمكن أن ترتد فى صالحه .

وقد أصبح وضع الملك اليوم فى مصر عظيمًا بصورة تثير الدهشة ومن موقف قوة ونفوذ . وهو بدون شك يواجه فرصة لتحسين وضعه ، ولكن سنرى ما إذا كان سيكون لديه القوة الكافية لانتهاز هذه الفرصة .

إن الخطط التمهيدية للزفاف الثانى لفاروق ، والذى تأخر لإجراء ناريمان عملية ، الزائدة الدودية ، فى مارس على نحو غير متوقع ، كانت تشمل أن يكون حفل زفاف محدودًا ويتسم بالخصوصية ، وهذا أعطى فرصة لخطط « كريم ثابت » فى أن يكون حفلًا يجنب الانتباه . وفى ٦ مايو ١٩٥١ ، بعد ١٥ عامًا من تولية المُلك فى مصر بالضبط ، دخل فاروق غرفة الخديو إسماعيل فى قصر عابدين وتشابكت يده مع عم ناريمان تحت منديل حريرى لإتمام عقد الزواج . وكان والدها قد مات منذ عدة شهور بأزمة قلبية . وقد قام فاروق بتعيين عمها ، محمد على صادق ، سفيرًا لمصر فى هولندا ، وأعطاه لقب « بك » . وهو بذلك كان يصنع لنفسه عائلة . وفى الوقت الذى كان يقوم فيه الرجلان بإنهاء مواثيق الزواج ، كانت ناريمان فى منزلها فى هيليوبوليس ، وفى مساعدتها الأميرة فوزية ، تقوم بارتداء ثوب الزفاف الساتان الأبيض والمرصع بعشرين ألف ماسة . وقد تم حياكته فى فترة امتدت إلى أربعة آلاف ساعة وقام بذلك فريق مكون من عشرين خياطًا فى بيت أزياء « جيرمان ليكومت » .

وكانت ناريمان تغطى وجهها بغطاء عتيق من اللاسيه « الفينس » وترتدى

تاجًا ماسيًا أعطاه فاروق لها . كما أعطاها جهازًا للعروس يقدر بـ ٢٥٠ ألف دولار . وكان يضم خمسين فستانًا ليليًا من اللاسيه صنع يدويًا . ومائة زوج من الملابس الداخلية المشغولة يدويًا ، بياضات للسرير بكل الألوان ، وخمسة من بلاطى « المِنك » ، ومائةَ زوج من الأحذية ، بعضها محلى بكعوب ذهب . ولم تلبس أية سيدة أولى مثل هذه الكعوب ، حتى ظهرت « إيميلدا ماركوس » .

بعد أن ارتدت الملكة الجديدة ملابس الزفاف ركبت هى والأمير سيارة حمراء من طراز « رولز رويس » يتبعها عدد من السيارات الكاديلاك الحمراء يتقدمهم تيجان من الزمرد معلقة على السيارات وتسير السيارات وسط أقواس النصر ، والتى كان معلقًا عليها أول حرف من اسم الملك والملكة ح،ص ، وذلك حتى تلتقى بزوجها الجديد على درجات سلم قصر عابدين . وطبقًا للأداب الملكية وبدون قبلة واحدة ، اصطحب فاروق مليكته إلى أعلى السلم ، ومر عبر قاعة المرايات ، ثم إلى غرفة المُلك المزخرفة بالذهب ، حيث قامت زوجة النحاس باشا بتقديم زوجات الوزراء للملكة وقامت زوجة السفير البريطانى « جيفرسون كافرى » بتقديم زوجات أعضاء السلك الدبلوماسى .

وتلا حفل الشاى الذى أقيم فى حدائق قصر عابدين مأدبة كبيرة قام فيها فاروق بقطع أول جزء من كعكة العرس ، التى كان طولها سبعة أقدام ، وتتكون من سبعة أدوار ، بسيف وامض وقدمها إلى ناريمان على طبق من الذهب ، وقد وصلت برقيات التهنئة والهدايا من جميع أنحاء العالم . فقد أرسل الرئيس ترومان أربع فازات كريستال ، وأرسل ملك إنجلترا جورج سيارة كبيرة الحجم من الفضة ، وأرسل ستالين مكتبًا صغيرًا للكتابة صنع من أحجار نادرة لفاروق ، الذى لم يمسك قلمًا أبدًا ،.وبالطو فرو « سمورى » أسود كاملًا لناريمان ، التى تتمنى وجود الجو البارد الذى يناسب لبس هذا البالطو ومن سويسرا جاءت ساعة ذهبية ، ومن تشيكوسلوفاكيا طقم شاى صينيًا ، ومن هولندا كاسات كريستال . وقد أرسل « هيلا سلاسى » للعروسيْن فازة ذهبية مرصعة بالجواهر ، وأرسل الأمير عبد الله الأردنى ١٢ حاملة

للصابون من الذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة ، وأرسل ملك المغرب سيفًا مرصعًا بالجواهر للملك وعقدًا من اللؤلؤ إلى الملكة ، وأرسل الحاكم البريطانى العام للسودان جرسًا لغرفة الطعام موضوعًا على قاعدة من الأبنوس يسندها اثنان من أنياب الأفيال . أما رئيس جامعة الأزهر فقد أعطى فاروق « حبارة » أخرى ، ولكن هذه كانت من الذهب على طراز جامع الأزهر . فيما بعد تم تسييح جميع الهدايا التى كانت من الذهب سرًا إلى سبائك ، وهى فكرة عملية وتعود مثل هذه الأفكار ، إلى ثابت كريم .

وفى الشوارع تم إطلاق ١٠١ طلقة مدفعية للتحية ، وأقام الجيش استعراضًا كبيرًا ، وأطلقت الألعاب النارية ، وتم ذبح العجول السمينة طبقًا للتقاليد . وأذيع فى الراديو أغنية شعبية جديدة تقول « المجد لحكم الملك فاروق » وقامت القوات الجوية المصرية بالتحليق فوق الرءوس وكانت تلقى منشورات تهنئة للزوجين وكأنها عاصفة من الثلج . وفى المساء قامت المراكب والذهبيات والمراكب البخارية بإضاءة الأنوار على ظهرها وسارت فى مياه النيل . وعلى الشاطىء كان هناك جمع من حاملى المشاعل يرقصون فى الميادين . وأفضل جميع هذه الأشياء التى تضمنتها عطايا حفل فاروق ، كان إعطاء الفقراء كميات ضخمة من الطعام .

وحتى البريطانيون فى منطقة القناة قدموا احترامهم للملك عن طريق إقامة عرض خاص بكامل ملابسهم الرسمية . وفى اليوم التالى ، فى أول ظهور رسمى لها كملكة ، كانت ناريمان ترتدى ملابس سوداء ، وركبت سيارة كاديلاك حمراء عبر مدينة القاهرة العتيقة وهى فى طريقها إلى جامع الرفاعى لتقديم احتراماتها لرفات الملك فؤاد ، وفى حين كانت حاشيتها تقف خلفها تقدمت هى وحدها إلى القبر وانحنت . وكان ذلك رمزًا يتسم بالقوة . فقد أصبحت الآن عضوة فى الأسرة المالكة .

وقد تلا هذا الزفاف شهر عسل ملكى محى بصورة فورية ما كان قد تم تحقيقه بزواجه من واحدة من « عامة الشعب » . فقد رحل الملك على « اليخت » الخاص به لمدة ثلاثة أشهر إلى أوروبا وأمضاها فى نهم للأكل ، وفى المقامرة وكان ذلك مع دخول شهر رمضان المقدس .

والأكثر من ذلك ، أن هذه الرحلة الأوروبية الكبيرة التى كانت أفخم وأضخم من الحفلات التى كان يقيمها فاروق وهو أعزب فى الصيف الماضى ، وإن شهر العسل هذا جعل الملكة المراهقة التى جاءت من الطبقة البرجوازية فى القاهرة تبدو وكأنها تحولت إلى العصر الذرى على نمط يشابه أحد الأميرات اليهوديات وهى تقوم بشراء « مشروب » على شاطئ ميامى .

والصورة الثابتة للرحلة كانت أن فاروق ، ناريمان ، رجال الحاشية الذين يقولون دائمًا « نعم » والسيدات على السفينة نزلوا من على السفينة « فخر البحار » وهم يرتدون ملابس متشابهة مكونة من كابات البحرية البيضاء ، وسترات البحرية الزرقاء عليها « بادج » به زخرفة فرعونية مع تاج مصر ، بالإضافة إلى قمصان بيضاء ، ورابطات عنق حمراء . وكان الزى موحد للرجال والنساء فيما عدا أن الرجال كانوا يرتدون بنطلونات رمادية اللون والسيدات « جوبات » رمادية .

وهجوم الصحف الصفراء ، وغيرها ، كان مثيرًا لاضطراب ناريمان ذات السبعة العشر عامًا . وفى مذكراتها ، حاولت تبرير تصرفاتهم فى شهر العسل ، ولكن ذلك لم يؤد إلا إلى دفع قدمها الصغيرة بقوة وبعنف داخل فمها الملكى .

« إن أفراد الشعب الذين يكرهوننا لم يلتقوا بنا أبدًا ، ولا يعرفون شيئًا عنا وإنه من المؤكد أن الشيوعيين الذين لا يريدون الحب ولكن السلطة ، قد بدأوا بالفعل فى الهمس فى أزقة مصر أن الملك والملكة يقومان بإنفاق النقود التى كان من الممكن أن تُستخدم فى شراء الخبز للفقراء على تمضية شهر العسل » .

إن شهر العسل الذى أمضياه تكلف ثلاثمائة ألف دولار ، وهذا يعنى نصف قرش « تعريفة » لكل فرد فى مصر . وهذا ، فى الواقع ما دفعه الشعب بالضبط للعائلة المالكة فى مصر : تعريفة لكل شخص من الشعب وهو ثمن سيجارة واحدة - سنويًا وبالرغم من ذلك فإنه كان سببًا كافيًا لبدء حرب الكراهية والسباب .

وإذا كانت حيقية أن الرئيس الأمريكى يحصل على راتب أقل من ثلث ما يحصل عليه ملك مصر والتى جعلت العالم يقطب حاجبيه ، فإن الطريقة التى أنفق بها فاروق هذا الراتب . بل وأكثر منه - خلال شهر العسل جعلت ألسنة العالم تتدلى . وعلى مدى الأسابيع الثلاثة عشر التى استغرقتها رحلة شهر العسل استمر الصحفيون فى التلصص على الحفلات الملكية التى كانت تضم الستين شخصًا الذين تنقلوا بالسيارات الكاديلاك واليخت من « سيسللى » إلى « كابرى » إلى « كان » إلى « باريس » إلى « جنيف » وإلى ميلان وذلك طوال الرحلة وكان إهتمام الصحف ضئيلًا بالجوانب الإنسانية من الرحلة ، مثل زيارة فاروق وناريمان إلى المعبد الكاثوليكى الرومانى خارج « رابالو » والذى تسلقا إليه وهما ممسكين ببعض الجبال .

أما الشىء الذى يزيد من توزيع الصحف فهو خسارة فاروق لمبلغ ١٥٠ ألف دولار فى سباق « بكارا » خلال سبع ساعات مع « داريل ف زانوك » فى كازينو بالم بيتش فى كان ، وهى أكبر خسارة سُجلت هناك . أو الدوامة التى دخلت فيها ناريمان خلال وجودها فى باريس وقيامها باللف فى أشهر بيوت مصممى الأزياء ، حيث أعطت أوامر بتجهيز دستة من كل نوع ، وكانت جميعها مناسبة لفترة الحمل . بل وقامت ناريمان باستئجار مصممة الأزياء الهوليودية والبولندية المولد ، ماروزيا ، والتى كانت تقضى الصيف على الريفيرا ، وذلك لملء حجرة ملابسها . « ماروزيا » أخبرت الصحف أن هيئة ناريمان كانت متطابقة مع إحدى عميلاتها المشهورات والبارزات وهى « دان راسيل » فيما عدا أن وسط ناريمان كان أصغر بوصة واحدة . وإلى جانب اهتمامها باختيار ملابسها قامت ناريمان بشراء مائتى ثوب من ثياب الأطفال من باريس وكانت ألوانها قرنفلى ، أبيض وأزرق . ومن الأخبار الأخرى التى تهتم بها الصحف قيام فاروق وناريمان بنزهة إلى « تورين » لتجربة القطار الخاص الذى انتجته شركة فيات لفاروق وتكلف اثنين مليون دولار وسرعته ٨٠ ميلًا فى الساعة ، وقد تم نقله عن طريق البحر إلى مصر . وكان لون غرفة المحركات والحافلتين خلفها أخضر نيليًا محلى بالفضة . ومزودة بتليفزيون ومكيف هواء ، وكان منجدًا بجلد

التمساح ، وبه أربعة عشر تليفونا ، وجناح ملكى به سريران ، وحمامان « ونشان » .

هناك أيضًا ما يُنشَر عن قائمة طعام الغداء لفاروق وبها سمك موسى ، لحم بقرى ، صدور فراخ ، بالكريمة طبعًا ، جمبرى بلطيكى ، بطاطس مهروسة ، أرز خرشوف ، بسلة ، خوخ ، رمان ، ومانجو من مصر وعصير برتقال ممزوج بالمياه الغازية . وبسبب اهتمام الزوجين الملكيين بالالتزام بنظام غذائى معين ، وبسبب شعور ناريمان بضرورة المحافظة على حجم جسدها ، كانا لا يتناولان الخبز .

وعلى الرغم من التهديد بالموت الذى أعلنه الإخوان المسلمون ضد كل من يتسم بالإسراف الشديد والفظيع ، فإن فاروق احتفظ بروح الدعابة التى كان يتسم بها ، فيما عدا أثناء عدد من الأحداث منها قيام أحد المصورين المتطفلين ، بتصوير ناريمان وهى بملابس السباحة ، والتى كان يمكن أن يُنظر لها على أنها تدنيس للمقدسات من قِبل المسلمين المحافظين فى الوطن . وفقد فاروق صبره مرة أخرى بسبب صورة له وجانبه زجاجة شمبانيا وزجاجة مياه معدنية . وهذا كان يمكن ، وحدث فعلًا ، أن أسيء تفسيره وتم استغلاله من قِبل « الصحف الصهيونية » وما كانت ناريمان تخشاه أيضًا أن يتم وضع لحم خنزير وزجاجات نبيذ على المائدة الملكية لالتقاط صورة فى إمكانها هز العالم .

وبالرغم من أن فاروق رفض تغيير أسلوبه فى الإنفاق ، إلا أنه صحح طرقًا فى ناحية من أكثر الأشياء أهمية . فخلال رحلته التى استمرت ثلاثة أشهر لم يراه أحد مرة واحدة مع أية امرأة غير زوجته . وتجنب ارتياد الملاهى الليلة . وفى كل صباح من أيام شهر العسل كان يوقظ ناريمان على هدية مختلفة ، عقد من اللؤلؤ ، خاتم من الياقوت ، شوكلاته بلجيكى ، سَحلب من النوع الذى تفضله ، وعندما بدأت الملكة ناريمان تشعر بدوار فى الصباح ، هجر فاروق اليخت وقام بحجز سفينة نقل ركاب كاملة ، الملك فؤاد ، لتوفير أفضل رحلة عودة ممكنة لعروسه فى طريقها إلى مصر .

وثانيًا وجد فاروق نفسه عائدًا للوطن إلى الأمواج المتلاطمة والساخنة . وقد وجد « أغاخان » ، الذى رأى فاروق قبل الرحيل عن أوروبا ، الملك يشعر بالكآبة بسبب تحالفه غير الطبيعى مع النحاس والوفد واللذين اتُهما فى النهاية بالفساد . فعل فاروق ذلك للحفاظ على مصر من الانفجار ، ولكنه كان يعلم أنه فقط يخبىء أعراض المرض الذى لا يمكن أن يُشفى . إن حزن وشعور فاروق بالتشاؤم والذى لاحظه « أغاخان » يُفسر من جهة عدم شعور فاروق بالخجل من انغماسه الذاتى فى أهوائه ورغباته .

وكما كتب أغاغان : لقد أحاط نفسه بحالة من الكآبة الجبرية ، جو يمكن أن يقول خلاله أنا لا أستطيع أن أفعل ما أتمنى – حسنًا دعهم يفعلون ما يريدونه وهذا كان سيؤدى على المدى البعيد إلى هزيمته وسقوطه . لقد حاول بطريقته مساعدة شعبه وتحسين قدرهم ، والآن هو يشعر أنه فشل » .

وفى بداية عام ١٩٥١ . قدم الوفد للعالم العربى أول خطة للأمن الاجتماعى ، وذلك بتخصيص ٢٠ مليون دولار سنويًا لصالح الفقراء والفلاحين المسنين . ولكن بعد مرور ستة أشهر قام وزير الشئون الاجتماعية ، والمسئول عن إدارة الخطة ، بالتخلى عن المشروع والاستقالة من منصبه بسبب استحالة تحقيق هدف المشروع . وقد أعلن النحاس وقتها عن خطة خمسية طموحة لتحسين الطرق ، ومياه الشرب ، والقضاء على الأمية وأشياء أخرى ، ولكن أغلب الأعمال الأساسية التى وعد الشعب بها لم تتم أبدًا ، وعديد من الحصص المالية المخصصة لهذه الأعمال لم تصل إلى خزينة الشعب ولكن فى الحسابات الخاصة لقادة الوفد .

وكان معدل أجرة الفلاح يجعل مورد رزقه فى أقل مستوى عالميًا وكان يصل إلى ١٠ سنتات يوميًا . وعندما تفجرت حرب القطن الكورية وزاد تدفقه ، قام قادة الوفد بالحفاظ على ارتفاع سعر القطن بصورة زائفة حتى يتمكنوا من بيع مخزونهم الخاص من القطن أولًا . كما أنهم منعوا عملية التحويل الزراعى بمعنى استخدام الأراضى التى تزرع قطنًا لزراعة القمح ، والذى كان يمكن عن طريقه تخفيض سعر

الأطعمة ومساعدة جموع الشعب .

إن زوجة النحاس ، التى كان ينظر لها كل مصرى على أنها العقل الشيطانى وراء بلاغة زوجها ، امتلكت سنة ١٩٥١ فقط ما يقرب من ألف « أكر » جديدة من أجود الأراضى الزراعية فى الدلتا . وهذا يشير إلى أن الوفد كان يدير نظامًا يقوم على السلب والنهب . وكان فاروق يعلم جيدًا كيف أصبحت بلاده مليئة بالفساد بسبب ما يقوم به الوفد . ولم يكن غافلًا عن الصفقات الشخصية الغادرة التى كان يقوم بها الوفد لحسابه الخاص . كما علق ضاحكًا فى إحدى المرات مع السفير « جيفرسون كافرى » : « لا تظن أننى لا أعلم شيئًا عن مجريات الأمور ولا تنس أن مؤسس عائلتى كان تاجر دخان » .

وفى مواجهة انتشار هذا الفساد ، كان الشيء الوحيد الذى يمكن أن يفعله فاروق هو عزل النحاس من منصبه كرئيس للوزراء ، وهو عمل أثار من قبل مشاكل عديدة بين فاروق والبريطانيين وذلك عندما عزله وهو « الملك » فى أوج قوته عندما كان لا يزال شابًا صغيرًا سنة ١٩٣٨ . وقبل أن يتمكن فاروق من التصرف ، قام النحاس باستخدام النفوذ البريطانى ثانيًا للإبقاء على منصبه ، هذه المرة بالانقلاب عليهم وجعلهم كبش الفداء لجميع المشاكل التى جلبها الوفد حقيقة إلى البلاد . وفى بداية أكتوبر سنة ١٩٥١ قام النحاس بصورة منفردة بتوجيه ضربة ماهرة كخطيب بارع يستغل الاستياء الاجتماعى لاكتساب نفوذ سياسى وتمثلت فى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ الإنجليزية ، المصرية ، وهى المعاهدة التى رأس النحاس باشا خلال التفاوض عليها الوفد المصرى الذى ذهب إلى لندن ، المعاهدة التى فرضها النحاس بالقوة على البرلمان المصرى ، المعاهدة التى أطلق عليها النحاس « معاهدة الشرف والاستقلال » بالرغم من أنها تركت الباب فى مصر مفتوحًا على مصراعيه أمام الاحتلال البريطانى الطارىء وجعلت من النحاس معشوقًا لمجلس المحافظين . والنحاس كان يعرف مدى ضعف ذاكرة المصريين وكل ما قاله للبرلمان كان « من أجل مصر وقعت اتفاقية ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم بإلغائها » . وصاح المشرعون بالموافقة وقاموا بتحية

النحاس بصورة حماسية وهم واقفون وفى محاولة لاسترضاء القصر قام النحاس بإلغاء جميع الاتفاقيات المصرية الانجليزية الخاصة بالحكم المشترك للسودان وأعلن أن الملك فاروق ملك مصر وعاهل « النوبة » ، « السودان » كردفان دارفور . ووصف النحاس بريطانيا العظمى بأنها « عدوة ومغتصبة » ووعد مصر بأن هذا ليس فقط نهاية للسيطرة الأجنبية ولكن أيضًا يجب جلب المغتصبين وحسابهم حسابًا قاسيًا .

وقبل أن يتمكن البريطانيون من التصرف ، كانت غارات الفدائيين المصريين على منطقة القنال قد بدأت ، وتم منع إرسال أغذية طازجة لهذه المنطقة ، وتم استدعاء جميع العاملين المصريين الذين كانوا يعملون مع الإنجليز فى منطقة القناة وخرج الإخوان المسلمون من الشرنقة التى وضعوا أنفسهم فيها منذ وفاة « حسن البنا » . وإلى جانب التخريب والغارات الليلة ، نادى المتطرفون الوطنيون المصريين بالمقاطعة الكلية لإنجلترا وللإنجليز فى مصر .

وكان النحاس قد تَشجع بالانقلاب الأخير فى إيران للقائد الشعبى « د . محمد مصدق » الذى قام بتأميم شركات البترول الإيرانية الإنجليزية ، والتى كانت تعنى الكثير للفرس فهى بمثابة أهمية قناة السويس لمصر . فإذا كان الإيرانيون قد استطاعوا طرد البريطانيين ، فلماذا لا يقوم المصريون بذلك ؟ وعندما قامت جموع الشعب بالسير فى الشوارع هاتفين « يسقط البريطانيون يحيا النحاس » شعر فاروق بأن التاريخ يعيد نفسه . ومع كل هذا الخنوع والتذلل ، عاد النحاس ثانية بقبضة أكثر قوة من ذى قبل . فلقد استطاع رئيس الوزراء السيطرة على الكرة من الثوار الوطنيين وكان يتجه بها إلى ملعب مفتوح إلى نهايته ، ونهايته كانت بالمصادفة منطقة قناة السويس .

وقد وضع هجوم النحاس الملك فاروق فى موقف سيكون من الشاذ معه أن يأخذ موقفًا مواليًا للبريطانيين وكما يقال « عدو عدوى هو صديقى » ، وهذه المقولة المأثورة ضاعفت من سلبية الحياة السياسية المصرية مما سبب الكثير من هذه المشاكل حيث ربط الدولة بالتازية .

وإذا كان فاروق يرى أن هناك من هو أسوأ من النحاس ، فقد كان الإنجليز ، الذين كان النحاس دمية فى يدهم من قبل . وقد حاول حزب العمل البريطانى فعل كل شيء ممكن للإصلاح بين فاروق وتصرفات النحاس المغرورة ، من أول إعطائه طائرة حديثة حتى إعطائه رتبة « جنرال » الشرفية لإقناعه بضرورة استمرار النفوذ الإمبريالى .

وإذا كان لفاروق أن يكره شيئًا أكثر من النحاس والبريطانيين فلتكن الشيوعية ، عدوة القياصرة وعدوة الملوك . وبالرغم من أنه لم يكن هناك حزب شيوعى فعال ونشط فى مصر ، إلا أنه كانت هناك صحافة شيوعية سرية وفعالة ، وإذا كانت هناك دولة على وجه الأرض تبدو مناسبة لتطبيق الشيوعية وقتها ، لكانت مصر هى هذه الدولة . وكان فاروق يعلم ذلك .

وكان فاروق يخشى أيضًا من مكونات « لينين » الثلاثة والضرورية للثورة . واحدة من هذه المكونات هى عدم الرضاء « الاستياء » الشعبى ، وهذا ما كان متوافرًا لمصر . المُكون الثانى كان تدهور السلطة الحكومية وهذا كان قد بدء فى الظهور فى مصر . المكون الثالث فقط هو الذى كان ينقص مصر ، وهو قائد لهذه الثورة .

بعد وفاة « حسن البنا » ، لم يكن هناك قائد محدد للطبقة العامة . وظل فاروق أكثر الرجال تمتعًا بشخصية القائد الساحر الذى يدفع الجماهير إلى تقديسه فى مصر . وبرغم ذلك ، إذا كانت المعارضة المضادة للبريطانيين التى كان النحاس يثيرها نجحت وتخلص الساسة من التواجد البريطانى فى مصر ، لكانت جموع الشعب وقتها قد عرفت أن مشكلتهم الحقيقية ليست فى التواجد البريطانى أبدًا ولكن فى سوء توزيع الثروات ، وعندئذ كان النحاس سيرحل عن منصبه . ولكان الوفد ، الذى لم يعد حزب الشعب بل حزب الباشاوات ، قد رحل . ولكان فاروق قد رحل .

ومع أن ناريمان كانت حاملًا فى الطفل الذى كانت الأسرة المالكة تدعو أن يكون ولدًا يستطيع أن يرث العرش ، كتب السفير « كافرى » رسالة إلى واشنطن

جاء فيها : « إن مولد ذكر ووريث للعرش يمكن فقط أن يؤجل اليوم الذى لا يمكن تجنبه حيث سنعلم أننا نستطيع العيش جيدًا بدون ملك » .

وحيث إن الأمريكيين كان لديهم فكرة أساسية عن نزوات وحماقات الملوك ، فإن فاروق كان ينظر للبريطانيين على أنهم رفقاء سفر فى طريقهم لأن يُصبحوا من المفارقات التاريخية . وكان الملك يريد أن يؤخر يوم الحساب لأطول فترة ممكنة ، وأظن أن البريطانيين أيضًا كانوا يريدون ذلك ، من أجل الحفاظ على الصورة التقليدية . وقد قرر فاروق ، بعد إعطائه هذا البيت الملىء بالشرور ، أن البريطانيين هم الأقل خطرًا وضررًا بالنسبة له .

ومع طرح الرغبة فى استعادة الوضع القديم جانبًا ، نجد أن البريطانيين كانوا قد حذروا فاروق من وجود خطر شيوعى وشيك يتهدده ، ففى العام الماضى جاء فيلد مارشال « وليم سليم » ، قائد القوات الإنجليزية فى مصر ، إلى مصر حاملًا رسالة تحذره من الخطر الذى ينتظره . وقد أخبر القادة المصريين أن البريطانيين يعتقدون أن الحرب أصبحت وشيكة الآن عما كانت عليه ١٩٣٦ ، وأن الروس يقومون بالتخطيط لغزو مصر عن طريق الجو وعن طريق البر عبر إيران وتركيا للاستيلاء على قناة السويس ، ليس لأنها فقط ممر إلى الشرق ولكن أيضًا لأفريقيا ، التى ترى روسيا أنها مجال مناسب لنشر الشيوعية . وقد قام « سليم » بتذكير المصريين بأنهم إذا كانوا لم يستطيعوا هزيمة إسرائيل ، فإنهم سيكونون عاجزين كلية من الناحية الدفاعية فى مواجهة روسيا . إلا إذا وقفت بريطانيا خلفهم بالتأكيد ، وقد حذرهم « سليم » من أنه إذا رحلت بريطانيا عن منطقة القناة فإن الحرب الباردة ستتحول بصورة سريعة إلى حرب ساخنة .

وفى مواجهة هذه التنبؤات الرهيبة ، قام فاروق بإعطاء البريطانيين ما وصفه سفيرهم بـ « اللحظة الرهيبة » وذلك عندما سأله فاروق سؤالًا وهو « بما أنه حصل على لقب جنرال فى الجيش البريطانى فهل يمكن أن يستفيدوا من قيادته التى لا تقدر بثمن لأحد الفيالق البريطانية أو الجيش إذا اندلعت الحرب مع روسيا » . وتلا ذلك

السؤال صمت طويل ومميت ، لم يقطعه إلا ضحكات فاروق وهو يقول « لقد تمكنت منك » ، كما يفعل دائمًا كلما نجح فى الإيقاع بشخص فى أحد خدعه القاتلة والمعروفة .

وفى الوقت الذى وصف فيه النحاس تحذيرات فيلد مارشال « سليم » على أنها تكتيك لخدمة المصالح الذاتية للبريطانيين ، أخذ فاروق هذه التحذيرات على محمل الجد . وكان مقتنعًا بأنه لديه فرصة أفضل للحفاظ على عرشه بالتحالف مع أمثال « سليم » عن التحالف مع أمثال النحاس ، وقد استهل فاروق موقفه الموالى للبريطانيين بتعيين اثنين من السفراء المصريين السابقين لدى بريطانيا فى وظيفتين هامتين بالقصر وقد كان معروفًا عنهما حبهما لانجلترا . السفير الأول كان « حافظ عفيفى » وتم تعيينه رئيسًا للديوان الملكى . الثانى ، والذى أصبح مستشارًا لفاروق للشئون الخارجية ، كان عبد الفتاح عمرو ، المليونير الحاصل على بطولة العالم فى الاسكواش . وعبر باب الخروج خرج الرجل الذى جَمَّع زواج الملك المشئوم إلى الوفد وهو المستشار الصحفى الملكى « كريم ثابت » .

وقد كتب السفير « كافرى » : لا يوجد رجل فى مصر كرهه الجميع بدون استثناء ولا يطيقه الجميع مثل « كريم ثابت » . وكان هناك قليلون يشعرون بالأسى لفقدانه سلطته . بل كان الجميع ، الساسة والشعب والبريطانيون سعداء برحيله . ثابت نفسه ألقى اللوم لإيقافه عن العمل على أقرباء الملكة ناريمان العديدين والطموحين ، والذين شنوا حملة إشاعات ضد ثابت عند الملك فاروق لإخراج « ثابت » من القصر حتى يتمكنوا من أخذ مكانه .

وفى الوقت الذى كان فيه الملك فاروق فى أوروبا خلال شهر العسل ، تلقى السفير « كافرى » تهديدًا وجيزًا بأن الملك قد لا يعود ثانية إلى مصر ، خاصة على ضوء تقديرات السفارة بأن ممتلكات وأسهم « فاروق » فى الخارج كانت تقارب ٧٥مليون دولار .

وقد كتب « كافرى » : « كان هناك الكثيرون الذين يشعرون أنه سيتم تقديم نصيحة للملك بالعودة فى موعد مبكر إذا كان يتوقع أن يجد الكثير باقيًا » .

وكان « كافرى » يخشى من أنه إذا قرر « فاروق » أن يتخلى عن العرش ويحتفظ بأمواله الأوروبية « المضمونة » ، والتخلى عن الثروة المصرية « المشكوك فيها » وأى شخص سيكون فى وضع متشكك .

وعلى أى حال ، كان هناك حقيقة مشجعة . وهى أن جميع المصادر اتفقت على أن الملك ما زال يفضل أن يكون ملكًا .

وقد أحب هذا المقام أكثر فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، عندما تم إطلاق ١٠١ طلقة مدفعية فى الساعة السادسة والثلث صباحًا ، ليعلن بذلك مولد أول طفل لفاروق ، قبل موعده بشهر ، الأمير أحمد فؤاد . وكان ملك المستقبل يزن سبعة أرطال وربع رطل تقريبًا وقد قام بالتبول فى وجه طبيب الأطفال ، د . مجدى ، الذى كرمه فاروق بلقب الباشوية بعد مولد ولى العهد مباشرة . وقد علق الباشا الدكتور مجدى قائلا بثقة ويمد يده ليأخذ منشفة ليمسح بول « ولى العهد » لقد نلت شرفين فى نفس اللحظة ! . لقد ذرف فاروق دموع الفرح على خديه ، وأخذ يد ناريمان وقبلها . وقال لها : « حسنًا فعلتى ، يا « نانى » : ، وهو اسم الدلع الخاص بها والذى يناديها به . وعبر المدينة فى قصر المنيل ، حيث كان يعيش الأمير محمد على ، وريث العهد المفترض سابقًا ، والذى كان يبلغ من العمر ٧٥ عامًا ولكنه كان يحتفظ بحيويته وشبابه عن طريق تدليك جلده بالليمون ، وقد سمع الطلقات ال١٠١ ، ويبكى أيضًا ، ولكن على نفسه فقد علم بصفة مؤكدة أنه لن يتمكن من أن يكون ملكًا لمصر أبدًا .

وأحلام المُلك كانت تداعب أيضًا رقم ثلاثة فى الخلافة ، وهو ابن عم فاروق الأمير « عبد المنعم » الذى يبلغ من العمر ٥٢ عامًا ، وكان هذا الأمير يمتلك أكبر مجموعة من أسماك الزينة الصغيرة من المنطقة الاستوائية وقد كان هاويًا لعلم الأسماك . وها هو يستطيع الآن أن يعطى ويكرس كل وقته لأحواض أسماكه .

وقد كرس فاروق كل وقته لابنه الجديد . حتى أنه كان ينام على فراش موضوعة

إلى جانب سرير ناريمان حتى يكون قريبا من فؤاد . وبالرغم من كل هذا الاهتمام فقد وعد ناريمان بألا يدللا إبنهما حتى لا يفسد . وألقى عليها قطعة شعر يفضلها كتبها « كبلنج - » كان قد تعلمها فى إنجلترا وحفظها عن ظهر قلب :

« إذا استطعت أن تتحدث مع الجماهير وتحافظ على فضيلتك أو مشيت مع الملوك ولم تفقد اللمسة المشتركة فى جميع الرجال يعدون معك ، ولكن ليس كثيرًا . فلك الكون كل شىء موجود بداخله والشىء الأكثر من ذلك . . أنك ستكون رجلًا ، يا بنى ! »

وأسعد لحظات فاروق لم تستغرق إلا تسعة أيام ككل . فمع استمرار حظر وصول الأغذية للقوات البريطانية على القنال ، قام الفدائيون الوطنيون بشىء هجوم واسع المدى على مستودع ذخيرة ومعدات عسكرية بريطانى تم خلاله اكتشاف أن ضباط الاحتياط المصريين يقومون سرًا بمساعدة قوات الكوماندوز غير الرسمية وفقد الضابط البريطانى الذى يتولى قيادة منطقة القناة صبره . وأصدر أوامره ، فى ٢٥ يناير ، لقوة كبيرة من الدبابات البريطانية بمحاصرة مراكز قيادة البوليس المصرى فى السويس ، قرب القنال ، وأعطى المتواجدين فيها مهلة ساعة لتسليم جميع أسلحتهم . وقام القائد المصرى بالاتصال تليفونيا بفؤاد سراج الدين ، وكان اليد اليمنى للنحاس والوزير الوفدى للداخلية ، وكان جالسًا وقتها فى « البانيو » يقوم بتدخين واحدة من سيجار هافانا الذى كان دائما فى فمه ، ومع تخوفه من نقص الأسلحة فى هذا الموقع العسكرى والنتائج السخيفة لذلك . شعر أقوى رجال الوفد الذى يزن ٢٤٠ رطلًا والذى كان يحب قضاء أمسياته فى الملاهى الليلية بالقاهرة مثل « سكارابيه » مع مدام النحاس (حيث إن زوجها كان مريضًا جدًا لا يستطيع الخروج) أن هناك حملة قوية من الأستشهاد فى الطريق . وقد أمر رجال البوليس بالقتال إلى أخر رجل وإلى آخر رصاصة ، وإلا سيتم محاكمته أمام محكمة عسكرية . ثم عاد بعد ذلك إلى حمامه وسيجاره .

وعندما انتهى كل شىء ، كان قد قتل ثلاثة وأربعون من رجال البوليس

المصرى ، وثلاثة جنود إنجليز ، وجرح مائة آخرون . و تم تسوية مركز البوليس بالأرض . وكان المصريون قد استسلموا ، ولكن أصبح للدولة الآن قضية ، وهى الجهاد ضد البريطانيين . وفى اليوم التالى ، ٢٦ يناير ، قام المصريون بالهجوم العسكرى ثانيًا على الإنجليز . وكان اليوم هو يوم « السبت الأسود » ولم يردد جموع الشعب أشعار « كبلنج » . بل هتفوا بدلًا من ذلك قائلين « ناريمان » ، ناريمان ليه ابنك له أسنان ؟ » وبالنسبة للجماهير الثائرة والحانقة كان مولد الأمير فؤاد خدعة كبيرة مثل كل شىء أخر يقوم به القصر .

والأمير ، الذى كان المتمردون يَسُبونه ، قام فارق بإقامة مهرجان لتقديمه للناس وهو حفل غداء فى « عابدين » ضم ٦٠٠ ضابط من الجيش المصرى وطبقًا للمصادر الداخلية لكريم ثابت ، فإن فاروق لم يعلم أبدًا بتدمير المدينة حتى رأى الدخان الكثيف من نوافذ حجرة الرقص فى القصر .

وأصر أقارب ناريمان ، الذين حضروا إلى القصر للسيطرة على العاملين فيه ، على عزل وإبعاد فاروق عن أى شىء غير سار . وإذا تم إعلام الملك فاروق ببدء أحداث العنف قبل ذلك بساعتين ، لكان استطاع إنقاذ شبرد ، أو دار الأوبرا ، أو شيكوريل ، أو نادى الفروسية ، أو الستة والعشرين أجنبى الذين ضربوا أو حرقوا حتى الموت ، وفى اللحظة التى رأى فيها فاروق النيران ، عرف أن حرب بقائه قد بدأت .

انتهت القصة الجميلة التى كانت تشكل حياته ، وتشكل مصر الإمبريالية بصدمة عنيفة هزته بشدة . وأصبح فاروق وجهًا لوجه مع الحقائق القبيحة التى لن يستطيع أحد رجال الحاشية إبعاده عنها ثانية .

وإذا كان الملك لا يزال يحب كونه ملكًا ، فعليه الآن أن يثبت عرشه ويحارب من أجله .

الفصل التاسع

العروس الطفلة

الفصل التاسع

العروس الطفلة

كان الملك فاروق مؤمنًا بالخرافات جدًا ، وكان ذلك من تأثير والده الذى كان متعلقًا بحرف « الفاء » ، ومن تأثير نشأته مع الحريم مع أم كانت تحتفظ بعرافة فى البهو الرخامى ، وكانت تعتقد تمامًا فى القدرة على معرفة المستقبل من الكرات الكريستالية وأوراق الشاى والكوتشينة وأحشاء الحمام . **وفى بداية زواج فاروق من فريدة ، كانت الملكة الصغيرة تستيقظ فتجد فى فراشها الملكى عظامًا ملوثة بالدماء ، وأجزاء من الشعر كان الملك يضعها هناك كتعويذة لتأتى إليه بالولد والوريث لعرشه . ولكى يجلب الملك لبناته الحظ الذى حُرِمْنَ منه لأنهن لم يولدن ذكورًا ، كان يفرك البخور على رءوسهن ويجعلهن يقفزن فوقه مرات محددة .**

ومن منطلق ذلك الماضى عندما قام عراف فاروق بإخباره فى خريف ١٩٤٩ « أنك ستقابل امرأة شقراء شابة فى محل مجوهرات وهى المرأة التى ستأتى لك بالولد » ، كان عند ملك مصر كل الحق فى الاعتقاد فى النبوءة التى يريدها أن تتحقق دون كل النبوءات الأخر . والذى لم يكن يعرفه فاروق هو أن النبوءة لم تأت من النجوم أو السحر أو أحشاء الحمام ولكن من جيب بائع المجوهرات الخاص بالعائلة المالكة الذى قام برشوة العراف ليمهد بكلمات السحر لابنة المرأة التى كان الجواهرجى على يتعامل معها والتى تبلغ من العمر ١٦ عامًا .

كان عام ١٩٤٩ هو عام الشعور بالوحدة الشديدة بالنسبة للملك فاروق . فقد منع الموقف المتوتر عقب الحرب مع إسرائيل الملك من القيام بعمل الرحلة الطويلة التى كان يرغب فيها خارج البلاد . فكان يقتل الوقت بقضاء أمسياته مع ليليان كوهين فى الأوبرج بالهرم ، أو بمشاهدة الرقصة الأسبوعية لسامية جمال بقصر الحلمية أو

بمطاردة المغنية الفرنسية الجديدة الفاتنة أنى برير التى تبلغ من العمر عشرين عامًا وتعزف على البيانو فى بار من أكثر ملاهى القاهرة أناقة وهو سكارابيه . وكان يبدو أن برير كانت تغنى نفس الأغنية فى حجرة النوم بصوتها العميق الحلقى « إننى أُحس إننى على ما يرام . . على ما يرام . . على ما يرام » وكانت تدندن وهى تنظر بعينيها عبر الغرفة المليئة بالدخان إلى الملك الذى كان يشرب نخبها بعدد من أكواب البرتقال التى لا تنتهى والتى كانت تضيف المزيد والمزيد من البوصات لعربته الملكية .

لم تستطيع فتيات البارات والراقصات والمغنيات المملات أن يجعلن الملك سعيدًا فقد كان فاروق ، بالرغم من كل حياته العابثة ، رجلًا تقليديًا . فكان كل ما يجده فيهن أنهن خليلات . وكان هو يريد زوجة لدرجة أن السفير الجديد لهارى ترومان ، جيفرسون كافرى . . وهو رجل راق وصل لتوه إلى القاهرة بعد أن خدم كسفير فى فرنسا – قد أبلغ وزير الخارجية الأمريكى « دين أتشيون » أن فاروق حاول أن يقوم بعمل صلح مع فريدة ، ولكنها قامت برده ، ورفضت حتى أن تبدأ الحوار مع فاروق – إلى أن يتخلص من بولى وثابت وجالهان وأندراوس – وبدأ فاروق – مفضلًا الوحدة على الخيانة – فى البحث بشكل جاد عن امرأة أخرى .

وقد لاحظ كافرى أن الملك قد بدأ بالفعل فى نشر مجموعة من المتطلبات فى الملكة الجديدة المنتظرة :

١ – أن تكون الابنة الوحيدة لوالديها اللذين يجب أن يكونا قد طعنا فى السن لكى لا ينجبان طفلًا آخر .

٢ – ولا يجب أن يجرى فى عروقها أى دم سورى أو لبنانى ، أو تركى أو دماء أجنبية أخرى .

٣ – ويجب أن تكون من الطبقة المتوسطة العليا ولكن ليست من طبقة الباشوات .

٤ – يجب أن تبلغ من العمر ١٦ عامًا على الأقل ، وأن تكون قادرة من الناحية الجسمانية أن تحمل له طفلًا .

وكان أصل هذه المتطلبات هو كريم ثابت الصديق الملكى الذى وصفه كافرى بأنه متطفل ، وكانت وصفة ثابت التى تتطلب فتاة من العامة من الشعب ، عبارة عن محاولة جريئة لإخراج الملك من طبقته وخلق شاشة دخانية من الديمقراطية ، وهى الدواء للخيالات التى تأتى لأى فتاة مصرية بأن تصبح ملكة . وتلا ذلك كله مسابقات لإيجاد سيندريلا النيل .

ولم يكن هناك عمل قام به فاروق أكثر إهانة للطبقة العليا المصرية من منح بائع المجوهرات الخاص به أحمد نجيب لقب الباشا . وكان نجيب – الذى لا يمت بصلة لمحمد نجيب – الرجل الذى كان يشترى منه فاروق كل الحلى الرخيصة التى كانت معظمها صناعية ولكن فى بعض الأحيان كانت حقيقية . وكان نجيب باشا داهية حقًا ، فكان يجرى اتفاقية سرية مع كريم ثابت ، ويقوم ببيع نفس صندوق الجواهر المرصع بالجواهر الثمينة ، المئات من المرات على أنه إناء الشيكولاتة التى تقدم للملك . وبمجرد أن يأكل فاروق الشيكولاتة يأتى الصندوق المرصع بالجواهر مرة أخرى من القصر ، ويقوم نجيب ببيعه مرة أخرى إلى متبرع لا ينتابه الشك يبحث عن الوعاء المثالى ليتملق الملك ويكسب رضاه .

وقد مكنت علاقة نجيب باشا بأصيلة صادق من أن يكتشف المرشحة المثالية تمامًا للزواج من فاروق . **وكانت ناريمان صادق فى السادسة عشرة من عمرها وابنة وحيدة ، من عائلة برجوازية ، دماؤها مصرية تمامًا مسلمة وعذراء ومن الواضح أنها تمتلك الخصوبة . وكانت هناك خصلة شقراء ظاهرة جدًا فى شعرها البنى ، وكانت بشرتها بيضاء صافية ، وشفتاها حمراوان فاتنتان** . وبمجرد أن تفقد سمنة الطفولة التى جعلتها تبدو كفتاة المدرسة الحمقاء ، يمكن أن تُرى على أنها جميلة ، خاصة بالنسبة للمصرين الذين يفضلون بياض البشرة والجمال على كل الخصال الأخرى فى مسألة الجمال . وكانت ناريمان تبدو كاملة . وكان هناك ، على الرغم من ذلك ، مسألة صغيرة ، فقد كانت ناريمان مخطوبة رسميًا إلى زكى هاشم المرشح للحصول على درجة دكتوراة من جامعة هارفرد والاقتصادى الذى يعمل

لدى الأمم المتحدة والذى اشترى خاتم خطبة ناريمان من نجيب باشا . وكان هاشم البالغ من العمر سبعة وعشرين عامًا ، الأنيق ، الشبيه بالبومة ، من نوع الخطاب الذين يعتبرون من دواعى الفخر والسرور لأية أسرة مصرية . إلا أن هاشم لم يكن الملك فاروق ، ولم تكن عائلة صادق على نفس نمط العائلات المصرية تمامًا .

وقد وصف تقرير سرى من السفير البريطانى السير رونالد كامبل عائلة صادق بالمصطلح العربى « بلدى » ، التى تعنى من الأرياف ، وتشير إلى المركز الاجتماعى المنحدر . وكان والد ناريمان حسين فهمى صادق بيروقراطيًا على مستوى عال ، فقد كان السكرتير العام لوزارة المواصلات الذى – كما يقول كامبل – « لم يكن يتمتع بسمعة طيبة بخصوص نزاهته ، ويُقال أن تقدمه فى خدمة الحكومة يرجع جزئيًا إلى أن زوجته كانت على علاقة حميمة بإبراهيم دسوقى أباظة باشا الذى كان وزيرًا للمواصلات تحت رئاسة النقراشى باشا الراحل » . وقد لاحظ كامبل لاحقًا أن لكل من والد ناريمان ووالدتها ، اللذان كان يقطنان مصر الجديدة الضاحية القاهرية الراقية ، سمعة سيئة بخصوص ابتزاز الأموال .

ولم يكن نجيب باشا فوق العمل على جعل الفتاة الصغيرة تدفع مقابل خطايا والديها ، وخاصة إذا كانت هذه الخطايا قد ارتكبت ضده هو ، وقام نجيب بلعب دور الخاطبة تمامًا ، فرتب الرشوة لعراف فاروق ، وبعد ذلك رتب الأمور لناريمان « ليتصادف » مرورها على محله فى وسط القاهرة فى شارع الملكة فريدة (وكان ذلك أثناء العمل على تغيير اسم الشارع) عندما يكون مقررًا لفاروق أن يكون هناك .

وقد وصفت ناريمان ، التى قامت مع كاتب مجهول بعمل مسلسل من مذكراتها فى « جريدة المنزل للسيدات » بعد انقلاب الضباط الأحرار فى عام ١٩٥٢ ، وصفت أول مقابلة مع الملك فى « حجرة الخزينة » فى متجر نجيب من خلال الزجاج ذى اللون الوردى :

« وجدت نفسى أتحدث مع الملك كأنى أعرفه طوال حياتى . . فقد كانت له

طريقة خاصة فى الاستماع لما تقوله له ، كأنك تقول شيئًا حكيمًا أو ذكيًا . . وقد شجعنى الملك فاروق على التحدث وجعلنى أشعر أن كل شىء كنت أقوله كان بالنسبة له مفيدًا وذا معنى . . وقد أذهلنى منكبه وكذا ذراعاه ومعصماه القويان المغطيان بالشعر الأسود ، فقد كان قوى البنية ذا بناء عظمى ضخم مثل العديد من الرجال فى الشرق الأوسط ، وهو النوع الذى يُعد جذابًا بالنسبة لنا جميعًا .

ولم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير فى زكى هاشم ذكى الذى عند مقارنته بالملك بدا أنه مدرس بمدرسة تافهة وشارد الذهن . وربما ترغب كل امرأة - خاصة فى الشرق - فى زوج تشعر بجانبه أنها ضعيفة ، وتتعلم أن العالم الإسلامى ، يُعد أزواجنا أسيادنا ، وأنه من دواعى السرور أن يوضح كل مظهر جسمانى له أنه بدون نزاع السيد ، وليست كلماته فقط التى تذكرنا بواجباتنا .

وكانت ناريمان ، التى لا يمكن أن توصف بمناصرة المرأة ، تبلغ من الطول خمسة أقدام بالكاد ، وكانت تنجذب إلى الأشياء المتضادة ، ويبدو أن أكبر مشكلة كانت تواجهها ناريمان مع الرجل الذى وعدها أبوها به أنه لم يكن كبير الحجم بما فيه الكفاية . فكانت دائمًا تشير إليه فى مذكراتها على أنه زكى هاشم الصغير » ، ولم تكن متأثرة بمؤهلاته من جامعة هارفرد والأمم المتحدة مثلما كانت متأثرة بأنه « نحيل جدًا وضئيل جدًا لأنه كان أطول منى بمقدار ضئيل جدًا . . وربما كان أكبر من قدرته أن يقوم بحملى من على الأرض » .

وقد أثبت نجيب باشا أنه ماهر فى تقدير ذوق الملك فى النساء بمقدار مهارته فى الصناديق المرصعة بالجواهر . وبالرغم من أن فاروق كان على علاقة بالعديد من النساء الفاتنات جدًا ، ناهيك عن فريدة الجميلة جمالًا رقيقًا ، إلا أنه تُيِّمَ ببراءة هذه المراهقة السمينة القادمة من مدرسة الأميرة فريال للبنات وفى متجر الجواهرجى ، أذهل فاروق ناريمان عندما أمسك يدها الصغيرة وأذهلها أكثر عندما اتصل بوالدها ودعاه للشاى بعد ذلك بأسبوعين . وقامت ناريمان - خاضعة لافتتان فتاة مدرسية بائسة - بجمع كل صورة يمكن أن تحصل عليها للملك لتكون دفترًا يجمع تلك

القصاصات . وكانت معجبة أكثر بالصور التى ظهر فيها الملك مرتديًا زيه العسكرى ، وتلك التى ظهر فيها وهو يحمل سيفًا وقناع المحاربين ، وبصورته وهو بلحية الخليفة التى تعترف ناريمان أنها « وجدتها رومانتيكية جدًا » .

وفى يوم زيارة الملك ، ذهبت ناريمان ووالدتها إلى حلوانى جروبى لشراء تشكيلة غالية من الحلويات . وقامتا بتزيين المنزل بالنباتات والزهور واشترت رداء جديدًا وسمحت لها أمها حتى بأن تضع أحمر شفاه إلا أن فاروق ، الذى كان يُتوقع حضوره فى الثالثة ، لم يظهر . وذهبت ناريمان إلى غرفة نومها وهى باكية .

وفى النهاية ، فى الساعة العاشرة ، وقفت سيارة كاديلاك حمراء أمام المنزل وخرج الملك فاروق الذى يرافقه كريم وأعطى ناريمان ذات العيون الحمراء « ابتسامة مشجعة » . **وقام فاروق الذى كان يرتدى سترة سهرة سوداء باعتبارها الاختبار المنزلى الأخير ، فأرسلها إلى المطبخ ليرى ما إذا كانت تستطيع عمل قهوة جيدة . ونجحت فى الامتحان ، ومكث فاروق وآل ثابت لعشرين دقيقة فقط ، إلا أن العشرين دقيقة هذه هزت العالم بالنسبة لآل صادق . فحاولت ناريمان أن تأخذ السيجار الهافانا الذى أطفأه فى الطفاية كتذكار لتريه لصديقاتها فى اليوم التالى فى مدرسة الأميرة فريال ، إلا أن والدها ضربها لذلك .**

وظل فاروق يقوم بالاتصال . وعندما اكتشف زكى هاشم من والد ناريمان أن خطة زواجه قد تم إلغاؤها ، أرسل بمسرحية حمقاء للصحافة فى ديسمبر ١٩٤٩ ، قائلًا إن عليه أن يخبر الضيوف الخمسمائة الذين تمت دعوتهم إلى حفلة زواجه لناريمان فى ديسمبر ، أن الأمر قد ألغى برمته . واشتكى هاشم أيضًا من أنه يُلاحق بالبوليس السرى التابع لفاروق وأن شقته قد تم اقتحامها ، وأُخِذَ منها كل صور ناريمان . وتجاوبت صحف العالم مع بكائيات هاشم بعناوين صحفية تقول « الحبيبة المسروقة » مستشهدة بتأكيد الدبلوماسى الصغير لحبه لهذه المراهقة الصغيرة وقال هاشم « أنا لن أتزوج واحدة أخرى . فإننى أحب ناريمان وأعلم أنها لا تزال تحبنى » .

وربما قام زكى هاشم بالتحدث باكرًا جدًا . ففى خلال أسابيع قام هاشم بالاستقالة من وظيفته فى الأمم المتحدة التى يحصل منها على ستة آلاف دولار سنويًا وقيل إنه قد تم إرساله إلى موسكو للعمل فى السفارة المصرية هناك . وبعد ذلك ، ثبت أن القصة الروسية كانت غير حقيقية ، فبدلًا من نفيه إلى سيبريا ، عاد هشام لهارفرد ليكمل الدكتوراة . وفى غضون الوقت ، منح والد ناريمان لقب « بك » وبالرغم من أن قصر عابدين قد وصف الشائعات حول قصة فاروق الغرامية الجديدة بأنها « بدون أساس » فقد اتفق فاروق والوالد صادق بك على أن تُأخذ ناريمان من مدرسة الأميرة فريال ويتم إرسالها إلى روما لمدة عام لإعدادها لكى تصبح ليس فقط سيدة أوروبية مثقفة ولكن لتصبح ملكة مصر القادمة . وقرر فاروق أن يلعب مسرحية بيجماليون ، وذلك بالرغم من المسافة الطويلة . وطبقًا لمذكرات ناريمان ، عندما قام أحد الأصدقاء بسؤال فاروق لماذا قام باختيار ناريمان من بين كل النساء فى مصر ، متسائلًا عما تتمتع به ناريمان ولا تتمتع به الأخريات ، ابتسم فاروق وقال وهو يبدو « كأبى الهول » لا أعرف ماذا تتمتع به الفتاة ولكنها بالتأكيد تتمتع بشىء . وبعد ذلك انفجر الملك ضاحكًا .

وكانت إجازات ناريمان ودروسها محاطة بالسرية فى روما . وكما أكد لها فاروق : « لا تخافى يا عزيزتى . أينما تذهبى ، فستكونى محاطة بجدار حماية لا يمكن اختراقه » . وعاشت ناريمان فى روما فى السفارة المصرية ، فى فيلا سافويا ، وهى المنزل السابق للعائلة المالكة الإيطالية التى كانت تعيش فى هذه الفترة فى الاسكندرية وتم إعطاء ناريمان هوية جديدة ، فعرفت على أنها بنت أخت السفير المصرى عبد العزيز بدر . وفرحت ناريمان بإمكانياتها حيث عاشت فى غرفة النوم الخاصة بملكة إيطاليا السابقة ، وتخيلت أن بائعى التحف سيقولون فى المستقبل « إن هناك ملكتين نامتا على هذا السرير ، واحدة من أوروبا ، والأخرى من الشرق » . وتم توظيف الكونتيسة ليلى مارتلى « وهى واحدة من أكثر السيدات فى أوروبا ثقافة وخبرة » لمرافقة ناريمان لتعلمها التاريخ ، والسلوكيات العامة ، واتيكيت البلاط .

وكانت الكونتيسة تعطى ناريمان ألغازًا يومية تسألها مثلًا عن مكان الجلوس فى عشاء رسمى ، فمن يأخذ الأسبقية بين سكرتير ثانى فى سفارة وصاحب لقب وبين سفير سفارة أخرى لا يحمل لقب . (الإجابة . الدبلوماسى صاحب الإقامة الأطول فى هذه المدينة بعينها) . وكان لناريمان مدرسة جامينزيم لتدربها على « النظام والثقافة الخاصة بالجسم » ، وكان لديها مدرسة موسيقى الأوبرا وهى إيطالية ، وأيضًا زوجة دبلوماسى مصرى لكى تعمل معها على التعرف على برتوكول قصر عابدين .

واتباعًا لآراء فاروق اللغوية ، كانت اللغة الإيطالية تستخدم للأغانى والألمانية للفلسفة والإنجليزية للتهرب والفرنسية للحب والأطفال واللعب ، وذاكرت ناريمان اللغات الأربع ، وكانت تذاكر بكد شديد لدرجة أنها لم تجد وقتًا لعمل أى شىء آخر ، وذلك بالرغم من انتشار الشائعات السيئة فى مصر والتى تقول إن الهدف الحقيقى من إقامتها المزيفة فى إيطاليا هو أن تحمل طفل فاروق . وإذا كان الطفل ذكرًا ، يتزوجها فاروق ، ويتم الاحتفاظ بالطفل سرًا فى إيطاليا لمدة تسعة أشهر أخرى ، وبعد ذلك يتم إظهاره فى فرحة انتصار على أنه الوريث لعرش مصر والعظمة المتوجة لأسرة محمد على الحاكمة . وإذا كان الطفل أنثى ، عندئذ سيكون الوداع لناريمان . لكن هذه كانت مجرد شائعات .

وكان الانجليز يراقبون عن كثب ملكة النيل القادمة . وكانت إحدى الجاسوسات الانجليزيات هى امرأة تم تأجيرها لتعطى ناريمان سلسلة من عشرين درسًا فى الانجليزية . ولاحظت المدرسة الانجليزية كيف خاطبت ناريمان السفير المصرى بقولها : « سيادتكم » ولكنها خاطبت زوجته بقولها « عمتى » وكان انطباعها عن تلميذتها كما يلى :

إنها تعتبر نفسها وطنية وقومية بشكل تقليدى ، وهى تصرح بكرهها الشديد لليهود ، والفكر الشيوعى وروسيا . وتعتقد أن الأغنياء المصريين يجب أن يتحدثوا العربية لا الخليط المعتاد من الفرنسية والعربية . وهى مدركة للفجوة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء فى مصر ، إلا أنها تعتقد أن الفقراء والفلاحين

الجهلاء على الرغم من ذلك سعداء [!] وهى متلهفة للسفر إلا أنها لا تريد العيش فى الخارج كما كانت ستفعل إذا نفذت خطط زوجها السابق . وهى تعبر عن اهتمامها بالموسيقى والتاريخ ، وتقوم بالرسم وتحب السينما والملابس والمجوهرات والمشى . كما أنها تظهر اهتمامًا كبيرًا بالعائلة المالكة البريطانية ، فتبحث فى المجلات والجرائد عن مقالات عنهم . ومن الواضح أنها مسلمة متدينة وتأسف لأن العديد من الناس فى الطبقة الراقية المصرية يهملون دينهم ، وهى تقول إنها تقوم بالصلاة كل يوم . وتعبر الآنسة صادق عن إعجابها بالملك وتصفه بأنه محب لشعبه يفعل الكثير من أجل بلاده ببناء العديد من المدارس و بناء جامعة جميلة .

ولاحظت المدرسة الانجليزية أيضًا أن ناريمان ليس لديها إدراك سياسى ولديها أفكار ملكية من المجوهرات والملابس ، وتعتبر باريس هى عاصمتها المثالية لا لندن أو روما . وكانت لها أيضًا معرفة ضئيلة بفاروق ويبدو أنها « راضية بأن تُوضع فى مخزن بارد حتى يرى فاروق الوقت المناسب لإخراجها مرة أخرى » . ولاحظت المدرسة أن ناريمان كانت معزولة بطريقة تشبه عزلة الحريم فى روما . وكان هناك تركيز كبير على الاهتمام بوزنها أكثر من أى شىء أخر فى عملية تعديلها . وكان الهدف هو منعها من الزيادة فى سمنتها أكثر من ١١٠ رطلًا ، وقد تم إعطاؤها نظامًا من الحمامات التركية لخفض وزنها إلى الوزن المثالى عند فاروق .

وبينما كانت تجرى عملية تخزين ناريمان فى روما وعمل حمامات البخار لها ، كان فاروق مشغولًا للغاية فى القاهرة ويحاول أن يطفىء النار التى اشتعلت فى عائلته . فمنذ بدأت الملكة نازلى علاقتها بحسنين ، لم تعد علاقة فاروق بوالدته على ما يرام . فبعد زواج فاروق من فريدة ، انتقلت نازلى من قصر عابدين إلى قصرها الصغير فى ضاحية الدقى الخضراء بالقاهرة حيث يعيش العديد من الدبلوماسيين الأجانب . وكان لنازلى حديقة واسعة محاطة بالأسوار العالية . وكانت تقوم هناك بقراءة « بروست » ، ومناقشته مع حسنين ، وكانت أيضًا تقيم حفلات تستمر طوال الليل كل أسبوع ، وتكون فيها أوركسترا الجاز التى ترجع إلى القاهرة بنميمتها الداعرة عن الأحداث التى تقع فى حفلات السكر والعربدة . وقد قامت وصيفات نازلى بتحذيرها من أن بعض الرجال

فى فرق الجاز يقبضون الرواتب من مخبرى فاروق ، إلا أن نازلى لم تهتم ، فهى لا تزال الملكة ، فقد كانت الحفلات حقًا من حقوقها ومن الامتيازات التى تتمتع بها . وفى النهاية لم تستطع حتى أكبر حفلات القاهرة أن تشبع عطش نازلى للمغامرة ، فبدأت تسافر فى أوروبا حيث قابلت رياض غالى ، وعندئذ قررت أن تقوم بغزو العالم الجديد .

وقد انزعج فاروق جدًا – وهو الذى كان يريد أن يزور الولايات المتحدة – عندما قامت والدته ، مخالفة أوامره ، بعمل زيارة ملكية قبله . وكانت هناك خطط كبيرة معقودة فى وقت باكر منذ عام ١٩٤٥ لرحلة فاروق التى كان من المقرر أن يقوم بها على طائرة فلا خاصة لخدمته ، فيقضى زيارة دبلوماسية صغيرة فى واشنطن – وهى زيارة كان فاروق يريد أن يتجنبها – ثم يقضى وقتًا كبيرًا للاستجمام فى نيويورك وهوليود وجراند كانيون وتلك هى الأماكن التى كان يرغب فى زيارتها . وقد أوصى أيضًا الوزير الأمريكى بالقاهرة بنكنى تاك برحلات لمصانع الطائرات وأحواض البحرية لأنه كما لاحظ أثناء إعداد خطة الرحلة مع وزير الخارجية « أن الملك يحب الأشياء الميكانيكية ومعجب بأجزاء الآلات – وكان أيضًا من ضمن الخطة القيام بصيد البط فى نهاية الأسبوع ، كما كانت هناك العديد من الزيارات المنزلية غير الرسمية لأماكن الهامبورجر والكوكا التى توجد فى سوق يانكى الذى كان يتعطش إليه الملك . وقد أكد تاك أن فاروق يهتم بالنساء ويجب أن يضع ذلك فى الاعتبار . وأنه من الأفضل أن يكون مع ممثل من الخارجية طوال الرحلة كلها لتجنب وقوع أية حوادث محتملة من هذا النوع » .

وما أن عصت نازلى أوامر فاروق لها بأن يكون هو أول من يقوم بزيارة أمريكا من العائلة ، اضطر فاروق أن يلغى كل الخطط ، فهو لم يرد أن يكون فى نفس القارة التى تتواجد فيها والدته ، ولكن لم يكن هذا بسبب الطريقة التى كانت تلهو بها مع حبيبها المسيحى رياض غالى . وبالرغم من أن نازلى التى كانت تصطحب معها ابنتيها الصغيرتين فايقة وفادية كانت قد ذهبت إلى أمريكا أصلًا لمعالجة الاضطرابات فى

كليتها فى مايو كلينيك فى منيوستا ، إلا أنها - وهى التى تبلغ عندئذ خمسة وخمسين عامًا ويبدو عليها أنها أصغر من ذلك بعشر سنين - كانت لا تتصرف كامرأة مريضة . فقد ظلت فى أمريكا لعدة سنوات ، ولم تظهر أية علامات تدل على الحنين إلى الوطن .

وكان آخر حدث فى الدراما التى وقعت بين الأم والابن قد وقع فى أبريل عام ١٩٥٠ فى سان فرانسيسكو التى صارت القاعدة الأمريكية للملكة الأم المصرية وحاشيتها . فقبل ذلك بشهر واحد ، تزوجت الأميرة فايقة التى تبلغ الحادية والعشرين من فؤاد صادق (لا يمت بصلة لناريمان) وهو مثل غالى واحد من كبار موظفى البلاط عند نازلى ، وقد حصلت نازلى له على وظيفة فى القنصلية المصرية فى سان فرانسيسكو . وكان صادق ينتمى لأسرة جيدة واجتماعية فى القاهرة ، وصادق هذا لا يعتبر إلا أنه عار لهم أيضًا .

وكان فاروق سعيدًا أكثر بزواج أخته فوزية مرة أخرى من إسماعيل شيرين فى مارس ، وهو يبلغ الحادية والثلاثين من العمر ومتخرج من جامعة كمبردج وموظف وزارى ذو مستقبل فى القاهرة . وكان شيرين ينتمى إلى أسرة سكندرية جيدة تصاهرت بالفعل مع أسرة محمد على ، فكانت أخته زوجة الأمير سعيد طوسون الذى كان مستعدًا لأن يتقبله .

وبمجرد أن عاد صادق وفايقة إلى سان فرانسيسكو من شهر العسل فى هاواى ، حدثت الفضيحة الحقيقية ، فأعلنت نازلى أن فادية التى تبلغ عندئذ التاسعة عشرة ستتزوج غالى البالغ من العمر إحدى وثلاثين سنة والذى سيغير ديانته إلى الإسلام بهذه المناسبة ، وحتى بالرغم من أن غالى كان مسيحيًا من العامة ، إلا أن نازلى أخبرت الصحافة : « لقد درسته لمدة أربع سنوات وأعلم أنه سيكون زوجًا صالحًا لها » .

وقد أمر فاروق الذى أعطى والدته وأختيه أكثر من مليون دولار كمصاريف

للرحلة الكبرى فى أمريكا ، أمر أسرته أن ترجع إلى القاهرة ، كما رفض الزواج . ورفضت نازلى ، وقامت بالاتصال هاتفيًا بفاروق بشكل منتظم وبدون فائدة كى تصل إلى قلبه ، وتقول : « كنت أحاول أن أثير مشاعره لكى يفهم أن هذا الأمر يعنى سعادة أخته » . إلا أن فاروق كان قد رأى كل صور الصحافة لنازلى وغالى وفادية معهما ، وعرف بالتحديد سعادة من التى كانت منشودة . وكان رد فعل فاروق هو سحب جواز سفر غالى الدبلوماسى ، واتهامه بأنه صائد للثروات ومتلاعب ، ومنع أمام المسلمين فى سكرامينتو حيث يقع المسجد الوحيد فى كاليفورنيا من أن يقوم بعمل أى مراسم للزواج بين فادية وغالى . ولم تتزعج نازلى ، فقامت بإخبار الصحافة من فندق فيرمونت الواقع على نوب هيل حيث كانت تعيش فى جناح بمائة دولار يوميًا وحيث كان سيتم حفل الزفاف ، أخبرتهم أن « هناك إمامًا سيهبط من السماء » .

وجاء الإمام فى الوقع من باكستان . ولم يلتفت إلى لعنات فاروق ، وتم حفل الزفاف كما كان مخططًا له فى إحدى قاعات الحفلات فى فريمونت بينما كانت هناك حفلة أخرى فى قاعة الحفلات المجاورة حيث ظلت الفرقة تعزف « إننى أحب شابًا رائعًا » بصوت عال جدًا لدرجة أنها غطت تقريبًا مراسم الزواج المصرية . وكان معظم ضيوف نازلى الخمسين من الاشتراكيين بكاليفورنيا ، فكان من بينهم ابنه الحاكم إيرل وارمن ، وإيد بولى وهو المليونير صاحب شركات البترول الذى تربطه علاقات قوية بالرئيس ترومان وكذلك بالشرق الأوسط . ويبدو أنه كان هناك عدد من الصحفيين وعملاء الصحافة والمخبرين السريين الذين أغلقوا على المشاركين فى الحفل القاعة التى كانت عبارة عن غابة من الجردينيا البيضاء التى كان بها شجرة مجنوليا فى أخرها حيث كانت تجرى مراسم الزفاف . وارتدت نازلى رداء بدون أكتاف ذا لون رمادى مائل إلى اللون الوردى ، كما ارتدت معه ماسة قيمتها مليون دولار ، وأساور من الأحجار الماسية الخضراء بدءًا من رسغها إلى مرفقها . وارتدت فادية رداء الزفاف من الستان العاجى اللون وكان مصنوعًا بفرنسا ، وكان الرداء مزينًا بالترتر ، وارتدت أيضًا طرحة شفافة وريشة من ريش طائر عصفور الجنة حول صدر

الثوب . وكان للثوب ذيل طوله عشرون قدمًا ، وكانت تحمل وورودًا برتقالية وبعض النباتات البيضاء ، وارتدى غالى معطفًا للصباح وذكرت الصحافة أنه كان « عصبيًا تمامًا » كما كانت وزارة الخارجية التى تلقت تقارير من السفير كافرى فى القاهرة عن قرارات أصدرها القصر ضد غالى الذى وصفه كافرى بأنه « محتال من الدرجة الأولى » .

وعند شجرة المجنوليا ، خطب الإمام الباكستانى خطبة زواج طويلة تضمنت على الأقل تعليقًا واحدًا عن فاورق فقال الإمام « فإنه ضد الإسلام أن يقوم رجل بوضع العراقيل فى طريق من يريد الزواج ممن يحب » . وعندئذ نظر الإمام إلى غالى وإلى نازلى وقال : « الإنسان يستطيع أن يجد الجنة تحت أقدام أمه » .

وبعد أن تمت مراسم العقد ، أحجم غالى عن تقبيل عروسه الجديدة متبعًا بذلك التقاليد الإسلامية ، وقام كل الأشخاص الآخرين بتبادل القبلات ومن بينهم رئيس العمال بالفندق . وظلت نازلى تهيم قائلة « إننى سعيدة للغاية » وكررتها مرات عديدة ، ورقصت مع كل السلك الصحفى تقريبًا . وعندما دار صحفى بريطانى بها وهو يراقصها قال : « هذا حسن جدًا » وسألها ماذا تعتقدين أنه سيحدث بعد ذلك « إن الله سينتصر لنا » هكذا ردت الملكة ، واستطردت لقد كنت الملكة لفترة طويلة . إننى امراة صلبة - وهكذا يجب أن تكون الملكة » .

وما حدث بعد ذلك أن قام فاروق بتوقيع مرسوم ملكى يلغى زواج أخته ويحرمها من لقبها كأميرة ومن كل المميزات الملحقة بهذا اللقب . وقد أنهى المرسوم أيضًا وصاية نازلى على فادية وأمر بمصادرة كل أملاك نازلى إلا إذا عادت إلى مصر فى خلال ستة أيام . وأدان الأمير محمد على رئيس المجلس الملكى - الذى أصدر المرسوم الذى قام بالفعل بحرمان نازلى وفادية من حقوقهم - الملكة - الأم ، فقال : « لقد تحدت النظام الملكى وأصول الدين وكرامة البلاد وكبرياء العائلة المالكة » .

ولم تعد نازلى أبدًا إلى مصر ، وغادرت سان فرانسيسكو على السفينة بريزدنت

ويلسون وهى مرتدية حلة شانيل ، وعقدًا من الزهور حول عنقها . وكان معها فادية ورياض غالى وتوجهوا إلى هونولولو لقضاء شهر عسل لثلاثتهم على منطقة الاستواء . وعندما سُئلت عن تجريدها من ممتلكاتها ولقبها كملكة مصر ، أجابت بمرح : « من المحتمل أننى يجب أن أبحث عن عمل ، وماذا عن الاسم ؟ قالت أنا أستطيع أن أستخدم اسمى قبل الزواج ، فيمكن أن تناديني بمدام صبرى » . وبينما كانت السفينة تبحر نحو هاواى ، سُئلت نازلى سؤالًا واحد آخر أعطاها الفرصة لأن تنكر الشائعات التى تقول إنها تخطط لافتتاح ملهى ليلى فى باريس .

وبينما قامت نازلى بتجاهل أوامر ابنها ، اهتمت الأميرة فايقة وكذا فؤاد صادق بنداء الملك . فقد عادا إلى القاهرة ، وقاما بعمل مراسم زواج أخرى رأسها المفتى فى القاهرة ، وسامحهما الملك فاروق الذى أعطى صادق لقب بك لتصرفه المطيع . أما السيد العاصى رياض غالى المحروم من جواز سفره المصرى والذى يواجه تهديد الترحيل على أنه أجنبى ، فقد ألقى بنفسه تحت رحمة مكتب خدمة الجنسية والهجرة ، وطلب أن يكون لاجئًا دائمًا حيث إنه شخص منفى .

وقد هاجمت الصحافة العالمية فاروق بشدة بسبب نفاقه الذى يكيل بمكيالين والذى عاقب به والدته وأخته لتصرفه بطريقة ليست بأسوأ من تلك التى يتصرف بها بشكل طبيعى . فكيف يجرؤ فاروق رجل الليل وزير النساء وسارق الزوجات والأطفال أن يقول لوالدته وأخته إن الرجل الذى يحبانه هو مجرد رجل يعيش على ما تكسبه النساء ؟ ماذا يظن فاروق نفسه ؟ ملك مصر ؟

والذى لا يستطيع أحد أن يتهم فاروق به هو الوقوع فريسة لرأى إيمرسون الذى يقول إن الثبات الأحمق هو بعبع العقول الصغيرة . ففى أعقاب اغتيال رئيس الوزراء النقراشى ، تحالف فاروق تحالفًا شديدًا مع أكثر الأشخاص غير المتوقعين لتولى المنصب من بين كل أصحابه ، وهو مصطفى النحاس الذى أعاده فاروق لرئاسة الوزراء فى عام ١٩٥٠ . وقد أدرك فاروق أفضل الطرق فى إدخال العامة من المصريين فى الحكومة ، وإنهاء الإحساس بأنهم عبيد للباشاوات ألا وهو إقامة انتخابات حرة ،

إلا إن مفهوم الانتخابات الحرة كان مفهومًا نسبيًا . وحيث إن الأغلبية العظمى من الفلاحين كانوا أميين ، فإنهم لا يستطيعون قراءة أوراق الاقتراع ، فكانت عملية التجهيز للانتخابات عملية معيارية . فقد كان الوفد - الذى كان عندئذ ما زال أكبر حزب سياسيلا فى البلاد - فائق الامتياز فى تزييف الانتخابات . وغالبًا كان رجال الشرطة المسئولون عن الانتخابات خدمًا للوفد وكانوا يوضحون للفلاحين المساكين أين وكيف يصوتون فى الانتخابات . وكان أحد رجال الشرطة يتباهى بأنه كان مسئولًا عن خمسة آلاف صوت فى الانتخابات فى صالح الوفد فى قرية تقع على النيل . ولذلك كانت الانتخابات الحرة تعنى انتخاب الوفد . ونصر الوفد كان يعنى عودة النحاس ، لعنة فاروق .

وعلى الرغم من ذلك قام كريم ثابت بإقناع فاروق أن الانتخابات كانت تستحق عملها وأن النحاس رجل متغير . ولكى يثبت ذلك قام ثابت بترتيب لقاء مع النحاس قام فيه النحاس بتقديم اقتراح وُصِفَ فى تقرير سرى لوزير الخارجية الأمريكى دين أنتشسون من السفير كافرى . وكان الاقتراح هو أن يلتقى الملك بالنحاس فى اجتماع سرى وذلك قبل استدعاء حكومة الوفد ، وإذا لم يكن الملك راضيًا عن محادثاته مع النحاس ، فإن النحاس يعطى كلمة شرف بأن يتقاعد من رئاسة حزب الوفد على أنه « رجل دولة عجوز » وأن يكون الملك عندئذ حرًا فى اختيار أى زعيم من الوفد صغير السن يثق فيه . ووافق الملك على الاقتراح ، وفُتِن تمامًا بالنحاس الذى بدأ المقابلة بمهارة حيث أقسم أن له رغبة واحدة فى الحياة وهى تقبيل يد الملك وأن يظل دائمًا فى رأى جلالته جديرًا بأن يسمح له الملك بتكرار ذلك . وفى هذا الوقت ، ركع على ركبتيه أمام الملك الذى - طبقًا لما قاله ثابت - كان منبهرًا جدًا للدرجة أنه ساعده لينهض على قدميه وهو يقول « انهض يا رئيس الوزراء » .

وكان الصلح بين ألد عدوين فى مصر دليلًا على أن النحاس ، الذى كان غارقًا فى كومة كبيرة من الشئون الوطنية ، كان حقًا سياسيًا متملقًا ماهرًا . وكان النحاس فى السبعين من عمره ، وأصيب حديثًا بأزمة قلبية ، إلا أن شيئًا لم يستطع أن يقف

أمام رغبته فى العودة إلى السلطة ، حتى ولو أضطر هذه المرة إلى أن يعض على لسانه المعادى للملكيين ، ويشارك فى هذه السلطة مع فاروق .

وهُرع جيفرسون كافرى بعودة النحاس ليس لأسباب أيديولوجية لكن بسبب « جهله الكامل التام لحقائق الحياة طبقًا للموقف فى الوقت الحالى » . فلم يستطع كافرى ببساطة أن يصدق كيف استطاع النحاس « الخرق جزئيًا » أن يصبح رئيسًا للوزراء قبل ذلك ، ثم يصبح وزيرًا مرة أخرى .

يريد معظم المراقبين أن يسلموا بأن النحاس يعلم بوجود كوريا ، إلا أننى لم أجد أحدًا يريد جديًا بأن يرضى بأن يعترف بأنه مدرك أن كوريا تقع على حدود الصين الحمراء – فجهله على نحو مروع .

وانتقد كافرى ضعف النحاس فى اللغات بالإضافة إلى العربية ، فقد قال أن لغته الفرنسية مشكوك فى مستواها . وقال عنه إنه « سياسى من الشارع » ليس لديه أى برنامج سياسى غير التصريح الميكانيكى للصيغة المتهالكة والواقعية « للجلاء ووحدة وادى النيل » .

ففى الوقت الذى قابلت فيه النحاس ، كان غير واع تماما للموضوع الذى كنت أناقشه معه . وبصيص الأمل الذى تخلل اللقاء كان أننى أحتاج شيئا منه . وهذا شجع رد فعل سياسى الشارع الذى يفكر بأسلوب « ساعدونا وسنساعدكم » .

والنتيجة التى خرج بها كافرى هى أن الشىء الوحيد الحسن فى النحاس هو « أننا نستطيع أن نحصل على أى شىء نريده منه إذا كنا سندفع المقابل لهذا الشىء . أما بالنسبة لفاروق ، فقد ظهر أنه قد نال ما يريد من النحاس بدون مقابل . إلآ أن الفاتورة ستصل متأخرة جدا . فقد انتهز النحاس كل فرصة تتاح له ليمجد الملك ، ولم يتبار معه أبدا فى النور . فلم يعد يقوم بزيارات يوم الجمعة للمساجد ، ولم يعد يسمى المستشفيات باسمه أو يقوم برحلات خيرية لصعيد مصر . وعلاوة على ذلك ، قام النحاس بغرس احترامه للملكية فى جميع أنحاء حزب الوفد . فبدلا من اتهام الملك

بأنه شخص مبذر وغير جاد ، كان زعماء الوفد كلهم لا يضيعون الفرصة ليقولوا الشعر فى فاروق ويصفوه بأنه « نور العالم » .

وكان الأمر يبدو وكأن أحاديث الوفد قد كتبها سيد التملق الشديد كريم ثابت الذى أصبح الآن ثابت باشا بالطبع . وقد كانت أحاديث الوفد فعلًا من تأليفه ، وكان ثابت هو المهندس للوفاق بين فاروق والنحاس وما إن عاد النحاس إلى السلطة ، حتى تحققت أولى الفوائد الثانوية لعودته للسلطة وصبره على ترك الملك يحكم ويسيطر فى نفس الوقت وهى أن النحاس وزوجته وأتباعه استطاعوا أن يعودوا إلى حيلهم القديمة ، وكانت أولى هذه الحيل هى التلاعب بسوق القطن بالأسكندرية التى كانت تتمتع بازدهار مفاجيء بسبب الطلب الذى زاد بسبب الحرب الكورية والنقص فى المحصول الأمريكى . وكان هذا الازدهار حافزًا قويًا للباشاوات ليقوموا بتكريس أراضيهم الزراعية للقطن لتصديره بدلًا من القمح والأرز اللذين يعتبران غذاء للفلاحين . وكانت النتيجة هى ارتقاع أسعار الغذاء . فتضخم آل النحاس وحلفاؤهم ، بينما كانت الجماهير من شعب مصر تأكل الفول وتتعذب ، ولكن لم يكن هناك زعماء حقيقيون ليعبروا عن معارضة الفلاحين ، وقد نجح النحاس تمامًا بفضل النبلاء التابعين له لدرجة أن البرلمان منحه مبلغًا ماليًا كبيرًا قدره ٣٠ ألف جنيه لإجازته الصيفية والعلاج فى أوربا . وقد أُلهِم السفير البريطانى الجديد للقاهرة سير رالف ستيفنسون بكتابة هذه المذكرة إلى وزارة الخارجية :

من المحتمل أنه يحدث فى مصر فقط أن تقوم دولة معترفة بالجميل بأن تعطى ٣٠ ألف جنيه لقضاء الإجازة لرئيس الوزراء الذى تولى المنصب فى تحقيق هذا الوقت لفترة قصيرة والذى استطاعت زوجته تحقيق قدر كبير من الأرباح المالية فى الوقت الذى سطعت فيه شمس تولى زوجها رئاسة الوزراء .

وبالرغم من أن آل النحاس قد عادوا من أنشوتتهم الأوربية بثمانين حقيبة سفر وسيارات نقل مملوءة بالمقتنيات ، لاحظ السفير البريطانى أنهم دفعوا « المبلغ السخى » الذى يصل إلى خمسة جنيهات مصرية إلى الجمارك .

وقد ذكر السفير البريطانى مثالًا آخر لممارسة قوة المال عندما قام « القصر » الذى يعنى مطبخ وزارة الملك - باستثمارات لإنشاء مصنع بيبسى كولا فى مصر . فعندما حققت بيبسى نجاحا أقل بكثير من كوكا كولا وأقل مما كان متوقعا ، بدأت سيارات النقل الخاصة بكوكا كولا فى استلام استدعاءات بسبب العديد من مخالفات المرور ، وقد وصل عدد هذه الأستدعاءات إلى ما يزيد عن ثلاثة آلاف استدعاء فى الشهر . وللحفاظ على بيبسى وفى نفس الوقت الحفاظ على سيارات النقل لشركة كوكا كولا كاملة أضطر كوك بالى أن يدفع رشوة إلى كريم ثابت بمنحه مقعدًا فى مجلس إدارة شركة كوكا كولا بمصر ، وإعطائه مبلغًا وكذا مدير الخزانة الملكية يصل إلى ٢٥ ألف جنيه ليدلانه - على هواهم - إلى الصدقات المفضلة عند الملك فاروق . وقد لاحظ السفير كامبل مرة أخرى أن « الصدقات فى القصر تكون للأقرباء أولا » .

وما إذا كان فاروق ، الذى كانت ثروته تقدر حينئذ بما يزيد عن خمسين مليون جنيه استرلينى (عندئذ اكثر من ١٤٠ مليون دولار) ومائة ألف « أكر » من الأراضى ، قد تلقى أيًا من أسلاب مشروع المحاسيب (النحاس وثابت) فهذا أمر غير واضح على الإطلاق . لكن الأمر الواضح هو أنه تلقى نصيب الأسد من اللوم .

فقد خمدت الصحافة فى مصر بسبب قانون ١٩٥٠ الذى أصدره البرلمان الوفدى فى أعقاب مسألة رياض غالى ، حيث جعل هذا القانون المحررين المحليين معرضين إلى سجن يصل إلى ستة أشهر إذا تم نشر أى شيء على الإطلاق عن العائلة المالكة بدون تصريح مكتوب وصريح من القصر ، وعندما قام أحد مسئولى القنصلية التابعين لفاروق فى الخرطوم بحذف جزء من جريدة السينما تعرض فى سينما محلية تتحدث عن أخبار مشكلات عائلة فاروق ، واشتكى السفير البريطانى لفاروق من أن مثل هذه الرقابة غير مسموح بها فى السودان ، فرد فاروق - طبقا لما قاله ستيفنسون « إنه من المحتمل أن يكون الأمر كذلك ، إلا أنه يشك كثيرًا فى أن تسمح الحكومة السودانية بعرض فيلم ، على سبيل المثال ، يظهر الميول الاستعمارية للبريطانيين » .

وإذا ظلت السودان بعد ذلك صامتة بشأن الضغوط المهلكة التى تتعرض لها العائلة المالكة المصرية ، فإن بقية صحافة العالم قد أثارت الموضوع ، وشهرت بفاروق بسبب ابتزاز الأموال المؤقت الذى كان يحدث فى بلاده .

فماذا فعل فاروق ؟ هل أنكر الاتهامات ؟ هل وهب الملايين للفقراء ؟ هل فرض ضرائب على الباشاوات ؟ هل قام بعملية تقشف فى النفقات ؟ لم يحدث هذا على الإطلاق . وفي تصرف غير سليم نحو الازدراء الجماعى الذى أحست به الأمم ، استمر فاروق في الحياة المترفة بشكل زائد عن الحد ، وأخذ معه تصرفه هذا وهو فى طريقه إلى أوروبا القارة التى تذكره بالشغب منذ آخر زيارة له فى عام ١٩٣٧ كأمير الأحلام ، ثم عاد عام ١٩٥٠ كدادى وربكس . وقد جعلت هذه الرحلة الكبرى فاروق يبدو وكأنه المعنى الحقيقي للحياة المترفة التى تتخطى حدود أكبر خيالات أى إنسان ، كما بدا أنه سيصبح عقدًا من العربدة الوقحة والإسراف الواضح .

ولما كان فاروق يعلم أنه من المحتمل أن يتزوج ناريمان صادق فى وقت ما ، بعدما ينتهى من عملية تطويرها وتشكيلها فى روما ، أدرك ، وهو الذى قد بلغ لتوة الثلاثين من عمره ، أن أمامه صيفًا واحدًا فقط لينغمس فى شهوات الشباب التى تركها . وكان فاروق قد أرهق بسبب معركته مع والدته ، إلا أنه ابتهج بتمكنه من إسكات الإخوان المسلمين وتحويل عدوه الرئيسى النحاس إلى تابعه المطيع ، واعتقد فاروق أنه قد حصل على إجازة حقيقية . وهو الآن قد كبر بما فيه الكفاية ليقدر حقيقة ما يمكن أن تقدمه أوروبا ، ولم يكن يفكر فى المتاحف الفنية أو الكنائس العتيقة .

وأقلع فاروق من الاسكندرية على متن السفينة فخر البحار ومعه مدمرة مصرية مرافقة له ، ورسا فى مارسليا فى أوائل أغسطس متخفيًا تحت اسم مستعار هو فؤاد نصرى باشا ، وارتدى حلة مزدوجة الصدر رمادية وقميصًا مفتوحًا وأسكوت وقبعة بنية ونظارة سوداء ، فبدا بالرغم من وزنه الزائد ، أنيقًا . وكان من الممكن أن يمر فاروق مثل أى شخص يأتى ليتنزه لولا وجود الثلاثين رجلًا من الحراس الشخصيين

الألبانيين وذواق الأكل النوبيين والأطباء المصريين والسكرتيرات علاوة على أنطونيو بولى وكريم ثابت والعدد الذى لا يحصى من الأتباع العاملين فى الخدمة . وسافر هذا الحشد الأجنبى شمالًا إلى كازينو دوفيل فى الكارفانات الملحقة بسبع سيارات كاديلاك ومعهم عدد من سائقى الدراجات البخارية ، وأيضًا معهم واحدة من طائرات الملك الخاصة تلاحق الموكب لتكون موجودة فى حالة ما إذا أراد فاروق أن يقوم بعملية فرار سريع . وفى أول ليلة وصلت الحاشية لليون فى منتصف الليل ، وأيقظت موظف الاستقبال بالفندق وطلبت منه اثنين وعشرين حجرة ، وبعد ذلك بدأت تشتكى من أن الأسرة صغيرة جدًا . ولأن كل شاحنات الملك كانت قد أُرسلت إلى دوفيل ، وجد فاروق نفسه بدون قميص نظيف . وتم الإسراع بالطائرة إلى شاطىء المحيط الأطلنطى وعادت بملابس نظيفة . ولم يخدع تنكر فاروق أى شخص ، فعلمت أوروبا أن الملك قد وصل . وأحاط فاروق جمهور من ثلاثة آلاف شخص وهو يغادر ليون . وأمر فاروق أن يتم توزيع خمسين رطلًا من الشيكولاتة على المعجبين ، وكان الأمر يبدو كما لو أنه فى مصر .

وقد تكون دوفيل قد غيرت اسمها إلى دوج فيل عندما ذهب إليها فاروق . وأخذ الفريق الملكى خمسًا وعشرين حجرة فى فندق دوجولف . وهناك أمكن مشاهدة كل علية القوم الذين ظهروا مرة أخرى بعد أن عاد كازينو القارة للحياة مرة أخرى بعد الحرب ، فكان هناك أناس مثل أغاخان وزوجته البيجوم وابن الأغا على خان وزوجته ريتاهيوارث ، والكاتب المسرحى الفرنسى الساخر ساشا جترى ، وعدد لا نهاية له من المشاهير الآخرين ، وكذا الملاك الارستقراطيين الموجودين فى دوفيل بسبب الموسم الكبير للمقامرة وسباق الخيل .

والتهم فاروق من إبداعات المطبخ الفرنسى ، فقد أكل من صلصات الكريمة بما يكفى لأن يؤثر على شريانه التاجى . فكانت واحدة من قوائم الطعام التى طلبها فى الفندق تتضمن كل الأشياء بالكريمة فقط . كوت دى فو بالكريمة ، وشامبنون بالكريمة ، وشراب التوت بالكريمة . وبعد هذا البوفيه الضخم الذى تذوق كل طبق

فيه ارتدى الملك جاكت العشاء الأبيض وذهب ليسلى نفسه فى الملهى الليلى الفخم التابع للكازينو الفخيم ، وذلك بوسائل تسلية أحضرها معه من مصر . فقامت سامية جمال التى تم إعلان قدومها باسم « راقصة مصر القومية » بعمل استعراض لإبهاج الملك وكان اسمه « عروس النيل » .

ولكن عروس النيل الحقيقية القادمة ناريمان صادق كانت مخبأة بمكان آمن فى روما تدرس دروس الاتيكيت . وبالرغم من انتشار الشائعات بأنها مع الملك فى دوفيل ، إلا أنها لم تظهر . وكذلك لم تظهر ليليان كوهين التى تم حجز جناح لها مجاور لجناح فاروق . فقد تحطمت طائرتها القادمة إلى باريس فى الصحراء بعد وقت قصير من إقلاعها من مطار فاروق بالقاهرة ، مما أسفر عن مصرع خمسة وخمسين مسافرًا . وكانت ليليان فى العشرين من عمرها عندما توفت ، وبكى فاروق ، إلا أنه حاول أن يخفى حزنه العميق لأن ليليان كانت يهودية وهذا أمر كان فاروق حريصًا على أن يخفيه فى ذلك الوقت .

وقد حل محل ليليان كوهين كمغنية ملكية آنى برير . وقد جاء فاروق بفكرة أعتقد أنها فكرة رائعة لإشباع طموحات انى فى عالم الغناء ولخلق موضوع أغنية تخدم مصر مثلما خدمت الأغانى « أرصفة نيويورك » أو « مرحبا بهوليود » أو « تركت قلبى فى سان فرانسيسكو » وكل هذه المدن الأمريكية استأجر فاروق مؤلفًا فرنسيًا الذى قام بتأليف مقطوعة جيدة لعرض آنى وهى « أغنية النيل » ، وبالرغم من كل جهود فاروق ، عزفت أغنية « أغنية النيل » التى كان يعزفها أوركسترا من ١٢ شخصًا مثل الحجر فى الماء . وقد قيل عن آنى برير أنها قد تركت فاروق بسبب علاقة عاطفية حارة مع الممثل الفرنسى جان بيار أومونت الذى أصبح بعد ذلك محبوب جريس كيلى .

ويبدو أن النساء يأتين فى الأولوية بعد المقامرة بالنسبة للملك . حيث لم يترك مناضد الكازينو قبل الخامسة صباحًا ، ففى اليوم الأول ربح فاروق ٢٠ مليون فرنك (عندئذ نحو ٥٧ ألف دولار) فى الباكاراة ، وربح ١٥ مليون فرنك

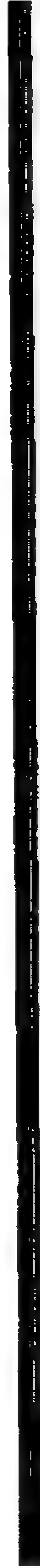
فى اليوم التالى ، وكان صانع القهوة الملكى متسمر فى شرفة الكازينو ليعمل القهوة التركية ليجلب الحظ لفاروق وحاشية الملك الكبيرة دائمًا مستيقظة كان الملك لا يحتسى الخمر ، وكان يحتسى الماء ويدخن السيجار وكان دائمًا يطلق ضحكة من بطنه الضخمة فى نهاية كل دور سواء ربحه أم خسره . وفى الوقت الذى كان فيه فاروق يلعب القمار ، كان الكازينو مطوقًا بمئات من رجال الشرطة الفرنسية لحماية فاروق من آلاف الفضوليين . وكانت الحرية والإخاء والمساواة تُنحى جانبًا ، فقد كانت الملكية نداء بالسرينة لا يقاوم بالنسبة للفرنسيين ، لأنه لم يوجد هناك ملك على العرش يعيش بمثل هذه الطريقة منذ الثورة الفرنسية .

وفى الوقت الذى كان فيه فاروق فى دوفيل ، أصبح الرهان الجاهل والبرىء فى عملية دعاية مزيفة لخلق سمعة طيبة . وكان عميل الصحافة البارز فى العالم فى فترة ما بعد الحرب إيطاليًا عديم الضمير بشكل كبير ، ويسمى جيدو أورلاندو وكان يقدم كل شخص من الملوك المخلوعين لمغول هوليوود . وكما ذكر فى مذكراته : « اعترافات وغد » ، كان أورلاندو دائمًا يبحث عن عملاء جدد وأغنياء . فعندما رأى أن رهان فاروق وحياته المترفة كانت تؤثر عليه فى دوفيل ، ذهب أورلاندو إلى هناك ليقدم خدماته للملك . ومن خلال منتج أفلام فرنسى – مصرى يسمى رافئيل حكيم ، كان على أورلاندو أن يقابل أنطونيو بولى . وبسبب ارتباطهم من خلال التراث الإيطالى أقنع أورلاندو بولى بأن يقدمه لكريم ثابت . وأعطى أورلاندو ثابت فكرة بارعة بأنه يترك فاروق يلعب بأوراقه دون أن يمس . فأورلاندو سيعيد تتويج فاروق « كملك للقمار » ، وروبن هود مناضد القمار الذى يعطى كل مكاسبه لفلاحى مصر . وقال أورلاندو « وبهذه الطريقة ، سنجد أطفالًا وأمهات وأناسًا فقراء فى جميع أنحاء العالم يصلون من أجله لكى يكسب » .

وأعجبت ثابت الفكرة وأعطى أورلاندو أسبوع مقدم أتعاب قدره ١٢٥ دولارًا يوميًا ، ولم يكن مجهود أورلاندو مقصورًا على هذا ، فقد التقط عميلًا آخر فى دوفيل وهو وليم ميد أرت « ملك الهامبورجر » من سان لوى ، والذى يمتلك سلسلة ناجحة

من المطاعم . وكانت زوجة ميد ارت بولوزم نجمة صغيرة فى شركة فوكس للقرن العشرين فى أفلام سيسل دى الذى قام أورلاندو بعمل دعاية له . وكان آل ميد ارت مسافرين مع ابنتهم التى تبلغ من العمر السادسة عشرة ، واسمها ميمى . وكانت ميمى متيمة بنجومية أمها . وقد وعد أورلاندو آل ميد ارت أن يحصل لميمى على عقد فى هوليوود .

وقرر أورلاندو أن يعطى ميمى اتجاه جاربو ، فهى ستكون امرأة غامضة . فأمرها ألا تتكلم فتبتسم فقط وتظهر أسنانها ولا تنطق بكلمة . وكان ما يفكر فيه أورلاندو هو أن يجعل ميمى تقف أمام مصعد فندق جولف مباشرة فى الوقت الذى ينزل فيه فاروق إلى الكازينو .



الفصـــل العـاشـــر

حياة فاروق في المنفى

الفصل العاشر

حياة الملك فاروق فى المنفى

من المفيد استعراض المشهد السياسى لعام ١٩٥٢ كمقدمة لما سيحدث فى مصر . فقد استمرت مطاردة الشيوعيين فى أمريكا ، وأصبحت اليزابيث ملكة انجلترا . وظل الرصاص متطايرًا فى كوريا . وتم تفجير أول قنبلة هيدروجينية فى جزيرة البكينى ، وتصرف فاروق بتأثير الوهم والغواية بطريقة تفوق ما فعل روكى ماشينوا ضد جيرسى جو والكوت بالاحتفاظ بالتاج فى بلادة ذات الوزن الثقيل .

وعلى الفور . . أنهى فاروق مأدبته . وأخرج ضباط جيشه من قاعة الاحتفالات إلى الشوارع . . وفى يوم السبت الأسود . . اشتعلت كل دور السينما ، والحانات ، والنوادى الليلية والبارات . . الأربعمائة منشأة التى خلقت من القاهرة باريس الشرق الأوسط . . وأصبحت تبدو مثل . . – بل أقل من – بومباى .

وأشارت السلطات اللاهية بأصبع الاتهام فى إشعال مؤامرة الشعب إلى الإخوان المسلمين . . الذين صرح رئيس الوزراء باعتبارهم مهندسى هذا العمل العدائى ضد الكفار والأجانب والباشاوات الجهلاء .

ومن أكثر الأشياء ذات المغزى الرمزى العميق والتحدى للحرس القديم الإصرار المتعمد لحرق فندق شبرد .

ففى صباح . . يوم السبت الأسود ٢٦ يناير . . توقفت شاحنة محملة بالرجال – فى زى عمال – دخلوا الفندق وقدموا أنفسهم . . أنهم فريق نظافة من البلدية . . حضروا لرش المنشأة وفى داخل أنفسهم . . كان هؤلاء النصابون . . يبدون كأنهم يقولون الحقيقة ، وكانت مادة الـ D.D.T. التى جاءوا

لرشها مثل مادة الجازولين وكان كل ما تبقى من هذا الفندق الكبير . . بعد برهة صغيرة . . صورة لأبى الهول فى المدخل . . وعتبة الباب المتفحمة وثلاث زهرات لوتس محفورة تحيط بلافتة مكتوب عليها . . « من يشرب من ماء النيل . . إنما يحتسى خمرًا . . رغم البلهارسيا » . . وانصرفت بذلك حقبة السجن الكبير وولى عهد ابن الزنا .

وفى يوم السبت الأسود . . كان النحاس مشغولًا بمعالجة مرض بقدميه وكان تحركه الاستراتيجى الوحيد فى هذا اليوم . . إرسال سيارة مدرعة لإحضار زوجته من محل مصفف الشعر . . وقضى السكرتير العام للحزب فؤاد سراج الدين يومه فى التفاوض لشراء صفقة عقار جديد فى القسم الفرنسى فى سويسرا . وفى صباح اليوم التالى . . استعيد النظام بالكامل وانتهز فاروق الفرصة ليلقى بلائمة الأحداث على الوفد . . وأثار أنه رأس السلطة ، ويجب أن يأتمر الدستور بأمر البلاط . . والدستور منحة من الملك .

وباندفاع عظيم . . طرد فاروق النحاس وأعاد بدلًا منه كرئيس الوزراء خليفته القديم على ماهر الذى اعتقله النحاس أثناء الحرب العالمية الثانية لتعاطفه مع دول المحور .

إن السياسى المستهلك على ماهر . ذى السبعين عامًا . واحد من أغنى الرجال فى مصر . . وإنه لا يحمل أية ضغينة تجاه فاروق . .

وأصبح الرجل صاحب الخبرة العجوز توفيقيًا عظيمًا وبدلًا من حل البرلمان المسيطر عليه الوفد . حاول اتباع اسلوب التعايش السلمى معه . ولم يطالب على ماهر أبدًا بالتطهير فى البرلمان حتى تتسنى له قناة اتصال من نوع ما مع الانجليز .

وعرف كيف يحسب حساب الوفد الذى يعتمد فى التأييد على المدن الصغيرة والقرى فى شمال وجنوب الوادى ولم يستطع أو بالأدق لم يرد فاروق الانتظار حتى يتم هذا التطهير . وفى ٢ مارس وبعد العمل دون غطاء أو تأييد شعبى اضطر على

ماهر للاستقالة .

وجاء رئيس الوزراء الجديد رجل مصر النظيف نجيب الهلالى البالغ من العمر ستين عامًا وهو مثل على ماهر واحد من أبرز محامى مصر . . ولكن لا يشبه على ماهر . . كونه رجلًا لا ترقى إليه الشبهات وكان متوقعًا أن يكون وزراؤه على شاكلته من حيث الطهارة .

وكان الهلالى . . قد طرد من الوفد عام ١٩٥١ لاتهامه فؤاد سراج الدين بالقيام بمراقبة التليفونات وهو أمر غير قانونى . وأعلن بعد توليه المسئولية فورًا . . أن هناك عصيانًا بالبلاد يجب أن يقضى عليه وكان الهلالى معاديًا للشيوعية بضراوة . . فعطل البرلمان وبعث خمسين من رجال البوليس لاعتقال فؤاد سراج الدين فى قصره بالقاهرة . وأخذوه إلى قصره الريفى ببلدته فى دلتا النيل وحددت إقامته هناك بالمنزل لاشتراكه وخداعه فى يوم السبت الأسود .

وبدأت محاكمات لما يزيد على ٨٠٠ من الذين قاموا بأحداث الشغب . وبدأت حملة رسمية أيضًا لاجتثاث فساد الوفد . . بدأت بأمر لوقف إنشاء يخت يسع لثمانية أفراد لزوجة النحاس . . تم تحول الهلالى إلى الإنجليز ولكنه كان عاجزًا فى القيام بأية حملات هجوم على عنادهم بشأن السودان التى أصبحت مظهرًا نافذًا للسيطرة الاستعمارية .

أراد الانجليز السودان لتعويض هيبتهم الآفلة كقوة عظمى تمسك بالخيوط كلها . وفى ذات الوقت أصبح الهلالى ضحية طهارته فلقد بعث جيفرسون كافرى تقريرًا إلى واشنطن . . يتضمن محادثة سرية مع واحد من المعارضين الرئيسيين لحملة الهلالى للتطهير . . كريم ثابت الذى تحدث بطلاقة وفصاحة عن مثالب الإصلاح . . وأفزع ثابت كثيرًا قانون الثروات الذى يطالب الوزراء فى الحاضر والماضى والمستقبل بأن يعلنوا مصادر ثروتهم . ووصف ثابت هذا العمل الذى يطلب الإفشاء التام للثروات بدعوى . . قانون من أين لك هذا ؟ بأنه قانون يمكن أن يضر الملك فاروق .

يخشى كريم ثابت . . أنه بتطهير الوفد أصل البلايا . . سيفتح هذا الأمر الباب فى مصر لدخول حقبة طويلة من الاتهامات والاتهامات المضادة . والتى ستؤدى برجل الشارع العادى إلى أن يهتم ويعى حقيقة . . أنه حُكم بواسطة الغشاشين والنصابين من كل نوع وجنس .

على الأقل فى السنوات العشر الأخيرة . . وقال (ثابت) : **إنه يهتم بشدة بذلك . . حيث أن وعيا من هذا النوع سيؤدى إلى مزيد من انهيار سمعة فاروق عند الشعب لمسئوليته عن تعيين رجال من هذا النوع فى الوزارة وبالتالى . . فإن مزيدا من السقوط والوهم ومزيدا من التحول نحو الشيوعية والأشتراكية الراديكالية فى ظل هذا الوضع سيكون بالغ الخطورة .**

والنتيجة التى وصل إليها (ثابت) أن الهلالى يجب أن يطرد من منصبه فورًا .

وبالطبع . . فإن كريم ثابت . قد حث كافرى لينصح فاروق أن يتخلص من الهلالى ، ويعين رجل الملك المطيع ، رئيس الوزراء الجليل حسين سرى . . رئيسًا للوزراء : مرة أخرى . وهو خال الملكة فريدة والذى لا يزال مخلصًا لفاروق .

وبتنفيذ هذه الخطة يمكن أن يعود ثابت إلى القصر كوسيط بين فاروق وسرى الذى سيكون (فى رأى ثابت) أول عمل سيقوم به هو مشروع للإصلاح الاجتماعى والزراعى يمكن تسويقه للجماهير بطريقة ما ولإعادة بناء هبة الملك المبعثرة حاليا وهزيمته . . كمخلص مصر » .

واقترح ثابت : أن تعود قضية السودان إلى الأضواء ، ويتم بذل جهود مركزة لتخفيض تكلفة الضروريات المعيشية مثل الخبز وبذلك فإن المصريين الذين لا يولون اهتمامًا بالسياسات ولكن كل اهتمامهم الأحتفاظ يبطونهم مليئة . . . سيرون أن ذلك هو الإصلاح الجوهرى فى حياتهم الشخصية .فور حدوث ذلك . . ويرون أن ذلك يرجع إلى عدل وحكمة ملكهم .

وتم الأخذ بنصيحة ثابت فى ايثار حيث استقال الهلالى . . وأصبح رئيس الوزراء

الجديد حسين سرى . وعاد ثابت .

واستهل ثابت عودته بالقيام بإيماءة من نوع العلاقات العامة خانها الصواب ، فما كان فاروق على صلة برابطة الأشراف المصريين آخر أشكال السلطة لسلالة المسلمين . . . حيث أعلن ثابت أن فاروق ينحدر من سلالة النبى (ص) من ناحية الملكة نازلى والدته .

وهكذا . . أصبح بالإضافة إلى كونه ملك مصر وحاكم النوبة والسودان وكردفان ودارفور . . أن أضيف إلى ألقابه لقب السيد (الشريف) ذا الدلالة والمغزى المقدس بالإضافة إلى أصله الملكى .

وكان ذلك لطمة للمصريين الصامتين الذين استهجنوا هذه الوصفة . . بالنسبة لملك يلتهم الجمبرى ويسبح فى ماركات لعبة البكارا أثناء رمضان .

وقبل أن يهيىء سرى نفسه لأداء أى إصلاح زراعى أو اجتماعى . . كان له أولويات محددة عليه أن يحققها . . فكان أول عمل له هو إطلاق سراح فؤاد سراج الدين من إقامته الإجبارية بمنزله . . حيث كان يزمجر الأمريكان والإنجليز من هذا . وكانت حالة الفساد على وشك أن تعود كما كانت وكان العمل الثانى لسرى . . هو عمل أذل به آل محمد على . . وهى محاولة أن يعين وزيرا للحربية هو اللواء نجيب وإن فاروق سيكون أقل عصبية إذا أعاد سرى السير مايلز لامبسون من هذا العمل . ومثل على ماهر حاول سرى أن يحتوى الجيش ليحفظ السلام والسكينة كما كانت .

وكان الجيش هو أخطر عواقب يوم السبت الأسود . والذى كان بالنسبة لفاروق فى جيبه كأى شيء على أرض مصر .

وبعد حرب فلسطين كان الملك يتباهى أمام جيفرسون ، بالرغم من أن الجيش خسر الحرب بأنه لم يؤد أداءً سيئًا بالرغم من نقص الأسلحة وتفوق الأعداء . وأنهم قاتلوا بصدور مفتوحة ضد الدبابات والمدرعات . . . وفعل

الجيش المصرى كل ذلك لأجلى (أى فاروق) وسيفعلون أى شيء آمرهم به حتى لو لم يريدوا أن يفعلوه . . . لأجلى . . . وليس لأجل أى شخص آخر .

وهذا يفسر لماذا أشعر بقوة نحوهم . . وبقوة حاول أن يدفع كافرى أن يسمح لمزيد من المصريين أن يذهبوا إلى الغرب ومزيد من السلاح الأمريكى . حتى لا تكون هناك هزيمة أخرى فى فلسطين . كان فاروق يرى نفسه « الأب الكريم » مع جيشه وأن ضباطه يعضون اليد التى أطعمتهم فى مائدة ٢٦ يناير على شرف الأمير فؤاد .

وكان افتراض فاروق أنهم يدافعون عن « النظام القديم » وجزء من الوضع السائد وكان هذا خطؤه القاتل . وكان قصورًا فى النظر فى المقام الأول .

لأن الجيش يكمن فيه العنصر الهام . . . القيادة . . . التى تكمل الثالوث اللينينى لصنع الثورة .

ربما . . استحوذ على تفكيره ابنه . . . مما جعله لا يستشرف إشارات التحذير المبكرة ونذر الشؤم رغم وجودها .

ففى أوائل يناير انتخب نجيب رئيسًا لنادى الضباط بالزمالك منتصرًا على مرشح الملك اللواء سرى عامر . . الذى وجه نجيب إليه تهمة التآمر وبيع زيت الديزل ومعدات خاصة بالخنادق ومون وذخائر خاصة بالجيش المصرى إلى عصابة من المهربين اليهود يعيشون فى غزة .

وباع المهربون هذه المواد بدورهم إلى إسرائيل .

واتهم نجيب « عامر » بأنه مرتكب جريمة متاجرة مع العدو وبالتالى فإنه يواجه تهمة الخيانة .

وكانت قائمة الضباط الأحرار (عبد الناصر والسادات) معروفة ولم يكن أعضاؤها مجهولين تماما . حيث كانت دعوة الضباط الأحرار معروفة .

وحاولوا من خلال منشور . . الدعوة لمحاكمة اللواء عامر وفشل ذلك ، وحاولوا

اغتياله وأخطأت الرصاصات الأربع عشرة وغيروا من استراتيجيتهم ووقفوا خلف اللواء نجيب (المرشح االبديل) .

وسجلوا انتصارهم الصغير والذى تضاءل عندما رفض فاروق الاعتراف بالنتيجة . واعتبرها غير شرعية .

فكر رئيس الوزراء أن يأتى بالرجل الواجهة إلى الحكومة . فهو يستطيع أن يحد أى تحركات أخرى ضد فاروق فى الجيش . ولم يرد فاروق ذلك .

والجهة الوحيدة التى أراد فاروق أن يكون اللواء نجيب فيها هى الجهة الغربية بعيدًا فى الصحراء . حيث كان نجيب قائدًا لحرس الحدود بعيدًا عن القاهرة وبعيدًا عن جموع الضباط الشبان وكان أقصى ما استطاع أن يصل إليه فاروق من اتفاق مع سرى أن يحيل اللواء عامر فورًا إلى الاستيداع . ذلك الرجل الذى يكرهه صغار الضباط .

وفى المقابل يحال نجيب إلى الاستيداع فورًا والذى يكرهه الملك فاروق .

ولم يكن سرى راغبًا فى الدخول إلى هذا النوع من السباق المحموم فقدم استقالته بعد ١٨ يوما فقط فى المسئولية .

ومرة أخرى أعاد فاروق الرجل النظيف . . الهلالى ووعد بأن يطلق له العنان فى هواجسه تجاه الوفد . ويطهر البلاد . . وكجزء من عملية التطهير وضع فاروق حاشيته على جدول أعمال الهلالى . .

أولًا . . تعيين وزير حربية يكون واحدا من رجال الجيش الذين يعرفهم ويثق فيهم وهو زوج الأميرة فوزية ، العميد إسماعيل شيرين .

ولم يكن إسماعيل شيرين مثل ماك آرثر ولا حتى نجيب فى هذا الشأن ولكنه كان من الأسرة .

الحرب . . . هو الشيء الذى لم يكن فاروق يفكر فيه . . . وفى هذا الوقت

أراد فاروق أن يمنح الهلالى تفويضا بأن يجتث الفساد من جذوره وليس التخريب الذى يقوض ملكه ويقود إلى التمرد ويقود إلى رعب الرعب عند فاروق وهو الشيوعية .

وعرف فاروق من هم أعداؤه . . . فلقد تعرفت شبكة عمل أخيرًا على الضباط الأحرار .

تعرفوا على عبد الناصر والسادات وزملائهم : وطلب أن يتم اعتقالهم جميعًا .

أو يتم إجراء أى عمل أخر للتخلص منهم . . مثل طريقة التخلص من المرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا .

وفى ذلك الوقت . . . كان الصيف ، يذهب الملك إلى الاسكندرية ثم يستأنف النشاط فى القاهرة فى أكتوبر . . وكان فاروق مقتنعًا بمثل هذه الخطوة . . تمامًا كالخطوة التى اتخذت مع البنا .

الهلالى تمكن أن يواصل حملة التطهير وكان الإنجليز والأمريكان يدعمون الهلالى . وكانوا سيسعدون لمثل هذه الخطوة .

ويمكن أن تعود مصر إلى نشاطها المعتاد . . ومع اهتمام جديد بالفلاحين وتأديب الطبقة المسيطرة من الباشاوات .

وفى ٢٠ يوليو . . اعتقد فاروق فى قدرته وأن السلام سيسود عصره . ففد كان لديه اثنان من الشعارات على مكتبه تقرأ فيهما عن الصبر على « مكتبه الملكى » وأيضًا هو لديه من الثروة أكثر من أى أمريكى لاتينى وهذا الصيف سيكون حارًا جدًا . . إنها مصر بعد كل شيء . . درجة الحرارة ٤٠ درجة فى القاهرة . . وكل شيء ساخن جدًا حيث أعتقد فاروق أن لديه الوقت الكافى لتطويق الضباط الأحرار ولكن صبره كلفه عرشه .

فى رحلة الأيام الثلاثة على ظهر المحروسة بين الاسكندرية ونابولى كان لدى

فاروق القليل مما يعزى به نفسه بالإضافة إلى سخريات الرحيل . ها هو وابنه الصغير فؤاد . . يرحل إلى المنفى على ذات يخت والده الذى أبحر فيه مع جده عندما كان صبيًا مع والده الخديو إسماعيل بالمنفى .

والأثنان (فؤاد الأبن والجد) .

وإذا كان تصرف الإنجليز سببًا فى سقوط إسماعيل . . فإن عدم قدرة الإنجليز على حمايته هو السبب فى سقوطه .

وهذا بطبيعه الحال مفهوم هنا . . حيث كان فاروق ملكًا لفترة طويلة . . ملكًا . . لمستعمرة بريطانية . .وقائدًا فخريًا فى الجيش البريطانى وهو على أية حال . . واحد منهم فلماذا هجروه لأنهم انجليز . . وهذا ما يفسر شعوره بالحماقة لأبعد حد عندما وثق بهم . وبخصوص الأمريكان . . كيف يسمح هؤلاء المعادون للشيوعية أن تسقط مصر فى يد زمرة . . اعتقد فاروق بكل جوارحه . . أنها شيوعية ونظام راديكالى .

مما يجعل المعسكر الأحمر فى حالة ابتهاج .

هل يضمر الأمريكان العداء للملوك بكل بساطة . . وعلى أية حال فإنهم ناصروه ووقفوا بجانبه . . ويعتبر فاروق الأمريكان أصدقاءه وهو صديق لهم .

خطأ آخر . . وقع فيه . . رجله على ماهر . . الملكى أكثر من الملك أصبح الأن لسان حال الرعاع .

وبعيدًا عن تصنيف قائمة بالخونة . . فلم يكن هناك شىء يفعله على ظهر المحروسة . . ولا حتى الأكل (الطعام) . لقد فعل الضباط الأحرار كل شىء للتأكد من أن رحلة فاروق ستكون أى شىء سوى أن تكون رحلة ممتعة واهانوه . وهم يعلمون أنه يؤذى ، لقد أهانوه فى معدته .

كانت مقومات الحياة على ظهر المحروسة الخبز ، زيت بذور القطن والجبن

وما يكفى للحصول على وجبة واحدة من سندوتش بيض مشوى كل يوم .

كان فاروق فى العام الماضى وفى الصيف نفسه يبحر فى عرض البحر المتوسط حيث كان ملك الملوك فى رحلة - شهر عسل أسطورية والآن فى طريقه إلى المنفى . . يأكل نفايات طعام .

لم يتم نسف اليخت بطوربيد بحرى . . وهو فى أول يوم خارج الاسكندرية وقبطان اليخت الذى لا يزال مخلصًا لفاروق تلقى معلومات تفيد أن زورقًا سيتبعه حيث كان مخططًا لنسف وتدمير المحروسة . التى سارت فى خطوط متعرجة عبر المتوسط لأربع وعشرين ساعة وأفلت من الهجوم .

وليتأكد الضباط الأحرار من أن كل شخص من طاقم السفينة (اليخت) سيعودون إلى مصر . . احتجزوا فردًا من أسرة كل شخص على الطاقم رهينة حتى يعودوا واليخت . إن فاروق محظوظ حيث لا يزال حيًا .

ألمح على ماهر إلى جيفرسون كافرى أن بعض الضباط الشبان الجامحين يعتزمون قتل الملك . وواحد من أكثر الضباط وحشية وهو جمال سالم قرر أن يتجاوز قرار عبد الناصر . عن طريق قتل الملك رميًا بالرصاص على متن اليخت أثناء الوداع الأخير وإطلاق الواحد والعشرين طلقة تحية له فى مرسى قصر رأس التين .

ولأن كافرى أصبح راعى الضباط الأحرار فقد وقف بجوار فاروق أثناء إطلاق وابل الرصاص حتى لا يتم اغتيال الملك .

ورغم أن الأمريكان كلفوا فاروق ثمنًا غاليًا وهو فقدان العرش . . إلا أنهم تركوه حيًا .

ولم يصرح فاروق على الملأ صراحة ذات مرة معبرًا عن اليأس والقنوط تجاه الولايات المتحدة بأنها تسببت فى سقوط عرش أسرته . ولكنه ادخر كل اللوم ليلقيه على كاهل بريطانيا العظمى . . وكانت الإشاعات فى المقابل تملأ مصر . . إن فاروق

لم يستطع أن يهرب من مصر بدون الحصول على كل ثرواته العظيمة والبالغة الضخامة التى كانت فى قصر عابدين بالقاهرة . حيث كان يصطاف فى المنتزه عندما وقع الانقلاب . ورغم أن العائلة المالكة قد جلبت ٦٦ حقيبة كاملة من الأمتعة إلى اليخت موزعة بين فاروق وناريمان ، والأبناء والحراس والوصيفات والمربيات . الذين سمحوا لهم بمرافقتهم . ولم يكن ذلك أثرًا يذكر .

ففاروق لديه بدلتان و٦ قمصان من دولاب ملابس ملكى يضم آلاف البدل ومئات من أطقم الملابس .

بينما ناريمان استطاعت تهريب سبع حقائب بواسطة ممر خلفى فى القصر ومربية الأمير فؤاد (بعد إعفاء والده هو الملك فؤاد) أنى شير يد سجلت الرقم الأعظم حيث خبأت أربعًا من أجود وأفضل المجوهرات والذهب الملكى مغطاة بعباءة تحت حقيبة مملوءة بملابس المولود .

أما الأميرات الثلاث اللاتى ففضلن الذهاب مع فاروق دون البقاء فى مصر مع فريدة . . تركوا مع بعض متعلقاتهم القليلة وعرائسهم المحببة . ولم يختر فاروق المنفى بالنسبة للأميرات فقط ولكن بالنسبة للملكة الجديدة . وحذر فاروق ناريمان بأنها لن ترى والدتها المحبوبة مرة أخرى .

وحيث كانت فى السابعة عشرة لم تكن لديها مشكلة فى البدء فى حياة جديدة .

وقد سجل فاروق فى مذكراته المسلسلة . . الكلمات التى قالها لناريمان « **يجب ألا تصطحبينى ولديك شعور بالشفقة لأن الشفقة لا تستمر ومن الأفضل أن ننفصل إذا كنا سنعيش يكره كلانا الآخر ولم يكن لديه فكرة . . .** » . أن النبوءة ستتحقق بأسرع ما يمكن . . وعندما وصلت المحروسة إلى نابولى فى ٢٩ يوليو . . ودع طاقم اليخت الملك بالدموع بعد أن اصطفوا طابورًا وانحنوا وهتفوا ثلاث مرات . . عاش فاروق ملك مصر والسودان . . ولكن الواقع يفرض نفسه .

كان فاروق يرتدى بدلة سوداء ورباط عنق أسود وكانت ناريمان ترتدى فستانًا

أصفر اللون . ونقلوا أمتعتهم من على ظهر اليخت الملكى إلى باخرة صغيرة « . . كانت كاميرات الصحافة من كل أنحاء العالم تسجل كل لحظة من لحظات سقوط فاروق وضياع النعمة .

وحملت ليندا العائلة إلى كابرى . . وكانت ذروة الموسم الصيفى . فاروق الذى خبا نجمه بسهولة اختار جروت أزورا . التى فاقت جزيرة الرومان الأسطورية . إنها ذات جاذبية هامة للسياحة .

ولم تخمد الفضيحة . ولم يعثر فاروق وأسرته على حجرة فى الفندق الضخم ، والفخم أيضًا ، « جراند لوكس » ، حيث أقام فيه فاروق لبضع أيام من شهر العسل فى العام الماضى . « أى قبل عام واحد من أفول نجمه » . .

واضطر فاروق وأسرته أن يقيموا فى الجانب الغربى والردىء من الجزيرة والمعروفة « أنكابرى » فى فندق « إيدن بارد يشبو » وحجز الدور العلوى والحديقة العلوية من الفندق حتى تتسع لإقامته وحاشيته المكونة من ستة وعشرين شخصًا .

وسجل فاروق نفسه باعتباره « صحاب الفخامة المكلية الأمير فاروق فؤاد » أمير مصر .

وأيًا كان ، فإن الوجبات الشهية فى الفندق قد عوضت تلك الوجبات « الهفتانة » التى اضطر إلى تناولها فى عرض البحر على متن يخته . فى طريقه إلى منفاه ، والمكونة من الخبز والجبن فقط .

وأقام فاروق أول مأدبة عشاء لعائلته تناولوا فيها . . الاسباجيتى ، الجمبرى البارد بالمياونيز وشرائح لحم الاستيك ، واللحوم المحمرة على الطريقة الفرنسية . والسلطة الخضراء والأيس كريم بالشيكولاتة ، والخوخ الأبيض وعصير البرتقال .

وفى أول وجبة إفطار لفاروق بالفندق ، التهم عشرة بيضات .

وعندما طارده مراسل صحفى بسؤال عن ذلك ! أجاب : إنى أحب البيض .

وفى اليوم التالى لوصول فاروق . عقد مؤتمرًا صحفيا فى بهو الفندق . . أجاب فيه على عدد من الأسئلة بالانجليزية والفرنسية والإيطالية . . وجهها له ما يزيد عن مائة مراسل صحفى . وكانت تقف بجانبه ناريمان وبناته الثلاث والملك الصغير « فؤاد » يتناول رضعاته من زجاجة تحملها المربية « آنى شرميسيد » .

وبدأ فاروق المؤتمر الصحفى ممتدحًا كابرى ، وزعم فاروق أن المنفى هو أول أجازة حقيقية بالنسبة له ، منذ أن صار ملكًا .

ففى أثناء الاحتفال بحصوله على شهادة « الباكالوريا » أم فى شهر العسل عقب زواجه الأول . كان فاروق مشغولًا بشئون الدولة .

وقدم فاروق ابنه الملك الصغير وألمح فى حديثه إلى الصعوبات التى تواجه العرش . . وتجنب فاروق فى حديثه وبمنتهى الحرص الإدلاء بأى تعليق يمكن أن يحرج الحكومة الإيطالية .

وأكد فى حديثه أيضًا على الوحدة التى يحياها فى المنفى . وعن أولاده وزوجته ، أشار إلى حرية العودة المتاحة لهم إلى بلادهم .

وسئل فاروق عن المكان الذى يفضل أن يعيش فيه . فاجاب : إنه ليس متأكدًا الآن . . شرك ألا يكون المكان خلف الستار الحديدى[1] .

ثم أجاب فاروق بعد ذلك على عدد من الأسئلة كان إحداها يدور حول . . المال .

وأجاب : أن الأولاد وهم كل المملكة التى يستحوذ عليها . وأنه لم يعد رجلًا غنيًا .

---

(١) يعنى الاتحاد السوفييتى : أول دول أوروبا الشرقية فى ذلك الحين (المترجم) .

واعترف : أنه بالمقارنة بمستويات الفقر . فإنه لا يزال يُحسد على ما هو فيه الآن .

ونفى فاروق نفيًا قاطعًا . أنه قد تمكن من جلب ثروة من مصر . وكرر أن كل ثروته زوجته وابنه وبناته الثلاث .

وبالطبع ، لم يصدق المراسلون الصحفيون فى كابرى هذا القول .

وكان كارلو دى إميليو « محامى فاروق » يبحث عن مسكن مناسب لفاروق وأسرته .

وفى تلك الأثناء . . كان فاروق يصطحب بناته للسياحة يوميًا فى كانمسون ديلمار . . وحين تحل أوقات الراحة ، تحصل الفتيات على دروس يومية ، تقوم بها المربية الفرنسية مداموزيل « تابلوريت » وبعد ذلك . . تحول إهتمام الفتيات إلى الموسيقى وانتظموا فى دروس البيانو فى احد النوادى الليلية . وكانت فريال البالغة ثلاثة عشر عامًا تعرف شوبان ولازيست .

أما فوزية « ١١ عامًا » فكانت تقرأ جان إير بالفرنسية وفادية تمثل تمارس هواية التمثيل وهى فى الثامنة من العمر . وحاول الصحفيون . . وبوحى من تلك الحياة الغريبة لفاروق وأسرته . . إختلاق القصص الغرامية عن فاروق وأسرته . . إلى الحد الذى وصل إلى وضع عدسات تصوير لتلتقط صورًا لإحدى الأميرات الصغيرات وهى بملابس السباحة . .

وهيأ خيال فاروق . . له أن يرسل أحد الخدم العاملين بالفندق لشراء مصباح على هيئة أوزة لإضاءة الحجرة الموحشة للأميرة فادية . الأمر الذى صورته الصحب على أن « الملك » يعتزم إعادة تشكيل الفندق ليصبح على شكل سراى من ليالى العرب ، وقدم طلبًا لمدير الفندق بأن يعزف موسيقى خليعة أمام ستمائة شخص . .

وفى شهر سبتمبر . . غادر فاروق كابرى إلى كارل جى إيمليو حيث استقر

مع أسرته في فيلا « ديسمت » . . وهى بناء ضخم يحتوى عل ثلاثين حجرة مكسوه بالمرمر الأحمر . . وتقع فى إحدى الضياع بمرتفعات الألب ، خارج روما .

وكانت الفيلا على مقربة من قلعة « جاند ولفو » حيث المقر الصيفى للبابا .

وكان المكان محاطًا بحائط مرتفع . ويحرسه رجال أقوياء . وكلاب صيد ألمانية . بخلاف قوة من البوليس الألمانى خصصت لحراسة الملك المنفى وأسرته . وفى ذلك المكانم الهادىء عاش فاروق فى طمأنينة بعيدًا عن خطر الموت العاجل . وقضت الأميرات الثلاث معظم الأيام فى زيارة المدرسين الذين يعلمونهم الرقص ، والمبارزة ، واللغة العربية .

أما فاروق وناريمان فقد قضيا معظم الوقت مع أشباه الكتاب والمؤلفين . . من أمثال نورمان برايس ، القائد السابق لقوات الكوماندوز الانجليزية والذى صار كاتبًا بعد الحرب .

وكلاوس بولمير الفيزيائى الألمانى والذى صار صحفيًا .

وبحلول شهر ديسمبر ، إنفصل فاروق عن ناريمان وكليهما غير آسف حتى على ذكرياتهما . . وكانت المواجهة بين الزوجين الملكين مؤجلة بسبب الحصار الذى حاق بالنظام الملكى القديم . والذى بدأ مع حركة الضباط الأحرار فى يوليو سنة ١٩٥٢ .

فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ألغى محمد نجيب ألقاب الباشوية والبكوية . . واعتقل كريم ثابت ، واللواء سرى عامر وعقدت لهم محاكمة عسكرية . . وحُكم عليمهم بالسجن لمدة خمسة وعشرين عامًا . أما رجال البلاط الملكى الآخرين فلقد لاقوا عقوبة السجن لمدة خمسة عشر عامًا .

ومن بين هؤلاء فؤاد سراج الدين ، وطبيب فاروق الخاص وسائقه ، وابن عم الملك عباس حليم الذى أدلى بشهادة اعترف فيها أن فروق كان يعامله كدمية وأنه

ألغى وجوده . . وأن فاروق قضى معظم وقته فى لعب القمار وأنه كان يقامر مع اليهود .

ومع ذلك حكمت المحكمة على حليم بالسجن خمسة عشر عامًا لدوره فى شراء الأسلحة الفاسدة فى حرب سنة ١٩٤٨ مع إسرائيل .

وصادرت المحكمة الجزء الأعظم من الأراضى الزراعية لزوجة النحاس ، ولكن المحكمة تركت النحاس ذلك السياسى العتيد دون مساومة على مصيرة وبعيدًا عن روح الانتقام وعلى غير المعاملة التى لقيها آخرون ، مثل انطونيو بوللى والذى عُذب حتى فضح أمر فاروق .

وتمت مصادرة كل ثروات ورثة أسرة محمد على . وفجأة . . وجد ما يزيد على أربعمائة شخص من صفوة الصفوة ، أنفسهم ، لا يملكون شيئًا .

وكان الضباط الأحرار ، حاسمين بلا تردد تجاه الارستقراطية أو أى شخص كان متعاطفًا معهم .

وعندما حاول على ماهر رئيس الوزراء ، أن يمكن الأمير العجوز « محمد على » والذى لا يزال وريث العرش حتى ميلاد فؤاد الصغير . . أن يغادر مصر ومعه مائه ألف جنيه من ثروته . . أجبر الضباط الأحرار على ماهر أن يقدم استقالته .

وهكذا فأن الضباط الأحرار لم يترددوا تجاه أى أمر يتعلق بالمال . . وخاصة إذا كان المال لأسرة محمد على . وكان على ماهر بحاجة أن يكبح جماح نفسه من التعاطف مع أحد أفراد أسرة محمد على وخاصة ذلك الأمير العجوز . ذلك الأمير الذى أوصى ذات مرة بتنظيف شوارع القاهرة ونفى مائة أسرة إلى السودان بعد إلقاء القبض عليهم بتهمة التسول .

ومحاولة إصدار قانون . . يدين المارة من المشاه وإعفاء مسئولية السائقين من

أى ضرر يقع على المشاة .

وحين فتش الضباط الأحرار فى حسابات الأمير العجوز اكتشفوا بندًا للمصروفات يتضمن نفقات راقصات وحفلات أسبوعية للرقص .

وكان ذلك الأمير محظوظًا فى أن يترك البلاد إلى سويسرا . . ومعظم أقاربه جرى اعتقالهم ولم يستطع أى من أعضاء الدائرة المقربة جدًا للملك أن يفلتا من العقاب ، عدا إلياس أندراوس ، الذى هرب إلى لندن بعد « الإنقلاب » مباشرة . وإدموند جالان الذى كان يصطاف فى الريفيرا وقت وقوع حركة يوليو ولم يعد إلى مصر .

وبعد أن أدلى أنطونيو بوللى باعترافات عن حجم الثروة المالية للملك ، دون ذكر لحجم ثروته فى أوروبا . حيث أنكر معرفته بها . . أطلق سراح بوللى وافتتح ملهى ليلى فى عوامة على النيل فى ظل النظام الجديد . ولكن تلك المغامرة الطائشة فشلت ، ثم إتجه إلى إدارة محل حلوانى فى مصر الجديدة .

وإذا كان الضباط الأحرار قد عارضوا اغتيال فاروق ، إلا أنهم فعلوا ما هو أكثر من ذلك . بما ارتكبوه تجاه شخصه وما تركه هذا من آثار قاسية عليه .

يُضاف إلى ذلك حملة التشهير القاسية ضد الملك الساقط والتى أضافت إليهاالكثير تلك المعلومات التى أدلى بها الشهود فى المحاكمات التى عقدها الضباط الأحرار لرجال النظام الملكى . وكل هذا . كان يمهد لأحقية الذمرة العسكرية فى حكم البلاد . . وكان الحملة التى شنتها إدارة نجيب ضد فاروق ، تعنى تقديم المبررات للضباط الأحرار فى أن يحلوا بدلًا من فاروق ونظامه فى حكم البلاد .

وكان من أهداف تلك الحملة . . هو تقديم صورة عن نمط حياة فاروق وثرائه الفاحش ومغامراته و . . . إلى الحد الذى وصل إلى ترتيب رحلات إلى قصور فاروق ، أُعدت خصيصًا للصحافيين الأجانب من محبى التشهير ومحترفى الفضائح .

وكانت أولى الرحلات . . بقصر القبة بحجراته الفاخرة . ومحتوياته الثمينة . . وشاهد الصحفيون فى قصر القبة مجموعة طوابع بريدية خاصة بفاروق قُدِّر ثمنها بسبعة عشر مليونًا من الدولارات . وشاهدوا أيضًا دولاب الملابس الملكية ، ويحتوى على الفى قميص حرير . وعشرة ألاف رباط عنقن من الحرير . . وخمسون عصا مرصعة بالذهب والماس .

واطلع الصحافيون على ألبوم الصور لضخم لفاروق . . وخاصة الصور الكبيرة لأدولف هتلر . . وهو من الشخصيات التى كان فاروق على ولع بها . . وإدعى بعض الصحفيين أن الضباط الأحرار قد دسوا تلك الصور ، حتى يكشفوا للصحافيين ذلك المعدن الذى تتشكل منه شخصية فاروق .

وفى داخل بيوت الكلاب والثعالب الملكية . وُجدت أنواع نادرة من الثعالب الأفغانية والرمادية . وكلابًا للصيد تعيش على نحو أفضل من معيشة الفلاحين من رعايا جلالة الملك .

وكان العشرون جهازًا للتخسيس من الصناعة الأمريكية المتقنة داخل الجامينزيوم الملكى دليلًا على بذخ فاروق الفاحش .

وليت الأمر يقف عند هذا . .

بل شوهدت . . كميات هائلة من العملات الأثرية النادرة . وبدلًا ذات دروع . وصناديق تحتوى على الماس والياقوت الأحمر وأطنانًا من المشروبات الكحولية الفاخرة ولكن أكثر الأشياء . . التى ثار حولها لغط كبير من قبل المشاهدين البومات الصور الجنسية .

وكان ذلك قليلًا من كثير شاهده الصحافيون فى قصر القبة .

وأتاح الضباط الأحرار لرجال الصحافة فرصة إلقاء نظرة خاطفة على حمامات قصر عابدين الفاخرة . . ذات الصور الجدارية بالحجم الطبيعى للحوريات العاريات .

وكذلك . . مشاهدة غرفة نوم الملكة ناريمان فى قصر رأس التين ذات القطع الست والتسعين (٩٦) من الأثاث من طراز لويس الخامس عشر .

أما عن حجرة نوم فاروق فى قصر المنتزة . فحدث ولا حرج . . فيها ست تليفونات و٧٥ منظارًا وبرجوكتور مملوء بشرائح الشذوذ الجنسى (اللواط والسحاق) . . ومكتبة والت ديزنى .

وعرض مجلس قيادة الثورة بيع تلك الثروات بالمزاد العلنى فى عام ١٩٥٤ . فيما عرف باسم مزاد . . مقتنيات القصر الملكى . . فى مصر .

وبعد استقالة على ماهر ، تولى محمد نجيب رئاسة مجلس الوزراء . . بالإضافة إلى منصبه كقائد عام للجيش .

وبدأ نجيب فى تصعيد حرب الكلمات والتهديد بتقديم فاروق للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى . وإعادته إلى مصر وتقديمه للمحاكمة لارتكابه عددًا من الجرائم العديدة ، وكذا مخالفاته الجانحه وضمن تلك الجرائم : الاغتيال باستخدام عناصر مواليه له .

وصرح نجيب : إن مصر كلها تصلى من أجل الرجل الكهل الذى ضحى بنفسه وعمل على إسقاط فاروق الطاغية الشهوانى .

وبهذا التصريح ، قضى نجيب على مزاعم فاروق بأن ثورة الجيش يقودها الشيوعيون وبتمويل ضخم من روسيا .

وحاول فاروق تأكيد هذا الزعم . بقوله : . . إن الضباط الأحرار قتلوا الكلاب الصغيرة الخاصة بيناته ، وكذلك قتلوا الفرس العربى الأصيل الخاص بابنتيه فريال ، بعد أن طعنوا عينى الفرس بالسونكى .

ولكن . . كذّب نجيب تلك المزاعم بقوله : « إن الكلاب تتمتع بحرية وأنها تدخل الحظائر عندما ترى ظلال الماضى » .

وانتقد فاروق ملاحظات نجيب وقال : . . إنها نفس كلمات ديكتاتور تقليدى من ذلك الطراز الموجود فى الكرملين .

وفى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ ، أقصى مجلس قيادة الثورة « الملك فؤاد » الصغير رسميًا عن حكم البلاد . وعمره حينئذ ثمانية عشر شهرا فقط .

ووضع بذلك المجلس النهاية المحتومة لأسرة محمد على والتى حكمت مصر لمدة ١٤٨ سنة . وسقطت الملكية إلى غير رجعة .

وفى أكتوبر ، وضع عبد الناصر نهاية لمحمد نجيب بعد أن ناور معه كثيرًا ، وحظى عبد الناصر تجاه بؤرة الأضواء باعتباره قائد الثورة الحقيقى . وهو الآن حاكم البلاد الذى لا يبارى .

وكان فاروق بمقدوره أن يجلس فى زوايا النسيان وهيأ له خياله أنه يستطيع تحدى عبد الناصر ويغرق البلاد فى حرب أهلية ويستعيد الملكية فى مصر .

وكان فاروق يتطلع إلى بريطانيا لتعيده إلى العرش وانتظر وتحلى بالصبر . . ومن على شاكلة فاروق وهم الذين يأملون فى مثل تلك الأمور .

والآن فاروق ومن خلال رجله الجديد ، (كريم ثابت)، أو لنقل أنطونيو بوللى ، وهو شاب وسيم ، كان يشغل السكرتير الثالث فى السفارة المصرية فى روما ، يُدعى أمين فهيم . والمبعد عن موقعه عقب تولى نجيب السلطة . هاجم السيدة صادق ووصفها بأنها دمية فى يد نجيب ، الذى يستخدمها فى محاولة خطف وليده الملك فؤاد إلى القاهرة . ادعت السيدة صادق الحماة أن ناريمان تركت فاروق لسبب واحد ، هو أنها لا تستطيع العيش معه أكثر من ذلك ، وأن شخصيتيهما متعارضتان تمامًا .

عم السرور بعودة ناريمان إلى مصر ، كدليل واضح وإضافى على شرور فاروق ، وفضائلها . ومنح الضباط الأحرار الملكة السابقة جواز سفر باسمها الحقيقى وسمحوا

لها بالعودة إلى القصور لتستعيد بعض متعلقاتها الملكية والمحدودة جدًا ، حيث وصف المتحدث الرسمى للحكومة هذه المتعلقات . . بأن فاروق اغتصبها من الشعب وأن ما أخذته ناريمان ، هو جهاز عرسها الذى أحضرته معها . والمكون من ٧ معاطف ، وثلاث فراء منك ، وفراء سمّور أسود ، وفراء فهد صغير ، وفراء القاقوم ، وفراء الاستراكان المجعّد ، وثلاث فساتين سهرة ، ٢٢ فستانًا للمساء ، ٢٤ زوجًا من الأحذية ، ١٢ شنطة ، ٥٠ زوجًا من الشباشب والخف ، و٤٠ قميص نوم حرير ، و١٣٠ قميص نوم نايلون .

ورأى نجيب أن ناريمان لن تستعيد فؤاد ، لأن الأمر ببساطة أنه ألغى الملكية .

وطلبت ناريمان ، فى سبتمبر ، الطلاق أمام محكمة مصر الجديدة الشرعية ، وأعلنت فاروق فى روما وطلبت نفقة ضخمة تقدر بخمسة عشر ألف دولار (١٥ ألف دولار) شهريًا . وأرسل فاروق محاميًا سوريًا بارزًا ليمثله فى مصر .

وفى فبراير ١٩٥٤ ، وقعت ناريمان وثيقة الطلاق وتنازلت عن نفقتها ، وعن دعواها . وطبقًا للتشريع الإسلامى . . فإن الأم تظل حاضنة لطفلها حتى بلوغ سن السابعة ، دون أن تجعل من فؤاد ورقة للمساومة . ولم يهتم النظام القضائى المصرى كثيرًا بالملكة السابقة ولا الملك السابق .

وفى مايو من نفس العام الذى لم تهتم فيه سوى بملابسها من زواجها الأسطورى الأول ، حاولت مرة أخرى . . وكان الزوج الجديد ، شابًا تلقى تعليمه فى كامبردج ، الإسكندرى الأصل د . أدهم النقيب ولسخرية القدر . كان والد العريس طبيب فاروق د . أحمد النقيب والذى كان يخصص الدور الأخير فى مستشفى المواساة بالاسكندرية « كجارسونيرا » لفاروق ، ولم يحضر النقيب الأب مراسم الزواج حيث كان فى السجن يقضى عقوبة خمسة عشر عامًا لاستفادته واستغلاله النفوذ معتمدًا على فاروق .

قالت ناريمان للصحافة : إنها سعيدة بمحاولاتها أن تعيش مع زوجها الجديد

ذى الدخل المتوسط من عمله فى مستشفى الأنجلو أمريكان بالأسكندرية . . إنها السعادة تلك الكلمة التى نطقت بها الفتاة ذات الثلاث والعشرين عامًا . . لم تجد السعادة فى حياة القصور ، ولكن فى الحب والمودة والعطف والتفاهم المشترك بين الزوج وزوجته . حاولت أن أعيش بالقصور ولكنى كنت تعيسة . وأشعر بكل تأكيد أننى سأكون سعيدة مع أدهم النقيب لأننى أحبه ويحبنى . . . وانفصل النقيب وناريمان فى العام التالى .

لم يكن النظام المصرى كريمًا مع الملكات السابقات فى حياة فاروق ففى يوليو ١٩٥٣ . اختصمت الحكومة المصرية الملكة نازلى التى انتقلت مع ابنتها الأميرة فتحية وزوجها رياض غالى إلى أمريكا ، على أساس أنها عاجزة عقليًا لا تستطيع أن تدير أملاكها وأمرت بأن تأتى للقاهرة شخصيًا للفحص الطبى . وأرسلت شهادات طبية عن صحتها من أطبائها فى كاليفورنيا ، ورفضت الحكومة المصرية هذه الشهادات كأدلة فى القضية ، ورفضت التماس نازلى وألزمتها بدفع مصروفات المحكمة .

وفى نوفمبر ١٩٥٣ ، سلمت الملكة السابقة فريدة كل مجوهراتها وتاجها الملكى وثلاث سيارات وأشياء أخرى ثمينة إلى « لجنة المصادرات » التى تشكلت لاتخاذ إجراءات حاسمة وصارمة لمنع تهريب الأموال الضخمة والمجوهرات إلى يد أسرة محمد على . ووافقت بنات الأمير عباس حليم أن تدفعن جزءًا من رءوس الأموال المهربة ، شريطة إسقاط الإجراءات المتخذة ضدهن .

ومن الواضح أن هناك نشاطًا تهريبيًا واسعًا بدأ يجرى تنفيذه من قبل العائلة المالكة على أيدى مهربين محترفين .

وكجزء من خطة الحظر ، فإن أعضاء العائلة المالكة منعوا من مغادرة مصر . وبالنسبة لفريدة فإنها لم تطرد من قصرها بجوار الهرم الذى منحه لها فاروق . واتخذ رجال نجيب الإجراءات لتأجير القصر لصاحبة الجلالة السابقة . والتى بدأت تمارس

الرسم لتساعد نفسها .

ولم يكن شقيقات فاروق ، باستثناء فتحية أفضل من الملكات السابقات ، حيث صادر رجال الثورة قصر فايزة رغم العلاقات القوية لفايزة مع السفارة الأمريكية (حيث كانت الأكثر تأمركًا فى العائلة) واستطاعت الهروب من مصر إلى باريس .

وشاركت أسرتها فى شقة صغيرة ، كانت مقرًا لبنك فى الماضى . . وحاولت هى وزوجها بيع ست قطع من المجوهرات الثمينة كانت قد حصلت عليها من مصر . ولكنها فشلت . ثم انتقلت إلى كالفورنيا لتلحق بأمها وشقيقتها .

وقاضت الأميرة فوزية رجال نجيب لمصادرة ٦٠٠ ألف دولار قيمة مجوهرات ، ادعت أنها حصلت عليها من الشاه وليس من فاروق ، أى على الأقل ليس عن طريق العائلة المالكة المصرية ، ولكنها خسرت القضية . ولم تمكث فى مصر وكذلك فعلت فايقة . فى مصر ، لقد ظلت فى دائرة الضوء تمامًا « كعدو الشعب » واستمرت المحاكمات على مرأى ومسمع من الشعب . واستمرت محاكمات أعداء الشعب ، واشترط كل محام طلب للمرافعة ، ضرورة أن يوضع حد للقصص الفظيعة لهذه المملكة فى المنفى . وقال عباس حليم : إن فاروق كان عاجزًا ومخنثًا ، وتحدث كريم ثابت عن عُقد فاروق الشاذة وقبوله الرشاوى من اليهود . ووصف على ماهر فاروق بانه بخيل ومحب لجمع المال ولا يعرف أكثر من ذلك . وكان يحول المذكرات الملكية المعروضة عليه للنظر فيها . . إلى سكرتيره الخاص والذى كان أفضل من فاروق نفسه . وقام على ماهر بنفسه بوضع مصنفات لمجموعات من الكتب تتعلق بالمشكلات الاجتماعية وأمر بإحضارها لفاروق من اكسفورد وكامبردج ، ولكنه لم يفتح الكتب على الإطلاق .

وتحدث الدكتور النقيب عن رحلاته بالخارج بحثًا عن أكثر الممرضات الأجنبيات جمالًا فى العالم « لحجرة الطوارىء » الخاصة بفاروق فى الاسكندرية .

وفى المحاكمة . . أدلى بشهادته عن السلوك السيىء لهيئة التمريض المنتقاة من

كل أنحاء العالم وإهمالهم لواجبهم ، ووصف المدعى العام الخدمة الطبية فى هذه المستشفى قائلًا « إنها مستشفى ليست للمرضى ولكن للدعارة » .

ووجه الكثيرون إتهامًا يتعلق بقتل فاروق لزوج إحدى عشيقاته قسرًا ، وكان ضابطًا بالجيش ، عندما أمسك بالملك فى حالة تلبس بالفعل الفاحش مع زوجته .

تم حظر فيلم كوفاريس قانونًا فى مصر . لأن نيرو ص بطل الفيلم يذكر فاروق بنفسه إلى حد كبير جدًا .

والآن ، نال الفيلم تصريحًا بالعرض . وأصبح الفيلم الأول فى دور السينما بالقاهرة ، محققًا نجاحًا ملحوظًا . وعندما ظهر بيتر أوستينوف على الشاشة فى دور نيرو ، هتفت الجماهير : « إلى كابرى ، إلى كابرى » وكجزء من الحملة الناجحة ، وافق اللواء نجيب على تقديم مساعدة لفيلم « عن فاروق » يتضمن هجومًا مباشرًا عليه .

وكان الفيلم الضربة بعنوان « مملكتى فى سبيل امرأة » ، ومخرج الفيلم جيرجورى راتوف . . نفس الرجل الذى نال ميمى ميردت ، التى ألهبت خيال فاروق فى صيف ١٩٥٠ والتى تعاقدت مع هوليوود وموّل والدها أفضل الأعمال وفقًا لتقاليد هوليوود .

وأنكر راتوف وبعنف . . وطبقًا لتقاليد هوليوود أيضًا . . أن الفيلم يعنى فاروق قائلًا . . إذا سألتنى رسميًا ، هذا الفيلم عن فاروق ؟ سأقول لك : لا . ووصف القصة بأنها قصة شاب ملكى وسيم مدلل ومستهتر مولع بالنساء والقمار .

وإذا رأى العالم فاروق فى شخص البطل ، فإننى لا أستطيع أن أفعل شيئًا .

بخلاف أعمال أخرى كان يقوم بالبطولة فيها ، الكوميديانة الانجليزية كى كاندال ، والراقصة سامية جمال حيث كانت تلعب دورًا آخر يشهر بفاروق فى فيلم ، من إنتاجها . بينما سيدنى شابلن . . إبن شارلى شابلن . . يلعب دورًا لضابط إنجليزى

فى ثلاثية كى كاندال . وكانت فيها شخصية الملك تحت اسم . . الملك عبد الله . . وحاول راتوف أن يعهد بدور لأورسون ويلز . وعندما رفض ويلز ، أطلق راتوف لحيته وأخذ الدور لنفسه . وأصبح يلعب دورًا مزدوجًا ، الممثل والمخرج . ومنح اللواء نجيب راتوف تصريحًا بالدخول إلى غرف وحمامات قصر عابدين ، وأيضًا على ظهر المحروسة . وكان محظورًا أن يجرى التصوير بالطربوش الأحمر ، أو فى الأهرام أو أن يُشار إلى محمد نجيب نفسه أو للضباط الأحرار والجيش . ويمكن لراتوف أن يذهب لأى مكان ولأى شىء . ولكن ما ظل راتوف مصرًا عليه : أن القصة لإنسان غير حقيقى وفى بلد غير حقيقى .

وإذا حدث ذلك فإنه محض صدفة درامية ، حيث توجد بعض التشابه الملحوظ مع الملك السابق ، الذى يعرف الجميع قصته الأسطورية . وانتهى الفيلم أوائل ١٩٥٤ ، ولسبب ما لم يعرض الفيلم فى أى مكان . ربما ، كان ذلك راجعًا إلى اليد الطولى لمحامى فاروق كارلو دى إميلليو . والذى لم يكن محظوظًا فى منع المزاد العلنى على متعلقات فاروق الثمينة ، ولكنه وعد بمقاضاة أى شخص أو مشتر ينال من ممتلكات فاروق ويحملها إلى الخارج . ويخيم شبح حضوره المشهود فى قضايا القذف على نطاق العالم كله ، على فيلم . . مملكتى فى سبيل امرأة . . وخشية أن يقوم بمقاضاة موزعى الفيلم ، الذين طار لبهم .

وفى روما . ظل فاروق على حسه الفكاهى . يمكن أن يتعامل مع أى شىء إلا أن يكون وحيدًا . ولم تكد ناريمان تتركه ، حتى بدأ فى الظهور مع أنواع مختلسة من بنات الهوى ، عارضات الأزياء ، والممثلات . كانت هناك : البلجيكية الطائشة : جابريل ويج ، عارضة الأزياء . المجلجلة ، وفتاة العرض مارجريتا جيرجستون ، وجريتا جاربوسك الفاتنة وفتاة الملهى الليلية السمراء القوية ، التى تستطيع أن تثنى قضيبًا من الصلب بأسنانها . . وكان الملهى الليلى ، يلقبها بأنها الفتاة ذات الموهبة الأنثوية المدهشة ذات والدلال .

ولكن هؤلاء كلهن ؛ جميلات محترفات ، ولكن ما يشد فاروق هو البراءة

والسذاجة . وافتقد ناريمان نهائيًا بعد أن عرف أنه لا يستطيع أن يبارى التحالف المزدوج المكون من آل صادق (ناريمان ووالدتها) واللواء نجيب . فلم يحاول أن يعيدها إليه . وحاول أن يعوض نفسه عنها بفاتنة فى السادسة عشرة من عمرها ، عثر عليها فى كابرى ، تُدعى إيرما كاييس منتيللو . . وقبل أن يستقر مع إيرما كعشيقة ، استعرض عددًا آخر من المرشحات من المراهقات ، لاختيار واحدة تصبح ملكته الجديدة أو على الأقل « وصيفته » .

وقد سجلت واحدة منهن خبرتها فى بلاط فاروق ، فهى فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها . سويدية تدعى ، بيرجيتا ستيبرج ، كتبت عن ذكريات حضورها فى سن الإدراك إلى باريس وروما والريفيرا فى أوائل الخمسينيات ، فى أول كتاب لها إلى رحلة فى أوروبا . . ولقد استمرت فيما بعد فى الكتابة حتى وضعت ثلاثين كتابًا . وأصبحت واحدة من أكثر المؤلفين شعبية فى السويد .

وفى صيف سنة ١٩٥٧ ، كان لديها رغبة صبيانية لتتعلم الحب والحياة بالممارسة .

وقبل أن تلتقى بفاروق ، كانت برجيتا على علاقة مع قائد العالم السرى فى روما ، الأمريكى . . شارلز . . المعروف باسم لو شاينو .

والذى نفى من إحدى المدن الإيطالية إلى أخرى فى عام سنة ١٩٤٩ . وكان مقيمًا فى نابلى والتقى مع فاروق فى « جراس فيلدز » وصارت بينهما صداقة . فهما متطابقان . كلاهما منفى ، وكلاهما عرف السلطة والنفوذ الجامح ، وكلاهما يحب النساء الجميلات .

وتولى لو شاينو حماية حياة فاروق فى مناسبات عديدة . حيث كان لعبد الناصر جواسيس يراقبون فاروق ويكتبون له عن كل تحركات الملك السابق ، كان عبد الناصر متأثرًا إلى حد جنون العظمة بمفهوم « أن القوى الأجنبية ستتحرك ضده وتعيد فاروق إلى عرشه » .

وإذا لم يمت فاروق أو يذهب تماما ، فإن الطريق لم تنقطع تمامًا . . ولم يرد عبد الناصر أن يرى الغرب يستعيد العرش للطفل فؤاد . والذى يراه دمية بأيدى الغرب وليس عاهلًا شرقيًا . .

وكانت المعضلة ، كيف يمكن قتل فاروق ، فالمجازفة فى حد ذاتها صعبة ، حيث لدى فاروق حراس ألبان ، وكذلك رجال الأمن فى إيطاليا وأصبحت المحاولة مستحيلة ، عندما أصبح لو شاينو الأب الروحى للملك .

فهو يعرف كل مجرم فى إيطاليا ، وعلى اطلاع كامل بأسرار كل مؤامرة . مما حال بين عبد الناصر وكل محاولاته تجاه فاروق .

قابل لو شاينو بيرجيتا ستبرج وشدته مميزاتها . أما هى فقابلت وكيل شركة سياحية أمريكى – صقلى الأصل – وتأثر بمهاراتها اللغوية وعرض عليها عملًا فى مكتب الشركة فى نيويورك ، وأعطاها تذكرة مفتوحة إلى نيويورك ، ومقرًا للإقامة فى بيونس أيرس ، واحتفظ بجواز سفرها وعندما قابلت بيرجيتا لو شاينو أخبرها : أن الرجل تاجر للرقيق الأبيض وأن المقر الكائن فى جنوب أفريقيا هو المقر الدائم لهذه التجارة . وأعاد لوشاينو إلى بيرجتيا جواز سفرها . وظلت شاكرة لصنيعه ورأى فاروق بيرجيتا مع لو شاينو .

وعندما لمحها فاروق مع صديق دبلوماسى فى السفارة الأمريكية يدعى دونالد بيلر ، ذات ليلة ، فى مقهى فى فيا فينتو via ventu ، دعاهما فاروق للتعارف رسميا ، مع بقاء الحراس الألبان مصطفين بجواره حيث كان وحيدًا يرتدى بدلة بيضاء . ويلف عنقه بفوطه سفرة لحماية ملابسه من المكرونة الأسباجيتى ، والتى يلطخ نفسه بها دائمًا . ونهض واقفًا .

وسحرت عيناه الجميلتان برجيتا ، حيث لم تفارق الأبهة الملكية وجه فاروق على الإطلاق . وشكرته لأنه لا زال يذكرها . وحكت له أصل علاقتها مع لو شاينو . وتركهما بيلر معًا . وهبط إلى فيا فينتو ثم إلى السفارة . وتحدث فاروق مع برجيتا

عدة ساعات . ثم نهضا . . وكذلك نهض الحراس الذين لم تلاحظهم إذ كانوا فى ركن المطعم . وأخذها فاروق فى واحدة من سيارتين مرسيدس (ضد الرصاص) كانتا تنتظران بالخارج ، واحدة له ، وأخرى للحراس . وألقى بها أمام فندقها دون قبلة أو همسة وداع .

ونظم فاروق مع لو شاينو ترتيبًا خاصًا . فلم يكن يظهر بصحبة الفتاة السويدية . . حتى أمام خدم الفندق الذى اختاره . . وهو فندق إكسلسيور . . فى فيا فينتو . فلم يرد أن يلاحظه أحد من النزلاء مع بيرجيتا . ولذلك ظل بعيدًا عن الأضواء تمامًا .

وأمر حراسة بأن يخطفوا الكاميرات من أصحابها ذوى حاسة الشم القوية للفضائح . ثم يبيعوا أفلامها بأسعار تفوق أسعار مجلات البلاى بوى . وأحيانًا كانوا يبيعونها لأصحابها أنفسهم .

وقال فاروق لبرجيتا : انه يحبها لأنها تذكره بناريمان ، وضحك فقالت : لأننى عذراء مراهقة . وضحك مرة أخرى .

ولكن الفتاة السويدية كانت أكثر إقدامًا من الملك ، ففى كتابها وصفت المرة الأولى التى مارسا فيها الحب ، وقالت : « إننى أفعل هذا مع ملك لعشرين مليونًا من البشر ، هذا الملك البدين واللطيف . . إنه واحد من رموز السلطة والثروة فى العالم » .

وأبدى فاروق أمام بيرجيتا كراهيته الواضحة لوالدة ناريمان ، أكثر من الضباط الأحرار .

وكان فاروق يتحدث باستمرار عن ناريمان بشوق ، وكان يقارن بينها وبين بيرجيتا . وعلى حد قول بيرجيتا . . كان فاروق أى شيء ، إذ كان عاجزًا ، فإنهما لما مارسا الحب لم يهتم أبدًا بمتعة بيرجيتا . ويبدو أن فقدانه العرش جعله غير مهتم ، حتى جنسيًا – بالآخرين . وبعيدًا . . عن دهشة بيرجيتا ورغباتها الغرامية ، فإن الملك

المضطرب « فاروق » كان أكثر ما يزعجه هو انتظامها فى تدوين مذكراتها اليومية والتى غالبًا ما كانت تكتبها على عجل فيما بين أوقات ممارسة الحب . وتقول بيرجيتا : وهو دائمًا يسأل . . ماذا أكتب ؟ ولكننى لم أعرض عليه ما كنت أكتب ، فليس فاروق هو الشخص الذى أقول له كل ما أكتب .

وكانت لدى بيرجيتا رغبة فى الموسيقى ، وهى سمة العصر . ودفع فاروق تكاليف دروس الغناء وكانت ثلاث مرات أسبوعيًا . وعندما حصلت على عمل للغناء – فى أحد الأندية بالقرب من ميدان روما القديمة يتعامل مع الكثير من السياح القادمين من الدول الاسكندنافية .

كان فاروق يجلس على منضدة خلفية لتحيتها كما يفعل الكثيرون ومثلما يفعل الرجل مع من أحبه . . وكانت الرعاية الملكية حافزًا وسندًا هامًا لبرجيتا . . والتى كانت تحب أن ترى بعض الصور لها مع الملك فى الصحف .

وحدث ذات مرة أن شاركت بيرجيتا ولدين فاسدين – من أمريكا وكان اسمهما تشوك وبروس ، فى حجرة فى فندق رخيص بالقرب من محطة السكك الحديدية . فدفع لهما فاروق فاتورة الفندق ، وكذلك تكاليف دروس ركوب الخيل . وأراد أن يأخذ بيرجتيا بعيدًا عن التأثير السىء لزميليها .

وقد عارضه الولدان كثيرًا ، ومع ذلك أمر فاروق سائقه أن يأخذها إلى فيلا ديسميتDusmet لقضاء الليالى معه .

وأحب فاروق أن يلقى بنكات سخيفة مثل : هل سمعت عن نخلة بلح تقول لأخرى . . هيا نصنع بلحًا [أى نمارس التلقيح] . وسألت بيرجيتا : هل هذه نكتة مصرية ؟ وهز فاروق كتفيه مستهجنًا .

فى فيلا فاروق وفى جناح خاص ، حيث لم تر بناته ، وقد خدمها الخدم دون أن يروها . وأحيانًا كان فاروق يحمل بزهو « الملك فؤاد » والذى كان يلعب تحت سترته ، ثم يعيده إلى مربيته ، ويستأنف مداعباته مع بيرجيتا . وبعد ذلك يذهب فاروق

إلى حمامه . وفى ذات مرة تجسست عليه بيرجيتا ووجدته ساجدًا على سجادة الصلاة . . ولم تذكر له ذلك ولم تجعله يعرف أنها رأته يتعبد .

وكان من النادر أن يغادر فاروق وبيرجيتا غرف النوم . وكان غالبًا يحضر لها هدايا : زهورًا ، خواتم أو حلقان ، أو علب الكعك بالسكر والبودرة ، المصنوع على الطريق المصرية [الكعك الناعم] والتى كانت تخاف وتنزعج منه خشية أن تصاب بالتسمم . فادعى فاروق أنهما هبة العالم الملكى الإغريقى ، يضرهما شىء . وزجر فاروق بيرجيتا على سلوكها السيء ، وهو مص أصابعها ، على الطريقة المصرية ، بعد أكل الكعك .

وحاول فاروق أن يبعث السرور على نفس بيرجيتا عن طريق بعض الحيل السحرية ، فكان يخفى ولاعتها ، ويلتقط محفظتها ، ويأخذ ما بداخل جيوبها ، حينما تكون مرتدية ملابسها . ولأن تلك هى كل اهتمامات فاروق فإن بيرجيتا وجدت الفيلا كئيبة ، تبعث على الملل ، يسيطر عليها أجواء الأماكن المغلقة بشكل جنونى ، خاصة الحديقة ذات الأشجار العالية الارتفاع والكثيفة الفروع ، ونباح الكلاب المسعورة التى تحيط بالحديقة . وازداد هذا الشعور عندما أصبحت إيرما كاپيس مونتيللو ، العشيقة الرسمية لفاروق ، وفتر إهتمام فاروق مع بيرجيتا . .

وكتبت لأمها تحكى قصتها مع فاروق « إننى ذاهبة إلى حفلات الشاى مع فاروق ويسيطر علىّ الخوف من أن أصبح يومًا غانية فى الشوارع الخلفية غانية لا يهتم بها أحد .

وعندما منحها فاروق سوارًا من « الماس » كجائزة مواساة وعرض عليها أن يصحبها فى رحلة عمل إلى سويسرا كسكرتيرة خاصة له . رفضت طلبه .

ووصفت ليلتها الأخيرة مع فاروق فى أحد مطاعم روما وطريق عودتها إلى جروتا فرتيا .

قلت له : لست سكرتيرة .

واعترف فاروق : لا أحد يصدق ذلك ، خاصة إذا كنت معى .

قلت : وعلى أية حال ، فإنه من الشرف أن أكون فتاتك .

وكان فاروق يعامل كل الأشخاص بمساواة . إذا كان بائعًا فى متجر أو جنرالًا . وسألت : ماذا عن إيرما ؟ . . إنها شىء آخر ، وقلت : السويسرية لا تشبه الإيطالية .

قال : معى تستطعين الاستمتاع فى أى مكان . . يمكن أن نذهب إلى دوفز ث . . . إنك قلت إنك لن تعودى حيث حماقة وجنون والدتك . . تعالى معى .

وخلعت السوار لأن به كثيرًا من التشققات .

قال فاروق : احتفظى بها ، أيتها الحمقاء . إنها لك . وبدا حزينًا .

قلت : يجب أن أقف على قدمى بنفسى ، ولكن نستطيع أن نكتب الخطابات .

وكتب فاروق العنوان . وقال : إنه عنوان فى روما وليس فى جروتا فروتا . وكنت أدرك كل شىء عن إيرما . . وقال : لا مقالات فى الصحف ، لأن ذلك ضار جدًا . . إننى لن أنشر شيئًا من ذلك . . ووقع فاروق الفاتورة وغادرنا المطعم .

وفى المقعد الخلفى للسيارة . . أسفت لأننى قلت لا لسويسرا ؟ ، ولا لكل الحياة الملكية .

وعندما اقتربنا من الفيلا . .

قال فاروق : هل قررت ؟

قلت : سأفقدك وأفقد الحياة معك .

قال : أتعتقدين أن هذا شىء هام لى ؟

ولم أجب ووضعت يدى على ركبة فاروق .

وكان فاروق يطلب فتاة فنلندية . . كأجمل هدية وداع . . كانت وصيفة لعمتى . . قلت : وإيرما . . وكان اسم الفتاة الفنلدية أرمى كوسيا .

قلت : أستطيع أن أكتب لها وأقول إنك شيق ومثير .

قال : هل أنا كذلك حقًا .

ووصلت السيارة ، ونبحت الكلاب . وقدم الخدم الفاكهة ، وكانت الليلة أجمل وأحسن ما يكون .

وبعد أن عادت بيرجيتا إلى السويد ، أسكن فاروق إيرما بدلًا منها فى فيلته . . وكان يدعوها المركيزة . . فى إشارة واضحة المغزى إلى مملكتها الارستقراطية فى نابولى . .

وأنفق فاروق مالًا لتتعلم إيرما الغناء والإتيكيت والرياضة فعل ذلك فاروق مثلما فعل من قبل مع ناريمان . . من أجل أن ترفع إيرما مستواها المعنوى والأدبى وتدافع عن لقبها « الإسمى » فقط .

وتخلى فاروق ، على الفور ، عن فيلته الكئيبة . وهو ما كلفه خمسين ألف دولار سنويًا ، قيمة الإيجار عن شقة تقع بالقرب من حى أرشميدس وبالقرب من تمثال إقليدس ، فى أكثر المناطق خضرةً وهواء فى روما . واستأجر أيضًا فيلا ضخمة خارج مدينة لوزان ، وأرسل إليها أولاده الأربعة مع المربية آنى شيرمسيدAnne chermsid والمعلمة مدموزيل تابورت ومعهم واحد من أكثر حراسه ثقة ، عيد رستم ، [٥٥ عامًا] . والذى لا يزال ذا هيبة وبأس مخيفين . وعبد رستم هو الذى وفر الحماية الكاملة لحياة فاروق . وشعر فاروق بالاطمئنان عندما ترك عائلته مع عيد رستم .

والشخص الذى لم يكن فاروق يثق فيه هو أمين فهيم . وبعد أن قام فيهم بتصرف أحمق مع الفتاة ذات الأربعة عشر عامًا الأميرة فريال . . أطلق فاروق عليه الرصاص

على الفور .

واستبدل فاروق ، بفهيم ، لوتشيان جالس Lucien Gallas ، الشخص الوسيم والشبيه بفهيم ولكن أكثر قوة ونضجًا وكان ممثلًا فرنسيًا . . على نمط « الفتى الأول » . وعقد صداقة مع فاروق وهو فى سن الثامنة عشرة فى أول رحلة إلى أوروبا مع والدته وإخواته عام ١٩٣٨ .

ودعا فاروق « جالس » إلى القاهرة . . الذى زارها عدة مرات . وعندما جاء فاروق إلى المنفى . كان « جالس » فى روما يحاول أن يكون صاحب ثروة ليغزو هوليوود . وكان من الصعب عليه أن يجد أدوارًا جيدة . وغير من خطط حياته . . ولعب دور دبلوماسى فى المنفى ، وأصبح السكرتير الصحفى لفاروق (أى رجلا بلا عمل . .) .

ومع وجود أطفاله آمنين فى سويسرا ، استطاع فاروق أن يلعب مرة أخرى دور . . أعزب القرن الوحيد . . رغم أنه كان يصطحب إيرما فى رحلاته ، فى سيارته الرولزرويس « الكارفان » أو سيارة النوم الضخمة الخاصة . وأخذها إلى صديقته القديمة هونتشيل وايلدر ، والتى أصبحت الآن أميرة فى قلعة زوجها بالنمسا . وأصبحت تلك القلعة « نادى المليونيرات » .

وظل فاروق يفضل معشوقته الأخرى باربرا سكيليتون ، ودعاها إلى روما . . وقضى منها وطره فى « جلسة غرام » . وبينما فاروق يتسلل إلى فيا فينتو بحثًا عن فتيات هوى جديدات . أرسل لوشيان ليقتفى أثر إيرين جينويل والتى تزوجت ثلاث مرات بعد أن تركت « فاروق » أثناء الحرب . ورتب « جالس » صفقة بيع لسيارة إيرين لفاروق وكانت السيارة تخصها وزوجها البرازيلى ، قطب الصناعة البارز كارلوس جينويل . ولم يستطيع أن يرتب أكثر من ذلك .

وتعلق فاروق بها لأوقات طويلة وأقام فى شقتها . لكنها لم تشجعه على شيء أكثر من عصير البرتقال .

كان فاروق بالنسبة لها ذكرى سيئة . . وبدأ فاروق يحس بخيبة أمل .

كان فاروق يقوم وبصحبة « جالس » فى رحلات إلى أوروبا ويترك إيرما فى المنزل لدروس الغناء .

أحب فاروق باريس ونزل فى فندق رويال مونتيكيو والذى يقع بالقرب من قوس النصر . وقضى وقته بحثًا عن فتيات جديدات وانغمس فى البحث عنهن فى البيجال وزيارة بيوت الدعارة سيئة السمعة فى شارع ١٢٢ حيث يقيم الموائد المفتوحة « البوفيه » وحوله ١٢ فتاة باريسية لقضاء الليل الذى لا ينتهى قبل الصباح . وليس هذا فقط . . بل كان ينفق بيذخ على القوادين .

اكتشفت مجموعة مكونة من ٤٠ مليونيرة أمريكية ، كن يقمن فى رويال مونتيكيو في باريس ، وجود فاروق هناك . . وأقمن حفل « كوكتيل » للملك السابق وكذلك احتفلن على شاطىء الريفيرا بـ جارى كوبر Gary Cooper وأردن أن يكون فاروق ميدان المغامرة القادمة لهن ، ولكن « فاروق » أمرهن بالنهوض ومغادرة المكان . .

واعترف فاروق أمام المبشر الإنجيلى بيل جراهام والذى كان فى نفس الفندق .

وطلب أصدقاء جرهام منه . . أن يقابل « فاروق » ويحدثه عن اليسوع وطرق أحد مرافقى جراهام باب حاشية فاروق ووجهوا « دعوة الخلاص » إلى « جالس » . . الذى أرسل بعد ذلك ملاحظة مدونة مكتوب فيها « إن الملك لا يمكن أن يرى جراهام لا الآن ، ولا غدًا ولا فى أى وقت آخر من أجل الهداية » .

أما أصدقاء فاروق فى باريس ، فكانا الأمريكيان جيم وماجى نولان . كان جيم نولان Jim Nolan . . رئيس العلاقات العامة لشركة الخطوط الجوية العالمية T.W.A فى أوروبا التى افتتحت خطًا مع القاهرة . وزوجته ماجى كانت معروفة فى عمليات صناعة نجوم السينما وذوى الشهرة ، ومساعدتهم فى تحقيقها عندما يطلبها أولئك النجوم .

وكانت باريس تختلف تمامًا عن روما المراهقة . وتذكرت ماجى نولان أنها خرجت

فى رحلات طويلة مع جارى جرانت فى الشانزليزيه . . ولم يلاحظها أحد أو يلتقط لهما صورة أو يطلب توقيعًا على أوتوجراف .

كان فاروق يمزح مع ماجى متحدثًا عن أهميته ونفوذه المنهار والآفل والتى تقاس بنوع وعدد السيارات ، فى رتل سياراته . التى توقفت أمام منزل نولان . . [كانت سياراته الأخيرة طراز فورد] . . ولم توافق نولان على كل مواعيد فاروق .

وكان البديل . . كونتيسة روسية مزيفة وعاهرة . أخذها فاروق إلى أحد المطاعم الفاخرة من مطاعم تلك الفترة « الجراند لوكس » .

وكان الحلو بعد الطعام . . كيك بالشيكولاتة . . مزينًا بالكريمة على شكل طيور ، فأشعلت الكونتيسة عود ثقاب وأحرقت الطيور واحدة تلو الأخرى . إنها إمرأة بحاجة إلى تربية وتهذيب .

ورحب آل نولات بإيرما . . عندما جاء بها فاروق . . وخرجوا جميعًا إلى النوادى الليلية المفضلة عند فاروق فى البيجال وهى كازانوفا وموسينجور شهر زاد . وأخذت إيرما تغنى على أضواء الشموع ، وعزف الكمان المتجول بعد إصرار فاروق وغنت « كاترينا » وألح عليها آل نولان لمرات عديدة كى تفعل ذلك . . وبدأ فاروق يخطو تجاه الجمهور ويقدمها للجمهور .

* * *

. . واتجهت أنظار العالم نحو فاروق . . عندما بدأ يدق « رجل المزاد » معلنًا فتح باب البيع لمجموعات القصر الملكى فى مصر فى صيف ١٩٥٤ .

وعقدت المقارنات بين هذا المزاد وتلك المجموعات مع مجموعات القصر الملكى البريطانى ١٦٥٣ ، أو محتويات قصر فرساى فى أعقاب الثورة الفرنسية ١٧٩٣ . . وعرض أحد هواة المزادات أن يطير فى رحلة عاجلة إلى القاهرة من لندن لهذا الغرض والحكومة فى دهشة لهذا الأمر . . إذ كيف ينفق شخص خمسة

آلاف جنيه مصرى لحضور المزاد . للمزايدة على مجموعة « الصور الجنسية الأسطورية » والتى لا يمكن تعبئتها فى برامج مصورة أو مسموعة .

وعقد المزاد فى قصر القبة . وقد وصفه البعض على النحو التالى :

« بدا قصر القبة أفضل ما يكون . . فى تلك المناسبة . الساحات الخضراء فى الخارج نظيفة . . فى الوسط الزهور الحمراء المتوهجة . وتحلق الضيوف فى حلقات نقاش حول المشتروات وكانوا يرتشفون المثلجات الموضوعة فى الأكواب التى تصدر أصواتًا لرنين الثلج فيها .

خدم القصر بالطربوش والجلباب الأبيض . . فرقة موسيقية تعزف مقطوعات فالس فى الحديقة . أثناء عملية البيع . . بذلت هيئة الإشراف . على البيع جهدًا كبيرًا لتجعل المجموعات الثمينة سهلة ومريحة لمن يريد الشراء .

ورغم أن الأمر كله ، كان شبيهًا بعملية بيع لمنزل ريفى فى جو عادى وتقليدى . . فإن أحدًا لم يستطع أن يهرب من الانطباع بأن الحدث له مغزاه الأعمق وهو « نهاية أسرة » .

ولم يتحدث أحد فى عجلة . . وبعد الظهر . . وبينما يستريح خبراء المزاد رجال [قصر القبة] فى صالة المدخل الرخامى الواسع . . فجأة ظهرت شخصية يبدو عليها الوقار كان صاحبها يرتدى زيًا أبيض مصحوبًا بثلاث ضباط فى أعلى السلم . . إنه « فاروق » . وركع المصريون على ركبتهم . . بينما تعجب الإنجليز . وزال الخوف والهلع . . عندما ضحك [فاروق] : انه جريجورى راتوف يرتدى هذا الزى لتصوير فيلمه . . السيء الحظ . . « مملكتى فى سبيل امرأة » . .

وبعد شهرين أغلق المزاد وحقق ٧٥٠ ألف جنيه مصرى مما أصاب الضباط الأحرار [ناصر ونجيب] بخيبة أمل حيث توقعوا الملايين وعزوا الأمر لتساهل رجال فاروق . . ولكن – فى الحقيقة – كانت الأسعار مرتفعة .

كان فيكتور هامر وشقيقه نايكون أرماند هامر وكيلى فاروق فى عمليات الشراء ،

فاشترى له طائرة نفاثة علك تحطمت فى الصحراء عندما أخذتها باربرا سكيلتون فى رحلة . ودفع ثمنًا خرافيًا أربعة أمثال ما دفعه فى مرة سابقة ثمنًا لطائرة من نفس النوع منذ أعوام قليلة . وصف أرماند [فاروق] . . بأنه رجل يعامل العالم كما لو كان حجرة شخصية خاصة به والأشياء التى بداخلها هى لعبه الخاصة . .

وكان آل - هامرز - الأمريكيان الجنسيان - [روسية أصلًا] على صلة وثيقة بالكرملين . ومسئولين عن بيع بعض الكنوز القيصرية الأصل التى بحوزة فاروق . . مثل : مجوهرات آل رومانوف ، وبيض الأوز المصنوع من الأحجار الكريمة . . ومجموعات الساعات المختلفة الأنواع . . وثقالات الورق ، والوسادات التى لا يحصى عددها . والسيجار المتفجر [نوع من الخدع] والقبعات السحرية التى تخرج منها الأرانب . والصناديق التى يظهر منها نصف سيدة فقط . . ومنح فاروق الاسم والشعار الملكى [الخاتم] تحت اسم : موردى صاحب الجلالة الملك] . والذى استخدمه آل هامرز فى رءوس الخطابات لتلميع « صورتهما » وكان آخر طلب لفاروق قبل طرده ١٩٥٢ برقية تقول : « اشتريا لى مصنع لدائن صناعية] [المعروف باسم الراتنج] واستجابا لطلبه والطلب الثانى « بخط يده » أرسلا لى قصاصات من بعض المجلات السينمائية . وخاصة « آناتيرنر » وذلك لم ينفذه آل هارمز . وكثير من الكنوز التى زودوه بها . . تم سحبها من المزاد نظرًا لعائدها الضعيف .

كان كارل دي إيميللو يقوم بعملية شوشرة ولغط قانونى مثير للخوف . . ولم يكن هناك أى مشتر مصرى على الإطلاق فى أى مزاد . مع الوضع فى الاعتبار . . المناخ السياسى الراهن . . فمن هو الشخص الأحمق الذى يود الحصول على شيء من الممتلكات الملكية السابقة بأسعار مالية ضخمة .

وكان المزاد المتعلق بمجموعة طوابع البريد من أكثر المزادات نجاحًا ، وخاصة [خطاب الرومانى المسجل فى عام ١٨٥٨ . وكان سعره الذى بيع به فريدًا للغاية .

وكذلك مزاد مجموعة العملات [حيث كان لدى فاروق مجموعات فريدة] .

وعند تسجيل كل سعر لسلعة ما . . فإن الضباط بزيهم الرسمي في آخر القاعة يتصايحون ويقرعون الموسيقى . . فرحًا وبهجة . مذكرين الزوار الأجانب : من يريد الزيادة ؟

ولكن تضاءل هذا المرح الظاهرى – عندما جاء الدور على المجموعات الأخرى . . علب السعوط [النشوق] الذهبية ، الآلة السويسرية ذاتية الحركة . . بعض المعادن النفيسة الأخرى . . حيث هبط السعر بشكل غير متوقع مما دفع نظام عبد الناصر لاتخاذ قرار بعدم دفع عمولات الوكلاء التجاريين على الإطلاق . . وتم رفع قضية دولية عاجلة . .

ووصفت الصحافة البريطانية عبد الناصر بأنه « الضربة القاضية » لوادى النيل وربما لم يحب الناس « فاروق » ولكن لم يتهمه أحد بغبائه مع دائنيه على الأقل إلى أن طُرد من البلاد . وعندما قاضت كريستيان ديور ، وهارى ونستون « فاروق » لعدم سداده الفواتير الخاصة بمشترواته من الملابس الحريمى والمجوهرات والتى اشتراها لناريمان . . دافع فاروق فى هذه القضايا . . [أن هذه المشتروات موجودة فى القصر وهى مصادرة الآن . .

كل شيء . . الفواتير المزادات ، وأشياء أخرى ضاعت فى خضم أزمة السويس . انتهى المزاد على مجموعات القصر فى عام ١٩٥٤ .

وكذلك انتهى نجيب الذى ناور عليه عبد الناصر وأقصاه عن موقعه حيث دعا « نجيب » إلى إعادة الأحزاب السياسية للبلاد ، مثل الوفد ، مما جعل « نجيب » فى صورة « الأداة فى يد الباشوات السابقين » .

وتخلص عبد الناصر أيضًا من أعظم تحد داخلى له ، وهو الإخوان المسلمون . بعد أن حاولوا اغتيال عبد الناصر أثناء إلقائه خطابًا عامًا . وأخطأت الرصاصات عبد الناصر ، ووقف منتصبًا أمام الجماهير المحتشدة ودون أن يهتز له جفن قائلًا . « إن عبد الناصر واحد منكم ، فإن مات أو بقى حيًا فإن الثورة ستستمر » .

وأعجب المصريون بشجاعة عبد الناصر ، وأدانوا استخدام الإخوان لأساليب العنف . وقام عبد الناصر بتطهير البلاد من الإخوان المسلمين مثلما طهرها من أسرة محمد على . . ودانت له مصر . .

وأقدمت إنجلترا على إجراء عاجل وحاقد ضد عبد الناصر . وكان إيدين لا يريد جمال عبد الناصر . . محايدًا أو ضعيفًا . . كما أشار عليه مستشاروه وقال : أريده محطمًا . . لأنكم لا تفهمون ذلك الرجل . وكان الرئيس أيزنهاور ووزير خارجيته دالاس يميلان إلى قائد ومفجر الثورة المصرية الشاب . . حيث كان أثيرًا عند جيرفرسون كافرى السفير وعند كيرميت روزفلت رجل المخابرات المركزية الأمريكية إذ أعلن عبد الناصر وبصوت عال جدًا عداءه للشيوعية وذلك كل ما كان يحتاج إليه الأمريكان . ولعبد الناصر أثر فكرى « حقيقة الشيوعية » نقد فيه الماركسية نقدًا عنيفًا وهاجمها . . لأنها تنكر الفرد . . ولكن ما جعل عبد الناصر معاديًا للشيوعية حقيقة هى أنها تدفع بالمصريين ليكون ولاؤهم لنظام أجنبى فى موسكو لا الولاء له .

وعندما التقى دالاس مع محمد نجيب عام ١٩٥٣ قدم دالاس إلى القائد المصرى طبنجة عيار ٣٨ محلاة بالفضة . محفورًا عليها عبارة إلى اللواء نجيب من صديقه دوايت أيزنهاور وخلال السنوات الأولى للثورة المصرية . كانت الطبنجة هى قطعة السلاح الأمريكى الوحيدة التى تم تزويد مصر بها .

وكان ذلك جوهر الأمر عند عبد الناصر . حيث كان مستاءً وساخطًا لأبعد حد . . حيث حوصر عام ١٩٤٨ فى الحرب مع إسرائيل . . وبسبب الغارات الإسرائيلية الناجحة على قطاع غزة عام ١٩٥٥ ردًا على غارات الفلسطينيين ، وتدمير قيادة القوات المصرية العسكرية فى القطاع وقد أثبت هذا للعالم بوضوح قصور الحالة العسكرية المصرية فى عهد عبد الناصر . ومع رفض أمريكا إمداد مصر بالسلاح . . اتجه عبد الناصر إلى الشرق واشترى صفقة أسلحة سوفييتية تقدر بمبلغ ٨ ملايين دولار أمريكى عبر تشيكوسلوفاكيا .

وهاجت أمريكا بسبب ردة عبد الناصر وردت بسحب وعدها السابق بتمويل المشروع العزيز على عبد الناصر سد (أسوان) العالى وكان رد فعل عبد الناصر على ذلك هو تأميم قناة السويس على أن تستخدم عوائدها فى تمويل السد العالى .

وأعلن أنه ، إذا كانت القوى الإمبريالية لا تريد المشروع فعليها أن تندم لحماقتها ، . .

وبالمقابل قرروا أن يجعلوا عبد الناصر يندم على حماقته ، وفى أواخر على ١٩٥٦ شكلت بريطانيا وفرنسا قوات مشتركة مع إسرائيل وخططوا لغزو مصر .

واعتقد فاروق وكان فى روما . . أن يومه السعيد عاد أخيرًا . . ومع أنه ظل صامتًا فى منفاه لفترة ، إلا أنه أعلن فى مؤتمر صحفى أن **، نهاية محنة مصر من الرعب والبؤس بلا شك قريبة جدًا ، ووصف نظام عبد الناصر بأنه ديكتاتورية طاغية . لأنه اعتقل ما يربو على ٦٠ ألفًا من قادتها السياسيين . وأطلق فاروق على الضباط الأحرار وصف ، الطغاة الصغار ، ومصر ، دولة بوليسية ، والمصريين ، شعب أسير ، .**

ومهما كانت أوجه القصور فى الملكية فإن ، فاروق ، تفاخر أن كل شخص على الأقل كان يتمتع بالأمن والحرية وكانت المحاكمات عادلة ، ولم يتعرض المساجين للتعذيب على الطريقة النازية . ورغم العديد من أوجه الظلم والتمييز الاجتماعى . . الذى اعترف فاروق به . . فإن ، عملًا وطعامًا ، كان متاحًا للجميع .

ووصف عبد الناصر ، بالحرباء ، الذى يستطيع أن يعادى الشيوعية ويؤيد الروس كل ذلك فى وقت واحد . هذا الرجل يجب أن يذهب وليحل محله أى أحد .

وكان فاروق فى تلك الأثناء على ما يرام تقريبًا ، فى ذروة أزمة السويس . . وأرسل رسالة سرية إلى إيدين وأيزنهاور والفرنسى ، كوتى ، ت واستهلها بالصيغة الملكية المعتادة . . نحن . . . لا نزال على اهتمام دائم بمصالح مصر العليا .

، . .وبالرغم من عدم الرغبة فى المجادلة والحكم على أمور السياسة فى بلادنا

منذ رحيلنا . فإننا ودون عجب قد أدركنا وتبينّا وتوقعنا التطورات المحزنة التى أكدتها الأحداث الأخيرة . وإننا نعترف بالمسيرة الخطرة لبلادنا واخترنا اللحظة المناسبة لنرفع صوتنا . . عارفين الإنسانية العميقة لبلادكم ولكم . . ونطالبكم أن تحاولوا بكل الوسائل الممكنة أن تتدبروا حلًا سلميًا للمشكلات التى تواجه حكوماتكم من الشعب المصرى . الذى لا يمكن أن يتحمل مسئولية أخطاء قادته وحتى لا يظل إلى ما لا نهاية يدفع دمه ثمنًا لهذه الأخطاء .

وبجهد سرى ومنسق بين إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ، تم التحرك الأول وغزو سيناء من قبل إسرائيل وأعطت بريطانيا وفرنسا لكل من مصر وإسرائيل مهلة لوقف القتال وسحب قواتهما عشرة أميال بعيدًا عن شاطىء قناة السويس .

وإسرائيل لم يكن لها قوات فى أى مكان بالقرب من القناة . وبالطبع ، وافقت إسرائيل ولم يوافق عبد الناصر . وفى ٣١ اكتوبر ، بدأت الغارات الإنجليزية والفرنسية لقصف مصر ، التى أغلقت القناة بالسفن الغارقة وتعرضت أوروبا لنقص فى الوقود .

واشتعل الرأى العام العالمى ضد الاستعماريين القديمين . اللذين يريدان أن يظهرا كمستعمرين جدد .

وكان دالاس يكره إيدين كما يكره إيدين عبد الناصر ، وتدخلت أمريكا ليس حبًا فى عبد الناصر ولكن كراهية فى بريطانيا التى أراد دالاس أن تكون عاجزة ومنهكة العضلات لتحل أمريكا محلها باعتبارها الرجل الأبيض القوى فى الشرق الأوسط .

وكانت النتيجة النهائية ، مكسبًا صافيًا لعبد الناصر الذى حصل على قناة السويس وأمم الممتلكات البريطانية والفرنسية فى مصر وأصبح البطل القومى الأثير لدى العرب لانتصاره فى النهاية وإهانته بريطانيا وطردها نهائيًا من مصر . تلك المآثر التى لم ينجزها أحد من محمد على حتى فاروق وخذلت بريطانيا العظمى ، التى طوت فى السويس ، فاروق ، للمرة الأخيرة .

وانهار السيناريو الذى تخيله فاروق لعبد الناصر والملكية المستعادة لتكون قوى استقرار ونظام فى الشرق الأوسط . كل ذلك تبخر وأصبح بمثابة حلم يقظة .

واحترقت آخر آمال فاروق فى مشاهدة مصر مرة أخرى كملك أو حتى لمجرد سائح .

بمعنى آخر ، فإن « فاروق » احترق كشخص فى نفس الوقت . وكذلك اختفى العالم السحرى الغامض لآخر الفراعنة . وعندما ذهب فاروق إلى كازينو ديوفيل Deauville . . عاد إليه ليصبح متسلطًا فقط فى ساحات المقامرة . وقد طرد من على باب الكازينو لأنه لم يرتد ملابس السهرة الملائمة .

وفى عام ١٩٥٦ حضر فاروق حفل قران جريس كيللى على صديقه الأمير رنيه أمير موناكو و لم يلق « فاروق » الاحترام الواجب هناك . وكان السفير المصرى فى فرنسا ضيفًا أيضًا . ووقع فاروق على سجل الحفل باسم فاروق R . . ويعرف الأمير أن « فاروق » لم يعد ملكًا لمصر . واقترح موظف القصر أنR (ر) ليست خاصة بـ Rio ولكن خاصة بـReno ليحفظ السلام والهدوء فى القصر . وكان رينهRene هو الاسم الجديد الذى اتخذه فاروق ليخفف من غلواء الفضيحة والعار .

و لم يأبه السفير . وترك فاروق المكان هائجًا .

وتوفى الملك ابن سعود عام ١٩٥٣ . الذى اعتاد أن يمد صديقه القديم بمساعدات مالية على فترات حتى يتمكن من استعادة عرشه . . ورأى الابن الصادق ولى العهد فيصل أن تلك الاستعادة غير ممكنة الحدوث . وقال : يجب قطع المساعدة الملكية ، مما أجبر « فاروق » على بيع يخته « فخر البحار » الذى كان تحت الإصلاح فى إيطاليا إبان قيام الثورة وقام بإجراء اتصالات مع بعض الشركات الإيطالية الكبرى ليجد عملًا فى العلاقات الصناعية ورفضت كل الشركات .

والعرض الوحيد الذى تلقاه ، فى ظل حالته المادية الخاسرة والتعبة عرضًا من سيرك

دنماركى ليظهر فى بداية العروض ونهايتها كمدرب أفيال . وأصبح فاروق أقل إسرافًا وتبديدًا .

وتواصلت الإهانات ، ونهض فاروق دفاعًا عن شرفه كما لم يفعل أى شخص آخر . ورفع عددًا من الدعاوى وقضايا القذف . . واحدة ضد متعهد حفلات محترف . ومضيفة تعمل بالأجرة . وإليزا ماكسويل التى كتبت فى سجل ذكرياتها وصفًا للملك السابق هذا نصه :

[رغم وجود أجيال من ذوى القرابة بالحيوانات داخل البيوت الحاكمة فى أوروبا والشرق الأدنى ، والتى كانت دافعًا وحافزًا للجهاد والقتال ضد الخزى والعار . كان فاروق من هذا الصنف الفظيع تحت مسمى الملكية الآتية من القرن الماضى .

وإننى فخورة بأن أقول : إننى جلبت على نفسى عداوته بمجرد أن رأيته فى ديوفيل Deouvell فى عام ١٩٥٠ .

ووجهت إليه برقية ردًا على دعوته لى للقاء معه حملها أحد تابعيه . « إننى لن أجتمع مع المهرجين والقردة وقاطعى الطريق من اللصوص الفاسدين » .

وعرفت أن « فاروق » صرخ كخنزير عندما قرأ البرقية وإننى تمنيت أن أملك فيلًا لأهاجم فاروق وهو لا يزال متمرغًا على عرشه .

وتمنيت أن أظهر فى التليفزيون أوضح كيف ركله المصريون بأحذيتهم] .

وواصلت الكتابة بأن كتبت مقالًا فى النيويورك ديلى نيوز . . قررت فيه أن حديثًا جرى مع السفير الأمريكى المذكور سابقًا « عن أرض النيل المحبوبة وكراهيتها للملك وحكمه السابق » . .

وقاضى فاروق السيدة ماكسويل وناشرها ، فى المحاكم الفرنسية وطلب تعويضًا قدره ١٥ ألف دولار وكسب فاروق دعوى القذف ولكن بتعويض قدره ألف دولار

فقط . وأمر الناشر باقتباس فقرة من حكم المحكمة فى خمس صحف يفضلها فاروق . وحقق الكتاب أعلى المبيعات فى العالم .

وأرسل ب . س .P.S الصحفى من روما تقريرًا عن لقاء مع فاروق عقب انتصاره على اليزا ماكسويل : « قال فاروق إنه يعرف أن العدالة لابد أن تنتصر وكأن دومًا على ثقة فى الفرنسيين وأنهم يتصرفون على نحو صحيح . وكان ذلك كل ما يهمه . إن القضية مسألة مبدأ وعندما سأله هل يمكن هو وإليزا أن يكونا صديقين أجاب : إننا نعيش فى عالم تعلمنا فيه أن الإيمان بعصر المعجزات قد ولى . . وطلب منه الصحفى ضاغطًا عليه : هل تود مقابلتها لمناقشة الأمر ؟

وكرر فاروق : إن عصر المعجزات قد ولى . .

وقاضى فاروق كتابًا آخر فى عام ١٩٦٢ وهذه المرة طلب تعويضًا قدره ٤٥٠ ألف دولار ضد ناشر النيويوك ليل ستيوارتLyle Sturt . . عن كتابها المعنون « المتعة هى حرفتى » . . وهو مجرد تخيل ومحض خيال للقاء مع مدام شيرى ورث بارنس من ميامى وفلوريدا وادعت فيه السيدة أن « فاروق » كان من أكبر الزبائن فى بيت الدعارة الذى تملكه . وهذا وهم ، لأن « فاروق » لم يضع قدمه فى ميامى ولم يفعل ما ذكرت ذلك فى الشأن . ولم يزر الولايات المتحدة لهذا الخصوص وواضح أن ذلك تخيل أدبى محض قامت به الكاتبة .

واستمرت ستيوارت فى النشر عن « القناص السعيد » و« الرجل الشهوانى » و« المرأة الشهوانية » ورفض فاروق السفر إلى أمريكا ورفض محاموه أن يذهبوا إلى أوروبا ولم يتم الحكم فى القضية أبدًا .

ولم تكن كل دعاوى « القذف ضد فاروق » بين دفتى الملفات فكان قادرًا أن يكسب من إنذاره ضد ميازان ميلتون [شركة للشيكولاتة] لأنها اطلقت اسمه على فطيرة . ويظهر فاروق فى صورة مبتسمًا كساحر ثعابين . ورفضت المحكمة الإيطالية دعوى القذف والتعويض بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دلاور لأنه لم يتعرض لأذى مادى وأمرت

المحكمة « فاروق » بدفع مصروفات المحكمة وقدرها ١٠٠ [ألف دولار] .

وانعكست معاناة فاروق على كل العائلة الطريدة .

كان محمد على – فى منفاه فى لوزان ، فى فندق سويسرى – واحدًا من أغنى الأغنياء فى العالم .

كتب سلسلة خطابات لصديقه القديم أنتونى إيدين الذى أخبره « أن التدخل البريطانى سيعيد إليه بعض ثروته .

أجاب الأمير : لا أرى أى نوع من الضرر يمكن أن يسببه التدخل فلقد أخذوا كل ما حصلت عليه حتى ملابسى الشخصية ولا أستطيع الحصول على زوج حذاء قديم ، هذا غير إنسانى .

ويعرف الإنجليز الأمير ويعرفون خمسة أجيال من الملوك الذين كانوا سندًا قويًا للإنجليز ويعرفون أنه كان أكثرهم دعمًا لهم وسط العائلة المالكة المصرية . ومع ذلك طرحوه أرضًا .

وفى مراسلاتهم الداخلية تعجب القسم الأجنبى فى الخارجية « كم هو غامض ذلك الأمير » ، فهو يقيم فى فندق ميرفاج . وهو صاحب السمعة بأنه من أكثر الأماكن غلوًا فى الأسعار فى أوروبا . ولكن يمكن اعتبار أن إقامته فى الفندق أقل وأفقر إذا ما قورنت بمستوى معيشته السابق . .

وبالإضافة إلى ذلك : أن الانجليز اعتبروا الأمر عقيمًا أن يطلبوا أى شيء « خاصة الأموال » لتسهيل الحياة للحكام السابقين ومات الأمير وحيدًا فى لندن عام ١٩٥٦ .

وفى عام ١٩٥٩ ، جعل الأمير رينيه ، « فاروق » صاحب الهيبة الضائعة . . مواطنًا فى موناكو . . ولكن كان هناك مانع وحيد وهو جواز السفر .

ومواطنو الإمارة لا يسمح لهم بلعب القمار فى الكازينو إلا فى حالات استثنائية ، ولم يطلب فاروق استثناء ، حيث ظل فى روما ونادرًا ما كان يغادر موطنه الجديد .

وكان يخته فخر البحار موجودًا فى حوض السفن ، عند أوناسيس وتحول فخر البحار الذى باعه من ذى قبل ليقبع على أحد الشواطىء الخاصة بنادى ليلى فى ريمينى rimini على شاطىء الإدراياتيكى فى إيطاليا .

وذات مرة فى الخمسينات ، وقبل أن تضع الأميرة جريس موناكو على الخريطة السياحية . . كان فاروق مهتمًا بشراء كازينو فى مونت كارلو . . وفى عام سنة ١٩٥٥ كانت الإمارة على وشك الإفلاس .

وكان أرسطو أوناسيس يدير شركة للهو والتسلية . . وقام بإدارة الكازينو ونادى اليخت وفندق مارى وفكر فى السيطرة على كل ما فى الجزيرة .

ولم يصدق أحد أن « فاروق » عاشق القمار وصاحب الثروة الخفية فى البنوك السويسرية هو من يقدم على شراء الكازينو ويظهر كأول المشترين . للجزيرة ذات الوضع المالى المزعزع فى ذلك الوقت .

وتفاوض المصرى المنفى مَع اليونانى الذهبى اللون ، ثم علق أوناسيس تعليقًا جارحًا لفاروق باليونانية بحيث لم يفهم أحد ولكن خادم فاروق (الحلاق) ، والذى هرب من مصر ليخدم سيده القديم . . كان ضليعًا فى اليونانية فالتقط إهانة أوناسيس . وخرج فاروق من الكازينو والمفاوضات .

وأمر أوناسيس السفن بأن تفرغ حمولة من الرمال لتجديد الشواطىء وجدد فندق باريس وبدأ السعى من أجل تزويج الأمير رينيه بما يضيف رونقًا ولمعانا على المكان . . فكروا فى مارلين مونرو ولكن أخيرًا استقر أوناسيس على النبيلة جريس كليلى ، ولم تعد موناكو لسابق عهدها .

ولم يأسف فاروق لخروجه من الصفقة فكان قدريًا يقبل النصر والهزيمة باعتبارهما من إرادة الله .

واستقر فى هدوء وفى حياة مقترنة بإيرما كابيس مونتلليو رغم أنه احتفظ بها فى

شقة منفصلة .

وواصل ارتياد الملاهى الليلية فى روما فى فيا فينتو ولا زال يمارس القمار ولكن فقط (قمار الكرة) وكان يسافر إلى سويسرا من شهر إلى آخر لزيارة أولاده وإجراء الفحص الطبى . . ووجد أن وزنه قارب ٣٠٠ رطل وأراد أن ينقصه بطرق مختلفة بالحد من أكلاته الشهية أو باستعمال الأدوية الأخرى ولم يؤثر فيه ذلك .

فريال ، البنت الكبرى ، أرادت أن تكون طبيبة وقيل إنها الزوجة المنتظرة للملك حسين ، وبدلًا من ذلك انضمت إلى مدرسة للسكرتارية قرب المنزل . واصطحبها فاروق إلى حفلات القران الملكية فى أوروبا آملًا أن يجد لها زوجًا مناسبًا . وفى رحلاتهم وضع فاروق قاعدتين تلتزم بهما أن ترتدى ربطة رقبة من الشيفون الجيد . ولا ترقص الروك أند رول .

وقالت : إننى أفعل كل ما يطلبه بابا منى .

ومكثت أختها الثانية الأميرة النابغة فوزية فى المنزل المؤجر المحاط بالأسوار العالية فى القلعة . وتحملت مسئولية أختها الصغرى والملك السابق فؤاد الذى درس الفرنسية والعربية فى مدرسة القرية القريبة من كالىCully .

وكان صديقه المفضل . . ابن رئيس وزراء الكونغو باتريس لومومبا . وذات مرة اصطحب فاروق ابنه إلى المدرسة فى أيام دراسته الأولى وأجلسه بنفسه فى مقعد بآخر الفصل الدراسى واعتقد الطلاب أنه موظف فى المدرسة فخلعوا قبعاتهم وأدوا له التحية « صباح الخير أيها السيد المحترم » .

وفى عام ١٩٥٥ ، وافق فاروق وسمح لناريمان أن ترى ابنها لأول مرة منذ أن تركته منذ عامين ، وكانت أمها معها ترافقها .

فؤاد ، كان فاتنًا وجميلًا ومجعد الشعر ويشبه إلى حد كبير أمه ولم يتعرف عليها عندما اقتربت منه وأهدته دراجة حمراء اللون تشبه سيارات فاروق الملكية وبعض

الأرانب المحنطة . ثم ناداها « ماما » ثم تعانقا ، والحارس عيد رستم مكث بجانب فؤاد طوال الساعة والنصف التى استغرقتها الزيارة . وكذلك فعلت مربيته التى أكدت لناريمان أن « فؤاد » طفل حسن ويأكل جيدًا .

ورأت ناريمان فؤاد مرة أخرى فقط بينما فاروق على قيد الحياة بعد فشل زواجها الثانى وانتقلت هى ووالدتها إلى بيروت بعد حملة عبد الناصر المخيفة ضد رءوس « المجتمع القديم » التى كانت بالتقريب جزءًا منه . وبدأت تمارس الرسم . والملكة السابقة الأخرى فريدة انتقلت إلى بيروت فى نفس الفترة ومارست الرسم . رغم أن السيدتين لم تلتقيا .

وبناء على طلب صغرى البنات فادية دعا فاروق فريدة لزيارة بناتها فى بداية عام ١٩٥٦ ولا تزال الملكة السابقة تطلق على نفسها الملكة ، وقد رفضت عرض فاروق أن تقيم فى القصر وأقامت فى حجرة فى فندق صغير . وعندما وصلت بناتها إلى سن الزواج كانت فريدة أيضًا مهتمة بالبحث عن الأزواج المناسبين . إنه واجب الأم أن تجد لبناتها أزواجًا يسعدون بناتها . .

وبالتأكيد فإن فاروق ليس الرجل المناسب ليساعدهن .

ولم تفلح السنين فى الحد من غلواء غضبها نحو الرجل الذى جعلها ملكة . فى مارس ١٩٥٣ كتبت الصحف فى القاهرة وباريس أن فريدة قد اقترنت بحبها المتأجج منذ فترة طويلة (وحيد يسرى) وفى القاهرة أنكرت ذلك بسذاجة .

فى ١٩٥٨ . سئلت إذا كانت تفكر فى الزواج مرة أخرى . . فقالت . . ماذا بعد الزواج من فاروق . . لا إطلاقًا . . وكان ذلك ما تعهدت به .

المرأة الوحيدة التى اعتقد الناس أن « فاروق » تزوجها هى إيرما كابيس مونتيللو . . فقد ساعدها فى حياتها الغنائية باستمرار الدروس لها ورتب لها الحفلات فى روما ونابولى وشجعها دائمًا .

وتلقت عروضًا طيبة بالرغم من الضحكات المكتومة لمستشارها وناصحها الأمين . وأخذها فاروق فى رحلاته .

ولكنهم كانوا يميلون إلى أن يكونوا قريبين جدًا فى شاطىء بعيد ، شمال روما .

وأيضًا يذهبون إلى جانكليومJaniculum ذات المشهد الرائع لمرتفعات روما السبع . للاستمتاع بالقباب والأعمدة وقمم المدينة حيث الكآبة والبهاء الأقل والمتلاشى مثل فاروق تمامًا .

ولا زال يلعب القمار « البكرة بعشرين دولارًا » مع بائعى الصحف ، وصبية البارات ودارت العجلة أمام روكفلر فوزع مبلغ عشر دلاورات وكان يشترى الشمبانيا للمناضد التى يحجزها الأرامل الأغنياء من الإيطاليين ولأجل الممثلات على مختلف الأصناف ومن أجل المراهقات اللائى يحللن عليه ومعهن فيالق من الطفيليين . وكانت إيرما تعرف ذلك مما يثير غضبها وانزعاجها .

وليهدىء من روعها يذكرها بأنها سيدته الأولى التى منحها مواهب ذكية . وأعطاها شيكًا مصروفًا على « بنك السعادة » لمدة ٣٦٥ يومًا ووقع عليه فاروق (رى) RE .

وما لم يفقده فاروقَ أبدًا هى طريقته وأسلوبه فى التعامل مع النساء .

محرر من مجلة البلاى بوىPlay boy الأمريكية ذائعة الصيت ، طاف فى فيا فينتو فى جولة استكشافية . وجد « فاروق » الذى تلين له كل فتاة وصاحب الجاذبية الفائرة وصاحب النجاح الذى لا يبارى خلال هوايته المفضلة مع التعامل مع الملوك . ودعاه « جيم العظيم Bijim» واحتفظوا بالصور التى بحوزتهم .

واحدة فقط طلبوا الاحتفاظ بها بعيدًا عنه . الأميرة السيلانية شارمينىSharmini واحدة من أجمل فتيات الستينات والخمسينات ودعوها للقاء فاروق فى حفل أقامه المنتج سام سبيجل فى كان . فى ترتيبات تصوير فيلم معبر على نهر كاوىKawy فى بلادها

وكانت الأميرة ترتدى السارى الأسود والأصفر ، وبهرت فاروق بزينتها .

وقالت . . أرسل لى فورًا .

ولم أكن غريبة على الأبهة الملكية ولكن « فاروق » كان حقًا من نوع خاص فكان فياضًا فى مشاعره جذابًا . وممتعًا .

وأبدى فاروق أصرارًا كبيرًا لحث الأميرة الشابة على أن تجلس أمامه وكان بدينًا جدًا والشحم يلف كتفيه .

ولكن الأميرة كانت ترى ما هو أبعد من ذلك وفكرت كم هو إلى حد كبير يبدو كالملك الطفل .

وعندما رأت عينيه وجدت فيهما ثقة هائلة بالنفس ، ثقة مع رقة ملك شاب . . أبهة ملكية حقيقية .

وفزع سام سبيجل لأن الأميرة ستنهض مع فاروق ولم يرد أن يخبر أسرتها التى تركت ابنتها فى رعايته . وفى اليوم التالى للحفلة أرسل فاروق زهورًا ودعاها ليراها ولكن لم تكن بأى مكان ليعثر عليها ، فلقد حملها سبيجل إلى مكان محكم فى حجرة تحت اسم مستعار فى فندق بنجرسكو ولم تر فاروق مرة أخرى .

وبسبب كل النساء اللائى عرفهن فاروق . وبسبب حبه وولعه بإيرما فلم تكن فى حياته ملكات أخريات . . فلم يتزوج مرة أخرى وقد دافع لوشيان جالس عن فاروق أمام أحد الصحفيين الإنجليز الذى أصر على اصطياد فاروق وإحراجه فى هذه النقطة عندما سأل : هل فاروق سعيد ؟ وقد أجاب جالس هل يمكن أن يكون ملك مطرود سعيدًا . ثم لحق بفاروق وإيرما وحرسه ، فور أن وصلت سيارتهم الخضراء الرولزرويس وعليها العلم المصرى الصغير يرفرف على الهوائى وذهبوا بالسيارة ليقضوا ليلتهم فى محطة القطار .

والليل عند فاروق هو النهار . وقد كان يحكم أمة ويؤدى واجباته وصعوبات

السلطة الضخمة ، وعندما ترك كل ذلك كان يتذكر هذه الذكريات الآفلة الحرارة مع الإدراك الصعب أن عصير البرتقال هو نفس العصير . وبالرغم من كل شيء كان باسمًا لأن الملوك لا يعرفون العويل ولم يتحدث فاروق عن الماضى حلوًا كان أو مرًا .

قال فاروق لصديق له : إننى لا أحزن على الحياة . إننى أحزن فقط أثناء لعب القمار .

تقول باريزا سكيلون التى لم يكف فاروق عن دعوتها « صغيرتى الخليعة » ودعاها لزيارته فى المنفى .

« لم تكن استراحة لهو خليع حيث إننى كنت أعتبر واحدة من الأسرة . وعندما يخرج فاروق إلى جولاته الليلية ، كان يتركنى فى المطبخ فى صحبة عشيقته إيرما . وكانت « إيرما » بشوشة وتمتلىء صحة ، كانت فتاة حبوبة وبسيطة . وأرادت أن تتحدث عن أحلامها الماضية فى أن تصبح نجمة سينمائية .

وبعد الظهر متأخرًا أذهب إلى فاروق وأتناول اللحم المشوى فى خلوة هادئة . . كان يعتقد أنه لا يزال فى السلطة والحكم يأكل طعام الكوشير بالخبز وكنت أقص عليه الضحكات والنكات خفيفة الظل . وقد أصبح وحيدًا ، وشخصًا مجروحًا ، ومنبوذًا مطرودًا من المجتمع دومًا . ليس بسبب أخلاقه المنحلة والمستهجنة تمامًا . . وطبقًا لرأى الأميرة آنى مارى Anne-Marie ولكنه لأنهم وجدوه (شاذًا) . . وعبرت عن دهشتى . . لأننى قابلت بعض الأسر الأرستقراطية يعيشون فى شقق جميلة وكانوا محرومين تمامًا من الحديث والاختلاط بالآخرين . . هل كانوا (شواذًا) ؟ .

وعلى شاكلة إيرما . . فإن الرجال المهذبين (الجنتلمانات) فى روما كانت لهم أحلامهم لا ليصبحوا نجوم سينما ولكن ليتزوجوا الأمريكيات الثريات بالوراثة . كان فاروق فى روما . . لعوبًا أكثر من ذى قبل وعند رحيلى ، فحص محتويات حقيبتى ووصل إلى مشط يخصنى . . وأعاده بسرعة كنت على وشك أن أستقل « تاكسى » ينتظرنى لحملى إلى المحطة عندما أعادنى وقال إنك قد نسيت شيئًا ما .

وآخر مرة رأيته فيها كان واقفًا على المدخل بنفس ضحكته السحرية ويمسك فرشاة أسنانى .

وفى عام ١٩٦٥ بلغ فاروق ٤٥ عامًا . ولكنه كان يبدو كرجل عجوز جدًا فى عالم يعبد الشباب أكثر من ذى قبل . والملك الوحيد الذى يجذب الاهتمام الآن هو ألفيس بريسلى حتى بعد ٤ ثورات ضده فى ليفربول . وجاءت البشارة . . مع ظهور البوينج ٧٠٧ . الطائرة النفاثة . ولكن بسبب الوزن الثقيل وما يتعلق به من مشكلات صحية لم يكن مسموحًا لفاروق أن يطير . فالزمن لا يسمح أن تكون بدينًا ، أو عجوزًا وتحتفظ بعشيقة وتدخن السيجار وترقص بانطلاق .

كانت روما تمارس الديسكو الذى يخلب العقول ، واكتشف شعبها الجميل المخدرات الاجتماعية . وعندما ألقى القبض على الأمير دادو روسبوللىDAdo Ruspoli وفى حوزته كمية نصف كيلو جرام من الحشيش وحتى يتجنب عقوبة التجارة المحرمة قال للبوليس : إنه لاستخدامى الشخصى . . ولم يأبه البوليس فأضاف : إننى مجرد حلقة من المدخنين . وقال عن فاروق : ففى بيئة كهذه . فإن ملكًا مثل فاروق . . يود أن يبدو سيرياليًا وغير واقعى وشخصية من شخصيات د . سترانجلوف Dr.. Strangelov أو من سينما جيمس بوند .

العالم [الحقيقى] كان أقل روعة بهجة وبعيدًا عن البهجة . فقد أغتيل جون كيندى رمز حركة الشباب وتجسيدها وهو أكبر ثلاث سنوات فقط من فاروق .

وأطلق النار على مالكون راكى وهو فى الأربعين فمات فى نيويورك . .

أمريكا تقصف فيتنام الشمالية . وهناك كانت المظاهرات العنصرية فى سيلما واتس Selma. Watts وحاول كل من دوب دايلين ، وبيتر بول ومارى أن يوقفوا الحرب فغنوا « لهث . . فى الريح » .

ورغم كل ذلك . فإن « فاروق » ظل جالسًا فى ركن من مقهى بابرى فى فيا فيتو لا تلين له قناة غير عابىء بما يجرى . رغم أن فيا فينتو لم تكن ثابتة بل متغيرة . .

وكان الشىء الذى يشغل الرأى العالم فى لليوكاترا هو تلك القصة الرومانسية بين إليزابث تايلور وريتشارد بيرثون .

وعندما تراخت الأفلام السينمائية الباهظة التكاليف . إنتهت الدائرة الملحمية . وهربت جماهير السينما من أفلام مثل ليلة يوم صعب ، الانفجار . وأدار وكلاء الصحافة فى هوليوود دولاب ماكينات الشهرة فى مدينة أخرى وصنعوا « لندن المترنحة » مدينة الستينات لتحل محل روما فى الخمسينات وترك لروما الإسباجيتى المنخفض السعر عند سيرجيو ليون وأفلت مدينة « صناعة النجوم » .

ولم يكن لدى فاروق أى شىء يملكه حتى الليل .

ولم تعد روما مثل القاهرة ولم تعد القاهرة كما كانت « باريس الشرق الأوسط » بل أصبحت « موسكو » على ضفاف النيل وطلبًا لكامل السلطة ، وكامل السيطرة ، فإن جمال عبد الناصر لم يكن شبيهًا بجورج واشنطن بل أقرب إلى صورة جوزيف ستالين . وبعد حرب السويس ، ورد بريطانيا . . نظر إليه كل العالم العربى كمحرر لبلادهم .

وأعتبروه برناردو أوجينز أو سيمون بوليفار أو جوزيف جاريبتالدى العرب . ومثل البهلوانات كان عبد الناصر يقبل الملايين من روسيا ويلعن الشيوعية فى نفس الوقت .

وتطلع ناصر أن يوحد الأمة العربية بطريقة لم تتم منذ سقوط سلطان الدولة العثمانية وعلقت صوره فى كل مقهى أو حانوت حلاق من المغرب إلى الكويت وظهر له كما لو أن الفرصة سانحة حقيقة .

فى ١٩٥٨ ، وحد عبد الناصر مصر وسورية ليشكل الجمهورية العربية المتحدة . وفى ذلك العام ومع استلهام نموذج عبد الناصر أصبح الضباط العسكريون العراقيون مثل الضباط الأحرار المصريين . واغتالوا الملك المؤيد لبريطانيا وولى العهد ورئيس الوزراء وأعلنوا الجمهورية وحطموا آخر المراكز الأمامية للاستعمار والغرب . فى الشرق الأوسط .

وفى السعودية ، فإن الثروة الواسعة والجديدة الناجمة عن زيادة الطلب على البترول ، قد خلقت طبقة جديدة بالكامل شبيهة بطبقة فاروق ، قوامها المليونيرات الجدد من المشايخ والأمراء ، الذين حجزوا أدوارًا بكاملها فى دوشيستر ، ورقصوا فى أنبيال . وقامروا فى كليرمونت وأصبحوا « رمزًا » فى لندن المتأرجحة المترنحة . كما كان فاروق فى روما .

وهذا الإسراف والتهتك لم يدفع أمراء النفط أن يعودوا إلى أوطانهم فى الصحراء خشية الجماهير التى تهددهم بالتعويذة السحرية « سوط الأمراء » عبد الناصر .

وفى عام ١٩٦٢ . . تحطمت التعويذة باندلاع الحرب الأهلية فى اليمن . . وفى أعقاب اندلاع الثورة النموذج (المصرية) فإن قيادات الضباط اليمنية ثاروا ضد الحاكم الإمام البدر وأعلنوا الجمهورية . . ولكن الإمام حارب بضراوة من أجل العودة وطلب الضباط من عبد الناصر أن يرسل القوات المصرية لتدعيم ومساندة انقلابهم .

واندلعت الحرب لمدة سبع سنوات وكانت استنزافًا ماليًا لمصر التى كان لها خمسون ألف جندى مصرى فى اليمن .

ومع إخفاقها فى تحقيق نصر سريع لصالح الضباط فقد انكشفت كل نقاط ضعفها .

(وقد جلب هذا ، الهزيمة والعار الكامل فى حرب الأيام الستة ١٩٦٧ مع إسرائيل) .

وفجأة ظهر ناصر أقل من أن يكون القائد الذى لا يقهر . وكانت هناك شقوق أخرى فى درع عبد الناصر ، الانقلاب العسكرى فى سوريا وإسقاط قادة الانقلاب المؤيد لعبد الناصر فى العراق ، والذى صار يميل للشيوعية أكثر من ميله إلى الناصرية . وبسبب حملات عبد الناصر ضد الشيوعيين العراقيين ، لتفضيلهم تلك الأيديولوجية على القومية العربية ، حدث الشقاق بين عبد الناصر وخروشوف .

وعلى جبهة الجناح الشمالى الأفريقى الغربى . سحب بورقيبة رئيس تونس بلاده

من الجامعة العربية لأن عبد الناصر يسيطر عليها .

وفقد أيضًا عبد الناصر المغرب بسبب تحالفه مع القائد اليسارى الجزائرى « بن بيلا » .

ومع عدم قدرته على السيطرة على كل الشرق الأوسط عاد عبد الناصر إلى المكان الذى يمكن أن يسيطر عليه ، عاد إلى مصر . وأصبحت البلاد أكثر ميلًا إلى الاشتراكية . بتأميم البنوك ، وبورصات القطن ، وشركات التأمين وحوالى ثلاثمائة (٣٠٠) مشروع صناعى كبير فى البلاد وتم تخفيض الحد الأقصى لملكية الأرض الزراعية للفرد من مائتى [٢٠٠] فدان إلى [١٠٠] مائة فدان وصفيت تمامًا وبالكامل طبقة الباشوات القديمة . ومعظم من فروا تناقصوا بشكل حاد فى فرنسا وانجلترا . ولكن تدمير طبقة الباشوات لم يسكت الجماهير الذين لم يتمتعوا بمميزات وفوائد محسوسة ظاهرة سوى صوت عبد الناصر العالى وغضبه .

وفى محاولة لاجتثاث آثار نخبة ملاك الأراضى الزراعية البائرة . شكل عبد الناصر اللجنة العليا لتصفية الاقطاع واتخذ خطوة مماثلة لاستئصال التطرف الأصولى حيث كان الإخوان المسلمون يظهرون مرة أخرى كبؤرة للسخط الشعبى . وعمل عبد الناصر على أن ينهى ذلك الوضع . وبدأ حملة تطهير ضخمة عن طريق البوليس الحربى على طريقة فرق الجستابو [المعروفين بزوار الفجر] ولم يكن مسموحًا بالنقد ، ولم يشعر أحد بالأمان وكان عبد الناصر شديد الهياج بسبب البارنويا التى أثرت على صحته وتعقد الأمر على نحو كبير حيث مرض بالبول السكرى ورافقه طور جديد من مرض تصلب الشرايين . وبذلك لم يكن « المحرر » على ما يرام .

بالإضافة إلى ذلك تورط الحكم الناصرى الأوتوقراطى فى موت فاروق الذى لم يتم قضاءًا وقدرًا .

ويجب الوضع فى الاعتبار أن عام موت فاروق ١٩٦٥ كان عامًا هادئًا بالنسبة للملك السابق . ففى شهر فبراير – وطبقًا لسجلات الخارجية البريطانية فى لندن –

تزوجت الابنة الصغرى لفاروق فادية – البالغة ٢١ عامًا ، وأثارت دهشته بزواجها من الشاب الوسيم الفارع الطول ذى العيون الزرقاء الروسى الأرثوذكسى والذى يعمل جيولوجيًا ويدعى بصير أورلوف البالغ من العمر ٢٤ عامًا ، حيث التقيا فى مدرسة اللغات الأجنبية فى سويسرا . وكانت والدة أورلوف مدرسة لفادية .

وحصلت شقيقة فادية الكبرى فوزية على دبلوم من مدرسة مشابهة للترجمة فى جنيف .

وكان فاروق فخورًا أن يجد بناته قد حصلن على مهارات مهنية وقيل إنه أحس بخيبة أمل لزواج فادية وخروجها عن دينها الإسلامى وخروجها أيضًا عن طبقتها الملكية . ودون تصريح وموافقة والدها .

ولكن « فاروق » الذى اعتاد على خيبة الأمل ، شغل نفسه مع إيرما ، وممثلة يوجوسلافية تدعى سونيا رومانوف تبلغ ٢٢ عامًا ، ومع مصففة شعر إيطالية تدعى آتاماريا جاتى تبلغ أيضًا ٢٢ عامًا . والتى اصطحبها إلى عشاء متأخر فى مطعم فرنسى « أوستريا » بعد أن قضى الجزء المبكر من ليل ١٧ مارس مع إيرما . والمسجل والمكتوب الوحيد لما حدث فى تلك الليلة . . فى القاهرة . . حيث يظهر فى مذكرات لاقت رواجًا شديدًا بعنوان « شاهدة على انحرافات صلاح نصر » كتبتها اعتماد خورشيد وهى عشيقة صلاح نصر مدير المخابرات العامة والقوى الشريرة آنذاك والتى تعتبر بمثابة السى أى إيه المصرية .

وكانت ليلة الاغتيال مثيرة جدًا ، حضر صلاح نصر إلى ڤيلتى (التى منحها لها) ، وكان مخمورًا جدًا كالعادة . فلقد تناول عديدًا من كئوس الويسكى – دفعة واحدة – ولم ينطق بكلمة واحدة ولم أسأل لماذا كان يبدو على هذه الحالة من القلق وتوقع الشر . وفجأة قال . . لا تقتربى من التليفون . . إننى أنتظر اتصالًا تليفونيًا من مكان بعيد . سألته « هل أعطى رقم تليفونى لأصدقائه بالخارج وماذا أفعل إذا كان بالخارج وطلبوه » .

قال : لا تردى .

ومرت الساعات وزادت حدة القلق . وصار كالنمر الهائج (المحبوس فى القفص) وفجأة نظر إلى وقال : « فاروق سيموت الليلة » .

وفى المطعم « الفرنسى » أكل فاروق – كما لو كان ليس له غد – طعامًا مكونًا من دستة من المحار المغموس فى الصلصة ، الجمبرى الطازج الساخن ، ذلك الطبق الذى اختفى منذ عصر دياموند جيم برادى . وفاروق لا يزال جائعًا . فتناول الطعام الإيطالى التقليدى ، مكرونة الفرن ، ثم خروفًا صغيرًا مشويًا ، مع بعض المكملات مثل البطاطس المحمرة ، وقطع كبيرة من المحمرات على الطريقة الفرنسية ، وبعض أنواع اللوبيا المغموسة بالزبد . وفى نهاية المكان التهم الكريب سوزيت وكل تلك المأكولات . . التهمها مصحوبة بالكحوليات والتى يحرمها على نفسه أى مسلم طيب .

ثم تدله فاروق ملتمسًا « الحلو » من فم آناماريا المبتسم وتناول زجاجة خمر أخرى . وأطلق عددًا من النكات والقفشات وأشعل سيجار « هافانا الفاخر » وسقط ميتًا .

« ووصلت المكالمة المنتظرة . . وكان صلاح نصر بالحمّام وأجبت « اعتماد خورشيد » على المكالمة ، كان المتحدث يتكلم بالإيطالية وأعطيت السماعة لصلاح نصر . وتحدثا معًا بالإنجليزية . ، وكان المتحدث يؤكد لصلاح نصر أن « فاروق » قد مات . ابتسم صلاح نصر وطلب كأسًا من الويسكى للاحتفال بنجاحه . ووصلت مكالمة أخرى من إبراهيم بغدادى . « مساعد صلاح نصر » ومهندس خطة الاغتيال أكد أيضًا أن المهمة قد نفذت بنجاح .

وكانا يستخدمان لغة شفرية . ثم سأل بغدادى صلاح نصر ماذا سيفعلان بالجثمان ؟ فأجاب : أعطنى مهلة لأفكر . ثم وضع السماعة ، ونظر إلىّ وكان زهو النجاح فى عينيه . وفورًا عرفت أنه فخور أن جعلنى أول من يعرف بخطة اغتيال

الملك . ودون طلب أو سؤال عن التفاصيل . ودُهشت عندما قال : إن العملية أخذت وقتًا وجهدًا لكى أوقع بالملك ، ولم تكن عملية سهلة .

ثم طلب المشير عبد الحكيم عامر ليزف إليه الأنباء الطيبة .

وعبد الحكيم عامر هو واحد من أقدم أصدقاء عبد الناصر منذ أيام الكلية الحربية ، وواحد من المؤسسين للضباط الأحرار وهو الآن وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة والرجل المتفانى فى استقبال كل معارضة ضد عبد الناصر وعامر ، فهو سليل أسرة من أغنياء ملاك الأرض فى الريف وكان عدوا لطبقته وخطرًا عليها .

وقالت اعتماد : إن عبد الناصر كان آخر القادة فى مصر سماعًا عن الاغتيال وإن عملية الاغتيال نفذت وتمت كهدية لعبد الناصر . كما اعترف لها بذلك صلاح نصر . . ووصف العملية بأنها الإنجاز النبيل لحماية النظام الجمهورى والتى تسعى أمريكا لتدميره وإعادة مصر إلى الملكية ذلك التهديد الأمريكى « لعبد الناصر » بأن تلقنه درس الدروس بالنسبة لمشكلة طفل الشرق الأوسط ومحاولة إعادة فاروق . كان ذلك تبرير صلاح نصر لواقعة العشاء الأخير للملك .

وفيما بعد كتبت اعتماد : اكتشفت بعض التفاصيل عن جريمة الاغتيال حيث إنها أنجزت بتواطؤ المخابرات الإيطالية ولم يعد البوليس الإيطالى يقوم بحراسة فاروق واعتبره غير مهم . وكان لديه اثنان من الحرس الألبان ولكن عادة ما يتخلص منهما فى الأمسيات .

وكان يفضل أن يقود سيارته الفيات بنفسه .

وأخبر صلاح نصر « عشيقته » أن إبراهيم بغدادى كان يحصل على المعلومات الخاصة بتحركات فاروق ذهابًا وإيابًا من السلطات الإيطالية والتى كانت تحصل عليها عن طريق إيرما .

والسم الذى وضع لفاروق فى الجمبرى تم بواسطة عميل « مصرى مزروع »

فى المطعم ، وهو واحد من المطاعم التى يتردد عليها فاروق عدة مرات أسبوعيًا .

والسم . . وهو مركب الكونتين والذى يسبب توقف القلب ولكن لا يظهر له أثر فى التشريح . لا طعم له . حتى لو لم تغط الصلصة على أى أثر له . ولم يكن هناك أى تشريح للجثة . وهذه المرة بأوامر من المخابرات الإيطالية . وقيد أن سبب الوفاة نزيف فى المخ . وكان فى جيب فاروق صندوق ذهبى يحتوى على أقراص ارتفاع ضغط الدم ، عندما مات . حيث كان بدينًا بشكل هائل ولذا كان من السهل تصديق أن فاروق مات صغيرًا نسبيًا . تضحية لإفراطه وتجاوزه .

وكان أول ضحية لحملة عبد الناصر للتطهير التى أعقبت هزيمة مصر بعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ مع إسرائيل ، هو رئيس صلاح نصر المباشر عبد الحكيم عامر . حيث اقتنع عبد الناصر أن « عامر » كان يعد لانقلاب عسكرى ضده . ووضع المشير رهن الاعتقال فى منزله . والشخص الذى عين مسئولًا عنه ، هو مساعده صلاح نصر .

وبعد ثلاثة أسابيع ، قيل إن « عامر » قد انتحر فى مكان أسره بتناول حبوب السيانيد . وفى حملات التطهير التى تلت ذلك . ألقى القبض على صلاح نصر نفسه ومن بين التهم الموجهة إليه التعذيب ، والاغتصاب وابتزاز النساء عن طريق الصور الملفقة ، وأيضًا ما له مغزى عظيم ، تهمة تسميم عامر بإعطائه السيانيد . والحصول عليه من معامل المخابرات العامة . ودون أن يعلم نصر . كما واجه نصر اتهامًا بتسميم الدكتور أنور المفتى الطبيب الخاص لعبد الناصر . لأنه قال للرئيس فى حينه إن البول السكرى المتقدم يؤثر على قدرته فى الحكم . وفى محاكمات عام ١٩٦٨ اعترف صلاح نصر بكل التهم المنسوبة إليه وصدر الحكم عليه بالأشغال المؤبدة . وفى عام ١٩٧٤ عفا عنه الرئيس أنور السادات .

روما كانت نقطة الانطلاق للطيران إلى الشرق الأوسط . فلقد أصبحت مركزًا ضخمًا للعمليات المصرية فى أوروبا . وذلك بسبب التنسيق المحكم لأجهزة

المخابرات المصرية التى يرأسها صلاح نصر . وكان لها سكرتارية بالسفارات ، وضباط اتصال مع الفاتيكان وسكرتارية صحفية وهم فى الواقع عاملون فى المخابرات العامة . وكان معروفًا أن لصلاح نصر عددًا كبيرًا من الرجال فى روما يتجسسون على نشاط إسرائيل الأوروبى ويتجسسون أيضًا على فاروق ورغم العمليات السرية ، وحياة وجرائم صلاح نصر المعروفة فإن عملية فاروق . . كما تصفها اعتماد خورشيد . . عشيقة صلاح نصر « عملية لا يصدقها عقل » .

ولكن عديدًا من أولئك الذين عرفوا فاروق بما فيهم ابنه فؤاد يصدقون .

وعند وقوع الحادث . كان الملك السابق فؤاد يبلغ الثالثة عشرة من عمره ، وقد صُدم بالحادث كما صدمت أيضًا أخواته البنات لوفاة والدهم المفاجىء وطلبوا إجراء تحقيق حول ملابسات المؤامرة الجنائية . وعندما يتلقى الملك فؤاد الأخبار السيئة من كارلو دى إميلليو – وكان مصابًا بإنفلونزا ودرجة حرارته مرتفعة – نهض على الفور من فراشه وارتدى بدلته السوداء وحضر هو وأخواته البنات بسيارة ليموزين ووقعوا على التنازل يوم تشريح الجثة حيث كان جثمان فاروق موجودًا بمعهد الطب الشرعى .

وطبقًا لتقاليد الدفن الإسلامية . جرى لف الجثمان بالقماش الأبيض وغُطى بالعلم المصرى الذى كان فاروق قد أخذه معه إلى المنفى . ووضع الجثمان فى تابوت خشبى وتم حمله إلى مصلى خاص حيث أدى عليه إمام روما الصلاة فى احتفال بسيط حضره أولاده فقط وفريدة التى طارت من بيروت إلى روما وإيرما كاييس مونتيللو والتى أعتبرت واحدة من الأسرة .

ثم تلقى فؤاد – الباكى ولكن بجلال – العزاء من مئات المشيعين ومعظمهم . . من صبية البارات ، والخدم والتجار الذين كان فاروق كريمًا معهم . وساروا خلف عربة الموتى السوداء التى تحمل النعش الملفوف بعلم مصرى آخر .

وتحرك الموكب بطيئًا عبر شوارع روما متجهًا إلى مقر قرافة المسلمين المحلية . حيث سيوارى « ما تبقى من فاروق » فى قبر مؤقت وكان من المتوقع أن يدفن ملك مصر فى الأرض التى حكمها وأحبها ولكن لا أحد فى روما يمكن أن ينجز ذلك ؟

وفى أثناء مراسم الدفن . تجمع عدد قليل من رجال الملك وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسى والذين لم يبدو أى انحناء أو تحية احترام أو تقبيل ليد الصغير فؤاد الذى مد يده مصافحًا كملك .

واستراح جسد فاروق محبوسًا فى قرافة عامة للروم الكاثوليك لمدة عشرة أيام .

وفى هذه الفترة قدم كارلو دى إيميللو وصية تركها فاروق فى قصره موضحًا فيها تركته والتى تتكون من شقته ، وأثاثها ، والحسابات فى بنك سويسرى ، (سبق أن أنكر وجودها) لأولاده نصح فيها (أى فى وصيته الأخيرة) أولاده أن يقيموا ويتحدوا مع بعضهم .

وكان ايميلليو بجانب التليفون باستمرار يتصل بالشرق الأوسط ، يحاول أن يجد مقرًا أخيرًا مناسبًا لزبونه .

العرض الوحيد ، جاء من فيصل ملك العربية السعودية ، الذى سمح لفاروق أن يوارى فى بلاده وهو بمثابة سبب كاف لإحراج عبد الناصر ودفعه إلى أن يلين عن أصراره الصعب بأن لا ترى مصر « فاروق » مرة أخرى .

وطلب عبد الناصر أن تتم عملية النقل لجثمان فاروق سرًا . وفى ٢٧ مارس وضع الجثمان الموضوع فى صندوق خشبى فى طائرة « كومنت » تابعة للخطوط العربية الجوية المتحدة فى مطار فيمشينو Fiumicino ووصلت الطائرة فى منتصف الليل . حيث قابل الجثمان . . شقيقتا فاروق ، فوزية ، وفايقة وأزواجهم إسماعيل شرين وفؤاد صادق . ومدرعة حربية لتحمل الجثمان ، وفرقة من القوات المسلحة لردع أى شخص من محبى الفضول . وتبع المدرعة سبع سيارات لأسرة وفرقة ورجال صلاح نصر من المخابرات العامة . وهدرت السيارت فى الظلام عبر شوارع القاهرة الخالية

تمامًا .

السيارتان اللتان اعتقد أنهما تحملان الصحفيين وبدا أنهما تتابعان الموكب عن قرب شديد . أوقفها المرافقون من فرقة الحراسة وأطلق الجنود النار على إطارات السيارات التى تقترب من الموكب . وحتى ذلك ، لم يسمح عبد الناصر لفاروق بكامل احترامه وجلاله . فبدلًا من دفنه بالرفاعى . . حيث مقابر أجداده من سلالة محمد على فى ذلك المسجد . أصر عبد الناصر أن تعزل بقايا فاروق فى مقبرة إبراهيم باشا . ابن محمد على الذى حكم مصر لشهور عديدة قبل أن يموت بمرض السل .

إن « فاروق » الذى قضى حياته فى القصور ، سيقضى مماته فى مقبرة تطوقها التجمعات العشوائية للأحياء وواضعى اليد الذين يحاولون أن يحيوا ويعيشوا فى مدينة الأموات .

وفى الثانية صباحًا أدى شيخ صغير مراسم الدفن فى عشر دقائق على ضوء (لمبة جاز) تنير لشقيقاته وأصهاره . ولم يكن هناك من أحد ليقدم احترامه وتعازيه وانتظر رجال المخابرات العامة والجنود فى الخارج . وكان الضريح الفخم لإبراهيم مفتوحًا .

وأُخرج فاروق من تابوته الخشبى ووضع فى المقبرة موجهًا ناحية مكة . وبعد سنوات ، فيما بعد سمح أنور السادات أن يعاد دفن فاروق فى الرفاعى حيث انضم لبقية أفراد أسرته . والآن مصر تنتمى لعبد الناصر وفاروق فى ذمة للتاريخ .

وبعد أن فك الحفارون اللحد وفتحوا المقبرة وأنهى الشيخ صلواته . اصطف المشيعون الأربعة فى طريقهم خارجين إلى السكون الموحش ، ذلك أن الوقت كان « ليلًا » فى القاهرة .

الفصل الحادى عشر

تركـــة فــاروق

الفصل الحادى عشر

التركة التى خلفها الملك فاروق

١٩٩٠ القاهرة :

ربما يكون نادى السيارات الملكى هو آخر ما تبقى من بقاياه . . إنه إحدى العلامات النادرة لعصر الملك فاروق وهو موجودِ كإشارة محزنة للزمن الذهبى فى هذه المدينة التى كانت ملكية يومًا ما ! .

عند تأسيس النادى كانت عضويته مقصورة على الأسرة الملكية أو من ينتسبون إليها عن قرب من راكبى السيارات فى بلد كانت الجمال والحمير هى وسيلة النقل المعروفة فيه وكان ناديًا فخمًا مثل (بجاتس ديزنبرج) و (هيبانو سيوازس) . أما الآن والقاهرة تعانى من اختناق مرورى يشبه ما يحدث فى نيويورك أو طوكيو فى ساعات الذروة ! فرحلة طولها عشرة أميال من ميدان التحرير بالقرب من النيل إلى أهرامات الجيزة فى الأغلب تستغرق ثلاث ساعات حتى إن السيارات بهذا الشكل لن تكون أسرع فى الوصول من الجمال والحمير !

ظل نادى السيارات الملكى محافظًا على طابعه الفنى وحوائطه البرونزية وعليها خريطة مصر للطرق ، ولكن أعيد تأثيثه باللون الأبيض والأحمر واستخدمت كريستالات رخيصة - كما فى شاطىء ميامى - شرقية الطابع ولم يعد فيه روح الفترة الاستعمارية أو النفحة الصحراوية أو حتى الإرث الفرعونى المميز فى القاهرة وما يوجد أسفل تلال إحدى المدن المحطمة بطول شاطىء نيوجيرسى .

إن تلك الأيام العظيمة - التى كان الملك فاروق يخسر فيها أمواله فى مقامرة ليلية مع صديقه اليهودى بينما مصر تخسر الحرب كلها ضد إسرائيل - باتت فى طى

النسيان ! .

والسفرجية السودانيون السود فى أروابهم الحمراء يهرعون لإحضار المشروبات بينما أصحاب البشرة الأفتح من المصريين ومشرفو الضيافة يتلقون الأوامر (الطلبات) من موائد رجال الأعمال ، ويرتدون حللًا أوروبية سوداء ، وبعضهم يرتدى أحزمة وأكثرهم يرتدى بعض الخواتم الذهبية . والكل يتكلم بصوت عال ومثير باللغة العربية التى كانت فى أيام فاروق نادرًا ما تُستخدم إلا بين غاسلى الأطباق فى المطابخ !

ورجال الأعمال يخفون توتراتهم باللعب فى حبات مسابحهم باستمرار ثم يضحكون كأنما لا شيء يقلقهم . فقط الطعام بقى كما هو ، وزئير البحر المتوسط الذى أحكم سطوته على الإسكندرية ذاك الصباح ، مع حبات الفول التى تشبه الجواهر والقرع العسلى والبطيخ المعسل من حدائق أرض دلتا النيل الخصبة (المعطاءة) ولأن مصر ما زالت قبل عصر التكنولوجيا ، فطعامها طازج ، فالطعام المجمد المعالج صناعيًا ليس فى متناول الغالبية عدا الأثرياء الذين كفوا أياديهم عن الإشراف والدعم لنادى السيارات الملكى .

والنجم المزين الساطع فى وسط ركام من العفن الأمير (حسن . . حسن) أخر أمير فى المملكة وابن عم فاروق . وأحد سلالة محمد على الملكية والذى ما زال يعيش فوق البلاد التى حكمها أجداده ، إنه بالضبط نوع من الارستقراطية الخالصة تلك الشخصية التى قد يمثلها الممثل ليزلى هوارد (اى الشخص الخالى من أيه عيوب) الشعر الناعم والعيون الزرقاء إلخ . . إنها أوصاف تجعله من رواد شارع جيمس وليس التحرير ومع ذلك فهو ما زال هنا ! .

والأمير يرتدى العظمة والنوستلجتا كما يرتدى ملابسه مع أنه أحد ضحايا مصادرات وتطهيرات ناصر وقد طرد من سكنى القصور ليعيش بتسعة وعشرين جنيهًا فى الأسبوع ، ولكن من علامات تدهوره الاجتماعى أنه التصق بفلاحيه وأصبح يصفهم بالارستقراطيين الحقيقيين وبأنهم أكثر سكان الأرض عظمة وأبهة .

الرسام وعازف البيانو الأمير حسن لم يغادر البلاد إلا بعد موت ناصر ١٩٧٠ ذهب إلى فرنسا ليلتقط أنفاسه ولكنه عاد بعد سنة واحدة إلى مصر .

وحسن مولع بابن عمه فاروق وقد قال عنه (لم يكن متوازنًا بأى حال من الأحوال ولكنه خلاب يعرف كيف يتكلم دون سقطة من الغباء ومما يضعف من تقديره أن حصيلته فى الجيولوجيا والبيولوجيا أكثر تنوعًا واتساعًا من مظهره أو أربطة عنقه » .

وأخذ الأمير يفسر : ففاروق مشئوم بسبب الجانب الساحر فى شخصيته وبسبب ضعفه أو يرجع ذلك إلى تأثير الملكة نازلى ، فالملك فؤاد كان يسعى إلى زواج ابنه من إحدى أخوات حسن الجميلات الشقراوات ولكن موت فؤاد أعطى نازلى الفرصة لإفساد تلك الخطة فقامت باستبعاد أسرة حسن من قائمة ضيوفها فى قصر عابدين ، فنازلى لم تكن متخوفة من قرابة الدم بينهم ولكنها كانت قلقة من فكرة فقد سيطرتها على فاروق ! فقد كانت تريد تزويجه من امرأة عادية مثلها .

ومضى حسن يشرح وساوس فاروق مع المال بسبب الحرمان الذى عاناه لأن نازلى كانت بخيلة جدًا معه .

والأمير حسن يشرح التاريخ غير الرسمى الاجتماعى للأسرة الملكية فيقول تأسست الارستقراطية التركية من خلال إلزام الفتيات الشركسيات الجميلات بالعبودية بواسطة كشافى السلطان العثمانى ثم يتم تربيتهن تربية ملكية . والصفوة التركية بعد ذلك تختار منهن (للزواج والمتعة) (بسبب الحب أو جمالهن) والمفارقة هنا فى شكل الأسرة الشائع مع قصة سندريللا التى كانت من العبيد ثم صارت أميرة ! !

ومضى الأمير يصف صباه ، الإبحار صيفًا من الإسكندرية إلى نابولى مثنيًا على كرسى فوق ظهر المركب ، وتناول الساندوتش الصغير والأطعمة الساخنة من سعاه يلبسون أحزمة سوداء فى الحدائق مع لاعبى الفلوت والراقصات ومختلف أشكال البروسلين والكريستال فى لعبة منضدة القدر لاكتشاف شخص الضيوف ، واللعب

مع تمساح النافورة فى الإيوان المرمرى فى قصر شبرا عند النيل .

وتذكر الأمير مشاعر أحلام والده بخصوص أن يصبح ابنه أحد رجال البنوك وابنته ممرضة . ولكن تلك أعمال ، وهم سلالة ملوك ، ثم قال الأمير فى إشارة تهكم « لم نحلم بالعمل أبدًا » .

. . توقف الأمير لبرهة بسبب صراخ زوجات رجال الأعمال المزينات بالسلاسل الذهبية الذى اخترق غرفة الطعام . وقفزت النسوة من مقاعدهن ! أما السفرجية فقد أمروا بالاستمرار فى العمل من رءوسائهم . .

إنه لص . . رجل مسلح . . إرهابى يجرى ؟ استمرت الصرخات . . ماذا يكون ؟

. . إنه شيء اندفع بلا ترو أسفل المناضد فى غرفة الطعام ثم اندفع ثانية خارجًا وسط الغرفة . . إنه فأر ضخم . . فضحك الأمير ببرود . . إنها عرسة فالقاهرة موبوءة بالعرس التى تزحف من أحراش النيل إلى المدينة ساعية للنوم أسفل السيارات فهى تحب الدفء الذى تحدثه موتورات السيارات وهذه العرس خبيثة تمامًا ، فلماذا تنام عند بطاريات الفيات فى الشارع عندما تستطيع أن تجد مكانًا فى فخامة وخلاء النادى الملكى للسيارات ؟

أحضر السفرجية المقشات وجاءوا لكن العرسة المتغطرسة استكانت فى تجويف المنضدة قبل أن تهرب إلى الخارج حيث غليان القاهرة ووحشيتها إلى أسفل أحد آبار السلم الضخمة المرمرية حيث مشت أقدام الملوك والأمراء ! !

إن القاهرة مجرد مستشفى مجانين خارجR.A.C فعندما سقط فاروق سنة ١٩٥٢ كان يسكن المدينة مليونا نسمة ، والآن يوجد ما يقرب من ١٥ مليونًا يتضاعفون كل عشر سنوات ، إن مؤشر تلوث هواء القاهرة هو الأعلى فى العالم ، فالميل المربع السحرى الذى كان فى قلب قاهرة فاروق المشعة تفسح فى السبت الأسود سنة ١٩٥٢ ولم يستعيد وجوده ثانية . . لكن جروبى ما زال قائمًا يخدم بصعوبة الزبائن

الدائمين قليلى العدد .

ونادى محمد على ما زال قائمًا مثل الإصبع بنمطه الصقلى وعظمته الباريسية فى وسط العفونة المتصاعدة من أكوام الأتربة المتراكمة والمتصاعدة أيضًا من المبانى الحكومية العالية المغطاة بالسواد ، والأرصفة المنهارة والجنود فى ملابسهم السوداء حاملين أسلحتهم فى كل مكان . الروح هى روح بيروت تحت الحصار فى الحرب الأهلية ! !

وإذا وجد المصريون الحريصون على بلادهم (القدماء) أى أجنبى سعيدًا بالحالة التى وصلت إليها البلاد . . فهم الأمريكان ! ! والأمير حسن أكد أنه بدون النوستلجتا ما كان يمكن لجون فوستر دالاس أن (ينذر وعدًا) بوضع عقداء الجيش مكان الملك ؟ ! وأكد أنه بدون السفير جيفرسون كافرى وتأثيره الضخم وولعه بناصر والضباط الأحرار الذين سماهم كافرى (أولادى) . . وقد وصف الأمير ما تحدثه السياسة الغربية كحالة تمزق بين افتتانه بالملكية الأوروبية والتزامه بالديمقراطية الأمريكية ، فالديمقراطية تكسب المعركة – ولكنها فى الواقع معركة جائرة وغير عادلة ! !

(أولاد أولاد طيبون) هذه كلمات جيفرسون كافرى وهذه الكلمات بالذات هى التى سيندم عليها هو وأمريكا فيما بعد ! !

واليوم ربما تتقدم الديمقراطية فى مصر ولكن فى خطوات هيستيرية إذ تعوقها الأمية المنتشرة ، فهى دلالة تخلف بالإضافة لعاهة التضخم السكانى ؛ فمدارس القاهرة تعمل بالفعل ثلاث فترات لتواجه معدل المواليد المتزايد ويجب أن تبنى مدارس جديدة كل يوم وهذا ما لا يحدث !

وإذا كانت الديمقراطية هى حلمًا قادمًا فالملكية ذكرى مطموسة (منسية) والملك فاروق حُرم من المواطنة ومكانته فى التاريخ المصرى لا تتجاوز أسطر قليلة والسؤال عن ذلك غالبًا ما يثير عدم الراحة والشك وذلك يشبه ما يحدث فى رومانيا

لتشاوشيسكو . .

وقصور فاروق تحولت إلى مراكز عسكرية بيروقراطية ولمختلف الأغراض العامة .

فقصر عابدين يبدو من الخارج قديمًا بحيث تغطيه الأتربة ويعامل كأثر تذكارى وما يبعث فيه الحياة - فقط - تلك العلامة لتاج مصر الملكية التى تلمع تحت ضوء الشمس عبر الميدان ، بينما المبانى الفقيرة العشوائية تبدو فى جانب الحديقة الخشنة غير المرتبة ولكن تشمخ قبته من الخارج والأسوار العالية .

وقصر شبرا الملكى بنافوراته وإيوانه المرمرى المفتوح للسماء أصبح الآن ركنًا مهملًا من كلية الزراعة لجامعة عين شمس كجزء من قسم الإخصاب تحرسه قوة مسلحة لأنه أثر وكما لو كانت هناك لتمنع ملكية أسرة محمد على من العودة فى صورة حديثة .

وفى الماضى كانت حوريات البحر والحديقة المبهجة حيث كان يرقد محمد على مراقبًا حريمه وهن يسبحن عاريات أمامه !

لقد ألهم قصر شبرا لورد بايرون أن يكتب (طفولة هارولد) فى زيارة (حجة دينية) .

« فى الديوان المرمرى
عندما يهب الربيع
وينبثق الماء الحى من قلب الورد
والمناغاة السارة بالصحو والبكارة
والترف الناعم فى عرينه
(على) يتحول لرجل الحرب والأخطار

. . وفى عين حلوان المعدنية حيث تعود دوق روسيا الكبير أن يأتى إلى الحمام

الكبريتي الشهير ، أنشأ فاروق استراحة على نمط فرانك للويد رايت . . وبحارة النيل غير المدربين الآن يشبهون الصقليين فى نشاطهم فيطلقون النار التى تحمل شظايا مدخنة ! فى كل مكان من النخيل المحيط .

واستراحة فاروق فى الأهرامات تحولت إلى مركز بوليس الجيزة محروسة ببيت للكلاب عالية الصوت من النوع الشيفرز الألمانى !

وداخل المقابر سعيدة الحظ ، قد تفاجىء اللصوص عُيون هؤلاء الصبية المصريين الأشقياء يقطعون الطريق تحت ظلال أبى الهول !

ويقف التمثالان التوأم لرمسيس على جانبى المدخل للصرح الذى يشبه معبد فيلة ! وبالداخل نفق مغطى بنافذة ضخمة زجاجية ملونة توضح ملكًا فرعونيًا يشبه فاروق ينحنى فوق صندل مع رهط من (إلٰهات) العالم السفلى اللآئى يلعبن ! وهن كلهن شقراوات يشبهن نجوم هوليوود يلبسن ملابس شفافة بحمالات صدر رفيعة – فى خلطة لا تلائم قصر رمسيس بل هى وأكثر ملاءمة لقصر قيصر !

وتوجد المعلومات الرسمية الوحيدة عن الملك فاروق فى الغرفة الخلفية من قصر محمد على الأول المسمى « الجوهرة » فوق قمة القلعة التى تطل على القاهرة ، وفى قاعة تبدو مُهملة توجد بورتريهات ضخمة معلقة لكل ملوك مصر من محمد على إلى فاروق كما توجد قوائم بإنجازاتهم وقائمة فاروق أكثرهم اختصارًا فى هذا الشأن حيث تشمل :

* **إنه ابن الملك فؤاد .**
* **تجمع العرب تحت قيادته فى حرب فلسطين ١٩٤٨ .**
* **أبعد الجيوش البريطانية فى القلعة وسلمها للجيش المصرى فى احتفالات كبيرة فى ٩ أغسطس ١٩٤٦ .**
* **وفى ١٩٥٢ قامت الثورة وأبعدت « فاروق » إلى الخارج .**

وفى القلعة حيث يوجد المتحف الحربى ثمة عرض لفاروق مرتديًا رداء البحرية

المميز . ذلك الرداء المزدوج الصدر ذا الياقة والأسوار المذهبة والهلال المصرى الذى يمكن أن يغطس فيه رجلان أو ثلاثة صغار الحجم ومع حذاء جلدى أسود عالى الرقبة مصنوع فى أمريكا طراز معركة الجيردرون ! وتستطيع أن تعبر القاعة إذا رشوت الحارس بقليل من البقشيش حتى يسمح لك بالدخول إلى اليسار حيث الغرفة المشئومة التى تحتوى على دستة من الصور الفضية السوداء للضباط الأحرار المنذرين بالسوء ! إن أغلبهم يرتدى نظارات سوداء طوال حياتهم . . وأسفلهم صورة كبيرة للحكم الرسمى بمغادرة الملك فاروق للبلاد فوق يخته المحروسة فى ملابس الماريشال ، وفى وسط الاثنى عشر (حواريا) صورة نصفية كبيرة لامرأة لها ثدى ضخم يشبه منضدة حديدية فى حانة شراب هوارد هيج صممه خصيصًا جان روستيل ! والتعبير الذى تطلقه هذه الفينوس المصرية وهى تحث الجيش فى المعركة مكتوب أسفلها وهو : إلى المجد .

والمعلومات الرسمية الأخرى التى توجد فى القاهرة عن فاروق موجودة فى مزار سياحى يسمى متحف الصيد ، فى قصر المنيل فى جزيرة نيلية كانت للأمير محمد على الأخير الذى انتظر عبثًا طوال حياته أن يخلف « فاروق » على العرش ، وقد منحت نصف أراضى القصر المظللة إلى نادى البحر المتوسط والنصف الآخر الذى يشمل القصر نفسه ظل فى القاهرة ذكرى للأمير طريد الملكية (محمد على) .

إن متحف الصيد هو دليل دامغ على أن الثراء نسبى ومتنوع فهو قاعة طولها نصف ميل لمجموعات فاروق من الحيوانات والطيور المحنطة التى اصطادها بنفسه ، ومعرض لرءوس جاموس الماء (سيد قشطة) ورءوس الغزلان ورءوس البقر الوحشى وكثير من الأشياء الأخرى المتنوعة لطيور صغيرة ، ومخالب أعقاب وكنوز الملك فاروق وشمعداناته وأقماع نظارته ، ومنافض سيجاره وأسواطه المصنوعة من شوارب الأسماك الضخمة . وهناك مجسمات لنمور محنطة ، ومصِّيرة وقرود متوحشة وسرطانات محنطة وفئران ونماذج من التيوس المخنثة ، لها فروع مع أعضاء ذكرية ، وأعلان هذا مصاحب هذا نصه : « إن « فاروق » عثر على هذه الانحرافات الطبيعية

التى تدعو للعجب » !

أخيرًا هناك مجموعات من الفخاخ (الشراك) التى جمعت فى شرك رسمى للعرس و« الفئران » صنع بواسطة الشركة اللندنية لفخاخ الحيوان مع تعليمات بوضع الملح مع العصفور الدورى الإنجليزى أو اللحوم المدماة)

وعلى الرغم من أن أغلب الأوروبيين فى القاهرة هذه الأيام يرتدون إما شنطة على الظهر أو سنادة (حزام ظهر) ويتحركون كقطيع يرعى فى حافلات السياحة لقضاء يوم سريع فى المساجد والأهرامات ومحلات السجاد الشرقى وبازارات خان الخليلى قبل أن يتجمعوا فى حزمة واحدة فى رحلة ثلاثة أيام عبر النيل إلى الأقصر وأسوان . رغم ذلك ، ما زال هناك مجتمع ويراعى بقاء الصفوة الفاروقية . . فالفيلات التى كانت تعيش فيها هذه الصفوة بُنيت أغلبها عام ١٨٦٩ وهو العام الذى افتتح فيه الخديوى إسماعيل قناة السويس وقد سمح الخديوى للعديد من المقربين ببناء هذه المبانى أوروبية الطابع - على عجل - حتى تبدو القاهرة المتحضرة فى أعين الضيوف الأجانب ، هؤلاء الذين سيحضرون إلى المدينة فى احتفالات افتتاح القناة - والآن فقد آلت هذه الفيلات إلى السفارات الأجنبية لأن أصحابها باتوا لا يقدرون على الحياة داخلها أو صيانتها ومع ذلك فالسفراء عادةً ما يدعون السكان القدامى لأماكن طفولتهم !

فى إحدى الليالى وفى السفارة السويسرية بحى جاردن سيتى والذى كان مرتعًا ومأوى للنبيل اليهودى (موصيرى) كان يوجد فيها ويصا وقسيس ووهاب ويونس وسميكة وخليل فؤاد حليم إلخ . إنهم طيف الماضى العظيم الذى دفن ! إنها الأسماء الشهيرة لنجوم المجتمع قبل الثورة الذين شربوا الشمبانيا وأكلوا الكافيار ورقصوا الدانس فى انشراح . ثم تغازلوا فى مداعبات ماهرة ذكية ، هذه الخلطة الارستقراطية من بقايا اليهود والقبط والمسلمين المتخرجين فى شبابهم من جامعات هارفارد وأكسفورد والسوربون يعودون إلى جذورهم وإلى الأيام التى ذهبت وتعتمت ! لكنهم لا يستطيعون الهروب منها . إنها نافذتهم على الماضى المتحرر ! قد نستطيع تخيل

فاروق وهو يدور فى إحدى سياراته المريحة الكاديلاك الحمراء آمرًا كل ليلة بإقامة مباراة للبوكر !

قال فيكتور سميكة : (البولو مرض والعلاج هو الفقر) إنه الآن فى الثمانين من عمره ، وكان فى الماضى واحدًا من أكبر رياضى مصر وأولادها الأشقياء ، سميكة قبطى واسمه يعنى سمكة صغيرة باللغة العربية ! إنه يقتسم أوقاته بين منزله الإنجليزى فى بطانج همبشاير ، وشقته الحديثة فى حى جاردن سيتى ! والسمكة الكبيرة فى حوض القاهرة الاجتماعى لا تقبل لقاء الأسماك الصغيرة ! ولذا فقد سجن فى إحدى السنوات من حكم ناصر ، ولكنه لم يطمح إلى هجر المدينة التى شاركت أسرته فى صنع نسيجها الاجتماعى عبر أجيال آمنت ببقاء الأمة ! ومن أجل ذلك فقد أنشأ المتحف القبطى . وغرفة نوم سميكة الناعمة مخدع تذكارات تحتوى على رءوس الغزلان المجففة والمصبّرة ، والبقر الوحشى على الحوائط وبورتريهات جانبية لسميكة فى البولو والمونوسيل . . كما توجد صورًا فوتوغرافية له يمارس الألعاب المختلفة وفى مواقع الصيد بصحبة الملكة إليزابث والأمير تشارلى ومهراجا جابور وريتاهيوارث فى أفريقيا ، كما يوجد ملصق كبير فى الهند وفى شاموبس بتيرول ، وقد ارتبط سميكة ببعض من أشهر نساء العالم فقد كان مضيفًا لباربارا هيوتن ، ودوريس داى خلال أيامهما فى القاهرة ، وما زال يميل وينتصب بما يسمح له بإغواء النساء ولكنه لا يقارن فى ذلك بفاروق !

يقول سميكة عن فاروق : « ففاروق يظهر فجأة فى غرف النساء فى منتصف الليل ، لكن المغامرين أمثالى يحتاجون حبلًا أو سلمًا خشبيًا ليقفزوا عليه ! ولكن « فاروق » كان على قمة السلم وهو موقن من حصوله عليهن فالملكية هى جواز مروره للجنس الآخر لذا لم أستطيع منافسته » .

وأخذ سميكة يتذكر أول لقاء له بفاورق على شاطىء سيدى بشر بالأسكندرية حيث أخذ يلعب ويداعب ويثرثر حائمًا حول امرأة جميلة كانت بصحبة سميكة فهو يحب أن يسبب الراحة للمتعبين .

وسميكة ، الذى كان يمتلك جرسونيرة في عوامة على النيل حيث تتوقف وسائل نقل الخصوصية الملكية تصل فى هيئة عربة تجرها الخيل ، إنه مغرم بذكريات عشيقات ومحظيات الملك . إيرين جونيل كانت مثيرة وجميلة ، أخذت حظها من التعلم كفتاة إنجليزية مما أعطاها قبولًا لا تملكه فتاة شرقية وبالطبع باربارا سيكلتون فقد كانت بحق فتاة إنجليزية رائعة ! وتذكر كيف التقط فاروق هونى سيل هوهيلوليا فى بار إسكاربييه وأطرى روحها الأمريكية الطليقة . . « وعندما أراها تسألنى . . فيكتور هل تستطيع الحصول منى على تلك الروح الطليقة بعد ! ! » .

وقد قارن فاطمة طوسون وإيرين جونيل « فاطمة كانت جميلة وسمينة ولكن لا تشارك ، وإيرين كانت جميلة نحيفة ومشاركة » .

ويصف سميكة نازلى بأنها (قارئة حسنة ونهمة للجنس) وتكلم عن المعارك الكبرى بين فاروق وفريدة . . قائلًا : أنتونيو بوللى كان الفرد الوحيد فى حاشية فاروق الذى أعجبه ! وأنكر أى دور لكريم ثابت باعتباره أحط المنحطين من أشباه الرجال ! فهو لا يقول سوى نعم .

وكانت الأميرة فايزة أخت فاروق العضو المفضل فى أسرة الملك إليه . . إنها تعيش الآن فى لوس أنجلوس يقول عنها : (إنها واحدة من أشد النساء فتنة وجاذبية . . من الذين عرفتهم) .

ويكمل : ولكن كانت تغلبها مشاعر فنتازية تدفعها لعدم الإحساس بالأمان [عندما شاهدتها فى حفل كوكتيل قالت لى عندما أمشى فى الغرفة دائرة فإننى أعانى من فكرة الخوف من الموت] .

وقال سميكة عن أخت فاروق الكبرى فوزية والتى تعيش بالإسكندرية مع زوجها إسماعيل شيرين لقد قابلتها فى بودابست وكانت نموذجًا للكمال ، وترتدى رداء غامقًا وقلادة عنق من الجواهر تناسب لون عينيها الخضراوتين ، وجلست معها بعد ذلك على العشاء ولمدة خمس ساعات كاملة لم أستطع الحصول على أكثر من نعم أو لا .

وكانت أكثرهن تحدثًا وبلاغة وجمالًا يوليفيا حليم . ابنة الأمير عباس حليم - التى كانت وزوجها الإيطالى يقسمان أوقاتهما بين بوستيانو فى إيطاليا وعند ارتفاع ١٩٤٠ سم فى حى الزمالك بالقاهرة ! ويقول رئيس الطهاة الأمريكى العجوز فى مطبخها (لم يكن سهلًا عليها أن تكون أميرة ! ولكنها تحملت الأمر بلا حيلة) . . وهى تعتبر وإلى أبعد مدى أكثر الباقين من العائلة الملكية جمالًا بسبب عيونها الزرقاء العميقة ، وخدودها الغائرة ، وبهائها الملكى الذى يملأ « دفيليه » كاملًا على أعلى مستوى من الموضات الباريسية الحديثة !

وقد قضت أسوأ أيام الثورة بينما والدها سجين لمدة ٣ سنوات فى مدرسة ماديرا بولاية فرجينيا مع حاضنتها بيتربال تدرسان تحت إشراف مدرس مثل جين هاريس والذى قتل خبير الأغذية د . هيرمان تيرنور ثم ذهب إلى جورجيانادن ليلعب الورق مع جون كيندى .

وأوليفيا حليم تنتسب للخديوى إسماعيل من ناحية الأم وإلى محمد على من ناحية الأب .

لذا فهى ملكية كما يجب أن تكون الملكية . . ولن تصل إلى أعتاب الخريف مهما كان شبحه قويًا .

وجه آخر مميز جاء من باريس لحضور مهرجان الفيلم السنوى فى القاهرة إنه الممثل عمر الشريف ، الذى كان فى العشرين من عمره عندما طُرد فاروق . إنه يعكس العقلية الفرعونية لبلاده التى ترجمتها الطاعة العمياء لفاروق يقول عمر الشريف : (أنا كنت أصاب بالرعب من الرجل الكبير) رغم أنه كان يحضر إلى منزل أبى فى جاردن سيتى كل ليلة للعب البوكر فى ماراثون طويل مع الأولاد] !

ووالد عمر تاجر ، مزاجه لبنانى مصرى ، كون ثروته خلال الحرب من خلال تصنيع الأظافر الحديدية من السلك الشائك الآتى من معسكرات الإنجليز !

وكان حريصًا على استقبال الملك فى بيته ، لأن ذلك سوف يعطيه الحظوة فى

القصر ليحصل على التصاريح وإتمام الصفقات التجارية الناجحة .

وللعب مع الملك أصول : فإذا أثارك فاروق فعليك أن ترفع اللعب وإذا طوى الورق لا يجب أن ترفض . . وأنت لا تستطيع ترك منضدة اللعب حتى يقول الملك اللعب انتهى وذلك عادة ما يكون قرب طلوع الفجر .

وفى القاهرة فالأفراد الذين يملكون الحديث صراحة عن فاروق هم الملكيون السابقون ، والأثرياء مسموعو الكلم ، وأغلبهم يعيش الآن خارج مصر طوال العام . وثمة مدرستان أو رؤيتان فى تقيم ما حدث ، مدرسة فاروق ، ومدرسة فريدة وكل منهما يرى أنه ضحية الآخر والمتعاطفون مع فاروق يرسمون صورة فريدة كامرأة غانية غادرة كسرت قلب الملك وحاكت المؤامرات مع أقربائه ضده . . وساهمت فى طرد فاروق مع الضباط الأحرار ورحبت بالتغيير الجديد ! وكانوا يؤكدون غرورها وإصرارها على أن يدعوها كل فرد بجلالة الملكة ، وكيف أنها بعد الثورة أدارت معركة طويلة مع السفير الفرنسى عندما رفض إعطاءها جواز سفر باسم الملكة فريدة ملكة مصر . . (لبنان فى النهاية حققت رغبتها) وكيف أنها ارتدت تاج جواهر مزيفة بعدما صادرته الدولة منها !

ومعسكر فريدة يهاجم فاروق بأنه كسلان بطىء الحركة ، عنيد وأن فريدة شديدة البراعة لمعاشرته طوال ما فعلت وقد سخروا من إسلام فاروق واتهموه بالانتقائية فهو لا يشرب الخمر ولكن ماذا عن النساء ؟ وقد كان فاروق قادرًا على تبرير وضع بوللى (كوصيفه الرسمى) محتجًا بأن بوللى كاثوليكيًا وليس مسلمًا لذا فهو خارج معايير الإسلام وهو كما يعامل الله – يعامل الرجل . ولكن كل من معسكر فريدة وفاروق اتفقا فى رفضهم للملكة نازلى ، ذلك بسبب ممارستها المسيئة للملكية وعواطفها الجامحة ! وكذا الأميرة شويكار لكونها صانعة مشاكل ، فعلت كل ما فى وسعها لتفتيت بيت الملك فؤاد الذى كانت قد طردت منه ولذا سعت لسقوطه !

لا أحد لديه ما يسىء إلى أنطونيو بوللى الوصيف الملكى ، ولا أحد لديه شىء

حسن عن المنافق كريم ثابت الذى كان يعلق صورًا ممهورة فوق حوائطه لهتلر وموسليني . وكل من ثابت وبوللى توفيا وكذا إلياس أندراوس وبقية الدائرة المحيطة بفاروق . . حاول كل منهم أن يستمر بعد خروجه من المعتقل الثورى ! فتستطيع أن ترى محل بوللى للجاتوهات فى هيليوبوليس وتستطيع أن تشاركه القهوة والذكريات . وبخصوص ما حدث : فكل فرد فى القاهرة ينتمى إلى الحرس القديم يعتقد أن كل شىء كان أفضل فى عصر فاروق ، وأن الوازع الدينى المتصاعد ضد تنفيذ تنظيم النسل سوف يكون الخطر الذى يهدد البلاد بالظلام التام .

هؤلاء كانوا على وفاق مع فاروق أما من كان يبغضهم فإن على رأسهم السير مايلز لامبسون ، ذلك الذى وعد بالبقاء طالما وجدت الأهرامات . . والسفارة البريطانية ما زالت قائمة فى مكانها ولكن امتدادها حتى شاطىء النيل حيث كانت حديقة ليدى لامبسون قد اقتطع زمنها بسبب الطريق الجديد ، الممتد والمعروف بطريق الكورنيش والذى شق بجوار النهر ، وقد أنشئت بعد ذلك الأسوار العالية الصماء لتعزل المحتوى الإنجليزى داخلها . هذه السفارة التى أنشأها لورد كرومر فى أيام الإمبراطورية التى لا تعرف الغروب عام ١٨٥٠ ، وقد تحولت القاعة الكبرى الآن إلى قسم استخراج التصاريح والاستقبالات والشكاوى والورود الشهيرة مثل فورلون ، ويلت ، لوآن مع الأشجار وحشائش الأرض . ويقضى المفوض الآن وقته محاولًا غرس ورود جديدة ولكنه يكتشف أن الحشائش الإنجليزية لا تنمو فى التربة المصرية !

فيقول : ماذا لو كان هذا الدرس قد استُوعب منذ قرن مضى ! ؟

فى ديسمبر ١٩٧٦ كان رفيق غالى البالغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا قلقًا على أمه . . الأميرة السابقة أخت فاروق (فتحية) والمنفصلة عن رياض غالى والتى حصلت مؤخرًا على عمل كعاملة نظافة لأرضية المكاتب مما عجل بنهايتها ! !

. . . وفتحية فى الخامسة والأربعين من العمر ، وأمها نازلى فى الثمانين ، وهما

يعيشان فى لوس أنجلوس مع زوج فتحية ، رياض غالى البالغ ستة وخمسين عامًا . وقد أمضوا معًا عشرين عامًا . وفى البداية كان لديهم ٢٨ غرفة مانسيون فى بندكت كاينون بالقرب من إقامة تشارلز مانسون وأسرته . وعندما قتلوا شارون تيت انتقلوا إلى منزل أصغر فى شارع ١٦ سانتا مونيكا وكانوا قد باعوا مجوهراتهم على ما تبقى من نمط حياتهم الملكى الذى دعم جزءًا منه أصدقاؤهم مثل الأميرة (شمس) شقيقة شاه إيران التى عاشت بشكل رسمى فى بيفرلى وعندما انقطع الدعم من الأميرة الإيرانية اشتدت أزماتهم المالية مما عجل بإنفصال رياض عن الأميرة وأمها الملكة

فى سبتمبر ١٩٧٦ مثلت الأم والابنة أمام القضاء لإعلان إفلاسهما ، وتدهورت أحوالهما أكثر من ذى قبل فانتقلتا إلى شقة فى منزل إلى الغرب من لوس أنجلوس إيجارها متواضع فى منطقة مكتظة سكانيًا بخليط من اليابانيين الصفر ، والمكسيكيين عمال اليومية ، والطلاب من مناطق الكاريبى القريبة ، وبالرغم من ذلك فإن فتحية ونازلى كانتا غير مقدرتين لأحوالهما ، واستخدمتا الأموال التى كانت متاحة لهما فى استشارة عرافة هوليوود المسماة (كبرينا كتندا) والتى تشمل قائمة عملائها الآخرين فرح فاوست ، وميشيل كن . وشين كونرى إلخ ، وقد حذرت كتندا من زوجها الذى يعمل بائعًا فى محلات رودید للمجوهرات .

١٠ ديسمبر : كان رفيق غالى يعيش وحيدًا مستقلًا بحياته عندما أجرى مكالمة لأمه ولم يتلق ردًا . . عرف يقينًا . أن شيئًا خطيرًا قد وقع ، وعندما وصل إلى شقة أمه وجدها مقتولة وغارقة فى بركة دماء بسبب رصاصة اخترقت رأسها ، وإلى جوارها كان رياض غالى ينزف بغزارة وهو فاقد للوعى من جرح بالرأس أحدثه بنفسه وما زال مسدسه فى يده .

وعندما أنقذ غالى ، قدم لمحاكمة بتهمة القتل غير المتعمد لإنسان وذلك لموت الأميرة السابقة وقد قضى عامًا فى السجن ولكنه توفى بعد ذلك بعدة أعوام . وفى يونيو سنة ١٩٧٨ ماتت الملكة نازلى عن عمر ٨٣ عامًا وكانت وابنتها قد تحولتا إلى الكاثوليكية ، وقد دفنت بعد احتفال بسيط فى كنيسة الابن شيفرد فى بيفرلى

هيلز . . إنها النهاية الغريبة فى الواقع لملكة النيل ! !

وأخت فاروق الثانية والأصغر (فايقة) توفيت فى القاهرة سنة ١٩٨٣ عن ٥٥ عامًا وبعد مرض طويل وقد ظلت زوجة لفؤاد صادق وعاشت فى الإسكندرية حياة هادئة كأختها (فوزية) بعد حياة فى باريس لمدة قصيرة عقب الثورة .

الأخت الرابعة فايزة انفصلت عن زوجها رءوف ، ولحقت بنازلى وفتحية فى لوس أنجلوس ، حيث فضلت الحياة بمفردها فى شقتها الغالية فى وشير بوليفارد .

وفى المدينة ثمة مبدعات وأميرات كثيرات لكن إنسانة أصيلة مثل فايزة تستطيع أن تكون درة الخيوط البراقة للمدينة وستظل الشىء الناعم المشع ، ولقد اختارت ألا ترتبط بالأعمال الصغيرة التى لا يشعر بها أحد ، أو تلتصق بالسياسيين الأجانب أو الأثرياء أو بفم عائلتها المفتوح !

وظهرت فى عشاء قريب فى مطعم بوليفار « غروب الشمس » وبصحبة رجل صناعة المعادن الثقيلة فى ظهر المائدة (روكار) والمتقلب وليم موريس فى مقدمة المائدة ، وكانت لوحة الفتيات وبوشين وهوليوود رديئة إلى درجة جعلت عرش نادى السيارات الملكى فى مصر تبدو كقشرة بسيطة يمكن حكها .

وقد أكدت حقيقة دراسة أخوها الملك فى انجلترا فى ساند هيرست وبذا سقطت إشاعة أنه لم يدرس فيها وأنه فى (وول وش) على المائدة . . وبإرادة قوية تريد فايزة أن تنسى صدمة فقدان الملك والطرد وحتى الذكريات الطيبة يمكن نسيانها بالمراوغة . .

وأما قصة بلنت رءوف فقد كانت لها نهاية سعيدة ، فبعد طلاقه من فايزة ، تحرك الارستقراطى التركى إلى لندن حيث تعرض لأوقات صعبة ، وقد أنشأ سلسلة مطاعم ومكاتب عمل عدة مرات فى تشيلس وبسترز ، وفى مطعمه بمربع (سلوان) ، وكان عناده فى إدارة المشروع سببًا فى التوقف !

وكانت شخصية رءوف هى ما جعلته صديق فاروق المفضل فى القانون – وهو

على أيه حال لم يُفقد فى لندن الستينات فقد أصبح محبوبًا من منتجى الأفلام الذين يقدم لهم خدمة المطاعم ، وكان ذلك فى زمان البيتلز وكانوا ذاهبين إلى الهند ليقابلوا المهراجا ، وجاءت لرعوف فكرة أفضل . . لماذا يذهب إلى أقصى الطريق . . وحتى الهند . .

وقد تزوج إنجيلا سايمور السيدة الاجتماعية والزوجة السابقة لكل من لورد كينروس وراندولف تشرشل وقد توفيت وهى شديدة الثراء والنفوذ .

وأما بنات فاروق فقد ظللن فى سويسرا ، الأميرة فادية والتى تزوجت دون موافقة والدها ما زالت مع الجيولوجى الروسى سيرجى أورلف - وبعد عام من وفاة فاروق ذهبت الابنة الأكبر فريال التى كانت تعمل كمدرسة للآلة الكاتبة فى مدرسة للسكرتارية فى لوزان إلى إنجلترا لتتزوج فى مكتب التسجيل العام تمامًا مثل فادية - وبالرغم من أن فريال التى تتكلم ست لغات قد خططت للالتحاق بمدرسة الطب إلا أن « فاروق » اعترض على رغبتها غير الواقعية وقد كان يتوقع أن تتزوج من شاه إيران أو الملك حسين أو أحمد عزت الابن الأكبر لرئيس سوريا الأسبق .

ولكن الرجل الذى تزوجته بالفعل هو جان بير بيارتن الأرمل السويسرى والذى لديه ابنة تبلغ عامها الثامن عشر وهو يدير فندقًا فى جستادا .

قالت للصحفى المزعج الذى (قلب الحفل) : (ما أريده هو أن أعيش حياة هادئة فى سويسرا وقد تحققت أمنيتها .

الأخت الثالثة لهم فوزية تعيش بالقرب منهم فى سويسرا ولم تتزوج .

وأم البنات الملكة فريدة أصابها كثير من الأحزان بعد مقتل فتحية .

وفريدة تركت مصر عام ١٩٦٣ فى البداية إلى بيروت لتمارس الرسم ، ثم إلى باريس عام ١٩٧٦ حيث طورت أسلوبها بتكثيف اللون .

وخلال عصر السادات عادت فريدة إلى مصر وبدأت فى تقسيم أوقاتها بين

القاهرة وباريس ، وقد منحها السادات بنسيونًا صغيرًا وشقة كتعويض عن حرمانها في عهد ناصر ، الذى صادر منزلها فى الهرم ، ذلك المنزل الذى منحه إياها فاروق - وقد فعل عبد الناصر ذلك عندما ثبت أنها أقل أهمية كأداة للدولة مما كان يتوقع !

والصحفى وكاتب التقارير بمجلة التايمز فى باريس - الذى دعته فريدة للزيارة فى شقتها فى شارع بير جوليز رقم ١٦ ولاحتساء القهوة ومشاهدة مجموعة مجوهراتها - وكاتب التقارير هذا ينحدر من أسرة ثرية فى ميرى لاند (تجارة الخيل) - فجأة شعر ببرود مفاجىء من فريدة كانت التعليمات لديه أن يخاطبها (بصاحبة الجلالة) وعندما قال لجلالتها (كم هى جميلة مجموعة مجوهراتك) وجد نفسه فى الخارج .

فيما بعد ، فهم أن المقابلة لم تكن لحاجة ثقافية أو لمجرد حب الاستطلاع الفنى بقدر ما كانت لأن الملكة تحتاج إلى المال ، وتوقعت أن يشترى منها شيئًا .

وقد كانت أفضل أصدقاء فريدة فى باريس الأميرة بيرس كاندورف - الرسامة البريطانية وصاحبة كتاب (فن الحياة) ومذيعة التليفزيون البريطانى المتخصصة فى أخبار الأثرياء والشخصيات العامة - والتى تزوجت من أمير روسى توفى عام ١٩٩٠ عن عمر يناهز ٩٤ عامًا - الأمير ديمترى والأميرة بيرس عاشا فى بيت صغير عمره ٤٠٠ سنة فى شارع مارتيرز الممتلىء بالحوانيت أسفل جراش نيون فى البيجال .

وقد قابلت الملكة الأميرة فى حفل كوكتيل عام ١٩٨٠ وصارتا صديقتين على الفور وذلك للتشابه فى الميول الفنية والأصول الملكية ! !

وعندما اضطرت فريدة أن تبيع شقتها فى شمال بيرجولوزى انتقلت إلى بيرس فى كوخها الصغير الذى يبعد ٣ درجات فقط عن مركبة النجوم الطائرة ! ! ويحتوى الكوخ على بار ضيق له سطح محدب وألوان باهتة وبه سخان مصرى يحدث ضوضاء أكثر مما هو مألوف فى ميدان عابدين .

إن السكنى فى مثل هذا المكان بالنسبة لفريدة عبارة عن (توبة وكفارة) لأى

ذنب قد تكون قد اقترفته فى حياتها ومع ذلك فبيرس قالت إن فريدة كانت سعيدة هنا ! وفريدة يمكن أن تكون أى شيء إلا ربة منزل - فهى حتى لا تعرف كيف يعمل التوست وعندما كسر زجاج منزلها لم تكن لديها أى فكرة عن كيفية إزالة بقاياه .

وعندما أخذت بيرس فريدة فى رحلتها الأولى فى المترو استمتعت به الملكة كأنها مغامرة ! وكانت تحب ارتداء مجوهراتها ثم الذهاب مع بيرس التى كانت تسميها (العسل) إلى النوادى الليلية الروسية أو إلى مقهى بلازا فى أوتيل بلازا - حيث اختير فاروق وكان عمره ١٧ عامًا شجاعته لأول مرة بزيارة غرفتها وهى فى سن ١٦ عامًا فى رحلة الملك الكبيرة لأوروبا ١٩٣٧ .

قالت فريدة لبيرس . . (لم يحدث شيء فى هذه الزيارة وعلى العموم فلم يحدث شيء طوال حياتنا الزوجية) .

وقد شرحت لبيرس كيف أن « فاروق » اعتاد تناول الأدوية والمنشطات عندما يحاول هو وفريدة إنجاب الأطفال . . وكانت فريدة تؤمن أن علاقة فاروق بنازلى أمه علاق أوديبية مرضية - وهى تلوم نازلى لأنها ألقت عفن فاروق عليها وسعت لإتمام هذا الزواج .

وعندما سألتها بيرس عن ارتباطها السابق وزوجها المسجل فى الورق (وحيد يسرى) الذى كان خطيبها المفترض والذى أخذها فاروق منه كجزء من رغباته المريضة . ابتسمت بيرسى مندهشة من إجابتها وعقلت قائلة : (إنها تحب الرجال أيضًا) .

فى منتصف عام ١٩٨٠ عندما عرفت فريدة أنها مصابة بنوع من سرطان الدم - أهدت ذكرياتها المكتوبة لبيرس - وكانت فريدة تعتقد أن « فاروق » قد مات مسمومًا كضحية لنظام ناصر البوليسى وأن دوافع موته كانت مالية ولم تكن سياسية ! !

وهى على قناعة أن « فاروق » كانت لدية ثروة أخفاها فى بنوك سويسرا السرية

لم يتسلمها أحد من أسرة فاروق أبدًا وهى غير واثقة إذا كان نظام ناصر قد حصل عليها أم لا .

فى عام ١٩٨٨ اقترحت زوجة الرئيس مبارك عودة فريدة إلى مصر للعلاج من مرضها وقد اقترح المعالجون نقل الدم لها .

فى البداية رفضت فريدة الفكرة فهى منزعجة من الإيدز . . ولكنها وافقت بعد ذلك والدم كان ملوثًا بشكل ما فسقطت تحت وطئة التهاب كبدى وبائى نتيجة للفيروس (ب) ثم توفيت بعد ذلك بأربعة شهور .

ومن بين كلماتها الأخيرة [بيرس فى الخارج للشراء وديمترى يتناول الشاى الآن] .

وقد دفنت فى مقابر المسلمين بالقاهرة .

وقد قضت فريدة أيامها الأخيرة مع أمها التى قاربت التسعين من عمرها – وأم فريدة مسنة جدًا وعادة ما كانت تنادى فريدة باسم الدلع فى الطفولة (فيفتى) ولكن عندما استجابت لها فريدة وعادت لم تكن الأم تتذكرها ، وفريدة التى كانت تصر على أن تخاطبها أمها (بصاحبة الجلالة) وكانت تصاب بالإحباط لعدم استجابة الأم لذلك (أنا ابنتك ملكة مصر) وكانت الأم لا تفعل سوى إطلاق ضحكات عالية [ها ها ها) فقط فى صباح وفاة فريدة استجابت الأم لرغبتها وأخذت تتجول حول المنزل نائحة (فريدة . . فريدة . . أين الملكة ؟) وكانت تريد إحضار الطعام لها ولكن كان الوقت قد فات !

وقد توفيت أم فريدة بعد ذلك بعامين .

وبعد وفاة فريدة سألت ابنتها فادية وأخواتها عن مذكرات فريدة التى أهدتها للأميرة بيرس قالت : إنهن قررن جميعًا عدم رغبتهن فى رؤية مذكرات أمهن منشورة وفضلن حرقها .

وبعد وفاة الملك فاروق أصبحت فريدة صديقة لابنه فؤاد الذى قابلته للمرة الأولى فى جنازة فاروق - ولقد اهتمت بصدق بالولد الذى حكم مصر لفترة قصيرة أثناء دراسته وبعدها . . وعندما كان يحاول الزواج من زميلة دراسته اليهودية دومنيك فرانس بيطار - أصرت فريدة على مقابلة السيدة الصغيرة قبل الزواج - وبالرغم من محاولات فريدة لإثارة أى جدل أو مناقشة حول الموضوع إلا أن الفتاة رفضت الاستجابة لأى إغراء .

وسرعان ما أصبحت أميرة المستقبل « فضيلة » والملكة السابقة فريدة أصدقاء . . وقد عبرت فريدة لها عن اعتقادها أن العديد من خطوات الزواج الخاطئة ترجع إلى التطرف فى الشباب فى الوقت الذى خططت فيه نازلى لزواجها من فاروق وحكت لها : كيف أنها كانت تحطم فازات فاروق الغالية المهداه إذا لم يعجبها اللون أو الطراز ، أما قلادات العنق فكانت تلقى بها فى الحديقة بالقصر . .

وكان من الممكن أن يتسولوا بعد ذلك لولا أنها كانت تحب المجوهرات مما جعل لها بعض الثروة بعد ذلك .

استفادت فضيلة من أخطاء فريدة ، فلم تبدع حياة منسجمة مع فؤاد فقط ولكن أيضًا عالجت العلاقة بين فريدة وناريمان بدعوة كلاهما على العشاء ، فجلسوا على الأرض أمام التليفزيون فى الشقة الكبيرة بشارع (فوش) (لم يكن فى تلك الجلسة قواعد ولا بروتوكول مثل من يجلس أولًا ؟ وأين ؟ لا تاج ولا مجوهرات ، لا طريقتى أفضل من طريقته ؟ وتكررت اللقاءات بعد ذلك عدة مرات وتحسنت علاقتهما) .

وناريمان التى كانت فى السادسة والأربعين فقط عام ١٩٩٠ والتى عاشت فى القاهرة بعد عدة سنوات فى بيروت ، هى أيضًا لم تكن فى حالة صحية جيدة ، فقد تعرضت لنزيف فى المخ مع بداية عام ١٩٨٠ . وفى البداية كان فؤاد فى موقف معقد لكنه سامح أمه على هجرها لأبيه فى ساعاته السوداء ، وتشابكت العناصر فهى شابة وأمه ثم هناك عبد الناصر وكلها أشياء لطفت الأمور تجاهها ولأن فؤاد كان

رجلًا رحيمًا شفوقًا كما يجب أن يكون ملك سابق !

واليوم ففؤاد وفضيلة ينظر إليهما كعنصر فعال فى شبكة الحياة الاجتماعية الأوروبية ، فهما حاضران باستمرار فى الجراند بال وفى تجمعات الربيع ، وفى معارض الأزياء ، والبعض يعتقد أنهما أصبحا فريسة لصانعى الأخبار وهما يقدمان نفسيهما الملكية والعامة حتى يقطفا العنب الذى لا يقطف ؟ ! ولكن من اليوم بدءًا من بوش حتى ريجان وكيسنجر لا تستكشف حياتهم وكالات الأنباء ! !

(فالقوة مثل الشهرة أكبر منشط لبيع العناوين !) .

وفؤاد يقر تمامًا وبإخلاص أن والده لم يأخذ أكثر من مليون دولار وهو يغادر مصر – ففاروق لم يكن يعتقد أنه يمكن أن يُسقط ! وبالتالى لم يخطط لذلك .

وما استفاده شخصيًا بعد وفاة فاروق كانت شقته فى حى باريولى أما المجوهرات واللوحات والطوابع والمجلات الخاصة والماعز المخنث المصّبر إلخ كلها أشياء تركت للضباط الأحرار وحتى إذا كانت هناك أموال فى سويسرا ففؤاد وأخته لم يروها أبدًا . . ومع ذلك ففؤاد يعيش اليوم إذا لم يكن مثل الملوك فهو يعيش كرجل ثرى – وحتى ملوك اليوم لم يعودوا ملوك الأمس وخاصة فاروق بالطبع !

الملك المنسى

الملك السابق فاروق هو المعادل الحديث لـ (سردنيلوس) الملك الأخير العظيم لمملكة آشور والذى عُزل لأنه قال إنه يرغب فى امتلاك ثلاث (مقدات) حتى يستمتع الحياة ثلاثين مرة أكثر مما يفعل !

قال سردنيلوس كما ورد فى بايردن (كل . . أشرب . . أحب . . ما جدوى الحياة دون ذلك) .

وعندما امتلك فاروق القوة وعمره ١٨ عامًا وذلك فى عام ١٩٣٧ كان قوى البنية ، طموحًا ، شابًا مما كان يبشر بالخير على الأقل بالنسبة للحس الوطنى المصرى . وقد بدأت شعبيته فى التدهور والضعف عندما طلق زوجته الأولى الملكة فريدة ١٩٤٨ .

ونستطيع أن نقول أنه وصف بكل الصفات الحقيرة مثل جشع ، بخيل ، أكول إلخ حتى وصل إلى الازدراء الكامل ، ففاروق الذى انتهى عهده بطرد ملكى ، لم يعد يعنى شيئًا لمصر أو لفقراء الشعب المصرى ، واللوحة المكتوبة فوق قبره تعبر عن هذه اللامبالاة وهذا الازدراء !

ومثل هذا التحليل كان تعليق أيضًا مدير تحرير النيويورك تايمز على موت فاروق وستنقل نفس الرؤية إلى الصحف والجرائد الأخرى حول العالم ! والنتيجة : إنه التانجو الأخير فى شارع الصحافة الدوار ضد فاروق . . مُهد لذلك فى الصحافة البريطانية . . وكلها أشياء معقولة ومحترمة فالبريطانيون : عادة ما يحملون عصاهم الطويلة لطى الأحقاد الدفينة فى العنب الحامض !

فهم قد فقدوا مصر ، وفقدوا القناة وفقدوا إمبراطوريتهم ، وسير مايلز لامبسون ومعركته الطويلة العقيمة مع الملك فاروق مثلها مثل أى صعود وهبوط للأحقاد القديمة .

وبالرغم من أن النيويورك تايمز كان لها رجالها فى الشرق الأوسط وفى مصر حتى عام ١٩٥٢ وكانوا من حيث المكانة مثل السياسيين فى الدوائر البريطانية ، وكانت أغلب التقارير غير العربية التى كتبت عن فاروق هى تقارير بريطانية . وهى فى الأغلب أكثر موضوعية من التقارير العربية التى كانت تخضع لقانون الرقابة الملكى على المطبوعات ، والتى تراعى الاعتبارات الملكية والسياسية العامة .

ولذا فالصورة البريطانية كانت بالتحديد بريطانية ! والتراجيديا الكبيرة للشخصية العامة لفاروق كانت : أنه لم يكن بريطانيًا ولم يكن عربيًا أيضًا ومع أنه بالتأكيد لم يكن بريطانيًا ولكنه كان يخضع لأحكام ومعايير الملكة البريطانية والتهذيب البريطانى ، والارستقراطية البريطانية – وهو ما لم يكن واحدًا من كل ذلك . .

وسير مايلز لامبسون (أهمل كل أعماله الدبلوماسية اللامعة محاولًا أن يصنع من فاروق كل هذه الأشياء) . ولكن (الولد) ببساطة لم يكن لعبة لقواعد لامبسون والقواعد البريطانية – والنتيجة أن الصحافة البريطانية دعمت ما يفعله لامبسون فشخصت تم سخرت ثم رسمت كاريكاتير يزدرى « فاروق » غير المحترم ، وغير الجدير والبربرى ، الهمجى ، عدو الشعب ، . . الشعب البريطانى ! !

إن « فاروق » الذى فشل لم يعط رأسه للقوة الرابعة الممتلئة بالذخيرة . . وحين بدأ كان صبيًا صغيرًا . . ربما كان عليه أن يصبح ملكًا ولكنه ما زال صبيًا وحتى لو كان بريطانيًا ملكيًا فالمتوقع أن يتصرف كصبى .

فى سنة ١٩٣٦ ربما تكون معاهدة مصر وبريطانيا قد تركت صدى لطيفًا عن استقلال مصر ، وتخفيض رتبة ميلز لامبسون من لورد مستشار المستعمرة العالية ، إلى رتبة سفير الإمبراطورية وكان كل فرد . . كل فرد خارج مصر . . يعرف القصة الحقيقية وهى أن مصر أساسًا ليست أكثر من مستعمرة بريطانية . عظيمة ، ولكن فى النهاية مستعمرة . والمنتظر من فاروق أن يتصرف بما يلائم ذلك ! أى يتصرف

كلعبة وتمثال صغير لتلميذ بعض المدارس البريطانية . وهو لم يكن يرغب فى ذلك ولم يفعله !

ولكن كيف تصرف ؟ إنها قصة أخرى . .

فى بداية نظام فاروق عندما كان نحيفًا وجميلًا فى صورة أمير صبى جذاب ، معتدل القامة ، مهندم ملكيًا . . الصحافة تقدره والعالم يتبع خطواته حتى تدخلت فى أدق تفاصيل حياته الخاصة مثل طول قامة فاروق بالقياس لقامة فريدة ، وشهر العسل الملكى . . إلخ .

كما أنه تسلم العرش فى الوقت غير المناسب فمع بداية الحرب العالمية اقتضت ضرورات هذا الصراع الضارى وضع نهاية لكذبة استقلال مصر ! وأن لفاروق أى تأثير .

ومع ذلك فالمصريون اعتقدوا عكس ذلك ، وفاروق أيضًا اعتقد عكس ذلك . . وكان هذا هو المحك .

مصر فاروق تعاملت مع بريطانيا على أساس أفولها ، وليس كما فى الواقع ! وبدأ فاروق يتصرف على أنه ملك وليس الدوبلير الذى أرسل له مايز لامبسون صبيًا كبيرًا اسمه تيوتور إدوارد فورد ليصبح مثله ولكن مع مراعاة جذور عائلته الفرنسعثمانية !

ففاروق اجتماعيًا بدأ يلعب بخفة وذكاء ، وسياسيًا كان نموذجًا للدور الممثل للسلطانى العثمانى وخليفة المسلمين (ورؤيته الشرق) . وإلى هذه الخلطة أضيف المثال العسكرى الألمانى ، وهذا العنصر ليس مسئولية فاروق ولكنه يرجع إلى دور مستشاريه المصريين الذى انبهروا بعادات العسكرية الألمانية الكلاسيكية . وكان المتعاطفون مع هذا المنحى على ماهر رئيس الوزراء والفريق عزيز المصرى وغيرهما وكانوا يجسدون الكراهية لإنجلترا ولكنهم لم يكونوا ضد السامية ! فمصر بلد عاش فيه اليهود كعبيد وربما شاركوا فى بناء الأهرامات ولكنهم أصبحوا الآن على القمة منها كأسياد للمال والمجتمع وفى مصر للأسف تدرك بصعوبة المسافة بين المحبين

لألمانيا والمتعاطفين مع النازى !

فقط بعد الحرب عندما برز المسألة الفلسطينية كموضوع الشرق الأوسط أصبحت المسافة غير كافية . .

وفى الصحافة قُدم فاروق كصديق للرايخ وعدو لليهود وفى الحقيقة فهو لم يكن هذا ولا ذاك ولكن التهمة كان من الصعب دفعها وخاصة عندما أرسل قواته إلى الحرب ضد إسرائيل .

والأسوأ من ذلك كله أن « فاروق » صار بدينًا فى عالم يحكم على قادته بمظهرهم ، وتحول فاروق بين ليلة وضحاها من شخص مرموق إلى شخصية مضحكة !

لماذا أصبح بدينًا ؟ موضوع يحتاج مناقشة طويلة ! والنظريات فى ذلك تتراوح بين الاستعداد الجينى والاكتئاب الذى سببه له تهديد لامبسون فى عابدين سنة ١٩٤٢ ، والخلل فى الغدد الصماء بعد حادث السيارة الذى تعرض له ، وبين حقيقة أن الطعام الشهى موجود دائمًا . .

وما حدث أنه لا مهرب من البدانة بمصاحبة الصلع الذى بدأ قبل الأوان . . وسوء التقدير نتج من هذا التوافق بين الزيادة فى الوزن والنقصان فى الشعر !

هل يمكن لجون كيندى إذا أصيب بالبدانة المشابهة أو الصلع أن يطرد لهذا السبب ؟

(فاروق البدين) أصبح صورة كرتونية للتهكم حتى إن العامة نسوا « فاروق » النحيف الذى كان يزين قواعد التماثيل الصغيرة فى قوارب أحلام المحبين عن الصبى الملك الآتى من ليالى العرب منذ سنوات قليلة .

أما بالنسبة للبريطانيين فالرجل خفيف الوزن أصبح ثقيلًا ! وبمجرد أن رأى فيه شيطانًا أولئك الذين كانوا يرونه رومانسيًا ولامعًا مثل نجوم هوليوود . ما هو الشيء

الطيب فى الرجل النحيف الذى يصبح بغيضًا فى البدين ؟ !

وقد حدث هذا مع طلاقه المدوى لفريدة بمصاحبة تأثير ما حدث فى منتصف حرب ١٩٤٨ ضد إسرائيل ثم رحلته إلى أوروبا عام ١٩٥٠ التى أعلنت فى الصحف كفضيحة فى الإسراف ثم شهر عسله الثانى سنة ١٩٥١ مع ناريمان توافق ذلك كله ، مما جعله يبدو كمن يلعب فى الزمن الضائع ! ! زمن النهاية .

إن اختياره لناريمان لم يكن موفقًا من ناحية العلاقات العامة – ليس فقط لأنها كانت صغيرة جدًا فى السادسة عشرة ولكن لأن الأمر تم بسرعة ودفعة واحدة . . هل كانت هى نموذج جاكلين يوفيرا الآتية من البرجوازية العليا مثل فريدة ؟ مما يجعلها مقبولة للرأى العام والصحافة ، إن « فاروق » كان قد يئس من نماذج جاكلين يوفيرا والحاشية الملكية قررت أن تصبح نواة للبرجوازية ، وفاروق لم يقدر على تفهم ذلك ، وفضل اللامبالاة .

ومع ذلك فأحد مظاهر عظمة حكم فاروق القصير لمصر أنه لم يهتم بالمظاهر . . وكل ما فعله كان تعبيرًا صادقًا عن نفسه والذى كان واضحًا تمامًا . . وهذا كان خطئًا كبيرًا ، فقد كان فى حاجة حقيقية إلى رجل علاقات عامة متمرس وليس شخصًا مثل كريم ثابت .

وقد ساهم أيضًا فى تدمير صورته ، بطانته التى ساهمت فى سقوطه . ففوق كل شىء أنه كان مسرفًا متلافًا وكل شخص يكره المسرف خاصة المسرف البدين .

انس إفشاء أسراره قبل البريطانيين ، انس غدر وخيانة الأمريكيين ، أنس تدخل المخابرات المركزية ، فالحقيقة أن « فاروق » فقد عرشه وفقده حريته وهذا الأسوأ وأنه أيضًا فقد فلسطين وقد تكون هناك الكثير من المعايير لما حدث ولكنها لا تبرر كل ما حدث فالتعاطف العالمى كان مع ضحايا الهولوكست « محرقة اليهود » .

لماذا لا يكون لهم الحق فى زراعة الورود فى صحراء خالية يريدون أن يحولوها إلى أرض اللبن والعسل !

وفاروق من خلال وهم قوة تجمع العرب كان مدفوعًا فى مسار مسدود ، والكثير من الأفعال الطائشة ، التى تجعلنا نتمنى اليوم أنه كان قد قبل قرار التقسيم وتقسيم فلسطين بين العرب واليهود وهو أمر يتفق مع ما تمخضت عنه الحرب من إعادة تقسيم العالم !

ولكن فى هذا الزمان ولأن « فاروق » غير العربى يقود تجمعًا عربيًا مضادًا لليهود فى إسرائيل . لذا فقد أصبح رمز العرب البدين ، العرب الأثرياء كارهى اليهود ، قاتلى اليهود ، العرب الخاسرين الذين ما زالوا حتى الأيام الحاضرة صورة للقوة التى تسمم مياه السلام وتعوق اليهود والعرب من الحياة معًا فى أمان ! وناصر بالطبع أكثر عداءً لإسرائيل من فاروق ، وناصر كان زعيمًا مهندمًا وكان فقيرًا ولذا فالمرجح أن يكون أكثر ديمقراطية . . ذلك ما لن يخطأ فيه البريطانيون والأمريكيون مرة أخرى ؟ ! ولكن « ناصر » انتصر ، ففى مسألة الرأى العالم استطاع أن يكسب كل شىء . . وبالنسبة لفاروق الخاسر فلا شىء ينسب إليه سوى الازدراء . . ولكن هل يستحق كل هذه الإهانات ؟ إنها دراسة حالة فى التحامل واغتيال الشخصية ؟

لقد أُعطى فاروق صندوق بارود صغير يسمى فلسطين ، فهل استطاع قائد عربى آخر حتى أكثرهم ثورية أن يحمله ؟ وإذا قدر لفاروق أن يحتفظ بشعره ومقاس خصره فهل تكون لدية أيه فرصة ليكسب قلوب وعقول هؤلاء الناس فى العالم الغربى ؟

دع الشعبية جانبًا ، ماذا إذا كان شخص آخر فى مكان فاروق هل كان سيغير شيئًا ؟ ربما أفضل الطرق أن نعتبر « فاروق » بداية وليس نهاية فهو أول ملك عصرى محبوب لمصر ! فوالده فؤاد كان مجرد أوتوقراطى من المدرسة العثمانية القديمة وملكيته بالكامل صناعة بريطانية أوتوقراطية وجدت فى القاهرة وفقًا للمعايير المحددة فى لندن . وفؤاد من نواح عديدة كان أجنبيًا رُفع إلى العرش فقد تعلم فى إيطاليا ولم يتكلم العربية إطلاقًا وكان يقول عن المصريين (هؤء الناس) ، وإذا كان فؤاد ممثلًا للحكم الأجنبى لمصر فملكية محمد على بالكامل التى تتكون من الخديوات الأتراك لعبت دورًا كنظام حتى فى المستعمرات الأفريقية وهى بالتأكيد أقرب للروح

المصرية من البريطانيين . . وهم لم يرفضوا أن يكونوا من (هؤلاء الناس) .

وعلى الرغم من أن فاروق ليس – بالطبع – من الفلاحين ، إلا أنه على الأقل بذل جهدًا لصنع علاقة مع (شعبه المحبوب) من الفلاحين وهم بالمقابل أحبوه – على العكس من أبيه الذى كان متجهمًا منعزلًا غير محبوب ، وفاروق كان باسمًا يشبه الإله الأشقر الفرعونى ، الذى رسخ فى وجدان العامة قرونًا بعد قرون من الطاعة العمياء .

فهل بالأصالة يستطيع أن يكون ؟ وإذا أراد أن يكون ؟ . . فاروق بالأصالة كان جذابًا يتكلم العربية بطلاقة ، . يصلى فى المساجد يوم الجمعة ويستشهد بالشريعة الإسلامية ، لقد كان ابن مصر ، ابن مصر المفضل ، وكان عدم الاحترام غير المحتمل من سير لامبسون لفاروق هو خدمة كثفت التعاطف الشعبى معه وكراهية مضطهديه وقد يجعل ذلك لامبسون يوازن أفعاله على أرضية طوارىء الحرب المعلنة فيعطى لشخصيته ما يستحقه بالضبط حتى لو أن تشامبرلين أنجز السلام فى أوانه . . ولكن مايلز لامبسون إمبريالى مزمن فعل كثيرًا مما يجعل « فاروق » شهيرًا شعبيًا وذلك ما أسرع وتيرة الحركات الديمقراطية فى مصر بإعطاء الجماهير مبررًا قويًا ضد ما يجب أن يثوروا ضده !

وحتى بعد أن أصبح الابن المحبوب . . الابن المسرف المتلاف ظل فاروق أكثر الشخصيات المحبوبة فى مصر . . والمصريون ليسوا صانعى الأخبار الشخصية الصفراء ! فهم لا يهتمون إذا زاد وزن فاروق ، ولا يهتمون إذا طلق ، أو إذا اشترى يختًا . أو إذا جلس فى النوادى الليلية مع الراقصات والبنات إنه فى ذلك يلعب مثل الذين يلعبون منهم وهو متهم ، وليسوا الأمريكان أو الإنجليز الذين يلعبون فى صناديق مؤخراتهم ! وطالما هو مستمر يلعب فإنه أمن لهذه الجماهير ، ونظامه قوى ولن يذهب !

ولكن . . انكسر هذا العقد الاجتماعى بحرب ١٩٤٨ ، فالبدين ربما لم يفسر

الأمر للمصريين . . ولم يواجههم . . لقد أنهت مصر لعبة جولياث مع دافيد الإسرائيلى بنوع من عدم الكياسة الوطنية ! ولأن سير مايلز لامبسون تحرر من عمله وعلاقاته الدبلوماسية كسفير عام ١٩٤٦ فقد اعتبر أن ذلك نصر عظيم لفاروق ليس فقط ضد بريطانيا ، ولكن ضد الوفد أيضًا الذى تحول من حزب الأغلبية إلى حزب الباشوات أو حزب الدمى الإنجليزية وتحول رئيس الوزراء النحاس باشا إلى ألعوبة الإمبريالية وهكذا فقد الشعب ثقته فى السياسيين وأصبحوا يثقون فقط فى ملكهم لوقوفه ضد المستعمر بالرغم من الفقر المتفشى فى البلاد والتفاوت الطبقى . فالمصريون هادئون طالما الملك يبدو كبيرًا أمامهم . . حتى عام ١٩٤٨ برزت الديمقراطية واحتلت مقعدًا مريحًا فى مواجهة الوطنية وأصبحت موضوع مصر المشتعل . . ذلك بسبب ديون فاروق السيئة وتهدئة الصراع مع الدبلوماسيين البريطانيين من أجل الحصول على الاستقلال . . رغم أن المواجهة مع بريطانيا أعطت مثالًا قويًا للمستعمرات الأخرى فى الشرق الأوسط الثانى الذى سوف يحتذيه العديد من الرجال العسكريين الأقوياء عبر العالم العربى من الجزائر إلى العراق فى السنوات القادمة .

وقد كان فاروق نسيجًا فى حد ذاته عندما أعلن استقلاله ، وبدا فى مواجهة بريطانيا حاكمًا متمردًا وليس ثوريًا عسكريًا يستند إلى القوة . إن هذا الموقف تطلب شجاعة فائقة ، وكما حذر لامبسون وتشرتشل « فاروق » . . فهو يستطيع البقاء فى الحكم طويلًا سعيدًا إذا . . . إذا فقط لعب الكريكت مع الإنجليز !

وقد اختار هذا « الفاروق » أن يأخذ فرصته وأن يصبح رجل نفسه وزعيم شعبه وواحدًا حقيقيًا ! ولكن ما إن خسرت مصر الحرب أمام إسرائيل عام ١٩٤٨ حتى أصبح موصوفًا بالخاسر فيما يفترض أنه لا يخسر أبدًا فى الصراع . إن مصداقيته كرمز للوطنية المصرية باتت مشكوكًا فيها . . وقام بذلك التشكيك الإخوان المسلمون المتطرفون ، وهنا نجد أن سبب الصراع والقلاقل لم يكن الحالة الإجتماعية أو الخدمات العامة ولكنه قضية الاستقلال عن بريطانيا .

إنها قضية تحتاج إلى قائد قادر على أن يطفىء كل الحقد الذى يشعل الرغبة فى الثورة ، وفاروق لم يكن حقودًا ولم يتدرب كرجل دولة ، ولم يُعد للتعامل مع المغتابين وألاعيب القوة التى كان عليه أن يلعبها يوميًا . . ومع ذلك فقد ظل هناك واقع صغير ومحض من الحقائق الصلبة للحياة والموت على شاطىء النيل الذى ما زال فاروق على قمة توجهاته الداخلية متحركًا بدهشه راضية . ففاروق هو الراقص الصامت المجنون للسياسة المصرية ! . . وفى النهاية فهو يستطيع أن يلعب دور المدافع الذى يحضر الكرة للوطنية المصرية ويقربها إلى المرمى ثم يخرج فى اللحظة الأخيرة ويستبدل به آخر أكثر دفئًا وحيوية يسمى ناصر الذى يسجل الانتصار ويحصد كل المجد .

إن خطأ فاروق الكبير أنه افترض أن بريطانيا تكره الشيوعية أكثر من كراهيتها له ، وأن أمريكا تكره الشيوعية أكثر من أى شىء آخر ، واعتقد نفسه عائقًا ضد موسكو صاحبة المخالب الحمراء فى الشرق الأوسط ، وقد ازدادت شكوكه فى الإخوان المسلمين خاصة عندما تجمعت سحب العنف فى ذلك السبت الأسود !

سنة ١٩٥٢ : من الطبيعى أن تهتز بريطانيا لمشهد نهاية فاروق ، وما كانت تقف مكتوفة الأيدى إذا أيقنت أن ستالين هو الذى سوف يأخذه مكانه ! وأمريكا التى كانت تسعى إلى السيطرة كانت منشرحة أن يكون لكافرى جيفرسون (أولاد) فى القصر بالقاهرة وتحت ظلال نخيل واشنطن .

نعم ناصر وزملاؤه ثوريون ومصريون مخلصون ، أنقياء وفقراء ، نعم هم حطموا طبقة الباشوات ووزعوا ثرواتهم فوق الرمال ولكن فى نفس الوقت فمع ناصر : طرد الإنجليز من مصر ، وفقدوا قناة السويس ، ومع ناصر أخذت أمريكا خازوقًا (أخذت ولدها – وفقدت السيطرة عليه ! !) ، وكان عليه وذلك محض خيال أمريكى خاطىء صوّر لها خلق العالم على صورتها عام ١٧٧٦ ورغبتها فى رؤية نهاية الملكية فى مصر ثم فى العراق سنة ١٩٥٨ عندما ذبحت العائلة الملكية أمام القصر الملكى تمامًا حيث ضربوا بالرصاص . ماذا تريد أمريكا الديمقراطية ؟

وماذا حصلت عليه ! دكتاتوريات عسكرية أكثر تسلطًا ومركزية من الملكية المطلقة ، الاسم (جمهورية) لا تصنع الديمقراطية . . والآن فإن كل ما يقدر عليه فاروق هو أن يجلس فى فيافينيتو قائلًا : (لقد قلت ذلك) ؟

وإذا نظرنا الآن إلى فاروق برؤية جديدة وعصرية فسوف نجد أنه (الأب) الذى أخذت ابنته ، و(بلاده) بعيدًا عنه وبدلًا من أن يعامل كجورج واشنطن المصرى ، الرجل الذى أنهى الاحتلال وأنشأ وطنًا للجميع ، ما زال يشع كجواهر جيم برادى فى دولش فيتا خاصة فى ظروف الحرب الباردة ، والقليلون يتذكرون الملك كقائد أكثر مما يتذكرون الملك دوج أو الملك (تيت) فى هذا المجال لأنه كان أسبق من عصره ولا شيء آخر . . لأنه قائد واجهه عمل مستحيل قيادى ، لم يجد حلًا حتى الآن ، وتراجيديًا أراد فاروق جذب الأمور بشدة ! فسقط !

القصة لم تنته بعد . . بربارا هيتون تعودت أن تحكى لأصدقائها كيف قابلت فاروق فى باريس عام ١٩٥٤ وشعرت بالأسى من أجله فى المنفى – خاصة أنها قضت وقتًا طيبًا فى مصر فى منتصف عام ١٩٣٠ عندما كان فاروق على وشك ارتقاء العرش ، وتذكرت اكتماله وفرحة حين ذاك . . وقد صعقت هيتون وحزنت وهى ترى كيف سقط . . وعندما رجعت لمانهاتن قررت أن ترسل لفاروق هدية . . فذهبت إلى مخزن أ فى فيلا روس ش ٥٩ فى الغرب وقد إشترت مجوهرات مرصعة بأنتيكة على شكل (سلطانية) ثمنها ٥ آلاف دولار وحزمتها وأرسلها إلى روما وبعد مرور شهر أو ما يقرب استقبلت هيتون فى شقتها فى باريس حزمة كبيرة من روما فتحتها فوجدت السلطانية مرة أخرى بدون أى تفسير . أخذت السلطانية التى كانت تبدو أثقل وزنا مما اشترتها وفتحتها فصقعت ، فالسلطانية كانت محشوة (بروث ناشف) وأصبحت شغوفة لمعرفة نوع الروث . فى البداية ظنت أنه روث جمال ، ولكنها تحققت من عدم وجود جمال فى روما ، ، ولذا أرسلت الروث ليحلل فى المعمل . وعاد التحليل ليثبت أنه روث بشرى والتفسير لهذه الدعابة كشف لهيتون أن فاروق لابد قد فهم أمر السلطانية خطأ ، وتصور أنها تستعمل لقضاء حاجة الأطفال

وبناء على الاتيكيت فإنه علينا قبول الهدايا التى تقدم لنا (ربما لم يدون ذلك فى برتوكول عابدين) .

وقد استنتجت إن فاروق يرد على الدعابة بدعابة من نفس جنسها . والاثنان لم يتقابلا ثانية بعد ذلك . . .

هذه هى دعابات فاروق ، وكل واحد لديه قصة يرويها ، وكل فرد يقسم أنها حقيقية . . . جون برنيتون ضابط الاتصال العسكرى الأمريكى وابن قاضى المحاكم المختلطة يدعى أنه الشخص الوحيد الذى شارك « فاروق » فى نومه ؟ !

وكان هذا حقيقيا ففى حفل خاص على الشاطىء خارج الإسكندرية وبعد منتصف الليل والعشاء كسب فاروق فى لعبة الأكل - وتناول خمسين وحدة بالقياس إلى برنيتون الذى تناول ستًا وثلاثين) واقترح للتسرية أن يعسكروا فى الخارج ، فأرسل بوللى إلى المنتزه ليحضر له « بيجامة » وأدوات حلاقة - وفى المعسكر كان على كل شخص أن يختار شريكًا فى النوم ، وأصر فاروق أن يشاركهم فى اللهو ، وكان رفيق النوم الذى اختاره هو برنيتون والذى لم ينم مع ملوك من قبل ! فطلب منه فاروق فقط أن ينام خارج السرير الذى وضع فى مواجهه الحائط حتى يتسنى له سهولة الحركة للخارج والملك فعل ذلك لأنه كان خائفا من احتمال تعرضه للاغتيال فى تلك الأيام الدموية . . . ولكن ما حدث أن كليهما نعم بالنوم كالملوك !

فى شقة صغيرة فى ميدان (أياتون) تكلمت جيرتى ويصا - وهى امرأة صغيرة تحمل علامة ملكية بريطانية ، وتلتف فى شال مصرى قديم من الحرير الناعم - تكلمت عن الأيام التى سبقت الثورة قالت (لقد حذرت أبى من الكارثة وأن علينا إخراج أموالنا ولكنه سخر منى قائلا : نحن مصر . . . إنهم لا يستطيعون أخذ بلادنا منا) إن كل شىء لنا وذلك منذ أربعة آلاف سنة) . لكن هذا التفاؤل أفقدنا كل شىء .

عائلة ويصا كانت اكبر عائلة قبطية فى مصر . . . ترعرت فى قصر بصعيد

مصر ، حيث امتلك المنتمون لها ممتلكات هامة فى أوروبا وأفريقيا ، كانت تمتلك قفصين للنمور ، وعددًا لا يحصى من الخدم النوبيين ورئيس خدم فرنسيًا تدرب بواسطة أسكوفيرا . . جيرتى ويصا تعمل الآن مدرسة تقول (لم أفكر مطلقا فى المال حتى سنة ١٩٥٢ ، الآن المال هو كل ما أفكر فيه) .

جيرتى ويصا هى جزء من ظاهرة دياسبورا (مهجر) الباشوات ، تلك الظاهرة التى حدثت مع سقوط فاروق سنة ١٩٥٢ ، أغلبهم طار إلى إنجلترا وفرنسا وسويسرا ولبنان ، وأغلبهم مثل ويصا لم يعدوا أنفسهم بوضع الأموال فى الخارج ، لقد تملكوا الأرض ومن ثم البلاد ولم يتخيلوا أنهم سوف يفقدونها مثلما حدث لفاروق وقد كان ذلك مدمرًا وقاتلا . .

قليل منهم كان يملك خيولًا نادرة فى الخارج يمكن بيعها أو فيلات فى الريفيرا ، وأغلبهم لم يكن يملك سوى جاذبيته ورقة طباعه وهى أشياء لا تساوى مالًا ! وهم غير مدربين على العمل ، غير مدربين على أى شيء ، غير الصيد واللعب والرحلات الكبرى ، باشوات عرفوا زراعة القطن وهو شيء غير مطلوب فى العالم الخارجى .

والآن فى مصر ٥٠ ألف مليونير ولكن هؤلاء الأغنياء مختلفون عن الباشوات زمان . . ضحكت جيرتى ويصا عاليا وقالت كيف يمكن لهم أن يعرفوا فاروق ؟ إنهم محدثو نعمة ؟

ومن أصحاب الثروات الآن جاكى لامبسون أو السيدة كيلرن وهى فى السبعينات من عمرها وتتمتع بحيوية الشباب كما كانت ملكة للدبلوماسية فى مصر . واللورد كيلرن (سير لامبسون) أصيب بالمرض بعد عامين من عمله كمستشار خاص فى جنوب آسيا ، وقد قضى بقية حياته فى بيت اللوردات فى أسكتلندا ثم توفى عن عمر يناهز ٨٤ عامًا عام ١٩٦٤ قبل وفاة فاروق بعام ، واللورد والليدى عاشا فى منزلهما الحكومى فى هارمر شرق سيرسك بالقرب من جلاتيد بوردن والمنزل على نمط القرن السابع عشر وتقوم الليدى بالعمل فى السياحة خارج هارمر وقد كتبت الآتى :

[اليوم أشارك ضيوفى فى منزلى لأننى أشعر أنه من الصعب الابتعاد عن العالم ، أيضًا أحب المشاركة ربما بسبيب الأيام الخوالى عندما كان زوجى لورد كيلرن سفيرًا فى مصر وكان منزلنا عامرًا بالضيوف فى كل المناسبات] .

وهى تذكر هذه الأمسيات المبهرة وتصف « فاروق » كراقص سيء وغير مريح ، إذ يقف محملقًا فى الضيوف محركًا مروحته الذهبية المصرية . . وتتذكر صيد البط فى الفيوم . . حيث أماكن الصيد . . ثم اندفاع الطيور . . ثم القتل ، كانت المرأة الوحيدة بين الرجال والتى تطلق أسرع منهم ، كانت تشبه العروسة الصغيرة بجانب زوجها السفير الضخم الجثة ، وقد قررت أن فاروق لم يُعد لكى يصبح ملكًا . . ثم عادت لتتكلم عن الليالى المقمرة فى السفارة التى تقبع بجوار النيل حيث توجد زهور الفلوكاس المنعشة .

بربارا سكيلتون أيضًا لا تستطيع نسيان تلك الزهور وملايين الطلقات فى الماء لتحيى أدونيس الصغير الذى جاء يحكم مصر وليصبح ملك مصر . . الازدحام فى الإسكندرية والغناء والرقص الممتع بمناسبة قائدهم الجديد .

اليوم أصبحت الإسكندرية مدينة أطياف مجنونة ، الأطياف تشمل البطالمة وكليوباترا والمنارة والمكتبة حتى إسكندرية الحرب . ماذا تبقى ؟ بعض البيوت الواسعة بجوار العمارات العالية التى تشوه الكورنيش الدائر فى الهواء المملح للبحر المتوسط البارد الأزرق ! رأس التين حيث رحل فاروق فى ملابس البحرية ، المنترة حيث لعب فاروق آخر أدواره قبل سقوطه أيضًا وقد أغلقت هذه القصور فى وجه العامة ، عدا جزء من الحديقة حيث بعض الشاليهات الحديثة للضباط الأحرار يقضون فيها عطلاتهم . . وككل شيء ألغى فى عهد فاروق مصر ، ألغيت الألعاب . . والقاهرة الملوثة من غاز أول أكسيد الكربون الخارج من المصانع ومن سيارات المرسيدس التى لا تستطيع الحركة ، ومن يدرك الحكمة من عدم تحركها النساء المتطرفات وراء الحجاب انتظارًا للخلاص ، الجنود القلقون انتظارًا لسفر الرؤية (يوم

القيامة) ، وفى نادى الجزيرة الرياضى حيث لا يدخل المصريون العاديون ! وأغلب الأنشطة الرياضية فيه مثل رفع الأثقال وكمال الأجسام فقط للأجانب ، وبعض أطفال السفارة الأمريكية يلعبون الاسكواش وقد هُجر ملعب البولو وترك للعرس تمرح فيه .

وخارج الجزيرة هناك اللمبات المعلقة أمام الجزارين ثم البوتيكات التى تبيع النظارات والكروت والأحزمة .

وعند أقدام القلعة حيث جمع محمد على قوته فى مذبحة المماليك سنة ١٨١١ يوجد مسجد الرفاعى للمصلين ، حيث دفن الخديو إسماعيل وابنه ، والسلطان حسين كامل وابنه الملك فؤاد كلهم فى مقبرة من المرمر . وشاه إيران الذى أعطته مصر حق اللجوء عندما رفض الجميع ذلك . . أيضًا دفن هنا فى مقبرة بارزة كتب عليها (باسم الله للفقيد الرحمة والسلوان) ، أيضًا الملك فاروق كان يأمل أن يدفن فيها أيضًا لكن الرغبة التى لم يحققها عبد الناصر سمح بها السادات ، سمح لفاروق أن ينام بجوار آبائه تحت غطاء مرمرى بسيط فى جناح النساء المصليات . . وكتب تحته (أنه انتقل إلى رحمة الله) إنها الرحمة الوحيدة التى تلقاها فاروق فى بلاده التى حكمها يومًا ما .

القبر موجود . . وفاروق ليس بداخله بالضبط مثلما أنكر حقه فى أن يصبح ملكًا بالمولد أنكر أيضًا حقه فى الموت ملكًا . . الذى أنكر بسبب بعض الظروف غير الأبوية . . وكثير فى مصر من الأمور غير أبوى . . جثمان فاروق دفن مرة أخرى . وأعيد دفنه فى مقابر الموتى العاديين مرة أخرى ملك مصر لم يسمح له بالراحة فى أمان . . ربما لن يحدث ذلك أبدًا .

خـاتمــــة

السيرة الذاتية لفاروق

خاتمة :

السيرة الذاتية لفاروق :

إذا ألقينا نظرة شاملة على فاروق فستجد ثمة ثلاث سير ذاتية لا تحمل مصداقية يعول عليها .

. ماك برايد . باريس شارع كلير . فاروق مصر : لندن : روبرت هال ١٩٦٧ .

. ماك ليفى . الفرعون الأخير : نيويورك : ماك كال ١٩٧٠ ستيرن رمك فاروق ، نيويورك ، بنتام ١٩٦٥ .

. عادل ثابت . الملك الذى غدر به الجميع . (مربع لندن ١٩٨٩) ترجمة لحياة عضو من صفوة باشوات مصر ، جان بيرنارد ديرسونز (أغنيات ملكية) (باريس : النشر فى أمستردام ١٩٥٣) ، ترجمة لحياة صحافى إنجليزى فى سلسلة نيوزمانشستر الملكية فى اكتوبر ١٩٥٢ إلى أبريل ١٩٥٣ ، لطيفة سليم (فاروق وسقوط الملكتة فى مصر) القاهرة : مدبولى ١٩٨٩ ، ويعتبر هذا هو آخر وأكبر الأعمال عن فاروق باللغة العربية .

. رؤية عينية (نانى) : لفاروق المدلل ، الأمير فى صباه ، يمكن الحصول عليها فى سلسلة اليوميات المقدمة للحكومة السويدية ، جيردا سوبرج (فيكوجورناليم) استوكهلم ١٩٥٢ .

رؤية عينية (تيوتور) مراهقة فاروق الساحرة (سير إدوارد فورد ١٩٣٧ فى جورنال ، رحلتى عبر النيل مع الملك فاروق ، وفى تقرير إلى السفير سير ميلز لامبسون عن رحلته إلى أوروبا وإنجلترا مع فاروق والعائلة المصرية الملكية كلتاهما صدرت فى جزء من ماك برايد (سيرة حياة) ونقحت فى صورتها النهائية بواسطة سير إدوارد .

رؤية عينية (ميسترز) لفاروق الملك العاشق الصغير ، جهزت فى الكراسات الروائية لبربارا سيكلتون (مداعبة الفتيات الصغيرات) لندن (وإيدن فيلد نيكلسون ١٩٥٦) كتاب من جزءين من الذكريات (دموع ما قبل النوم) (لا نواح بعد الآن) لندن (هاميش هاميلتون ١٩٨٧ - ١٩٨٩ تحتوى : فاروق وقمة الصعود فى مصر ، وفى قمة صعوده فى بيارتزى وهبوطه فى فيافينيتو . مزيد من اليوميات السويدية : الجنس فى دولش فيتا بروما مع المطرود فاروق (بيرجيتا سيتانبروج ، كارفيك فى أوروبا أستوكهولم نورستيد ١٩٨١) .

وإلى أبعد مدى فأهم بورتريه لفاروق شديد الانحياز ربما تكون اليوميات العظيمة التفصيلية لسير مايلز (لامبسون لورد كيلرن) والذى يرتبط فى مجمل مدرسة اكسفورد شارع أنتونى ، والذى صدر تحت اسم (يوميات كيلرن ١٩٣٤ - ١٩٤٦ . لندن سدوك ٣ جاكسون ١٩٧٢) ويعتبر أهم رؤية بريطانية لفاروق خلال الحرب العالمية الثانية (هـ لورنس جرافتى سميث برايت نيفان لندن جون ميدر ١٩٧٠) وكان أكثرهم رقة لورد وليم شولتو دوجلاس (سنوات فى الحكم لنجن - لندن - ١٩٦٦) .

- التقارير السرية فى المكتب البريطانى للشئون الخارجية الملف المصرى (٣٧١) فى مكتب التسجيل العام يحتوى معلومات متناثرة عن فاروق . ملف قسم الدولة فى مكتبة الكونجرس بواشنطن يحتوى العديد من التقارير السياسية من القنصلية الأمريكية والسفير الأمريكى فى مصر وكانت أكثر سطحية من نظيرتها البريطانية فى بداية حكم فاروق ، وثم تطورت واكتسبت عمقًا مع مرور الوقت وأصبحت رؤية متكاملة لمصر ما بعد الحرب ، ثم دور أمريكا فى سقوط فاروق !

لا توجد ملفات رسمية متاحة فى فترة منفاه الطويلة وكل ما صدر عنه من معلومات فى تلك الفترة موجود فى اليوميات وأخبار الحياة وأخبار الأسبوع فى صحافة أمثال بارى ماتش ثم فى الصحافة اللندنية وأخبار المرأة ثم يوميات الديلى ميرور ، نيوزيويك ، الحياة ، تايم ، ديلى تلجراف ، ديلى ميل ، أخبار العالم ، أخبار المساء ،

إيفننج استاندر وصحافة سيدة البيت ، مسلسل ناريمان تتنفس ذكرياتها عام ١٩٥٢ . وقد استشرنا النيويورك تايمز ولندن تايمز فيما يخص حياة فاروق ولكن ما لديهما كان قليلًا عن الملك السابق بعد ١٩٥٢ على عكس ما قبل ١٩٥٢ .

الملكية :

الكتب التالية تقدم خلفية عن ملكية محمد على ورؤية تفسيرية معلوماتية للملكية فى العالم الإسلامى .

فيليب مانزل (السلطان فى أوجه) لندن . أندريه دويتش ١٩٨٨ ذكريات أغاخان (لندن ، كاسل ١٩٥٤) تقدم منظورًا ملكيًا لفاروق ووالده . .

الأخرين هم .

عفاف لطفى السيد (مصر فى ظل حكم محمد على) كامبردج .

كيفيل ألمين (نظرة ثانية لأمراء مصر) . أيدنبرج ١٨٩٣ ، وليم بلاد وود .

كرابيت بيير : إسماعيل ؛ الخديو الموتور . لندن . راث ليدج ١٩٣٥ .

شروى هدى . سنوات الحريم . نيويورك . دار نشر للمرأة ١٩٨٧ .

شاه إقبال على . فؤاد ملك مصر . لندن . هيربرت جانيكز ١٩٣٦ .

توجى أمين فوات : ثلاثة قرون . لندن جامعة أسكفورد ١٩٦٣

التاريخ :

كتب ١٩٢٢ ى . م فورسترز : الإسكندرية . لندن ، ميشيل هارس ، ١٩٨٢ وهو ليس مجرد مرجع إرشادى كلاسيكى أنه عمل يمكن القارىء من فهم المصداقية الداخلية للتاريخ المصرى من الفراعنة إلى البطالمة إلى الرومان إلى المسلمين إلى المماليك وحتى الخديوات ، ويحقق تطور البلاد .

عفاف لطفى السيد (تاريخ مختصر لمصر الحديثة) كامبردج ، ١٩٨٥ وتعطى

انطباعًا باستمرارية الغزوات الأجنبية .

– بيتر مانسفليد (البريطانيون فى مصر) . نيويورك ، هولت رينهارت ونستون ١٩٧٢ ويتناول تاريخ أهم هؤلاء الغزاة . . وأما طبيعة الرجل الأبيض الجاسم فوق ضفاف النيل فقد وُصف فى : (و . س . بلنت) التاريخ السرى لاحتلال مصر (لندن فيشر يونون ١٩٠٧) .

لورد إدوارد سيسل (أوقات العطلات عند المصريين لندن . هودر ستوثبتون ١٩٢١) ، إيفلين بارنج كرومر (مصر الحديثة الندن كاميلان ١٩٠٨) رئيس البوليس المصرى . سير توماس راسل باشا (الخدمة المصرية) ١٩٠٢ – ١٩٤٦ لندن ، جون ميدرى ، ١٩٤٩) أر تميز كوبر (مصر فى الحرب) ١٩٣٩ – ١٩٤٥ لندن هاميش هاميلتون ١٩٨٩) . تضم مكثفة تفسر الروح العالية والجهد الخارق لأنجلو دومينيون .

الكتب الأخرى التى تلقى ضوءًا على عصر فاروق فى مصر كالآتى : (يوميات الشرق الأوسط) . لندن هاينمان ، ١٩٤٤ .

داردواد جابريل (ثلاثة رجال على ضفاف النيل) باريس ، ليوكومان ، ١٩٨٧

هيجرز نبيثورن (أثناء مراقبة شيفردز) لندن ، شاتو وندس ، ١٩٤٩

نيلسون نينا (أوتيل شيفردز) لندن ، بارى ٣ بركلين ١٩٩٠

سامسون أ .ى .و (مرسل الجواسيس) لندن هارب ، ١٩٦٥ .

ويكرز هيوج . سيسل ، بيتون ، لندن وايد فيلد ونيكلسون .

* – لتفهم طبيعة السياسة الحزبية المصرية :

كاتر ب .ل (الأقباط فى السياسة المصرية) القاهرة ، الجامعة الأمريكية ١٩٨٦ .

تيرى جانس (الوفد ١٩١٩ – ١٩٥٢) لندن ، مركز العالم الثالث ، ١٩٨٢ .

شارلز (على ماهر والقصر فى السياسة المصرية) جامعة لندن درجة دكتوراة دراسة ١٩٤٨ .

• – فى جذور الثورة المصرية :

بل جوهان بوير (رعب خارج صهيون) جامعة دبلن ، ١٩٧٩ .

فرانك جيرالد (المأثرة) نيويوك ، سايمون وشوستر ، ١٩٦٣ .

المقابر الصغيرة القاهرة لندن أرنيست ١٩٥٨

ميشيل ريتشارد (مجتمع الإخوان المسلمين) لندن ، جامعة اكسفورد ، ١٩٦٩

محمد نجيب (قدر مصر) نيويورك . دوبلادى ، ١٩٥٥ .

جمال عبد الناصر (فلسفة الثورة) لندن (دار النشر القومية) ١٩٥٤

أنور السادات (ثورة على النيل) الآن وبخت ١٩٥٧

جيهان السادات (أحزان من مصر) نيويورك سايمون شوستر ١٩٧٨٧

جون روبرت (الريس) نيويورك ، ماك جروهيل ، ١٩٦٠

فانيكيوتس ب .ج (الجيش المصرى فى السياسة) بلومنجتون جامعة إنديانا ١٩٦١ .

واين والتون (ناصر مصر) نيويورك ، أريختون ، ١٩٥٩ .

بيتر مانسفيلد (العرب) لندن ، الآن لان ١٩٧٦

• – تعطى رؤية لمكانة مصر فى العالم العربى .

جون كيمش (سبع قوائم انهارت) لندن ، سيكر واربرج ، ١٩٥٠

دراسة قيمة فى توازن القوى فى الشرق الأوسط تأخذ فى اعتبارها البريطانيين والفرنسيون والروس بالإضافة لقوة مصر وإسرائيل والبترول .

مايز كوبلند (لعبة الأمم) لندن ، وايدفيلد نيكلسون ١٩٦٩ وهو للعميل السابق للمخابرات المركزية الأمريكية ويلقى نظرة على فاروق وطرده من قبل ناصر .

. الرائد محمود الجوهرى (قصور الملكية فى مصر) القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤ . كتاب تصويرى نادر لكل قصور فاروق واستراحاته وأوكاره المحببة من وجهة نظر الضباط الأحرار .

(مجموعات القصر في مصر) لندن سوثبى الشركة - ١٩٥٣ : الكتالوج الموسع لمبيعات مقتنيات فاروق لا تشمل المجلات الفاضحة . الكتاب الوحيد عن فترة دولس فيتا فى إيطاليا (بيارازى صور) ٥٣ - ١٩٤٦ . فلورنس قرايتلى النيارى . ١٩٨٨ . منضدة قهوة إيطالية الحجم للصور والمراجع كلها عن ليزا ، ديك ، أثينا ، مارسيللو وبالطبع .

فاروق روبرتو أورس (رد ما بعد الإظلام) نيويوك ، ماك فادين ١٩٦٢ هذا الكتاب أمر فالين برؤيته .

اعتماد خورشيد . (انحرافات صلاح نصر) القاهرة ، آمون للنشر ١٩٨٨ والكتاب مهدى إلى كل من الذين اغتالتهم مخابرات ناصر ومنهم فاروق .

* متنوعات .

كتب أخرى لهذه السيرة .

ألدريج جميس القاهرة بوسطن النبى الصغير ١٩٦٩

. بابارا نويل - امرأة من القاهرة - لندن - هولدر - ١٩٨٤

. بيتون سيسل - قريبًا من الشرق - لندن باتسفورد ١٩٧٣ .

برجرر مونرو - عالم الغرب اليوم - نيويورك - ١٩٦٢

. بلنت و .س - جوردون فى الخرطوم - لندن - فيشرواين - ١٩١١ .

كولن لارى ، بيردوميتيك – القدس – نيويورك – ١٩٧٢ .
رولز ميشيل الحدث الأسود فى الشرق الأوسط جامعة برنستون – ١٩٧٠ .
لورنس داريل – رباعيات الاسكندرية – لندن – فايد فايد – ١٩٦٢ .
أنطونى إيدن – مذاكرات لندن – كأسل ١٩٦٠
جلوب (جـ .ب) – جنود الثروة قصة ملكة نيويورك – شنين – ١٩٧٣ .
هارمر أرماند هامر – نيويورك (بنتام) – ١٩٨٧ .
مرشد للبصيرة – مصر سنغافورا – أ . ب .أ للنشر – ١٩٨٩ .
كير والكوم – حرب العرب الباردة – لندن – أكسفورد ١٩٧١ .
لوف كينيت – سيوز – نيويورك – ماك جروهيل – ١٩٦٩
نجيب محفوظ – زقاق المدق – لندن – هبرتمانى ١٩٧٥
ديشموند جوهان – مصر ١٧٩٨ – ١٩٥٢ – نيويورك – جامعة كولومبيا – ١٩٧٧ .
مكسيم رودنسون – إسرائيل والعرب – لندن – ١٩٦٨ .
رينسمان .د .أ – تاريخ الكروساد جامعة كامبردج ١٩٥٤ .
أنور السادات – البحث عن الذات – نيويورك هاربر روو – ١٩٧٧
إستيفان شادج (كلير Booth لوسى) لندن – ليزلى فيرون – ١٩٧٣ .
ملانيت دافيد (قتل الملك) نيويورك ١٩٧٥ .
فاتيكمييوتز – تاريخ مصر – لندن – واين ميتلد دنيكلسون – ١٩٨٠

والمصدر الوحيد والأخير الممكن فى المستقبل لدارسى لفاروق ، هؤلاء المسلحين بقوة الصبر والمثابرة ، والذين ربما يحاولون اختراق حجب وأسرار الوكالة المركزية للمخابرات الأمريكية ، التى أعتقد أن لديها سجلات دسمة لفاروق ومصر . وأطالب بالحصول عليها بناء على قانون حرية المعلومات المتاح دوليًا ، وسوف أقتبس من الخطاب الذى ينكر وجود مثل تلك المعلومات فى ١١ يوليو ١٩٨٩ والموقع من جوهان راين منسق المعلومات الخاصة فى الوكالة الأمريكية للمخابرات .

(أجد من الأفضل أن أسدى لك النصح أنه فى كل الطلبات المقدمة مثل طلبك ، فالمخابرات المركزية لا تستطيع أن تؤكد أو تنكر وجود أو عدم وجود أية سجلات تفيدك فى طلبك - وبخصوص السجلات التى تحتوى مثل هذه المعلومات التى لم تعلن رسميًا حتى الآن إنها ترتب وتحفظ لدينا لدواعى الأمن القومى تحت قسم ١٠٣ (أ) (٥) علاقات خارجية تحت الطلب ١٢٣٥ ! !) .

ماذا لدى هذا الملك السابق الذى توفى منذ ستة وعشرين عامًا وطرد من تسع وثلاثين سنة ليفعله مع أمننا القومى ؟ ! ربما يحل أحد هذا اللغز ؟

مقابلات :

أنا أحب أن أشكر الأشخاص التالين لمشاركتهم الهامة من خلال ذكرياتهم . إنهم المصادر العظيمة لهذا الكتاب .

[**مصر**] : هدى وسعد عبد النور - نظلى بارد - تحية كاريوكا - الأميرة يلفيا حليم - منى عبد الحميد - الأمير حسن حسن - عمر خليل - سعاد رشاد خليل - إيمى ماتوك - رءوف مشرق - كريم نشأت - عمر الشريف - فيكتور سميكة - دايفيد سلزبرج - مراد هبة - كارمن ونيشتين - السفير فرنك وزنر - دودى يونس .

[**إنجلترا**] جوهان برنتون - منتور سيكو - ناديا كولن - ميلز كوبلن - شارلس فاوست - سيرادواد فورد - فرح جوتردج - ليدى كيلرن - ليجى لارش - فيليب مانزيل - كريستوفر مورسوم - ديفيد بيلهم - تشارمينى تيه كليهم - جرتى ونيرا - كاولين ونولى - زير فداس .

[**فرنسا**] أليس بريتتون - فرانسوا كاسيلانس - إنجى كاتوى - ديمونت يانوى كولرت - أوليفيا دى هيفيلاند - الأمير فؤاد والأمير فضيلة - بيرجالتى - ميشيل جولدمان - إيرين جونلى - رنى هارارى - بريسلا وسيمون هود جسون - الأميرة برس كاندردف - فاكس كاريكيجى - الشيخ خليل القرى - كاتى نولان - ماجى نولان - بربارا سيفلتون - سمير شوقى - ألكسندر نتيوتل - منى يتى .

[**إيطاليا**] : لوجان بنتلى – ليلو بيرزانى – بينكا بيفكا – جيانى بلجارى – إيجور كاسينى – سالى رنجلنج – كيلتون جونز – د . ركوين – نورمان كوهن – هيرى كدش – ألفريد وكومور – كارلودى إيميللو – فانى فيرا – منيكو – فيلبومرنى – كارلوبالاذى – كورادو بالتيبرج – جاسبى بيتوشى – أوسكار فلوريو – جودا رينو جيدى – ميكى نوكس – إيرما كابيك – بيفرى وكيرتس – بيل بيبو – كلوديارسبولى – تازيو ستسارولى – دفرنكم سلفسترى – جورى فيدال – وليتون واينى – فرانسونا فيرللى .

[**أسبانيا**] : هونى شيل هوهينولوها – بتى سير .

[**السويد**] : برجيتا ستنبرج – جوستاف نون بلاتن .

[**أمريكا**] : كالو أماتوا – هيجيت جلند – كارل كولبى – وليم كولبى – أرثر كوبر – الأمير فايزة – الأن فريدمان – بيث هوستون – إيدى جف – كينتى لوثى – د . عفاف لطفى السيد – إيرك ماكارثى – لويس مونريل – روسبو بالينبرج – محمد ثابت – أوتافيو سينورت إيرس – شيرمر – ديفيد رسلافت – فرانك سينب – دورثى إسترلن – وليم فان باتين .

[**وشكر خاص**] **إلى الباحثين** :

ماتيشو نيجرى – القاهرة

إيزابيل مورروس – لندن

جازبيل جالنت – باريس .

بات ماير – واشنطن .

د س بيوكرون – لوس أنجلوس

وإلى المترجمين :

أمير لمعى – القاهرة .

جيوا اكون – روما .

كاميلا ماجنستون .

كلوديا فلوريو – لوس أنجلوس .

إيزابيلا – رما

مارك هوتمسكى – لندن .

أمير خليل – القاهرة .

سوزى بيترسون – باريس .

وشكرًا على عنايتهم الدافئة :

إلى بياترس ستاديم ووز مارى تورجيان لعملهما فى إعداد الكتاب .

إلى إيزاك كرونين الذى حركنى فى هذا المشروع .

وإلى كينت كارول وهيرمان جراف وإلى كل هؤلاء الذين يدين لهم الكتاب لأفكارهم العظيمة ولدعمهم القلبى الكبير .

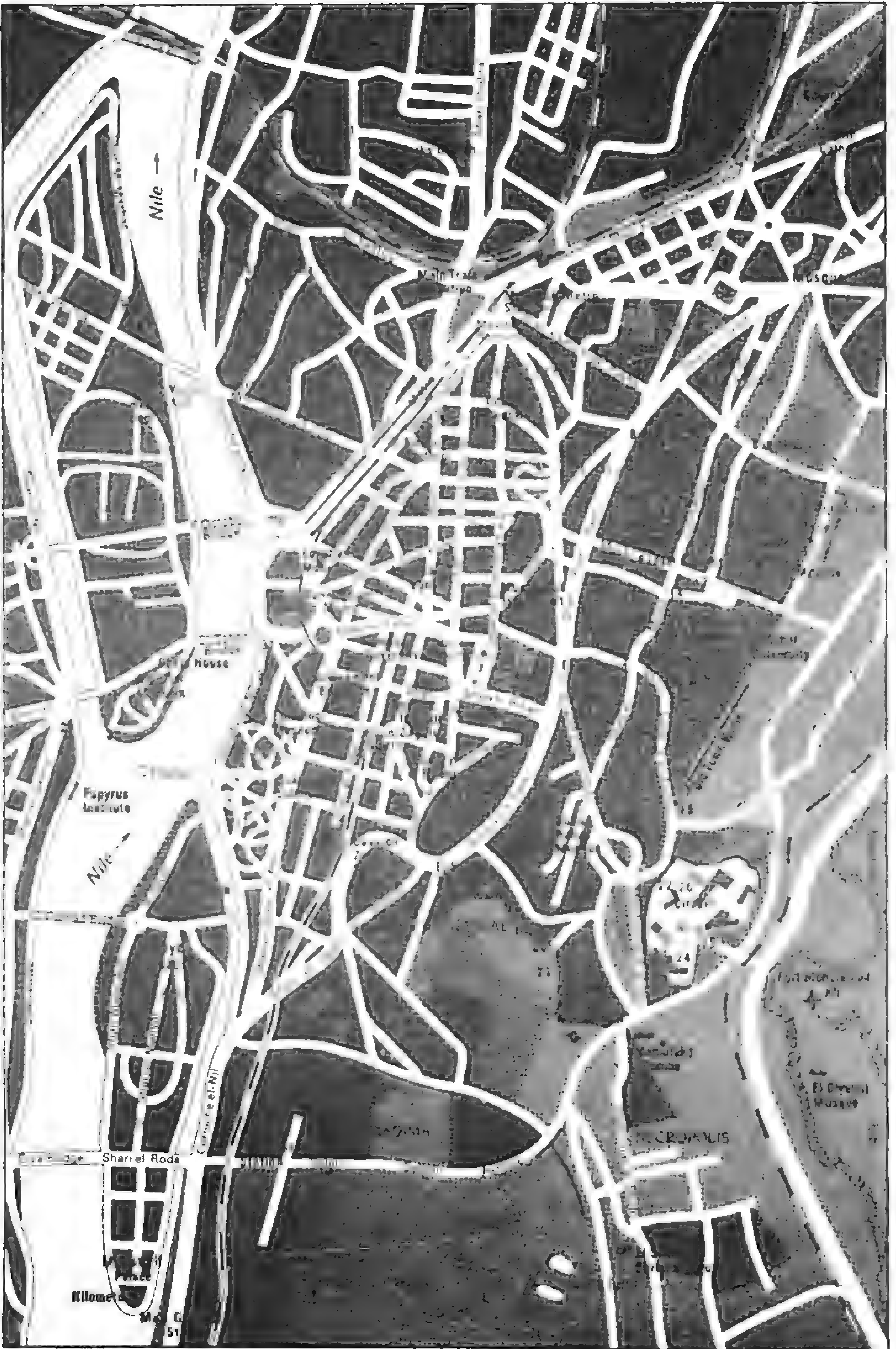
ملحـــق الصـــور



خريطة مصر الحديثة



خريطة الاسكندرية



Map of Downtown Cairo

خريطة وسط القاهرة

ملك الليل : فاروق فى المدينة مع حراسه



العقل المدبر للثورة : جمال عبد الناصر والسادات
اللذان دبرا الانقلاب ضد فاروق





الأميرة إيرما كابيس مينتولو : العشيقة الرسمية لفاروق فى منفاه

فاروق فى أول جولاته بأوربا عام ١٩٣٧ م

فاروق وعشيقته إيرما فى إحدى ليالى الأوبرا الغنائية بأوربا
(كان يساعدها على أن تصبح مغنية شهيرة)





الأمير الأمريكي : ألكسندر وزوجته التي أصبحت عشيقة للفاروق فيما بعد

فاروق فى (ديانا بلاس) وحوله النساء

قصر المنتزه بالإسكندرية : ذلك المكان الذى شهد أخطر نزوات فاروق



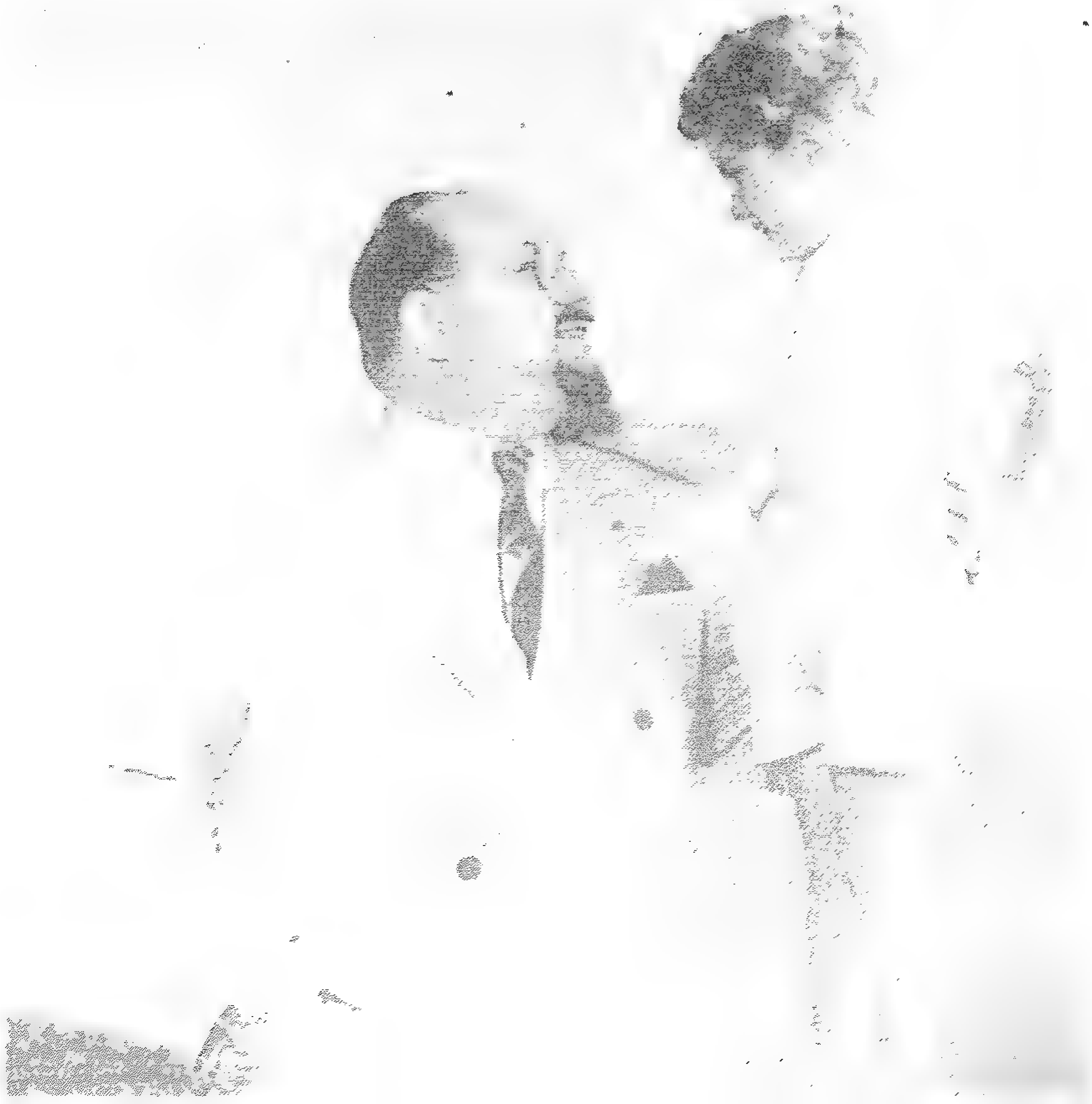


السيدة باربارا سكيلتون : مؤلفة إنجليزية من أصل رومانى كانت تربطها علاقة غرامية بفاروق



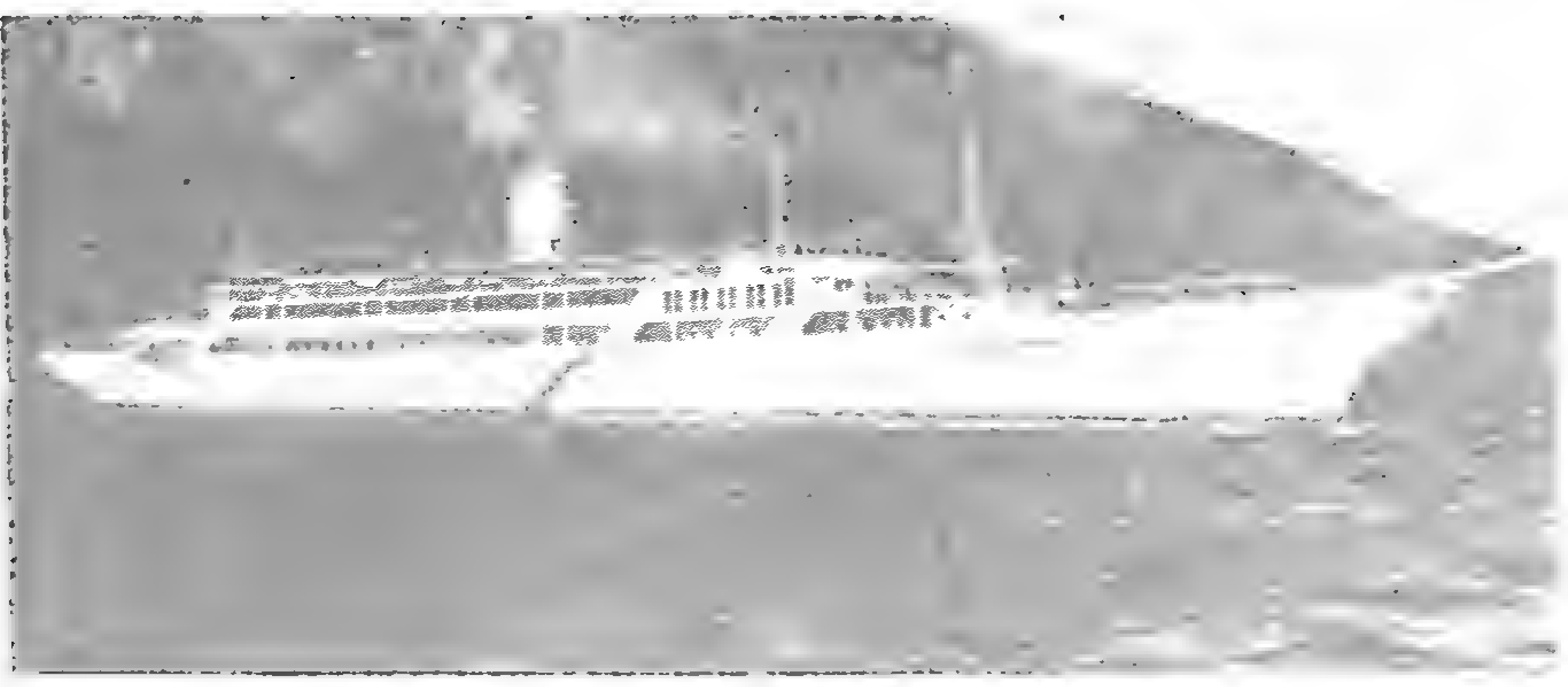
الحفلات الماجنة : فاروق يلعب « بكرات الخبز » فى ملهى أوبرج الأهرام بالقاهرة

ملكان : فاروق وابنه فؤاد آخر ملوك مصر





الأمير محمد على : الذى كان يكره فاروق



يخت المحروسة : سفينة المجوهرات التى نقلت من قبل الخديو إسماعيل إلى منفاه عام ١٨٧٩ ثم نقلت عام ١٩٥٢ الملك فاروق أيضا

الملك فؤاد والد الملك فاروق فى صورة تذكارية فى باتريمونى



طفل الشاطى : فاروق الصغير على شاطى البحر المتوسط بالإسكندرية مع أخته المفضلة إليه (فوزية)

فاروق فى مقعد السائق فى سن الحادية عشرة ومعه شقيقاته الثلاث فوزية فايقة - فايزة





فاروق يتدرب فى الأكاديمية الملكية العسكرية فى
إنجلترا فى سن الخامسة عشرة



فاروق مع معلمه أحمد محمود حسنين بعد عودته
لاعتلاء عرش مصر عام ١٩٣٦

أم الصبى : الملكة نازلى والدة فاروق ، معا فى سانت مورتيز عام ١٩٣٧

سير ميلز لامبسون السفير البريطانى الاستعمارى فى
مصر ومعه السياسى المصرى البارز : مكرم عبيد





فاروق فى لندن ومعه (حاشية السوء) التى أرادها له السير لامبسون



حفل الزواج الملكى : فاروق وإلى جواره نازلى وفريدة اللتان تكره كل منهما الأخرى



التحالف : فاروق وشاه إيران الذى زوجه فاروق اخته الأميرة فوزية عام ١٩٣٩ وكان زواجا فاشلا



فندق شبرد بالقاهرة أيام فاروق



الأميرة شفيقة زوجة الملك فؤاد الأول



فاروق والسير لامبسون (السفير البريطانى بالقاهرة) يصطادان البط !!

الأمير محمد على ذو الميول الإنجليزية مع فاروق وأغا خان فى إحدى الحفلات





فاروق ووزراؤه : على ماهر ومصطفى النحاس

الليدى لامبسون زوجة السفير البريطانى مع فاروق والجنرال ويلسون البريطانى



مصطفى النحاس فى إحدى السهرات الماجنة .. كانت الراقصات جواسيس

فاروق يقابل الرئيس روزفلت عام ١٩٤٥ بعد مؤتمر يالتا



الملكة فريدة مع ابنتها الأميرة فريال : لقد سرت شائعات أنها أنجبت طفلة ولم تنجب طفلا لأن فاروق كان لديه نقص في ذكورته





زواج المتاعب : صورة تجمع الشاه وزوجته الأميرة فوزية وابنتهما شاهيناز قبل طلاقهما الذى أغضب فاروق عام ١٩٤٨



الملكة نازلى وعشيقها رياض غالى وابنتها الأميرة فايزة التى ستتزوج غالى وسيحرم فاروق الثلاثة من الميراث ويطردهم من مصر

سندريلا النيل : ناريمان صادق التى أصر فاروق على جعلها ملكة رغم أنها كانت مخطوبة



العائلة المالكة : العقيد إسماعيل شيرين وزوجته الأميرة فريال وفاروق وفوزية ابنته والأميرة فايقة وزوجها فؤاد صادق والأميرة فايزة وزوجها محمد رؤوف - وغابت الملكة الأم نازلى بعد طردها

فريق العذاب : فاروق فى دوفيل أثناء رحلة الملذات والمنفى بأوربا





ميمى ميدرت احدى عشيقات فاروق فى المنفى

صورة رسمية لحفل زفاف فاروق بالقصر الملكى مع ناريمان



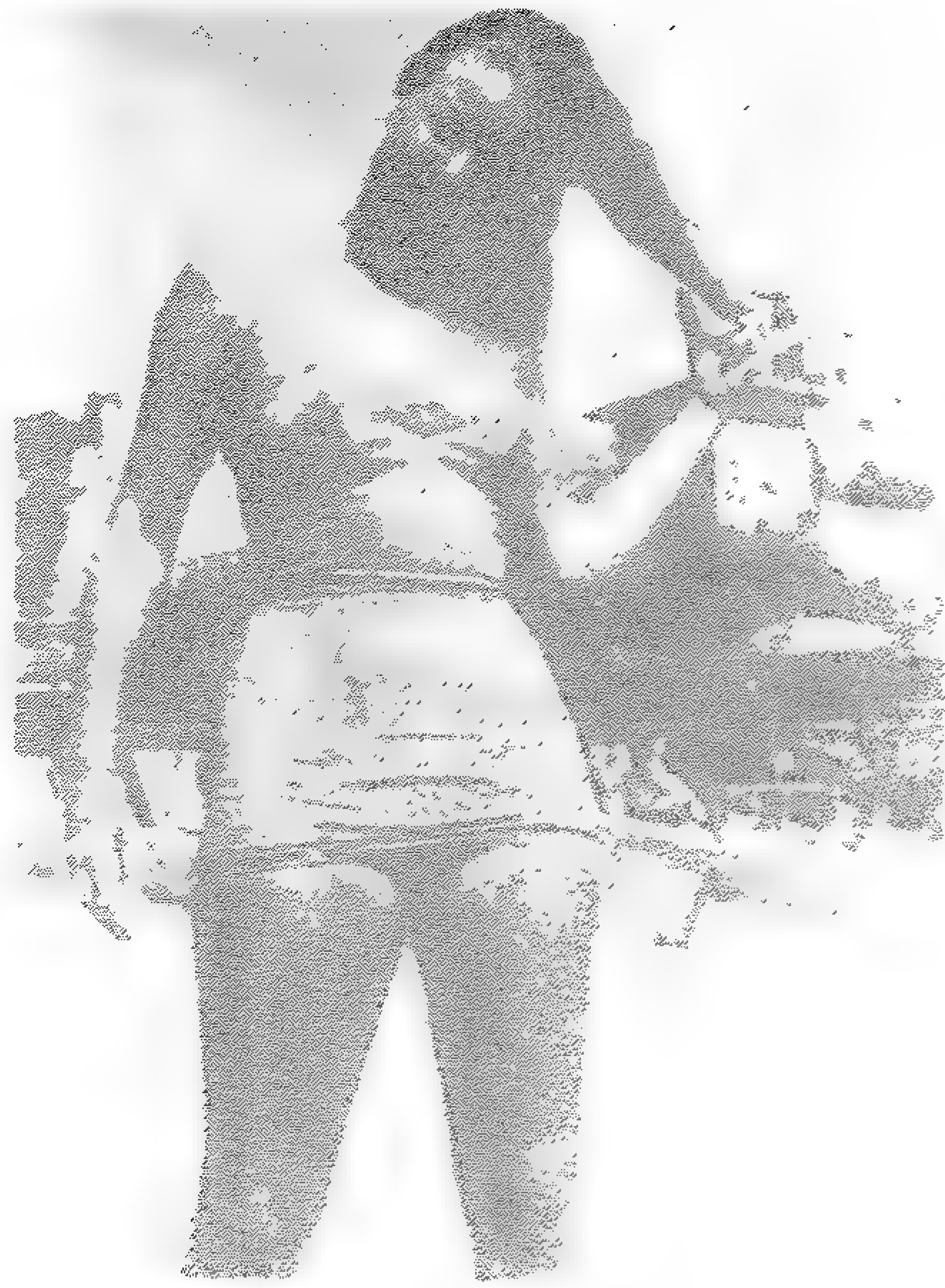
فاروق وناريمان فى رحلة شهر العسل بأوربا التى استمرت ثلاثة شهور

جمال عبد الناصر مع محمد نجيب الذى كان واجهة الثورة فى أيامها الأولى



فاروق وحماته وزوجته ناريمان : أيام السعادة المحدودة





الأديبة السويدية بيرجين إستبنرج : عشيقة فاروق في المنفى

فاروق وأبناؤه : فريدة ، فريال ، فاروق ، فوزية ، فؤاد مع المربية والوصيفة : عاش فاروق في روما وأسرته في سويسرا





الأمير فؤاد يتقدم تشييع جنازة والده فاروق عام ١٩٦٥



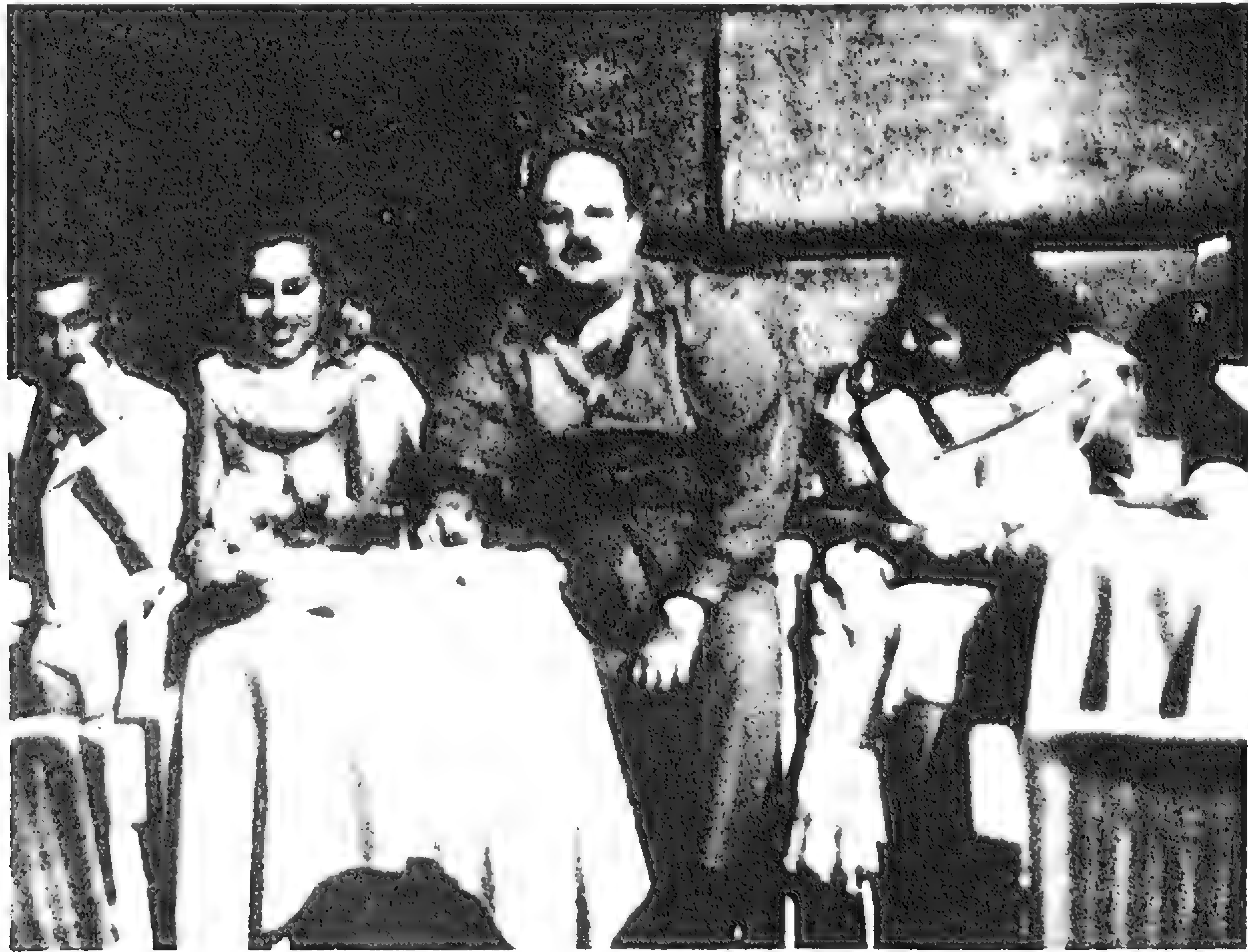
الأميرة فايزة مع على خان فى باريس : حتى فى المنفى ظلت واحدة من أكثر نساء العالم حبا للغرام !!



الملكة فريدة التى أصبحت فنانة تشكيلية فى بيروت
ثم باريس قبل وفاتها بسرطان الدم بالقاهرة

هل كان منظر فاروق المتضخم هذا . هو نتيجة تنازله عن العرش أم السبب . . . . ؟!

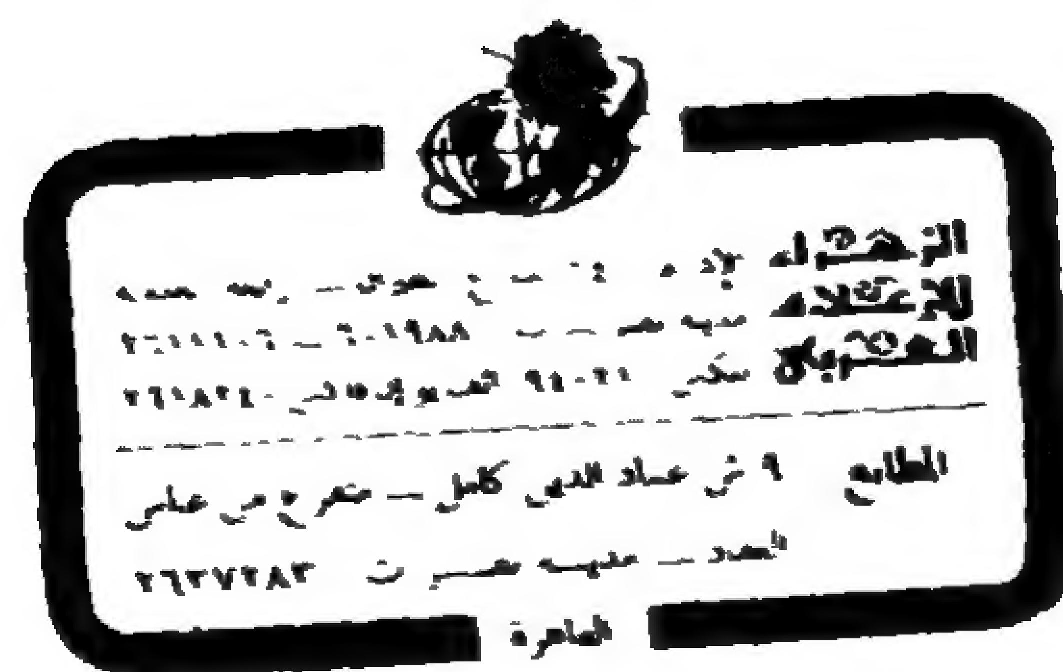




فاروق مع عشيقته إيرما : قبل النهاية بأيام !!

فهرس الكتاب

رقم الإيداع : ٨٢٦٤ ١٩٩٣ .
الترقيم الدولي : ٥ ـ ٠٦ ـ ٥٣٤٠ ـ ٩٧٧ .





ملكني في سبيل امرأة !

* على الرغم من مرور أكثر من أربعين عامًا على إسقاط ورحيل فاروق خارج مصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، ثم إسقاط الملكية ذاتها يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ ؛ إلا أن الحديث في مصر وخارجها لا يزال مستمرًا عن هذا « الملك » ، وأسرار حكمه ، وحياته الخاصة ، وعلاقاته السياسية وغير السياسية . ولا زالت المطابع العربية ، والأجنبية تنتج لنا يوميًا كتابات ، وإصدارات عن فاروق ولياليه ، وعهده ؛ ونسائه ورجاله وتنظيماته وجيشه وبوليسه السري ... إلخ ...

* والكتاب الذي بين أيدينا ، واحدًا من تلك الكتب الغربية التي صدرت عن الملك فاروق ، ولكنه ليس كأي كتاب آخر ؛ وذلك لأنه يجمع بين دفتيه العمق في التحليل ، والتجرد في الرؤية ، والإحاطة في مجال رصد الحدث وتداعياته

* من هنا جاء هذا الكتاب مختلفًا - كثيرًا - عما سبقه من إصدارات عربية وغربية تتصل بفاروق وعصره ؛ ولأنه كذلك ، فقد استحق منا القيام بترجمته .

* إن (عصر فاروق) كان له وجهان هامان ، وجه فاسد ووجه مشرق وإيجابي ، أما الوجه الفاسد ؛ فهو فاروق ولياليه وسياساته والمحتل الإنجليزي وفسادهما معًا بالاشتراك مع رجال القصر وبعض الأحزاب السياسية . أما الوجه المشرق ، فهو وجه النضال الوطني والقوى الفاعلة والشعب القادر على لفظ الحكام الفراعنة ، والتخلص منهم مهما طال زمن استبدادهم ومروقهم عن الدين ، ومصالح الوطن .

* إن عصر فاروق ، جزء هام من تاريخ مصر المعاصرة ؛ بحلوه ومره ؛ بفساده ونصاعته ؛ ومن ثم لا ينبغي أن نتجاوز في تناوله حدود المنطق ، وحدود التاريخ ذاته .

* ونعتقد أن هذا الكتاب - رغم ملاحظاتنا النقدية على بعض فصوله وتحليلاته - يعد مدخلًا إيجابيًا لفهم (عصر فاروق) ، والتعامل معه بلغة التسعينيات وهو ما نرجو أن تتجه إليه باقي قوانا الوطنية والفكرية في مصر من أجل أن ندخل إلى القرن القادم ونحن واعين بتاريخنا ، وعيًا صحيًا لا أعوجاج فيه أو عور .

والله أعلم

الناشر



دار الهدى للنشر والتوزيع